

# تاریخ ایران بعد الاسلام

عباس اقبال

## تاریخ ایران

قبل از اسلام  
حسن پیرنیا

بعد از اسلام  
عباس اقبال آشتیانی

عصر پهلوی  
پرویز بابایی



# تاريخ إيران بعد الإسلام

من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية

( ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م - ١٢٤٣ هـ / ١٩٢٥ م )

نقله عن الفارسية وقدّم له وعلّق عليه

د. / محمد علاء الدين منصور

كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجع

الأستاذ الدكتور / السباعي محمد السباعي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة والنشر والتوزيع

٢ شارع سيف الدين المرفأ - العبالة

القاهرة ت / ٩٠٤٦٩٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

بقلم دكتور السباعي محمد السباعي

الكتاب الذي أقدم ترجمته اليوم الى اللغة العربية ، ألفه المرحوم عباس اقبال اثنياني باللغة الفارسية ممثلا اتجاها جديدا ومحمودا لتقديم تاريخ ايران قبل الاسلام . وبعده حتى الآن — بأسلوب واضح ومختصر معتمدا على أمهات المصادر والمراجع التي ألفت في كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران .

وسأحاول معك أيها القارئ الكريم أن أستعرض أهم المصادر التاريخية التي ألفت في كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران الاسلامي ، موضحا ما تم نقله لابناء العربية على يد أساتذتنا الرواد أو الزملاء الذين ينهضون بأداء هذه الأعمال ابرازا لدور أقسام اللغات الشرقية وآدابها بالجامعات المصرية ، وذاكرا في الوقت ذاته الموضوعات التاريخية التي سجلت أو نوقشت كرسائل الماجستير والدكتوراه . لينتضح الدور الذي قام به تلميذي وصديقي الدكتور محمد علاء الدين منصور في ترجمته لهذا الكتاب الكبير الذي أسماه مؤلفه « تاريخ مفصل ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه » . بعد أن أضاف اليه عباس اقبال أثناء الطبع كتابا مختصرا عن تاريخ ايران القديم ألفه حسن بيرنيا « مشير الدولة » عن سفره الكبير في هذا الشأن . قام كاتب هذه السطور وزميله الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم بنقله الى اللغة العربية وراجعه أساتذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب . ومن هنا كانت ترجمة كتاب

عباس اقبال تكملة لما بدأناه حتى يكون الكتاب في صورته الفارسية قد تم نقله الى العربية كاملا ويكون تاريخ ايران منذ النشأة حتى العصر القاجارى في أيدي أبناء العربية \*

منذ الفتح العربى لايران أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لايران أو لهذا المص من أمصار الدولة الاسلامية الكبيرة وظل الحال على هذا النحو حتى عين طاهر بن الحسين حاكما لخراسان من قبل الخليفة المأمون مكافأة له على ما أداه له من جليل الخدمات وكان ذلك عام ٢٠٦هـ ، ٢٢١م وقامت الدولة الطاهرية ليكون ذلك أول انقسام للدولة الاسلامية في المشرق واستمرت تلك الدولة من ٢٠٦هـ حتى ٢٢٠هـ ، ٨٢١ - ٨٧٣م لم يؤثر عن أحد حكامها تمرد على الخلافة العباسية سوى ما ذكر عن طاهر بن الحسين الذى وافقه المنية ليخلفه ابنه عبد الله بن طاهر \* ثم قامت الدولة الصفارية في سيستان أو سجستان من ٢٤٧هـ / ٢٨٧م / ٨٦١م وكانت أشد عداء للعباسيين واللغة العربية وأكثر جهدا في السعى لاعادة احياء اللغة الفارسية \*

انتهى الأمر بقيام الدولة السامانية ٢٨٨ / ٣٩٠هـ // ٩٠٠ / ٩٩٩م ويعتبر عهدا عهد الاحياء الحقيقي للغة الفارسية رغم صلاتها الطيبة بالخلافة العباسية \*

ففى تلك المرحلة بدأ نقل المؤلفات العربية فى التاريخ وعلوم التفسير الى الفارسية فترجم تاريخ الطبرى الى الفارسية تحت اشراف البلعمى كما ترجم تفسيره المعروف « جامع البيان فى تفسير القرآن » الى الفارسية أيضا ثم بدأ التأليف بالفارسية وكان التأليف فى الجغرافيا أسبق من التاريخ \* ويعتبر كتاب زين الأخبار الذى ألفه عبد الحى الكرديزى أول مؤلف تاريخى أصيل كتب باللغة الفارسية ، شرح فيه مؤلفه الأحداث التاريخية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى - ويعد هذا الكتاب المصدر فى التأريخ لأحداث خراسان



في تلك الفترة ، كما ضمنه مؤلفه فصلا عن تاريخ الهند وفصولا عن نشأة الشعوب الأوروبية الغربية وفصولا عن قبائل الترك في آسيا .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب قامت الزميلة الأستاذة الدكتورة عفاف زيدان بنقله الى اللغة العربية وأضافت اليه العديد من الحواشي والتعليقات ونشر في القاهرة ويعتبر تاريخ بيهقي أو تاريخ آل سبكتكين الذي ألفه أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي مصدرا ذا أهمية خاصة للتأريخ للعصر الغزنوي ، ومعلما بارزا من معالم كتب التاريخ الاسلامية لما كان ينعم به مؤلفه من مقام في بلاط السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي ولرؤيته التي امتدى بها الى منهج في التأليف والكتابة التاريخية كان سابقا اليه من حيث معرفة أسباب الواقعة بمناحيها المختلفة ونتائجها واعتماده على الوثائق في رصد الحدث التاريخي .

ويذكر أن هذا الكتاب قد كتب في ثلاثين جزءا ، ضاعت كلها ولم يبق منها سوى الجزء الخاص بالسلطان مسعود ١٠٣٠ / ١٠٤١م وقد انتهى البيهقي من كتابة هذا الجزء عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ولذا يعرف هذا الكتاب أحيانا بـ « تاريخ مسعودي » وحقق هذا المجلد ونشر في تهران عدة مرات أكثرها تحقيقا الطبعة التي حققها الدكتور قاسم غني ولقيمة هذا الكتاب الكبيرة قام أستاذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب وأستاذنا المرحوم الأستاذ صادق نشأت بنقله الى اللغة العربية عن تلك النسخة المحققة وطبع أكثر من مرة .

وقامت الدولة السلجوقية ويخلف التاريخ العديد من المصادر التاريخية بعضها بالعربية وأكثرها بالفارسية - ويعتبر كتاب راحة الصدور وآية السرور الذي ألفه نجم الدين محمد الراوندي وانتهى بأحداثه حتى عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩ واحدا من مصادر التأريخ لتلك الفترة خاصة وان مؤلفه عمل في بلاط السلطان السلجوقي طغرل الثالث أحد سلاطين سلاجقة العراق - ونشر المتن الكامل لهذا الكتاب في سلسلة جب التذكارية تحت اشراف الأستاذ محمد اقبال وذلك في عام ١٩٢١م .

والأهمية، هذا الكتاب، وتكملة لما قام به أستاذنا الدكتور عبد النعيم حسنين من الكتابة عن تاريخ الصلاجقة ، قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ونشر بالقاهرة .

كما ترجمت عن هذه الفترة مؤلفات ليست تاريخية في المقام الأول ، مثل كتاب سياستنامه الذي ألفه الوزير السلجوقي نظام الملك والذي وزر للسلطان السلجوقي ملكشاه فقد درس هذا الكتاب ونقله إلى اللغة العربية المرحوم القزويني ثم ترجم كتاب جهار مقالته أي المقالات الأربع وقام بترجمة رائد الدراسات الشرقية في مصر والعالم العربي أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام وأستاذنا الدكتور يحيى الخشاب .

وقامت الدولة الخوارزمية وبسطت نفوذها على القسم الأكبر من المشرق الإسلامي وكان سلطانها قائما على القوة وظهر عنها بالعربية دراسات أبرزها ما قام به حافظ حمدي في كتابين الأول المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي والثاني الدولة الخوارزمية والمغول كما كتب عنها من قبل ابن خلدون في كتابه العبر أو تاريخ ابن خلدون ومع هذا فيمكن القول بأن هذه الدولة لم تحظ بالدراسة بالقدر الكافي الذي حظي به دراساتها عن صلاتها بالمغول .

ومع هذا فلدينا كتاب وثائقي مهم يعتبر مصدرا للتاريخ لتلك الفترة ، كتبه مؤلفه باللغة العربية هذا الكتاب هو « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي » وهو آخر سلاطين الدولة الخوارزمية قبل قضاء المغول عليها . ألف هذا الكتاب محمد بن أحمد النسوي كاتب السلطان جلال الدين خوارزمشاه (أو جلال الدين منكبرتي) تناول فيه مؤلفه الأحداث منذ عام ٦١٥هـ / ٦٢٩هـ // ١٢١٨ / ١٢٣١م وهي فترة هجوم المغول على الدولة الخوارزمية .

وظهر بعد ذلك كتاب آخر لهذا الكاتب ولكنه كتبه باللغة الفارسية ويعرف باسم « نفثة الصدور » وهو كما يتضح من اسمه العربي عبارة

عن خاطرات المؤلف عما شاهده وتعرض له وكابده وتعرضت له ايران من مصائب وأحداث وانتهى من كتابته عام ١٢٣٤ أو ١٢٣٥ م. وسيطر المغول على المشرق الاسلامي كله. وازدهر التأليف التاريخي في تلك الفترة. وقامت دولة المغول في ايران. وهو ما يعرف باسم الأيلخانيين وبحاول المغول تخليد تاريخهم فظهرت المؤلفات التاريخية. العديدة كتبها مؤرخون شاركوا في صنع بعض الأحداث لما كانوا ينعمون به من مقام في السلطة آنذاك : من هؤلاء : عطا ملك الجويني الذي ألف كتابا في ثلاثة مجلدات هو تاريخ جهان كساي ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م وكان هذا الكتاب موضوع رسالة كاتب هذه السطور للحصول على درجة الدكتوراه حيث قام بدراسته وترجم المجلد الأول منه الى اللغة العربية ( ولم تنشر هذه الرسالة حتى الآن ) وقام زميلي الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين بدراسة عن الاسماعيليه كما ورد في جهان كساي كرسالة للحصول على الماجستير فترجم الجزء الخاص بالاسماعيليه في هذا الكتاب الذي يعتبر المصدر الرئيسي الوحيد الموجود حتى الآن لكتابهم المفقود المعروف بـ « سركرشت سيدنا » ومن أشهر مصادر التاريخ لهذا العصر كتاب جامع التواريخ الذي ألفه رشيد الدين فضل الله الطبيب الذي تولى منصب الوزارة في البلاط المغولي وكتب كتابه هذا بأمر من غازان خان السلطان المغولي ولأهمية هذا المؤلف وكتابته اتخذ الأستاذ الدكتور فؤاد الصياد موضوعا لرسالة لنيل درجة الدكتوراه وترجم ومعه المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوى والأستاذ صادق نشأت أجزاء من هذا الكتاب الكبير والتي تتعلق بتاريخ هولاء \* ويذكر عباس الغزائى أن غازان خان أمره في سنة ٧٠٠هـ فكتب جزءا من كتابه باسم التاريخ المبارك الغزائى بالعربية والفارسية وان التاريخ العربى كان مجهولا الى أن عثر عليه ونشره \*

ومن مؤلفي هذه الفترة أيضا شهاب الدين عبد الله بن فضل الله الشينازى الذى اشتهر باسم وصاف الحضرة ، فقد كتب كتابا بالفارسية اتخذ له اسما عربيا هو « تجزية الامصار وتجزية الأعصار » ويقع في

خمسة مجلدات ، ويعتبر ذيلًا لكتاب تاريخ جهان كساي يشرح فيه الأحداث منذ عام ٦٥٥هـ / ٧٢٤م // ١٢٢٣ / ١٢٥٧م ويقال أنه أنهاه بأحداث سنة ٧٢٨هـ وختمه بمناقب السلطان أبي سعيد .

نال هذا الكتاب اهتمام العديد من الباحثين في رسائل الماجستير والدكتوراه شأنه في ذلك شأن كتاب تاريخ كريدة الذي ألفه حمد الله المستوفي في عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠م اعتمد في كتابته على جامع التواريخ وكتب تاريخية أخرى ، ومن بين ما يتميز به هذا الكتاب ما أورده في ثبت عن العلماء والأئمة والفضلاء ، وما ذكره في كتابه عن قزوين من الناحية الجغرافية . وترجم هذا الكتاب الى اللغة التركية كسابقه وقام بترجمته يعقوب باشا بأمر من السلطان بايزيد وانتهى المترجم من ترجمته سنة ٩٥٥هـ .

أما كتابه الآخر فهو المعروف باسم ظفرنامه وهو كتاب منظوم ، يقع في خمسة وسبعين ألف بيت ، يبدأ بالتاريخ للعرب ثم تحدث عن سلاطين إيران وحكم المغول وقد باري في هذا الكتاب الفردوسي في نظمه للشاهنامه . وقد بدأ في تأليفه قبل تاريخ كريدة وأتم منه خمسين ألف بيت ثم عاد الى نظمه بعد ذلك وانتهى من تأليفه عام ٧٣٥هـ أو سنة ٧٣٣هـ / ١٢٣٢م .

وكتابه الثالث هو كتاب في الجغرافيا يعرف باسم - نزهت القلوب والذي انتهى من تأليفه سنة ٧٤٠هـ ورغم قيمة الكتاب من الناحية الجغرافية ، إلا أنه يحوى كثيرا من المعلومات المتعلقة بالتشكيلات الادارية للمغول والتركمان .

وفي العصر التيمورى الذى تلا ذلك العصر يعتبر حافظ ابرو أكبر مؤرخى تلك الفترة فقد التحق بخدمة تيمور ثم ابنه السلطان شاهرخ فقد شاهد أحداث تيمور منذ عام ٧٨٨هـ وابنه الى أن توفي سنة ٨٣٤هـ ١٤٣٠م اكتسب شهرة كبيرة من مؤلفاته التاريخية أفاد فيها من موقعه كقديم للسلطان ، من بين مؤلفاته كتاب ذيل جامع التواريخ الذى ظل

لفترة مجهول المؤلف ، أتم فيه ذكر أحوال المغول فذكر أحوال السلطان محمد خدابنده ، وابنه السلطان أبى سعيد الى أواخر أيام المغول وقد ألف حافظ ابرو ( شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي ) هذا الكتاب عام ٨٢٠ هـ .

وأكبر مؤلفاته مجمل التواريخ أو « زبدة التواريخ » ويقع في أربعة مجلدات كتبه بعد كتاب ذيل جامع التواريخ .

ويأتى من بعده عبد الرازق السمرقندى ( ٨١٦ - ٨٨٧ هـ // ١٤١٣ / ١٤٨٢ م ) صاحب كتاب ( مطلع السعدين ومجمع البحرين ) ويقع في مجلدين ، اعتمد مؤلفه على ما ورد في زبدة التواريخ لحافظ ابرو من وقائع وأحداث حتى سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م والجزء الأصيل في هذا الكتاب يبدأ من وقائع سنة ٨٣٠ هـ / ٨٣١ هـ حتى أحداث سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ثم ألف فصيح خوافي كتابه المعروف باسم « مجمل فصيحى » سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م ويحتل هذا الكتاب منزلة خاصة بين كتب مؤرخى هذا العصر .

وفي مقابل ما سبق من مؤلفات تاريخية عن هذا العصر نجد مؤلفا ومؤرخا نحا منحى آخر هو ابن عربشاه ( أحمد بن محمد بن عبد الله ) المتوفى سنة ٤٦٠ - ٨٤٥ هـ // ١٤٤٢ م والمولود سنة ٧٩١ هـ // ١٣٨٩ م ألف كتابا أسماه « عجائب المقدور في أخبار تيمور » اهتم مؤلفه اهتماما كبيرا بأخبار تيمور وأوضح تفاصيل دقائق عن حياته وأحواله كما لو كان من مرافقيه ومدونى وقائعه ، والكتاب صادق في التأريخ لتيمور بمقارنته بمؤرخى تيمور المؤيدين له والذى عاشوا في معيته ، الا في بعض المواطن التى تحامل فيها على تيمور ومع هذا فقيمة الكتاب التاريخية كبيرة وخاصة وانه لم يكتف بذكر تيمور فحسب بل ذكر ما كان معاصرا له من حكومات حاربها وانتصر عليها وقيمة الكتاب الاساسية الأخرى انه كتب باللغة العربية فغطى جانباً من أحداث التأريخ لتلك الفترة . وقد أتمه مؤلفه سنة ٨٤٠ هـ // ١٨٣٧ م ويعتبر ميرخوند ( ميرخواند ) أكثر مؤرخى تلك الفترة شهرة وانتشارا من سنة ٨٣٧ هـ حتى ٨٩٠ هـ / ١٤٢٣ - ١٤٩٨ م

ولد في مدينة بلخ ثم استقر به المقام في بلاط الشاعر والوزير ميرعليشيرنوائى وزير السلطان حسين بايقرا حيث التقى في هذا البلاط بكبار العلماء والفضلاء في شتى المجالات فأفاد من علمهم ثم انصرف للتأريخ في إحدى تكايا مدينة هرات وأخذ يكتب كتابه التاريخي - وهو في التاريخ العام - أسماء روضة الصفا ويقع في سبعة مجلدات ولكن الأجل وأناه فجأة قبل أن يتم المجلد السابع الذي أتمه حفيده خوندمير ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه سجل متضح لما سبقه من مؤلفات تاريخية خصص المجلد الخامس منه للحديث عن جنكيز وأحواله وأولاده ، وتحديث في السادس عن ظهور تيمور ووقائعه وأحداثه وأولاده أما السابع فخصص لأحوال السلطان حسين بايقرا والأقسام الأخيرة بهذا الكتاب بها تفصيلات مهمة عن الترك والمغول والتتار حتى أنه يمكن القول بأن الجزء السادس والسابع يتميزان بالأصالة والدقة التي لم يسبق إليها ونال هذا الكتاب عناية كبيرة عند الأوروبيين وعند أبناء العربية من حيث الدراسة أو الترجمة فقد ترجم تلميذى وصديقى الدكتور أحمد الشاذلى الجزء الخاص بالدولة الصفارية والسامانية من هذا الكتاب وراجعته وقدمت له ونشر بالقاهرة .

يأتى من بعده خوندمير المولود عام ٨٨٠هـ - ١٤٧٦م الذى عاصر التغيير الذى أصاب الحياة الثقافية والفكرية منذ توفى الوزير على شيرنوائى سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م فلم تبق هراة مركزا ثقافيا يشار إليه ثم توفى السلطان حسين بايقرا فتفرغ خوندمير للتأليف وألف كتابه القيم المعروف باسم « حبيب السير في أخبار أفراد البشر » ويقع في ثلاثة مجلدات ضم فيه ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ويعتبر المجلد الثالث هو المجلد الأصيل في هذا الكتاب وقد انتهى بأحداثه حتى عام ٩٣١هـ / ١٥٢٤م فالمؤلف شاهد عيان لأحداث نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر تناول فيه أحداث التيموريين وبداية الدولة الصفوية حتى وفاة الشاه اسماعيل الصفوى ويعتبر هذا الجزء من الكتاب من الوثائق التاريخية المهمة ومن مؤلفاته كذلك : دستور الوزراء ، وهو بالفارسية

تحدث فيه عن الوزراء في ايران منذ أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف حتى عام ٨٩١٤ على وجه التدقيق ومن أهم مباحثه ودراساته كلامه عن ابن العلقمي والحسن الصباح والاسماعيلية في مصر وفي ايران والدولة الخوارزمية وآل مظفر ووزراء جنكيز وآل جلاير وتيمور لذك .

ولنقلة الكتاب ومؤلفه اهتم به زميلي الدكتور حربى أمين سليمان واتخذ موضوعا لرسالته للحصول على درجة الدكتوراه ، فدرس المؤرخ وترجم كتابه دستور الوزراء ونشرته الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٠م .

أما عن الدولة الصفوية التى تلت ذلك العصر والذى أشرت من قبل الى ما قام به صاحب حبيب السير من تاريخ لبداية ظهور هذه الدولة ومؤسسها .

ثانيا تجد كتابا باسم « تاريخ شاه اسماعيل صفوى » ومؤلفه غير معلوم ، ثم كتاب لب التواريخ الذى كتبه ( يحيى القزوينى ٨٨٦/٨٩٦٣ م // ١٤٨١/١٥٥٥ م ) ورغم تعصبه للدولة الصفوية الا أن مدحه لهم كان مقبولا لحد كبير . ويأتى من بعده خورشاه بن قباد الحسينى الذى ألف كتابا باسم « تاريخ ايلجى نظامشاه » ويقع فى ست مقالات تذكر أحداث النصف الأول من القرن السادس عشر فى المقالة السادسة ومؤلفه من مؤيدى الدولة الصفوية والمذهب الشيعى . ويذكر بطروشوفسكى ان هذا الكتاب يحتوى على معلومات مهمة لم تتوفر لغيره من المصادر عن الدولة الصفوية وهناك أحمد بن محمد الغفارى القزوينى الذى ألف كتابين فى التاريخ أولهما « نكارستان ٨٩٧٠/١٥٦٢ م » ويحوى معلومات قيمة والآخر ( نسخ جهان آراى ) .

ثم كتاب أحسن التواريخ الذى ألفه حسن بك روملو بالفارسية ويقع فى اثنى عشر مجلدا لم يصل الى أيدي الباحثين منها سوى المجلد الحادى عشر والثانى عشر ( ٨٨٠٨/٨٨٩٩ م // ١٤٠٥/١٤٩٣ م ، ٩٠٠ / ٨٩٨٣ م // ١٤٩٤/١٥٧٥ م ) .

ثم هناك كتاب شرف نامه للبديلى ويقع فى مجلدين وانتهى منه فى

١٠٥٠/١٥٩٦م ورغم ما ألف عن الدولة الصفوية فلم يترجم كتب من مصادر تلك الفترة الى اللغة العربية .

وظهرت في القرن الثاني عشر الهجري العديد من المؤلفات التاريخية تناولت نهاية الدولة الصفوية وظهور نادرشاه ، ومن بينها كتاب زبدة التواريخ الذي ألفه محمد محسن مستوفي الذي عمل مستوفيا ( مقابل وزير المالية حاليا ) لنادر شاه ١١٥٤-١١٥٥ / ١٧٤١-١٧٤٢م ) .

وكتاب تذكرة الأحوال شيخ حزين للشيخ محمد علي حزين للشيخ محمد علي حزين ( ١١٠٤ / ١١٨٠ هـ = ١٦٩٢ / ١٧٦٦ م )

وألف عن فتوحات نادرشاه وفترة حكمه أكثر من عشرين كتابا من أهمها مؤلفات ميرزا محمد مهدي خان ومحمد كاظم .

ألف ميرزا مهدي خان « دره نادري » ، ثم جهان كشاي نادري ويعيب مؤلفاته التعصب والمديح ومع هذا ظلها مصدرا أساسيا يعتمد عليه في التاريخ لتلك الفترة الى أن عثر على كتاب محمد كاظم فتشوق على مؤلفات ميرزا مهدي خان ولم يكن اسم الكتاب معروفا في بداية الأمر الى ان عثر على نسخة منه في موسكو باسم « عالم آراي نادري » يتناول المجلد الأول منه أحداث تاريخ ايران حتى جلوس نادر شاه على العرش اما المجلد الثاني فيذكر الأحداث التي وقعت بين سنة ١١٤٩ / ١١٥٦ هـ - ١٧٣٦ / ١٧٤٣ م ويشرح المجلد الثالث فترة حكم نادر شاه ١١٦٠ / ١١٦٠ هـ - ١٧٤٣ / ١٧٤٧ م ظهر بعد ذلك كتاب « مجمل تاريخ بعد نادريه » ألفه ابو الحسن بن محمد أمين كلبشاه في مجلدين . يشرح الأول الأحداث من ١١٦٠ حتى ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ / ١٧٥٠ م ويتحدث الناس عن احمد شاه دراني وتأسيس الدولة الافغانية .

ثم ألف ميرزا محمد صادق موسوي كتابا بعنوان « تاريخ كيتي كشاي » او « تاريخ زندية » وهو تأليف لم يكتمل بفترة كريم خان زند ( ١١٦٣ / ١١٩٣ هـ = ١٧٥٠ - ١٧٧٩ م ) ثم أضيفت اليه اضافتان لكل من ميرزا عبد الكريم ومحمد رضا شيرازي لتفصل أحداث الكتاب حتى سنة ١٢٠٩ هـ - ١٧٩٤ م .



وكتب على رضا بن عبد الكريم الشيرازي كتابا باسم ( تاريخ زنديه ) تناول فيه تاريخ الزنديين منذ موت كريم خان زند ١١٩٣هـ - ١٧٧٩م حتى وفاة لطفعلی خان ( ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م ) .

وكتب ابو الحسن بن ابراهيم القزويني كتابا عن تاريخ ايران في عصر الصفويين والافشاريين والزنديه حتى استتبت الامر لآل قاجار اي ١٢ - ١٢١١هـ - ٧ - ١٧٩٦م ) وجعل عنوان الكتاب « فوائض صفويه » ثم كتب عبد الرازق بك ديبلي ( ١١٧٦ - ١٢٤٣هـ / ١٧٦٢ - ١٨٢٧م ) كتابا عن تاريخ اول سلطانين لآل قاجار وهما آغا محمد خيaban وفتحعلی شاه وأسماء « مآثر سلطانية » أنهاء بالتاريخ حتى عام ٢٩ - ١٢٣٨هـ / ١٨١٣ - ١٨١٤م ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في التاريخ السياسي لايران في نهاية القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر ومن العلاقات مع ايران وروسيا وهذا الكتاب وترجمة موضوع رسالة للحصول على الماجستير سجلها معي تلميذ نابه أرجو له التوفيق .

هذه مصادر أساسية تتعلق بتاريخ كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران منذ الفتح الاسلامي بعامة وبداية التأليف التاريخي باللغة الفارسية بخاصة حاولت قدر المستطاع بيان ما نقل منها الى اللغة العربية او ما الف منها بالعربية اصلا او ما درس في رسائل للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه .

ثم ظهرت مؤلفات تاريخية باللغة الفارسية تشمل تاريخ ايران عبر عصورها المختلفة وظهر علماء على قدر كبير من الموضوعية حاولوا كتابة تاريخ موسع او مختصر لايران نذكر منهم على سبيل المثال المرحوم حسن بيرنيا الذي اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ ايران القديم ، فكتب سفرنا ضخما عن تاريخ ايران القديم ، منذ اقدم العصور حتى الفتح العربي الاسلامي لايران ، ثم كتب مختصرا لهذا السفر الضخم آثرت وزميلي الاستاذ الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم نقله الى العربية وقام بمراجعته لنا استاذنا الاستاذ الدكتور يحيى الخشاب .

ومدرت طبعته الاولى بالقاهرة عام ١٩٧٨ .

( ك )

ومن هؤلاء العلماء ايضا المرحوم عباس اقبال اشثياني الذي اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ المغول فكتب كتابا قيما لاغنى عنه لمن يبحث في تاريخ المغول من الرجوع اليه والاعتماد عليه ، ثم كتب كتابا شاملا - كما يتضح من عنوانه هو تاريخ مفصل ايران - « تسعة قسمن : القسم الاول منذ ظهور الاسلام حتى المغول ويقع في تسعة فصول » اما القسم الثاني فيتناول التاريخ للاحداث في ايران منذ العصر المغولي حتى سقوط الدولة القاجارية ويقع في تسعة عشر فصلا ينتهي عند أحداث عام ١٣٣٧ هـ ١٩٦٩ م .

يقع هذا الكتاب في ثمانمائة واربع وستين صحيفة ، اضافها الى المؤلف المختصر الذي ألفه حسن بيرنيا مشير الدولة عن تاريخ ايران لينشر كتابا واحدا في تهران ، وأشرف على نشره واعداده الدكتور محمد دير سياهي بمكتبة الخيام .

هذا العمل الضخم هو الذي يسعدني ان اقدمه اليوم كعمل علمي مميز وجهد كبير مشكور وإخلاص عميق للتخصص قام به تلميذي وصديقي وزميلى الدكتور محمد علاء الدين فقد نقله الى العربية نقلا أميناً لم اجد مشقة في مراجعته ، وعلق عليه وإضاف اليه من الحواشي ما يزيد العمل قيمة وثراء وهو بهذا قد اكمل ما بدأه صديقي الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم وكاتب هذه السطور من ترجمة لتاريخ ايران القديم الذي يمثل الجزء الاول من هذا الكتاب الضخم حسب طبعة هذا الكتاب .

ولا شك ان جهد الدكتور محمد علاء الدين منصور جهد مشكور ، وهو بهذا العمل قد قدم للمكتبة العربية مرجعا اساسيا يملا فراغا ظل شاغرا وأمل ان يستمر الدكتور علاء في السير على هذا الدرب .

ومن الله العون والتأييد .

انه سميع مجيب .

السباعي محمد السباعي

## بشیر آذر الخراسانی

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الفارسی ( تاریخ مفصل ایران از صدر اسلام تا انقراض قاجاریه ) أى تاریخ ایران المفصل من صدر الاسلام حتى انقراض الدولة القاجارية ، من تألیفات عباس اقبال الآشتیانی ممن حاول تحری الاسلوب العلمی فی مؤلفاتهم من بین أصحاب التألیف والبحث الايرانیین \* ولد اقبال فی عام ( ۱۳۱۴ هـ ق ) فی أسرة فقيرة بأشتیان ، مما حدا به الى اتخاذ طریق التعلم والعلم ، فلحق بكتاب بلده ، ثم بدار الفنون بطهران وأنهى دورتها المتوسطة \* وحاز على دبلوم منها ، وعمل بالمكتبة العامة بوزارة المعارف الايرانية ، ثم بتدريس الفارسية فی دار الفنون \* وبدأ الاقبال یقبل على اقبال منذ ذاك الحین ، فعمل بالتدريس فی مدارس العاصمة الكبرى ، اذ درس الفارسية فی دار المعلمین العلینا ، والتاریخ والجغرافیا فی المدرسة السیاسیة والمدرسة العسکرية ، وعن طریق المدرسة الأخيرة أرسل لیعمل سكرتیرا للهیئة العسکرية الايرانیة بفرنسا عام ( ۱۳۲۶ هـ ) ، فانكب على تعلم الفرنسية وتحصیل العلم وحاز درجة اللیسانس فی الآداب من جامعة السربون \*

وقد ساعد اقبالا عمله بمكتبة المعارف وهو بإيران علی لتعرف الى مشاهیر علماء وأدباء زمانه من قبیل ملك الشعراء بهار ورشید یاسمى وسعید نفیسی فنشر معهم مجلة ( دانشكده ) أو الكلیة ، وصرف بعضا من وقته مع آخرین مثلهم ، مثل محمد علی فروغی وأبى الحسن فروغی و غلام حسین رهنما وعبد العظیم قریب ، فأخرج بمشاركتهم مجلة ( فروغ تربیت ) أو أنوار التربیة \* وبدأت شهرة اقبال بهاتین المجلتین فسرف اسمه كل من له صلة بالأدب الفارسی \* وقد توثقت علاقته وهو

بباريس بالعلامة المحقق محمد بن عبد الوهاب القزويني (متوفى ١٣٧٠ هـ) فزادت معرفته ومصاحبته من مقامه الأدبي والعلمي ، فاختر أستاذا للجامعة ثم عضوا بالمجمع اللغوي الايراني .

وفي عام ( ١٣٦٢ هـ ) حرك اقبالا شوقه الى رفعة شأن الفارسية وأدبها الى نشر مجلة في تاريخ ايران وأدبها هي ( يادكار ) أو التذكار استمرت خمس سنوات وكانت من ألمع المجلات الفارسية . ولما امتنعت عن الصدور عام ( ١٣٧٠ هـ ) ركب اقبالا هم عظيم وبرم بأحوال ايران لمقبل ليقضى ما بقي من عمره في هدوء تمثيل ايران ثقافيا في تركيا وايطاليا ، وظل مستشارا ثقافيا حتى موته بايطاليا في الحادي والعشرين من شهر بهمن ( ١٣٣٤ هـ . ش ) ( ١٣٧٦ هـ . ق ) .

وقد تعد مؤلفات اقبال في الأدب والتاريخ والجغرافيا فضلا عن مقالاته المتنوعة في المجلات والصحف فبلغت نحو خمسين كتابا تأليفيا وترجمة وتحقيقا وتصحيحا وبضع مئات من المقالات . فمن مؤلفاته فوق كتابه تاريخ ايران المفصل كتابه ( سرگذشت امير كبير ) أي سيرة الأمير الكبير القاجاري ، و ( خاندان نوبختي ) أو الاسرة النوبختية وكتاب في تاريخ المغول وآخر في تاريخ وزراء السلاطنة ، ثم ( قابوس وشمكير زياري ) و ( ابن مقفع ) و ( بحرین وجزایر خلیج فارس ) ، وكتاب في تاريخ ايران في ثلاثة مجلدات ، وآخر في التاريخ العام في ثلاثة مجلدات وثالث في جغرافيا العالم في ثلاثة مجلدات كذلك ، وكتاب في الجغرافيا الاقتصادية وكلها للتدريس بالمدارس ، وأخيرا كتاباه ( کلیات تاریخ تمدن ) أو کلیات تاریخ الحضارة ، و ( کلیات علم جغرافیا ) .

أما ما ترجمه وأكثره عن الفرنسية التي حذقها فممنه ( سه سال در دربار ایران ) أو ثلاث سنوات ببلاط ايران من تأليف الفرنسي فوریه الطبيب الخاص لناصر الدين شاه القاجاري ، و ( یاد داشت های زنرال ترازل ) أو ذكريات الجيرال ترازل و ( مأموریت زنرال کاردان در ایران ) أي مأمورية الجنرال جاردان في ايران . ( وعن الانجليزية

( طبقات سلاطين اسلام ) تأليف لين بول \*

وصحح اقبال كثيرا من المؤلفات منها روزنامه ميرزا محمد كلانتر فارسي ، وتاريخ نو ( التاريخ الجديد ) لجهانكير ميرزا قاجار و ( جنكهاى ايران و انكليس ) اى حروب ايران و انجلترا ، وحدائق السحر للوطواط وفضايل الأنام ( مكاتبات غزالي ) وأنيس العشاق لرامى ولغت فرس للأسدى ، وديوان أمير معزى وسياسة نامه نظام الملك ، وذيل سير العباد للأوحدي و ( بيان الأديان ) و ( تبصره الصوام ) و ( تجارب السلف ) ثم ( تتمه اليتيمه ) و ( معالم العلماء ) لابن شهر آشوب ، و ( طبقات الشعراء ) لابن المعتز ، والكتب الثلاثة الأخيرة بالعربية \*

وحقق اقبال عدة من المؤلفات وزادها حواشى مفيدة مثل تاريخ طبرستان لابن اسفنديار وسمط العلى فى تاريخ كرمان والمصنف الى بدائع الأزمان فى وقائع كرمان وترجمة محاسن أصفهان الفارسية ، و ( عتبة الكتبة ) وهو مجموعة من مكاتيب العهد السلجوقى و ( مجمع التواريخ ) فى تاريخ الصفويين وسلسلة من المقالات التاريخية عن وقائع كبار العهدين الصفوى والقاجارى \*

ولاقبال كثرة كثيرة من المقالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية نشرت بالصحف والجرائد الايرانية منها مجلات بهار ، دانشكده ، مهر ، ايرانشهر ، يادكار ، ارمغان ، ايران امروز ، يغمما ، آموزش ، شرق ، فروغ تربيت ، نشرية وزرات امور خارجه ، اطلاعات ماهانه ومجلة دانشكده ادبيات . ويمكن الاطلاع على فهرست مقالاته الهامة المتعلقة بايران فى ( فهرست مقالات فارسي ) تأليف ايرج افشار ، طبعة طهران ( ١٣٤٠ هـ . ش ) \* وكتاب تاريخ ايران المفصل الذى يؤرخ لايران من صدر الاسلام حتى نهاية القاجاريين ( ١٩٢٥ م ) ألحقه الدكتور محمد دبیر سياقى بكتاب حسن بيرينا ( مشير الدولة ) ( تاريخ ايران از آغاز

تا انقراض ساسانيين ) أو تاريخ ايران من البداية حتى انقراض الساسانيين ، المقدم له من الدكتور باستاني باريزى ، فى مجلد واحد غواته ( دورة تاريخ ايران از آغاز تا انقراض القاجاريه ) أى دورة تاريخ ايران من البداية حتى انقراض القاجاريين ، ونشره عام ( ١٣٤٦ هـ ش ) ليضع تحت تصرف القارئ تاريخ ايران من البداية حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين . وقد قام أستاذنا الدكتور السباعى محمد السباعى والدكتور نور الدين عبد المنعم بترجمة كتاب بيرنيا وتحسينه عام ( ١٩٧٩ ) ، فشحجنى هذا على اكمال ترجمة بقية المجلد بترجمة كتاب اقبال واضافة ما يلزم من حواش وتعليقات ، خاصة وأن الكتب التى تعرضت للتاريخ الايرانى بعد الاسلام بالعربية جد قليلة ، وان وجدت فليس من بينها كتاب جامع مثل كتاب اقبال الذى ضم بين دفتيه تاريخ ايران بعد الاسلام حتى قيام الدولة البهلوية مستغرقا من الزمان أحد عشر قرنا أو يزيد .

ويقع كتاب تاريخ ايران المفصل فى قسمين كبيرين الأول من صدر الاسلام حتى الغزو المغولى والثانى من الغزو المغولى حتى انتهاء القاجاريين . ويضم القسم الأول بدوره قسمين أولهما يؤرخ أحوال الجزيرة العربية والعرب قبل الاسلام فى فصل ، وظهور الاسلام والسيرة النبوية فى فصل ثان ، وتاريخ الخلفاء الراشدين مشيرا الى معارك المسلمين مع الفرس فى فصل ثالث ، ثم تاريخ الأمويين فى فصل رابع ، وتاريخ الخلفاء العباسيين فى فصل خامس ، تأريخا موجزا . فهذا القسم ( مائة صفحة ) يمهّد به المؤلف لقرائه الايرانيين للدخول الى تاريخ ايران الذى يبدأ واقعا ببداية الدولة الطاهرية ( ٢٠٦ هـ ) وهو اذن خارج عن التاريخ الايرانى داخل وحسب فى التاريخ الاسلامى العربى فلا يهم دارس التاريخ الايرانى من العرب فى شىء ، كما أن القارئ العربى فى غنية عنه لأن اقبالا مهما أجاد وفصل فلن يبلغ ما كتب المؤرخون العرب كالطبرى والمسعودى وابن الأثير ومن اليهم العمدة فى دراسة التاريخ

الاسلامى عامة والعربى خاصة وكتبهم فى متناول الجميع • لهذا رغبت  
عن ترجمة هذا التمهيد وبدأت الكتاب بترجمة تاريخ ايران من بداية  
الدولة الطاهرية أى بترجمة القسم الثانى من القسم الاول ثم القسم  
الثانى الاكبر • ويشمل هذان القسمان أو الكتاب تاريخ الطاهريين  
وعلوي طبرستان وديالة آل زيار وآل بويه والصفاريين والسامانيين  
والغزنويين وسلاطين الغور والسلاجقة وأتابكة آذربيجان والخوارزميين  
وتاريخ المغول والایلخانات وخلفائهم ملوك الطوائف والتميموريين  
والتراكمة القراقوينلو والآق قوينلو والصفويين والأفشاريين والزنديين  
والمقاجاريين • ووقع ما ترجمته فى نـد ( ٧٦٠ صفحة ) وعنونت له بتاريخ  
ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القاجارية •

ويتميز اقبال فى كتابه هذا بايراد تفاصيل هامة عن تاريخ ايران عن  
دراسات متعمقة ومراجع أصلية غير عربية ، كما يتميز بحسن تبويبه  
وتنظيمه وبسهولة أسلوبه ووضوح مقصده اللهم الا اذا تحرى  
التفصيلات فقد يفضى الى شئ من الملل وهذا لحسن الحظ فى قليل جدا  
من الأحايين • ولم يكن اقبال محملا أو مفلسفا فى تأريخه بقدر ما كان  
قاصا مثبتا للوقائع كما هى ، كما لم يستطع التخلص  
تماما من التعصب الذى يتمتع به الفرس قديما وحديثا وان كان  
أقل حفا من غيره فى هذه النقيصة بحمد الله ، مما فرض علينا رده خاصة  
فى ظلمه لمحمود الغزنوى وللسامانيين أو تغافلهم عما بعثه التيموريين فى  
ايران من نهضة بسبب ان ذنبهم أنهم لم يكونوا فرسا ، أو انحيازهم الى  
يعقوب الصفار والصفويين وغير ذلك • وقد أكثرت من الحواشى حين  
يحتاج المقام وأقللت منها حين يفصل اقبال خاصة فى الفصول الأخيرة من  
الكتاب حتى لا يزيد ضخامة فوق ضخامته ، وفصلت حواشى الدكتور دبير  
سباقى — وهى قليلة — عن حواشى بالاشارة الى حواشيه باسمه  
(سياقى) •

والترجمة بلا شك فن ، لكنه فن لا بد أن يتصف فى رأى بالدقة ،

بمعنى أن المترجم عليه الإبقاء على سمات المؤلف الذى يترجم له  
التعبيرية وأسلوبه فى التأليف ، لأن لكل كاتب شخصية فى التعبير تميزه  
عن غيره ، فمن الظلم اذن المحافظة على روح المعنى فى الترجمة دون روح  
التعبير واللفظ كذلك •

والله أسأل ، أخيرا ، أن يكون الكتاب ذا فائدة واقعة للمهتمين  
بالتاريخ الإسلامى فى إيران وأن نعم فائدته الجميع وهو الهادى الى  
الصواب •

( المترجم )



# القسم الأول

## ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى الغزو المغولى

### (مقدمة)

بعد أن أتم جند الاسلام فتح الجزء الاعظم من ايران درجت العادة في خلافة الخلفاء الراشدين والأمويين أن يرد ايران وما وراء النهر حكام من طرف ولاية البصرة والكوفة ويعهد اليهم أيضا بقيادة الجيش ويتعدى عملهم كذلك ادارة أمور ولاياتهم الى تأديب الثوار وجهاد الكفار المجاورين وقل أن أنيب هذا العمل الهام الى غير المسلمين العرب ولهذا فان قادة الخلفاء الراشدين والأمويين وولاتهم — الذين كانوا عربا ويعتمدون على قومهم أساسا — كانوا غالبا يرحلون جمعا كبيرا من قبائل الجزيرة العربية معهم ويسكنونهم ايران حتى يستمدوهم حين يلزم الأمر ، وقد نشر هؤلاء الاسلام والتقاليد العربية في الشرق .

لكن في عهد بنى العباس اختلف الأمر فقد كان يؤمر الحكام من دار خلافتهم مباشرة ، وكان العنصر الايراني غالبا فيهم كما ظهر حينما ولى أبو مسلم الخرساني وقتا في عهد السفاح والمنصور والفضل البرمكى في عهد هارون الرشيد وظاهر ذو اليمينين والحسن بن سهل السرخسى في عهد المأمون وقد حكم بعضهم جميع ايران والبعض الآخر أجزاء هامة منها . ولما كان هؤلاء — خلافا لحكام ايران قبل بنى العباس — جميعا ايرانيين فقد كانوا يجمعون الايرانيين حولهم وينيبون اليهم الاعمال

الادارية ومصالح البلاد والحكم ويحيا كل منهم في بلاط يقام فيه تكثير من الآداب الايرانية القديمة مقلدين بذلك المرازبة وقادة الجيوش في العصر الساساني . وقد ظهرت عندهم أيضا طبقة الكتاب الذين يمسكون بأزمة الأمور الهامة الحكومية في العصر الساساني ، وكان الخليفة العباسي يسير في بغداد هذه السيرة ، والحق انه باستثناء الدين الاسلامي واللغة العربية في بلاط العباسيين وحكامهم فان كل شيء بعد ذلك كان تقاليد الايرانيين قبل الاسلام ومراسمهم وتشكلاتهم الحربية والحكومية والحضارية +

ومع أن اللغة العربية كانت عند الحكام والولاة لغة الكتابة واللغة الرسمية وكان الكتاب يجبرون على تعلمها والتمرس بها للمكاتبة مع دار الخلافة والأمراء المختلفين الا أن السكان الايرانيين الوطنيين لم يكفوا قط برغم اعتناقهم الدين الاسلامي عن التحدث باللغة الفارسية وكانوا في سعي دائم للحفاظ عليها والعمل بالتقاليد الايرانية وتكرار ذكر سير سلاطين العجم خاصة أولئك الذين كانوا يحيون فيما وراء جبال الألبز والاماكن النائية في سبتان وخراسان وما وراء النهر التي ظلت بمنحى من السيادة العربية أو بمنأى من دار الخلافة . فبقيت روح القومية الايرانية فيهم أكثر حياة وأعظم قوة وكان كلما سنحت فرصة لهؤلاء السكان الغيورين الذين لم يفرحوا بسيطرة العرب ولا بحكامهم الجائرين كانوا يثورون عليهم ويجلون بقاء الوجود والقومية الايرانيين ، وظل هذا حالهم حتى وفقوا في عهد المأمون في تأسيس اسرة لهم والحصول على استقلالهم فتأسيس الاسرة الطاهرية سنة مائتين وست كان مقدمة لتأسيس اسرات أخرى ايرانية وزوال السيادة والسلطة العباسية في بغداد تدريجا . وهذه الاسرات خلاف الاسرات الايرانية في طبرستان التي كانت تحكم باسم الاسبديدات أو بأسماء أخرى من وقت انقراض الساسانيين ، وذلك خلف الألبز حكما بلا انقطاع ولم ينصاعوا لأوامر الخلفاء كما كان يقتضى الأمر .

والاسر التي أسست في ايران من عهد المأمون فصاعدا طبقتان ،  
الاولى كالعلوين في طبرستان والصفاريين وديلمة آل بويه والزياريين  
خاصمت خلافة بغداد بسبب اعتناقها مذهباً غير المذهب الرسمي للخلفاء  
أى مذهب السنة ، فلم يقبلوا سيادتهم الروحية • والثانية كالمسامنيين  
والغزنويين والصلاحية فقد كانوا يعترفون بالخلافة لأنهم كانوا على  
مذهبهم وكانوا يخطبون باسمه وكانوا يعتبرون أنفسهم أمراء منصحين  
من قبله •

## الفصل الأول

الطاهريون وعلويو طبرستان

١ - الطاهريون (١)

(٢٠٦ - ٢٥٩ هـ)

بعد أن استقر المأمون على كرسى الخلافة بيد طاهر (٢) وأتباعه ،

(١) . يعد بعض الدارسين سنة ( ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م ) التي أرسل المأمون فيها طاهرا واليا من لفته على خراسان هي السنة الاولى لقيام الدولة الطاهرية ، وقد أخذنا برأيهم ( ومنهم ريكا في كتابه تاريخ الابد الايرانى ) ، أما اقبال فقد كان غير دقيق في تحديده إذ أنه ذكر أولا أن المأمون أرسل طاهرا واليا لخراسان في شوال ( ٢٠٥ هـ ) ، ثم ذكر بعدها بقليل أن طاهرا قدم خراسان في ربيع الآخر ( ٢٠٦ هـ ) — كما سيلي — وليس من العقول أن ينطلق طاهر من بغداد في التاريخ الاول ثم يقطع الرحلة الى خراسان فيصلها في التاريخ الثانى مستغرقا نحو خمسة أشهر وهو الحريص على الابتعاد من المأمون ونقمته لقتله أخاه الامين . انظر :

Jan Rypka, History Of Iranian Literature. P. 135 ( Holland, 1968 ) .

( ٢ ) كان طاهر قبل ولايته خراسان من قبل المأمون رئيس شرطته ببغداد وجنده وله باع طويل في قتال الامين وحصاره ببغداد بعد أن تفرق عن الاخير جنده وناصره العيارون والابواش والسوتة وكان لهؤلاء صراع طويل مع طاهر والجنود الخراسانيين إذ اذاقوا طاهرا والايرائين وبلا وخسرا . قتال يصف بعض هذه الوقائع أحد العيارين :

لنا من طاهر يوم عظيم الشان والخطب  
اتاه كل طرار ولص كان ذا نقب

( للتفصيل رسالة المترجم للدكتوراه ( جماعات الفتوة في الاناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية ) مكتبة جامعة القاهرة ( لم تنشر ) ( ص ٢٢ حتى ص ٢٥ ) .

أرسل طاهرا في شوال عام ( ٢٠٥ هـ ) لامارة خراسان مكافأة له على خدماته ظاهرا وإبعادا له عن بغداد وقصرا ليد سيطرته عن أمور الخلافة باطنا لا سيما وأن طاهر قتل الأمين أخاه فأبعده المأمون عن ناظره بهذه الامارة ، وقبل طاهر هذه المهمة لأنه كان يخشى الخليفة على نفسه .

## ١ — طاهر الحسين

تقدم طاهر خراسان في ربيع الآخر من عام ٢٠٦ واليا للمأمون وأقام في مرور عاصمة خراسان ولكنه لم يدع للمأمون في خطبة العام التالي ودعا لأحد أبناء الامام موسى الكاظم وأعلن بذلك استقلاله ، وبهذا ظهرت الاسرة الطاهرية أول أسرة إيرانية بعد الاسلام .

والطاهريون أبناء رجل اسمه مصعب بن رزيق من سكان فوشنج بهراة وان ادعوا أنهم من نسل رستم بطل الشاهنامه المعروف . وكان جدهم هذا قد قدم في ولاية أحد أشراف العرب من قبيلة خزاعة ولذا فقد سمي الطاهريون بالخزاعيين . وكان مصعب يحكم فوشنج حينما كان دعاة بني عباس يثثون دعوتهم ، ثم دخل في خدمة أحد مساعدي أبي مسلم وقت ثورته كأحد الكتاب ويشتهر طاهر بن الحسين مؤسس الاسرة الطاهرية بلقب ( ذو اليمينين ) وتختلف الاقوال في سبب هذه النسبة من بينها ما يقال انه لما استقدم طاهر بعد فتح بغداد ( وقتل الأمين ) الامام الرضا بأمر من المأمون الى هذه المدينة وبايعه بولاية عهده ، بايع طاهر الرضا بيده اليسرى قائلا ان يده اليمنى مشغولة ببيعة المأمون في خراسان فقد كان عادة بني عباس أن يحضر الخليفة ومعه وني عهده الى المسجد في وقت أخذ البيعة وبايعهما الناس فيبايع الرجل الخليفة بيده اليمنى وولى عهده بيسراه . ولما نقل الرضا هذه الواقعة للمأمون قال المأمون : أسمى يسرى طاهر اليمنى أيضا حتى لا تنفص بيعته للامام ومن ثم اشتهر طاهر بلقب ذي اليمينين كما اشتهر وزير المأمون الفضل بن سهل السرخسى بلقب ذي الرياستين لأنه جمع رئاسة

الجيش والديوان (١) • مات طاهر ذو اليمينين في جمادى الآخرة من عام ٢٠٧ هـ في مرو ومشهور أنه توفي في ليلة نفس اليوم الذي أسقط فيه المأمون من الخطبة ، وذكر البعض أنه مات مسموما بأمر من المأمون ، وكانت مدة امارته عاما ونصف عام •

## الخوارج :

في زمان خلافة المهدي في سنة ١٦٠ هـ ثار انسان مدعي الامامة من فرق الخوارج التي كانت تكثر في كرمان وسيستان وخراسان وشاطيء بحر عمان وكان من عرب قبيلة بنى ثقيف المهاجرين واسمه يوسف البرم وشملت دعوته القسم الشرقي لخراسان أي في حدود مرو رود والطلقان والجوزجانان واستولى على حكم مدينة فوشبغ التي كانت لمصعب جد طاهر ذي اليمينين ثم سيطر على سائر شرق خراسان • وقد ألفت جماعة أخرى من الخوارج في عهد هارون بترأسها حمزة الخارجي في سيستان وخراسان وقهستان ومكران دولة قوية ولقب حمزة نفسه بلقب أمير المؤمنين ، فقصده هارون خراسان لصدده ولكن حمزة بقى على قوته اذ وافته هارون منيته في هذا السفر • وقد دخل حمزة مع الطاهريين الذين كانوا قد استدلوا على مقاليد الأمور في بلادهم وضبطوا تحت حكمهم خراسان وسيستان في صراع وكان حيننا يغلب وحيننا يغلب حتى انتهى الامر الى غلبه طلحة ابن وخليفة طاهر ذي اليمينين على أمره ومات في ١٢ جمادى الاخرى سنة (٢١٣ هـ) • ولكن الخوارج لم ينتهوا بموته واستمروا في نزاعهم مع آل طاهر حتى انتهت امامتهم الى عمار الخارجي سنة ٢٣٣ هـ والذي قتله يعقوب بن الليث الصفار •

---

( ١ ) وردت واقعة تسميته طاهر بذى اليمينين كما ذكر المؤلف في كتاب ( تاريخ بيهقي ) لابي الفضل البيهقي ( ٢٨٥ - ٤٧٠ هـ ) من كبار كتاب العصر الفزنوي وكتاب رسائل السلاطين الفزنويين ، راجع تفاصيل هذه الواقعة في كتاب تاريخ البيهقي الفارسي تعليق دكتور نياض طبعة عام ( ١٣٢٤ هـ . ش ) ( ١٤١ - ١٤٢ ) •

## ٢ — طلحة بن طاهر

(٢٠٧ — ٢١٣ هـ)

تولى طلحة بن طاهر ذى اليمينين حكم سيستان في أيام أبيه وكان يعيش فيها حتى موت أبيه فلما وصله خبر وفاة أبيه قدم خراسان ثم أرسل من قبله الى سيستان « الياس بن أسد الساماني » والواقعة الهامة لحكم طلحة حربه مع خوارج سيستان وتغلبه التام على حمزة الخارجي . ومات طلحة بعد هذا الانتصار بقليل وأتاب المأمون خلافته الى أخيه عبد الله الذي كان في كرمانشاه يتتبعاً لحرب بابك الخرمي ، فأنفذ عبد الله أخاه آخر هو على من جانبه الى خراسان .

## ٣ — عبد الله بن طاهر

(٢١٣ — ٢٣٠ هـ)

أسنح موت طلحة وغياب عبد الله عن خراسان فرصة طيبة للخوارج فكاهوا قد استولوا على جميع خراسان وعبد الله لم يغادر نيشابور بعد اليهم سنة ( ٢١٥ هـ ) . فبدأ عبد الله في دفع فتنة الخوارج ثم جرد جيشه لصد المازيار بطبرستان مكلفاً من قبل المعتصم خليفة المأمون وفي عام ( ٢٢٧ هـ ) قبض على المازيار وأرسله الى بغداد .

كان عبد الله شاعراً وأديباً وفاضلاً وعادلاً ، أثر نيشابور عاصمة له وقام فيها بتعمير كبير فقد اهتم خاصة بالزراعة وحفر القنوات واصلاح الري وتقسيم المياه وكان عبد الله قبل بلوغه ولاية خراسان والياً للشام من طرف الخليفة لفترة ثم تولى حكم مصر أيضاً لفترة أخرى

#### ٤ — طاهر بن عبد الله

( ٢٣٠ — ٢٤٨ هـ )

بعد موت عبد الله أناب الخليفة الواثق ابنه طاهرا الثاني في ولايته وكان في هذا الوقت موجودا في طبرستان وحكم طاهر ثمانية عشر عاما على خراسان وسيستان بعدالة وتقوى ، وليس في فترة امارته من واقعة هامة سوى بعض حروبه الداخلية .

#### ٥ — محمد بن طاهر

( ٢٤٨ — ٢٥٩ هـ )

محمد بن طاهر الثاني هو آخر الامراء الطاهريين وكان رجلا غافلا ضعيف النفس ماجنا ، ولهذا فقد كان عماله يعاملون الناس في ولايتهم باستبداد وظلم حتى أن عمه سليمان والى جزء من طبرستان اصطدم مع الاهالى صداما كثيرا وبسبب هذه الاعمال السيئة من سليمان وسائر عماله الآخرين ثار الشعب على الطاهريين واستقدموا العلويين وتخلصوا من حكم آل طاهر .

كان محمد بن طاهرا معاصرا للنديين قويى الشكيمة هما الداعى الكبير حسن بن زيد العلوى ويعقوب ابن الليث الصفارى وكان ان صار نهبا لثورتيهما . فقد تمكن الداعى من طرد سليمان ابن عبد الله من طبرستان ( ٢٥٠ هـ ) واستولى عليها ، وسيطر يعقوب على هراة وهاجم خراسان وفي ( ٢٥٩ ) سخر نيسابور وأدال بحبس محمد الاسرة الطاهرية بعد ثلاث وخمسين سنة من الحكم .

كان الطاهريون يتولون من عهد أبيهم ادارة شرطة بغداد أيضا وكان أحدهم اذا سيره الخليفة لامارة خراسان ينيب أخاه أو ابنه أو أحدا من بنى عمومته في هذا المنصب . وقد كان من بين الطاهريين جملة



من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة وأشهرهم الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ( ٢٢٣ — ٣٠٠ هـ ) الذي كان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر ، وقد ترك عمرو بن الليث الصفاري منصب شرطة بغداد اليه ( ٢٦٦ هـ ) فهو بهذا آخر رجل من الطاهريين كان بمنصب ورئاسة .

### أسماء الأمراء الطاهريين وزمن امارة كل منهم (١)

- |                            |                  |
|----------------------------|------------------|
| ١ — طاهر بن الحسين بن مصعب | ( ٢٠٦ — ٢٠٧ هـ ) |
| ٢ — طلحة بن طاهر           | ( ٢٠٧ — ٢١٣ هـ ) |
| ٣ — عبد الله بن طاهر       | ( ٢١٣ — ٢٣٠ هـ ) |
| ٤ — طاهر بن عبد الله       | ( ٢٣٠ — ٢٤٨ هـ ) |
| ٥ — محمد بن طاهر           | ( ٢٤٨ — ٢٥٩ هـ ) |

### ب — علويو طبرستان

( ٢٥٠ — ٣١٦ هـ )

بعد أن هزم عبد الله بن طاهر واستأسره أناب عمه الحسن بن الحسين من طرف المعتصم في حكومة طبرستان وظل الحسن يحكم على هذا القسم بعدالة وحسين سيره حتى ذى الحجة من عام ( ٢٢٨ هـ ) عام وفاته ولم يتظلم منه الشعب . ثم أنيب حكم طبرستان بعد الحسن الى طاهر ابن عبد الله بن طاهر ( مدة حكمه سنة وثلاثة شهور ) ثم الى

( ١ ) أنشد أبو نصر الفراهي مؤلف كتاب نصاب الصبيان في هذا شعرا فارسيا هو :

در خراسان زال مصعب شاه طاهر وطلحة بود وعبد الله —  
باز طاهر دكر محمد دان كو بيعقوب داد تخت وكلاه ( سياى )  
ومعناه : كان طاهر في خراسان من آل مصعب طاهر وطلحة وعبد الله ملوكا  
ثم طاهر الثانى ثم محمد الذى أعطى التاج والعرش ليعقوب

أخيه محمد بن عبد الله ( حكمه قارب سبعة أعوام ) \* ولما قدم محمد إلى بغداد في صفر ( عام ٢٣٧ هـ ) ترك من جانبه قسما من طبرستان إلى أخيه سليمان وقسما آخر لأحد المسيحيين كان اسمه ( جابر بن هارون ) فاستولى جابر هذا على قدر من أراضي الرعية ظلما وزادها على أراضي مخدومه \* وعامل ( محمد بن أوس البلخي ) مساعد سليمان الرعية بنفس هذه المعاملة الجائرة وكان يحصل من أهالي ( رويان ) ( ١ ) و ( جالوس ) اللتين كان يحكمهما الخراج ثلاث مرات كل سنة ، مرة له وثانية لأحمد ابنه وثالثة لمساعديه المجوس \* فلم يجد أهالي طبرستان الذين ضجوا من مظالم هؤلاء العمال خاصة ( محمد بن أوس ) بدا من أن يمدوا يد التوسل إلى الدعاة العلويين ويستمدوا منهم وهم الذين ثاروا قبل على بنى العباس وعمالهم ثورة العدا والخلاف \* ولهذا المقصود طلبوا مبايعة أحد السادات المقيمين برويان وكان من ولد زيد بن الحسن واسمه محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن قاسم بن الحسين بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب \* ولكنه رفض طلبهم لأنه لم يأنس في نفسه الكفاءة لهذا الامر الخطير ودلهم على زوج أخته وهو الحسن ابن زيد وكان يقيم في الري ويليق لهذا الامر وأرشدتهم إلى دعوته \*

## ١ - الحسن بن زيد الداعي الكبير

( ٢٥٠ - ٢٧٠ هـ )

أنقذ الثوار برئاسة ( عبد الله بن وندا أميد ) رسالة إلى الحسن ابن زيد العلوي الذي كان يعرف ( بحالب الحجارة ) وكان من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ويقيم بالري ودعوة إلى رويان \* فأنتى الحسن بن زيد في ٢٥ رمضان من عام ( ٢٥٠ هـ ) إلى قمبته ( كلار ) من البلاد التي تقع على الحدود بين جيلان وطبرستان وبايعه

( ١ ) هي كلارستان ونوز وكجور الحالية ( سياق )

الناس ولقب نفسه ( داعى الخلق الى الحق ) أو ( الداعى الكبير ) وصار  
بذا مؤسس أسرة العلويين بطبرستان .

وبعد أن سيطر الحسن بن زيد على رويان وجالوس والرى أرسل  
في طلب جماعة من الدعاة العلويين يدعوهم للإقامة في أطراف طبرستان  
والديلم وانضم اليه الناس زرافات ووحدانا ومن بينهم عدد من كبار  
الديلم التحقوا بخدمته وارتفع أمر الحسن وأرسل محمد بن أوس أحد  
قواد جيشه لدفع الحسن ، لكن الداعى هزمه بسهولة ودخل ( آمل ) في  
٢٣ شوال من عام ( ٢٥٠ هـ ) ثم أرسل من هناك حكاما من لدنه لـ (كلار)  
و (رويان) و (جالوس) .

وكان الغريم الكبير لحسن بن زيد أميرا في مازندران من  
( آل قارن ) من أسرة ( السبهدات ) وكان اسمه ( قارن بن شهریار )  
وقد اعتنق الاسلام حوالي عام ( ٢٤٠ هـ ) وكان يحكم في الجزء الشرقي  
لمازندران الحالية من طرف الطاهريين ويؤدي لهم الخراج . أراد قارن  
في البداية أن يقبض على الحسن بالحيله ودعاه لمقابلته لكي يبيعه لكن  
الحسن وقف على خطته فلم يهتم بدعوته . فاجتمع قارن على سليمان  
ابن عبد الله الطاهري وجمع من كبار خراسان وقدموا جميعا لحرب  
الداعى في آمل . وكان النصر هذه المرة أيضا من نصيب الداعى خاصة  
وأن رجلا من أسرة السبهدات اسمه ( فادوسبان ) انحاز الى الداعى  
فقتل كثيرا من جند سليمان وقارن . وهرب قارن الى رويان وسليمان  
الى جرجان وأجبر أمير خراسان محمد بن طاهر أن يمد عمه بجيش  
آخر ، وكانت الغلبة أيضا للداعى فتقهقر الطاهريون الى خراسان  
منهزمين وأتى قارن الى الداعى ملتجئا .

والخلاصة أن الحسن بن زيد استخلص في مدة ثلاثة أعوام  
( من رمضان ٢٥٠ حتى ذى الحجة ٢٥٣ هـ ) جميع طبرستان وقسما هاما

من الديلم والرى وطرده عمال بنى العباس وأتباعهم ، وأخذ العلويون يتقاطرون عليه من الحجاز والشام والعراق بعد أن علا صيت شوكتهم وقدرته ، وأقاموا في ولاياته .

وأظهر قارن العصيان مرة أخرى وقام الحسن ليدفعه وأصر في ( ٢٥٤هـ ) أن يستولى على جرجان وخراسان أيضا ، لكن المعتز الخليفة العباسي أرسل ( موسى بن بغا الكبير ) و ( مفلح ) بين كبار قواده الاتراك بجيش الى طبرستان . فاستولوا على الرى وقزوين وسارى وآمل وانهمزم الداعي الى جالوس لقلعة عدد جيشه . ولما عاد جند الخليفة ، عاد الحسن في ٢٢ رمضان من عام ( ٢٥٥هـ ) أى بعد ثورته الاولى بخمسة أعوام الى آمل وجمع أتباعه مرة أخرى بعد أن انفرط عقدهم ثم سار بهم الى جرجان واستولى عليها وضمها الى ولاياته الأخرى .

وفي عام ( ٢٥٩هـ ) بعد أن أزال يعقوب الصفارى الطاهريين واستولى على خراسان تجاوزت ممتلكاته وولايات الحسن بن زيد العلوى . وكان معلوما أن هذين الرجلين القويين ، وكلاهما قام بثورته في تاريخ واحد تقريبا ومؤسس لأسرة على رغم الخلفاء العباسيين وولاتهم أو آل طاهر ، سوف يصطدمان ان عاجلا أو آجلا خاصة وأن كلا منهما كان يرنو ببصره الى بلاد الآخر ، فكان يعقوب يدعى خلافة الطاهريين ويريد جرجان وطبرستان ، وكان الداعي هو أيضا يتوق الى السيطرة على خراسان .

واتفق أن هرب في نفس عام ( ٢٥٩هـ ) أحد معارضى يعقوب الى جرجان طالبا حماية الحسن بن زيد فأمنه الحسن . فقدم يعقوب الى جرجان في ربيع ( ٢٦٠هـ ) وفر أمامه الداعي اذ لم يستطع مقاومته وسار الى بلاد الديلم . أما يعقوب فقد يمم شطر خراسان بعد أن أناب عنه عمالا في طبرستان ، لكن قبل عودته اليها ثار أهل جالوس على عامله ، فاضطر

يعقوب الى أن يتحول لتأديبهم • ولكن هذه المرة بفعل رطوبة الجو وأحوال الطرق وهجمات أشداء طبرستان أصيبت جيشه باصابات بالغة ، فلم يجدا بدا من العودة من ( سارى ) الى ( الدامغان ) وأمر بأن يطلق سراح جميع العلويين الذين اقتادهم معه أسرى • وتمكن الداعى بعون الذيالة أن يعود الى طبرستان ، ثم أخضع فى ( ٢٦٣هـ ) جرجان مرة ثانية • واشتدت هيئته هذه المرة فى القلوب عن ذى قبل وازدت دولته استحكاما وقوة •

وفى عام ( ٢٦٦هـ ) اجتمع ابن وخليفة الاسبهد قارن ، وكان اسمه ( رستم ) وحاكم نيسابور ( أحمد بن عبد الله الخجستانى ) الذى استولى عليها بعد موت يعقوب بن الليث على أن يطردا الداعى من جرجان وطبرستان • وتمكن الداعى بعون من أخيه الارشد ( محمد بن زيد ) من أن يهزم ( رستم ) ، ومنحه أمانه بعد أن فرض عليه الخراج • أما الخجستانى فقد انتهى الامر به بعد اغارته على بعض بلاد جرجان الى العودة الى نيسابور •

## ٢ — محمد بن زيد الداعى

( ٢٧٠ — ٢٨٧هـ )

مرض الحسن بن زيد فى عام ( ٢٦٩هـ ) ومكث مريضا عاما بعده حتى وافته منيته فى الثالث من رجب عام ( ٢٧٠هـ ) بعد أن حكم تسعة عشر عاما وثمانية شهور ، وخلفه أخوه محمد بن زيد •

كان أحمد بن عبد الله الخجستانى الذى سبق ذكره فى بداية أمره من قواد جيش على أخى يعقوب وعمر الصفاريين — كما سيأتى فى تاريخ الصفاريين — لكنه ، بعد موت يعقوب عام ( ٢٦٥هـ ) ، تمرد على أخيه عمرو وسيطر على نيسابور وأخذ يدعى ملكيتها حتى ارتفع أمره بها وضرب عملتها باسمه • وفى السنة التالية تمكن من جرجان وتغلب على

عمرو في نفس السنة وأخذ يستعد لضم هراة وسيستان لكن غلامين من غلمانه أقدموا في عام ( ٢٦٨ هـ ) على قتله لسوء سيرته وطمعه في نيسابور .  
والثف أتباع الخجستاني بعد قتله حول ( رافع ابن هرثمة ) ، وكان رافع هذا يعيش في خدمة محمد الطاهري ، ثم اتجه الى يعقوب . لكن يعقوب طرده عنه لقبح هيئته وشكله ، فالتحق بالخجستاني وظل في خدمته حتى مقتله . ادعى رافع حكم عمرو بن الليث في خراسان عام ( ٢٧١ هـ ) ، لكنه هزم أمام عمرو في نفس العام وظل يعيش متواريا حتى سمع في العام التالي أن محمدا بن زيد لحقته هزيمة من حاكم ( الري ) وكان تركيا من أتباع بني العباس ، فانتهاز هذه الفرصة وهاجم جرجان بتحريض من الاسبهد رستم بن قارن الذي كان هاربا من الداعي . ولم يثبت الداعي طويلا فركن الى الفرار أمامهم بعد فترة من المقاومة ( ٢٧٤ هـ ) والتجأ الى الديالة وظل في بلادهم حتى ( ٢٧٧ هـ ) اذ استمد الديالة وطرده بمدد رافع من طبرستان . لكنه لم يستطع أيضا مجابهته بسبب كثرة أعدائه الذين انضموا الى رافع .

واستمر حاله على هذا النحو الى أن أصابت رافعا هزائم متكررة من جند الخليفة المعتضد في الري وجيش عمرو بن الليث ، فلم يجد مندوحة من أن يلتجئ - على رنم الخليفة - بمحمد بن زيد ويخطب له . وقبل الداعي بيعته في الظاهر ولكنه لم يكن سعيدا بقدرته في الباطن ، وظل يحاذره حتى ألحق عمرو بن الليث به هزيمة فادحة ( ٢٨٣ هـ ) ، وهرب رافع الى خوارزم حيث قتلته عامل عمرو . وهكذا تخلص الداعي من هذا الخصم القوي المثير للفتنة ، ومن ثم خضعت له ثانية ما بين جيلان وجرجان .

و في عام ( ٢٨٧ هـ ) حينما هزم الأمير اسماعيل الساماني عمرو بن الليث واستأسره اسماعيل ، بدت المتاعب للداعي مرة أخرى . فقد استخلص السامانيون خراسان كلها ، وكان الداعي يعلم أن السامانيين ولاة مخلصون للخلفاء العباسيين ، ولا بد أن يفكروا ان عاجلا أو آجلا

في السيطرة — بأمر الخليفة — على جرجان وطبرستان فسبق الداعي وبادر بجمع جيشه في جرجان للحيلولة دون مقاصد الامير اسماعيل . فجرد اسماعيل جيشه بدوره بقيادة ( محمد بن هارون السرخسى ) وأرسلها لمواجهة الداعي . وأصيب الداعي من أول القتال بسهم فخر صريعا . وأرسل هارون في شوال ( ٢٨٧هـ ) رأسه وابنه الى بخارا . ودخلت جرجان وطبرستان في طاعة اسماعيل الساماني . ولكن محمدا ابن هارون بعد فترة سلك سبيل العصيان فقدم اسماعيل بنفسه في ( ٢٨٨هـ ) الى طبرستان وطرده منها .

### ٣ — الحسن بن علي الناصر الكبير

( ٣٠١ — ٣٠٤هـ )

بعد قتل محمد بن زيد واستيلاء الامير اسماعيل الساماني على طبرستان ، ظلت هذه الولاية تحت الادارة المباشرة للعمال السامانيين ، ولجأ السادات العلويون الى الديالة والى جيلان ومكثت طبرستان من عام ( ٢٨٧هـ ) الى ( ٣٠١هـ ) — ثلاثة عشر عاما تقريبا — تحت طاعة السامانيين اذ كانوا يرسلون لادارتها من بخارا حاكما خاصا .

وفي رحيل الامير اسماعيل عن طبرستان أناب عمه ( أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح ) وقصد الري ليجلى محمدا بن هارون عنها — وكان قد استولى عليها — بدعوة من الخليفة . وهرب محمد بن هارون أمام اسماعيل والتجأ الى الديالة ( ٢٨٨هـ ) ، لكنه بعد فترة قصد الري باستدعاء أهلها هذه المرة ثم استخلصها من أيدي عمال الخليفة العباسي بعد أن قتل واليها التركي . فأرسل الخليفة الى اسماعيل أن الري أيضا جزء من حوزة حكمه فعليه أن يستصفيها من ابن هارون . فعجل اليها اسماعيل ، ولكن قبل وصوله اليها تركها محمد بن هارون الى قزوين ومنها الى زنجان وجيلان فاستولى اسماعيل عليها بلا منازع وترك عما

آخر له هو ( أبو صالح منصور بن اسحاق ) • وابن منصور هذا ، الذي حكم الرى من ( ٨٢٩٠ ) حتى ( ٨٢٩٦ ) هو من ألف باسمه الحكيم والطبيب المعروف ( أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ) كتابه المعروف ( المنصورى ) •

توجه محمد بن هارون — بعد لجوئه الى جيلان — الى الدعاة العلويين فيها للانتقام من الامير السامانى • وكان كبير علويى جيلان في هذه الآونة رجلا فصيحا دينيا من أبناء الامام زين العابدين اسمه الحصن بن على ولقبه الناصر الكبير ، ولقب أيضا بالاطروش لثقل سمعه ، وقد مكث سنين يدعو الناس في جيلان وبلاد الديلم للإسلام فاعتنقه أكثر أهلها • وكان يفكر في الانتقام لدم محمد بن زيد بل أقدم مهاجمة ( آمل ) عام ( ٨٢٨٩ ) لكنه لقي هزيمة من الجيش السامانى فالتجأ الى الديلمة • فلما قدم اليه محمد بن هارون بسط له يد المبايعة وحثه على استرداد طبرستان وطرد العمال السامانيين من هذه النواحي • وهاجم الناصر الكبير ومحمد بن هارون وبضعة رجال من كبار جيلان — بايعوا الناصر — طبرستان • وفي شتاء ( ٨٢٩٠ ) على كتب من ( آمل ) ويعد قتال ضروس دام أربعين ليلة أنزل جندهم بأبى العباس السامانى حاكم طبرستان وخلفائه وهم ( اسبهد شهریار ) ابن ( فادوسبان ) و ( اسبهد شروين ) ابن رستم بن قارن هزيمة قتل فيها ما يقرب من سبعة آلاف جندي سامانى ، ونجا أبو العباس بهروبه الى الرى • والسبب الاساسى لهزيمة أبى العباس هو أنه لما طلب المدد من الامير اسماعيل أرسل اسماعيل اليه ابنه أحمد ، لكن أحمد هذا بسبب خصومته لأبى العباس عطل نفسه في الطريق ولم يصل الا بعد أن انهزم أبو العباس • وأرسل أبو العباس أحد قواده الى الرى فاحتال هذا حتى قبض على محمد بن هارون وأرسله الى بخارا وزالت فتنته ، وعاد الناصر الكبير الى الديلمة ودخلت طبرستان مرة أخرى تحت حكم أبى العباس السامانى •



ولما مات الأمير اسماعيل وخلفه ابنه أحمد أخذ حكم طبرستان من  
أبي العباس بسبب الخصومة التي كانت بينهما وأتاب فيه أحد غلمانه  
الاتراك ، لكن هذا الغلام سلك مسلك الظلم وسوء السيرة فلم يدم حكمه  
لثورة الناس عليه . وأجبر أحمد على أن يسير أبا العباس الى طبرستان  
عام ٢٩٧ هـ ) وظل أبو العباس يحكمها حتى يوم موته ( في صفر ٢٩٨ هـ )  
وبعد موت أبي العباس أتاب الأمير أحمد والى الرى ( محمد ابن  
صعلوك ) في حكم طبرستان وأرسل وزيره المشهور ( أبا الفضل محمدا  
ابن عبيد الله البلعمى ) ممدوح الرودكى (١) من بخارا الى طبرستان  
حتى يمكن محمدا بن صعلوك من الاستقرار في منصبه .

ولما عاد البلعمى الى نجارا قدم الناصر الكبير — الذى كان ينتظر  
الفرصة المناسبة للثورة — من جيلان الى كلارستاق وأنفذ ابنه ( أبا  
الحسن أحمد ) للاستيلاء على ( رويان ) . فخف محمد بن صعلوك  
لنعمهما لكنه أصيب بالهزيمة في ( جالوس ) في جمادى الثانية ( ٣٠١ هـ )  
واستصفى الناصر جميع طبرستان له .

وبعد أن وصل خبر غلبة الناصر الكبير الى بخارا أرسل الأمير أحمد  
وزيره ( محمدا بن عبد الله بن عزيز ) بجيش الى طبرستان لكنه هزم .

---

( ١ ) لال البلعمى خاصة أبى الفضل الوزير وابنه أبى على فضل كبير  
على اللغة الفارسية والنقل اليها والتأليف بها فقد حبا أبو الفضل الرودكى  
وهو من أوائل من نظم الشعر بالفارسية ونقل ابنه أبو على محمد تاريخ  
الطبرى الى الفارسية وولى الاول وزارة أسماعيل السامانى وولى ابنه  
وزارة منصور بن نوح السامانى . لكنه يجب أن يقر الفرس بشهامج  
السامانيين وتشجيعهم رغم مشايعتهم للخلافة العباسية للغة الفارسية واثارة  
الوطنية في نفوس القوم . أما الرودكى ( المتوفى عام ٣٢٩ هـ ) فهو أبو  
عبد الله جعفر بن محمد أكبر شعراء القرن الرابع الهجرى وممدوح آل  
سامان . ومكانته في الشعر ينسب عنها تلقيبه بأستاذ الشعراء وقبس من  
جاءوا بعده معانى من شعره ومدهم له . بلغ شعره مائة الف بيت كما يظن  
لم يبق منهم الا قليل وهو أول من نظم كليلة ودمنة كتاب حكمة الهند شعرا  
لم يؤثر عنه غير أبيات متفرقة .

هو الآخر ، وقتل الأمير أحمد نفسه في نجارا قبل أن يتحرك للمعصف بطبرستان +

وبعد مدة حرض الخليفة المقتدر نصرا بن أحمد الساماني للاستيلاء على طبرستان فأمر نصرا قواده للاتجاه إليها ، لكنه لم يفعل شيئا أمام شجاعة ابن الناصر ( أبي القاسم جعفر ) ، فتصالح السامانيون مع الناصر الكبير وبقيت طبرستان تحت ادارة الداعي تماما + واستقر الناصر مع ابنه أبي الحسن أحمد و أبي القاسم جعفر في طبرستان وترك جيلان لأحد السادات الحسينيين واسمه ( الحسن بن قاسم ) .

وأعلن الحسن بن قاسم العصيان للناصر الذي كان يحبه ويؤثره على أولاده والتف حوله بعض الناس فوفق الى القبض على الناصر وارساله الى قلعة ( لاريجان ) . لكن هذا الحال لم يدم لأن أهل ( آمل ) وجماعة من كبار الديلم أشهرهم ( ليلي بن النعمان ) (١) قبضوا على الحسن وأنزلوا الناصر من القلعة المذكورة وأعادوه معززا مكرما الى مقامه + وعفا الناصر عن الحسن بن قاسم وزوجه بحفيדתه بنت أبي الحسين وولاه جرجان +

#### ٤ — الحسن بن قاسم الداعي الصغير

( ٣٠٤ — ٣١٦ هـ )

اعتزل الناصر الكبير في أواخر عمره وتفرغ للتدريس والعبادة ونصب الحسن بن قاسم زوج حفيדתه في خلافته ثم وافته منيته بعد في شعبان ( ٣٠٤ هـ ) + ويشتهر الحسن بن قاسم بلقب الداعي الصغير ، وهو مثل الحسن بن زيد وأخيه محمد من السادات الحسينيين خلافا

---

( ١ ) اختلف الدارسون حول اسم هذا القائد المعروف بالديلمى . ويبدو أن اسم ( ليلي ) تحريف لأحد الاسماء الجيلية وقد أتى بصورته هذا بسبب جهل الناسخين أما صورته الاصلية فغير معلومة ( سياتى ) .

للناصر الكبير الذي كان من السادات الحسينيين .

ولم تمض فترة طويلة حتى ثار أبو القاسم جعفر ابن الناصر الكبير على الداعي الصغير — خلافا لأخيه ، وتحالف مع محمد بن سعلوك بالرى ضده . وفي ( ٣٠٦ هـ ) هاجم آمل لكن أهلها طردوه عنها لظلمه ولحسن سيرة الداعي الصغير فيها وكفائه وسياسته الطيبة . ودخل الداعي آمل ( ٣٠٧ هـ ) وأرسل قائده ( ليلى بن نعمان ) في السنة التالية الى خراسان ، فاستولى ليلى على نيسابور وهاجم طوس لكنه هزم من السامانيين بها ( ٣٠٩ هـ ) وقتله قائد جيش نصر الساماني .

كان نصر بن أحمد الساماني في قلق دائم لسيطرة الداعي وأصحابه على جرجان وخراسان فجرد جيشا قوامه ثلاثون ألفا يترأسهم أحد قائديه الترك هو ( قرائكين ) في ( ٣١٠ هـ ) وأنفذه الى جرجان . وقد تحالف في هذه الحرب أبو القاسم جعفر مع أعداء الداعي مرة أخرى ثم ما لبث أن انضم اليه أبو الحسين أحمد أبو زوج الداعي . ومع أن الداعي هزم أبا الحسين ضمه اليه ، لكنه لم يستطع مقاومة جيش قرائكين وأبى القاسم جعفر فالتجأ الى الاسهبه محمد بن شهريار بن فادوسبان . لكن الاسهبه قبض عليه بنذالة وأرسل به الى والى الخليفة العباسي بالرى . وبعد فترة من الزمن تمكن الداعي بعون أحد الامراء الجيليين من الهرب من السجن وأتى جيلان وبعد لم شعت جنده المتفرقين ضبط آمل وسارى وهزم ابني الناصر الكبير في جرجان ، ثم تصالح مع أبى الحسين أحمد أبى زوجته .

وسير نصر بن أحمد الساماني لدفع الداعي هذه المرة ( سيمجور ) قائدم المعروف الى جرجان التي كانت محل النزاع الدائم بين السامانيين والسادات العلويين . وكان الامير سيمجور لا يميل الى مقاتلة الشيعة العلويين بسبب ميله الى الشيعة الاسماعيليين ، لهذا دعى الداعي الى الصلح وطلب منه أن يترك له جرجان . لكن الداعي لم يقبل فاشتعلت

الحرب بينهما في ( ٨٣١٠ هـ ) • وهزم الداعي وأبو الحسين نسيبه الجيش الساماني • لكن المنهزمين انقلبوا بغتة وهاجموا جيش الداعي والحقوا به هزيمة فخر من اثرها الداعي الى آمل وأبو الحسين الى جرجان • وقد رافق الداعي في فراره هذا قائدان من قواده كانا من رؤساء الديلم أولهما ( ملاكان بن كاكي ) والثاني ( علي بن بويه ) • وعلى هذا هو من تلقب بعد بعماد الدولة وأسس مع أخين آخرين له أسرة دياملة آل بويه كما سيلي •

وسرعان ما جهز الداعي وأبو الحسين وملاكان وعلي بن بويه جيشا أخرجوا سيمجور به من جرجان في آخر ذي الحجة ( ٨٣١٠ هـ ) وعادت هذه البلدة مرة أخرى الى سيطرته وأتاب الداعي أبا الحسين في حكم جرجان •

وفي السنة التالية تكامر أبو الحسين مع أخيه أبي القاسم وملاكان بن كاكي ورئيس آخر من رؤساء الديلم ومن أصحاب ملاكان اسمه ( أسفار ابن شيرويه ) على أن يستأسروا الداعي ففر الداعي خفية وأطبق المتحالفون على طبرستان • ولم تمر فترة طويلة حتى مات أبو الحسين في رجب ( ٨٣١١ هـ ) واستقل أبو القاسم بطبرستان لكن حكمه لم يدم أيضا إذ رحل بعد أخيه بعام عن الدار الدنيا •

وبعد موت أبي القاسم بايع ابنه ملاكان وابن عم له اسمه ( حسن ابن فيروزان ) أحد رؤساء الديلم ، لكن سرعان ما اشتعل النزاع بين ابنه هذا وملاكان وانهزم ملاكان وتواري • ولكن فكرة استيلائه على جرجان وطبرستان لم تبرح مخيلته فكتب رسائل عدة الى الداعي الصغير المختص بأحد الجبال ليخرج ويستوليا على طبرستان من ( السيد أبي جعفر ) ابن آخر لأبي الحسين خلف أخاه • فلم يقبل الداعي هذه الدعوة • فقدم ملاكان لحرب سيد أبي جعفر منفردا ، لكنه لقي منه ومن أسفار ابن شيرويه الذي تحول عنه وانضم الى أبي جعفر

الهزيمة • وبعد مدة جمع مرة أخرى جيشا وانضم اليه هذه المرة الداعي الصغير وهرب أمامهما سيد أبو جعفر وأسفار •

وفي ( ٥٣١٤ هـ ) قدم نصر بن أحمد الساماني بنفسه الى طبرستان ليزيل شر الداعي الصغير كلبية ، لكن عمال الداعي قطعوا عليه الطرق وخربوا كل جادة وجسر فانحصر الامير نصر ولم يستطع الخلاص الا بعد أداء ثلاثين ألف دينار الى الداعي • وسلك بهذا طريقه الى الري •

وفي ( ٥٣١٥ هـ ) هزم ماكان أسفارا مرة أخرى ، فاستوحش منه الداعي الصغير ولجأ الى جيلان فأعاد ماكان الداعي باصرار تام ، ثم حمل الاثنان على الري واستوليا عليها من محمد بن صلوك •

وفي أثناء غيبة الداعي وماكان قدم أسفار من خراسان الى جرجان مع جيش ساماني واستولى على جرجان باسم الامير نصر الساماني ( ٥٣١٥ هـ ) • وبعد ذلك استدعى قائدا من الديلم سمى ( مرد آويج بن زيار ) وجعله قائد جيشه وتمكن القائدان من استخلاص طبرستان • وعجل الداعي مخالفا لرأى ماكان الى آمل من الري لكي يهزم أسفارا ، لكنه هزم وقتله أتباع أسفار بالقرب من ساري ( ٥٣١٦ هـ ) •

وبعد قتل الداعي زحف أسفار بجيشه الى الري وفي ( ٥٣١٧ هـ ) أو ( ٥٣١٦ هـ ) استصفاها من ماكان وفر هذا الى الديلم • وبدأ من هذا الوقت صراع بين أسفار ومرداويج وأخيه ( وشمكير ) وماكان وحسن فيروزان — كما سيلى في تاريخ الديالة — حتى قتل أسفار بيد مرداويج ( ٥٣١٦ هـ ) وماكان بيد ( أبى على الجفاني ) في ( ٥٣٢٩ هـ ) وخلا الميدان لوشمكير وأولاد بويه الصياد وسلمت لهم جيلان وطبرستان •

ومن تاريخ ( ٥٣١٦ هـ ) سنة قتل الداعي الصغير حتى عهد تسلط الديالة الكامل على طبرستان كان عدد من العلويين بطبرستان وجيلان مجرد آلات بيد الأعداء السابقين لكن لم يك لأحدهم السيادة الفعلية ،

ولهذا السبب تعتبر سنة ( ٣١٦ هـ ) — التي قتل فيها الداعي الصغير —  
نهاية امارة الدعاة العلويين بطبرستان \*

### أسماء السادات العلويين بطبرستان وزمن امارة كل منهم

- ١ — الحسن بن زيد الداعي الصغير ( ٢٥٠ — ٢٧٠ هـ )
- ٢ — محمد بن زيد أخوه ، الداعي ( ٢٧٠ — ٢٨٧ هـ )  
( الحكام السامانيون ) ( ٢٨٧ — ٣٠١ هـ )
- ٣ — الحسن بن علي الحسيني ، الناصر الكبير أو الاطروش ( ٣٠١ — ٣٠٤ هـ )
- ٤ — الحسن بن قاسم الحسنی ، الداعي الصغير ( ٣٠٤ — ٣١٦ هـ )

### مدعو الداعي الصغير ومخالفوه

- |                  |                                 |
|------------------|---------------------------------|
| ( ٣٠٤ — ٣١١ هـ ) | أبو الحسين أحمد بن ناصر الكبير  |
| ( ٣٠٤ — ٣١٢ هـ ) | أبو القاسم جعفر بن ناصر الكبير  |
| ( ٣١٢ — ٣١٥ هـ ) | أبو علي محمد بن أبي الحسين أحمد |
| ( ٣١٥ هـ )       | أبو جعفر حسن بن أبي الحسن أحمد  |

## الفصل لثانى

### ديالة آل زيار

(٣١٦ — ٤٣٣ هـ)

#### أرض الديلم : —

كانت ناحية الديلم تشمل — عند القدماء — جزءا من جيلان الحالية التى كانت تحد بولاية قزوین جنوبا ومنطقة ( جالوس ) ( تنكابن الحالية ) شرقا . ومع أن جميع جيلان والولايات الساحلية لبحر الخزر كانت تصير جزءا من بلاد الديلم حينما كان الديالة يمدون سيطرتهم اليها ، لكن اسم ( الديلم ) فى الحقيقة هو اسم الجزء الجبلی من جيلان الحالية وحسب وكان يطلق عليه ( ديلمان ) و ( ديلمستان ) أيضا . وكان يقابل الجزء المنخفض والسهلى الذى كان يسمى باسم ( جيلان ) اذن فالـ ( ديلمان ) أو الديالة والـ ( ديلمستان ) أو أرض الديلم تعنى مساكن جماعة الديلم ، و ( جيلان ) تعنى مساكن جماعة الجيل . وأخذ هذا التحدید يزول تدريجا وصار اسم ( جيلان ) يطلق على الجزء المحصور بين طبرستان وطالش وطارم وقزوین .

وبسبب الطبيعة الجبلية لمساكن الديلم وصعوبة السيطرة عليها فقد عاش الديلم مستقلين دائما وكان لهم آداب وحياة خاصة بهم قل أن وقعت تحت تأثير من الخارج . ولما كان الديلم رجال حرب وأصحاب شجاعة فقد كانوا يمدون سيطرتهم الى المناطق التى على حدودهم مثل قزوین وطارم وجالوس ، ولجأ سكان هذه المناطق الى بناء الاستحكامات والقلاع لمنع اعتداءاتهم خاصة فى قزوین وجالوس .

ولم تنفتح مساكن الديالة أمام المسلمين مع شدة حروبهم لهم ولم تستسلم لهم هذه الجماعة فبقوا على مذهبهم القديم وآدابهم المتوارثة . ولم يتمكن من المسلمين أحد من النفوذ في بلادهم غير السادات العلويين الذين التجأوا الى الديلم وجبال طبرستان في خلافة المتوكل والمستعين بسبب ايذائهما لجميع العلويين . وكما رأينا في الفصل المتعلق بالدعاة العلويين في طبرستان ، فقد وفق السادات بعد مدة من اقامتهم في هذه المنطقة في جمع أتباع وأشياع كثيرين وانتشر الاسلام بذلك في بلاد الديلم .

وقبل اعتناق الديالة للإسلام كان لبلادهم عند المسلمين حكم دار الحرب أى أنها بلاد الكفار الذين يثاب على جهادهم وغزوهم ، فكان حكام الري وقزوين وطبرستان يهاجمون الديلم أحيانا ويستأسرون منهم ويبيعونهم أو يهدون منهم للخلفاء . ولهذا فقد عرف الديلم بسين المسلمين فترة من الزمن على أنهم غلمان أسرى وموال مثلهم كالزنوج والهنود وغيرهم .

ومن بين الاسر القديمة للديلم أسرة ( آل جستاق ) التي حكمت على حدود نهر ( منجيك ) وقصبة الديلم الحاليين . قبلوا تبعية الحسن ابن زيد الداعي الكبير بمجرد أن أعلن ثورته ، ولم ييخلوا عليه طوال مدة اماره الدعاة على طبرستان بصادق عونهم ولذلك كان اذا طردوا من جرجان وطبرستان لا يلجأون الا الى أراضى آل جستاق .

وفي الفترة التي تحكم فيها آل سامان في طبرستان — وقد استمرت ثلاثة عشر عاما ( من ٢٨٧ حتى ٣٠١ هـ ) كان الناصر الكبير يعيش منزويا بين الديالة ، فصرف كل همه الى أن يدعو بقية الديلم للإسلام وينشر الآداب والأحكام الاسلامية فيهم . ولما كان الناصر مثال الايمان التام والعلم الزهد الكاملين فقد اعتنق أكثرية الديلم الاسلام عن طواعية . وكان من أثر هذا أن استطاع الناصر في ( ٣٠١ هـ ) أن يفرج



طبرستان مرة أخرى عن قبضة العمال السامانيين .

وخلاف آل جستان دخل أكثر رؤساء الجيل والديلم ، الذين لم يتحملوا أن يظلوا خاملين الذكر وكانوا يطلبون الشهرة وذيوع الصيت ، في خدمة الدعاة ، وأهم هذه الجماعة هم من سبق ذكرهم ضمن تاريخ العلويين خاصة الناصر الكبير وأبنائه مثل ( ليلي بن النعمان ) و ( حسن ابن فيروزان ) وابن عمه ( ماكان بن كاكي ) و ( أسفار بن شسيويه ) و ( مرداويج بن زيار ) و ( علي بن بويه ماهيكير ) .

#### ١ - مرداويج بن زيار

( ٣١٦ - ٣٢٣ هـ )

##### ثورة مرداويج في ٣١٦ هـ :-

كان مرداويج أو مرداويز (١) كما مر في الفصل الاول في بداية أمره من أتباع أسفار بن شسيويه وأسفار بدأ أمره بحياته في خدمة علوي طبرستان ، كما مر الشرح ، ثم تحول عنهم في النهاية ولحق بالأمير نصر الساماني وعماله في خراسان ، وقتل بعون منهم الداعي الصغير في ( ٣١٦ هـ ) وجعل ماكان بن كاكي يتواري . ونتيجة لهذا استولى على جرجان (١) وطبرستان وقزوین والري وقم وكاشان ولرستان . وبعد أن حاز أسفار هذه القوة ثار على الخليفة والأمير نصر . وكان الأمير نصر عازما على ضربه لكن الأمر انتهى بالصلح وقبول أسفار أن يدفع خراجا سنويا وأن يحكم المناطق التي استولى عليها . لكن الرجل ، ولم يكن قد أسلم واستمر على دين آبائه ، لم يحسن معاملة رعيته المسلمين المتعصبين خاصة أهالي قزوین حتى أنه أمر ذات مرة بأن يلقي بمؤذن

( ١ ) أي المتعلق بالرجولة الحرة بها ( سياقي ) .

( ٢ ) في هذا الفصل والفصول بعده إذ تحدثنا عن جرجان قائما نغني جرجان القديمة أي كنبد قابوس الحالية ، وليست جرجان الجنددة أو استراباد الحالية ( سياقي ) .

كان يؤذن للصلاة من فوق المنارة وبخواب المساجد وأخذ يحصل من العامة المال متعديا كل حدود النصفة والعدل . وسبق القوقل ان أسفار استدعى لخدمته حينما كان يتأهب لغزو طبرستان أحد كبار قواد الديلم المعروف بـ ( مردآويج بن زيار ) . واستولى الاثنان بعد أن أمره على جيشه على طبرستان من الداعي الصغير وماكان بن كاكي ( ٣١٦ هـ ) .

وبعد فتح طبرستان أنفذ أسفار مردآويج الى طارم حيث كان ( سار ) أحد أمراء أسرة ( آل مسافر ) يحكم فيها مستقلا ليدعوه الىبيعة أسفار . وكان مردآويج شديد البرم بمظالم أسفار فتعاهد سرا مع سار المسافري ، وحينما كان أسفار ينتظر عودته من قزوین أرسل مردآويج الى جماعة من قواد جيشه كانوا ينقمون على أسفار أيضا وأطلعهم على اتحاده مع سار وعزمهما الثورة على أسفار . فهاج الجند على أسفار ، فلما رأى أسفار هذا ووصله قصد مردآويج وسار فر هاربا من قزوین الى الري ثم قصد قهستان وطبس . ولما عرف أن ماكان بن كاكي بخراسان وقد دعاه مردآويج الى قصده ، يمم فارا نحو ( الموت ) ( ٣ ) . فسد مردآويج عليه الطرق حتى تمكن من القبض عليه في الطالقان ثم قتله في ( ٣١٦ هـ ) . واستقر مردآويج في الري وقدم اليه ماكان من خراسان فأمره على جيلان وطبرستان .

ولم تمر فترة طويلة حتى تكدر الصفوين الاثنین وأسرع مردآويج لدفع ماكان بطبرستان ثم أجلاه عنها وعاد بعد السيطرة على جرجان الى أصفهان غانما منتصرا ألما ماكان فقد هاجم بمعون الامير نصر الساماني جرجان والدامغان لكنه غلب ورجع الى خراسان منهزما .

وبعد قتل أسفار وطرده ماكان تملك مردآويج طبرستان وجرجان والدامغان والجزء الأعظم للعراق العجمي وتجاورت مناطق حكمه في

---

( ٣ ) الموت بلغة الديلم ( تعليم العقاب ) اذ ان احداهم استحسن الاسم ، وقد علا شأنها لما استولى عليها الحسن بن الصباح كبير الحشاشين الباطنية عام ( ٤٨٣ هـ ) كما سيلي .

( ٣١٩ هـ ) مع ولايات السامانيين من ناحية والبلاد التي يحكمها الخليفة العباسي حكما مباشرا من ناحية أخرى . وأخذ يتقاطر عليه رؤساء الديلم طمعا في المال الذي كان يهبه لجنده وحاشيته ، وطفق اعتباره وشوكة يزيدان يوما بعد يوم .

وفي نفس عام ( ٣١٩ هـ ) وجه مردآويج ابن أخته بجيش للسيطرة على همدان ، لكنه لم يحقق شيئا لتأزر شعب همدان مع نائب الخليفة ، بل لقتل في معركته معه . مما جعل مردآويج يتحرك بنفسه من الرى الى همدان ، وبعد أن أتم سيطرته عليها أوقع بها مذبحة استمرت يومين . فبعث المقتدر الخليفة العباسي ابن خاله ( هارون بن غريب ) بجند كثيف لدفعه . ودارت بينهما معركة شديدة انتهت بهزيمة هارون ، وبذلك امتدت سيطرة مردآويج حتى حدود العراق العربي . وبعد فترة قصيرة قصد فتح أصفهان ، فأنفذ الخليفة حاكما جديدا للدفاع عنها هو ( مظفر بن ياقوت ) لكن مظفرا فشل في الحفاظ عنها واستخلصها جند مردآويج بسهولة ثم دخلها مردآويج بعد قليل . وقد أطعمه انتصاره في أصفهان في أن يجعل بارسال جزء من جيشه للتمكن من الأهواز وصار على حدود العراق العربي تماما . لكنه سير مبعوثا من لدننه الى المقتدر يتعهد ألا يتعدى على بلاد الخلافة ويدفع سنويا مائتي ألف دينار اليه من خراج همدان والدينور .

وفي عام ( ٣٢٠ هـ ) بعث مردآويج قاصدا منه الى أخيه ( وشمكير ) في جيلان وكان يعمل بالزراعة يستدعيه اليه . فلم يطعه وشمكير في البداية بل لعن أخاه لأنه دأب الخليفة العباسي وطوع نفسه اليه . وفي النهاية رضى لإصرار الرسول بأن يلحق بأخيه . وفي العام التالي وصل مسامع مردآويج أن السامانيين عادوا وسيطروا على جرجان وأن الأمير نصر بن أحمد ووزيره محمد بن عبيد الله البلعمي وجيشا كثيفا يفتظرون في نيشابور . فترك الرى قاصدا جرجان لكنه أدرك أنه لن يستطيع استردادها فاضطر الى أن يستمع الى نصيح البلعمي فتصالح

مع الأمير نصر وترك جرجان الى السامانيين وقفل عائدا الى الري .

### مردآويج وعلى بن بويه :-

في هذه الآونة كان ماكان الذي نال هزائم متلاحقة من مردآويج وعماله يعيش في خراسان في حماية السامانيين على أمل الاستيلاء على جرجان وطبرستان . وبعد صلح مردآويج مع الأمير نصر خابت آماله وحار في أمره وتركه أتباعه وذهب كل منهم الى ناحية . وكان من بينهم أبناء ( بويه الصياد ) الذين عاشوا فترة في خدمته ، فقالوا له ( مادمننا وما دام أتباعنا محل اعتمادك في هذه الأيام السوداء فان الأصلح أن تأذن لنا حتى نأتى لخدمتك اذا تحسنت الأمور ) فرضى ماكان بهذا الامر ، وسلك أولاد بويه وأتباعهم طريقهم رأسا الى مردآويج . فاحتفل الأمير الزيارى بمقدمهم وأمر كلا منهم على جزء من العراق العجمي . ومن بينهم على الذي لقب بعد بعماد الدولة والذي عينه في الكرج . ولكن مرد ويح بعد قليل ندم لأنه قسم الولايات الهامة بين أولاد بويه والقواد الديالة الآخرين وأراد أن يحول بينهم وبين ما يشتهون . فأرسل رسالة الى أخيه وشمكير ووزيره الحسين بن محمد القمي أبي ( ابن العميد ) المعروف الذي كان مع وشمكير أيضا بالري ( ١ ) ليمنعاهم من التحرك ، واذا رفض أحدهم يرسله اليه . وكان على بن بويه قد شمل العميد الوزير بأفضاله ( ٢ ) مما جعله

---

( ١ ) هو أبو الفضل محمد بن الحسين القمي من وزراء وأدباء البويهيين المعروفين ، وكان والده كاتب ماكان بن كاكى ، ثم صار صاحب ديوان رسائل نوح بن نصر الساماني . وبلغ ابن العميد وزارة ركن الدولة الفيلسفي وظل في وزارتهم حتى وفاته . كان أستاذا في النجوم والفلسفة والبلاغة ويجمع في تأليفه بين المعاني الدقيقة والصناعة اللفظية ومن آثاره ديوان الرسائل ومذهب في البلاغات ، توفي عام ( ٣٦٠ هـ ) .

( ٢ ) قيل في ذلك أن عليا بعد أن وصل الري لم يكن يملك غير سرير عرضه للبيع فاشترأه العميد بمائتي دينار وأرسلها اليه . فأخذ على عشرة دنانير ورد الباقي الى الوزير واكتسب بهذا قلب الوزير وكان يزعم في خبيثة نفسه أن يحقق أحلام سيطرته ( سياتى ) .

يعرض عليه رسالة مردآويج قبل أن يسلمها لوشمكير ، ثم أشار عليه بمحمد الكرج تحت جناح الظلام • وحينما حل الصباح أطلع الوزير وشمكير على رسالة أخيه فمنع الآخرين من قصد ولاياتهم ، وهم بإرسال من يرد عليا ابن بويه عن مقصده ، فتدخل الوزير أيضا بحجة أنه لن يعود مفتارا وربما يؤدي به هذا الأمر الى عصيان مردآويج ، وصرفه عن ارادته • ووصل على الى الكرج وأنشأ يحسن معاملة الرعية وعمال مردآويج ويبيعث الى مردآويج برسائل الرضا والشكر ثم أخذ في فتح القلاع على أطراف الكرج • وسرعان ما أصبح صاحب شوكة في هذه النواحي وملك قلوب الرعية واحترامها الى حد أن جماعة من رؤساء جيش مردآويج قصدوه ساخطين على مردآويج لانه منعهم أعطياتهم فاختلفوا على مخالفا رغبة مردآويج بمقدمهم ، وكان هذه الواقعة بداية الخلاف بين ابن زيار وابن بويه وتصميم مردآويج على ازالته •

وتحرك على عن طريق الكرج الى أصفهان ومعه ما يقرب من تسعمائة جندي وكان قصده في الظاهر أن يظهر نفسه مطيعا للخليفة بمعاونة مظفر بن ياقوت حاكم أصفهان من قبله ويظل بمنجى من تعرض مردآويج • فرفض مظفر طلب على وقام ليرده ، ولكن عليا غلب بغثته القليلة جند المظفر الذين أربوا على العشرة آلاف • وساعده على ظفره انضمام جميع الجيل والديلم في جيش المظفر اليه قبل المعركة ، وهكذا تمكن على من أصفهان ( ٥٣٣١ هـ ) •

وقد أطلق فتح على لأصفهان الخليفة ومردآويج وخاصة الأخير الذي أخذ يتوعد عليا ويوعده محاولا استدعائه اليه مرة ، ومرة سير أخاه وشمكير بجيش عظيم الى أصفهان أملا في القضاء عليه • أما على فقد تمكن من السيطرة على أرجان ( بهبهان الحالية ) ورامهرمز بخراج أصفهان ثم دخل خوزستان منتصرا • واستغل وشمكير انهماكه في هذه

البلاد فاستعاد أصفهان لكنه لم يهنأ بها إذ أن الخليفة القادر أرسل اليه أن يتركها لمواليه فتركها بعد أن تلاكأ في خروجه منها .

وهاجم على عن طريق خوزستان فارس وضبط شيراز أيضا ( ٣٢٢ هـ ) فقدم مردآويج معجلا الى أصفهان من الرى وأعاد أخاه اليها ليحفظها وتقدم بنفسه لقتال على بن بويه . كان على ومردآويج يفتحان البلاد في هذه الآونة باسم الخليفة العباسى فى الظاهر ، ولكن فى باطن الأمر كان كلاهما يهدف الى تكوين دولة خاصة به والاستيلاء على خراج المدن وتحميل الخليفة بأمره ، لانه لم يعد للخليفة قدرة عسكرية أو سياسية يؤبه بها وكان لا فوت له من أن يحكمه أمير أو قائد غالب .

وهاجم مردآويج الأهواز ليقطع الطريق على الذى كان يريد الخليفة وبغداد وليجعل دار الخلافة تحت تهديده الدائم . ولكن الخليفة الذى لم يكن راضيا على أى من هذين الندين أنفذ قائده ياقوت ليدفع مردآويج . ومع أن مردآويج كان تمكن من رامهرمز والأهواز فى شوال ( ٣٢٢ هـ ) لكنه ظل عاجزا أمام جند الخليفة ولم يستطع التقدم الى العراق . وفى هذه الأثناء أرسل على من فارس يتوسط له عند مردآويج ويقترح الصلح والعون . فسر مردآويج بهذا الصلح على شريطة أن يعترف به أميراً وحاكماً عليه ويقرأ الخطبة باسمه . فقبل على وأرسل أخاه الحسن الذى لقب بعد بركن الدولة كرهينة اليه محملا بالهدايا النفيسة .

### قتل مردآويج فى ٣٢٣ هـ : —

لم يكن مردآويج مثله مثل أخيه وشمكير وسيده الأول أسفار بن شيرويه ، فى الأصل مسلما ، أو قبل الاسلام فى الظاهر لكنه كان متعلقا فى الباطن بالآداب الايرانية القديمة ومراسيم المذهب الزردشتى . لهذا كان شديد الكره للخليفة العباسى وولائه العرب . وكان يهدف

الى احياء دولة الساسانيين الخالية وتخريب بغداد وتعمير المدائن  
وعماثر الملوك الايرانيين وادالة الأسرة العباسية . ولهذا فقد توج  
نفسه بتاج مرصع كما كان يفعل أنوشيروان وكان يجلس على عرش  
ذهبي وينفق كثيرا في اقامة الأعياد القومية الايرانية . وفي شتاء عام  
( ٣٢٣ هـ ) حينما كان في أصفهان أمر في ليلة عيد النور (١) أن يجمع  
وقود كثير وأسباب الاضاءة وأشعال النيران على شاطئ نهر ( زاینده )  
وأن يقام احتفال واحتفاء عظيمان يطبق بهذا العيد القديم ويجدر بمثل  
ملكه . وقبل اقامة مراسم هذا الاحتفال بيوم انشغل مردآويج بتقصي  
الاعداد له ، فوجد أنه لم يعد له الاعداد الكافي فأخذته العزة بالاثم  
وأراد البطش بمن عهد اليه به . فخشى رؤساء الجيش على أنفسهم  
وخافوا سفكه دمهم واعتزموا الثورة عليه قبل أن يوقع بهم انتقامه  
ويتخلصون منه . لكن الحسين بن محمد أخمد هذه الفتنة . وبعد هذا  
بأيام أربعة حرض مردآويج جنده الديلم على ضرب غلمانهم من الترك  
وتأديبهم لسخطه عليهم وهددهم بالقتل ، لانه لم يصف يوما للاتراك  
وكان يسميهم بالشياطين ويبدى كرهه لهم .

فتآمر الغلمان الترك على قتله لكي ينجوا منه ، وانتهزوا ذهابه  
للحمام يوما وأمر رئيس حراسه لغضبه منه أن يدع حراسته له

---

( ١ ) يسميه الفرس ( جشن سده ) يحتفلون ليلته بأشغال النيران  
باللوز والجوز ويشربون الخمر حولها ويطربون ويلهون ويقع في شهر بهمن  
وهو الشهر الحادى عشر من السنة الشمسية الايرانية ، يقع اليوم العاشر  
ليه اما الاحتفال بأشغال النور فيحدث ليلة اليوم الحادى عشر ، وسبب  
تسميه ( سده ) أى المئوى انه يقع قبل الفيروز بخمسين يوما وخمسين ليلة  
وسبب الاحتفال به في عقيدتهم أن أغرويدون في حربيه للضحاك كما في  
شاهنامه الفردوسى الشهيرة أمر الناس بأشغال النيران على أسطح منازلهم  
ليلا لكي يتحقق من أن وزير الضحك المسمى ( ارماتيل ) كان يفتقد نصف  
الشباب المعينين للقتل لكن يدهن الضحك كنفه بأمخاضهم فبهذا الحيتان  
النابتان على كنفه ولا تؤذيها اذا أصابتا من هذا الدهن ( راجع في أعياد  
الفرس كتاب البيرونى العالم المشهور : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ص  
٢٥٣ — ٢٦١ طبعة عام ١٣١٨ هـ . ش بايران تصحيح جلال هبائى ) .

فهاجموه في الحمام وقبضوا عليه وقتلوه ثم نهبوا قصره وما به  
من أثاث وهربوا إلى أصفهان خوفا من الجنود الديالة \*

## ٢ - وشمكير بن زيسار

( ٣٢٣ - ٣٥٧ هـ )

بعد قتل مرد آويج تحول الجند الجيليون والديلم من أصفهان إلى  
الري وبائعوا أخاه وشمكير ، كما أن الديالة بخوزستان أخلوها له  
وأسرعوا إليه ، وسنحت بهذا الفرصة للحسن بن بويه أخى على وكان  
مقيما بالأهواز في ذلك الوقت كرهينة ، ففر من حبسه ولحق بأخيه في  
فارس . ولما سمع الأمير نصر بن أحمد الساماني بخبر قتل مرد آويج  
الذي كان يعتبر دائما ندا خطيرا له سر وعزم على استعادة جرجان  
وطبرستان والري التي كان مع السامانيين في عهد الأمير اسماعيل  
وخرجت عن أيديهم في حكم الناصر الكبير وأسفار ومرد آويج فأصدر  
أوامره إلى حاكم خراسان الأمير محمد بن مظفر بن مجتاج الجفاني  
وماكان بن كاكي الذي كان يعيش في كرمان متواريا أن يهاجما قومي  
الري وجرجان ( كان الأمير محمد الجفاني هذا قد استولى على كرمان  
كما سيأتي في تاريخ السامانيين - في عام ( ٣٢٢ هـ ) وكان ماكان عاملهم  
هناك ) . وأسرع ماكان للسيطرة على الدامغان ولكن عامل وشمكير  
هزمه وهزم جيش الأمير الجفاني أيضا فآب ماكان إلى نيشابور وبقي  
فيها حاكما من قبل الأمير نصر \*

كان لوشمكير خلاف الأمير نصر عدو كبير هو على بن بويه الذي  
رأى في آخر عهد مرد آويج أن الصلاح يقتضى وقتذاك الصلح معه وأخذ  
ينتظر فرصته السانحة في فارس . ولما قتل مرد آويج ونجا الحسن بن  
بويه أمده أخوه على بجند وبعث به للسيطرة على أصفهان . ففتخها  
الحسن وتوجه لفتح همدان والري وقزوین وقم وكاشان . فهاضطر



وشمكير الى استدعاء ماكان اليه وكان يقضى سنه في نيشابور في حبرة الاستيلاء على جرجان وضياعها فولاه هذه الولاية . وفي هذه الأثناء تملك على بن بويه على خوزستان وأجبر وزير الخليفة على أن يترك له الجند المقيم بالبصرة ليحارب بهم وشمكير ويرسل منهم مددا لأخيه الحسن بأصفهان . وفي عام ( ٣٢٧ هـ ) استخلص وشمكير أصفهان من يد الحسن بن بويه وهرب الحسن الى اصطخر ثم استطاع الأمير الزيارى فتح قلعة ( الموت ) وزادت قوته وشوكته .

### قتل ماكان في ٣٢٩ هـ : -

ساء الأمير نصر الساماني نكران ماكان لجميله بتركه وذهابه الى عدوه وشمكير فأنفذ أبا على أحمد بن الأمير محمد الجفاني في ( ٣٢٨ هـ ) لتأديبه والسيطرة على جرجان ، وحاصر الأمير الجفاني ماكان في هذه المدينة فسير وشمكير ( شيرج ) أخا ( ليلي بن النعمان ) من الري مددا لماكان ، ولكنه بدلا من مناصرة ماكان على أبي على الجفاني توسط بينهما ، فاشتترط أبو على أخذ جرجان لكي يصرف نظره عن أسر ماكان والتجأ ماكان بطبرستان .

وبينما كان وشمكير حزينا على ذهاب جرجان تواطأ الحسن بن بويه وأخوه مع أبي على الجفاني فاستفادوا من أن وشمكير وجه أغلب جنده لمقابلة الجفاني فاستصفوا أصفهان واستأسروا جمعا من قواد وشمكير . وبعد أن أخذ أبو على الجفاني جرجان عهد الى ( ابراهيم بن سيمجور ) حكمها وأتى الري في بداية ربيع الأول من عام ( ٣٢٩ هـ ) وكان يغررض هو وأبناء بويه الى الاطباق على وشمكير واستخلاص الولايات التي فتحها مردآويج في مدة عشرة أعوام منه . وهكذا وقع وشمكير بين فكي كماشة فلم يجد بدا من الهروب الى الري ليعاونه ماكان بينما كان أولاد بويه قد اقتربوا من حدود الري قادمين من أصفهان بعون من أبي على الجفاني . واشتعلت الحرب بين الفريقين في

الرى فى ٢١ من ربيع الأول من عام ( ٥٣٢٩ هـ ) ولم يفد ماكان استقباله شيئاً اذ كانت الغلبة نصيب أبى على الجفغانى والحسن بن بويه . وانتهى أمر ماكان الى القتل (١) وركن وشمكير الى الفرار الى طبرستان ودخل أبو على الرى وبعث برأس ماكان وأسرى كثيرين من الديلم الى بخارا حيث الأمير نصر السامانى ثم مد سيطرته الى زنجان وأبهر وقزوین وقم والكرج وهمدان ونهاوند والدينور وأوصل حدود الدولة السامانية حتى حلوان .

ولما وصل خبر قتل ماكان الى ( سارى ) ثار ابن عمه ( حسن بن فيروزان ) بحجة أن وشمكير تسبب فى قتل ماكان فى حرب الرى عمداً ، لكنه غلب على أمره مع حربه مع شيرج بن ليلى ، فالتجأ بأبى على الجفغانى بالعراق وحثه على ضم طبرستان . فبدأ أبو على بحصار سارى لكنه لم ينل منها شيئاً بسبب قسوة ثنائها ومقاومة وشمكير ، وفى النهاية طلب وشمكير الأمان وقبل أن يخطب للأمير نصر السامانى من ذاك الوقت فصاعداً . وفى آخر ( ٥٣٣٠ هـ ) صالح أبو على وشمكير وتحرك الى بخارا مصطحباً معه سالار ولد وشمكير كرهينة ، ولم يكـد يصل خراسان حتى وصله خبر موت الأمير نصر .

### وشمكير وأولاد بويه : —

رافق حسن بن فيروزان أباً على الجفغانى فى عودته الى بخارا ، وفى أثناء الطريق انقض على معسكر أبى على وهرب راجعاً الى خراسان بقدر من الأسلاب وبابن وشمكير ( سالار ) . ثم أخذ جرجان والدمغان وسمنان ولم ير عامل السامانيين فى جرجان ابراهيم بن سيمجور غير مصالحته حلاً . واقتهر وشمكير الفرصة أيضاً لاسترداد الرى بينما أرسل حسن بن فيروزان ابنه سالار اليه وقبل طاعته .

---

( ١ ) كتب فى نفس هذه الواقعة أبو القاسم الاسكافى كتاب أبى على الجفغانى الى بخارا ( لها ماكان نصار كاسمه ) ( سياقى ) .

وحدث الحسن بن بويه حليف أبي على الجفاني خطأ لاستخلاص الري من قبضة وشمكير الذي انهزم أمامه إلى طبرستان وفر منها إلى خراسان فأطبق الحسن على طبرستان ودخل حسن بن فيروزان في طاعته وزوجه بابنته التي ولدت له فخر الدولة الديلمي .

وكان وشمكير يهدف من فراره إلى خراسان أن يستمد الأمير نوحا ابن نصر وقائده المعروف أبا على الجفاني . فأمدّه الأمير الساماني بأبي على هذا و ( منصور بن قراتكين ) لفتح الري لكنهما لم يستطيعا أمام الحسن بن بويه اللهم الا تمكن وشمكير من اخراج جرجان عن يد حسن ابن فيروزان في صفر من ( ٣٣٣ هـ ) وان لم يستطع الحفاظ عليها طويلا ، بل اضطر إلى الهروب إلى خراسان بحماية من منصور بن قراتكين .

ودعا هذا الأمير نوحا إلى أن يتوجه بنفسه إلى جرجان ويقا تل حسن بن فيروزان والحسن بن بويه ، لكن حاكم طوس ( أبا منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسي ) — الذي جمعت باسمه أول شاهنامه نثرية ولهذا فانه يذكر بالخير في تاريخ الأدب الفارسي (١) — شار على نوح وتحالف مع آل بويه . فتحول نوح إليه أولا فهرب أمامه إلى الري محتفيا بحلفائه . وأكرمه بن بويه ووجهه إلى آذربايجان لحرب أحد آل مسافر .

وفي عام ( ٣٣٦ هـ ) استخلص منصور بن قراتكين طوس ونيسابور

---

( ١ ) صار قائد جيش خراسان من قبل أبي على الجفاني نحو عام ( ٣٣٥ هـ ) أول أمره وحينما فكر في مخالفة ركن الدولة الديلمي لضرب وشمكير ابن زيار عرف الأخير بأمره قدس إليه السم فمات ( ٣٥٠ هـ ) . وشهرته الأدبية تفوق شهرته السياسية لأنه أمر أبا منصور العمري وزيره بتدوين اخبار الملوك الفرس السابقين بما يسمى الشاهنامه فاستقدم هذا علماء خراسان والعالمين بالتاريخ وأنجزوا هذا العمل عام ( ٣٤٦ هـ ) . وقد صارت هذه الشاهنامه المصدر الرئيسي الذي استقى منه الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير ( توفي عام ٤١١ أو ٤١٦ هـ ) شاهنامته الشعرية وكذلك الشاعر الفارسي الحقيقي ( متوفى نحو ٣٦٥ هـ ) من قبله .

من أيدي أتباع أبي منصور الطوسي واستأسر أمه وبعض أتباعه وأرسلهم الى بخارا . وفي نفس العام أخرج الحسن بن بويه وحموه حسن بن فيروزان وشمكير مرة ثانية عن طبرستان وجرجان فلجأ الأمير الزيارى هذه المرة بآل سامان في خراسان ليستمدهم .

ومن هذا التاريخ حتى أن فتح الحسن بن بويه طبرستان للمرة الثانية في ( ٣٤٢ هـ ) حدث صدام كثير بين آل بويه والقواد السامانيين الذين كانوا يقدمون لعون وشمكير وكان النصر للطرفين سجالا الى أن تصالح أبو على الجفاني مع ركن الدولة البويهى (١) في الري وانتزها البويهى فرصة لكي يزيج وشمكير نهائيا عن طبرستان وجرجان . ففسر وشمكير هاربا الى خراسان مرة أخرى واتهم أبا على الجفاني أمام الأمير نوح بتحالفه مع البويهيين ، فعزله نوح عن حكم خراسان ، فعصى أبو على وأعلن امارته على نيسابور فحول نوح اليه وشمكير ليزيله فاتجه مضطرا الى ركن الدولة . فصحبه ركن الدولة الى جرجان وطرد عنها وشمكير . ولكن هذا الحال لم يدم لأن بمجرد عودة ركن الدولة استولى وشمكير على جرجان بعون الخراسانيين حتى جعل ركن الدولة وشمكير في النهاية يختفى في جيلان ( ٣٥١ هـ ) فعادت الى طاعته طبرستان وجرجان من جديد .

### موت وشمكير في ٣٥٧ هـ : —

وبين هذا الصراع أخرج البويهيون ولاية كرمان أيضا عن يد أميرها ( أبي على بن الياس ) ، فقصد أبو على الأمير منصور بن نوح الساماني بخارا وشجعه على تملك ولايات آل بويه فوجه الى السرى جيشا كثيفا يقتاده وشمكير وأبو الحسن سيمجورى .

( ٢ ) في عام ٣٣٤ هـ استولى أحمد بن بويه على بغداد وخليفتهما المستنكى ولقبه الخليفة معز الدولة ولقب أخاه الحسن بركن الدولة وأخاه عليا بعماد الدولة ، وسوف يذكر هؤلاء بالتابعهم بعد هذا ( سياتى ) .

واستمد ركن الدولة جميع أفراد الاسرة البويهية فقدم اليه ابنه (بناه خسرو) المعروف بعضد الدولة وابن أخيه بختيار الذى لقب بعد بعز الدولة ، ولكن قبل أن يلتقى الجيشان ببضعة أيام خر وشمكير فى أول المحرم من (٣٥٧هـ) من على جواده بينما كان يصطاد فلحقه حتفه . وانفرط عقد جيشه ونجا الحسن بن بويه من هذا الخطر الداهم .

### ٣ - بهستون بن وشمكير

(٣٥٧ - ٣٦٦ هـ)

بعد موت وشمكير خلفه ابنه الأكبر أبو منصور بهستون الذى كان بطبرستان لكن كبار أتباعه الذين رافقوا جيش السامانيين بايعوا أخا وشمكير الأصغر وهو (قابوس) وانحاز أبو الحسن سيمجورى الى قابوس أيضا . فركن بهستون الى حماية ركن الدولة الذى ملكه طبرستان وتزوج ركن الدولة بابنته التى ولدت له عضد الدولة . واستولى قابوس بعون السامانيين على جرجان ودام هذا الحال حتى عام (٣٦٦ هـ) حين مات بهستون واستقل قابوس فى ملكه لكن لم يبق له من جميع البلاد التى فتحها جده مردآويج غير جرجان وقسم من طبرستان وكان يحبا فيها فى واقع الأمر تحت حماية السامانيين . وقد لقب المطيع الخليفة العباسى بهستون فى (٣٦٠ هـ) بظهير الدولة بأمر من عضد الدولة وأصدر أمره بأن يحكم جرجان وطبرستان رسميا .

### ٤ - شمس الممالى قابوس بن وشمكير

(٣٦٦ - ٤٠٣ هـ)

مات ركن الدولة فى نفس عام تولى قابوس وقسمت بلاده بين أبنائه الثلاثة عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة على نحو أن صارت فارس وكرمان لعضد الدولة ومؤيد الدولة وهمدان وجزء من عراق العجم لفخر الدولة .

وفي عام ( ٣٦٩ هـ ) طمع عضد الدولة ومؤيد الدولة في ملك فخر الدولة واستخلصا منه همدان • فقدم فخر الدولة الى حماسة قابوس في جرجان فاستقبله بحفاوة وكرم ووعدته أن يقوم لنجدته ويسترد له ملكه من أخويه • وعند ذاك أرسل عضد الدولة ومؤيد الدولة الى قابوس أن يترك فخر الدولة الري اليهما مقابل خراج عام فرفض قابوس هذا المقترح واعتبر قبوله مخالفا للضيافة والمروءة وأغلظ لهما في رده وأصبح هذا ذريعة لغزو أخوي فخر الدولة طبرستان وجرجان •

ولما لم يستطع قابوس المقاومة هرب بعد حرب قصيرة بالقرب من ( استراباد ) الى خراسان في جمادى الآخرة من ( ٣٧١ هـ ) ولحق به فخر الدولة وخرجت عنهما جرجان وطبرستان ••

وكانت حكومة خراسان وامارة جيشها في هذا الوقت لحسام الدولة أبي العباس تاش من طرف السامانيين ، وقد صدر اليه أمر نوح بن منصور باعادة قابوس وفخر الدولة الى بلادهما آمنين • فوجه أبو العباس تاش أحد أتباعه وهو ( غايق الخاصة ) الى قومس واتجه هو الى جرجان وحاصر فيها مؤيد الدولة واستمر حصاره شهرين لكنه لم يستطع دخول المدينة بالرغم من انضمام فائق اليه • وفي النهاية تواضع مؤيد الدولة مع فائق وجنده ، بعد أن دفع له رشوة طائلة — على أن يهربوا جميعا في أول بداية القتال • وخرج مؤيد الدولة من جرجان في رمضان من ( ٣٧١ هـ ) وحمل على جند تاش وقابوس وفخر الدولة • ولما انسحب فائق وأصحابه بناء على الاتفاق ولم يستطع تاش وقابوس وفخر الدولة الثبات ولوا وجوهم منزهين الى نيسابور ، ولم يحقق الجيش الساماني شيئا • واستمر قابوس في حالة من التشتت بسبب تردى الوضع الداخلى للبلاط الساماني والمنافسة الشديدة بين حسام الدولة تاش وفائق الخاصة ورؤساء الأسرة السيمجورية حتى عام ( ٣٨٨ هـ ) ، ونتيجة لهذا بات قابوس من بعد حكم أربعة أعوام ( ٣٦٦ — ٣٧١ هـ ) محروما من الامارة مدة سبعة عشر عاما ( ٣٧١ —

( ٣٨٨ هـ ) بعيدا عن ملك أبيه يعيش في حماية آل سامان في خراسان .  
 أما فخر الدولة فلما مات أخوه عضد الدولة في ( ٣٧٢ هـ ) وأخوه  
 مؤيد الدولة في ( ٣٧٣ هـ ) قدم الرى بدعوة المصاحب بن عباد وزير مؤيد  
 الدولة (١) وخلف أخاه وسلك غير سبيل المروءة خلافا لقابوس فبدلا أن  
 يساعداه في وصوله الى حكمه الضائع ، أناب أبا العباس تاش أئذى  
 تحول عن السامانيين واحتفى به في حكم جرجان . وكان المانع في عودة  
 قابوس الى جرجان والذي صرف فخر الدولة عن هذا الأمر هو وزيره  
 المصاحب بن عباد الذي لم يكن على صفاء مع قابوس .

وبقيت ولاية جرجان هكذا في يد عمال آل بويه حتى عام (٣٨٨ هـ)  
 وظل قابوس منتظرا بخراسان مؤملا في عون السامانيين وقواد جيشهم .  
 بعد موت المصاحب بن عباد في ( ٣٨٥ هـ ) و وفاة فخر الدولة في  
 ( ٣٨٧ هـ ) ظهر في أحوال ديلمرة العراق الضعف التام وتولى أمرهم ابن  
 فخر الدولة الأصغر ( مجد الدولة ) . فأفاد قابوس من هذا الوضع ، ولما  
 كان يائسا من عون آل سامان الذين صاروا فريسة الهرج والمرج  
 والضعف الشديد انتوى أن يستعين برفاقه الديلم والطبرين ويستعيد  
 جرجان من عمال آل بويه بنفسه .

كان أول من تصدى لعون قابوس هو الاسعبد شهريار بن شروين  
 من رؤساء طبرستان وتمكن بسهولة من أن يتغلب على أخى زوج فخر  
 الدولة وهو ( رستم بن مرزبان ) خال مجد الدولة وأخى (سيدة خاتون)  
 أمه . واستولى على ( آمل ) أيضا اثنان من أتباع قابوس ثم أطبقا على

---

( ١ ) المصاحب بن عباد المتوفى عام ( ٣٨٥ هـ ) من رجال وكتاب  
 البويهيين ومن أهل الطالقان . لحق في شبابه بخدمة ابن العميد ووزر لمؤيد  
 الدولة البويهى . ويشتهر أكثر من السياسة بعلمه وأدبه وحبه بأهل العلم  
 والأدب والفضل ، وكان لا يقل عنهم أن لم يزد تمكنا في علوم الأدب . وكان  
 له مكتبة ضخمة بلغ عدد ما فيها أن مائة عشرة مجلدات ، من آثاره كتاب  
 المحيط في علوم اللغة العربية .

استراباد . وسمى فيروزان بن حسن بن فيروزان المعروف مرارا أن يستعيد استراباد لآل بويه من أتباع قابوس ولكنه أصيب بالفشل في كل مرة . ونتيجة لهذا فتحت جرجان أيضا ، وعاد قابوس في شعبان من ( ٣٨٨ هـ ) بعد سبعة عشر عاما من الفراق الى عرشه بدعوة أتباعه .

وزحف مجد الدولة بجيشه يعزم استعادة طبرستان وجرجان من قابوس مرتين ، لكنه أدرك في النهاية أنه ليس كفوا له فاضطر الى مصالحة ، خاصة وأن أخا فيروزان وهو نصر بن حسن الذي كان يحكم قومس من جانب الديلمة قبل عودة قابوس ثم طرده عنها أتباع قابوس قد سلك طريق العصيان ونهب أموال الرعية والظلم والجور وأوجد فتنة كبرى ، وكان مجد الدولة يريد أن يدفع شروره بيد قابوس . وهرب الى قهستان خوفا من مجد الدولة وضم الى جانبه أبا القاسم سيمجورى وحثه على مهاجمة الري وأتى به وبأتباعه الى حوالى هذه المدينة . لكنهما لقيا هزيمة فادحة من قابوس ففرا الى السلطان محمود الغزنوى .

وقد وسع شمس المعالى فى فترة حكمه الثانية ( ٣٨٨ — ٤٠٣ هـ ) من دائرة ملكه فى ناحية الغرب فقد استولى على رويان وجالوس وجيلان وأتاب ابنه ( منوچهر ) فى حكمها . ولما زادت قوة السلطان محمود الغزنوى وشوكته فى هذا الوقت بسبب استيلائه على خراسان أرسل اليه قابوس بطريق الحيلة التحف والهدايا وأظهر له الحب والاخلاص . ولكن هذا المصفو دام فقط حتى ( ٣٩٠ هـ ) . لأن فى هذا العام ، على النحو الذى سوف يرد فى تاريخ السامانيين بعد ، تكدر الصفو بينهما بسبب ثورة الأمير المنتصر اسماعيل بن نوح السامانى على السلطان محمود والتجأ الأول الى قابوس الذى استقبله بالاكرام ، ولم يعد الوداد كما كان . الا بعد أن خلص قابوس من انحيازه الى الأمير المنتصر ولم يسمح له بالقدوم الى جرجان .



### قتل قابوس في ٤٠٣ هـ : —

كان قابوس رجلا فظا غليظا سريع الغضب يحكم بالقتل بسهولة ، بله ويقتل بيده لأدنى المظنة كل برىء ، ولهذا تجرع من يديه جمع كثير مرارة الموت ورجفت قلوب المقربين اليه واستقرت الضغينة في صدور غالب قواد جيشه ورعيته له ، الى أن قتل حاجبه الخاص وكان رجلا مسالما وديعا يحبه الجيش ، فثار الجند وأحاطوا بمقامه في قلعة ( جناشك ) — بين جرجان القديمة واستراباد — ولكنهم لم يتمكنوا من القبض عليه فذهبوا الى جرجان واستدعوا منوهر ابنه من طبرستان وأفهموه أنه اذا لم يتحالف معهم في عزل أبيه فسوف يجلسون غيره على الحكم . فاستسلم منوهر طوعا أو كرها وصاحب الجيش للقبض على أبيه في بسطام حيث التجأ . وتلاقى الأب والابن في هذا المكان . واعتزل قابوس الحكم برغم اصرار ابنه على قبول أمره واستعداداه لدفع شر الجند ، وقبل أن ينزوى في قلعة جناشك وينشغل بالعبادة . وعاد منوهر الى جرجان وذهب قابوس الى جناشك ولكن الجنود لخوفهم من عودة قابوس وانتقامه انتهزوا فرصة وقتلوه في نفس تلك القلعة في ( ٤٠٣ هـ ) .

شمس المعالى قابوس أشهر أفراد الأسرة الزيارية لانه كان رجلا فاضلا وكريما محبا للفضل ومشجعا للشعراء وأديبا حسن الخط ، وكان دائم الاختلاط والمراسلة مع الفضلاء والعلماء في عهده حتى في أثناء غييبته في خراسان وفقدانه للحكم وكان كثير الانعام والاکرام لهم ، فوصل صيت فضائله الى الأطراف والأكناف . وكان يجارى أفضل بلغاء اللغة العربية في الانشاء العربى ، ومهر في الشعر الفارسى والعربى ، وكان بلاطه مجمع الفضلاء والشعراء وكان يغدق عليهم في عيدى النيروز والمهرجان ( ١ ) . ومن شعرائه المعروفين الحكيم أبو بكر محمد بن على

---

( ١ ) النوروز أو النيروز هو اليوم الجديد أى الاول من كل عام شمسى فارسى ويصادف أول الاعتدال الربيعى ( ٢١ مارس ) ويحتفل به

الخسروى السرخسى وأبو القاسم زياد بن محمد القمى الجرجانى اللذان مدحاه بالفارسية • وقد كثر الشعراء العرب والحاشية العربية عنده • وقد ألف العالم الجليل أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى كتابه الأشهر ( الآثار الباقية ) عام ( ٤٣٩٠ هـ ) باسم قابوس ، وقصده من خوارزم حبا له الحكيم والطبيب العظيم أبو على الحسين بن سينا ، ولكن قبل وصوله جرجان سمع بخبر القبض عليه وقتله ، فعاد آيسا الى قزوین وهمدان فى حمایة آل بویه •

## ٥ - فلك المعالى منوجهر

( ٤٠٣ - ٤٢٣ هـ )

بعد قتل قابوس خلفه ابنه منوجهر ولقبه القادر الخليفة العباسى بفلك المعالى وكان أول عمل له بعد توليه القبض على قتلة أبيه ومعاقبتهم • كان لمنوجهر أخ اسمه ( دارا ) حكم طبرستان قبله ، لجأ الى السلطان محمود الغزنوى فى غزنة قبل قتل أبيه بفترة لسوء ظن وقع بينهما ، وكان يعيش فى كثف الغزنويين أملا فى الوصول الى الحكم • وقد لقي الخطوة عند السلطان فى أول الأمر ، ولكن محمودا الغزنوى تغير عليه لجفاء قوله فى مجلسه فهرب الى والى الكرج • فأجبر السلطان واليها على أن يسلم اليه دارا ، فلما وصله ألقى به فى السجن ،

الفرس الذين يمتدنون أنه اليوم الأول للزمان كذلك بدأ الزمان به دورته . أما عيد المهرجان فيقع فى اليوم السادس عشر من شهر مهر الشهر السابع من السنة الايرانية الشمسية ويستمر احتفال الفرس حتى اليوم الحادى والعشرين ذكرى انتصار افرويدون على الضحاك الذى قتل كثيرا من شباب ايران حتى يهدى يدهن رؤوسهم نائرة ثعابين ظهرا على كتفه انتقاما من الله لظلمه الناس ، كما هو شائع فى اساطيرهم . انظر فى هذين المعيدى وغيرها من اعياد الفرس كتاب التفهيم لآواىل صناعة التجهيم للعلامة أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى من ص ( ٢٥٣ - ٢٦١ ) طبعة جلال همائى عام ( ١٣١٨ هـ ش ) .

وان عفا عنه بعد مدة ، لأنه كان يريد أن يجعله آلة لتنفيذ هدفه في السيطرة على جرجان وطبرستان بأن يصل به الى حكمهما . ولاح قتل قابوس للسلطان فرصة مناسبة لاثمام نيته ، لكن منوچهر بادر بارسال التحف والهدايا واعترف بسيادة سلطان غزنة عليه وطلب ابنته ليتزوج بها . وأصبح هدف محمود واقعا عمليا بسبب أن منوچهر نصبه الخليفة العباسي رسميا وقبل اطاعة السلطان فزوجه بابنته وعقدت بين الطرفين معاهدة مقتضاها قبول منوچهر لتبعية السلطان محمود .

وفي عام ( ٤٢١ هـ ) حينما مرض السلطان محمود مرض الموت سير منوچهر لمسعود خلفه رسولا خشية أن يتحول بعد موت أبيه عن عهده معه ويجعل من دارا أخيه الذي كان يتوقع فرصة ليستولى فيها على جرجان وطبرستان ، العوبة لتحقيق مقاصده فتمكن من تجديد العهد السابق مع الغزنويين ، وبناء عليه لم يتعرض الغزنويون الى بلاده ما دام منوچهر حيا .

وقع بين فلك المعالي منوچهر ومجد الدولة الديلمي صاحب الري خلاف مرتين ، وكان منوچهر ينحاز الى أعداء مجد الدولة عداء له ، لكن هذه الخلافات ، التي سوف يشار اليها في تأريخ أحداث البويهيين والغزنويين ، لم تؤد الى حرب حاسمة وكان الأمر ينتهي بالصلح . ومع أن فلك المعالي لم يكن في مثل فضل أبيه شمس المعالي ، لكنه سار نفس سيرته في اجتلاب الفضلاء واکرام الشعراء ، وأحدث مآثره ظهور الشاعر الفارسي لشهير ( منوچهری الدامغانی ) (١) في عهده والذي اشتق تخلصه من اسم هذا الأمير الزيارى .

---

( ١ ) هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد المنوچهری الدامغانی المتوفى ( ٤٣٢ هـ ) من كبار شعراء القرن الخامس وعصر مسعود الغزنوی مدحوه . كان هذا الشاعر على وقوف تام بالادبين العربی والفارسی وأفاد كثيرا من الأدب العربی معاني وأساليب والفاظا نادرة . ويعد مبتكرا لفن المسط في الشعر الفارسی وبارعا في التشبيه والاستعارات خاصة في وصف الطبيعة والشراب . وفوق الأدب كان على دراية بالطب والنجوم وتقرأ للاصطلاحات الفلكية كثيرا في اشعاره

## ٦ — نوشيروان بن فلك المعالى

(٤٢٣ — ٤٤٥ هـ)

مات فلك المعالى منوجهر بجرجان بعد جلوس السلطان مسعود الغزنوى على عرش أبيه بعامين واشتهر أن خال فلك المعالى وهو (باكاليجار) كوهى بن ويهان (١). قائدته ورئيس حجابيه قد دسا له السم حتى يؤوله الحكم الى باكاليجار ، لأن منوجهر لم يكن له وارث غير ابن صبي اسمه نوشيروان .

أنفذ باكاليجار بعد موت منوجهر رسلا الى السلطان مسعود وطلب منه أن يعهد اليه بإدارة بلاد فلك المعالى ، فقبل مسعود عرضه وتزوج بابنته بعد أن عقد معه معاهدة وقبض باكاليجار على زمام الأمور باسم نوشيروان الصبي .

وفي الآونة التى خرج فيها مسعود الى الهند مجاهدا ( فى عام ٤٤٥ هـ ) سلك باكاليجار سبيل العصيان وامتنع عن دفع الخراج السنوى وتحالف مع جماعة من أعدائه فى الرى وأصفهان . وتحرك مسعود فى ربيع الأول من ( ٤٢٦ هـ ) صوب جرجان ولما سمع باكاليجار بذلك أخذ يفه نوشيروان بن فلك المعالى وتحصن بسارى ، فأثاها مسعود بعد تسخيره جرجان واستزاباد ، فغادرها باكاليجار مرغما ومعه نوشيروان الى كجور وجيلان ، وكان مسعود يجد للقبض عليه حتى انتهى الى آمل . وفى جمادى الأولى من هذا العام تغلب على جيش باكاليجار فى ( ناتل ) إحدى قرى عزب آمل وأسر قائده عسكره . ثم أمر مسعود بتحصيله

( ٢ ) يخطئ البعض فيكتبون هذه الكلمة ( باكالنجار ) مع انها كلمة ميلية ويبدو أنها مركبة من كلمة ( أبو ) العربية وكلمة ( كاليجار ) الديلمية ومعناها الحرب ، وهى ترجمة لكلمة ( أبو الهيجاء ) و ( أبو الحرب ) العربيتين . وكان هذا اللقب متداولاً بين الديلم وتلقب به بعض آل بويه ( سنياتى ) .

المال جزافا من أهل آمل فلما عجزوا عن تسديده آذوهم عماله وجنده وارتكبوا في حقهم قبائح كثيرة . وفي هذا الوقت وصل مسعودا من حدود خراسان أخبار هجمات التركمان السلاجقة فصمم مسعود على ترك طبرستان وجرجان وقصد خراسان . وكان لبالكاليجار ابن رهينة مع السلطان مسعود ، فأرسل يابن له آخر له يطلب عفوه فأعاده مسعود الى أبيه بخلع وأبقى بالكاليجار في امارة طبرستان وجرجان على أساس المعاهدة السابقة وعادو رحلته الى خراسان .

وظل بالكاليجار يحكم باسم نوشيروان بن فلك المعالي من وقت أوبة السلطان مسعود عن جرجان حتى عام ( ٤٣٣هـ ) أى لمدة سبعة أعوام وتسلط على كافة أمور الدولة بعلة صغر سن نوشيروان . ولما هزم مسعود في ( ٣٢٩هـ ) على يد طغرل بيك السلجوقي وسقط الجزء الغربى للبلاد الغزنوية في يد السلاجقة ، خلص من تبعية الغزنويين ، واعتبر نفسه مستقلا . لكن نوشيروان كان قد بلغ الرشد في هذا الوقت فقبض على بالكاليجار واسترد حكم أجداده وتخلص من قبضته وهذا باله من هذا الأمر . ولكن طغرل السلجوقي كان قد استولى في هذه الأيام على خراسان والعراق وكان بصدد السيطرة على طبرستان وجرجان . وتحرك السلطان السلجوقي قبل أن يبلغه القبض على بالكاليجار للاستيلاء على هاتين الولايتين في ( ٤٣٣هـ ) ، وهرب نوشيروان الى سارى . وفي النهاية لم يجد بدا من قبول تبعيته لطرل وتعهد به بأداء ثلاثين ألف دينار سنويا . وبقي في امارته الاسمية تحت أمر عامل السلطان السلجوقي . واستمر هذا الحال حتى ( ٤٣٥هـ ) حينما مات نوشيروان وتولى ابنه ( جستاق ) . وبعد عام ( ٤٣٣هـ ) الذى استولى عليه طغرل على جرجان وطبرستان عام انقراض أسرة آل زيار ، لانه بالرغم من أن أمراء هذه الأسرة كانوا قد فقدوا استقلالهم الواقعى قبل ذلك بفترات وكانوا يعيشون تحت حماية الغزنويين ، لكنهم كانوا يؤدون الخراج الى الغزنويين وحسب حتى سنة استيلاء طغرل في حين أن طغرل

أرسل من بين أتباعه الديلمية من يسمى ( مردآويج ) لحكم جرجان وطبرستان ، فتزوج مردآويج هذا بأم نوشيروان ، فوقع الأخير تحت مراقبة الأول من كل جهة وانصاع لأمره . ولا يعرف نهاية جستان بن نوشيروان ولا سنة وفاته .

### امراء آل زيار الآخرون

ان من اشتهر من الأمراء الزياريين لسبب خاص في تاريخ ايران اشتهارا جديرا هو الأمير عنصر المعالي كيكابوس الذى كان ابن الإبيكتدر بن شمس المعالي قابوس وليس يعرف بالضبط هل وصل الامارة حقا ، وهو مؤلف الكتاب الأشهر ( قابوسنامه ) وقد وضعه في ( ٤٧٥هـ ) هذا الأمير ككتاب نصيح لتربية ابنه ( جيلان شاه ) . وكتاب قابوسنامه أحد الكتب السامقة للنثر الفارسي ويمثل كمال المهارة والمقام المعالي للأمير عنصر المعالي في الفضل والأدب والاطلاع .

### اسماء الامراء الزياريين وزمن اماره كل منهم

- ١ - أبو الخجاج مردآويج بن زيار ( ٣١٦ - ٣٢٣هـ )
- ٢ - أبو طاهر وشمكير بن زيار ( ٣٢٣ - ٣٥٧هـ )
- ٣ - ظهير الدولة بهستون بن وشمكير ( ٣٥٧ - ٣٦٦هـ )
- ٤ - شمس المعالي أبو الحسن قابوس أخو بهستون ( ٣٦٦ - ٤٠٣هـ )
- ٥ - فلك المعالي منوچهر بن قابوس ( ٤٠٣ - ٤٢٣هـ )
- ٦ - نوشيروان بن منوچهر ( ٤٢٣ - ٤٣٥هـ )
- ٧ - جستان بن نوشيروان ( ٤٣٥ - ؟ )

## الفصل الثالث

### ديالة آل بويه

( ٣٢٠ - ٤٤٧ هـ )

#### اولاد بويه الصياد :

تم تأسيس دولة آل بويه بيد ثلاثة من الاخوة أبناء رجل جيلاني كان يصيد السمك اسمه بويه وأن أوصل ادعاء بعض المؤرخين القدامى نسبهم الى ( بهرام جوبين ) (١) في قول ، أو الى ( يزدجرد الثالث ) (٢) الساساني في قول آخر . وكان الأخ الأكبر هو علي والأوسط الحسن والأصغر أحمد . وحين ثار الدعاة العلويون في جيلان

( ١ ) بهرام جوبين قائد هرمز الرابع الذي اعتلى عرش الساسانيين عام ( ٥٧٩ م ) ، وقد زادت شهرته حينما غلب خاقان التركستان وأسر ابنه ، وبعد انتصارات له خافه ملك ايران فارس له ليحارب الروم فهزمه فأهانته هرمز أهانة بالغة جعلته يثور ومعه جنوده وتحرك بهم الى طيسفون العاصمة فآثار أهلها على مليكهم ففرز وقتل . ولما خلف كسرى برويز أباه أرسل الى بهرام يعده الوعود لكنه لم يسمع له فقصده مهاجبا فهزمه بهرام وهرب برويز لاجئا الى الروم وجلس بهرام على عرش ايران وهو ليس من نسل الاكاسرة . بيد أن مجرد وصول كسرى الى العاصمة أعاد الى أذهان الناس فكرة أن الملك لا يصلح الا للاكاسرة لا لغيرهم فأنفض عنه جنوده والناس مما أدى به الهزيمة والفرار الى الترك . ويحوز بهرام هذا في الادب الفارسي مكانه الطامح العالي الهمة الذي بلغ الملك بكده وجهده لا بحسبه ونسبه وصار كل من يطمح الى الملك يتخذة مثالا وينتسب اليه ( تاريخ ايران لحسن بيرنيا . طبعة تهران ١٣٤٦ ش ص ٢١٩ - ٢٢٢ )

( ٢ ) يزدجرد الثالث هو آخر كسرى ساساني الذي اعتلى عرش ايران عام ( ٦٣٢ هـ ) وقد بدأت غزوات المسلمين لبلادته في عهده وانتهى امره على ايديهم ( ٦٥٢ م / ٣١ هـ ) .

وطبرستان على عمال الأمراء السامانيين كان على والحسن قد بلغا سن الرشد وانحازوا الى العلويين كأغلب الرؤساء الديالة والجيليين ، ثم دخلوا في البداية في عداد أعوان ماكان بن كاكي قائدهم الديلمي ، وكانوا بجانبه ، كما مضى الشرح ، الى أن غلب ماكان على يد مردآويج وفر الى خراسان . وفي هذا الوقت ، أى في حدود ٣١٦ - ٣١٧ هـ ، لحق على والحسن كما مر في تاريخ آل زيار مع جماعة من قادة الديلم بخدمة مردآويج . وقد أشرنا الى حياة أبى الحسن على وأبى على الحسن مع آل زيار حتى أيام بهستون وقابوس في الفصل السابق ، وانما نشير هنا الى أنه بعد قتل مردآويج في ( ٣٢٣ هـ ) وفرار الحسن بن بويه الذي كان عند مردآويج كرهينة من طرف أخيه على وحبسه الأمير الزيارى في الأهواز ، أرسل على الذى استولى في هذا الوقت على شيراز وفارس أخاه بجيش الى عراق العجم حتى يسيطر على ولايات مردآويج في هذه المنطقة . وأخذ الحسن أصفهان بسهولة ، واشتعل النزاع ، كما فصلنا قبل ، ما بينه وبين وشمكير أخى مردآويج فترات من أجل السيطرة على قم وكاشان وهمدان والرى والكرج حتى جمع الحسن كل هذه الولايات تحت تصرفه ، وعلى أثر هذا دخلت فارس والموانىء والسواحل تحت امرة أبى الحسن على بن بويه وعراق العجم في طاعة أبى على الحسن بن بويه .

وتقاسم على والحسن هذه البلاد بينهما ، ولكى يمكننا أخاهما الأصغر أحمد الذى بلغ سن الرشد والكفاءة في هذا الوقت من التملك والحكم مستقلا أعطياه جيشا مجهزا ووجهاه لفتح كرمان . وهاجم أبو الحسن أحمد في ( ٣٢٤ هـ ) كرمان وكان قسم منها بيد محمد بن الياس وقسم آخر بيد رؤساء البلوج ، ومع أنه في حربه مع البلوج في ( جيرفت ) بكرمان أصيب في يسراه بضربة فصلت يده من مرفقه كما انفصل من يميناه أصبع ، الا أنه خرج غالبا وبهذا أضاف كرمان الى بلاد آل بويه .



### أوضاع الخلافة عند ظهور آل بويه : -

بعد موت الخليفة العباسي في ( ٢٩٥هـ ) أنيب ابن المعتض وكان عمره ثلاثة عشر عاما ، في الخلافة ولقب بالمقتدر بالله ، وكان وزيره الساعي في ذلك . ولما استاء الناس لاختيار هذا الصبي وندم الوزير على ما فعل عزل المقتدر في ( ٢٩٦هـ ) وخلفه عبد الله ابن الخليفة المعتز بلقب المرتضى بالله ، وقد اشتهر عبد الله بابن المعتز وبشعره وانشائه حتى أنه وضع علم البديع وعد من الشعراء المشهورين في العربية . أما من سعى سعيًا بليغًا في خلع المقتدر والوصول بابن المعتز الى الخلافة فقد كان الحسين بن حمدان من قادة الجيش وأخا ( أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان ) أسس أولاد أبى الهيجاء بن حمدان في حدود ( ٣١٧هـ ) في الموصل وحلب ، أهم ما في الجزيرة والشام ، أسرة آل حمدان ، وقد دخل أفراد هذه الأسرة ، كما سنرى ، مع آل بويه في صراع متصل الحلقات للاستيلاء على الولايتين المذكورتين وللمتمكن من بغداد .

ولم تدم خلافة ابن المعتز ، الذي اشتهر بأنه خليفة اليوم الواحد أكثر من يوم لأن الحسين بن حمدان لعله غير معروفة رحل عن بغداد الى الموصل صباح اليوم التالي لفتحته ، فأعان الأعوان المقتدر ، خاصة مؤنس الخادم ، مع جماعة من الجند على ارتقاء مسند الخلافة مرة ثانية وأمسكوا بابن المعتز وقتلوه بعد حبس يومين . وعفا الخليفة عن الحسين بن حمدان بشفاعة أخيه وأبقاه في جيشه بعد أن خلع عليه .

وثار الحسين في ( ٣٠٣هـ ) في الجزيرة على المقتدر فأرسل اليه أحد غلمان أبيه المعتض واسمه ( رائق ) لقتاله ، فانهزم رائق من الحسين لكنه غلب وأسر بيد مؤنس الخادم ثم حبس في بغداد . واستولى مؤنس الذي لقب بالمظفر من هذا الوقت على الخليفة المقتدر وأمور الخلافة استيلاء تاما حتى أن الخليفة أرسله للجهاد على حدود الروم ( ٣١١هـ ) خوفا منه ولابعاده عن بغداد ، لكن مؤنسا المظفر عاد الى دار الخلافة وقد زادت شوكته بعد انتصاراته على حدود الروم .

وفي عام ( ٣١٥ هـ ) أمر المقتدر مؤنسا ثانية أن يتجه الى الشام وحدود الروم فتذرع مؤنس بعدم وصول الأعطيات لجنده وامتنع عن وداع الخليفة وهاج جنده ، لكن المقتدر أرضاه بنحو من الأنحاء وسيره الى مأموريته واستراح مؤقتا من شره .

وفي ( ٣١٦ هـ ) دار نزاع وقتال شديد في بغداد ما بين هارون بن غريب القائد المعروف وابن خال المقتدر ورئيس شرطة بغداد ، وقتل هارون جمعا غفيرا من الشرطة ، وعلا أمره حتى أن الناس تصوروا أن الخليفة أصدر له مرسوما بتولى امانة الأمراء . فلما وصلت هذه الأنباء الى مؤنس وكان بالشام تحرك الى بغداد وصمم على فتحها بعون رئيس شرطتها وأبى الهيجاء بن حمدان . فأخرج المقتدر في البداية هارون بن غريب عن بغداد ، خوفا ، ووجهه الى الشام ثم حاول استرضاء مؤنس المظفر ، ولكنه وأبا الهيجاء لم يرضيا ، وفي ١٢ من المحرم عام ٣١٧ هـ دخلا بغداد وعزل المقتدر مرة أخرى من الخلافة وأصبح الابن الثاني للمعتضد أو أخو المقتدر خليفة بلقب القاهر بالله .

ولم يدم عزل المقتدر هذه المرة أكثر من يومين لأن الجند ثاروا على الفاتحين وقتل أبو الهيجاء ورئيس شرطة بغداد أعوان مؤنس ، وأعيد المقتدر مرة أخرى . وأبدى مؤنس وجهه الوفاق للثائرين ، ولهذا لم يصب بأذى . وبعد أن عاد المقتدر للخلافة عهد شرطة بغداد الى ابنى رائق سابق الذكر ( أبى بكر محمد بن رائق ) وأخيه ( أبى اسحق ابراهيم ) وبقيتا في مناصبيهما حتى ( ٣١٨ هـ ) . أما حكم الموصل فقد عهد به المقتدر بعد قتل أبى الهيجاء الى ابنه الحسن الذى لقب بعد بناصر الدولة وصار مؤسس أسرة آل حمدان .

وفي ( ٣١٩ هـ ) اصطدم مؤنس والخليفة ثانية لأن الخليفة نزع شرطة بغداد من ولدى رائق وأعطاهما لمحمد بن ياقوت الذى لم يكن على وفاق مع مؤنس . وعلى أثر تهديد مؤنس للخليفة ، عزله من الشرطة

وعزل أباه ياقوتاً من رئاسة الحجاب وأعطى العاملين لولدى رائق وأرسل ياقوتاً إلى فارس وكرمان وابنه المظفر إلى أصفهان ومحمداً — ابننا ثالثاً لياقوت — إلى سيستان ، وقد سبق ذكر حروب ياقوت وابنه المظفر مع مردآويج وأبناء بويه .

كان بلاط الخلافة في هذا العهد محل تأمر وفسائس عدد من الحاشية ورؤساء الجيش بعضهم ضد الآخر وزالت قوة الخليفة بل كان يعدم المال فلا يستطيع إدارة الأمور ولم يكن يجمع المال بغير الارتشاء من الوزراء إذا أرادوا الوزارة أو بتجريمهم أو مصادرتهم ومصادرة ولاية ولاياته بعون الأمراء وقواد الجيش الأقوياء الذين صار بأيديهم مجرد آلة .

وأعاد القاهر محمداً بن ياقوت كسابق عهده فأثار هذا خوف مؤنس وأبى على ابن مقلّة الوزير والخطاط المعروف وكانا عدوين لابن ياقوت فجعلوا الخليفة تحت ضغط منهما شديد لأنهما كانا يشكلان حزباً قوياً . وفي النهاية احتال القاهر بعون جماعة من الجند على مؤنس وأمسك به ثم قتله في ( ٣٢١ هـ ) وقتل معه جماعة من أصحابه وأعوانه وارتاح خاطره منه . لكن ابن مقلّة الذي كان قد تخفى وكان دائماً يحرك الجند من مخبئه ضد القاهر نجح في النهاية أن يعزل الخليفة بعون جنده بعد سنة وسبعة شهور من الحكم وعين ابن المقتدر في الخلافة بلقب الراضى بالله وقبض هو على زمام الوزارة .

أما أبناء رائق فقد ولاهم المقتدر في ( ٣١٩ هـ ) البصرة وما حولها وانشغلوا بتوسيع أملاكهم وجمع الأموال ، وامتدت حدود أملاكهم في عهد القاهر حتى الأهواز . وظلت إدارة أملاكهم بأيديهم حتى استولى أبو الحسن على بن بويه عليها في عهد الراضى الخليفة في ( ٣٢٢ هـ ) كما مر بنا . ولكن عندما تصالح أبو الحسن على مع الخليفة وعاد إلى فارس أعيد أبو بكر محمد بن رائق ثانية إلى ولايته السابقة فتحالف أبو بكر هذا مع ابن مقلّة الوزير عدو محمد بن ياقوت . وبعد هذا تمكن ابن

الوزارة مرة أخرى أنابهم في عملهم السابق .

وفي نفس هذه الأيام التي امتنع فيها ابن رائق عن إرسال الخراج إلى بغداد رفض أبو عبد الله البريدي أداء خراج الأهواز أيضا إلى الخليفة وظل هذا الحال باقيا حتى استولى ابن رائق على بغداد واحتاج إلى المال لاعطاء الجند أعطياتهم ولإدارة دفة الأمور فتحول إلى خراج الأهواز وسير بجكم رئيس جنده الأتراك لضرب البريدي . فاستخلص بجكم في ( ٣٣٥ هـ ) الأهواز من البريدي الذي هرب ملتجئا بأبي الحسن علي بن بويه .

#### فتح آل بويه للأهواز في ( ٣٣٦ هـ ) : —

أطعم البريدي — بعد وصوله إلى علي بن بويه — عليا في الاستيلاء على العراق العربي ، فوجه على أخاه الأصغر أبا الحسن أحمد الذي استولى على كرمان قبل عامين برفقة أبي عبد الله البريدي إلى فتح العراق . فتقدم بجكم من الأهواز إلى أرجان ( بهبهان الحالية ) لمنعهم لكنه لقي منهم الهزيمة فأخلى خوزستان وهرب إلى واسط ليستمد أبا بكر بن رائق . واستولى أبو الحسين أحمد بن بويه على خوزستان بأجمعها . أما البريدي الذي لم يكن له غرض غير السيطرة فسرعان ما فر من أمام أحمد بن بويه وتحالف مع بجكم واسترد الأهواز . فأنجد أبو الحسن على أخاه من فارس وأعاد أحمد بن بويه سيطرته إلى الأهواز وفر البريدي منهزما إلى البصرة .

وأنفذ أمير الأمراء أبو بكر بن رائق لطرده أحمد بن بويه رسولا إلى بجكم المقيم بواسط ودعاه إلى حرب ابن بويه وطعمه في حكم الأهواز . لكن بجكم رفض دعوته وأعلن ثورته فقد كان يفكر في السيطرة على بغداد وأخذ منصب ابن رائق . وتعاهد ابن رائق مع أبي عبد الله البريدي ووعده واسطا إذا طرد بجكم منها فقبل البريدي لطمعه وطلبه السيادة . لكن بجكم هزم البريدي بالقرب من البصرة بسهولة ،

مقلّة من حبس محمد بن ياقوت وظلّ حببسا حتى موته فزادت شوكه  
أبى بكر بن رائق وأصبح محط الأنظار •

وبعد أن قتل الغلمان الترك سيدهم مردآويج في أصفهان في  
( ٣٢٣هـ ) هربوا خوفا من الديلم فالتجأت جماعة منهم بأبى الحسن على  
ابن بويه بشيراز واتجهت جماعة أخرى برئاسة ( بجكم ) الى محمد بن  
رائق بالأهوا • وقد امتنع محمد بن رائق مستظفرا بهؤلاء الترك من  
أداء الخراج والمال الديوانى في ( ٣٢٤هـ ) الى الخليفة وأرسل اليه أن  
هذا المال يلزمه لنفقات جنده •

ولم يستطع الخليفة ووزيره أن يفعلوا شيئا مع ابن رائق وفي  
النهاية أقدم الراضى على ابعاد ابن مقلّة عن الوزارة حيث كان رجلا  
بلا كفاءة يتلاعب به الجند وكان يعيش في أزمت مالية لأن ولاية الأطراف  
كان يرفضون ارسال الخراج الى بغداد • وغير الراضى وزارته  
أكثر من مرة ولم يجد حيلة الا أن يستدعى أبا بكر بن رائق لأعمال  
الوزارة وزمام الأمور الأخرى • ودخل أبو بكر بن رائق بغداد بجيشه  
في ذى الحجة من عام ( ٣٢٤هـ ) ولقبه الخليفة بلقب ( أمير الأمراء ) •

واحدى الأسر المشهورة التى تدخلت في هذه الأيام في أمور  
الخلافة ونالت أهمية عظمى بسبب كفاءتها ومهارتها أسرة البريدى التى  
كانت ضامنة قبل هذا بفترات جمع أموال البصرة والأهواز • وقد بلغت  
هذه الأسرة ذروة مجدها أثناء وزارة ابن مقلّة للمقتدر والراضى •  
وقد استطاع أحد أفرادها وهو ( أبو عبد الله أحمد البريدى ) في عام  
( ٣١٦هـ ) أن ينيط نفسه بجمع خراج الأهواز بعد أن رشى الوزير  
بعشرين ألف دينار وتمكن هو وأخوان له من جمع أموال عظيمة بوسيلة  
القوة والتهور والمكر • ولم يتعرض لهم الخليفة القاهر بأذى رغم  
عدائه لابن مقلّة وأتباعه فلم يمد يده الى شىء من أموالهم وساعدهم  
في ذلك اختفائهم عن القاهر حتى انتهاء أمره • ولما عاد ابن مقلّة الى

ولكنه لما كان يفكر في الاستيلاء على بغداد والتغلب على ابن رائق  
اعتذر للبريدى وصالحه بشرط أن يترك له واسطا بعد أن يستولى على  
بغداد . وطبعى أن يقبل البريدى هذا المقترح فتحالف مع بجكم ضد  
ابن رائق .

### أوضاع بغداد حين فتحها أحمد بن بويه : —

كانت أوضاع دار الخلافة منقلبة كما مر ، واشتدت المنافسة  
والخصومة بين الخليفة الراضى وابن مقله الوزير وابن رائق أمير  
الأمراء عن ذى قبل ، خاصة وأن الوير وابن رائق كان يسمى كل منهما  
للتخلص من الآخر ولم يكن يزعوى عن أى وسيلة لقصر يده عن الأمور .  
وانتهى الأمر بابن مقله أن دعا سرا بجكم من واسط من ناحية وشمكير  
الزيارى من الرى من ناحية أخرى ليحلا محل ابن رائق ، وحرص  
الخليفة على القبض عليه ، ولكن الخليفة لم يكن يجرؤ على فعل ذلك  
لخوفه من ابن رائق . وتمكن ابن رائق من الامساك بابن مقله ، فبتر  
يده اليمنى ثم لسانه .

وفى نفس عام ( ٣٢٦ هـ ) استولى بجكم فى نهاية محاولاته على  
بغداد . وأجبر الخليفة على أن يعهد اليه بامارة الأمراء . فخرج ابن رائق  
عن بغداد — لكنه عاد اليها بعد قليل وتخفى فى مكان ما وظل به حتى  
تحين خروج الخليفة فى بداية ( ٣٢٧ هـ ) ومعه بجكم الى الموصل لحرب  
ناصر الدولة الحمدانى ، فظهر من مخبئه واستولى بعون أتباعه الذين  
جمعهم فى استتاره على بغداد . ولكنه لما كان يعلم أنه لن يستطيع  
مجابة الخليفة وبجكم اللذين غلبا فى الموصل ، أثر السلامة . وفى  
النهاية استقر الأمر على أن يتولى ابن رائق حكم الولايات التى على  
حدود الروم فى القسم الأعلى للفرات فقبل وأحمد غائلته .

ولما ابتعد ابن رائق ترك بجكم واسطا الى أبى عبد الله البريدى  
كما وعده وأوزره للخليفة وأصر اليه . وكان غرض الاثنين من هذه

القريبى والاتحاد هو أن يطبقا على بلاد أولاد بويه من التاحيتين وينتزعا منهم خوزستان وعراق العجم . ولهذا فقد أغار بجكم فى ( ٥٣٢٨ هـ ) على حلوان وكرمانشاه . وكان البريدى يريد الهجوم على الأهواز ، لكن سرعان ما اصطدم الاثنان ، كما غلب جند بجكم أيضا فى كرمانشاه . فأسقط بجكم البريدى من الوزارة واستعاد منه واسطا . وفر البريدى الى البصرة لينتظر الفرصة التى ينتقم فيها من صهره . وفى السنة التالية حرك جيشه من البصرة الى واسط وتقدم بجكم لمواجهة ، لكن أمير الأمراء أثناء المناوشات قتله كردى بينما كان يصيد ولحق جزء من جنده بالبريدى الذى تمكن من الاستيلاء على واسط وبغداد ببسر والوزارة أيضا . ولما كان قد أطمع الجند فى المال الوفير ولم يستطع أن يوفى بعهده لم يجد غير الهروب الى واسط ، فلختر اتباع بجكم والبريدى أحد رؤسائهم وهو ( كورتكين ) ونصبوه أميرا للأمراء . واغتنم ابن رائق هذا الوضع فأتى من الشام الى بغداد واستخلص منصبه الذى فقده وألقى بكورتكين فى الحبس ، ولما كان ابن رائق يخشى مكائد البريدى طلب اليه أن يأتى بغداد ليستوزره . ورفض البريدى وأرسل أخاه بجيش عظيم الى بغداد واستولى عليها فى منتصف جمادى الآخرة من عام ( ٥٣٣٠ هـ ) واحتفى ابن رائق والخليفة المتقى بناصر الدولة الحمدانى .

وتحرك ناصر الدولة مع المتقى وابن رائق صوب بغداد ليطرد عنها أخوة البريدى ، ولكن فى الطريق اتفق أن سقط ابن رائق عن جواده فأمر ناصر الدولة بقتله وأفهم الخليفة أنه ما أقدم على قتله لولا أنه كان يعلم أنه كان يتآمر عليه . فشكر المتقى الى الامير الحمدانى وأعطاه اماراة الأمراء ولقبه — فى هذا الوقت فقط — بالقب ناصر الدولة ، ولقب أخاه عليا بسيف الدولة .

ولم يترك أخوة البريدى أثناء توليهم لبغداد ظلما أو اجصافا الا وألحقوه بالناس فلما سمعوا باقتراب ناصر الدولة والخليفة الى

بغداد تركوها هاربين ، ثم طردهم سيف الدولة عن العراق حتى حدود البصرة . وأراد سيف الدولة أن يضم البصرة فثار عليه جنده الأتراك وأجبروه على الفرار ثم استولوا على بغداد تماما وأصبح رئيسهم توزون أمير الأمراء .

وفي عام ( ٣٣٣ هـ ) حينما اتجه توزون والمقتى صوب الموصل ، دعا اخوة البريدي أحمد ابن بويه ليأخذ العراق . فهاجمه أحمد عن طريق الديلم ، ولم يف اخوة البريدي بوعودهم نصرته ، فغلبه توزون بعد أن عاد من الموصل . ولما مات أبو عبد الله البريدي في نفس تلك السنة بعد قتل أخيه وخضعت شوكتهم زادت قوة توزون زيادة عظيمة حتى أن المقتى احتسب بناصر الدولة بالموصل خوفا منه . لكن توزون أعاده الى بغداد بعد أن أقسم اليه بالأمان والصلح . وبعد ذا بيوم سمل عينيه وأجلس المستكفي مكانه .

### فتح أحمد بن بويه لبغداد والعراق في ( ٣٣٦ — ٥٧ )

مات توزون بعد سنتين وأربعة أشهر من امارته في المحرم ( ٣٣٤ هـ ) وصارت أوضاع دار الخلافة في زمن خليفته نهب الهرج والمرج . وفي هذا الوقت كان أبو الحسين أحمد بن بويه بالأهواز فدخل والى واسط تحت طاعته وأطمعه في ملك العراق . واستولى أحمد بن بويه وبرفقته كاتبه الشهير أبو محمد حسن بن محمد المهلبى في الحادى عشر من جمادى الاولى من عام ( ٣٣٤ هـ ) على بغداد بدون قتال وأبدى احترامه للخليفة . فخلع عليه المستكفى ولقبه بلقب ( معز الدولة ) ثم لقب أخاه أبا الحسن على عماد الدولة وأخاه أبا على حسن بركن الدولة .

ومن هذا الوقت أيضا صار الخلفاء العباسيون طوع أمر الحكام من آل بويه تماما ولم يكن الديالة بسبب تشيعهم يبدون لهم احتراماً بل كانوا يعاملونهم بالشدة والاهانة حتى أن اثنين من رؤسائهم جروا



المستكفي من قصره بعمامة في عنقه حتى مقام معز الدولة بعد استيلائه على بغداد بشهر ونصف الشهر تقريبا ، وأزالوه عن الخلافة ثم ألقوا به في الحبس ثم أعموا عينيه وأجلسوا المطيع لله أو المطيع لمعز الدولة في الحقيقة اطاعة تامة حتى أنه لم يسمح له أن يختار له وزيرا . ولم يترك له من كافة أملاكه الا ما يعيشه بالكفاف .

كان معز الدولة يقصد أن يزيل الخلافة العباسية ويباع أحد العلويين ولكن بعض الناصحين أفهمه أن هذا الأمر ليس بالصالح وقالوا له أن بنى العباس لأنهم غصبوا الخلافة كما يعتقد الشيعة فبإمكان الديلم أن يفعلوا بهم كل ما يريدون من عزل وقتل ، وليس هكذا الحال مع العلويين لأنهم أصحاب الحق الوحيدون في الخلافة ، فلا يمكن أن يعاملوهم معاملة العباسيين (١) .

وفي أواخر ( ٤٣٤ هـ ) اشتعلت الحرب بين معز الدولة الديلمي وناصر الدولة الحمداني . ومع أن الغلبة كانت لناصر الدولة في البداية حتى أن جنده استولوا على قسم من بغداد لكن معز الدولة غلبه بالخدعة ففر الى الموصل ، ثم تصالح في الحزم من ( ٤٣٥ هـ ) مع الأمير الديلمي وأرسل اليه الخراج الذي كان قد منعه وتعهده له بأن يدفع الخراج أيضا كل عام .

( ١ ) لو صدق هذا الرأي ، فمعناه سوء نية البويهيين من البداية للسلين ونقصهم بهم الرعاية دون الخلفاء عباسيين كانوا أو علويين لأنهم يريدون أولا وأخيرا التحكم والجبروت والطغيان . ولكن الواقع أن البويهيين ماكانوا يفكرون في انحاء أنفسهم وتولية العلويين وجعل أنفسهم المحكومين لا الحكام والا لبايعوا العلويين حقا ، لأنهم كانوا أولا وقبل كل شيء مثلهم مثل سائر حكام ايران العلويين مغالين لجنسهم الايراني واجدين على العرب والاسلام حائقين على من يحكم من دولتهم يقتسرون لبلوغ الحكم بالتشريع ويوجب ابلاغ الحق لأهله وهم يكرهون العرب جميعا سنة أو شيعة ، وليس ما فعله أبو الحسين أحمد بن الناصر الكبير وأخوه أبو القاسم وما كان بن كاكي وأسفار بن شبرويه الديلمية بالداعي العلوى الحسنى الصغير من معاداة وقتل ببعيد ، راجع أحداث هذا العلوى القتل .

وفي عام ( ٣٣٦ هـ ) انتزع معز الدولة البصرة من أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدي ، ثم رحل من البصرة الى خوزستان للملاقاة أخيه عماد الدولة والتقى به في ( أرجان ) وقبل الأرض بين يديه ، فأعاده عماد الدولة الى بغداد بحب كبير .

وفي عام ( ٣٣٧ هـ ) هاجم معز الدولة الموصل ، ولم يثبت ناصر الدولة وفر الى نصيبين وسقطت الموصل في يد الديالة ، ولكن معز الدولة لما سمع أن وشمكير ومنصور بن قراتكين وجيش خراسان يقصدون أخاه ركن الدولة صالح ناصر الدولة مرغما وعاد الى بغداد ليمد أخاه .

سيطر معز الدولة على بغداد والعراق سيطرة تامة مدة تقارب الاثني عشرين عاما من عام ( ٣٣٤ هـ ) الذي استولى فيه على بغداد حتى عام ( ٣٥٦ هـ ) حين توفي . وغزا في هذه المدة مرات كثيرة أطراف العراق العربي من حدود آذربايجان والجزيرة حتى سواحل انخليج الفارسي وعمان ، وانتصر في أغلب معاركه . ومن بين هذه ، في نفس عام ( ٣٣٧ هـ ) حين وقع أخوه ركن الدولة في خطر عظيم لاحد اق أعدائه الكثيرين به ، أرسل نجدة لأخيه كما أنجده أخوه عماد الدولة من فارس . وكان أعداء ركن الدولة ، كما مر ، هم وشمكير بن زيار ومنصور بن قراتكين قائد السامانيين في خراسان وأحد رؤساء الديالة هو ( مرزبان ابن محمد بن مسافر ) . وآل مسافر أسرة أخرى من الديالة استولت من أواخر القرن الثالث الهجري على مناطق شمال غرب قزوین وطارم زنجان واتصلوا بالديالة الجستانیين ومحمد بن مسافر أول من نال شهرة منهم إذ أنه عاصر أسفارا ومردوآيج وتمكن مردوآيج بمعون منه القضاء على أمر أسفار في ٣١٦ هـ .

وساء ظن محمد بن مسافر بابنيه ( مرزبان ) و ( وهسودان ) وكان رجلا فظا جقوقا فرغب أن يتخلص من ابنيه هذين ، لكنهما علما بمؤامرة أبيهما فحبسوا في قلعة في عام ٣٣٠ واستطاع مرزبان أن يستخلص آذربايجان في نفس العام وغزا منها حتى أرمينية .

وفي عام ( ٨٣٣٧ هـ ) أهدقت الصعوبات بركن الدولة الديلمي فطمع مرزبان بن مسافر في الري ولما كان معز الدولة قد أوهن من شأن رسوله أيضا ، تحالف مع ناصر الدولة ووعداه الأمير الحمداني بعون ، لكن مرزبان لم يحقق تكليفه له بهجوم بغداد واتجه قاصدا الري . ولما وقف ركن الدولة على أحوال آل زيار أنفذ أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق الطوسي الذي كان محتشيا به في هذا الوقت الى دفع مرزبان فأنزل هو والحسن بن فيروزان ومحمد بن ماکان بمرزبان هزيمة فاحشة واستصفى أبو منصور آذربايجان من يده ويد أبيه محمد بن مسافر وأخيه وهسودان ومكث فيها عاما .

أما معز الدولة فقد دخل في حرب مرتين من أجل الخراج الذي كان ناصر الدولة قرر أن يدفعه اليه سنويا وامتنع عن أدائه ، احداها سنة ٣٤٧ والأخرى ٣٥٣ ، ودخل معز الدولة الموصل في المرتين واستسلم له الأمراء الحمدانيون .

ومن أهم فتوحات معز الدولة فتح عمان سنة ( ٨٣٥٥ هـ ) التي استولى عليها بممد من ابن أخيه عضد الدولة وضمها الى ممتلكات آل بويه وسوف نشير بعد الى هذه الواقعة .

وأثناء إمارة معز الدولة على العراق العربي انتشر المذهب الشيعي في بغداد والعراق انتشارا تاما وخرج الشيعة فيها من شدائدهم السابقة لاسيما وأن معز الدولة وفرقته كانوا لا يألون جهدا في ترويع شعائر هذا المذهب الى حد أن الأمير الديلمي أمر في سنة ( ٨٣٥١ هـ ) أن يكتب على أبواب مساجد بغداد لعن معاوية وغاصبي حق آل على وحث الناس على أن يقوموا في العاشر من المحرم بتعزية شهداء كربلاء . ولم يجروا الخليفة العباسي ولا حاشيته من السنة بسبب تغلب معز الدولة وكثرة الشيعة أن يعادى هذه الاجراءات . ووزير معز الدولة هو « أبو محمد المهلبى » من الفضلاء وذوى الفتوة ومحبة الأدب ،

و ( أبو الفرج الأصفهاني ) صاحب كتاب الأغاني المشهور ممن كان يعتنى بهم ويربهم \* وقد وافت معز الدولة المخية في الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ( ٣٥٦ هـ ) وورث ملكه ابنه « بختيار » الذي لقب بمعز الدولة \* .

#### موت عماد الدولة وامارة عضد الدولة في ٣٣٨ هـ : —

كان الموت أسبق الى أبي الحسن على عماد الدولة من بقية أولاد بويه ولما لم يعقب وكان يقيم في شيراز فقد أوصى في مرض موته أخاه ركن الدولة أن يمسير ابنه ( بناء خسرو ) الى فارس حتى يرثه بعد موته \* ولما مات عماد الدولة في جمادى الآخرة سنة ( ٣٣٨ هـ ) تملك بناء خسرو ابن ركن الدولة ملك معه في فارس والسواحل والجزاير التابعة لها ملقباً بـعضد الدولة \* .

وبسبب أن عماد الدولة كان أرشد أبناء بويه فكان بالنسبة لأخويه الآخرين بصفة الرئيس وأمير الأمراء وكان يتطامن اليه ركن الدولة ومعز الدولة بكل التجلة والاحترام ، وكان حال وفاقهم هذا واتحادهم هو سبب فتحهم تلك البلاد وتكوينهم ذلك الملك العظيم \* .

ولما مات عماد الدولة انتهت الرئاسة وامارة الأمراء البويهية الى ركن الدولة الذي أخلص النية وأخوه معز الدولة الذي كان نائباً عن أمير الأمراء للأسرة البويهية في بغداد والعراق لكي يقرأ عضد الدولة في فارس ويسبقاً مخالفي تنصيب عضد لدولة لصغر سنه وكان لا يتعدى الثالثة عشرة فبعث معز الدولة وزيره بجند الى شيراز وشخص ركن الدولة بنفسه اليها من الري ومكث في فارس ما يقرب من تسعة شهور ولم يعد الى الري الا بعد أن اطمأن على سلطنة ابنه \* .

#### تقسيم ممتلكات آل بويه : —

مات عماد الدولة من بين أبناء بويه الثلاثة كما ذكرنا عام ( ٣٣٨ هـ ) وخلفه ابن أخيه عضد الدولة ابن ركن الدولة \* ومات معز الدولة أيضاً

سنة ( ٣٥٦ هـ ) ووخلفه ابنه عز الدولة بختيار ، وظل ركن الدولة الأخ الأوسط حيا حتى ( ٣٦٦ هـ ) وقد نشبت بينه وبين أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور قائد جيش خراسان من طرف الأمير نوح الساماني خصومة شديدة حتى المحرم من سنة ( ٣٥٧ هـ ) حين توفي وشمكير الزيارى بغتة كما مر شرحه في الفصل السابق . وقد جعل ذلك أبا الحسن السيمجوري يحترز حرب ركن الدولة وان بقيت الخصومة بين ركن الدولة والأمير نوح الساماني حتى عام ( ٣٦١ هـ ) . وفي هذا التاريخ حدث أبو الحسن السيمجوري الأمير نوحا على مصالحة ركن الدولة ، فاستقر الأمر على أن يؤدي الأمير الديلمي وابنه عضد الدولة مائة وخمسين ألف دينار سنويا للسامانيين فلا يتعرضون الى السرى وكرمان من متصرفات آل بويه . وتزوج نوح ابنة عضد الدولة وقد ظل هذا الاتفاق يحترمه ويرعاه الجانبان حتى أن مات ركن الدولة وبهستون سنة ( ٣٦٦ هـ ) .

وأخر وقائع فترة اماره ركن الدولة الهامة ، وقد حكم أربعاً وأربعين سنة ، هي مقاتلته لحسنويه الكردي ( ٣٥٩ هـ ) . وقد كان حسنويه بن حسين من رؤساء قبائل الأكراد ، وقد بلغ قسوة في بلاد الأكراد في حدود ( ٣٤٨ هـ ) الى حد أنه كان يملك حتى حدود الدينور وهمدان ونهاوند ، وقد أفاد من انشغال ركن الدولة في صراعه مع وشمكير وقواد جيش خراسان ، ولما كان حسنويه يمد ركن الدولة بجند من قبله ، فكان الأمير الديلمي يغض الطرف عن محاربته الا أنه في ( ٣٥٩ هـ ) كثرت شكاوى اعتداءات حسنويه اليه مما جعله يسير وزيره الشهير أبا الفضل محمدا بن الحسين أو ابن العميد المنشئ البليغ المعروف بجيش لدفع حسنويه ، وقد رافق ابن العميد في هذا السفر ابنه أبو الفتح على . ومات ابن العميد بالنقرس في وصوله لهمدان فخلفه ابنه أبو الفتح . وطلب حسنويه الصلح اشفاقا فاكنتى أبو الفتح بأخذ مال منه وآب الى الري حيث ركن الدولة فأقره في وزارته ولقبه

بغى الكفائتين في حين أنه لم يتجاوز الاثنين والعشرين سنة •

ومرض ركن الدولة في أواخر ( ٥٣٦٥ هـ ) وقد ناهز السبعين فتحرك من الرى لاصرار أبى الفتح ذى الكفائتين الى أصفهان ليلقى ابنه الأرشد عضد الدولة ويعلم خلافته له رسماً ، لانه لم يك راضياً على ابنه من فترة. نسبت ولم يحل الصفاء بينهما بسبب مهاجمة الابن لبغداد وفزاعه مع عز الدولة بختيار كما سيأتى • وقد توسل عضد الدولة بأبى الفتح الوزير لكى يسمح لقاء بينه وبين أبيه فيرضيه عليه حتى لا يحرمه غضبه من خلافته وهو ابنه الأكبر ، ففصل أبو الفتح هذا الأمر كما يجب ، اذ جمع ركن الدولة وأبناءه الثلاثة وقواد الجيش الديلمى في ضيافة كبيرة في أصفهان وأعلن ركن الدولة في هذا المجلس رسماً أن أبا شجاع بنأه خسرو عضد الدولة ولى عهده ووارث ملكه وجعل همدان والرى وقزوین وما جاورها لابنه الثانى أبى الحسن على فخر الدولة ، وأصفهان لابنه الثالث أبى منصور بويه مؤيد الدولة وأوصاهما ألا يعصيا أمر أخيهما الأكبر وألا يتخلوا عن الاتفاق والاتحاد اللذين كانا مستتبين بين أبيهم وأخوته وكانا سبب ارتقائهم وعلو أمرهم • وبعد ذلك عاد ركن الدولة الى الرى وفاضت نفسه في المحرم ( ٥٣٣٦ هـ ) بها •

ومع أن ركن الدولة أوصى أولاده بالوحدة بعد أن ترك جميع ولايات البويهيين تحت إمرة عضد الدولة الا عقد انتظام هذه الولايات انفرط من بعد موته بسبب الخلافات التى نشبت بين أولاده من جهة وللصراع الذى قام بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة وكان قد بدأ قبل موت ركن الدولة وانتهى الأمر الى أن تتفكك ممتلكات أولاد بويه الى أقسام رئيسية كبيرة ، وصار هذا الانقسام نفسه مقدمة لظهور سلسلة من الحروب الداخلية بين أبناء ركن الدولة ومعز الدولة وأولادهم أدت في النهاية الى ضعف أسرهم ووهنها وهيات أسباب انقراضها السريع •

## ١ - ديلملة فارس (٢٣٨ - ٤٤٧ هـ)

أول أمراء الديلملة في فارس في حقيقة الأمر هو عماد الدولة أبو الحسن على الذي ذكرنا فيما سبق بالتفصيل استيلاءه على هذا الإقليم في حدود ( ٤٣٢٠ هـ ) وفترة إمارته التي بلغت إحدى عشرة سنة ، ولما أن عماد الدولة الذي كان في أيام حياته أمير أمراء الديلملة وصاحب الرئاسة والقيادة على أخويه الآخرين قد حرم من الأبناء الذكور فقد طلب الابن الأكبر لأخيه ركن الدولة وهو عضد الدولة إلى فارس وولاه عهده ، وصار عضد الدولة من بعد وفاة عمه أميراً لفارس وسواحلها وموانئها ( ٤٣٣٨ هـ ) واستقر على عرشها تحت رئاسة أبيه ركن الدولة وطاعة عمه معز الدولة .

### ١ - عضد الدولة بن ركن الدولة

( ٢٣٨ - ٣٧٢ هـ )

أول واقعة هامة لامارة عضد الدولة هي غزوة لعمان في عام ٤٣٥٥ هـ بمعون عمه معز الدولة الذي كان أدخلها في العام السابق له تحت بيعته بدون حرب ، بيد أن فريقاً من أناسها ثار على عامل معز الدولة وطرده منها فسير معز الدولة في السنة التالية وزيده من البصرة إلى عمان فجمع هذا الجند الذي أرسلهم عضد الدولة سابقاً إلى ميناء سيراف ( الطاهري حالياً ) ودخل بهم عمان وأخمد ثورتها وأدخلها مرة أخرى في طاعة آل بويه . واستمرت عمان تحت طاعة معز الدولة حتى ( ٤٣٥٦ هـ ) حين توفي ، وقد خشى وزيره أن يستوزر عز الدولة واحداً غيره فترك عمان تحت تصرف عمال عضد الدولة وكر راجعاً إلى بغداد وصارت عمان من يومئذ من أملاك عضد الدولة وديلملة فارس وكرمان . وقد عاود عضد الدولة غزو هذه الناحية في ( ٤٣٦٣ هـ ) أثر ثورة نشبت بها وأبقى سيطرته عليها .

استولى أيضا عضد الدولة على كرمان التي كان عمه معز الدولة قد فتحها ولكن أبا على محمدا ابن اليباس وأبشاه كانوا لا يزالون يحكمونها مدعين تحول حكمها اليهم ، فأزال عضد الدولة آل اليباس تماما منها وأتاب عنه فيها ديلميا اسمه ( كوركير بن جستار ) وسيطر له هذا الأخير على هرمز ومكران أيضا ومد نفوذ عضد الدولة حتى حدود السند .

وسيطر عضد الدولة كذلك على عراق العرب وبغداد في ( ٣٦٤هـ ) كما سنرى عند تأريخ أحداث عز الدولة الذي استأسره الأول . ولما سمع أبوه ركن الدولة بهذا الخبر ألقي بنفسه من على عرشه لشدة حنقه وأسفه وظل أياما لا يأكل ولا يشرب وركبه شديد المرض وشيع لعنه على عضد الدولة وصمم أن يزيله من العراق اذا دخله بعون عز الدولة فارتعب عضد الدولة خاصة أن أكثر الناس تحول عنه لتغير والده عنه وعصاه قسم من الولايات ، فتوسل عضد الدولة بوزير أبيه أبى الفتح ذى الكفایتين كما سبق القول وقدم بتوسط منه اقتراحات لدى أبيه كان فيها جانب التهديد والطمع في أبيه مما زاد الأب غضبا . وفي النهاية لم يجد عضد الدولة فوتا من أن يطلق سراح عز الدولة ويعيده الى فارس فعاد الى مقامه الأول مرة أخرى . وقد عفا ركن الدولة كما رأينا عن ابنه بتدبير أبى الفتح الوزير وجعله قبل موته ولى عهده وخليفته وأصبح عضد الدولة من عام ( ٣٦٦هـ ) أمير أمراء جميع الديالة .

وبعد عام واحد من موت ركن الدولة هاجم عضد الدولة بغداد مرة أخرى وهرب عز الدولة من أمامه الى الشام فخطب لعضد الدولة في بغداد وتقدم يتعقب ابن عمه الذي التجأ الى آل حمدان وفي تكريت في ١٨ شوال ( ٣٦٧هـ ) هزم عز الدولة وابن ناصر الدولة الحمداني . وفي البداية أسر عز الدولة وقتله ثم أدخل بلاد الحمدانيين في ملكه واستولى على ديار بكر والمنطقة بأعلى الفرات ومد حدود دولته حتى حدود الشام وعمت شهرة قدرته واقتداره على جميع البلاد الاسلامية .



وفي عام ( ٨٣٦٩ ) تحرك عضد الدولة قاصدا أخاه فخر الدولة الذي كان يحكم على همدان والري من قبل والده متذعرا بأن فخر الدولة قد انحاز الى عز الدولة في صراعه معه بهدف أن يعاونه اذا حارب أخاه . وخشى فخر الدولة أن يجرى له ما جرى لعز الدولة فترك همدان وهرب لاجئا الى قابوس بن وشمكير فضم عضد الدولة همدان والري وجمعها لأخيه الآخر مؤيد الدولة نائبا عنه ، ثم ألحق بهما ولايات حسنويه الكردي الذي كان معين فخر الدولة وجعل أحد أبنائه ويسمى بدرا حاكما من لدنه عليها . وفي عام ( ٨٣٧١ ) هاجم عضد الدولة جرجان لأن قابوس رفض تسليم فخر الدولة فاستولى عليها وفر قابوس ومعه فخر الدولة الى خراسان وقد مضى ذلك في تاريخ قابوس .

#### وفاة عضد الدولة في ( ٨٣٧٢ ) :

ومات عضد الدولة في شوال من عام ( ٨٣٧٢ ) في سن السابعة والأربعين بمرض الصرع ودفن في النجف بجوار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت مدة أمارته على بغداد من تاريخ قتل عز الدولة بختيار خمسة أعوام ونصف عام .

ومع أن عضد الدولة لم يكن في حسن سيرته وصفاء أخلاقه مثل أبيه وأعمامه الا أنه بسبب فتوحاته وبذله وعطائه وصلاته للشعراء واحترامه لأهل الفضل والأبنية التي شيدها قد عد أشهر ملك في الأسرة البويهية ، وقد لقبه الخليفة بلقب ( ملك ) الذي كان يقال بالفارسية في ذلك الزمان ( شهنشاه ) ( ١ ) ومدحه بضعة نفر من كبار الشعراء العرب من بينهم أبو الطيب محمد بن الحسين المتنبى بقصائد غراء ، وتجمع علماء كبار من مثل أبي علي الفارسي من مشاهير علماء النجوم وعبد الرحمن الصوفي الرازي من كبار علماء الهيئة وعلي بن

---

( ١ ) اصل الكلمة ( شاهان شاه ) أي ملك الملوك فخفضت الى صورتها

عباس المجوسى من أجلة الاطباء فى بلاطه وكان عضد الدولة يفخر  
 يتلمذته اليهم \* وخلف عضد الدولة فى العراق وفارس أبنية كثيرة  
 ذكرى عنه من بينها كثير من عمائر بغداد كانت قد خربت فعمرها وبني  
 على مشاهد شهداء كربلاء وقبر على بن أبى طالب قبابا وأبنية ، وأقام  
 فى بغداد وشيراز المستشفى العضى وصهاريج الماء وشيد السد  
 المعروف بـ ( بندامير ) على نهر ( كر ) لرى سهوب ( كربال ) فيما وراء  
 أصطخر فارس \*

## ٢ - شرف الدولة

( ٣٧٢ - ٣٧٩ هـ )

ولما مات عضد الدولة أجلس الأمراء وقواد الجيش ابنه أبا كاليبجار  
 مزربان بلقب صمصام الدولة مكانه \* ووجه صمصام الدولة أخويه أبا  
 الحسين أحمد وأبا طاهر فيروز شاه الى فارس لى يحفظا مملكة أبيهم  
 الأصلية وعاصمته من سيطرة أخ لهم ثالث هو أبو الفوارس شيرذيل (١)  
 الذى كان يحكم فى كرمان بلقب شرف الدولة ، ولكن قبل أن يصل إلى  
 فارس كان شرف الدولة قد دخل شيراز وجلس مكان أبيه وأسقط اسم  
 أخيه من الخطبة ثم تحكم فى البصرة وأتاب أبا الحسين أحمد فى حكمها  
 من طرفه \* وحين دفع صمصام الدولة بجيشه لطرده من شيراز ألحق  
 شرف الدولة الهزيمة بجند أخيه واستقر فى المنطقة الأصلية لعضد الدولة \*  
 وبعد وفاة عضد الدولة بنحو عام مات أخوه مؤيد الدولة أيضا  
 فى الرى ، فدعا وزيره صاحب اسماعيل بن عباد كما سيلي فخر الدولة  
 الذى كان يعيش فى خراسان هائما على وجهه الى الرى وأجلسه مكان  
 أخيه ، فحرك صمصام الدولة الخليفة على أن يرسل الخلع الى فخر  
 الدولة وفعل مثل ذلك مع عمه وضمه الى صفه بهذا الترتيب وكسب عونه \*  
 وفى عهد إمارة شرف الدولة زلزل أبناء عضد الدولة الخمسة أساس

---

( ١. ) شيرذيل النطق الديلمى لكلمة ( شيردل ) أى صاحب القلب  
 الجرىء أو الاسدى القلب ( سياى ) \*

وحدة دولة آل بويه الأتانية وطلب العلو والنفاس ، ولم يكن لفخر الدولة عمهم تلك القدرة ولا الكلمة النافذة التي تمنع اختلافات الأسرة الناشئة أو تحفظ الوحدة اللازمة ، ولهذا السبب كان يحكم كل منهم ناحية من ممتلكات عضد الدولة في خصام للآخرين ولا يروم غير أن يقضى على أخيه .

وفي ( ٣٧٤ هـ ) خطب أبو الحسين أحمد في الأهواز وأبو طاهر فيروزشاه في البصرة لفخر الدولة وضربا العملة باسمه ولم يلتفتا إلى واحد من أخويه الآخرين شرف الدولة ومصصام الدولة ، ودخلت عمان التي كانت جزءا من فارس في حقيقتها وبعضا من ممتلكات شرف الدولة في طاعة مصصام الدولة .

وفي السنة التالية ثارت جماعة من الجند ورؤساء الديالة في بغداد على مصصام الدولة ، وأعلنوا بيعتهم لشرف الدولة وأرادوا أن يجلسوا الابن الخامس لعضد الدولة وهو أبو النصر بهاء الدولة الذي لم يكن يتعدى الخامسة عشرة من عمره في نيابة شرف الدولة في بغداد مكان مصصام الدولة ، لكن الأخير كان أسبق فأفنى رؤساء الثوار وألقى ببهاء الدولة في الحبس .

وفي عام ( ٣٧٥ هـ ) زحف شرف الدولة بحجة تخليص بهاء الدولة من الحبس ناحية العراق واستخلص الأهواز من أبي الحسين أحمد وفر إلى الري لعمه فخر الدولة . وتلقاه فخر الدولة باكرام أولا ، لكنه أودعه محبسه عندما رأى فيه عزمه على الاستيلاء على أصفهان والثورة عليه ثم أمر بقتله وقت احتضاره .

وبعد أن تملك شرف الدولة الأهواز ألحق بها البصرة أيضا وقبض على أخيه أبي طاهر فيروزشاه ، فلم ير مصصام الدولة مهربا من مصالحة أخيه ، واستقر الاخوان على أن يخلص مصصام الدولة أخاه بهاء الدولة وأن يقدم شرف الدولة عليه ويدخل تحت طاعته على

أن ينوب عنه في بغداد ويخطب باسم شرف الدولة .

ولم يدم هذا الصلح أكثر من عام إذ أن — في (٣٧٦هـ) — شرف الدولة الذي لم يكن يفكر إلا في الاستيلاء على بغداد تقدم بجيشه من الأهواز إلى واسط متذرعاً بتخليص بهاء الدولة من قبضة صمصام الدولة ولم يكن قد أطلق سراحه حتى ذاك الوقت . فسير صمصام الدولة إليه أخاه بهاء الدولة خوفاً ولما رأى اختلاف قواده الديالة والترك في أمر الهجوم أو الدفاع اختلافاً تاماً رأى صلاحه في أن يذهب بنفسه إلى أخيه ويسلم له . ودخل شرف الدولة بغداد وطرح صمصام الدولة في السجن بعد حكم ثلاثة أعوام وأحد عشر شهراً وجلس مكان أبيه وعز الدولة ومعز الدولة .

ومن وقائع حكم شرف الدولة الهامة قتال جنده لبدر بن حسنويه الكردي في (٣٧٧هـ) في كرمانشاه وهزيمتهم منه هزيمة انتهت إلى سيطرة بدر على الجزء الأكبر للعراق العجمي الغربي .

ومات شرف الدولة في غرة جمادى الأولى (٣٧٩هـ) بعد حكم العراق عامين وثمانية أشهر ، لكنه أمر قبل موته بسمل عيني صمصام الدولة وكان محبوباً في أحد قلاع فارس ، وتأمّر أخوه الأصغر بهاء الدولة على العراق بعد وفاته .

### ٣ — بهاء الدولة

(٣٧٩ — ٤٠٣هـ)

أرسل شرف الدولة في مرض موته ابنه الأمير أبا علي إلى فارس لكنه قبل أن يصل شيراز ذاع خبر وفاته فأطلق حراس القلعة التي حبس فيها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر فيروزشاه سراحهما والنف جمع كبير من الديالة حول صمصام الدولة ولما وافى الأمير أبو علي شيراز حدثت حرب بين أتباعه وأصحاب صمصام الدولة وبقي

هذا الحال مدة حتى استدعى بهاء الدولة أبا على لحمايته فلما رحل ليلاقيه ، أبدى بهاء الدولة احتراما له في بداية الأمر لكنه قبض عليه بعد قليل وقتله وصمم على الاستيلاء على فارس .

وفي ( ٣٨٠ هـ ) فتح بهاء الدولة خوزستان وألحق بجند صمصام الدولة الذين بقوا مستقلين في فارس وخوزستان بعد موت أخيه أبي طاهر هزيمة . وفي النهاية تصالح صمصام الدولة مع بهاء الدولة واستقر الأمر على أن تكون فارس وبهبهان لصمصام وخوزستان والعراق العربي لبهاء الدولة ، وعاد الأخير إلى بغداد بهذا الشرط .

وفي أوائل أيام إمارة بهاء الدولة خرجت الموصل وبلاد آل حمدان عن يد عمال آل بويه ( ٣٧٩ هـ ) من ناحية ، وأخرج الأمير خلف بن أحمد الصفاري كرمان من قبضتهم ( ٣٨١ هـ ) من ناحية أخرى ، ولكن بهاء الدولة استعاد الموصل ( ٣٨٢ هـ ) ثم أعاد سيطرته إلى كرمان هي الأخرى . ( ٣٩٠ هـ ) .

وفي ( ٣٨٢ هـ ) استنصر صمصام الدولة خوزستان من يد بهاء الدولة ولم يستطع هذا الأخير بسبب ضعف جنده وعجزه المالي أن يدفع أخاء عنها وظلت خوزستان في يد عمال أخيه سنتين حتى استردها بهاء الدولة ( ٣٨٤ هـ ) ثم تلقفها منه أخوه صمصام الدولة في السنة التالية وتقدم هذه المرة حتى البصرة وضمها له . وظلت هذه المناطق محل نزاع دائم بين الأخوين إلى أن قتل صمصام الدولة في ( ٣٨٨ هـ ) بيد أحد أبناء عز الدولة بختيار وكان هذا انتقاما لمقتل عز الدولة بيد عضد الدولة أبي صمصام . واغتنم بهاء الدولة هذه الفرصة فاستغلص فارس وخوزستان من أيدي أبناء بختيار وخصوم آخرين وهكذا عادت فارس وخوزستان والعراق تحت إمارة أمير واحد .

ومات بهاء الدولة في ( ٤٠٣ هـ ) بعد حكم أربع وعشرين سنة بنفس مرض أبيه وهو الصرع في ( أرجان ) وحمل نعشه إلى النجف ودفن بجوار أبيه .

## ٤ - سلطان الدولة

(٤٠٣ - ٤١٥ هـ)

بعد موت بهاء الدولة خلفه ابنه أبو شجاع سلطان الدولة في بغداد وفارس وترك البصرة الى ابن أخيه أبي هلال جلال الدولة وكرمان لاخ له آخر هو أبو الفوارس الذي تلقب بعد بقوام الدولة . وقد ساد بين الأخوة صفاء ظاهري بضع سنين الى حين أن ثار أبو الفوارس في (٤٠٧ هـ) بايعاز جماعة من كبار الديلم على سلطان الدولة ، ولما رأى شيراز قد خلت من أخيه طفق يهاجمها واستولى عليها . ولم يدم استيلاؤه عليها طويلا فسرعان ما أخرجه عنها سلطان الدولة وأراد أن يستخلص كرمان منه أيضا ، فاضطر أبو الفوارس الى اللجوء الى السلطان محمود الغزنوي الذي كان يقيم في تلك الآونة في مدينة بست بـسيستان . واستقبله محمود بحفاوة وأرسل أحد قواده برفقته الى كرمان . وتمكن أبو الفوارس بعون الجند الغزنويين من كرمان وفارس الا أن سلطان الدولة خف من بغداد الى شيراز وأنزل بأبي الفوارس هزيمة فادحة واستعاد منه فارس وكرمان وفر أبو الفوارس الى همدان هذه المرة وحاكمها شمس الدولة بن مجد الدولة بن فخر الدولة . وفي النهاية عفا عنه سلطان الدولة في (٤٠٩ هـ) وأعاده ثانية الى كرمان .

وفي عام ٤١١ هـ تمرد الجند في بغداد على سلطان الدولة وعزلوه من الامارة ونصبوا مكانه أخاه الأصغر أبا على مشرف الدولة والتجأ سلطان الدولة بالأهواز ، وغلب حين عزم استرداد بغداد من أخيه ، وأسقط مشرف الدولة رسما اسمه من الخطبة في دار الخلافة في المحرم ٤١٢ هـ وخطب له . وانتهى الأمر بين الأخين الى الصلح في السنة التالية على شريطة أن تكون فارس وكرمان لسلطان الدولة والعراق لمشرف الدولة .

## ٥ - أبو كاليبجار مرزبان

(٤١٥ - ٤٤٠ هـ)

ظل سلطان الدولة يحكم على فارس وقسم من خوزستان وكرمان بعد خلعهم من امارة بغداد والعراق مدة ثلاث سنوات أخرى ولما مات في (٤١٥ هـ) خلفه ابنه أبو كاليبجار مرزبان ولكن جماعة من الجند قامت مشايعة لقوام الدولة أبي الفوارس عمه الذي ولى كرمان من طرف أخيه ودعته الى شيراز . وهاجم أبو الفوارس فارس مرتين ، هزم في أولها وفي الثانية أخرج جميع فارس عن يد ابن أخيه في البداية لكنه غلب وانهزم الى كرمان واستقر أبو كاليبجار في شيراز في (٤١٧ هـ) . وفي السنة التالية هاجم أبو كاليبجار كرمان وفر أبو الفوارس أمامه الا أن جند أبي كاليبجار قد تأذوا من الحرارة تأذيا شديدا مما حدا به الى أن ينهى صراعه بالصلح مع عمه على أساس أن تصير كرمان لأبي الفوارس وفارس لأبي كاليبجار وأن يدفع الثاني عشرين ألف دينار لعمه خراجا . ودام هذا الصلح عاما وحسب لأن قوام الدولة لم يتخل عن فكرة الاستيلاء على فارس وقتا واستقر عزمه أخيرا على أن يجمع جندا للسيطرة على شيراز في (٤١٩ هـ) لكن الموت فاجأه قبل أن يتحرك بجيشه . واشتهر أن رجاله هم الذين سموه لسوء سيرته وجوره ولما انتهت أمره استدعى رجال بلاطه وقواد جيشه أبا كاليبجار لضبط كرمان فاستولى أبو كاليبجار عليها ببسر وهذا باله من ناحيتها الى حد ما .

أما من ناحية خوزستان والعراق فقد ظل النزاع قائما بين هذا الأمير وابن أبي على مشرف الدولة وخلفه أبو طاهر جلال الدولة إذ أن جلال الدولة هذا كان اعتلى امارة العراق وخوزستان بعد موت أبيه مشرف الدولة وذلك في (٤١٦ هـ) وكان مثل أكثر الديالمة من قبله الذين نازعوا الأمراء البويهيين في فارس حكم البصرة والأهواز ، فدخل مع أبي كاليبجار في عداء بسبب هذا الامر أيضا خاصة وأن جلال الدولة

بعد موت أبيه رفض دعوة أهل بغداد للمسير اليها وظل في البصرة لايريم فخطب أهلها لأبي كاليبجار لكنه لم يستطع التحرك اليها هو الآخر بسبب انشغاله بحرب أبي الفوارس وخلت بغداد من وجود أمير وبقيت على وضعها هذا عامين آخرين وانقسم أهلها ما بين مشايخ لأبي كاليبجار ومبایع لجلال الدولة . وفي النهاية توجه جلال الدولة الى بغداد في ( ٤١٨ هـ ) بسبب قربها منها وانشغال أبي كاليبجار بأمر كرمان ونصب اميرا عليها رسما . لكن انتخابه هذا لم يمهله الهرج والمرج في أحوال العراق فكانت تتجدد في الغالب الخصومات القديمة بين الجند الديلم والترك الى أن عصى الترك في البصرة الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة في ( ٤١٩ هـ ) ودعوا أبا كاليبجار وكان قد أطمأن في هذا الوقت من ناحية كرمان لضبط البصرة . ولم يتمكن جلال الدولة لعام أن يستردها منه ولكن في ( ٤٢٠ هـ ) حين غزا أبو كاليبجار ( واسط ) أنزل به جلال الدولة هزيمة شديدة وتملكها والأهواز أيضا . وفي العام تاليه هزم أيضا في معركة أخرى واستعاد البصرة بعد استيلائه عليها ، وهكذا ظل الحال على هذا المنوال وصراع الأميرين للسيطرة على البصرة والأهواز وسيادة بغداد حتى ( ٤٢٨ هـ ) . وكان جلال الدولة يقضى أغلب وقته في بغداد في مصارعة شيعة أبي كاليبجار حتى تصالح في السنة المذكورة هذان الاميران الندان ، ولكي لا يسلك أحدهما سبيل الخلاف ثانية ، زوج جلال الدولة ابنته لأبي كاليبجار فزال النزاع بين الطرفين .

ومات جلال الدولة في شعبان من ( ٤٣٥ هـ ) في بغداد بعد حكم دام ستة عشر عاما وأحد عشر شهرا . ومع أن فريقا من الناس بايع ابنه الملك العزيز أبا منصور الا أن أبا كاليبجار ضم اليه أكثر الجند مرة بالوعد وأخرى بالوعيد وهكذا شغل مقام الدولة وفر الملك العزيز وما لبث أن مات بعد مدة من هيامه على وجهه بدون أن يستطيع أن يسترد منصب أبيه ، وضم أبو كاليبجار مرة أخرى اليه بلا نزاع المعراق



الى خوزستان وفارس •

دامت امارة ابي كاليجار حتى ( ٤٤٠ هـ ) ودخل في آخر أيام امارته في ضرب وطعان مع أفراد أسرة كاكويه والقواد السلاجقة ، حين سيطر السلاجقة على الجزء الأعظم لايران وتمكنوا من أكثر بلاد آل بويه • وأجبر أبو كاليجار في ( ٤٣٩ هـ ) كما سيأتى في تاريخ السلاجقة على مصالحة طغرل السلجوقى وزوج ابنته لطرل وزوج ابنه أبا منصور من ابنة جغرى بك أخى طغرل • وقبل ديانة العراق من هذا التاريخ فصاعدا في الحقيقة حماية السلاجقة لهم •

## ٦ - الملك الرحيم

( ٤٤٠ - ٤٤٧ هـ )

مات أبو كاليجار في ( ٤٤٠ هـ ) في سفره لتأديب عامله الثبائر في كرمان فبايع أهل بغداد ابنه أبا نصر خسرو فيروز الذى تلقب بالملك الرحيم • وكان لأبى كاليجار أبناء ادعى كل منهم الحكم ومقام أبيه حتى أن أبا منصور فولادستون (١) استولى على شيراز لكن الملك الرحيم استأسر بعون أخ له هو أبو سعد خسرو شاء فولادستون وتمكن من شيراز وحبس أخاه في قلعة اصطخر وترك أرجان لأخيه الرابع أبى طالب كامروا (٢) وضبط هو وأبو سعد بلاد أبيهما الى أن فر فولادستون من محبسه في ( ٤٤١ هـ ) والتف حوله فريق من الديالة ووفق فولادستون في السيطرة على فارس ، وفي ( رامهرمز ) تغلب على جند اخوته الثلاثة وأخذ الأهواز منهم لكنه أجبر على اخلائها لهم على أثر ثورة جنده عليه •

وفي ( ٤٤٣ هـ ) تغلب الملك الرحيم على اصطخر وشيراز ولم يجد

---

( ١ ) معناها العبود الفولاذى

( ٢ ) أى الموثق

فولادستون بدا من طلب مدد طغرل السلجوقي فبعث طغرل من أصفهان جيشا كثيفا لعونه مما جعله يهزم الملك الرحيم بقسوة فتملك شيراز من أخيه أبى سعد في ( ٤٤٥ هـ ) وخطب طغرل السلجوقي وأخيه الملك الرحيم وباسمه بعدهما ، ثم استولى على فارس .

وفي ( ٤٤٧ هـ ) طرد أحد قواد الديلم واسمه فولاد وكان حاكما لقلعة أصطخر فولادستون من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وخطب للملك الرحيم وأبى سعد خسرو شاه ولكنهما سرعان ما أدركا أنه يخادعهما ولذا فقد هاجم فولادستون وأبو سعد شيراز وأخرجوا فولاد منها بمشقة بالغة واستعادا شيراز باسم الملك الرحيم .

وقع الملك الرحيم كما سنرى في تاريخ السلاجقة أسيرا في يد طغرل السلجوقي عام دخوله بغداد ( ٤٤٧ هـ ) وأمر الخليفة بالخطبة لطرل وبهذا فان الملك الرحيم هو آخر ديانة المراق ومع أن أخاه فولادستون عاش سنة أخرى وحكم على فارس حتى ( ٤٤٨ هـ ) فانه يجب اعتبار تاريخ أسره واسقاط اسمه من خطبة بغداد وهو بمثابة نهاية عهد اماره آل بويه في بغداد التاريخ الواقعي لانتهاه هذه الأسرة . وكانت مدة اماره الملك الرحيم ستة أعوام وعشرة أيام .

## ب — ديانة العراق وخوزستان وكرمان

سقطت أملاك ديانة عراق العرب وخوزستان وكرمان أي البلاد التي فتحت في بداية الأمر بيد أبى الحسين أحمد معز الدولة ثم انتهت من بعده الى ابنه عز الدولة بختيار في ( ٣٥٦ هـ ) كما رأينا في يد عضد الدولة بن ركن الدولة بعد قتل عز الدولة في ( ٣٦٧ هـ ) وخرجت عن أسرة معز الدولة ، وصارت هذه الولايات حتى ( ٤٤٨ هـ ) سنة أن طرد أحد رؤساء شبانكاره فولادستون من اماره فارس وكرمان مادة النزاع الدائم بين أبناء عضد الدولة وأحفاده فكانت كلها تقع تحت امرة واحد

منهم حيناً أو يدخل جزء منها أو جزءاً إن تحت طاعة أحدهم حيناً آخر ، وليست ثمة ضرورة لتكرار شرح هذه المنازعات وتحول هذه الولايات من أمير لآخر فقد مضى ذلك في ما ذكرناه في تاريخ ديلم الفرس ، ويكفي أن نذكر أسماء الأمراء الديلم في العراق والأهواز وكرمان كما يلي : —

### في العراق والأهواز وكرمان

- ١ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة ( ٣٥٦ — ٣٦٧ هـ )
- ٢ — عضد الدولة بن ركن الدولة ( ٣٦٧ — ٣٧٢ هـ ) والذي ملك من ( ٣٣٨ هـ ) فارس أيضاً .
- ٣ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة ( ٣٧٢ — ٣٧٩ هـ ) وأيضاً ملك فارس .
- ٤ — بهاء الدولة أبو نصر أخوه ( ٣٧٩ — ٤٠٣ هـ ) وملك فارس كذلك .
- ٥ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ( ٤٠٣ — ٤١٢ هـ )

### في العراق فقط أو في العراق وفارس معاً

- ١ — مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة ( ٤١٢ — ٤١٦ هـ )
- ٢ — أبو طاهر جلال الدولة بن مشرف الدولة ( ٤١٦ — ٤٣٥ هـ ) .
- ٣ — أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة ( ٤٣٥ — ٤٤٠ هـ ) وملك فارس أيضاً .
- ٤ — الملك الرحيم بن أبي كاليجار ( ٤٤٠ — ٤٤٧ هـ ) وقد تملك فارس أيضاً .

### في كرمان فقط أو في كرمان وفارس دما

- ١ - قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٤٠٣ - ٤١٩ هـ)
- ٢ - أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤١٩ - ٤٤٠ هـ) وقد ملك فارس والعراق أيضا
- ٣ - أبو منصور فولادستون بن أبي كاليجار (٤٤٠ - ٤٤٨ هـ)

### ج - ديانة الري وهمدان وأصفهان

وكانت الري وهمدان وأصفهان كما رأينا سابقا نصيب أبي علي حسن ركن الدولة من بين أولاد بويه في البداية ، ثم ترك هذا الأمير في (٨٣٦٦ هـ) قبل موته أصفهان من هذه الولايات لابنه أبي منصور بويه الملقب بمؤيد الدولة ، والري وهمدان وأعمالهما لابنه الآخر أبي الحسن علي الملقب بفخر الدولة ، ثم تعهدا له أن يطيعا أمر أخيهما الأكبر أبي شجاع بناء خسرو عضد الدولة الذي تملك فارس وكرمان .

وعلى هذا فقد توزعت أملاك ركن الدولة في (٨٣٦٦ هـ) بين ولديه مؤيد الدولة وفخر الدولة ، ولم يدم هذا الحال أكثر من ثلاث سنوات ، فنحن نعلم بالتفصيل أن عضد الدولة تحرك من بغداد عازما تأديب أخيه فخر الدولة بحجة أنه انحاز إلى ابن عمهما عز الدولة بختيار في النزاع الذي شب بينهما مما جعل عز الدولة يقصده مهاجما بعون فخر الدولة فغلب فخر الدولة أملاكه إذ لم يكن يحتمل مقاومة أخيه وكان يخشى أن يعامله أخوه بنفس ما عامل به عز الدولة . ورحل إلى جرجان يحتسب بلبابوس بن وشمكير . فضم عضد الدولة الري وهمدان وسائر ولايات فخر الدولة إلى أصفهان وترك في كل ما سبق أخاه مؤيد الدولة خليفة عنه .

## ١ - مؤيد الدولة

( ٣٦٦ - ٣٧٣ هـ )

طرد مؤيد الدولة على نحو ما سبق شرحه في تاريخ قابوس في جمادى الآخرة من عام ( ٣٧١ هـ ) قابوس وفخر الدولة من جرجان إلى خراسان بأمر من عضد الدولة وألحق جرجان وجزءاً من طبرستان إلى حوزته هو . وفي رمضان من نفس العام تغلب على قابوس وأبى العباس تاش قائد الأمير نوح بن منصور الساماني الذي قدم يماون أعداءه ، وأيس فخر الدولة وقابوس بعد أن أخذوا بلادهما لما رأياه من قوة مؤيد الدولة وعضد الدولة .

كان مؤيد الدولة يحكم كل العراق المعجمى وجرجان وطبرستان من جانب أخيه عضد الدولة حتى سنة وفاة أخيه ( ٣٧٣ هـ ) . فلما مات أخوه استقل بكل هذه الولايات تماماً وكان يديرها بتدبير وكفاية وزيره المشهور المصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد ( ٣٢٦ - ٣٨٥ هـ ) من مشهورى المنشئين والبلغاء في اللغة العربية ، وكان المصاحب الذى رباه أبو الفضل بن العميد المنشئ المشهور ووزير ركن الدولة رجلاً كريماً محباً للفضل معطاء بذالاً للشرعاء مشجعاً لهم ، وكان يعيش في كنفه في الري وأصفهان كل حياته جمع كثير من أهل البحث والعلم والشعر والأدب وكان ينشد الشعر باسمه ويؤلف له الكتب ، وكان المصاحب يجارى في هذه السيرة منافسه ومعاصره شمس المعالى قابوس ويساويه وكان له مكتبة عدت في أيامها بلا مثيل في كثرة عدد كتبها وتميز نسخها .

## ٢ - فخر الدولة

( ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ )

مات مؤيد الدولة بعد وفاة عضد الدولة بعام واحد في جرجان ، ولما لم يختر مؤيد الدولة من يخلفه فقد حث وزيره المصاحب بن عباد كبار المملكة على طلب فخر الدولة من نيسابور ورفعوه وهو أكبر أسرة

بويه وكان الملك الأول لهذه البلاد الى اماره أخيه • وقبل الجميع رأى  
الصاحب وقدم فخر الدولة في رمضان ( ٣٧٣ هـ ) من نيسابور الى  
جرجان وتأمّر وأبقى الصاحب في وزارته مع ميله الى أن يعتزلها •

وفي نفس العام عزل أبو العباس حسام الدولة تاش الذي كان قد  
قام يحارب مؤيد الدولة بعمون فخر الدولة من قيادة جيش خراسان  
وخلفه الأمير أبو الحسن سيمجورى ، فاستمد أبو العباس فخر الدولة  
وأرسل اليه في نيسابور جندا غلب به أبا الحسن • وبعد أن غلب  
أبو الحسن سيمجورى على أمره مد يد القوسل لذيل شرف الدولة أبي  
الفوارس الديلمي أمير فارس • وكان أن أمده شرف الدولة لما كان  
يحفظه على فخر الدولة لانحيازه الى صمصام الدولة أخيه ومنافسه ،  
وتمكن الأمير سيمجورى بمعاونته أن يلحق بأبى العباس هزيمة نكراء  
للذى ركن الى الفرار الى جرجان عند فخر الدولة • واستقبله فخر  
الدولة باكرام تام وترك له عوضا عن خراسان جرجان واسترأباد  
ومضافاتهما وكانت ملك شمس المعالى قابوس • وسلك بهذا فخر الدولة  
سبيل نكران الجميل وعدم المروءة لصديقه الوفي المقديم قابوس الذى  
فقد المارته في سبيله ومن أجله واقترب فخر الدولة أيضا بعمله هذا  
أكثر الى وزيره الصاحب بن عباد الذى كان على منافسة وعداء  
خاصين لقابوس •

وفي عام ( ٣٧٩ هـ ) حين مات شرف الدولة في بغداد وخلفه بهاء  
الدولة شجع الصاحب بن عباد الذى كان يميل ميلا غربيا الى الاستيلاء  
على دار الخلافة ومن ثم وزارة بغداد فخر الدولة على غزو العراق ،  
ومع أن الأخير لم يكن راضيا بهذا الأمر الا أنه استسلم للقضاء في  
النهاية لاصرار الوزير واستقر الأمر على أن يتجه فخر الدولة الى  
بغداد عن طريق خوزستان والصاحب بن عباد وبدر بن حسنويه الكردي  
عن طريق كرمانشاه ، ولكن الأمير الديلمي لما أساء الظن بالصاحب بن  
عباد وخشى أن يتحد مع ابن عضد الدولة ضم الوزير اليه قبل الأهواز

واشتد في الطريق على جند الصاحب واشتد سوء الظن بين الطرفين  
فاختلت أحوال الجيش خاصة عندما طغى نهر قارون في الأهواز  
وتشقت السدود ، فذهب ظن فخر الدولة أن ذلك بفعل وخديعة جيش  
بهاء الدولة فاضطر الى أن يخلي الأهواز ويؤوب الى الري . وزال  
سوء ظنه بالصاحب تدريجا فوجه وأصحابه مالا كثيرا ، وبقي الصاحب  
في وزارته حتى يوم موته في الري في ( ٣٨٥هـ ) . ومع الخدمات التي  
أداها هذا الوزير الفاضل المحنك لفخر الدولة إلا أن هذا الأخير بعد  
موته ضبط كل أمواله وصادر جميع أصحابه وجرمهم وأبقى بصنيعه  
هذا ذكرا قبيحاً له .

## ٢ - مجد الدولة

( ٣٨٧ - ٤٢٠هـ )

وبعد موت الصاحب بن عباد بعامين مات فخر الدولة في قلعة طبرك  
بمدينة الري ولأن أولاده لم يبلغوا سن الرشد تصدت زوجته ( سيده  
خاتون ) ابنه القائد رستم بن مرزبان لأمر الملك فنصبت ابنها ذا  
الأربع سنوات أباً طالب رستم الملقب بمجد الدولة على إمارة الري  
وخلافة زوجها وتركت همدان وكرمانشاه لأخيه الآخر أبي طاهر  
شمس الدولة .

وكان عام جلوس مجد الدولة مكان أبيه فخر الدولة هو نفس  
العام الذي خلف فيه محمود الغزنوي أبا سبكتكين في إمارة غزنة ، أما  
العام التالي له ( ٣٨٨هـ ) فقد شهد استيلاء محمود على خراسان بصفته  
قائداً لجيش السامانيين من ناحية ، وعودة حليفه قابوس بن وشمكير  
بعد سبعة عشر عاماً من ممانعة مؤيد الدولة وفخر الدولة الى إمارة  
جرجان وطرده لعمال مجد الدولة منها . وهكذا فقد انحصرت مملكة  
مجد الدولة في أوان جلوسه على عرشها بين ممالك ندين قويي الشكيمة

مثل محمود الغزنوي وقابوس الزيارى وتهاى له خطر كبير منهما  
للمنافسة القديمة بين ديانة الرى وآل زيار وقواد جيش خراسان .  
ولكنه ما دامت السيدة خاتون متسلطة على الأمور وتجري مجريات  
الدولة برأيها وتديرها فقد سارت الأمور سيرا عاديا فلم يصدر عن  
قابوس ولا ولده فلك المعالى خلاف لمجد الدولة ولم يطمع السلطان  
محمود فى الرى . لكن مجد الدولة عندما بلغ سن الرشد سلك مسلك  
العصيان لوالدته واختار وزيره خلاف هواها ، فبدأت السيدة خاتون  
برحيلها الى قلعة طبرك ثم هربت منها الى بدر بن حسنويه وعادت  
بعونه وعون ابنها الآخر شمس الدولة الى الرى فى ( ٥٣٩٧ هـ ) الذى  
قبض على مجد الدولة وشغل مكانه وتأمر بامارته .

وغضبت السيدة خاتون بعد عام على شمس الدولة أيضا  
فأعادته الى همدان وأطلقت سراح مجد الدولة وأمرته تحت تصرفها .  
ومع أن شمس الدولة رام أن يغلب أمه وأخاه بعون بدر بن حسنويه  
لكن أمرا من هذا لم يحدث .

وكانت السيدة خاتون قد أنابت بعد موت زوجها فخر الدولة فى  
حكم أصفهان ابن خالها أبا جعفر محمد بن دشمنزيار الذى تلقب بعلاء  
الدولة ، وكان أبوه دشمنزيار خال السيدة خاتون يقال له بالدبلوماسية  
( كاكويه ) وتعنى ( الخال ) بالعربية ولهذا اشتهر علاء الدولة  
بأنه ابن كاكويه وأبناؤه بديلمة كاكويه .

وكان علاء الدولة فى أصفهان حتى تاريخ فرار السيدة خاتون من  
الرى ولما هربت من أمام ابنها مجد الدولة أخلى علاء الدولة أصفهان  
أيضا والتجأ الى بهاء الدولة وظل عنده الى أن آبت السيدة خاتون الى  
الرى فعاد الى أصفهان مرة ثانية واستقر على عرشها .

وفى ( ٥٤٠٥ هـ ) استولى شمس الدولة على أملاك بدر بن حسنويه  
الذى ثار عليه جفده وقتلوه وتغلب على ابنه هلال الذى قدم يقاتله



شمس الدولة بتحريض سلطان الدولة وجمع مالا كثيرا لهذا ، ولما زادت قدرته تحرك الى الري لينتقم من أمه وأخيه . وترك مجد الدولة وأمّه الري واعتصما بدملاوند فاستولى عليها شمس الدولة لكنه عزم أن يتعقب أمه وأخاه فعصاه جند مجد الدولة فعماد شمس الدولة الى همدان ورجعت أمه وأخوه الى الري .

وحكم مجد الدولة حتى ( ٤٢٠ هـ ) في الري ولما ماتت أمه في نهاية هذه المدة اختلت أوضاع بلاطه وعصاه الجند ولم يهتم مجد الدولة كبير الاهتمام بأمور الملك بسبب انشغاله بهنتج الحياة مرة وبمطالعة الكتب مرة أخرى . وفي النهاية استعان بالسلطان محمود الغزنوي لدفع سطوة جنده واستمده . فأنفذ محمود من أصحابه على الحاجب بجيش الى الري . وفي الري قبض على الحاجب على مجد الدولة وابنه أبى دلف وكتب الى محمود عما عليه الأمر ، فشخص محمود في ربيع الآخر في ( ٤٢٠ هـ ) الى الري وأرسل منها مجد الدولة الى غزنة وبهذا انتهت شعبة الديالة في الري في ( ٤٢٠ هـ ) على يد الغزنويين .

#### ٤ - شمس الدولة

( ٣٨٧ - حدود ٤١٢ هـ )

سبق القول ان أبا طاهر شمس الدولة قد نصبته أمه السيدة خاتون في نفس سنة وفاة أبيه فخر الدولة في اماره همدان وكرمانشاه ، وجلس مكان أخيه مجد الدولة في حكم الري ما يقرب من العام في ( ٣٩٧ هـ ) كما مر في تاريخ أحوال أخيه المذكور . وفي ( ٤٠٥ هـ ) ضم الى ملكه بلاد حسنيه الكردي ، لكنه هزم في هذا الوقت حينما أراد أن يخرج الري أيضا من قبضة أمه وأخيه وظل باقيا أميرا على ملكه الأصلي حتى حدود ( ٤١٢ هـ ) .

وترجع شهرته في الأغلب في تاريخ ايران الى أن وزارته كانت

لبعض الوقت للحكيم والطبيب المشهور الشيخ الرئيس أبى على الحسين ابن سينا ، فبعد أن تحرك الشيخ من خوارزم في حدود ( ٤٠٣هـ ) وسمع بقتل قابوس ومكث مدة في الري وغيرها التحق في حوالى ( ٤٠٥هـ ) بخدمة شمس الدولة في همدان وأوكل اليه هذا الأمير وزارته حتى أواخر مدته .

## ٥ — سماء الدولة

( حدود ٤١٢ — ٤١٤هـ )

آخر ديلملة همدان هو أبو الحسن بن شمس الدولة الذى هاجم في ( ٤١٤هـ ) حاكم ( بروجرد ) واسمه فرهاد بن مردآويج الديلمي فتوسل فرهاد بعلاء الدولة كاكويه والى أصفهان + فجرد علاء الدولة جيشه الى همدان واستأسر شمس الدولة وعامله باحترام وإن حبس جميع الأمراء الديلملة فيها + وبعد فتح همدان سيطر على دينور وشابور خوالست ( خرم آباد الحالية ) وبهذا تنتهى شعبة الديلملة بهمدان أيضا في ( ٤١٤هـ ) على يد أسرة كاكويه . أما بقية أحوال الديلملة الكاكويه الذين بدأ أمرهم في اماره مجد الدولة كما أشرنا فسوف نرد أثناء تأريخ أحوال الغزنويين والسلاجقة ان شاء الله تعالى .

## أسماء أمراء آل بويه وزمان أمثرة كل منهم

### (أ) ديالة فارس

- ١ — عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه ( ٣٢٠ — ٣٣٨ هـ )
- ٢ — عضد الدولة وتاج الملة أبو شجاع بناء خسرو بن ركن الدولة ( ٣٣٨ — ٣٧٢ هـ )  
•
- ٣ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة ( ٣٧٢ — ٣٧٩ هـ )  
•
- ٤ — صمصام الدولة أبو كاليجار مرزبان بن عضد الدولة ( ٣٧٩ — ٣٨٨ هـ )  
•
- ٥ — بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ( ٣٨٨ — ٤٠٣ هـ )  
•
- ٦ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ( ٤٠٣ — ٤١٥ هـ )  
•
- ٧ — عضد الدولة أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة ( ٤١٥ — ٤٤٠ هـ )  
•
- ٨ — الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن أبي كاليجار مرزبان ( ٤٤٠ — ٤٤٧ هـ )  
•

### ب — ديالة العراق وخوزستان وكرمان

- ١ — معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ( ٣٢٠ — ٣٥٦ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان
- ٢ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة ( ٣٥٦ — ٣٦٧ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان  
•
- ٣ — عضد الدولة أبو شجاع بن ركن الدولة ( ٣٦٧ — ٣٧٢ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان  
•

- ٤ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة ( ٣٧٢ — ٣٧٩ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان \*
- ٥ — بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ( ٣٧٩ — ٤٠٣ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان \*
- ٦ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ( ٤٠٣ — ٤١٢ هـ ) في العراق وخوزستان وفارس \*
- ٧ — مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة ( ٤١٢ — ٤١٦ هـ ) في العراق فقط \*
- ٨ — أبو طاهر جلال الدولة بن مشرف الدولة ( ٤١٦ — ٤٣٥ هـ ) في العراق فقط \*
- ٩ — أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة ( ٤٣٥ — ٤٤٠ هـ ) في فارس من ( ٤١٥ ) وفي كرمان من ( ٤١٩ ) وفي العراق من ( ٤٣٥ هـ فصاعدا ) \*
- ١٠ — الملك الرحيم بن أبي كاليجار ( ٤٤٠ — ٤٤٧ هـ ) في العراق فقط
- ١١ — قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة ( ٤٠٣ — ٤١٩ هـ ) في كرمان فقط \*
- ١٢ — أبو منصور فولادستون بن أبي كاليجار ( ٤٤٠ — ٤٤٨ هـ ) في كرمان فقط ( ومن ٤١٩ حتى ٤٤٠ هـ ضمت كرمان إلى فارس ) \*

### ج — ديانة الري وأصفهان وهمدان

- ١ — ركن الدولة أبو علي حسن بن بويه ( ٣٢٠ — ٣٦٦ هـ ) في كل العراق العجمي وكرمانشاه \*
- ٢ — مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة ( ٣٦٦ — ٣٧٣ هـ ) في أصفهان ومن ( ٣٦٩ هـ ) في الري وهمدان وجرجان وجزء من طبرستان \*

- ٣ — فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة (٣٦٦ — ٤٣٨٧ هـ) في  
الري وهمدان ومن (٤٣٧٣ هـ) ملك الولايات مؤيد الدولة .
- ٤ — مجد الدولة أبو طالب رستم بن فخر الدولة (٣٨٧ — ٤٢٠ هـ) في  
الري فقط .
- ٥ — شمس الدولة أبو طاهر بن فخر الدولة (٣٨٧ — حدود ٤١٢ هـ)  
في همدان فقط .
- ٦ — سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة (حدود ٤١٢ — ٤١٤ هـ)  
في همدان فقط .

## الفصل الرابع

### الصفاريون

(٢٤٧ - ٣٩٣ هـ)

سيستان قبل قيام يعقوب : -

فتح المسلمون سيستان في خلافة عثمان رضى الله عنه بين عامي (٣٠ و ٣٣ هـ) ، ومع أن شعب هذه الناحية جرى قد ثار مرات الا أن عمال العرب وقوادهم كانوا يؤدبونهم في كل مرة ، وأخذ نفوذ الاسلام والآداب العربية يزيد يوما بعد يوم ويتأصل في هذا الاقليم (١) .

وبعد قتل عثمان والأحداث التي حدثت بعد من مثل عصيان معاوية وحرب صفين وحكم الحكمين واعتزال الامام الحسن الخلافة وشهادة الامام الحسين وحركات يزيد القبيحة الأخرى كالقتل للعلماء في المدينة المنورة وضرب الكعبة بالحجارة وظلم الحجاج وقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله - عدت جماعة من المسلمين كانت رأت أو سمعت بسيرة الرسول الطاهرة صلوات الله عليه وسيرة الخلفاء الأوائل كل هذه الأفعال مخالفة للاسلام وخارجة عن حد الانصاف والانسانية فسلخوا سبيل مخالفة خلفاء زمانهم وعمالهم ولحقوا بالخوارج المذنبين جمعهم بهم عقيدة واحدة هي تنقيح هذه الأعمال ، ولما كانوا في شدة من جراء

---

(١) يلوح هنا آثار من شعوبية الفرس المحدثين ومن أنهم يعتبرون انتشار الاسلام في اقاليم ايران استعمارا مريباً ، والواقع أن الاسلام وهو دين الله لكل الناس مقدم هو المرادف للقومية العربية وشتان ما بينهما كما يدل على ذلك الواقع الاسلامي والتاريخي .

أيضاً عمال بنى آمية فقد كانوا يعتصمون دائماً بالولايات البعيدة مثل  
سواحل الخليج الفارسي وبحر عمان وأفريقية • وكانت كرمان  
وسیستان أيضاً لهم ملجأ مصوناً الى حد ما •

وفي أيام خلافة عبد الملك ( ٦٥ - ٨٦ هـ ) وحكومة الحجاج بن يوسف  
على العراقيين أطلع انسان من كبار العرب هو قطري ، وكان شاعراً  
وفصيحاً وورعاً ، أهل سیستان على مظالم الحجاج وفساد أجهزة  
الخلافة ، فباعه جمع كبير منهم وقام بهم ثائراً ، ومع أن الحجاج  
أرسل جيشاً يدفعه فلم يتمكن من هزيمته وقتل عدد كبير من جنده في  
هذه الحرب •

ومن هذا الوقت فظهور يعقوب بن الليث أي من ٨٢ هـ الى ٢٤٧ هـ  
كان للخوارج في سیستان قدرة وتجمع كبيران وكانوا ينهكون غالباً  
بحكامها وحيناً كانوا يسيطرون على أمورهما الى حد أنهم كانوا يمنعون  
إرسال الخراج من سیستان الى بلاط الخليفة • وأعلن بضعة نفر منهم  
الثورة وطردوا عمال الخليفة من سیستان وكرمان وخراسان •

وأكبر رؤساء الخوارج على نحو ما مر بنا في تاريخ الطاهريين هو  
الأمير حمزة بن عبد الله الخارجي الذي خرج في ( ١٨١ هـ ) في العام  
الحادي عشر من خلافة هارون الرشيد وسيطر على سیستان وكرمان  
وخراسان وكان تحت أمره وهو من أصل إيراني ويدعى انتسابه الى  
الملوك الكيانيين (٢) من ( ١٨١ حتى ٢١٣ هـ ) سنة وفاته ما بين كابل حتى

---

( ٢ ) الملوك الكيانيون خلفوا البيشدايين أول البشر في اساطير الفرس  
وأول البيشدايين هو كيومرث أو كيومر في الأستاق كتاب المجوس الذين  
يعودونه آدم أب البشر • وقاتل كيومرث الجان حتى قتلوه فخلفه ابنه سياك  
الذي قتلته الجن أيضاً ثم خلفه ابنه هوشنك • وخلف الكيانيون هؤلاء  
البيشدايين وأولهم كيتباد حفيد منوچهر وكان قد لجأ الى الجبال وقت تسلط  
أفراسياب التركي على إيران فاجلسه بطلها الشهير رستم على عرشها •  
وخلفه ابنه كيكاوس فحفيده كيخسرو ولد سياوش وقد ثار كيخسرو من  
أفراسياب القوراني ( التركي ) لقتله أباه سياوش • ولم يرد تاريخ هذه  
الأسرة أو التي قبلها الا في الشاهنامات الأسطورية •

فارس وخراسان من خراج هذه الولايات ما دام حمزة حيا وكان هو نفسه لا يأخذ من الناس شيئا خراجا .

ولما اشتد استيلاء حمزة والامتناع أموال الجزء الشرقي للبلاد الاسلامية عن بغداد على هرون الرشيد تحرك الخليفة في ( ٩١٢ هـ ) الى خراسان لدفع حمزة . لكنه حينما بلغ جرجان نال منه المرض والياس من دفعه فأرسل اليه في صفر ( ٩١٣ هـ ) رسالة يعده فيه بالأمان والعفو عما سبق منه بشرط تسليمه وقدمه اليه طائعا ، لكن حمزة أرسل اليه جوابا معقولا يبرر فيه علل ثورته وهى لدفع الظلم وحده وقصر يد الظلمة واجراء الأوامر الالهية وليست لجمع المال والمنال وتسخير البلاد ورفض تكليف هرون وحينما بلغ جواب حمزة هرون في طوس كان الأخير في مرض الموت .

وقد عاش حمزة حتى أيام امارة طلحة بن طاهر الطاهري وتحارب مرات معه ومع عماله حتى وافته المنية في ٢١٣ هـ أو قتل بقول آخر وتصرف الطاهرين في سيستان ولم يكن بمكنتهم الاستيلاء عليها قبل ذلك بسبب تحكم حمزة عليها . لكن قدرة الخوارج لم تنته بموت حمزة فولوا اماما آخر خلفا له واستمروا في عقيدتهم بالاغارة أو بالجهاد .

### ابتداء أمر يعقوب :-

وفي زمان خلافة الواثق ( ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ ) وامارة طاهر بن عبد الله ( ٢٣٠ - ٢٤٨ هـ ) على خراسان وسيستان ثار في ( بست ) ما بين سيستان وهرات وغزنة - رجل اسمه غسان بن النضر من كبار سيستان على حاكمها وكان ابن والى سيستان . فقبض عليه حاكم بست وقتل رأسه وصلب جسده . غاثار هذا الفعل أكثر الناس الذين كانوا يذكرون غسان بالخير ، وبعد قليل التقوا حول أخى غسان صالح بن النضر الذى تابع الثورة ، ولقيت ثورته وثورة أصحابه هناك اهتماما



انتهى بهم في ( ٢٣٣ هـ ) الى الاستيلاء على بست وفر من امامهم حاكمها .

كان غسان وأخوه صالح ومثلهما جمع آخر من المسلمين جزءاً من فرقة ( المطوعة ) (١) . وهذا اللفظ اصطلاح كان يطلق على الجماعة التي كانت تنهض عن ميل قلبي أو بطوعها للجهاد وقتال الكفار أو المخارج وكانوا يحتسبون هذا العمل لله تعالى ، ولكي يضموا اليها الأتشياع في ثورتهم كانوا يدعون ( العيارين ) اليهم من كل بلد . والعيارون طائفة من الناس في كل بلد انحصر عملهم في سلب القوافل ونهبها والاغارة من مكان على مكان غيره . وقد تم أغلب انتصار صالح في الاستيلاء على بست على يد عيارى سيستان وكان من بينهم ابن لصفار أو نحاس اسمه يعقوب بن الليث (٢) .

ومع أن يعقوب بعد وصوله للامارة والسلطنة قد أوصله البعض

---

( ١ ) المطوعة اسم من أسماء العيارين وهم الفتيان اهل القوة الذين كانوا جنوداً مطوعة أو غير نظاميين يقاتلون مع من يدفع لهم . وكانت المطوعة تقاتل بدافع الايمان وحسب جهادا في سبيل الله ، غير أن غالبيتهم كانت سوقية . وأول ذكر لهم أورده المسعودي ( متوفى عام ٣٤٦ هـ ) في كتابه مروج الذهب الذي ينتهي تاريخه له في العقود الأولى للقرن الرابع الهجري حين ثاروا في اضطراب بغداد عند مبايعة ابراهيم بن المهدي في غيبة المأمون عام ( ٢٠٢ هـ ) . ( للتفصيل رسالة الدكتوراه للمترجم بكتبة جامعة القاهرة ( جامعات القوة في الأناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية ص ٧٠ ) .

(٢) سبق ذكر أن العيارين حاربوا مع الأمين طاهرا بن الحسين قائد المأمون وهم خليط من السوقية وأرباب الحرف والسطار ، والشاطر في اللغة من أعيان أهله خبثا والعيار هو الكثير المجيء والذهاب الكثير التطواف وأطلقت على الأسد والشجاع ، وقد دفع هؤلاء العيارين الى الثورة الدائمة ومانعة من يغرق مليهم فقرهم واتصافهم بالروءة والشجاعة وإخلاق الفتوة ولهم آداب في حريهم وحياتهم . انظر المرجع السابق من ص ٢١ حتى ص ٣٥ ) وقد انتشرت جماعاتهم على طول بلاد المسلمين وعرضها واليها ينسب يعقوب الصفار كما هو مذكور .

الى ( كسرى برويز ) ( ٣ ) الساساني لكنه يبدو أن هذه النسبة والأصل كاذبان — وكان يعقوب غير معروف قبل حصوله على الشهرة وكان نسبه أيضا يجهله الجميع .

والمسلم به هو أن يعقوب ابن لأحد الصفارين السيستانيين من قرية تسمى ( قرنين ) على منزل واحد شرق زرنج عاصمة اقليم سيستان — وكان يعقوب هو واخوته الثلاثة ( عمرو ) و ( طاهر ) و ( على ) يتعيشون جميعا على شغل أبيهم .

وبعد مدة من الزمان ترك يعقوب قرنين الى مركز اقليم سيستان أى زربخ وقبل أن يعمل أجيرا لدى صغار بخمسة عشر درهما في اليوم ، لكنه كان ذا فتوة وبذل فكان ينفق كل ما يكتسبه في شبابه على رفاقه وأبناء مدينته وكان يكتسب اليه عوضا عن ذلك قلوبهم . ولم يسمح له فكره الفياض وهمته العالية أن يظل صفارا ويقضى عمره في هذه الحرفة الحقيرة فدخل في زمرة العيارين وقطاع الطرق مع أصحابه الذين جمعهم في شبابه ، لكنه لم يتجاوز في هذا السبيل بشهادة جميع المؤرخين جادة الانصاف ولم يتخذ من رعاية جانب الفتوة وبعد النظر في سرقة وقطعه الطرق ( ١ ) . وظل حله هذا الى أن التحق برفاقه بخدمة صالح السابق

( ١ ) أشهر أكاسرة الساسانيين بعد كسرى انوشروان وشهرته ترجع الى حروبه الطويلة مع هرقل الروم التي ذكرها القرآن الكريم أول سورة الروم فضلا عن قصوره وحربه وأمواله وبذخه واسرافه وبقي عن ذلك قصص وحكايات خاصة حبه لامراته السريانية ( شيرين ) في الأدب الفارسي . أما الموسيقى عند المسلمين فتدين بالفضل في الحانها ومصطلحاتها الى مغنبي بلاط هذا الكسرى وأشهرهم باريك . ( تاريخ إيران قديم لهرينا ص ٢٢٦ ، ٢٧٧ ) ( ٣ ) لا يفوت المؤلف أن يثنى على يعقوب ثناء المتعصبين من الفرس وأن يسبح عليه صفات الفتوة وعلو الهمة ونفص الفكر مع أنه كان صفارا ابن صغار سلك طريق السرقة وقطع الطرق والعيارية كما ذكر بنفسه ولم يرمو من أعمال القتل والنهب لتحقيق أطباعه . ومما يجعله ويجعل ضرياءه يعلنون من شأن هذا الصفار أنه يحتل في اعتقادهم مكانة المخلص المحرر الذي حرز إيران كما يقولون من الاستعمار الاسلامي أو العربي وانبعث بشد من

الذكر واستطاع جمعهم السيطرة على مدينة بست • وعهد صالح الى يعقوب في هذا الوقت قيادة جيشه ، وكان هذا أول شرع لأهمية هذا الشجاع السيستاني واعتباره •

ومن عام ( ٥٢٣٢ هـ ) حتى بداية ( ٥٢٣٨ هـ ) تسلط صالح بن النضر بعون يعقوب وعصبته على بست تسلطا كاملا • وفي العام الأخير بايع أهالي بست صالحا أميرا وتركوا اليه خراجهم •

وكانت رئاسة خوارج سيستان في هذا الوقت لأحدهم ويدعى ( عمار ) فأنفذ صالح يعقوب وقائدا آخر من أهل سيستان هو ( درهم ) لحربه فهزما عمارا وغلباه وكان يعقوب هو المقدم على درهم ، فاتفق عمار مع حاكم سيستان وهاجما في ( ٥٢٣٩ هـ ) صالحا • ومع أن صالحا قد انهزم في أول الحرب إلا أن كفتها رجحت الى جانبه بعون يعقوب وأخيه عمرو والقواد غيرهما من الساسانيين ، فغلب عمار وحاكم سيستان ،

---

أثر القومية الفارسية الجريح ويدفع عنها غائلة العربية والاسلام اذ انه أمر على أن يسقط الخلافة العباسية ويغداد لانها مركز العربية والاسلام وقد تحرك بجيشه — وسوف يلي هذا تفصيلا — لكن سهبه ارتد الى نحره وباء بالهزيمة ( ٢٦٢ هـ ) •

مع أن المؤلف وغيره من المؤرخين يجمعون على أن يعقوب وأخوته وصالحا ودرهما وغيرهم من العيارية ما اجتمعوا الا على قتال الخوارج عن الخلافة العباسية وأعدائها الآخرين ، ولم يظهروا في بداية حياتهم من قبل أن يتمكن يعقوب من اغلب ايران الا من أجل هذا الغرض وهو دفع اعداء الخلافة ، فكيف يتناسى يعقوب هدفهم الاولي هذا ثم يتجه لقتال الخلافة العباسية لأنها بنيت في رأيه على الخديعة الا لكر وأمر في نفسه هو كرهه العزب والاسلام جميعا • والواقع أن يعقوب الذي يجسبه الفكر الايراني في صورة البطل المغوار والمخلص المنقذ ما احتل مكانته هذه في نفوسهم الا أنهم يجتمعون معه في نفس حنقه على الاسلام والعرب •

وقد أدرك المؤلف في استعراض صفات يعقوب مادحا لفظ الفتوة بلغة العيارية ، وذلك لان العيارية تعني بعض معاني الفتوة وتعد أحد أطوارها التاريخية • والفتى في اللغة هو الشاب والحدث والكامل الجزل من الرجال وهو البسخي الكريم ( لسان العرب ) وهو في القاموس المحيط الشاب والبسخي انظر رسالة الدكتوراه للمترجم في هذا صفحات ( ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ) •

واعتلى صالح كرسىها • لكنه حين طلب من جنده الاغارة على قصر والى سيستان ، رفض يعقوب ورفاقه السيستانيون قائلين ان صالحا قد أغار على أكثر من ألف ألف درهم من مال أهل سيستان والتفكير فى اغارة أخرى أمر يخالف الفتوة ويخالفها كذلك أن يسمح له أن ينهب قصر حاكمها السابق • فلما اطلع صالح على هذه الواقعة ركن الى الفرار • فجعل يعقوب وأخواه وجماعته يتعقبونه ووقعت بين الطرفين حرب شديدة ، انهزم فيها صالح وقتل طاهر أخو يعقوب أيضا ( ٢٤٤هـ ) •

وبعد فرار صالح بايع الجند درهما وبقي يعقوب قائدا لجيشه وأظهر فى خدمته فى حروبه مع الخوارج والمخالفين غيرهم شجاعة وكفاءة عظيمة حتى استلب ألباب الجند كله وأرواحهم • ونفس درهم على يعقوب جاهه ومقامه فأمر فريقا بقتله ، لكن هذا الرجل السيستانى علم بهذه المؤامرة وصرع أعداءه وألقى بدرهم فى السجن وهو فذ وحيد ونصبه فى الحرم من ( ٢٤٧هـ ) جيش سيستان وتسعها أميرا عليهم •

### يعقوب بن الليث

( ٢٤٧ — ٢٦٥هـ )

### معاربة يعقوب لأعدائه فى الذأخل : —

وبعد أن اختير يعقوب اميرا لسيستان انبعث ليقضى على من كانوا يناصرونه العداء والخلاف فيها • وكان أهم أعدائه فى هذا الوقت عمارة الخارجى الذى ترأس خراج سيستان ثم صالحا الذى كان لا يزال يظن انه صاحب القوة فى بست ، ودرهما الذى كان قد فر من قبضة يعقوب بينما كان يحارب الخوارج •

فى البداية تغلب يعقوب على درهم وبايع أتباعه يعقوب ، ثم اجلس فى ( ٢٤٨هـ ) أخاه عمرا فى سيستان مكانه وأغار على بست • لكن صالحا أخلى بست وهاجم زرنج من طريق آخر وأوقع عمربن

الليث في أسره ، فتحرك يعقوب معجلا الى سيستان واستخلص أخاه  
وهزم صالحا . واتجه صالح بعد هذه الهزيمة الى حدود كابل ولجأ الى  
ملك القسم الشرقي من أفغانستان الحالية وكان مشركا ويطلق عليه  
وعلى غيره لقب ( رتبيل ) وحالفه على حرب يعقوب ( ١ ) .

وقد جرت الحرب بين يعقوب وصالح وحليفه في ( ٥٢٤٩ ) على  
مقربة من بست . وقد ساء الموقف في البداية بالنسبة ليعقوب ، لكن  
الأمير السيستاني حمل حملة صادقة فأورد رتبيل مورد الغلبة والهلاك  
غولي أعداؤه فارين . وقد استأسر يعقوب في هذه الواقعة نحو ثلاثين  
ألفا من الجنود وغنم كثيرا منها أربعة آلاف جوالد وانضم اليه كثير من  
أصحاب صالح ورتبيل .

١ وأرسل يعقوب فور هذا النصر من يتعقب صالحا فأسره وصفده  
وخل بحبس يعقوب الى أن وافاه أجله في ( ٥٢٥١ ) .

٢ أما عمار الخارجي فقد أصابه المقتل في حربه مع يعقوب في  
( ٥٢٥١ ) وأمر يعقوب فطلق رأسه على بوابة وجسده على بوابة أخرى  
في مدينة سيستان ، وزالت بموته شركة الخوارج الأولى فدخلت  
أكثريتهم في طاعة يعقوب بن الليث الصفار وخمدت فتنتهم .

### فتح هراة في ٥٢٥٤ هـ :-

توجه يعقوب الى فتح هراة في ( ٥٢٥٣ ) بعد أن سلمت له  
سيستان وجزء من أفغانستان الحالية ، وكانت هراة تعد بوابة خراسان

( ١ ) في تاريخ ايران يتأهل دراسة القاب ملوك البلاد التي اتصلت بها  
وملوكها على مدار تاريخها الطويل ، منهم ( رتبيل ) شرق أفغانستان الحالية ،  
( رأى ) الهند و ( غغفور ) الصين هذا في الشرق ، أما في الغرب  
( أقيصر ) الروم و ( ملك ) العرب . أما لقب ملك ايران فهو ( خسرو ) تعريبه  
( كسرى ) وكان يطلق على نفسه ( شاهنشاه ) أى ملك الملوك فهو رئيس  
الملوك أو ولاية ولايات ايران ولقب كل منهم ( شاه ) أى ملك . وقد سمي  
محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية والذي سيرد تفصيل تاريخه  
( السلطان ) وكان أول من سمي نفسه بهذا اللقب

الشرقية • وكانت هذه المدينة مثل سائر ولايات خراسان في هذا الوقت ضمن ملك آل طاهر وكان يحكمها منهم الحسين بن عبد الله بن طاهر من جانب الأمير محمد بن طاهر الثاني آخر أمراء هذه الأسرة •

ولما أغار يعقوب على هراة أغلق الحسين بن عبد الله المدينة أمام المهاجمين فاضطر يعقوب الى حصارها — وبعد فترة من القتال تملك يعقوب هراة وصاحبها • فأرسل الأمير محمد الطاهري قائد جيش خراسان ابراهيم بن الياس بن أسد الساماني بجيش الى بوشنج لدفع يعقوب ، فترك الأخير أخاه عليا على هراة وأسرع الى ابراهيم وهزمه واستخلص بوشنج منه أيضا •

وقدم ابراهيم منهزما الى نيسابور عند الأمير محمد وأفهمه أن صلاح أمره في استمالة يعقوب وترك قتاله ، فسير محمد وكان ضعيفا لقفل طريق يعقوب الى خراسان مرسلا اليه بالتحف والهدايا وترك له رسما حكومة فارس وكرمان وسيستان وكابل • ورجع يعقوب الى سيستان بالسروور والانتصار وأقام شعبها الافراح عند وصوله ومدحه الشعراء بالعربية والفارسية (٢) وصار يخطب له من هذا الوقت •

#### استيلاء يعقوب على كرمان وفارس في ٢٥٥ هـ : —

كان يعقوب يردد قوله علينا نحن أهل سيستان أن نحفظ سيستان من شر الأجانب ، وفوق ذلك نزيد على اتساعها ونضم اليها الولايات التي على أطرافها وأكتافها ولهذا فقد اتجه فكره الى الاستيلاء على البلاد بعد

---

(٢) قيل أن أحد الشعراء أنشده شعرا بالعربية غلم يفهم أو استنكف ذلك فأنشأ وزيره محمد بن وصيف السجزي ينشده شعرا بالفارسية عد أول ما قيل نظما بالفارسية في رأي بعض المؤلفين كصاحب تاريخ سيستان • وعامة في أول من قال الشعر الفارسي بعد الاسلام انظر ما أورده محمد العوفي في كتابه لباب الالباب المؤلف في أوائل القرن السابع الهجري ، باهتمام ادوارد ليروان ، مطبعة برييل بليدن (١٩٠٦م) ص ٢١ ، وانظر في حادثة وصيف السجزي ما تحت عنوان ( رغن يعقوب بهراة وكرغزن هري ) ص ٢٠٨ وما بعدها من كتاب تاريخ سيستان نشر ملك الشعراء بهار في طهران عام ١٣١٤ هـ . ش •

أن دفع أعدائه بالداخل وتوجه الى كرمان وفارس قبل غيرها •

كانت كرمان اسما في هذا التاريخ جزءا من بلاد آل طاهر ، ولكن بسبب ضعف الأمير محمد الطاهري فلم يك لهذه الأسرة فيها أدنى نفوذ • وطمع والى فارس على بن الحسين بن قريش من طرف المعتز الخليفة في كرمان ، ولما كان الخليفة يخشى من على هذا بسبب عصيانه استيلاءه على خوزستان والعراق فقد أمره بالسيطرة على كرمان ، وأرسل بنفسه الأمر الى يعقوب الصفاري أيضا هادفا الى أن يتولد العداء والقتال بين على ويعقوب وكان كلاهما يتظاهر بطاعة الخليفة ويبطن العداء له فيستريح من شر الاثنين •

أرسل على من جانبه بقائد على خمسة آلاف فارس هو طوق بن المجلس الى كرمان فاستولى عليها قبل وصول يعقوب اليها • وعلم يعقوب بخبر هذا الاستيلاء عندما اقترب الى كرمان فاضطر أن ينزل قبلها بمنزل ومكث بمنزله ما يقارب الشهرين فلم يبادر بالهجوم عليها ولم يتحرك طوق لدفعه • وفي النهاية أظهر يعقوب أنه بصدد العودة الى سيستان وابتعد عن كرمان بمنزله واعتقد طوق أن يعقوب انصرف عن مهاجمة كرمان فترك أمور الحرب وانشغل باللهو واللعب ، فطوى يعقوب المنزلين اللذين كان قد سارهما في يوم واحد وبلغ كرمان واستبى طوقا واستخلص كرمان •

وسمع على بن الحسين بخبر هزيمة طوق وأسرهم فجمع جندا وكنم في مضيق في طريق يعقوب الى شیراز لكنه لم يستطع أن يغلب جلادة الأمير السيستاني وتدبيره ، فقد هزم يعقوب جيشه ببسر وأسر عليا نفسه — ودخل شیراز في ١٤ جمادى الأولى من ( ٢٥٥ هـ ) • وقد اغتنم في فتحه هذا غنائم كثيرة حتى أن كل جندي من جيشه ناله ثلاثمائة درهم • وعاد يعقوب الى سيستان مظفرا بعد أن أرسل الهدايا من شیراز الى الخليفة المعتز •

## فتح كابل في ٢٥٦ هـ :-

وبعد عودة يعقوب من فارس أدخل الخليفة المعتز هذه الولاية في طاعته مرة أخرى ، فغضب يعقوب بسبب أن خراجها يحمل الى بغداد وليس الى سيستان وكان يفكر في أن يعود اليها ثانية لولا أنه سمع أن ابن رتبيل سابق الذكر الذي ألقى به في سجن بست قد نجح في الفرار منه وجمع جيشا كثيفا يطلب به دم أبيه واستولى على الرخج ( الرخد ) من البلاد القريبة الى كابل وأعلن استقلاله .

وبلغ يعقوب رخج في ذي الحجة من ( ٢٥٥ هـ ) وهاجم كابل في تعقب خصمه واستولى على هذه المدينة وكانت الى هذا الوقت في يد البوذين خارجة عن طاعة المسلمين وخرب كثيرا من معابد أصنامها بصفته مجاهدا غازيا وحمل منها غنائم ضخمة من بينها عدد من الأصنام الذهبية والفضية البوذية وأرسل خمسين منها هدية للخليفة المعتمد ليظهر له خدمته للإسلام .

وعلى هذا فان يعقوب كما نرى هو أول مجاهد اسلامي عمل على نشر الاسلام في الجزء الشرقي من أفغانستان الحالية ووادي نهر كابل وحدود معبر خيبر ، ومد من اتساع انتشار هذا الدين حتى حدود القسم الأعلى لوادي السند قبل الغزنويين والغوريين .

وبعد فتح كابل عاد يعقوب الى بست وكرمان عن طريق هراة وتحرك قاصدا استعادة فارس ناحية شيراز في ( ٢٥٧ هـ ) فأرسل الخليفة المعتمد أخاه وولى هذه طلحة الملقب بالموفق اليه وأظهر سخطه عليه لتحركه الى شيراز خلاف رغبته وأعطاه عوضا عنها امارة بلخ وطخارستان ( القسم الشمالي من أفغانستان الحالية ) فعاد يعقوب الى سيستان وتغلب مرة أخرى في ( ٢٥٨ هـ ) على ابن رتبيل في كابل وفتح بلخ أيضا ثم هاجم هراة وبوشنج وكان أهلها قد أعلنوا طاعتهم للطاهريين مرة أخرى واسترق الحسين بن طاهر بن الحسين عم أبي الأمير محمد الطاهري . ولم يقبل يعقوب تخليته برغم الحاف الأمير



محمد لخلاصه ، لانه كان يفكر في دفع الطاهريين تماما عن خراسان وكان يتصيد ذريعة لطردهم جميعا من هذا الاقليم .

### فتح نيشابور وانتهاء الطاهريين في ٢٥٩ هـ : -

وحينما كان يعقوب منشغلا بفتح طخارستان وغزو كابل ثار رجل من سيستان اسمه عبد الله بن محمد بن صالح مدعيا الامارة عليه وقام وأخا ن له بمقاطقته ، لكن يعقوب هزمهم ففر عبد الله وأخواه من سيستان والتجأ بآل طاهر في نيشابور . وطلب الأمير الصفارى من الأمير الطاهري تسليمهم اليه فاستنكف الأمير الطاهري عن طاعة أمره وهيا له حجة قوية ليهاجم نيشابور . وكان يعقوب يعلم جيدا أن آل طاهر هم ولاية خليفة بغداد وكان الخليفة يحبهم ويكرمهم فلم يرد أن يعلن حربهم على آل طاهر حتى لا يظهر الخليفة حركته أمام الأعين بصورة العصيان والتمرد ، فتحرك لهذا السبب الى نيشابور بحجة حرب علوية طبرستان الذين قاموا ضد الخلفاء العباسيين وأخذوا طبرستان من يد الطاهريين والعمال العباسيين .

وطلب عبد الله بن محمد بن صالح من الأمير محمد الطاهري أن يمنع يعقوب فيهيء أسباب مجابهته وبالغ في طلبه لكن محمدا رفض طلبه لشدة ضعف نفسه قائلا لا طاقة لنا اليوم ببيعقوب وجنوده فاضطر عبد الله وأخواه الى الهروب الى الدامغان وجرجان واعتصموا بالحسن ابن زيد الداعي الكبير الذي كان مستوليا على طبرستان وجرجان لأربعة عشر عاما خلعت .

وفي اقتراب يعقوب الى نيشابور مال جمع كبير من أتباع الأمير محمد الطاهري وحاشيته الى يعقوب وأطلعوه سرا على سوء وضع الطاهريين وسهولة استيلائه على نيشابور وطمانوا محمدا من ناحية يعقوب وحسن سيرته حتى وصل يعقوب في الرابع من شوال من ( ٢٥٩ هـ ) الى نيشابور وأحضر محمدا الطاهري اليه عن طريق أخيه عمرو وبعد أن وبخه كثيرا على عدم كفايته وضعف رأيه وعمله صفده بالأغلال وأرسله

ومعه نحو مائة وستين من هاشيته الى سيستان وحبس الجميع بها :  
وسقطت الأسرة الطاهرية بهذا النحو على يد يعقوب .

وبعد فتح نيشابور وانقراض امارة الطاهريين تحرك يعقوب  
قاصدا جرجان وطبرستان حتى يقبض على عبد الله بن محمد بن صالح  
الذي كان مشغولا في تلك المناطق بجمع الجيش لمعاونة الداعي الكبير  
ورفض الداعي تسليمه الى يعقوب ، ولكي يستولى أيضا على جرجان  
وطبرستان اللتين كانتا في السابق ضمن أملاك الطاهريين .

وقد ذكرنا بالتفصيل حرب يعقوب وصراعه مع الداعي الكبير في  
( ٢٦٠ هـ ) في فصل علوي طبرستان ونذكر فقط هنا بأن يعقوب أمسك  
في النهاية بعبد الله في طبرستان وقتله وأسر أخويه أيضا والى الري  
وأرسلهما الى يعقوب ، فأرسلهما يعقوب بدوره الى نيشابور فصدق  
أطرافهما أحياء بمسامير من الحديد في حائط وفرغ باله من هؤلاء الأخوة  
الثلاثة .

### حرب يعقوب للخليفة في ( ٢٦٢ هـ ) : -

وفي عام ٢٦١ هـ أرسل يعقوب رسالة الى الخليفة المعتمد قرر فيها  
علة قبضه على محمد الطاهري واختلال أحوال خراسان نتيجة لعدم  
كفايته . وأرسل هذه الرسالة الى بغداد ومعها رأس أحد رؤساء الخوارج  
وكان قد عصى يعقوب وادعى الخلافة فقتله يعقوب . وتكدر المعتمد  
لأجل محمد الطاهري لكنه لم يشأ أن يعلن عداؤه ليعقوب فأمر أن يعلق  
رأس هذا الخارجي في بغداد وأن يعود رسول يعقوب عودا حسنا وعمل  
على استمالة الأمير السيستاني .

وتوجه يعقوب في شعبان من ( ٢٦١ هـ ) الى فارس ولم تبرح فكرة  
الاستيلاء عليها عقله واصطحب معه من الأسرى عليا بن الحسين بن  
قريش حاكم فارس السابق والأمير محمد الطاهري في سفره هذا . وما  
حرك يعقوب الى أن يتوجه الى فارس هذه المرة هو استيلاء محمد بن  
واصل عليها وإخراجها عن أيدي عمال المعتمد . وكان يعقوب قد جعل

محمد بن واصل حاكما من لدنه على كرمان فاستولى محمد قبل تحريك يعقوب بقليل على فارس والأهواز واتجه الى واسط لمهاجمتها أيضا . وما سمع يعقوب بهذا الخبر حتى سلك طريقه الى فارس ، واستقبل في أصطخر مبعوث محمد بن واصل الذي وضع قلعتها تحت تصرف يعقوب . وأخذ يعقوب طريقه صوب شيراز بعد اغتنام ما في هذه القلعة .

وفي هذا الوقت أيضا أخذ حاكم قهستان بخراسان من جانب يعقوب وهو محمد بن زيدويه في اثارة محمد بن واصل على يعقوب بعد أن عزله يعقوب وبعد انضمامه الى محمد بن واصل ، فلما اقترب يعقوب هرب ابن زيدويه بدون نزال وهزم ابن واصل أيضا وكان قد عجل من الأهواز لمنع يعقوب ، وهكذا أعاد يعقوب فارس مرة أخرى الى سيطرته . وبعد أن تحقق ليعقوب فتح فارس عزم الأهواز ففتحها ثم توجه منها الى واسط . وفزع الخليفة المعتمد وأهل بغداد لاقترب يعقوب وأرسل الموفق أخو الخليفة وولى عهده رسولا اليه يستفسر فيه عن سبب قدومه قائلا في ضمن رسالته ان المعتمد عهد اليه إمارة خراسان وبلخ وطخارستان وجرجان وطبرستان والرى وفارس وشرطة بغداد وأمره بجهاد الكفار فلا يحق له بهذا أن يأتى العراق ، فرد يعقوب ( أحب أن أؤدى بنفسى واجبات الطاعة للخليفة ) . وكان يعقوب يزيد اصرارا في تقدمه الى بغداد كلما زاد المعتمد والموفق في طلبهما عودته بهذه الوعود ، الى أن أمر المعتمد بجمع الجيش وقصد دفعه .

وفي دير العاقول ( في مشرق دجلة بين بغداد والمدائن ) في رجب من ( ٢٦٣هـ ) جرت الحرب بين الجيشين . وكان النصر في بداية الأمر ليعقوب ، الا أن وجود الخليفة نفسه بين الجند واستدعاه جمعا اليه من جند يعقوب بأن نادى لهم مناد وأعلن عصيان يعقوب للخليفة أمير المؤمنين ، ومن ناحية أخرى أجروا أنهارا من الماء بين جيشه كل هذا تسبب في هزيمة يعقوب الذي أصيب نفسه بثلاثة جروح في عنقه ويديه . فأرغم على العودة الى خوزستان دون أن يفتر عزمه ليجمع جيشا آخر

للانتقام لهزيمة التي كانت أول هزيمة له في مجالداته وفتوحاته (١) .

وأطلق سراح الأسرى الذين كانوا برفقة يعقوب ومن بينهم محمد ابن طاهر ، وقد عينه المعتمد في شرطة بغداد وعهد إلى محمد بن واصل حكومة فارس أيضا وأمر أخاه الموفق بتعقب يعقوب في خوزستان .  
وتقدم الموفق حتى واسط لكنه مرض بها وعاد إلى بغداد ، فأمن يعقوب جانبه وقام بالسيطرة على فارس وأسر محمد بن واصل مرة أخرى .

وقد وقع هذا الفتح الأخير لفارس وأسر له محمد بن واصل في عام (٥٢٦٣ هـ) ووقعت في يد يعقوب في هذا الفتح خزائن محمد بن واصل التي كان محفوظة في إحدى قلاع اصطخر وحصل منها على أموال قدرت بأربعين ألف درهم .

وعاود يعقوب هجوم الأهواز بعد أن استراح من أمر فارس ومحمد بن واصل فاستخلصها من عمال المعتمد واقترب مرة أخرى إلى حدود العراق . وكان المعتمد في هذا الوقت واقعا في ضيق كبير ، فمن ناحية أخذ يعقوب يهدد الخلافة ، ومن ناحية أخرى ادعى شخص اسمه علي بن محمد أنه علوي ولقب بصاحب الزنج لأنه جمع حوله في (٥٢٥٥ هـ) جماعة من المعبدين الزنوج واصطدم مرة بعد مرة بقواد الخليفة في البصرة وحدود رأس الخليج والوادي الأعلى لشط العرب وأقام فتنة كبيرة . وكان الخليفة وبلاطه في قلق شديد . ولكن لحسن حظ الخليفة أن أرسل صاحب الزنج إلى يعقوب رسائل مرارا ليتحد الاثنان فيقضي على الخلافة بعون أحدهما للآخر فكان يعقوب يرفض دعوته مما مكن الخليفة لهذا السبب أن يقضى على كلا الخصمين واحدا بعد الآخر (٢) .

---

(١) ذكر ابن الأثير أن يعقوب كاد يهزم طلحة أخا المعتمد وقائد جيشه لولا أن تحاليل طلحة فكشف رأسه وصاح ( أنا الغلام الهاشمي ) فحل احترام الخلافة في القلوب فانهزم عنه أصحابه فانقلب النصر هزيمة . راجع الكامل ج ٧ ص ١١٥ .

(٢) ذكر المؤرخون أن يعقوب لما راسله العلوي يطلب تحالفه رد عليه

## موت يعقوب في ٢٦٥ هـ :

وفي عام ( ٢٦٤ هـ ) كان يعقوب منصرفا الى جمع جيش للهجوم على بغداد أثناء مكنه بجند يسابور في خوزستان حين أصيب بمرض القولنج . وأرسل المعتمد في هذا الوقت اليه رسولا يزوجي اليه رسالة يتملقه فيها بقوله أنه علم أن يعقوب كان رجلا ساذجا ينخدع بقول كل قائل فقصد الخلافة بالسوء ولما أن الله قد نصره عليه فانه قد عفا عنه ولكي يجدد عفوه له فقد أوكل اليه اماره خراسان وفارس كما كان الحال في الماضي فأمر يعقوب ببعض الخبز الجاف والسمك والفجل والبصل على طبق خشبي وقال لرسول الخليفة : قل لسيدك انني ابن صغار تعلمت الصفر من والدي وطعامي كان خبز الشعير والسمك والفجل ، وهذه الدولة والشوكة التي تراها حزت عليهما بشجاعتي وجرائتي لا عن ميراث من أبي أو انعام منك ، فلن أستسلم الا حين أستأصل أسرتك . فان مت فسوف تستريح من جانبي وان عشت فهذا السيف لك وان غلبت أرجع الى سيستان وأقضى بقية عمري بهذا الخبز الجاف والبصل . وآب رسول الخليفة الى بغداد ليزجي رسالة يعقوب ، لكن خبر موت الأمير الشجاع السيستاني وصل قبل وصوله اليها واستراح خاطر الخليفة من ناحية هذا الند الداهية .

---

بقوله تعالى ( قل يا ايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ) الى نهاية السورة . أما صاحب الزنج فما أقامه على الخلافة الا لشدة الظلم الواقع منها على الرعية وخاصة أولئك الزوج المسخرين في خدمة كبار الدولة ودليل هذا ان الخليفة لما فرق الاموال — كما ذكر التاريخ — على أولئك المعجرة المساكين انصرفوا من مخلصهم العلوي المدمى مهزمت وانتهت حركته ولكن الظلم لم يفت . انظر في رد يعقوب للعلوي الكامل لابن الاثير ( مصر / ١٣٠١ هـ ) ( ج ٧ ص ١١٥ ) وفي اخبار صاحب الزنج تاريخ الطبري ( تحقيق محمد أبي الفضل ) ٤٠٦/٩ — ٦٦١ ، والكامل ١٤١/٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٨ ، ومروج الذهب للبسمودي ( تحقيق محمد الصباغ ) ٢٠ / ٤٣٩ ، ٤٤٦ — ٧ ) وتاريخ العراق الاقتصادي للدوري ( بغداد ١٩٤٨ ص ٦٩ — ٧٠ ) .

وقد وافق يعقوب منيته يوم الاثنين العشرين من شوال سنة ٥٢٦٥ هـ في جنديسابور بخوزستان ودفن في نفس المدينة ، وقد بلغت مدة امارته من المحرم من ( ٥٢٤٧ ) حتى العشرين من شوال ( ٥٢٦٥ ) نحو سبعة عشر عاما وعشرة شهور .

كان يعقوب رجلا عاليا الهمة بعيد النظر حسن الخلق ذا فتوة واحسان ورأفة روى عنه حكايات كثيرة في شأن هذه الخصال والفضائل لا يتيسر لنا لسوء الحظ نقلها في هذا المجال . قل من معاصريه أن يصل اليه في تحمله للمصائب ومتاعب الأسفار وقوة الارادة . وكان يبدى في قيادة جيشه وتدبيره الحربى الدرجة القصوى من الفهم والذكاء .

كان يعقوب رجلا عاقلا بعيد الفكر قلما رؤى وهو يضحك وكان جنده تابعين مخلصين لسياسته لم يجروا أحدهم على الاقدام على أمر بدون اجازة منه ولم يكن لأحدهم أدنى اجتراء على أن يهاجم بلا أمره أو يتصرف في منعم دون اشارته . وكان يدقق في اصلاح أمر جيشه قبل أى شئ . وكان يؤثر جيشه على كل شخص . وحين كان يأتيه أحدهم فكان أول سؤاله هل تعرف القتال والرمى والنزال وتتنق هذه الفنون ؟ فاذا سمع منه اجابة مقنعة سأل : لى من خدمت قبل مجيئك الينا وفى أى ميدان حاربت وأية فنون أظهرت ؟ ثم يأمر له براتب سنوى ويقبله فى خدمته . واذا سأل جندى مالا أو راتبا قبل انقضاء العام كان يأمر بأن يؤخذ منه ما معه من مال (١) .

وكان يعقوب أثناء تحرك الجيش يجلس على عرش خشبى يشرف على كل جنده حتى ينظر جيدا فى أحوال الجند فاذا ما رأى نقصا فى أمر من أمورهم قام باصلاحه على الفور . وكان له غلمان يلازمون منزله أو خيمته وعرضه ليأمرهم يعقوب بتنفيذ أوامره .

---

(١) لئاد يعقوب كثيرا من تنظيمات المعيارين وآدابهم العسكرية فضلا عن اتصافه بصفاتهم من الشجاعة والمروءة والتحمل ، انظر فى هذا ما كتبه زرین كوب فى تاريخ ايران (بالفارسية) ص ٦٢١ .

وكانت عاصمة يعقوب مدينة ( زرنج ) من بلاد سيستان القديمة .  
 وكانت حوزة ملكه خراسان وسيستان وطخارستان وكرمان وفارس  
 وكابل وجزءا من وادي السند ثم خوزستان أيضا لفترة من الزمان .  
 وخطب ليعقوب في مكة والمدينة بأمر من الخليفة لسبع سنوات ، وبلغت  
 شهرته في أيامه في البلاد المحيطة به الى حد أنه كان يطلق عليه ( ملك  
 الدنيا ) و ( صاحب قران ) ( ١ ) . وكنيته هي أبو يوسف .

## ٢ - عمرو بن الليث

( ٢٦٥ - ٥٢٨٧ )

حينما كان يعقوب بن الليث مريضا في جنديسابور قدم اليه عمرو  
 معتنرا اذ كان مخاضا لأخيه في ذلك السفر ورحل الى سيستان مستاء ،  
 وسر يعقوب لعودة أخيه لأنه كان كسيف البال مجزونا لغضبه ، فأبدي له  
 صنوف الاكرام . أما عمرو فقد بقى على اخلاصه التام في خدمته ليعقوب  
 الى أن وافاه أجله . وقد انتخبه يعقوب لخلافته وأوصى أتباعه باطاعة  
 أمر عمرو .

## نزاع عمرو وعلي :-

ومع أن يعقوب اختار عمرا خلفا له الا أن أخاه الأصغر عليا لم يرض  
 بخلافته ، وقد أخذ أكثر الجند جانب علي لأن عمرا كان حديث الوصول

(١) صاحب قران لقب معناه صاحب الاقتران السعيد ، والقران معناه  
 ظكيا اجتماع كوكبين وقران السعدين هو اجتماع كوكبي السعد المشتري  
 والزهرة ، وقران النحسين هو الاجتماع كوكبي النحس زحل والمريخ . واتخذ  
 هذا اللقب باديء الأمر الأمير تيمور الكوركاني ويقال ان مولده وقع وقت اقتران  
 كوكبين من كواكب السعد ، غير أن هذا اللقب أطلق عليه بطبيعة الحال بعد  
 تفكير تم من بعد . وأطلق الشعراء وأصحاب الملق هذا اللقب بعد وفاة تيمور  
 من حين لآخر على حاكم أقل شأنًا منه بل على حكام لا شأن لهم يذكر .  
 فادعاء تلقيب يعقوب بهذا اللقب اذن كاذب . ( انظر دائرة المعارف الاسلامة  
 العربية للتفصيل ) .

من سيستان وفارق الجيش مرارا ، الا أن عمرا سرعان ما استخلص  
قلوب الجند له بتدبيره وكفايته فبايعوه جميعا •

وعلم عمرو وقد كان رجلا بصيرا موزون الفكر أن صلاحه ليس  
عداء الخليفة في بداية حاله لاسيما وأن الخليفة قد هزم أخاه من قبل ،  
لهذا فقد أرسل الى الخليفة المعتمد رسالة أظهر فيه طاعته وانقياده ،  
فسر لذلك الخليفة وأصدر أمرا له بحكم فارس وكرمان وأصفهان  
وطبرستان وسيستان وعراق العجم وشرطة بغداد مكافأة له ، وتعهد  
عمرو بإرسال عشرين ألف درهم الى دار الخلافة خراجا سنويا وأن يذكر  
اسم الخليفة في الخطبة •

وقفل الأمير الصفارى من خوزستان الى فارس راجعا بعد أن ترك  
شرطة بغداد الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الطاهري وأزجى هداياه  
الى بغداد • وسمع هناك أن أخاه عليا قد أطلق لسانه بتقبيح أخيه مخالفة  
له والتقليل من شأنه في أنظار الناس فأمر ببقيدته ، لكنه خلى سبيله بوصوله  
الى سيستان في رجب ( ٢٦٦ هـ ) ثم وهبه مالا عظيما كما اعتذر له عما فعل •  
ولم يكن على حريا بهذا الاكرام على وجه النصفة لأنه لم يتخل عن عداء  
عمرو مع كل احترامه له وعفوه عنه وكان دائم إثارة أعدائه عليه ويمدحهم  
عليه •

وفي أيام مكث يعقوب بفارس وخوزستان وأثناء المدة بين موته  
وأوبة عمرو الى سيستان أبدى قوم كان طائعين قبل خلوها من يعقوب  
العصيان لعمرو وجاوزوا الى جادة الطغيان وطلب المجد ظانين أن عمرا  
عاجز عن تأديبهم وأن الغلبة عليه أمر يسير •

وأول من رفع راية العصيان كان أحمد بن عبد الله الخجستاني من  
أهل خجستان من أعمال بادغيس بهراة • وقد ارتفع شأن هذا الرجل  
بقوة عزمه وعلو ارادته من رتبته الموضيعة في بداية الأمر وهي المكارية  
تدريجا اذ دخل في خدمة الأمير محمد الطاهري • ولما تمكن يعقوب من



نیشابور دخل أحمد الخجستاني كأغلب أصحاب الأمير الطاهري في خدمة الصفارين وصار من ملازمي علي بن الليث أخى يعقوب وعمر .  
 وفي ( ٢٦١ هـ ) قبل أن يتحرك يعقوب الى فارس أمر أحمد الخجستاني أن يتفحص أعمال علي بن الليث في خراسان . ولكن أحمد هذا أعلن عصيانه ليعقوب بمجرد حركته الى فارس ، فقام أولا بإخراج عماله من نيشابور وقومس وبسطام ثم دعا الناس في نيشابور الى مبايعة آل طاهر في ( ٢٦٢ هـ ) وأشار بمدد من بعض المتمردين الآخرين الخراسانيين فنتتة عظيمة في كل خراسان في الفترة التي كان يعقوب رهن نزاعه مع الخليفة فيها وأمور فارس وخوزستان . وقد تصارع مرات أيضا والحسن بن زيد الداعي الكبير للسيطرة على جرجان . وظل على حاله هذا الى أن عاد عمرو الى سيستان وأخذ ما بين هراة الى بلخ واشتغل بالسلب والنهب والاغارة وتحالف في حركاته هذه مع أحد أتباع الأمير محمد الطاهري القدامى والذي لحق بيعقوب أولا ثم طرده يعقوب عنه وهو ( رافع بن هرثمة ) .

ولما قدم عمرو في ( ٢٦٦ هـ ) من خوزستان الى سيستان وأطلق أخاه عليا من قيوده أرسل الى الخجستاني رسولا خفية وطلب عونه وقيامه على هزم . فتحرك الخجستاني من جرجان الى نيشابور وحاصرها وهي مركز خراسان ، فخف عمرو بن الليث ومعه أخوه علي وابنه محمد بن عمر من سيستان الى نيشابور عن طريق هراة ودخل في قتال مع الخجستاني يعاونه أخوه وابنه وقد قاد كل منهما طرفا من الجيش الصفاري . وخان علي أخاه وأبدى الوهن في قتاله مما ألحق بأخيه من الخجستاني فانهزم الى هراة وقيد عليا مرة أخرى . وتقدم الخجستاني متعقبا عمرا الى هراة وسيستان ولكنه لم يستطع أن يستولى على واحدة منها مما جعله يأخذ في القتل والعاة ، فسخط الناس لظلمه وظلم جنده ومالوا الى عمر بن الليث وأخذوا يقتلون جند الخجستاني حيث وجدوهم . وفي النهاية عاد الخجستاني في ( ٢٦٧ هـ ) من سيستان الى نيشابور . وفي هذه الأثناء قدم

الى عمرو في هراة اثنتان من مدعى حكم الصفارين سابقا وكانا لفترات طويلة باعث تبعهم هما محمد بن زيدويه حاكم قهستان السابق الذى مر ذكره في ثورات فارس في عهد يعقوب ، والآخر هو أبو طلحة منصور من متمردي نيشابور وممن عصى في أواخر عهد يعقوب وصارعوا الصفارية والخجستانى . وقد قبل هذان طاعة عمرو . وفرح لهذا الأمر وخلع عليهما وأعطى أبا طلحة منصب القيادة العامة لجيش خراسان ، ثم قدم عمرو من هراة الى سيستان .

وظل الخجستانى عاما آخر يذهب ويسلب في طخارستان وخراسان وينازع مدعين آخرين ويقاثلهم وتغلب على أبى طلحة قائد عمر ، لكنه في النهاية قتل في شوال ( ٢٦٨ هـ ) وهو مغمور بيد غلامين من غلمانه فأراحا العالم من شروره . واجتمع أصحاب الخجستانى بعد مقتله حول رافع بن هرثمة وهكذا ارتهن عمرو بفتنة رافع وتمرده بعد أن استراح من الخجستانى ، وصرف أوقاته فترة في تعقب هذا المدعى .

#### غزو عمر لفارس في ٢٦٨ هـ : —

قصد عمرو بن الليث في المحرم من ( ٢٦٨ هـ ) فارس قبل أن تنتهى فتنة الخجستانى ، وكان سبب ذلك أنه سمع أن محمدا بن الليث والى فارس لم يرسل خلافا لأمره الخراج الذى يتوجب إرساله سنويا الى بغداد وغضب الخليفة بسبب هذا على عمر وخاصة أن عمرا قد كان ضائعا من اتحاد محمد بن الليث مع الخجستانى .

وسرعان ما أمن عمرو بن الليث فارس وتغلب على اثنين أو أكثر من أصحاب يعقوب القدامى الذين سلكوا سبيل العصيان وأرسل الخراج المتأخر الى دار الخلافة . ورضى الموفق أخو الخليفة لمسلك عمرو طريق أخيه يعقوب فيفكر في فتح بغداد والقضاء على الخليفة أرسل اليه أنه لما كان أمر العراقيين وفارس واليمن والشام مستقرا ولا يحتاج الى الرق والفتق فانه من اللازم أن يعزم دار الكفر ( أى شرق سيستان وحوالى

السند والتركستان التي لم يسيطر عليها المسلمون الى ذلك الوقت ) وأن يحرض جنوده على الجهاد \* وأطاع عمرو الأمر وترك فارس لأحد أتباعه وهو (نصر بن أحمد) وعاد هو الى سيستان \*

### قصة عمرو مع رافع بن هرثمة وعمال الخليفة : -

استفاد رافع بن هرثمة خليفة الخجستاني من فرصة غياب عمر فهاجم أبا طلحة قائد خراسان ثم هاجم سيستان بعد أن تغلب عليه ، لكنه عاد الى هراة لما أدرك أنه لن يستطيع أن يتمكن فيها وظل بها الى أن عاد عمرو من فارس الى سيستان \*

حاصر عمرو هراة في ( ٢٧٠ هـ ) وانهزم رافع الى مرو وطلب عفو عمر لكنه صانف في الطريق أبا طلحة الذي كان فارا منه الى طخارستان فقرر هذان الأميران أن يتعاونوا في قتال عمر \* ولكن قبل أن يضعا تفكيرهما موضع التنفيذ داهم أبو طلحة رافعا في جنح الظلام وأهلك أغلب جيشه واستقر في مرو وخطب لمحمد بن طاهر الطاهري \*

وبحملة واحدة طرد عمرو أبا طلحة من مرو وبحملة أخرى في ( ٢٧١ هـ ) أخذ نيشابور من رافع ، وعاد الى سيستان بعد تأمين خراسان وتهدة ثائرتها \*

وفي نفس عام ( ٢٧١ هـ ) قدم أحد عمال عمرو بن الليث على فارس الى بغداد للموفق وشكى من عمر له وسعى بشر عنده \* فعزل الموفق عمرا من أمارته وتركها لمحمد بن طاهر وكان في بغداد وأنفذ الرسائل الى خراسان في عزل عمر ولعنه \* وترك محمد بن طاهر ما وراء النهر الى نصر ابن أحمد من جانبه وخراسان الى رافع بن هرثمة وفارس الى أحمد بن عبد العزيز من رفاق عمر القدماء وثار عليه بعد ، وظهر لعمر بهذا مدعون متعددون لكل منهم خليفة بغداد \*

وبلغ عمرو في البداية كرمان ووصله رسول من نصر بن أحمد عامله

على فارس ( وهو غير نصر بن أحمد الساماني الذي ولاه محمد بن طاهر ما وراء النهر ) وأوقفه على مجريات أمورها . وكان عمرو بصدد مدد إلى عامله حين جاءه الخبر بأن أحمد بن عبد العزيز طرد نصرا بن أحمد من فارس وأخرجها من سلطة الصفاريين .

وابتلى عمرو بن الليث في هذا الوقت ببلاء عجيب فمن ناحية ، حنق عليه الموفق فقصره عن كل ناحية ومن ناحية أخرى انحسر عنه الحلفاء والمساعدون ، لكنه لم ييأس ولم يسمح للوهن أن يتسرب إلى عزيمته في تفكيره للخلاص مما فيه . وقد ساعده الحظ قضاء إذ أن أبا طلحة منصورا الذي كان في نزاع مع عمر حتى ذلك الوقت أتاه طائعا بعد أن نصب محمد الطاهري رافعا بن هرثمة في حكومة خراسان فاحتفى به عمرو كثيرا ثم سيره إلى خراسان وعجل هو وابنه محمد من كرمان إلى فارس .

وتقدم جند عمال الخليفة إلى عمر وكانوا نحو ألفي جندي يترأسهم (( خلف بن الليث ) حفيد عم عمرو بن الليث الذي سبق أن غضب من ابن عمه ولحق بالموفق ( ١ ) . ولم يكن غلغ يود أن يلحق هزيمة في هذه الحرب لبنى قرايته الساسانيين فلحق بجيشه بعمر بن الليث ، فحمد عمرو ربه تعالى وحمل على قائد جيش الخليفة حملة صادقة وأعاد نتيجة هزيمته لهم فارس إلى طاعته مرة أخرى .

وعمد الموفق إلى الموازنة من جديد فكتب إلى عمر أنه إذا سير الخراج المتأخر إلى بغداد وأرسل محمدا ابنه كرهينة إلى دار الخلافة فليجدد منشور أمارته . فسير عمرو ابنه محمدا ومعه أبو طلحة قائد جيش خراسان وجيش لجب متظاهرا بالطاعة الخليفة ومبطناً هدفه إلى

( ١ ) نسب عمر وإخيه يعقوب أنهما ولدا الليث بن معدل بن حاتم ابن ماهان . أما خلف بن الليث فجده غرقد بن سليمان بن ماهان . ويلتقى الطرفان بالجد الثالث ماهان ، والأمير أبو جعفر أحمد أبو خلف بن أحمد المعروف هو ابن محمد بن خلف بن الليث وليس من أولاد الليث أبي يعقوب وعمر ( سياقي ) .

القضاء عليه • ولما سمع محمد أثناء طريقه أن الموفق على أهبة لدفعه بجند كثيف أثر العودة وأقبل على أبيه بكرمان • ومات محمد في هذا السفر على بعد من سيستان بستة منازل في جمادى الأولى ( ٢٧٤ هـ ) وتآلم عمرو تألماً شديداً لموته المباغت •

وبعد وصول عمر إلى سيستان وصل رسول الموفق إليه برسالة منه يطرق فيها باب الصلح ، فقد تشعث أمر حدود الشام ومصر بسبب خروج أحمد بن طولون وكانت فتنة صاحب الزنج ما تزال على حالها • فأمر عمرو بمال كثير لرسول الخليفة وجعل للخليفة من فارس وكرمان وخراسان عشرة ألف ألف درهم سنوياً وأرسل أحد غلمان أخيه وهو ( السبكري ) مبعوثاً له إلى بغداد • وأمر الموفق أن يكتب اسم عمر بن الليث في دار الخلافة على المنابر والحكاكين والمنازل والألوية وأن يقترن اسمه باسم الخليفة في الخطبة ، ولم ينل هذا الشرف أحداً قبل عمر •

وبقى الأمير السيستاني مدة عامين من ( ٢٧٤ ) حتى ( ٢٧٦ هـ ) في سيستان وانشغل في ترتيب أمورها حتى تركها في ربيع الأول من العام الأخير إلى فارس • ولما بلغها وصلت مسامعه أنباء هروب أخيه على من محبسه في قلعة ( بم ) بكرمان حيث كان يعيش سجيناً من بعد هزيمة عمر من البخجستاني نتيجة خيانتته ، ولحق برافع بن هرثمة الذي كان على عصيانه لأخيه في خراسان • ولم يهتم عمرو بهذا الأمر كبير اهتمام لأنه سمع أن الموفق أسقط اسمه من المنابر والألوية والخطبة وقصد بنفسه أصفهان ليحرض أحمد بن عبد العزيز السابق الذكر على قتال عمر ، فجعله هذا أن يعود إلى كرمان من فارس ثم عاد إليها بعد أن أخذ أهبطه ، وعلى كذب من أصطخر أنزل بقائد الموفق هزيمة نكراء ودخل شيراز في المحرم من ( ٢٧٧ هـ ) مظفراً منصوراً وأمر بإسقاط اسم الخليفة من الخطبة وأن يخطب باسمه وحده • ثم تغلب على أحمد بن عبد العزيز وأعلن ثورته على الخليفة وسلك طريق الاهواز وبغداد • إلا أن وزير الخليفة أعاده بشستي

صفوف المداهنة والوعود من الأهواز \* ولما أن المعتمد قد وافقته المنية في هذا الوقت وصار المعتضد خليفة خمد النزاع بين دار الخلافة وعمر بن الليث مؤقتا خاصة أن المعتضد صالح عمرا رسما وعهد اليه بامارة فارس وكرمان وخراسان وسيستان وكابل وشحنكية بغداد (١) ، وأمر بأن يعاد اسمه الى الخطب والألوية ويخطب له أيضا في الحرمين \* ورجع عمرو الى سيستان تحفه الغبطة والمنة وأصر هذه المرة أن يستأصل شأفة فقتة رافع تماما الذي تحالف مع أخيه على بن الليث \*

كان رافع بن هرثمة مشغولا بمهاجمة طبرستان وخراسان والري وجرجان من سنة أن نصبه الموفق ومحمد الطاهري على حكومة خراسان حتى ( ٢٧٩ هـ ) حين عاد عمرو من فارس الى سيستان \* ومن بين ذلك هزيمته لمحمد بن زيد الداعي في ( ٢٧٤ هـ ) كما مر بنا في تاريخ علوي طبرستان ، واستيلاؤه على جرجان وطبرستان وفي نفس الأيام لحق على ابن الليث وابناه الاثنان برافع \* وأخرج محمد بن زيد عامل رافع من طبرستان في وقت عودة عمرو بن الليث من كرمان ، لكن محمدا بن زيد لم يكن الندد القوي لرافع \*

ولما أدرك رافع في النهاية أن أعداء أقوىاء يقصدونه من هنا وهناك وأنه لا يحتمل قتال عمر بن الليث ومحمد بن زيد العلوي وأحمد بن عبد العزيز والى أصفهان والري من قبل الخليفة وهو بمفرده رأى أن الصلاح في أن يصلح أحمد بن عبد العزيز ومحمدا بن زيد ثم يتجه مجتمع الجأش الى أقوى أنداده الى عمر بن الليث \* ولهذا فقد صالح أحمد بن عبد العزيز في ( ٢٨٠ هـ ) وانعطف أيضا الى محمد بن زيد وترك له طبرستان وجرجان وخطب له في هذه المناطق ، ووعد الداعي أن يمدّه بأربعة آلاف من شجعان الديلم \* فأرسل عمرو بن الليث الى الداعي لما علمه من هذا الصلح وحذره من خيانة رافع وغدره فتحاشى الداعي من مد رافع \*

(١) شحنكية معرب ( شحنكى ) الفارسية التى تعنى رئاسة الشرطة \*

وأتى رافع بعد أن اطمأن خاطره من جانب محمد بن زيد وأحمد بن عبد العزيز نيشابور في ( ٢٨٣هـ ) لكي يطرد عنها عمراً بن الليث الذي وصلها بعد فتح هراة لكنه لقي هزيمة فادحة منه ووقع كثير من أتباعه أسرى للأمير السيسستاني كان من بينهم ابنا علي بن الليث اللذان كان يعيشان بعد موت أبيهما في ( ٢٨٠هـ ) عند رافع . فتلطف عمرو بهما وخف يتعقب رافعا الهارب الى ( أبيورد ) . وفر رافع منها الى ( سرخس ) ثم عاد الى نيشابور في غياب عمر . الا أن عمرا هزمه مرة أخرى فأرسل رافع أخاه يستمد محمد بن زيد ولم يلتفت الداعي الى دعوته . وفي آخر الأمر نالته هزيمة ثالثة من عمرو في سبزوار وقتل نحو خمسة آلاف من جنده ولحق بقيتهم الى عمر أو ركنوا الى الفرار فاضطر الى أن ينهزم الى خوارزم . وكان أن قبض عليه واليها وقتله في شوال ( ٢٨٣هـ ) وأرسل برأسه الى عمر . وسير عمرو هذا الرأس بهدايا الى بغداد . وأمر المعتضد بأن يعلق من الصباح حتى الظهر في جانب بغداد الشرقي ومن الظهر الى المساء في جانبها الغربي ليعتبر الناظرون ، وبهذا زالت فتنة هذا الرجل العاصي وخلص الخليفة والداعي وعمرو بن الليث من شر هذا الند المنتهز .

#### قتال عمر لاسماعيل الساماني وأسرته في ٢٨٧هـ : —

بعد قتل رافع أرسل عمرو بن الليث بقاتله وقائد آخر الى خوارزم ليستوليا عليها له ، وقبل أن يبلغاها وصلتهما أنباء أن الأمير اسماعيل بن أحمد الساماني والي بخارا قد أنفذ عامله الى خوارزم فاستولى عليه له . فأمر عمرو قائديه بمقاتلة اسماعيل الساماني واستخلاص بخارا من يده . وفي شوال ( ٢٨٥هـ ) غلب اسماعيل عمال عمر وقتل بعضهم في الحرب وأسر بعضا آخر وظهر لهذه الحادثة ومن كبير في قوى عمر ( ١ ) .

( ١ ) يذكر هامبري في كتابه تاريخ بخارى ترجمة الدكتور أحمد محمود

وأرسل عمرو رسالة للخليفة المعتضد وهو شديد الغضب وطلب منه أمرا بحكومة ما وراء النهر وهدده انه اذا لم يقبل هذا الأمر فلسوف يهاجم ما وراء النهر ويطرد اسماعيل منها . ومع أن الخليفة لم يكن يميل الى اصدار أمر له وكان كامل الرضاء عن اسماعيل الا أنه أجبر على أن يرسل اليه أمر اماراة ما واء النهر وهدايا أيضا بعد مدة لكنه كان يقوى اسماعيل خفية ويفهمه أنه لم يعزل من امارته وأنه مشمول بعواطف الخليفة .

وبعد أن بلغ عمرا بن الليث أمر الخليفة ورأى أن أمر اسماعيل قد بلغ قوة بسبب تعاطف الخليفة معه وأنه على أهبة تامة للحرب تردد قليلا في اقدامه على مهاجمة ما وراء النهر ، لكنه في النهاية أراد أم أبي تحرك اليها . وفي أثناء مسيره اليها وصلت مسامعه أنباء هزيمة مشركى شرق أفغانستان الحالية لجيشه في غزنة واستيلائهم على أملاكه هناك . وقد فتت هذه الحادثة في عضده كثيرا .

وكان اسماعيل قد سبق فأرسل جنده الى خراسان من بخارا لأنه كان يعرف عزم عمر من قبل ، ونادى في أهل ما وراء النهر أن عمرا وجنده آتون لنهب البلاد وقتل نسائهم وأطفالهم فعليهم مواجهته ودفعه . ولبنى أهالى ما وراء النهر نداء اسماعيل لما لمسوه فيه من دين وحسن خلق

---

الساداتى ( مصر / ١٩٦٥ ) ( ص ١٠٠ ، ١٠١ ) أن عمرا في علاقته مع اسماعيل كان هو الطرف الأدنى الساعى الى الصلح المتوسل بالملاينة . ثم يقول غامبرى في حاشية ( ص ١٠٠ ) أن بعض المصادر الأخرى تقول أن اسماعيل هو الذى سعى أول الأمر للصلح وكتب الى عمرو ( انك قد وليت دنيا مريضة وأنا في يدى ما وراء النهر وأنا في شغل غافقن بما في يدك واتركنى مقيما بهذا الشغل ) غابى اجابته الى ذلك . ونحن نميل الى اسماعيل كان هو الطرف الأقوى وليس مبرو كما يدعى اقبال لأنه كان يستند الى تأييد الخليفة العباسى وأنه مجاهد يريد وجه الله فهو بهذا ساع فى رضى الله ورضى خليفته عكس الصفارى . وكان النصر حليفا لاسماعيل ( ٢٨٥ هـ ) وبذل اسماعيل شهابته فأطلق سراح الجيش الصفارى ليعودوا الى ديارهم قائلا : ( ما نصنع بهؤلاء المساكين غلقتهم يعودون الى بلادهم وهم من بعد ذلك لن يخرجوا لحربنا أبدا ) .



استباهم وتجمع حوله جمع غفير وأقسموا أنهم ماضون في ركابه مقاتلين  
ولو أدى بهم الأمر الى أن يقتلوا أو يؤسروا .

والتقى الفريقان على كئيب من بلخ ولما تواجه الجيشان نادى  
اسماعيل في جيش عمر أنه وجنده مجاهدون لا يطلبون غير وجه الله وأن  
عمرا رجل لا يطلب غير الدنيا وزينتها ولم يتحرك بهم الا لهذا الغرض .  
وأثمر هذا الخطاب فيهم فانضم اليه فريق من أتباع عمر . ومع هذا كله  
فقد حارب عمر بشجاعة طوال يومه جند اسماعيل ، ولكن لسوء حظه ثارت  
في وجوه جنده ريح عاصفة ، فضلا على كثرة جند اسماعيل ، وصار نور  
النهار ظلاما حالكا فانفرط عقد جيش عمر فلم ير فوقنا من الهروب الى  
دغل لكن أقدام جواده غاصت في وحله وطينه ، فاستأسره بعض جند  
اسماعيل في يوم الثلاثاء آخر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين (٢) ،  
وأرسله اسماعيل الى سمرقند . ولما بلغ المعتضد خبر ذلك سر سرورا  
بالغا وخلص على اسماعيل وفوض اليه جميع الولايات التي كانت بيد عمر .  
وبعث اسماعيل بعمر مغلولاً للمعتضد ببغداد وأمر عددا من جنده  
أن يبقوا وسيوفهم مسلولة حارسين له حتى يأتوا به الى بغداد وهو في  
هذه الحالة من الهوان . وسمح له في دار الخلافة أن يلبس ثيابه الخاصة  
به وهو مطلق السراح . وأركب أتباع المعتضد عمرا جملا أعرج أحسب  
مرتفع القامة وطافوا به مدة من الوقت في شوارع بغداد وهو في حالة  
من الذلة الشديدة ثم ألقى به المعتضد في الحبس .

(٢) يختلف فاهري وأقبال في تاريخ أسر عمرو فيذكر الأول أنه لقي به  
الى اسماعيل يوم الأربعاء التاسع من جمادى الآخرة مسام ٢٨٨ / ٩٠٠ وأن  
اسماعيل أكرمه وأقره نصره له وأبدى له شهادته المعروف بها . ثم يزيد فاهري  
في حاشية نفس صفحة (١٠١) عن كتاب زينة التواريخ قصة الملاحظ حدثت  
لعمر بعد هزيمته في أول مساء لأمسه قبل أن ينتهي الى اسماعيل أنه جلس على  
الأرض ينتظر أحد حراسه حتى يفرغ من أعداد وجبة بسيطة في صفحة مما  
يستخدم المسقى الخيل ولم يكن لديه غيرها وما أن وضعها على النار حتى قدم  
كلب فادخل رأسه فيها فاحتشرب فلم يستطع فككا فانطلق بها هاربا ، فضاقت  
عمر فلما أنكر ذلك الحارس قال له أن تابعه كان شكاً له في الصباح أن ثلاثمائة  
بعير لا تكفي لحمل أدوات مطبخه وما هو كلب واحد ينطلق بصفحته ويطعمه .

## قتل عمرو في (٥٢٨٩) :-

ظل عمرو بن الليث في سجن المعتضد طوال حياته ، وطلب هذا الخليفة الحاقده وهو في حال الاحتضار أحد خدمه وأفهمه بالإشارة ، اذا لم يكن - تطيع الحديث في حالته تلك ، بوضع يده على حلقه واحدى عينيه أن يقتل الأعور ، فقد كان عمرو محروما من احدى عينيه . ولم يرض الخادم أن يأثم بقتل عمر خاصة أن المعتضد كان في حال الفزع فامتنع عن تنفيذ أمره . ولما خلف المكتفى المعتضد سأل وزيره عن حال عمر . فقال الوزير انه ما يزال حيا ، ففرح المكتفى لهذا كثيرا لأنه رأى أيام اقامته بالرى خيرا من عمر . لكن الوزير القاسى القلب أرسل خفية من يقتل عمرا في السجن وأفهم المكتفى أن عمرا قتل قبل وصوله خليفة الى بغداد .

كان عمرو بن الليث مثل أخيه في علو همته وبذله ويقظة عقله وسياسته وعمق فهمه وتدبيره . لكنه كما يبدو ولم يكن في مثل هيبته وشجاعته وجراته لذلك فقد كان الجند يهابون يعقوب كثيرا ويحبون عمرا أكثر . وكان في تحمله المصائب وفي صبره كأخيه شديد الصبر صلب العود ، ويبدل كييعقوب السعى الكامل والاهتمام البالغ في أمر جيشه ، وكان يأمر لجنده كل ثلاثة شهور بالمؤن والرواتب وكان ترتييه في هذا الشأن أن يجمع الجنود في الميعاد بقرع الطبل ، ثم يتلو مأمور دفع الأجور أسماء الجند من دفتره بالترتيب . وكان عمرو بن الليث هو نفسه الجندي الأول الذي يظهر أولا فيعائين ( عارض الجيش ) أو وزير الحربية باصطلاح اليوم جواده وسلاحه وعدته ولوازمه .

وكان لعمر جواسيس يبلغونه جزئيات أمور القواد والمقدمين التابعين له لكي يطمئن على أعمالهم وأفعالهم . وكان ترتييه في هذا الأمر أيضا أن يشتري غلمان في صباهم ويقوم بتربيتهم فاذا بلغوا سن الرشد كان يهبهم رؤساء الجيش وعماله الآخرين لكنه يعهد الى هؤلاء الغلمان بوظيفة خاصة سرية هي ابلاغه بأحوالهم فلا يغفل عن أمورهم .

## ٣ - أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث

( ٢٨٧ - ٢٩٦ هـ )

وبعد أن أسر عمرو بن الليث وهزم جيشه رفع كبار جيشه والدولة حفيده أبا الحسن طاهر بن محمد للامارة ، إلا أن فريقا من الجند انحاز الى الليث بن علي بن الليث ابن أخ عمر ويعقوب ولم يكن الأمر قد ثبت بعد للأمير الجديد ، وظهر الاختلاف في الجيش نتيجة لذلك ، وأمسك السبكرى ، غلام يعقوب الذي مر ذكره قبل بأزمة الأمور بسبب عدم كفاءة طاهر وانكبابه على ملذات الشباب واستبد الأمر • وفي ( ٢٨٩ هـ ) تقدم طاهر بن محمد برفقة الليث بن علي وعدد من القادة الآخرين من سيستان الى فارس وترك أخاه يعقوب في نيابته بسيستان وكان غرضه أن يستعيد فارس الى الأسرة الصفارية وكانت قد آلت الى الخليفة المعتضد بعد هزيمة عمر •

وفي النهاية رضى الخليفة المكتفى في ( ٢٩٠ هـ ) أن يفوض اماره فارس لطاهر نظير خراج سنوى • وبعد أن عين طاهر عمالا من قبله على نواحي اقليم فارس ترك جميع أمورها تحت تصرف السبكرى وانشغل بالصيد واللهو واللعب • وآب الى سيستان في ( ٢٩١ هـ ) وجعل من محمد بن خلف ابن الليث الذي كان من بنى أعمام أبى يعقوب وعمر رئيسا لكل كبار سيستان (١) وزوجه من أخته (بانو) • وكان هذا الفعل مقدمة لظهور النزاع بين طاهر والسبكرى ، لأن الثانى كان ينفس على محمد بن خلف ولم يكن يحب أن يتدخل في أعمال الملك أحد غيره •

وأثنى طاهر بن محمد على رصيد الخزانة ، التى ظلت عامرة بعد عمر

---

( ١ ) سبق أن نهيئنا الى أن محمدا بن خلف بن الليث هذا هو أبو الأمير أبى جعفر أحمد وجد خلف بن أحمد المشهور وليس من اولاد الليث أبى يعقوب وعمر (سياتى) •

ابن الليث ، بعد مدة قصيرة بسبب لهوه واسرافه وامتنع عماله من ارسال الخراج الى سيستان خاصة السبكرى الذى تحرك وضبط كرمان وفارس له ، فاخذت أمور سيستان كلية ، ولم يمنع من زوال الدولة التى أقامها يعقوب وعمره فى هذا الظرف غير كفاءة محمد بن خلف وحكته .

وفى النهاية قدم طاهر فى ( ٢٩٢ هـ ) للاستيلاء على خراج فارس وكرمان ، فأرسل السبكرى الذى كان غير راض عن قدومه من يعيده بمعسول الكلام فعاد طاهر الى سيستان وشغل نفسه مرة أخرى باللهو والصيد واللعب بالحمام ، فانفض عنه كثير من كبار عهد يعقوب وعمر وخلت منهم سيستان .

وفى ( ٢٩٦ هـ ) حينما اتجه طاهر الى بست تقدم الليث بن على بن الليث والى كرمان ومكران الى سيستان ، وفشل يعقوب أخو طاهر فى أن يجليه عنها برغم جهوده العديدة ، ولما علم طاهر بعد عودته من بست أن أغلب كبار سيستان قد أخذوا جانب الليث وأن التغلب عليه ليس يسيرا ، اصطحب أخاه وسلكا طريقهما الى فارس على أمل استمداد السبكرى لهما فجلس الليث بن على أميرا فى مكانه .

#### ٤ — الليث بن على بن الليث

( ٢٩٦ — ٣٩٨ هـ )

سار طاهر ويعقوب الى فارس معتقدين أن السبكرى حافظ لصق نعمتهما ونعمة عمر ويعقوب قبلهما عليه ولكن السبكرى كافر النعمة الذى تحالف قبل مع الخليفة المقتدر واستقطع منه فارس لنفسه قبض على ابنى سيده وأرسلهما مقيدى الى بغداد واستقل بفارس تماما .

وفى ( ٣٩٧ هـ ) هاجم الليث بن على السبكرى بفارس وأخرجها عنه لكن الخليفة المقتدر سير مؤنسا الخادم من ناحية والحسين بن حمدان

والى قم من ناحية أخرى ( وقد ذكر الاثنان فى فصل آل بويه ) لمساعدة  
السبكرى ، وبعد مدة من القتال والجدال تغلب الاثنان على الليث بن على  
فى غرة المحرم ( ٢٩٨هـ ) واستأسره وأرسل به مؤنس الى الخليفة المقتدر  
ببغداد .

٥ - أبو على محمد بن على بن الليث

( المحرم من ٢٩٨ حتى الحجة من نفس السنة )

بعد أسر الليث بن على بايع أهل سيستان أخاه أبا على محمدا ،  
وتأمر هذا الأمير فى هذا الوقت وحسب على سيستان والجزء الشرقى للبلاد  
الصغارية أى بست وكابل وغزني ( غزنة ) ، لأن خراسان كانت مع الأمير  
اسماعيل السامانى من حين أن هزم عمرا بن الليث ، وكانت فارس  
وكرمان يديرهما السبكرى أيضا باسم الخليفة المقتدر .

ولما بلغ المقتدر خبر جلوس أبى على محمد ، كتب الى أحمد بن  
اسماعيل السامانى يأمره بمهاجمة سيستان وقتحها وضمها الى ممتلكاته ،  
فسير أحمد الحسين بن على المروودى قائدا على جيش اليها وفتح  
الحسين بن على بعد حرب شديدة مدينة زرنج وهرب أبو على محمد منها  
الى بست . وبعد فترة قدم الأمير السامانى مع ( سيمجور ) أحد غلمانه  
الى سيستان وقبض على ( معدل بن على ) أخى أبى على محمد الذى كان  
لا يزال يقاوم فى إحدى قلاع سيستان وأسر أحد قواد الأمير أحمد أبا  
على أيضا فى ( بست ) وهكذا خرجت سيستان عن أيدي الصفاريين واستقر  
فى حكمها من طرف الأمير أحمد السامانى سيمجور الذى مر ذكره فى الثانى  
من ذى الحجة من ( ٢٩٨هـ ) . ولما لم يستطع أو يرد السبكرى أن يبعث  
بالجزية المقرر إرسالها سنويا الى بغداد سير المقتدر جيشا له فهزم  
السبكرى وفر من شيراز الى كرمان فى ( ٢٩٩هـ ) ولما لم يمكنه يستطيع  
الظهور بسيستان عرج الى هراة عن طريق صحراء لوط وسلم نفسه الى  
الأمير أحمد . فسير هذا الأمير ولم يكن له هدف فى حياته الا أن يكون

خادما للخلفاء العباسيين(١) بالسبكرى وأبى على محمد بن الليث الى دار الخلافة للمقتدر وألقى الخليفة بهما في حبسه .

### الأمراء الصفاريون الآخرون

بعد شهرين أسقط الأمير أحمد سيمجور عن ولاية سيستان وفوض ابن عمه أبا صالح منصور ابن اسحاق لها . فأوقع أبو صالح وجنده بأهل سيستان أيداء كثيرا خاصة بالخوارج منهم وكانوا أحرارا محبين للاستقلال فأعلنوا عصيانهم لهذا الاستخفاف وثاروا في (٣٠٠هـ) على أبى صالح والسامانيين وقبضوا عليه وحبسوه في قلعة ( أرج ) بسيستان وبايعوا ابن يعقوب بن محمد بن عمر بن الليث وكان عمره عشرة أعوام واسمه أبا حفص عمره . فأمر أحمد الساماني الحسين بن على المروودي مرة أخرى بفتح سيستان ، فسيطر عليها بعد حصار استمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمرو فأمر أحمد الساماني الحسين بن على المروودي مرة أخرى بفتح سيستان فسيطر عليها بعد حصار استمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمر وأرسل به الى بخارا ثم عين أحمد سيمجور ثانية أميرا على سيستان . وأمر أبا صالح على نيشابور ومع أن سيستان من عام (٣٠٠هـ) قد سيطر عليها السامانيون مرة أخرى وكان ينصب لحكمها من طرفهم أو الخليفة في بغداد حاكم بين الفينة والأخرى الا أن أهل سيستان الذين لم ينسوا ذكرى عهد يعقوب وعمر أبدا وكانوا يتميزون من الغيظ لاستيلاء الأجانب على بلدهم كانوا يقومون بالثورات على الولاة الأجانب كلما سنحت لهم الفرصة ، كما حدث في المحرم من (٣١١هـ) حين طردوا الوالى الساماني لسيستان وأمروا الأمير أبا جعفر

---

( ١ ) لا يعنى ان الأمير أحمد الساماني واسرته كانوا في طاعة الخليفة باعتباره خليفة لكافة المسلمين وينتسب الى بيت النبوة وقد كان هذا اعتقاد المسلمين كافة في الخليفة آنذاك وهو انه خليفة لله تعالى في أرضه ، لا يعنى ذلك أن هذا الأمير كان خادما أو كان أملا أن يكون خادما للخلفاء العباسيين ، وما قول ( أقبال ) هذا الا نوعا من العصبية للصفاريين على الخلافة والسامانيين ، وقد أثرنا الى هذه الفتية عند الفرس عامة في التاريخ ليعقوب الصفارى .

أحمد بن محمد بن خلف من الليث الذي سبق ذكره الذي كان أمه ( بانو )  
ابنة محمد بن عمر بن الليث .

وقد كان الأمير أبو جعفر أحمد بن محمد هذا الذي حكم سيستان  
بين عامي ٨٣١١ ، ٨٣٥٢ وكانت علاقاته بالأمراء السامانيين خاصة نصر  
ابن أحمد ممدوح الرودكي حسنة رجلا ذا كفاءة محنكا حكيما فاضلا ،  
أمنت في عهده سيستان وهدأت أمورها وتقاطر اليه الفضلاء والحكماء  
من الأطراف وألفوا باسمه الكتب .

وفي ( ٨٣٥٢ ) قتل الأمير أبا جعفر في مجلس شرابه جماعة من  
غلمانته فخلفه ابنه الأمير أبو أحمد خلف وأشرك هذا الأمير معه في الحكم  
طاهرا بن علي النميمي الذي ينتسب من ناحية أمه الى علي بن الليث أخى  
عمر ويعقوب . وكان طاهر رجلا شجاعا كافيا عالما . قاتل أعداء خلف  
والأمراء السامانيين خاصة ( ماكان بن كاكي ) وانتصر في غالب معاركه .

وعزم خلف في ( ٨٣٥٣ ) بيت الله حاجا وأتاب طاهرا بن علي في  
حكمه لسيستان ولما عاد من الحج لم يدعه طاهر يدخل سيستان فلجأ  
خلف الى منصور بن نوح الساماني ودخلها بعونه . وأخلى طاهر المدينة  
فلم يكن يطبق المقاومة واتجه الى حدود هراة لكنه هاجم سيستان بعد أن  
علم بتفرق جند خلف ، فاستمد الأمير منصورا ثانية وعاد الى مدينته .  
وفي هذا الوقت مات طاهر وترأس ابنه الحسين أتباع والده . وفي عاقبة  
الأمر استأمن الحسين منصورا الساماني واتجه الى بخارا واستقر خلف  
على سيستان في ( ٨٣٥٩ ) .

وبعد مدة سلك خلف سبيل العصيان على منصور الساماني واستتف  
أن يرسل المال والهدايا التي كان ملزما بارسالها ، فأرسل منصور جيشا  
بقيادة الحسين بن طاهر معارض خلف لتأديبه الى سيستان . وهاصر  
الحسين قلعة ( أرج ) بسيستان نجو سبعة أعوام ولم يتمكن من خلف .  
وفي النهاية توسل منصور بأبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور

القائد السابق لجيش خراسان وأمره بدفع خلف بسيستان ، فطلب أبو الحسن السيمجورى وكان حائقا على منصور لعزله عن قيادة جيش خراسان ولصداقته لخلف سلميا من خلف أن يترك قلعة أرج للحسين ويذهب لقلعة أخرى حتى يستطيع أن يبين للأمير السامانى أنه استولى على قلعة أرج هذا بعد تعب وشدة • ففعل كذلك وقام أبو الحسن السيمجورى بالصلح بينه وبين الحسين طاهرا وأخذ من كبار سيستان ومن الحسين بن طاهر رسائل فيها أنه سيطر على القلعة وتركها للحسين وأرسل بتلك الرسائل الى بخارا • لكن خلفا بعد مدة قليلة أى فى المحرم من ( ٣٧٣هـ ) هاجم الحسين ، وبعد ستة شهور من الصراع تصالحا فى رجب ( ٣٧٣هـ ) ولم يطل الوقت حتى توفى الحسين واستقل خلف بامارة سيستان •

ظل خلف بن أحمد أميرا على سيستان حتى شهر صفر من ( ٣٩٣هـ ) وان كان سلم فى السنوات الثلاث الأخيرة امارته للسلطان محمود الغزنوى بعد حرب بينهما كما سيلي فى تاريخ الغزنويين • وأرسل محمود به الى جوزجانان لكنه فهم بعد أنه تواضع سرا مع ايلك خان الأفراسيابى فأمر بحبسه ومات خلف فى حبسه فى ( ٣٩٩هـ ) وهو آخر أمير معروف من أمراء الصفاريين ، لأن بعده ظهر بضعة نفر فى سيستان بدعوى نسبتهم لهذه الأسرة ووصلوا الى حكم سيستان بمساعدة الملوك الآخرين ، لكن لم يظهر من بينهم واحد له فى التاريخ اسم وعنوان معتبران ويجدر بالذكر • كان الأمير خلف بن أحمد رجلا دنيا محبا للأدب والشعر فاضلا ، وقد ألف جماعة من علماء عصره باللغة العربية تفسيرا كبيرا للقرآن الكريم باسمه ومدحه شعراء مشهورون من مثل أبى الفتح على بن البستي (١).

(١) هو نظام الدين العميد أبو الفتح على بن محمد من شعراء العهد الغزنوى وأواخر القرن الرابع ، كان صاحب ديوان ناصر الدين سبكتكين ثم غضب عليه محمود الغزنوى فرحل عنه ، وتوفى بين عامي ( ٤٠١هـ ) و ( ٤٠٣هـ ) وكان بليغا فى شعره العربى والفارسى ونثره فیهما ونسب إليه خطأ ديوانان فى اللغتين ، ونقل له صاحباً لباب الالباب ومجمع النصحاء بعضاً من شعره الفارسى •



وأبى منصور محمد بن عبد الملك الثعالبي (٢) وأبى الفضل أحمد من الحسن بديع الزمان الهمداني (٣) خاصة بديع الزمان الذي خلفا بذكره خيره بمدائحهم .

### أسماء الأمراء الصفاريين وزمن أماره كل منهم

- ١ — أبو يوسف يعقوب بن الليث ( ٢٤٧ — ٢٦٥ هـ ) ١٨ عاما
  - ٢ — عمرو بن الليث أخوه ( ٢٦٥ — ٢٨٧ هـ ) ٢٢ عاما
  - ٣ — أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمر بن الليث ( ٢٨٧ — ٢٩٦ هـ ) ٩ أعوام
  - ٤ — الليث بن علي بن الليث ( ٢٩٦ — المحرم من ٢٩٨ هـ ) ٣ أعوام
  - ٥ — أبو علي محمد بن علي بن الليث ( من المحرم حتى ذى الحجة من ٢٩٨ هـ ) عاما واحدا
- ( الحكام السامانيون من ذى الحجة ٢٩٨ حتى المحرم ٣١١ هـ )
- ١٣ عاما
  - ٦ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن خلف ( ٣١١ — ٣٥٢ هـ ) ٤١ عاما
  - ٧ — أبو أحمد خلف بن أحمد ( ٣٥٢ — ٣٩٣ هـ ) ٤١ عاما
- ١٤٦ عاما

(٢) صفة اسمه أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي البشتابوري من الكتاب والمؤرخين المعروفين الفرس في القرن الرابع الهجري وله آثار هامة بالعربية من بينها يتيمة الدهر وبتمة اليتيمة في سير الشعراء الكبار المعاصرين له ، وقرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم في تاريخ إيران القديم وكتاب الاعجاز والايجاز وكتاب التمثيل والمحاضرة ، وتوفي عام ( ٤٢٩ هـ ) .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسن وليس الحسين من ادباء وكتاب القرن الرابع ، توفي ( ٣٩٨ هـ ) ويشتهر بنثره المسجع وتأليفه المقامات ، لحق بخدمة صاحب بن عباد ، وتميز عن أبناء عصره بقوة الحافظة واحاطته باللغة والشعر والأدب وبراعته وقوة يرامته في النظم والنثر العربيين . ومقاماته تشهد بهذا وقد حوت واحدة وخمسين مقامة .

## الفصل الخامس

### السامانيون

( ٢٧٩ - ٥٣٨٩ )

#### بداية أمر السامانيين : -

ينتسب السامانيون الى قرية ( سامان ) من القرى القريبة من سمرقند ، وكانوا يرثون امارتها وكانوا من أصل زردشتى ومن الأمراء المحليين الايرانيين ولذا فقد كان يدعى كل منهم ( سامان خداه ) أى كبير وصاحب قرية سامان •

ويقول أكثر المؤرخين ان السامانيين من أبناء ( بهرام جوبين ) القائد المعروف لهرمز الرابع وخسرو برويز ، لكن هذه النسبة كسائر النسب التى كانت تلصق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين للأمراء وكبار الايرانيين محل نظر •

وقول مشهور هو أقرب الى الأسطورة من الحقيقة يقول ان ( سامان خداه ) جد الأمراء السامانيين بدأ حياته برعى الابل ، ثم أنف أن يستمر فى عمله هذا بسبب علو همته وطلبه المجد ، فعمل بالعيارة وقطع الطرق كما فعل يعقوب بن الليث ، وبعد أن جمع أتباعا كثيرين استولى بهم على مدينة شاش ، مكان طاشقند الحالية وتأمر عليها •

لكن الأمر المسلم به أن أحد كبار سامان اعتنق الاسلام أيام حكم أسد بن عبد الله القسرى لخراسان ( فى عصر هشام بن عبد الملك ) وسمى ابنه أسدا باسم حاكم خراسان •

وليس بأيدينا معلومات مبسطة عن حياة أسد وما نعرفه أنه أتى  
الى المأمون حينما كان مقيما في مرو ( من ١٩٣ حتى ٢٠٢ هـ ) ومعه أبناءه  
الأربعة نوح وأحمد والياس ويحيى فقبله المأمون وأبناءه في خدمته .

وبعد وصول المأمون للخلافة كلف غسان بن عباد ابن عم الفضل  
ذي الرياستين (٢) ووالى خراسان بأمر من الخليفة كلا من أبناء أسد  
بعمل ففوض سمرقند الى نوح وفرغانة الى أحمد وشاش الى يحيى وهرات  
الى الياس .

وبعد أن عزل غسان بن عباد عن حكم خراسان ونصب طاهر ذو  
اليمينين عليها بقي أبناء أسد الساماني في أعمالهم ، لأن الطاهريين أبقوهم  
في مناصبهم الأولى بتوصية من الخليفة بل زادوهم أعمالا أخرى ، كما  
مر بنا في تاريخ آل طاهر أن طلحة بن طاهر بعد أن تحرك الى سيستان  
الى خراسان لشغل منصب أبيه ، عهد الى الياس بن أسد الساماني بعمله  
الأول فضم اليه سيستان الى ولايته الأولى وهي هرات .

ومات نوح في عهد أمارة طلحة ( ٢٠٧ — ٢١٣ هـ ) فضم طلحة  
بسمرقند ولاية حكمه الى أخويه أحمد أمير فرغانة ويحيى والى شاش .

وبعد موت الياس في ( ٢٤٢ هـ ) بلغ ابنه ابراهيم قيادة جيش  
الطاهريين في خراسان وانهمز من الأمير يعقوب الصفارى في ( ٢٥٣ هـ )  
كما مر بنا في بوثنج بهرات ولاذ بالفرار الى نيشابور .

---

(١) هو الفضل بن سهل ذو الرياستين الذى عمل على تولية على  
ابن موسى الرضا امام الشيعة الاثنى عشرية الثامن عهد المأمون ، وكان  
لا يريد من جهوده في هذه التولية غير أن يستأثر بالأمر من دون المأمون  
وتعلمه كان يقصد الى ازالة الخلافة العربية هارعا في ذلك على اثر البرامكة  
زمن الرشيد ، واقرا في ذلك ما كتبه شهاب الدين التواريخ في كتابه  
( بعض مضائق الروايع ) المؤلف عام ( ٥٥٥ هـ ) الذى نقل أجزاء كبيرة منه  
عبد الجليل القزوينى الرازى في كتابه النقض ( طبعة تهران عام ١٣٣١ ش  
من ٤١٧ — ٤١٨ ) — انظروا ايضا الفتر الفارسي : د. السباعى محمد  
السباعى ( مصر ١٩٧٨ ) ( ٣٣١ — ٤ ) .

وكان لأحمد بن أسد بن سامان خداه سبعة أبناء هم نصر ويحيى ويعقوب واسماعيل واسحق وأسد وحמיד .

وأودع أحمد في أيام شيخوخته اماره فرغانة وسمرقند الى ابنه الأكبر نصر أما هو فقد وافته المنية في ( ٥٢٥٠ ) . ورأس نصر اخوته الستة الذين كانوا طوع أمره .

وفي ( ٥٢٦١ ) بعث الخليفة المعتمد منشور اماره جميع بلاد ما وراء النهر رسما باسم نصر بن أحمد وأثر نصر الإقامة في سمرقند وأرسل اسماعيل من بين أخوته نائبا عنه ببخارى وكلف كل واحد من اخوته الباقين بحكم ولاية .

#### النزاع بين نصر واسماعيل في ٥٢٧٥ :-

كان اسماعيل يحكم لفترات في بخارى من جانب أخيه نصر برفق وعدل ويجهد دائما في رعاية احترامه الى أن خرج رافع بن هرثمة كما مر في تاريخ الصفاريين وشيد في الأيام التي حكم فيها نيسابور وخراسان الشمالية صرح الصداقة مع اسماعيل بحكم مجاورته له ، وقوى الصفاء بينهما الى حد أنه صار اتحادا وكانت رسائل المودة تتردد بين الجانبين دائما . وأظهرت جماعة من الوشاة هذا الصفاء الكامل لنصر اتحادا ضده وقالوا له إن اسماعيل يفكر أن يبعده عن سمرقند بعون رافع فيستقل بكل بلاد ما وراء النهر ، ووقعت هذه السعاية من نصر موقع التأثير ففسر جيشا ضخما الى بخارا وأرسل اسماعيل رسولا يستمد رافعا اذا لم يكن يستطيع مقابلة أخيه . وأدرك رسول اسماعيل بعد لقاء رافع أنه يعزم السيطرة على سمرقند له بدلا من معاونه الأمير اسماعيل ، وفي هذه الحالة يحتمل أن يصير مخدوم الأمير اسماعيل تابعا لرافع ، ولهذا صرف رافعا عن فكرة التحرك الى ما وراء النهر وأفهمه أن المصلحة في تصالح الأخوين . وسعى رافع في هذا الصلح أيضا سعيا بليغا ، وانتهى النزاع

بين نصر واسماعيل مؤقتا لكن الصفاء الذي كان بينهما لم يعد فظلل الأخوان يسيء الظن أحدهما بالآخر ، حتى ان نار الخصام اشتعلت بينهما بعد قليل وانتهى الأمر هذه المرة بالقتال . وهاجم نصر بجيش متأهب من سمرقند بخارى ليطرد اسماعيل ، لكن نصرا غلب وأسر في الحرب التي جرت في خريف ( ٢٧٥ هـ ) بالقرب من بخارى ، وقدم اسماعيل ومعه أخوه الى بخارى .

وحينما وصل اسماعيل الى بخارا رفع أخاه على عرشها ووقف أمامه موقف التابع وبالغ في احترامه وتعظيمه الى حد أن نصرا ظن أن اسماعيل يهزأ به . ثم أرسل معه الى سمرقند أتباعا له كثيرين وقال في وداعه له أنه سيبقى في بخارى نائبا عنه كما كان ولن يتجاوز طريق تبعيته وطاعته قيد أنملة .

وعاد نصر الى سمرقند وبقي الى أن مات ( ٢٧٩ هـ ) في حب واخلاص مع أخيه ، ولما مات ضم اسماعيل سمرقند الى ملكه واستقل بكل ما وراء النهر .

## ١ - اسماعيل بن أحمد الأمير العادل

( ٢٧٩ - ٢٩٥ هـ )

يعد الأمير اسماعيل بن أحمد عادة مؤسس الدولة السامانية لأنه تأمر على ما وراء النهر بعد موت أخيه الأكبر وخضع له سائر الأمراء السامانيين المحليين ، خاصة أنه في أيام امارته قد وسع من حدود الدولة السامانية وضم اليها خراسان وجرجان وطبرستان وسيستان والرى وقزوين وكان اسماعيل قبل وفاة أخيه وبعدها يصرف أغلب وقته في جهاد الكفار بحدود البلاد السامانية الشمالية ، كما حدث في ( ٢٨٠ هـ ) بعد موت نصر اذ تقاتل مع أحد خانات التركستان وبعد أن غلبه استاق أباه وزوجته أسيرين معه الى سمرقند وغنم في هذه الواقعة جنده غنائم كثيرة

حتى أنه أصاب كل واحد منهم نحو ألف درهم \*

أما وقائع عهد إمارة الأمير اسماعيل فهي :

- ١ — حربه مع عمر بن الليث الصفاري واستئساره عمرا في (٢٢٨٧ هـ) \*
- ٢ — قتاله محمدا بن زيد الداعي ، وغزوه جرجان وطبرستان بعون محمد ابن هارون السرخسي في نفس عام (٢٢٨٧ هـ) التي انتهى بقتل الداعي وفتح جرجان وطبرستان وضمهما الى بلاد السامانيين \*
- ٣ — قتاله لدفع محمد بن هارون الذي عصى اسماعيل بعد عام ونصف من توليته من جانبه حكم طبرستان وقد دخلت نتيجة هذه الحرب الري وقزوين في طاعته \* وتفصيل هذه الوقائع الثلاث مر في طي تاريخ العلويين والصفاريين \*

وأنفق اسماعيل بعد عودته من الري وقزوين الى ما وراء النهر بقية أيامه في الجهاد في توران وهاجم هذه الناحية مرارا وعاد في كل مرة بالأسرى والغنائم وظل حاله هذا الى أن ودع الدار الدنيا في صفر من عام (٢٢٩٥ هـ) \*

كان اسماعيل فوق شجاعته وهمته وفتوته رجلا كثير الورع والخشية من الله تعالى دينا ، وكان جنده يشغلون أنفسهم بالدعاء والصلاة والعبادة ليلهم ونهارهم \* أما هو فقد سعى الى أن تتسم حروبه كلها بسمه الجهاد والغزو في سبيل الله تعالى ولهذا فقد سماه بعض المؤرخين (قائد الغزاة) .  
والحكايات في ورع اسماعيل وعدالته وعفته وسلامة نفسه عديدة ، وكان سياسته قد وقرت في نفوس جنده اذ كانوا بنفس سيئته فلم يجروا أحدهم على أن يتعدى على مال للرعية بدون اجازة من اسماعيل وخوفا من مؤاخذته لهم \*

وكان لهذا الأمير في بخارى (١) ديوان وقضاة مخصوصون لاحقاق

---

(١) يقول غامبري ان بخارى لم تعد مجرد حاضرة لاسماعيل وانما

حقوق الرعية ودفع المظالم وكان يصحبه في أسفاره دائما جماعه من القضاة العدول فاذا وقعت له أثناء الطريق حاجة للقضاة لم يصر بهم في القطع والفصل في الأحداث رهن الاشكال والخلاف فينفذ الحكم طبق الشرع ، كما فعله بمحمد بن زيد العلوى بعد أن غلبه اذ أعاد للشعب الأموال التي أخذها العلوى غصبا منهم .

ونتيجة هذه السيرة الطيبة لقبه معاصروه بالأمير العادل وكانوا يذكرونه بعد أن مات باسم ( الأمير الماضى ) — أى الماضى العزم على الظلم — دائما .

ومع أن اسماعيل كان رجلا بلا شائبة وامرأ دينا يحترم علماء الدين ويجلهم اجلالا لكنه بسبب تعصبه الشديد للمذهب السنى كان في الحقيقة تابعا صميما وخاضعا مطيعا للخلفاء العباسيين ، ولهذا فلم يكن له ولاخلافه احساس حب ايران والاستقلال قط كما كان عند الصفاريين والديلمية ، ولكنهم كانوا على خلاف هذا اذ كانوا في حرب دائمة بأمر الخلفاء العباسيين مع هؤلاء الايرانيين الذين كانوا يعصون الخليفة ويثيرون معتنقين مذاهب غير المذهب الرسمى لبلاط بغداد ، وكان اسماعيل وخلفاؤه

---

حاضرة في الواقع لكل ولايات آسيا الوسطى بعد أن نجح في توحيد ايرانى الشرق مع بنى جلنتهم في الغرب ، كما صارت مركزا لكل النشاط والحركات الفكرية التى ظهرت من بعد ذلك في القسم الشرقى من بلاد الدولة الاسلامية .  
وحين قضى العرب على كيان ايران القومى بقى بصيص غير خاب من ذرات الحضارة الفارسية تحت المعابد في ايران الشرقية خاصة في بلخ وما وراء النهر ليدكى من نارها السامانيون من بعد ذلك حتى اشرقت اسلامية خالصة في اتجاهها ولا يصعب مع هذا تتبع منشئها في بيوت النار الزردشتية .  
واشتهرت بخارى قبل الاسلام بانها ( مثابة العلوم كلها ) وقيل ان اسمها اشتق من كلمة بخار الزردشتية بمعنى مجمع العلم ، لكنها صارت عهد السامانيين معروفة باسم ( بخارى الشرقية النقية ) انظر تاريخ بخارى ( ص ٥١ ) حاشية ( ٣ ) وص ١٠٤ حتى من ١١٠ . ومفهوم كلام لمهبرى ان اسماعيل والسامانيين باستقلالهم بالجزء الشرقى وبعض ايران عن الخلافة قد استقل بالقومية الايرانية وان اصطفت بالاسلام بدل الزردشتية ، وقوله هذا يرد بعد قليل على اقبال .

يجهدون لكي يستأصلوا شأفتهم كما فعلوا بعلويي طبرستان والصفاريين ،  
وكثيرا ما أعادوا هبة الخلفاء العباسيين المضاعة الى وضعها الأول (١) .

## ٢ - أبو نصر أحمد بن اسماعيل

( ٢٩٥ - ٥٣٠١ )

خلف أبو نصر أحمد أباه اسماعيل بعد موته وأرسل الخليفة المكتفى  
رسميا منشور امارته ما وراء النهر وخراسان . وقد هاجم أحمد في أول  
أمره سمرقند واستخلصها من يد اسحاق بن أحمد عمه الذي أنابه فيها  
أبوه اسماعيل من قبل ، واستاق اسحاق أسيرا الى بخارى .

( ١ ) قد يظن بنا في ردنا للمؤلف ومن هم على نحلته من التعصب الاعبى  
أننا نغارعه نفس التعصب ، والتعصب ليس من الموضوعية العلمية في شيء :  
الا أن هذا الظن يردده نفس المؤلف في قولته الأخيرة . إذ أنه بعد أن يتدح عقل  
الأمير اسماعيل ودينه وورعه وسلامة نفسه وتدين جنوده وسهرهم على راحة  
الرعية من فرس وغيرهم يتدح فيه أنه كان متعصبا شديدا للتعصب لأنه لم  
يجاهر الخليفة بالمعصيان ولم يهجم على بغداد ويقتل أناسها ويذل أهلها من  
السنة كما فعل الصفاريون ولم يحى سنن الإيرانيين المجوسية القديمة أو لم  
يقتل المؤذنين والمصلين ويخرب المساجد كما فعل الديلمية وكما ذكر المؤلف  
نفسه في تاريخه لأسفار ووشكر وأخيه مرداويج . اسماعيل في رأى المؤلف  
متعصب ومخطيء وكافر بالقومية الإيرانية وخاضع لأنه لم يفعل ما فعله الديلمية  
والصفاريون والعلويون بطبرستان من أعمال الظلم والتخريب والقتل . وبنت  
شعري من المتعصب اسماعيل أم المؤلف وأسلافه من الديلم والصفاريين ؟  
لقد أسدى السامانيون الى أهل إيران خدمات جليلة ذكرها الإيرانيون أنفسهم  
لم يقم بمثلها الصفاريون أو غيرهم ، فلم تتكون اللغة الفارسية لغة مستقلة  
ولم يسقط أغلب إيران دولة قوية ولم يكن لها طابع قومي مستقل ووجه مهاب  
ولم يفتقه أبناؤها في دينهم ولم يحيوا حياة آمنة منظمة الا في عهد اسماعيل  
 وخلفائه . . وقد ذكر المؤلف أن اسماعيل رد أموال الرعية التي غصبها  
الطويون من أبناء على الذين ما خرجوا على الخلافة الا للدنيا واللازم وما ردهم  
عن ظلمهم الا من تسك بأهداب الدين ( السنى ) وسائر الخلفاء . ويدعى  
المؤلف أن المذهب الرسمي للصفاريين أو لغيرهم كان المذهب الشيعي وما  
يقوله التاريخ أن هذا المذهب لم يصبح رسميا الا مع قيام الدولة الصفوية التي  
فرضته على الشعب فرضا ، وكان التشيع قبلها هو مجرد حب وإيثار لاهل  
البيت . وكفى وليس ستارا يتخذ الطامحون الى العرش من السياسة والخارجين  
الذين لا يدينون بغير مصلحتهم وأطماعهم .



والواقعة الهامة في اماره أحمد غزوه طبرستان عن طريق أبي العباس محمد بن صلوك حاكم الري وأبي الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي وزير أبيه المشهور ، وثورة الناصر الكبير العلوي على عمال السامانيين ( ٣٠١ هـ ) وطردهم من طبرستان وقد ذكر ذلك بالتفصيل في فصل علوي طبرستان . ثم فتح سيستان بيد القائدين الشهيرين السامانيين الحسين ابن علي المروودي وسيمجور الدواتي في آخر عام ( ٣٩٨ هـ ) واخماد ثورة هذه الولاية في ( ٣٠٠ هـ ) وفتحها مجددا وقد مضى ذلك كله في فصل الصفاريين .

كان أحمد على خلاف أبيه رجلا ضعيف النفس لم يكن يبذل لأمر الملك اهتماما كبيرا وكان يميل أكثر من ذلك الى الصيد ، ولهذا فقد كان يقوم بتدبير مصالح الرعية والملك في أغلبها أبو الفضل البلعمي وقواد الجيش مثل الحسين بن علي المروودي وسيمجور . ومشهور أنه عندما وصلت رسالته إلى أبي العباس محمد بن صلوك وإلى طبرستان التي يبلغ فيها ثورة الناصر الكبير ما دمت به الأرض حتى أنه تمنى الموت من الله ، ويشاء الله تعالى أن يقتله بعض غلمانه في نفس هذا الوقت في المصطاد في جمادى الآخرة ( ٣٠١ هـ ) وقد لقب بالأمير الشهيد بعد قتله لهذا .

## ٣ — نصر بن أحمد

( ٣٠١ — ٣٣١ هـ )

ولما قتل أحمد بن اسماعيل كان ابنه نصر ابن ثمانية أعوام فأجمع كبار الدولة وأمرائها على امارته ونصب أبو عبد الله الجيهاني في وزارته فأمسك بأزمة أمور الدولة .

وقد قام بسبب صغر سن الأمير نصر مدعون عدة بمخالفة السامانيين كان أحدهم اسحاق بن أحمد أخا اسماعيل الذي استخلص الأمير أحمد الشهيد ، كما سبق ، سمرقند منه وأودعه الحبس في بخارا . وخلص اسحاق بعد قتل أحمد من سجنه وجمع جيشا يعاونه ابنه الياس وهاجم

بخارا لكن قائد نصر ( حموية بن على كوسة ) قابله فغلبه على أمره . فطلب اسحاق الأمان فعفا عنه نصر وقدم به مكرما الى بخارى وظل حيا في قصر الأمير معززا حتى مات .

وممن نهض مخالفا عقب موت الأمير أحمد وجلوس نصر أبو صالح منصور بن اسحاق الساماني حاكم الري السابق وسيستان الذي وجهه الأمير أحمد حاكما لنيشابور بعد دفع عصيان أهل سيستان وفتحها الثاني بيد الحسين بن على المروودي وأجلس الحسين مكانه على سيستان .

وعاص ثالث هو الحسين المروودي نفسه الذي كان يود أن يحفظ سيستان لنفسه بعد فتحها الثاني فلم يقبل الأمير أحمد هذا . أما أبو صالح فقد مات في بداية عصيانه في نيشابور ، لكن الحسين الذي كان حليف أبي صالح ضم اليه حلفاء آخرين وأعلن عصيانه على امارة نصر وسيطر على سيستان وهراة ونيشابور .

وتفاوتت ثورة الحسين بن على المروودي على السامانيين عن سائر ثورات المدعين تفاوتا كبيرا ذلك لأنه اعتنق المذهب الاسماعيلي اثر دعوات الدعاة الاسماعيليين الذين كانوا يدعون في هذا الوقت الناس في الري وخراسان وما وراء النهر بنشاط تام الى هذا المذهب وتبعية الخلفاء الفاطميين في مصر ، وأصبح الحسين من جملة الدعاة ودخل عداد الشيعة الفاطميين ولما أن عددا لا بأس به من ايرانيين خراسان وما وراء النهر قد أقبل على المذهب الاسماعيلي فقد اتسمت ثورة الحسين بن على بأهمية خاصة وكانت ضد أساس حكم السامانيين وخلفاء بغداد العباسيين مخدومي الأمراء السامانيين صراحة .

وقد عهد لأحد أبناء دهاقين مرو الايرانيين دفع ثورة الحسين المروودي وكان اسمه أحمد بن سهل بن هاشم بن كامكار وكان يدعى وصول نسبه الى يزدجرد الثالث الساساني . استرد أحمد بن سهل نيشابور من الحسين بن على في ( ٣٠٦ هـ ) واقتاده الى بخارى أسيرا

وانتهت فترة المرورودى بهذا والذي مات فى حبس الأمير نصر \* لكن لم تمر فترة طويلة حتى عصى أحمد بن سهل الأمير نصرا اذ أنس أحمد فى نفسه ادعاء الامارة والاستقلال وكان فاضلا أرييا أصيلا فى نسبه وابنا للعظام \* خاصة وأنه كان يضمر حقدا خاصا للعرب لقتل عمالهم اخوته الثلاثة وكانوا جميعا منجمين وكتابا ، وكان دائما يسعى لتجديد أساس الدولة الايرانية وكلما سنحت له الفرصة كان يثور على العمال والأمراء الطائعين لأمر خليفة بغداد كما فعل حين عصى عمرا بن الليث ولحق بالأمير اسماعيل السامانى على رغم أنف الأول \* وظل فى بلاط السامانيين الى أن أسقط فى نيشابور اسم الأمير نصر من الخطبة عام ( ٣٠٧ هـ ) بعد أن تغلب على الحسين بن على المرورودى وأعلن الاستقلال \* فأمر قائد الجيش السامانى حمويه كوسه والى جرجان قراتكين أن يحمل على نيشابور ويدفع أحمد بن سهل \* فأخلى أحمد نيشابور وذهب الى مرو وتحكم فيها \* وترك حمويه بخارى الى مرو وقبض على أحمد بالحيلة واقتاده أسيرا الى بخارى ، ومات أحمد فى ذى الحجة ( ٣٠٧ هـ ) فى حبس الأمير نصر \*

ومدع آخر للأمير نصر هو الياس بن اسحاق بن أحمد السامانى ابن عم أبى الأمير نصر الذى غلب أباه حمويه القائد فى بداية اماره نصر وأسره \* ثار الياس فى ( ٣١٠ هـ ) فى فرغانة ، وانهزم بسهولة على يد أحد العمال السامانيين ، ولم يحقق ابنه الذى سلك بعد فترة سيرة أبيه وجده شيئا اذ استسلم فى النهاية وقبل طاعة نصر \*

.. وقد زالت هذه الفتن فى أغلبها كما أشرنا بتدبير وحنكة حمويه القائد وأبى عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر العالم ، ولما مات الجيهانى استوزر الأمير نصر أبا الفضل محمد بن عبيد الله البلعمى الذى كان وزيرا لجده اسماعيل وأبيه أحمد \* واعتهد البلعمى هذا وزارة نصر حتى ( ٣٢٦ هـ ) وكان رجلا فاضلا محبا للفضل محنكا كافيا وهو ممدوح الشاعر الكبير أبى عبد الله بن جعفر بن محمد الرودكى وهو الذى نقل

بأمر من الأمير نصر كيلة ودمنة من العربية الى النثر الفارسي ثم دفع  
الروودكى الى نظمها شعرا فارسيا . وقد مات البلعمى والروودكى كلاهما  
في ( ٥٣٣٩ ) .

وكانت الفتنة العظمى التى حدثت في عهد وزارة أبى الفضل البلعمى  
خروج اخوة نصر الثلاثة عليه في ( ٥٣١٨ ) . وكان نصر قد ألقى  
بأخوته هؤلاء حتى لا يدعوا امارته حبس قلعة بخارى . وفي هذا العام  
حينما ذهب الأمير نصر الى نيشابور تمكن اخوته الثلاثة من خداع  
حراسهم بعون من جماعة من أهل بخارى فلاذوا بالفرار وأطلقوا أسر  
عدد آخر من العلويين والديالة كانوا نزلاء السجن معهم ثم اتجهوا الى  
خرائن الأمير نصر فنهبوها واستولوا على دوره وقصوره . فعمل الأمير  
نصر من نيشابور الى بخارى وتمكن بعون البلعمى وأبى بكر محمد بن  
مظفر بن محتاج الجعاني قائد جيش السامانيين في خراسان من اخمد  
فتنة بخارى ، وتفرق اخوة نصر الثلاثة في أطراف البلاد .

وكان من بين أصحاب اخوة نصر جماعة من الشيعة الاسماعيلية  
والفاطمية وكانت رئاسة بعضهم لابن الحسين بن على المروودى . وكان  
للشيعة الاسماعيلية كما سبقت الاشارة في هذا الوقت نفوذ في البلاد  
السامانية وقد بلغ نفوذهم بلاط السامانيين نفسه اذ أنهم أدخلوا جمعا  
من رجال بلاط الأمير نصر في مذهبهم . ووفق داعى خليفة الحسين بن  
على المروودى أخيرا في أن يدخل الأمير نصر الساماني أيضا في هذا  
المذهب . وقد دفع نصر مبلغ تسعة عشر ومائة ألف دينار دية موت  
المروودى الى خليفة الحسين لكي يرسلها الى القائم الخليفة الفاطمى  
بمصر امام الاسماعيلية .

وكان دخول الأمير نصر في المذهب الاسماعيلي باعث تعب غلمانه  
الأتراك الذين كانوا حفاطة الأمير وبلاطه وذوى نفوذ عليهم ، فصمموا أن  
يزيلوا نصرا من الامارة ويقتلوا الاسماعيليين وأعلن نصر في هذا الوقت

أى حدود ( ٨٣٣٠ ) ، وكان عليلا ، تبرأه من الاسماعيليين واعتزل الامارة واستخلفه ابنه نوحا للغلمان الأتراك ومخالفيه الآخرين . ولما مات فى ( ٨٣٣١ ) ، قام نوح بقتل خليفة المروودى وجميع رجال البلاط ورؤساء الجيش والكبار الذين اعتنقوا هذا المذهب ، فتحولت الاسماعيلية مضطرة من هذا الوقت من الدعوة العلنية الى الدعوة الخفية .

وانتهت وزارة الأمير نصر بعد عزل أبى الفضل البلعمى فى ( ٨٣٣٦ ) الى ابن أبى عبد الله الجيهانى وزيره الأول وهو أبو على أحمد بن الجيهانى ، لكن أبا الطيب محمدا بن حاتم المصعبى من الكتاب المنشئين ذوى النفوذ ومن فضلاء الاسماعيلية فى البلاط السامانى ومن ممدوحى الرودكى عارض هذا التعيين ، وحدث خلاف بين أتباع المصعبى والجيهانى فصارت أمور امارة نصر نهب الاختلال ، ودام هذا الحال الى أن هلك أبو على الجيهانى فى ( ٨٣٣٠ ) تحت بيت منهار ، فاستوزر نصر وكان قد اعتنق المذهب الاسماعيلى المصعبى . لكن وزارته لم تطل لأنه بعد اعتزال نصر وتولى نوح كان مصير المصعبى القتل ضمن الكبار الاسماعيليين .

### فتوح الأمير نصر ووقائع عهد امارته الخارجية : —

كان ذروة انبساط حدود الدولة السامانية فى أيام امارة الأمير نصر التى بلغت الثلاثين عاما ، والفضل الأكبر لهذا الاتساع يعود الى كفاءة وتدبير الوزيرين المشهورين أبى عبد الله الجيهانى ، وأبى الفضل البلعمى ورؤساء الجيش مثل حموية بن على كوسة وأبى بكر محمد بن مظفر الجعافى وابنه أبى على أحمد وقراتكين التركى وأبى عمران سيمجور الدواتى والا ما استطاع الأمير نصر لصغر سنه ولشبابه ( كان بلع نحو الثمانية والثلاثين عاما عند وفاته ) أن ينهض باحتواء المشاكل التى أشرنا اليها آنفا وبالسيطرة على البلاد الواسعة التى تم الاستيلاء عليها لا سيما وأن الأمير نوحا توافر له فوق أعدائه فى الداخل الذين ذكرنا أسماء أظهرهم ، أعداء وخصوم خارج حدود بلاده التى ورثها عن آبائه

من قبيل الدعاة العلويين بطبرستان وماكان بن كاكي وليلى بن النعمان  
ومرد آويج وغيرهم \*

فكما رأينا في تاريخ العلويين قد حاول قادة الأمير نصر في أيام  
امارة الناصر الكبير أن يستخلصوا طبرستان وجرجان منه بعد أن  
استصفاهما من قبضة العمال السامانيين لكنهم فشلوا في إعادة هاتين  
الولايتين الى السامانيين برغم محاولاتهم العديدة ولم يزوا غير مصالحته  
علاجا \* أما الخليفة الناصر الكبير وهو الحسن بن القاسم الداعي  
الصغير فقد سير في ( ٣٠٨ هـ ) قائده ليلي بن النعمان صوب خراسان  
للاستيلاء عليها ، واستولى ليلي على نيشابور ثم هاجم منها طوس لكن  
حموية وأبا الفضل البلعمي وسيمجور الدوائى أطبقوا عليه بطوس  
وأورده مورد الهلكة في ( ٣٠٩ هـ ) \* وأمر نصر في السنة التالية قرائكين  
بالاستيلاء على جرجان بجيش يبلغ الثلاثين ألفا ، فاستولى عليها ، لكن  
العلويين استردوها بعد عودته \* فبعث نصر هذه المرة سيمجور اليها وسير  
معه البلعمي في عونه ، لكنهما لم يحققا شيئا أمام ماكان بن كاكي القائد  
الآخر للداعي وهكذا احتفظ العلويان بجرجان ، حتى قدم الأمير نصر  
بشخصه في ( ٣١٤ هـ ) الى طبرستان فلم يلق غير الهزيمة والعار وغرم  
ثلاثين ألف دينار دفعها الى الداعي الصغير لكي يتنجس من مضايق  
طبرستان \* ومع أن نصرا في هذا السفر أخذ الرى من عمال الداعي وأتاب  
فيها عامله لكنها عادت الى العلويين بعد عامين أيضا وتولاها ماكان من  
قبل الداعي \* ولم يستطع نصر الا أن يقضى على الداعي الصغير بيد  
أسفار ومرد آويج خصمه الكبير ويأمن بذلك شره \*

وبعد قتل أسفار وامارة مرد آويج قائده للرى وطبرستان وجرجان  
رأى الأمير الزيارى صلاحه في مماشاة السامانيين فيترك جرجان بنصيحة  
البلعمي للأمير نصر ، فأتاب نصر فيها وفي قيادة الجيش وحكم خراسان  
أبا بكر محمدا بن مظفر الجعاني ولم يتهرض مرد آويج قط الى ولايات  
السامانيين ما دام حيا \*

وفي خلال هذا الوقت أى فى ( ٣٢٢ هـ ) مقارنة التاريخ الذى استولى فيه على بن بويه البويهى على شيراز فتح الأمير أبو بكر الجفانى والى خراسان كرمان بيد ماكان بن كاكى قائد مرد آوىج الذى كان قد لقى الهزيمة منه ولاذ بالسامانيين ، وطرد أبو بكر أبى على محمد بن الياص صاحب هذه الولاية منها ، وظلت كرمان لفترة تتبع حوزة السامانيين .

وبعد قتل مرد آوىج أمر نصر أبى بكر الجفانى وماكان بالسيطرة على جرجان وطبرستان والرى كما مر فى تاريخ الزياريين لكنهما لقيا هزيمة مرة من عامل وشمكير أخى مرد آوىج وخلفه .

وفى ( ٣٢٧ هـ ) عزل الأمير نصر أبى بكر الجفانى الذى كان مريضا فى ذلك الوقت عن حكومة خراسان وولاه ابنه أبى على أحمد . وهاجم أبو على فى ( ٣٢٨ هـ ) جرجان فى تعقبه لماكان الذى لحق مرة أخرى بآل زيار وانصرف عن السامانيين . وبعد أن استولى عليها عهد بها الى ابراهيم بن سيمجور ، وبعد قليل أى فى ربيع الأول ( ٣٢٩ هـ ) أصاب بعون آل بويه من ماكان مقتلا على مقربة من المرى وهزم وشمكير واستصفى للأمير نصر يلالد أبهر وزنجان وقزوين وقم والكرج وهمدان ودينور وأوصل حدود الدلة السامانية وان لم يدم هذا الاتساع طويلا حتى حدود عراق العرب . ومن أراد التفصيلات فى علاقات الأمير نصر والحسن بن بويه والأمير أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى يرجع الى أحداث عهد وشمكير بن زيار .

والمخالصة أن الوقائع الهامة التى حدثت فى مدة إمارة نصر بن أحمد التى دامت ثلاثين عاما ومعاصرتة الوزراء والرجال والقادة المشهورين الأكفاء والشعراء من مثل الرودكى والشهيد البلخى (١) قد

---

( ١ ) الشهيد البلخى المتوفى نحو عام ( ٣٢٥ هـ ) هو أبو الحسن الشهيد بن الحسين بن شعراء العهد السامانى وحكائه وفضلائه حذق اللغتين العربية والفارسية ونبغ فى الفلسفة وناظر أبابكر محمد بن زكريا الرازى فى مسائلها ، ومدح نصرا بن حمد وأبا عهد الله الجيهانى . وله فى أنواع فنون الشعر شعر يجعله مستويا للودكى .

جعلت من نصر أشهر الأمراء السامانيين وكان هو نفسه رجلا كريما حلما عاقلا ذا فتوة وعفو . وابتلى نصر في آخر عمره بمرض السل ومكث مريضا به نحو ثلاثة عشر شهرا الى أن مات به ولقب بعد موته بالأمير السعيد .

#### ٤ - نوح بن نصر

( ٣٣١ - ٣٤٣هـ )

ويجب أن نعد بداية اماره نوح بن نصر هي بداية عهد ضعف الدولة السامانية لأن هذا الأمير وكان في خوف من ثورة السنة والأتراك المتعصبين كما فعلوا مع أبيه ويود دائما الاستحواذ على رضاهم ، ألقي زمام أمور الدولة بعد بلوغه الامارة الى أحد فقهاء زمانه وقضاته بدلا من يعهد بها الى رجل جدير بها محنك بأمورها . ورغم هذا الوزير المؤثر كما كان عالما ورعا لكنه لم يكن على حظ بأمور السياسة واجراء أمور الدولة وهو أبو الفضل محمد بن أحمد السلمي الملقب بالحاكم الجليل الذي كان يصرف أكثر أوقاته بعد وزارته لنوح في العبادة والصلاة وتصنيف الكتب في الفقه وقل أن اهتم بإدارة البلاد السامانية ، ولهذا حدث انهيار تام في أساس الدولة السامانية . كما وضع الجنود أساس الشكوى والمخالفة حين لم تصلهم أجورهم من مدة قبل هذا الوقت بسبب الاغارة على الخزانة في أيام ثورة اخوة الأمير نصر وحين وفاته ، فلم ييخذلوا في دفع الثورات التي شبت في خوارزم وخراسان الجهد الأتم والوفاء الكامل فانتسعت هوة الاختلال .

وفي العام الثالث لامارة نوح عزل نوح أبا على أحمد الجفاني حاكم وقائد جيش خراسان بسبب شكاية أهلها سوء سيرته وسيرة عماله من منصبه ونصب مكانه ابراهيم بن سيمجور . فاستاء لهذا أبو على الجفاني وهو الذي استصفى لنوح الرى من الحسن بن بويه من فترة قليلة ،



فأدخل تحت امرته يعون أخيه الري وهمدان وبلاد الجبل وثار على نوح  
هاتين نصر ، ثم ضم اليه خفية بعضا من جنود نوح من ناحية واستمد  
ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الساماني ، وكان يعيش بالموصل ، وجيشه  
الى همدان من ناحية أخرى وتحرك برفقته الى خراسان .

وفي هذه الأثناء حرص جنود نوح بسبب شكواهم عدم وصول  
رواتبهم وضعف كفاءة الحاكم الجليل على عزل نوح وقتل هذا الوزير  
في شهر جمادى الأولى ( ٨٣٣٥ ) ، كما سلم اليه أغنى أبا على الجعاني  
قائدا نوح وهما ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين في خراسان .  
وألقي أبو على الجعاني بمنصور في السجن لكرهه له لكنه جعل من  
ابراهيم السيمجوري خليفا له وتمكنا بهذا التحالف من مواجهة الأمير نوح  
في مرو . وهرب نوح من مرو الى بخارى ومنها الى سمرقند وأجلس  
أبو على الجعاني عم نوح ابراهيم الساماني رسميا في إمارة نوح ببخارى .

ولم يطل الأمر حتى اصطدم أبو على الجعاني بابراهيم الساماني  
الذي كان بضد اللقاء القبض عليه ، هسلك الأمير الجعاني طريق  
التركستان والجغانيان ( الصاغانيان ) وأطلق سراح منصور بن قراتكين  
الذي كان يحتفظ به في حبسه ، وتوجه منصور الى نوح بسمرقند .

وبعد رحيل أبي على خلع ابراهيم نفسه من الإمارة وتركها لأبي  
جعفر محمد أخى الأمير نوح وجعل من نفسه قائدا له . لكنهما عندما لم  
يجدا في نفسيهما إمارة الإمارة تقدما الى نوح وهو بسمرقند معتذرين  
وأعاداه الى بخارى . وعاد نوح الى بخارى وأدخل الجند العصاة تحت  
امرته بمساعدة منصور بن قراتكين ثم سمل عيني أخيه وعمه يدفعه خبثه ،  
وأطلق يد منصور بن قراتكين في قيادة جيش خراسان وحكومتها فأدخل  
منصور خراسان ثانية في طاعته .

وبعد أن استقر الأمير نوح على كرسى الإمارة وجه همته لدفع أبي  
على الجعاني ولكن أبا علي سبق فقدم الى الصاغانيان الى بلخ ومنها

الى بخارى لكنه هزم قرب هذه المدينة في جمادى الأولى ( ٨٣٣٦ ) هزيمة قاسية وهرب الى الصاغانيان . وسيطر نوح على هذه الولاية ، وانهمز أبو على ثانية الى طخارستان وجمع منها جندا وأتباعا . وفي ربيع الأول ( ٨٣٣٧ ) هاجم الأمير نوحا في ما حول الصاغانيان وقطع الطرق عليه خلال المعابر الضيقة لهذه الولايات الجبلية وقطع اتصاله ببخارى . وفي النهاية تصالح نوح وأبو على وقرر أن يبقى ابن أبي على رهينة في بخارى ويعفو نوح عن أبي على . وعاش أبو على من هذه الآونة حتى ( ٨٣٤٠ ) في الصاغانيان .

أما منصور بن قراتكين فقد ظل من ( ٣٣٥ ) حتى ( ٨٣٤٠ ) والى خراسان ودخل في صراع في هذه الفترة مع أبي منصور مجاهد بن عبد الرزاق الطوسي ، كما سبق ، ومع أبناء بويه ، أيضا حتى كان عام ( ٨٣٣٩ ) حينما أفاد من ضياع ركن الدولة ، بن البري فاستولى عليها ، وتقدم حتى كرمانشاه وأجكم قبضته على أصفهان في تعقبه ركن الدولة ، لكن أمرا هاما لم يقع من لدنه . وفي المحرم ( ٨٣٤٠ ) عاد من أصفهان الى الري وحينما وافى نيشابور وافته المنية فطلب نوح أبا على الجفاني من الصاغانيان وفوض اليه عمله الأول وهو قيادة جيش خراسان ومارتها وسرعان ما أدخل أبو على خراسان اليه ، ثم توجه من جانب نوح في ( ٨٣٤٢ ) للباونة وشمكير ومحاربة ركن الدولة لكنه تصالح كما رأينا مع ركن الدولة في الري . وعلى أثر شكاية وشمكير من أبي على عزله نوح من عمله فلابد أبو على بركن الدولة .

وتوفي الأمير نوح بعد حكم اثني عشر عاما وثلاثة شهور في ربيع الأول ( ٨٣٤٣ ) ولقب الأمير الحميد ، لقبه معاصروه بذلك ، لطيب سيرته وحسن أخلاقه .

• — أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

( ٣٤٣ — ٣٥٠ هـ )

صار الابن الأرشد لنوح بعد موته وهو الأمير الرشيد عبد الملك أميراً واستوزر بعد جلوسه أبا منصور محمداً بن عزيز وأبقى أبا سعيد بكراً بن مالك الفرغانى الذى عينه أبوه نوح فى قيادة جيش خراسان مكان أبى على الجغانى فى موضعه • ووفق أبو على هذا بعون من آل بويه وكان ساخطاً لمزله ، فى أن يستصدر من المطيع الخليفة العباسى منشور ولايته خراسان ومن ثم طالب بمنصب أبى سعيد •

وهاجم أبو على الجغانى وركن الدولة والحسن بن فيروزان جرجان وتقدموا حتى ( جاجرم ) فى خراسان لكنهم لم يقووا على الجيش السامانى فأبوا بالهزيمة الى طبرستان ومنها الى الرى • وبعد قليل أى فى رجب من ( ٣٤٤ هـ ) مات أبو على الجغانى فى وباء عام حدث فى الرى وخلص السامانيون منه •

وسير أبو سعيد جيشاً كثيفاً بقيادة محمد بن ماكان عن طريق الصحراء لفتح أصفهان التى كانت تابعة لمؤيد الدولة لانتعابه ، وهزم محمد مؤيد الدولة وفتح أصفهان واستحوذ على أموال ركن الدولة وعياله • فأرسل ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد الى أصفهان وتمكن الوزير من أسر محمد بن ماكان وهزم جيشه وفرط عقده • وفى النهاية تصالح ركن الدولة وأبو سعيد وقر الأمر على أن يبقى ركن الدولة على جميع بلاد الجبل والرى وفى ازاء ذلك يرسل الى عبد الملك ببخارى مائتى ألف دينار سنوياً •

وبعد أن انتهت غائلة خراسان والرى أحضر أبو سعيد الى بخارى لأن جماعة من الجنود والأتراك كانت ساخطة عليه فتركته وقدمت تشتيكه لعبد الملك وتنوح عليه سوء تصرفاته • وأمر عبد الملك بقتله فألقى

البتكين الحاجب (١) في ( ٨٣٤٥ ) به أرضاً على باب قصر عبد الملك وقتله .  
ثم طرح عقب ذلك بمحمد بن عزيز أيضاً من الوزارة الى السجن وخلفه  
أبو جعفر أحمد بن الحسين العتبي أما أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن  
سيمجور فقد تولى قيادة جيش خراسان .

ولم تدم وزارة العتبي ولا قيادة أبي الحسن السيمجوري لأن  
عبد الملك عزل الأول عن الوزارة في ( ٨٣٤٨ ) بسبب اسرافه في النفقات  
وطعن الناس فيه وأتاب أبا منصور يوسف بن اسحاق في وزارته ، كما  
عزل الثاني أيضاً في ( ٨٣٤٩ ) بسبب تعديه على أهل خراسان وأجحافه  
بهم واختار أبا منصور محمداً بن عبد الرزاق الطوسي في قيادة جيش  
خراسان .

ولم يدع السعاة وذوو النفوذ في البلاط الوزير والقائد الجديدين  
مطمئنين في أعمالهما خاصة البتكين كبير حجاب عبد الملك الذي كان له سطوة  
زائدة عن المعتاد والذي تواضع مع أبي علي محمد بن محمد البلعمي ابن  
البلعمي الأول على أن يأخذ مكان أبي منصور الطوسي ويستولى البلعمي  
على مكانة أبي منصور الوزير . وانتهت هذه المؤامرة بالتوقيق فبلغ أبو  
علي البلعمي وزارة عبد الملك والبتكين قيادة جيش خراسان وأطلقت  
أيديهما في جميع أمور الدولة والجيش في عهد عبد الملك .

وسقط الأمير الرشيد عبد الملك في الحادي عشر من شوال ( ٨٣٥٠ )  
من فوق جواده وهو يلعب بالصولجان ووافاه أجله وخلفه أخوه منصور  
ابن نوح كما سيلي .

( ١ ) البتكين كلمة مركبة من ( الب ) بمعنى البطل و ( تكين ) بمعنى  
المسمى . والكلمة الأخيرة وصحتها تكن أو تين لاتزال قروج كاسم علم بين  
التركيان ، ويلحق هذا اللفظ ( تكين ) بكثير من الاسماء التركية مثل قرأتكين  
ونوشتكين واينالتكين وسبككتين بمعنى مثل أو شبيهه . ( هامبري حاشية  
( ٢ ) ص ( ١١٧ ) .

## ٦ - أبو صالح منصور بن نوح

( ٣٥٠ - ٣٦٦هـ )

لما مات عبد الملك بن نوح رفع البلعمى ابنه نصرا للامارة بمشورة البتكين الا أن كبار الأسرة السامانية ورؤساء الجيش لم يقبلوا هذا الأمر وأغاروا على قصر عبد الملك ثم خلعوا نصرا بعد يوم واحد من الحكم وأمروا عليهم عمه أبا صالح منصور بن نوح ورضا البلعمى بهذا الأمر ونتيجة لذلك بقى في الوزارة .

أما من كان أكثر الناس سعيا لابلاغ المنصور للامارة فهو الأمير أبو الحسن بن عبد الله فائق الذي كان من الغلمان الروميين أصلا ، وكان من بدء طفولته في خدمة منصور بن نوح ومن خاصة مربية ولهذا سمي فائق الخاصة .

وكان تولى منصور بن نوح وفائق ومن ترك مناصرة نصر بن عبد الملك رغم أنف البتكين في حقيقة الأمر بحكم اعلان البتكين بالحرب وقطع علاقة بلاط بخارى به ، وكان البتكين نفسه أسرع من أدرك هذه الخطوة فعزم ترك خراسان . لكن الأمير الساماني أرسل أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق قائدا لجيش خراسان ودافعا للبتكين وقابضاً عليه قبل أن يتحرك منها . واتجه البتكين من نيشابور الى بلخ ، ومع أنه تغلب في تلك المنطقة في نصف ربيع الأول ( ٣٥١هـ ) على جند الأمير منصور الا أنه سلك طريقه عن طريق طخارستان الى مدينة غزني وأقام بها .

أما أبو منصور الطوسي فبعد تحرك البتكين أطلق يديه في الاعتداء والنهب في بلاد خراسان ، ولما كان يعلم أن منصور بن نوح سوف يخلعه عن مقامه أعلن طاعته لركن الدولة الديلمي فندبه للاستيلاء على جرجان التي كان يحكمها وشهكير الزيارى في هذا الوقت مستظهرا بالأمير منصور . ومع أن ركن الدولة قد استولى على جرجان وطبرستان في

( ٣٥١ هـ ) من وشمكير وهزمه الى جيلان الا أن وشمكير قبل أن يحدث هذا رشا طبيب أبي منصور بألف دينار لكي يسقيه السم ، وقد عمل السم بعد هذا بقليل عمله في أبي منصور وهلك كما سيلي في النهاية بهذه العلة .

وعهد منصور بن نوح في أواخر ( ٣٥٠ هـ ) أي حينما كان البتكين لا يزال في بلخ وأبو منصور عاصيا في خراسان الى الأمير أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور والي خراسان السابق بقيادة جيشها . والتقى أبو الحسن السيمجوري وأبو منصور الطوسي يتقاتلان ولم يستطيع أبو منصور أن يقاتل وهو مسموم فوقع أسيرا أثناء القتال وقتله أحد غلمان الأمير السيمجوري .

وعامل أبو الحسن السيمجوري الناس هذه المرة خلاف السابقة برفق وعدالة وخير وتحاشى كثيرا من أعمال الظلم التي صدرت عنه سابقا ولم يتجاوز نيشابور لخمس سنوات بسبب اطمئنان أحوال خراسان .

وفي ( ٣٥٦ هـ ) قدم أبو علي بن الياس صاحب كرمان الذي أخرج الديالة البويهيون ولايته عن حكمه ، كما مر في تاريخ آل زيار ، الى بخارى لدى المنصور وأطمعه في ولايات آل بويه . فأمر المنصور أبا الحسن السيمجوري في خراسان ووشمكير والحسن بن فيروزان في جرجان والدامغان بفتح الري وقتال ركن الدولة فوصلوا الى حدود الري في آخر عام ( ٣٥٦ هـ ) ولكن وشمكير لما سقط في المحرم من ( ٣٥٧ هـ ) في صيده من على جواده وهلك وصالح أخوه ببيستون ركن الدولة انصرف أبو الحسن السيمجوري عن حربه وآب الى نيشابور .

ومع أن المنصور غضب لضعف رأى أبي الحسن السيمجوري الا أن أبا الحسن قصد بخارى ولم يترك حيلة أو تدبيرا حتى أرضى منصورا عليه فعاد الى منصبه بخراسان . وسعى في هذه المرة ومعه أبو جعفر العنبي شريك أبي علي البلعمي في وزارة السامانيين في الصلح ما بين

آل سامان وآل بويه خاصة العتبي وابن العميد وزير ركن الدولة للذان كانا فرسي الرهان في الفضل والكتابة تجمعهما الصداقة ، وفي النهاية عقد الصلح بين الدولتين في ( ٥٣٦١ ) وقرر أن يدفع ركن الدولة وعضد الدولة ما بين مائة وخمسين ألف دينار ومائتي ألف سنويا الى المنصور بن نوح والا يتعرض منصور للرى ، ولاحكام هذه العلاقة زوج ابنته للأمير منصور \*

ومات أبو على البلعمي في ( ٥٣٦٣ ) واعتزل أبو جعفر العتبي الوزارة أيضا في نفس السنة ، ووزر أبو منصور يوسف بن اسحاق لمنصور وكان الوزير السابق لعبد الملك وسلف أبي على البلعمي وبقي في الوزارة حتى ( ٥٣٦٥ ) \* ففى هذه السنة اختار الأمير منصور أبا عبد الله أحمد بن محمد الجيهانى الذى احتفظ به بوزارته حتى آخر امارته \* أما عن علاقة الأمير منصور السامانى بخلف بن أحمد الصفارى فقد سبق الحديث عنها ضمن تاريخ الأخير \* ومات أبو صالح منصور بن نوح في الحادى عشر من شوال ( ٥٣٦٦ ) وأطلق عليه بعد موته الأمير السديد \* وأبو على البلعمي وزير منصور هو مترجم كتاب تاريخ الطبرى المعروف من العربية الى الفارسية الذى أتم ترجمته في ( ٥٣٥٢ ) بأمر الأمير السامانى ، وقد زاد الوزير المترجم على المتن العربى بعد اختصاره موضوعات اضافية \*

## ٧ — أبو القاسم نوح بن منصور

( ٣٦٦ — ٥٣٨٧ )

بعد موت منصور خلفه ابنه نوح الثانى ذو الثلاثة عشر عاما ولما كان لا يزال آنذاك صغير السن فقد قامت أمه بإدارة أمور الملك \* ولما أن بلغ نوح سن الرشد قرب لآحكام أساس امارته الأمير أبا الحسن السيمجورى وأبا الحارث محمدا بن أحمد بن فريغون والى

ولاية الجوزجانان وفائقا الخاصة وأبا العباس تاش حاجبه ، وقد مكن الأخيرين في أن يتدخلوا تماما في أمور الملك وأناب أبا الحسن السيمجورى في خراسان وضم إليها هراة ونيشابور بلقب ناصر الدولة وتزوج من ابنته . ثم اتجه فكره الى اختيار وزير له فرفع أبا الحسين عبد الله بن أحمد العتبى الى وزارته وكان شابا ذا كفاءة وفصل مع وجود خصام ناصر الدولة أبى الحسن السيمجورى له .

وقد صار عداء أبى الحسن لوزارة أبى الحسين العتبى مقدمة لظهور خصومة شديدة بين ذلك الأمير وهذا الوزير وزاد أمر هذا العداء حدا جعل العتبى يعزل أبا الحسن عن حكم خراسان وقيادة جيشها ويعطى أعماله في ( ٣٧١ هـ ) أبا العباس تاش الذى كان من غلمان أبيه القدامى .

ولقب نوح تاش هذا بلقب حسام الدولة وعاد ناصر الدولة السيمجورى الى قهستان وأقام بها منزويا .

وقد وافق عزل ناصر الدولة وتنصيب حسام الدولة على حكومة خراسان كما سبق هروب فخر الدولة الديلمى وقابوس الزيارى من طلب عضد الدولة ومؤيد الدولة من العراق وجرجان الى نيشابور ، وطلبهما عون نوح ، فأرسل نوح بناصر الدولة وفائق لدهما ولكن - كما سبق شرح ذلك - فائقا الذى تحالف مع ناصر الدولة سرا وتعادى مع حسام الدولة الذى رباه العتبى قد خان نوحا وكانت النتيجة أن جيش خراسان انهزم الى نيشابور أمام مؤيد الدولة بعد حصاره لجرجان . فأرسل أبو الحسين جيشا آخر من بخارى الى بلخ وعزم هو نفسه أيضا أن يأتى لمعاونة تاش ، لكنه قبل أن يتحرك اغتاله أتباع أبى الحسن السيمجورى وفائق في ( ٣٧٢ هـ ) فوقف أمر غزو نوح الثانى لجرجان وطبرستان ، ومع أن عضد الدولة لم يكن قد مات في هذا الوقت فقد كان جنده ومؤيد الدولة يستصفون خراسان أيضا من أيدي السامانيين .

واستدعى الأمير نوح بعد قتل العتبى والهرج والمرج اللذين عسا



أمور الدولة جسام الدولة تاش من خراسان الى بخارا ، ولما رأى تاش بعد دخوله العاصمة أنه لن ينجو من حساده الكبار دخل اليهم من باب الإدارة ، فترك لهذا حكم بلخ الى فائق وقهستان وبادغيس الى ناصر الدولة وهرارة الى ابنه أبي على السيمجورى وعاد هو الى نيشابور محتفظا لنفسه بقيادة الجيش . وبعودة تاش الى خراسان استوزر الأمير نوح عبد الله بن محمد بن عزيز ، وكان هذا الوزير من الأعداء السابقين لأبي الحسين العتبي ومن الخصوم الألداء لتاش ، ولما كان يعلم أن تاش يفكر في الانتقام لقتل العتبي والحق الضرر بأعدائه جرض نوحا على عزل تاش وحل محله ناصر الدولة السيمجورى ، فلما لم ينصح تاش لهذا الأمر أمر الأمير والوزير ناصر الدولة وفائقا أن يدفعاه . واستصرخ تاش فخر الدولة الديلمي الذى خلف مؤيد الدولة فى الرى وكان رأى من تاش أيام ضربه بوجهه فى خراسان خيرا عديدا ، فأمدّه فخر الدولة بالفسى فارس . ولما لم ير ناصر الدولة فى نفسه القدرة على المقاومة رحل الى قهستان واستجد منها بشرف الدولة أبى الفوارس الأمير الديلمي لشيراز منافس فخر الدولة ، وفى النهاية ، كما سبق ، ذاق تاش الويال من القادة السامانيين فلاذ بفخر الدولة بالرى . وترك فخر الدولة له جرجان واستراباد وظل تاش فى حدودهما الى أن مات فى ( ٣٧٧ ) أو ( ٣٧٨ ) ولم ير خراسان قط .

#### مقدمات انهيار الدولة السامانية : —

مع أن جسام الدولة تاش قد مات وهزم ديمالة بالرى ، إلا أن الدولة السامانية التى كانت تيمم شطر الزوال لم تستطع أن ترفع رأسها قوية ، لأن أكثر ولاياتها فى هذا الوقت كان بيد عمال وحكام عاصين لبخارى . وكانت الخزانة خاوية والوزراء بلا كفاءة يتعاقب بعضهم بعضا ، والقوة الأساسية بيد الغلمان الترك ورؤسائهم ، ووراء هؤلاء جميعا كان قواد نوح يخاصم أحدهم الآخر ويدعى عليه القيادة والولاية .

ومات ناصر الدولة السيمجورى أواخر ( ٣٧٨ هـ ) ووعد نوح ابنه  
أبا على منصبه مجبرا خائفا ، لكن فائقا لم يقطع أبا على خاصة أن نوحا  
وحاشيته كانوا على اتفاق معه فى الباطن ، وصار هذا الحال باعث ظهور  
النزاع بين أبى على وفائق والذى انتهى الى الحرب . وظفر أبو على  
السيمجورى على فائق فيما بين بوشنخ وهراة ، فجعل نوح أبا على هذه  
المرّة رسميا أى فى ( ٣٨١ هـ ) القائد العام لجيش خراسان ملقبا اياه  
بعماد الدولة وترك له هراة التى كانت تحت سيطرة فائق . وتحرك فائق  
بعد هزيمته يقصد السيطرة على بخارى ، لكنه هزم فى الحادى عشر من  
ربيع الأول ( ٣٨٠ هـ ) من قائدى نوح بكتوزون واينج (١) وهرب الى  
بلخ وترمد ، وهناك تغلب على الأمير أبى الحارث الفريغونى عامل نوح  
على الجوزجانان . ولما كان ييغض نوحا فقد تحالف مع صاحب كاشغر  
الخان الافراسيابى بتوران أى شهاب الدولة هارون المعروف  
بـ ( بغراخان ) (٢) ودعاه لأخذ بخارى . ويشاء الله أن أبا على  
السيمجورى الذى غصى أمر نوح دفع مرتبات الجند وكان خائفا مغبة

---

( ١ ) بكتوزون لفظ أو يغورى معناه الأمين العادل ، فابرى حاشية (١)  
ص ١٢٣ من كتابه تاريخ بخارى ) واينج أو ايننج لفظ تركى يدل على الصق  
والاخلاص ( المرجع السابق ح (٣) ص ١٢٠ ) .

( ٢ ) هذه الاسرى اى اسرة آل المراسياب تسمى بالتراختين أو  
الخانين ، وقد سقطت أخيرا كما سنرى على يد السلطان محمد خوارزم  
شاه ( مسياتى ) .

ويذكر فابرى حاشية (١) ص (١٢٠) أن ( ايليك ) لفظ أو يغورى معناه  
الأمير أو الحاكم أو الوصى فهو بهذا ليس اسم علم نظيره فى ذلك كلمات  
( تركمان ) أو ( ترخان ) أو ( خاتون ) أو غيرها من الألقاب التى سمى بها العرب  
والفرس الحكام الترك اذ ذاك .

أما ترخان يدورها ( حاشية ٢ ص ٦٥ من كتاب فابرى ) أو طرخان  
أو طرخون عند المؤرخين المسلمين والفرس فهو من ألقاب الشرف عند  
التورانيين

وأخيرا فان بغرا وعلى الأصح بقرا أو بخرا هو اسم الفاتنة فى اللغة  
التركية الشرقية ولم يكن من المستغرب قبل انتشار الإسلام بين الترك أن  
يطلقوا اسم حيوان على ضريح أو شخص ( ح ٢ ص ١٢٠ من الكتاب السابق )

هذا العصيان يستدعى بغراخان أيضا للسيطرة على بخارى . ولما رأى فائق أن خصمه توافق مع خان الترك وأن الطرفين قررا اقتسام الولايات السامانية طلب عفو نوح وعاد الى بخارى فأرسله نوح واينج الحاجب لدفع بغراخان وهزم بغراخان في ربيع الأول ( ٥٣٨٢ ) جند نوح وسلم فائق لبغراخان وصار من أتباعه ، واستولى الخان الأفراسيابي نتيجة لهذا الفتح على بخارى وتركها نوح ومد يد الاستمداد لأبي على السيمجوري ، لكنه لم يجبه . ولما مرض بغراخان في هذه الأثناء ببخارى ومات في طريق عودته الى التركستان عاد نوح الى دار ملكه بعد تواريه وأمسك مرة أخرى بأزمة أمورها .

وعند عودة نوح قصد فائق بخارى للسيطرة عليها وكان والى بلخ من قبل بغراخان لكنه هزم من جند نوح فالتجأ مضطرا بأبي على السيمجوري فتحالفا كلاهما ضد نوح وصمما على الهجوم على بخارا . وازاء عصيان هذين القائدين القويين لم يجد نوح بدا من استصراخ سبكتكين صهر البتكين السابق الذكر الذي خلفه في امارة غزنة وقام بفتوحات عظيمة في شرق أفغانستان الحالية ، وأتى سبكتكين الى ما وراء النهر ، وفي اللقاء الذي تم بينه وبين نوح أقسم يمين الوفاء وعقد العهد على دفع أعدائه ، ونهض يؤيد نوحا أيضا واليا خوارزم أو والى خوارزم ووالى الكرج وأمير الجرجانية ( من بلاد خوارزم القديمة من خيولم الحالية ) وهو أبو العباس مأمون بن محمد . وترك نوح قسما من البلاد التابعة للسيمجوري لهم وألحق بعونهم في رمضان ( ٥٣٨٤ ) بأبي على وفائق الذي استمد أيضا فخر الدولة هزيمة غادة فلجأ هذان القائدان المتمردان الى فخر الدولة الديلمي بجرجان . ولقب نوح بعد هذا الفتح سبكتكين ناصر الدولة وأينه محمودا . سيف الدولة ونصب محمودا قائدا لجيش خراسان بدل أبي على السيمجوري . واستقبل فخر الدولة أبا على وفائق استقبالا حسنا وقرر لهما مع هدايا مرسلة اليهما جزءا من مال جرجان لنفقاتهما .

وفي ( ٣٨٥هـ ) سمع أبو علي وفائق أن نوحا عاد الى بخارا وسبكتكين الى هراة وأن سيف الدولة محمودا في نيسابور وحيد ، فمزمزا ففتح خراسان . وطلب محمود عون أبيه ولكن قبل أن يصله تمكن من طرد أبي علي وفائق عن نيشابور ، ولما كانا غير مطمئنين على عاقبة أمرهما طلبا عفو نوح وأبديا الطاعة فلم يجبهما نوح وسبكتكين فجمع الطرفان جيشهما وتغلب نوح مرة أخرى مستعينا بجند سبكتكين ومحمود في جمادى الآخرة ( ٣٨٥هـ ) في طوس على أبي علي وفائق اللذين نجيا بروحيهما وهربا الى خوارزم وطلبا أيضا منها عفو نوح . وكان نوح مستعدا الى أن يعفو عن أبي علي بشرط أن يخلع عنه صداقة فائق فرفع أبو علي يده عن حليفه فائق الذي قال له ان أمان نوح لا يعتمد عليه ، وقدم الى ملك خوارزم فصفده بالأغلال . وهاجم مأمون بن محمد أمير جرجانية في هذا الوقت شاه خوارزم فأسره وأبا علي معه . وبعد نيل عفو نوح أرسله الى بخارى لكن سبكتكين طلب الى نوح تسليمه له فسير نوح الأمير السيمجورى اليه في ( ٣٨٦هـ ) ، فأورده سبكتكين وثلاثة من العصاة بعد نحو عام من الحبس في ٣٨٧هـ مورد الهلكة ، وبقتله زال اعتبار الأسرة السيمجورية وشوكتها .

أما فائق فقد رحل خوفا من نوح وسبكتكين الى بلاد الايلك نصر خان الافراسيابى خليفة بغراخان ومكث عنده معززا مكرما لكنه حرصه بعد قليل على التحرك الى بخارى ، لكن ايلك خان ونوحا بتدخل سبكتكين مالا الى الصلح ، ونتيجة لهذا عفا نوح عن فائق وأرسله لحكم سمرقند .

وفي ( ٣٨٧هـ ) توفي نوح وسبكتكين وفخر الدولة الديلمي ومأمون ابن محمد أمير جرجانية الواحد بعد الآخر ، وصار باب المنافسة والصراع الى أشخاص آخرين .

وقد فتح استمداد قواد نوح العصاة لخانات التركستان وتوسل

نوح بسبكتكين وابنه محمود الباب لهاتين الطائفتين من الترك الصفر  
البشرة أى أتباع آل افراسياب والغزنويين الترك الى ما وراء النهر  
خراسان ، وكان هذا الأمر سيئا جدا كما سنرى ، فقد أدى الى انهيار  
الدولة الايرانية السامانية من ناحية وأصبح من ناحية أخرى مقدمة  
لتأسيس الأسر التركية في ايران •

## ٨ — أبو الحارث منصور بن نوح

( ٢٨٧ — ٣٨٩ هـ )

مات الأمير أبو القاسم نوح بن منصور أى نوح الثانى فى الثالث  
عشر من رجب ( ٣٨٧ هـ ) ولما مات وقد لقب بالأمير الرضى خلفه ابنه  
الصغير السن منصور الثانى ، ولم تمر مدة من الوقت على جلوسه حتى  
خالفه عدد من رجال البلاط والأمراء ودعوا الايلىك خان الى بخارى فقدم  
هذا الى فائق بسمرقند وسيره الى بخارى • وخرج منصور من بخارى  
لكنه عاد اليها بدعوة فائق الذى كان يتظاهرا بالاخلاص الى الأسرة  
السامانية وبوساطة كبار بخارى وتسلط فائق على أمورها • ولما كان  
سيف الدولة محمود قد ترك خراسان فى هذه الآونة بسبب وفاة والده  
واستيلاء اسماعيل أخيه على غزنة وعاد اليها نصب منصور بكتوزون  
الحاجب مكانه قيادة جيش خراسان • لكن فائقا الذى لم يكن على صفاء  
مع بكتوزون فى الباطن دخل فى محادثات مع أبى القاسم السيمجورى  
أخى أبى على الذى لجأ الى آل بويه بعد القبض على أخيه وكان يعيش  
فى هذا العهد فى بلاط وأمه السيدة خاتون بالرى وحرصه على اخراج  
بكتوزون من خراسان والاستيلاء على منصبه • وهاجم أبو القاسم  
جرجان من الرى ومنها نيشابور ولكنه هزم من بكتوزون فى نيشابور فى  
ربيع الأول ( ٣٨٨ هـ ) وانهزم الى قهستان وهرات • وفى عاقبة الأمر تصالح  
أبو القاسم وبكتوزون على شريطة أن تكون قهستان وهرات لأبى القاسم  
وخراسان لبكتوزون •

وبعد انتهاء هذه المشكلة عاد سيف الدولة محمود الى خراسان بعد أن تغلب على أخيه وطلب من منصور منصبه السابق الذي كان يحتله بكتوزون في هذه الآونة ، فاعتذر منصور وأتابه في حكم بلخ وترمز وقسم من حدود بست و هراة + فلم يقنع محمود بهذا الاقتراح ولما رأى انحياز منصور الى بكتوزون تماما هاجم نيشابور وهزم بكتوزون الى سرخس عند منصور واتفق بكتوزون ومنصور وكان كلاهما ساخطا على منصور على خلعه في النهاية فعزلاه عن الامارة في ١٢ صفر ( ٥٣٨٩ ) وبعد أسبوع سملا عينيه وأمروا طفله عبد الملك .

#### ٩ - أبو الفوارس عبد الملك بن نبوح

(من ١٢ صفر حتى ١٠ ذى القعدة من ٥٣٨٩)

ولما سمع سيف الدولة محمود بعزل منصور وسملا عينيه عزم على دفع فائق وبكتوزون للانتقام وفي أواخر جمادى الأولى في مرو واجههما وألحق بهذين القائدين الجحودين هزيمة نكراء فر على أثرها فائق برفقة عبد الملك الثانى الى بخارا وتوجه بكتوزون الى نيشابور ، وهاجم محمود نيشابور يتعقب بكتوزون فسلك الأخير طريق جرجان فرقا + فبعث محمود بقائده أرسلان جاذب في عقبه وتمكن بكتوزون من أن يفر مدة من يد جند محمود ويتوارى عنهم الى أن انتهى به اللجوء الى بخارى . وسيطر سيف الدولة على خراسان لنفسه وأسقط اسم السامانيين من الخطبة وخطب مباشرة للقادر الخليفة العباسي وبهذا خرجت خراسان بيد أحد أبناء غلمان السامانيين عنهم . وقد عهد سيف الدولة بعد أن أدخل آل فرينغون وأمراء بلاد الكرج تحت طاعته بقيادة جيش خراسان الى أخيه نصر وأقام هو نفسه في بلخ التي كانت مركز اقامة أبيه سبكتكين وأثرها قصبة له ولقبه الخليفة أمين الملة ويمين الدولة .

## انهيار الدولة السامانية في ٣٨٩ هـ : —

بعد أن تمكن محمود من خراسان نال عبد الملك وفائقا وبكتوزون ثلاثتهم من محمود الهزيمة فركبهم الفزع من تسلطه على بخارا وما وراء النهر أيضا ، فجمع الثلاثة جموعهم لطرد هذا النذ القوي الشكيمة وقصدوا استرجاع بخارى • ولكن اقتضت ارادة الله أن يوافي فائقا في الطريق في شعبان ( ٣٨٩ هـ ) أجله ويظهر تصدع تام في أساس تجمعهم • وسمع ايلك خان شمس الدولة أبو نصر هذا وكان أخا وخلف ايلك خان نصر توجه الى بخارى متذرا بحماية الأمير الساماني وكان تحركه فيما يبدو لدعوة الشيعة والباطنيين له لسخطهم على السامانيين السنة المتعصين • على أية حال قدم ايلك خان في العاشر من ذي القعدة ( ٣٨٩ هـ ) الى بخارى وألقى القبض على بكتوزون الذي لحق بعسكره بطريق المداينة والملق ثم على عبد الملك وأخيه منصور الأعمى وسائر الأمراء السامانيين ، وانتهت الدولة السامانية بهذا على يد أمير تركي آخر من بخارى وما وراء النهر • وهذه الواقعة من أكثر وقائع تاريخ ايران شؤما لأن من هذا الوقت قصرت يد العنصر الآري الايراني عن أحد أصل أقسام ايران وهو ما وراء النهر ، وعلى أثر الاستيلاء المتتابع للأتراك والأجانب غيرهم فقد أصبح هذا الاقليم الذي هو مهد الأدب الفارسي الاسلامي وموطن ومدفن لجمع كثير من كبار فضلاء ايران خارجا عن تصرف الايرانيين كما أنه لا يزال خارجا عنهم الى اليوم •

## نظرة في الوضع الاداري وأسلوب حكم السامانيين : —

دامت دولة الأمراء السامانيين التي لم تخرج في وقت قط عن تبعية وقبول الأمر الروحي لخليفة بغداد وكانت تعتبر نفسها دائما مطيعة منفذة لأوامر العباسيين مدة عشرة ومائة عام ( من ٢٧٩ سنة وفاة نصر حتى ٣٨٩ هـ تاريخ استيلاء الايلك خان على بخارا ) • وطول هذا القرن ولبضع سنين كان السامانيون وكان جميعهم على مذهب السنة يعترفون

بأن الخليفة العباسي ببغداد هو أمير المؤمنين أميرهم وأمير غيرهم وأنه الرئيس الروحي لهم مع أنهم كانوا إيرانيين (١) \* وقد أقتفوا في سيرتهم هذه مسلك الطاهريين دستوراً لحياتهم وحكمهم ولهذا فقد كانت طبقة رجال الدين وعلماء الدين فيما وراء النهر وخراسان يستظهرون دوماً بالأمراء السامانيين خلاف من تشيع منهم الذين كانوا يحيون متواريين خوفاً من قوة السامانيين وعلماء أهل السنة \* وكانت الشيعة إذا سنحت الفرص لهم يتعاونون مع أعداء السامانيين ويدعونهم سرا للقضاء على أسرهم (٢) \*

ومع أن الأمراء السامانيين كان لهم في الظاهر حق عزل وتنصيب جميع القادة العسكريين والمدنيين في ولاياتهم لكن قدرتهم هذه كما رأينا أخذت في الضعف من عهد الأمير نصر بن أحمد فصاعداً وتدخل في عمل الأمير منهم في الغالب رجال البلاط ورؤساء الجيش ، ولم يكن للأمير حيلة غير الانصياع لأمرهم \*

وكانت إدارة الولايات السامانية في يد ذوي النفوذ في مؤسستين أو جهازين أولهما البلاط وثانيهما الديوان \*

وكانت رئاسة البلاط الساماني لشخص اسمه ( حاجب سالار ) أي كبير الحجاب أو ( حاجب بزرگ ) بنفس المعنى وكان مسيطر على جميع

( ١ ) وكان المؤلف يعنى أن الله تعالى قدر مذهب التشيع لإيران وإيران للتشيع والثورة على العرب والإسلام السنن أمراً خاصاً بالإيرانيين ، وهذا يؤكد الأدلة السابقة نعصب المؤلف ومحيطه .

( ٢ ) كان الأمراء السامانيون غير نصر أخى اسماعيل الذى لم يلبس إلا الأمازة تسعة نفر وقد عدد العنصرى ( الشاعر الكبير الغزنوى ملك شعراء بلاط محمود الغزنوى ، توفي ٤٣١ هـ ) في قصيدة تنسب إليه أسماءهم هكذا :  
نه تن بودند زال سامان مشهور

هريك بامارت خراسان مأمور

اسماعيلى واحمد ونصرى

دونوح ودو عبد الملك ودو منصور ( سياقى )

ومعناها : تسعة نفر كانوا من آل سامان مشهورين : . وكانوا كل منهم بامارة خراسان مأمورين اسماعيل واحمد ونصر : . والنوحان وعبد الملك والمنصوران



الأمر الداخلي للأمير ولنزله خاصة إذا كان الأمير صغير السن ، وكانت  
أزمة الأمور في حقيقتها في يد كبار الحجاب .

وكان لكل أمير ساماني عدد من العلمان والحراس الشخصيين وكانت  
قيادتهم ورئاستهم لـ ( أمير الحرس ) وكان يعمل هذه الفرقة حفظ حياة  
الأمير . وكان الأمير يترك حكم العاصمة أي بخارن دائما في مسئولية  
شخص يسمى ( صاحب الشرطة ) .

أما حكومة الولايات فكان تودع من طرف الأمير وغالبا بإشارة كبير  
الحجاب أو الوزير للأمراء أو قادة الجيش ، وكان حكم خراسان في هذا  
الوقت يتمتع بأهمية كبرى لأن حاكم خراسان كان القائد العام لجميع  
الجيش الساماني أيضا . ولهذا فقد كان الأمراء السامانيون يختارون  
لهذا المنصب حيناً عن طوعية وأحياناً كثيرة خوفاً وحيطة القواد  
المشهورين وكبار الأسر القديمة ، حتى أن هذا العمل كان في الغالب وراثياً  
في بعض الأسر وكان يثب من أجد الحصول عليه بين رؤساء الجيش  
وأفراد أسر عديدة النزاع كما كان الأمر مع آل محتاج وأسرة قراتكين  
وآل سيمجور إذ كانوا في نزاع دائم من أجل الحفاظ على هذا المنصب  
أو الاستيلاء عليه وكانت خراسان تنتقل بينهم في أغلب أيام الدولة  
السامانية .

أما رئاسة الديوان الساماني فقد كانت للوزير الأكبر أو ( السيد  
الكبير ) ( خواجه بزرگ ) الذي كان يعد رئيس الدولة وصاحب تدبير  
الأمير وكانت له الرئاسة على جميع أهل القلم والدفتر أي الكتاب  
والمستوفيين ( مأموري الجمع والخرج ) والمشرفين ( ناظرى الخرج )  
والعمال المملين ، وكانت جميع أمور الدولة في واقعها في يده . ولما كانت  
السيرة الجارية أن ينتخب الأمير الوزير مع أخذ رأى قائد جيش خراسان  
فقد كان قادة جيشها يتدخلون في عزل الوزراء ونصهم ويحدث لهذا  
هرج ومرج في أعمال الديوان ، وكان سبب هذه الحالة أن الوزراء كان

عليهم أن يبلغوا نفقات الجيش التي كانت تحت أمر قاذته فكانوا إلى حد ما تابعين لهم مأمّرين بأمرهم . وبمجرد أن وزيرا كان يتكاسل في أداء هذه الوظيفة أو اظهار الخضوع لقائد الجيش الذي يمتلك القوة كان أمره ومكانته يتزلزلان تزلزلا .

وكان أغلب نظام الديوان الساماني وتشكلاته مرهونا بكفاءة أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير الأمير نصر بن أحمد الذي كان حكيما محنكا شهما وكان يتبع المانوية باطنا ويعد بين الزنادقة كما اصطاح على المانويين ، وكان كسائر المانويين العارفين والمتعلقين بالآداب القديمة الأيرانية معرفة كاملة يدخل في إدارة الديوان الساماني كثيرا من مراسم العهد الساساني وتشكيلات ايران لعهدهم ، فقد كتب ، كما ينقل المؤلف عن زين الأخبار للكرديزي (١) إلى كل بلاد العالم الكتب وطلب رسوم كل بلاط وديوان لكي تنسخ له وتبعث ، مثل ولاية الروم والتركستان والهند والصين والعراق والشام ومصر والزنج وزابل وكابل والسند والعرب ، أتت رسوم الدنيا إليه ووضعت نسخها أمامه فتأمل فيها مليا وأخذ من بينها ما كان أفضل وأحسن وترك نقيضهما وأخذ بالأفضل منها وأمر بأن يسير كل أهل البلاط والديوان في بخارى على هذا المراسم فانتظم أمور المملكة جميعها برأى الجيهاني وتديره . أ . ه . وعن طريق هذه المعلومات ألف الجيهاني كتابه المشهور جدا في علم الجغرافيا ومعرفة البلاد والطرق والآداب وعقائد الأمم المسمى بالمسالك والممالك وقد ضاع هذا الكتاب وهو من أقدم كتب هذا العلم وأكثرها اعتبارا للأسف .

---

( ١ ) الكرديزي هو أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزي الغزنوي من كتاب العصر الغزنوي والمعاصر للسلطان عبد الرشيد ابن مسعود بن محمود الغزنوي ، وقد ألف تاريخه الكبير زمن هذا السلطان والمعروف بزين الأخبار وتناول فيه التاريخ من بداية الخليفة حتى نهاية حكم السلطان مودود بن مسعود الغزنوي ( ٤٤٤ هـ ) .

أما ديوان السامانيين الذى انتظم بيد الجيهانى والبلعمى وسائر الوزراء الأيرانيين فقد كان تقليدا لديوان الخلفاء العباسيين فى بغداد الى حد ما ، فقد كان تحت أمر الوزير ، كممثل ديوان بغداد ، عدد من أصحابى الدواوين الأخرى مثل أصحاب ديوان الاستيفاء ( ما يساوى تقريبا وزارة المالية أو الدخل والمنصرف ) وديوان الأشراف ( أو مراقبة المنصرف ) وديوان البريد ( المخابرات ) وديوان الأوقاف وديوان القضاء ( اجراء أحكام الشرع ) وديوان الرسائل أو الانشاء ( ديوان كتاب الأمير والوزير أو ما يساوى حاليا وزارة الخارجية ) وغيرها .

وقد انتقلت نفس هذه التشيكلات من السامانيين الى خلفائهم الغزنويين والسلاجقة وملوك خوارزم وظلت قائمة حتى عهد المغول وكان يتوارثها طبقة الوزراء والكتاب والمستوفين التى كانت تنفذ وتحفظ هذا النوع من الادارة جيلا عن جيل واذا ما زالت أسرة كان يخلفها أسرة جديدة فى الخدمة لتنفذ وترعى سيرة الأسرة السالفة .

لكنه يتوجب العلم أن هذا النوع من الادارة لم يكن جاريا فى كل الولايات السامانية وكان منحصرا تقريبا فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، لأنه كان لكل عدد من النواحي التابعة للسامانيين مثل الصاغانيان والجوزجانان وخوارزم وجرجانية وسيستان وغزنة تشكيلات خاصة به مختلفة عن بقية الدولة وكانت تعيش تحت امرة أمراء نصف مستقلين محليين وكان السامانيون قانعين بتحملهم تبعة أنفسهم مع ائتمارهم بأمرهم .

ومن عهد اسماعيل وأخيه نصر نتيجة لغزوات السامانيين فى حدود بلاد الكفار التركستانية نفذ عدد كبير من الأتراك أسرى وغللمان الى ما وراء النهر وتجمعوا فى بخارى فى البلاط السامانى وخدمة الوزراء والإعيان وقواد الأمراء ودخلوا فى سلك الخدمة والاتباع ، وقد تزايد نفوذ هؤلاء الغلمان تدريجا حتى صاروا من خواص الحجاب ومربى أبناء

الأمراء والأعيان وبلغوا المقامات العالية كآل سيمجور والبتكين وفائق  
وبكتوزون \*

وفضلا عن هؤلاء الرؤساء الأتراك فقد دخل عدد وفير أيضا من  
هذه الطائفة ضمن الجيش الساماني وفي عداد حراس بلاط الأمراء وتغلب  
بالتدريج الأتراك المقاتلون في الجيش الساماني ، وفي الجيش الذي  
ينبغي أن يدافع عن البلاد الآرية الإيرانية في مواجهة سيل هجوم قبائل  
الترك الثورانيين ، الذين كان يسكنون من نهر سيحون حتى حدود الصين  
والمحيط الهادئ ، كانت الأكثرية والرئاسة للعنصر التركي . وكان هؤلاء  
الترك كما رأينا فضلا عن أنهم لم يبذلوا مقاومة أمام الأيلخانيين يدعونهم  
للاستيلاء على بخارا والقضاء على السامانيين بعون منهم وفي النهاية  
انتهت الدولة السامانية على يد نفس أولئك الترك \*

### أسماء الأمراء السامانيين وزمان امارة كل منهم

- ١ — الأمير العادل الأمير الماضى أبو ابراهيم اسماعيل بن أحمد  
( ٢٧٩ — ٢٩٥ هـ )
- ٢ — الأمير الشهيد أبو نصر أحمد بن اسماعيل  
( ٢٩٥ — ٣٠١ هـ )
- ٣ — الأمير السعيد أبو الحسن نصر بن أحمد  
( ٣٠١ — ٣٣١ هـ )
- ٤ — الأمير الحميد أبو محمد نوح بن نصر  
( ٣٣١ — ٣٤٣ هـ )
- ٥ — الأمير الرشيد أبو الفوارس عبد الملك بن نوح  
( ٣٤٣ — ٣٥٠ هـ )
- ٦ — الأمير المؤيد الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح  
( ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ )
- ٧ — الأمير الرضى شاهنشاه أبو القاسم نوح بن منصور  
( ٣٦٦ — ٣٨٧ هـ )
- ٨ — الأمير أبو الحارث منصور بن نوح  
( ٣٨٧ — ٣٨٩ هـ )
- ٩ — الأمير أبو الفوارس عبد الملك بن نوح  
( من ١٢ صفر حتى العاشر من ذى الحجة ٣٨٩ هـ )

## الفصل السادس

### الغزنويون

( ٣٥١ - ٥٥٨٢ )

#### بداية أمر الغزنويين : —

ينتسب الغزنويون الى غزنة أو غزنى أو غزني من مدن أفغانستان الحالية الواقعة في سفوح جبال سليمان وكانت المركز الأول والعاصمة للغزنويين ، وقد بدأت منها أهميتهم واعتبارهم .

وأول من يعد في الحقيقة المؤسس من بين الأمراء الغزنويين أولئك الحقيقي للأسرة الغزنوية هو أبو اسحاق البتكين الذي مر ذكره في تاريخ السامانيين ، وكان غلاما تركيا ابتاعه الأمير الشهيد أحمد بن اسماعيل ، ثم دخل خدمة أخيه نصر من بعده ، ثم بلغ في عهد اماره عبد الملك الأول منصب رئاسة الحجاب كما رأينا ، والبتكين هذا هو الذى قتل بكرا بن مالك قائد الجيش الساماني في بخارى في ( ٣٤٥ هـ ) ، ثم رقى في ( ٣٤٩ هـ ) منصب قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان .

ظل البتكين من ( ٣٤٩ هـ ) حتى أواخر ( ٣٥٠ هـ ) في خراسان . وفي هذا الوقت ، كما رأينا ، اصطدم بالأمير منصور بن نوح ، ومع أن البتكين ألحق الهزيمة بجند منصور على مقربة من بلخ ، وأنه كان بحوزته أملاك ومتعلقات في خراسان وما وراء النهر (١) فقد يمم بخطر أفغانستان لعله

---

(١) ذكر أن مدد ضياعه وأملاكه وصلت خبيثاته وتطبيع اقتضاه الف الف ، ومثيرة آلاف جوادا ويغلا وجيلا ( سياتى ) .

كان يتجنب مقاتلة ولي نعمته ، وكانت أفغانستان وقتها دارا للكافرين  
فعرمها للجهاد .

وبلغ البتكين في أوائل عام ( ١٣٥١ هـ ) مدينة غزنة وغلب أميرها  
الأمراء أبا على وأقام بها أميرا وجعل منها دار اقامته . ومن ثم يعتبر  
عام ( ١٣٥١ هـ ) بداية تأسيس الأسرة الغزنوية ولو أن استقلال الغزنويين  
يبدأ بعام ( ١٣٨٧ هـ ) حينما جلس السلطان محمود على العرش .

ومن عام ( ١٣٥١ هـ ) حتى ( ١٣٥٢ هـ ) سنة موت البتكين ، كان البتكين  
مشغولا بالجهاد في حدود كابل ومعايير المناطق الجبلية شرقي أفغانستان .  
واستولى في هذه الفترة على مدينة كابل ثم دخل في حرب مع أحد  
راجمات السند . وقبل أن تنتهي الحرب مات البتكين وخلفه ابنه اسحق  
في اماره غزنة .

وبعد عام من تولى اسحاق الامارة ، أخرجه أبو على أمير غزنه  
السابق الذي طرده البتكين قبل ، منها فهرب اسحاق الى بخارى واستمد  
الأمير منصور بن نوح . فأبلغه منصور امارته السابقة بشرط أن يعتبر  
نفسه تابعا له ، فقبل وسك عملة غزنة وخطب على منابرها باسمه .

ووقعت اماره غزنة بعد موت اسحاق في ( ١٣٥٥ هـ ) في يد غلمان  
البتكين وتولاها منهم اثنان وأحد بعد الآخر بموافقة جنوده ومجاهدي  
جيشه الى أن ضارت في العشرين من شعبان ( ١٣٦٦ هـ ) نصيب سبكتكين  
صهر البتكين . وسبكتكين مثله كمثل البتكين من الغلمان ذوي الأصل  
التركي اشتراه البتكين من تجار الرقيق في عهد عبد الملك الأول من  
نيسابور ثم شرفه بتزويجه ابنته .

ومع أن البتكين هو الذي وضع أساس الدولة الغزنوية الا أن  
المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة هو سبكتكين لأنه مد حدود دولتها شرقا  
وجنوبا باستيلائه على مناطق واسعة ثم امتلك في الغرب خراسان  
وحكومتها فامتست البلاد الغزنوية اتساعا كبيرا .

وأول فتح لسبكتكين عام هو استيلاؤه على مدينتي قصدار ( من بلاد اقليم مكران القديمة الواقعة في بلوچستان الحالية ) وبست ( من مدن سيستان السابقة في الوادي الأوسط لنهر هيرمند ) في ( ٥٣٦٦ هـ ) .  
فقد توسل أمير بست ( طغان ) بسبكتكين من شر بايتوز أمير قصدار ووعدته ان أمده في استخلاصه بست من بايتوز أن يؤدي له مالا .  
فاستخلص سبكتكين بست منه وألحق به الهزيمة . فلم يف طغان بوعده وأعلن عصيانه لسبكتكين فقاتله الأخير واستولى على بست ثم ألحق بها قصدار ودخلتا من يومئذ تحت حكمه وأمره . ومن الغنائم التي ضاربت من نصيب سبكتكين في هذا السفر التحاق الشاعر والمنشيء العالي القدر أبي الفتح علي بن محمد البستي بخدمته وكان من البداية يعيش في بلاط بايتوز ويعمل كاتباً له .

ويعد هذه الفتوحات نفد سبكتكين الى سهول السند من معابر سلسلة جبال سليمان وهزم ملك طائفة الراجبوت المسمى ( جبال ) وضم اليه مدينة بيشاور وعاد محملاً بالغنائم والأموال الضخمة الى غزنين .  
وقد سبق ذكر تفصيلات دعوة سبكتكين وابنه محمود في ( ٥٣٨٤ هـ ) عن طريق الأمير نوح بن منصور ووصولها الى قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان ثم حروبهما للمتمردين من قواد نوح في تاريخه ولا حاجة الى تكرارها .

## ٢ — أبو القاسم محمود بن سبكتكين

( ٣٨٧ — ٥٤٢١ )

مات أبو منصور ناصر الدولة سبكتكين ، وكان اختار في أواخر أيامه بلخ عاصمة له وكان يعيش بها ، حينما كان قادماً من بلخ في طريقه الى غزنة في شعبان من ( ٥٣٨٧ هـ ) وكان ابنه الأكبر سيف الدولة محمود في نيشابور في هذا الوقت منشغلاً بإدارة أمور خراسان .

## نزاع محمود واسماعيل : —

وحينما وصلت جنازة سبكتكين الى غزنة رفع جنده ابنه الأصغر

اسماعيل بناء على وصيته الى مسند الامارة ، فترك محمود خراسان واتى  
هراة وقدم عمه بهرايق مساعدته له ونهض أخ له آخر اسمه نصر من  
بست لخدمته ، وظفر محمود على أخيه اسماعيل بالقرب من غزنة ، فأمنه  
وأنزله من قلعة غزنة وأشركه معه في الامارة ، ولكنه ألقى به في السجن بعد  
قليل لسوء ظن به ومات اسماعيل في السجن ، وكانت مدة امارته مبعة  
شهور .

### ثورة الأمير منتصر الساماني :-

ولما استقر ايلك خان على بخارا حبس أبناء نوح بن منصور أو أخوة  
الأمير عبد الملك وبضعة نفر من أقاربهم ، وأبعد بعضهم عن الآخر وشرقتهم  
في البلاد . وتمكن أبو ابراهيم اسماعيل بن نوح من الهرب من حبس  
الايك في اوزقند برداء نسائي وتوجه الى خوارزم وجمع منها جمعا  
وظفر بهم ملقبا بالمنتصر على أتباع الملك الايلك وأخذ بخارى . لكنه  
لم يطق المكث بها فأنطلق مهاجما نيشابور وأخرجها عن قبضة نصر بن  
سبككن أخى محمود . ونال منتصر هزيمة من يمين الدولة فلاذ بقاطور  
الزيارى ومنه الى طوائف الغز وسلجوق الساكنين على حدود خوارزم  
وأسترد بعونهم بخارى . لكنه لم يطمئن الى أتباعه الترك ففر تحت جنح  
الظلام ولم يجد حيلة لكى يسترد ملك أجداده الا أن يتوسل بيمين الدولة  
محمود . فخف محمود لنجدته وغلب ايلكخان واستقر منتصر على بخارى .

لكن الايلك بعد عودة محمود طرد منتصرا من بخارى فهام على  
وجهه فترة في خراسان وقهستان وطبرستان حتى استقر به المطاف عند  
قبيلة عربية مهاجرة عند بخارى ، فقتله في ( ٣٩٥ هـ ) بأمر من أعدائه ،  
وهكذا انتهى آخر داعية كبير للأسرة السامانية وكان رجلا رشيدا فاضلا  
وشاعرا وارتاح منه الايلك ومحمود وكانا قلقين منه وخلقى الميدان لهما  
للمد التركي .



## حرب محمود لخلف بن أحمد السيستاني : -

كان خلف بن أحمد الذي وقفنا على أحواله في أواسط تاريخ الصفاريين يعيش في عدااء خفي ومنافسة لسبكتكين ومحمود من حين أن استوليا على خراسان بسبب مجاورة ملكه لملكهما مع وجود الصداقة الظاهرية لكنه إذا ما سنحت له الفرصة كان يغير على أطراف بلاد الغزنويين وكانت قهستان وهرات أكثر مناطق نزاع الطرفين وكان يحكمها بغراجق أخو سبكتكين وعم يمين الدولة محمود . وفي ( ٣٨٧ هـ ) لما وصلت خبر أنباء موت سبكتكين مسامع خلف أخذ منه السرور حتى أنه سير ابنه طاهر للاستيلاء على بوستنج فاستصفاها من يدى بغراجق . فأمد محمود عمه وردده لدفع طاهر بن خلف . وأصاب طاهر هذه المرة أثناء الكر والفر من بغراجق مقتلا فأشعل نار غضب محمود .

وفي ( ٣٩٠ هـ ) كان خلف متوجها لقلعة اسبهد احدى قلاع سيستان الحصينة وبرفقته ولده وأهله حين فاجأه محمود مع كثرة من جنده عند هذه القلعة ، ولم يكن مع خلف أحد فبقى بها محصورا . ولم يجد خلف بدا من التسليم فنجا من حصره بعد أن افتدى نفسه بمائتي ألف دينار وسلك محمود طريق الهند .

وبعد هذه الواقعة أنزل خلف انتقامه الفظيع الذي جاوز حدود الفخاعة بمن ساعدوا محمودا ، وبلغ انتقامه وفخاعته حدا جعل ابنه طاهرا يثور عليه . لكن خلفا تظاهر بأنه اعتزل الامارة وانشغل بالعبادة والعزلة وخدع ابنه بالحنيلة والتدبير واطهار شفقة الأب على ابنه ، فلما سلم ابنه ، قتله أبوه بيده ثم غسله وكفنه وأوسده الثرى في ( ٣٩٢ هـ ) . وجار أهل سيستان في النهاية من مظالم خلف واستدعوا محمودا لكى يأخذ بلدهم لينجوا من شروره وخف محمود الى هذه المدينة وكان يترقب مثل هذه السانحة فحصر خلفا في قلعة ( طاق ) احدى قلاع سيستان . وبعد أربعة شهور من المقاومة سلم خلف واستولى محمود في صفر من ( ٣٩٣ هـ ) على سيستان وأرسل بخلف الى الجوزجانان لكنه ألقى به في

السجن لما سمع بمكاتبة الایلکخان ، ثم قتل في ( ٣٩٩ هـ ) في سجن دهمك  
بين زرنج وبست .

### السلطان محمود وخانات التركستان :-

لقب الخليفة القادر كما سبق محمودا في ذي القعدة من ( ٣٨٩ هـ )  
بيمين الدولة وأمين الملة وخلف السامانيين في خراسان وضم الى اسمه  
من هذه الأيام أيضا لقب السلطان وعمل به . ولفظه ( سلطان ) عربية  
بمعنى السلطة والقدرة والهيئة الحاكمة وكانت تستخدم للخلفاء ورائجة  
قبل محمود ، وكان أغلب الشعراء والمنشئين والأتباع لدى محمود يلقبونه  
به ولم يكن لقبه الرسمي قبل ذا .

وكان الخانيون أو الخانات الذين استولوا من حدود هذا الوقت  
( ٣٨٩ هـ ) على ما وراء النهر وكانوا قد خلفوا السامانيين في تلك البلاد ،  
كانوا مسلمين يعدون قبول أمر الخليفة العباسي فرضا ويعتبرون أنفسهم  
كالغزنويين أتباعا للخليفة القادر ويسكون عملتهم ويخطبون باسمه .

وقد وقع نزاع بسبب منتصر الساماني بين محمود والایلک نصرخان  
غير أن هذه الفتنة قد خمدت وتزوج محمود ابنة نصر وبدأ السلام بين  
هذين الأميرين التركيين وأضحى نهر جيحون الفاصل بين مليكهما . وقد  
تلقى محمود هذا الصلح بحبور لأنه يترقب الفتح في الهند ونذر أن يغزوها  
كل عام ويريد أن يفرغ للاهتمام بها . لكن الصلح لم يدم طويلا لأن  
الایلک نصرا بمجرد أن توجه محمود لاحدى غزواته وأقام في المولتسان  
بالسند ( ٣٩٦ هـ ) أرسل قائده ( سباشى تكين ) للسيطرة على خراسان من  
ناحية و ( جعفر تكين ) حاكم بخارى الى بلخ للاستيلاء على طوس  
ونيشابور من ناحية أخرى . فعجل محمود الى خراسان وهزم جعفر  
وسباشى وأنقذ خراسان من سيطرة الخانيين . وفي السنة التالية عبر  
الایلک نصر بعون قدرخان بن بغراخان السابق الذكر والى الختن بجند  
آخرين وأسرع لمحاربة محمود وكان مقيما في طخارستان في هذا الوقت

مع جمع من الأتراك الغزو الخليجين (١) والأماغنة والهنود وخمسماية فيل حربى . وفي الثانى والعشرين من ربيع الثانى من ( ٥٣٩٨ ) على كتب من جيسر ( جرخيان ) على نهر بلخ فى صحراء ( كتر ) على بعد فراسخ أربعة من بلخ اشتبك الطرفان ولقى جيش الخانيين هزيمة قاسية وغرق جزء هام منهم فى الماء حين شراره .

ومعركة كتر احدى الوقائع العظيمة الأهمية فى تاريخ الفزنويين لأن خطر الخانيين من هذا الوقت حتى عهد السلاجقة قد انتهى عن خراسان . أما نصر فقد ثار عليه أخوه ( طغان خان ) بسبب هزيمته وتحالف مع محمود ، ولم يستطع الخانيون بسبب نشوب الاختلافات الداخلية بينهم منافسة محمود أو مساواته بل كان كل منهم يستمدد على الآخر وكان حكمه جاريا متبعا فى بلادهم .

#### فتح خوارزم وجرجانية فى ٤٠٧ - ٤٠٨ هـ :-

كانت خوارزم ، وهى منطقة خيوة الحالية (٢) تحت إمرة أسرته من الأمراء على عهد السامانيين أولاها أسرة المأمونيين التى حكمت على الجزء الشمالى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم مدينة جرجانج أو الجرجانية أو أورجنج مدينة خيوة الحالية محلها ، وثانيهما الخوارزمشاهيون القدماء الذين سيطروا على الساحل الأيمن أى الجزء الشرقى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم مدينة كاث أو شهرستان . وقد سبق ذكر لأبى العباس مأمون بن محمد صاحب جرجانية وقتلنا

(١) ( الغز ) سوف يرد فى تاريخ السلاجقة أصلها ، أما « الخليجون » فنسبه الى خليج وهى تحريف للفظ « خليج » بكسر الخاء وهو لفظ تركى أو ايغورى قديم ينطق فى التركية الحديثة « قليج » بمعنى السيف ، وقد يرسم قلىق وخليج وخليج . ( انظر تاريخ بخارى . ارمنيوس غابري ، ترجمة د. احمد الساداتى ص ٤٨ حاشية ، و ص ٨٤ ج ١ ) .  
(٢) كانت خيوة تعرف فى القديم باسم خيوك وهو لفظ من اصل تركى كان غير معروف زمن السلاجقة ، وسوف يأتى تاريخهم ( المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٧ ) .

ان هذا الأمير حمل على أبى عبد الله خوارزمشاه صاحب شهر كاث  
( ٥٣٨٥ ) الذى كان قد أسر أبى على السيمجورى واستخلص منه خوارزم  
الشرقية وقتله فى نفس هذه الآونة فى مقابل أبى على السيمجورى ، وقد  
أطلق على أبى العباس صاحب جرجانية من هذا الوقت خوارزمشاه أى  
ملك خوارزم فى حين أن هذا اللقب كان لولادة كاث .

وبعد وفاة أبى العباس فى ( ٥٣٨٧ ) خلفه ابنه أبو الحسن على  
وقبل بيعته للخانيين بعد سقوط السامانيين ، وبما أن محمودا قد تغلب  
عليهم فقد ساهله أبو الحسن وتزوج من أخته .

وتولى جرجانية وخوارزم أبو العباس مأمون بن مأمون بعد أخيه  
أبى الحسن وتزوج هو أيضا بأخت أخرى لمحمود وكان مطيعا للسلطان  
مجبورا حتى ( ٤٠٧ ) سنة قتله ولكنه كان يظهر الاخلاص والمحبة  
للخانيين .

وفى نفس العام ساء ظن محمود بخلوص نية أبى العباس فطلب  
اليه أن يخطب له فى خوارزم فتظاهر خوارزمشاه بقبول طلبه ، لكن  
أعيان خوارزم وأمراءها لم ينصاعوا وثاروا على حاكمهم وقتلوه وأمروا  
عليهم ابن أخيه أبى الحارث محمدا بن على . فقصد السلطان محمود  
خوارزم بحجة الانتقام لدم أبى العباس خوارزمشاه وانقضاء أخته  
بجيش ضخم ، وبعد معركة فى ( هزاراسب ) بالقرب من جرجانية هزم  
جند خوارزم شاه هزيمة شديدة ، ثم دخل فى الخامس من صفر ( ٥٤٠٨ )  
جرجانية وقبض على جميع أفراد الأسرة المأمونية وأتى بهم غزاة وترك  
خوارزم الى قائده المشهور ألتون تاش وزال آل مأمون وصار ألتون  
تاش ملك خوارزم .

كان أفراد الأسرة المأمونية أغلبهم فضلاء محبين للفضل وكانت  
جرجانج فى عهدهم مركز اجتماع العلماء والفضلاء حتى أن أبى على بن  
سينا كان يعيش هناك فى بلاط أبى الحسن على وأبى العباس مأمون ،  
وكان أبو الريحان البيرونى أيضا من أجلة خواصهم ومستشاريهم .

## غزوات محمود في الهند من ٣٩٢ حتى ٤١٦ هـ : -

سافر السلطان محمود أسفارا حربية للجهاد والغزو الى الهند في المدة بين عامي ( ٣٩٢ هـ ) و ( ٤١٦ هـ ) أى نحو أربعة وعشرين عاماً وكان أهم هذه الغزوات اثنتى عشرة غزوة ، وقد حارب راجات الهند وحكامها المحليين بنية جهاد كفارها ظاهرا وباطنا للاغارة على بلادهم ومعابدهم ومحال أصنامهم التى شهرت بكثرة ثروتها وآلاتها وأدواتها وأصنامها الفضية والذهبية وقد جلب معه كل مرة بالاغارة على مدنهم غنائم لا تعد وبدأ السلطان محمود هجماته على الهند بعد جلوسه بخمس سنوات وأنهاها قبل وفاته بخمس أخرى لأنه انشغل فى الخمس الأولى بقمع أعدائه فى الداخل والقادة السامانيين والايك خان والأمير خلف ، وفى الخمس الأخيرة لم تتركه ثورات العراق وخراسان والاهتمام للخطر التركى السلجوقى أن يتوجه للهند خالى البال . أما ما بين الخمسين فقل أن يمين الدولة لم يذهب الى الهند غازيا ولم ينتصر ويجلب الغنائم .

وشرح جميع غزوات محمود على الهند وبيان جزئيات حروبه مع راجات الهند وحكام أجزائها الغربية والمركية وتعداد أسماء البلاد التى فتحها والراجات الذين هزمهم يخرج عن نطاق هذا الكتاب المختصر فضلا عن خلوه من الفائدة والمتعة ، فلذا نقنع بالوقائع الهامة والنقاط الرئيسية المتعلقة بهذه الغزوات .

١ - بداية غزو محمود للهند الغربية كما أشرنا هى سنة ( ٣٩٢ هـ ) ، ففى هذا التاريخ اقتفى السلطان بعد اخضاع أحمد بن خلف فكرة أبيه فى الحملة على أرض الراجبوت ومقاتلة جييال ، ونتج عن هذا هزيمة جييال وأسره وعاد بعد السيطرة على قسم من البلاد شرق بيشاور موقرا بالغنائم الموفورة .

٢ - فى ( ٣٩٥ هـ ) هاجم محمود سهول البنجاب وتغلب فى ( بهاطيه ) عاصمة البنجاب المركية ( ما بين مدينة المولتان ونهر ستلج ) على حاكمها

وعاد بعد ضم هذه المنطقة الى أملاكه بمائة وعشر فيلا الى غزنة .

٣ — في (٨٣٩٦) قصد محمود المولتان بحجة دفعه واليه المسم (والمولتان من بلاد شرق نهر السند في ولاية البنجاب) الذي اعتنق المذهب الاسماعيلي ، ولما لم يجب (انندبال) ابن جيبال السابق الذكر والذي حكم في كشمير طلب محمود عبور البلاد فبدأ السلطان بتعقبه وسيطر على كشمير ، وفر والى المولتان خوفا الى جزيرة سرنديب واستولى محمود على المولتان وقسم آخر من البنجاب .

وبعد هذا الفتح دخل محمود سهول الجانج وهاجم بلاد راج آخر اسمه (نندا) فتقهقر هذا الراج من أمامه واعتصم بقلعة كالنجر الحصينة وهى من القلاع الجنوبية لنهر جمنا من أفرع نهر الجانج وتقع حاليا مغرب مدينة (الله آباد) الحالية فحاصرها محمود وبعد أن حوصر نندا أربعة وثلاثين يوما طلب الصلح فرفض محمود في البداية لكنه صالحه باعتبارها تابعا له عندما سمع أن الايلك خان هاجم خراسان .

٤ — ومن غزوات محمود المشهورة في الهند غزوتان في (٨٤٠٤) و (٨٤٠٥) وقد استفرغ لنفسه في أولاهما قلعة ناردين من قلاع البنجاب عزب نهر جيلم من أفرع نهر السند وفي ثانيتهما معبد تانيسر (في شمال دهلئ) وقد أتى بصنم تانيسر الكبير الى غزئين .

٥ — في (٨٤٠٩) فتح محمود مدينة قنوج (على حافة نهر الجانج وشمال شرقى مدينة كاونبور) وسلم له حاكمها واعتنق أهلها الاسلام ، لكنه لما عاد محمود غضب الراجات الآخرون لهذا فقدم أعظمهم محاربة حاكم قنوج وقتله . فعاد السلطان محمود وهاجم سهول الجانج وفتح معبد (موترا) البالغ الشهرة الواقع في شاطئ الجانج وشمال مدينة أكرا ، وغنم جميع نفائسه ومن بينها صنم ذهبى خالص وعاد الى غزنة مجلال وعظمة .

٦ — وأعظم وآخر غزوة لمحمود في الهند هجومه على ولاية

الكجرات ( ٥٤١٦ هـ ) وشبه جزيرة كاتياوار ( وهى الحد الفاصل بين ولاية السند والهند الوسطى ) • كان محمود سمع أن أعظم معابد الهند يقع في مدينة سومنات في الساحل الجنوبي لشبه جزيرة كاتياوار ، وكان الهنود يومها يعتقدون أن سبب استيلاء محمود على سائر الأصنام الهندية هو غضب صنم سومنات وسخط عليها • وكان محمود على علم بأن معبد سومنات مستودع للذهب والفضة والجواهر والنفائس فتقدم الى شبه جزيرة كاتياوار عن طريق المولتان وصحراء تار العظمى ويصعبه ثلاثون ألف فارس وجماعة من المجاهدين المتطوعين في العاشر من شعبان من عام ٥٤١٦ هـ لتملك هذه الخزائن والكنوز النفيسة والقضاء على صنم البراهمة الأعظم • وفي طريقه استولى على مدينة ( انهلوار ) العاصمة القديمة لولاية الكجرات ، وبلغ قلعة سومنات في منتصف ذى القعدة •

وكانت قلعة سومنات تشرف على البحر من فوق مرتفع واستنسل الهنود في الدفاع عنها في جانبها لكنهم في النهاية عجزوا أمام المجاهدين المسلمين ، فاقتحم محمود بعد أيام ثلاثة هذا المعبد وحطم بنفسه برمح كان معه هذا الصنم الأعظم وكان من الحجر ويبلغ طوله خمسة أذرع وأرسل بقطع منه الى غزنة ومكة وبغداد ليعلن عن فتحه العظيم ثم آب الى عاصمته في العاشر من صفر عام ٤١٧ هـ •

وقد أقيم معبد سومنات وكان أحد النماذج الرفيعة لفن العمارة الهندية على قواعد حجرية وعمد بأعمدة خشبية وكانت تبرق على سقفه أربع عشرة قبة من الذهب • وكانت خزائنه تغص بالنفائس والجواهر التي كان يبعث بها الراجات والزوار الهنود لسنين طويلة • وقد قدرت قيمة هذه النفائس التي غنمها جنود محمود بنحو عشرين ألف ألف دينار •

### فتوح السرى وأصفهان في ( ٤٢٠ هـ ) : -

وكما مر بنا في أحوال مجد الدولة الديلمى فقد لاذ هذا الأمير يعد موت أمه السيدة خاتون بالسلطان محمود من جراء استبداد جنده وتزايد

شرهم \* وكان محمود ينتظر الفرصة للاستيلاء على بلاد الجبل ولاستئصال الديالة في هذه المنطقة ، فأرسل في البداية عليا الحاجب الى الري وأمره أن يقبض على مجد الدولة ، ففعل على هذا ، ثم وصل محمود بنفسه الى الري في ربيع الآخر ( ٤٣٠ هـ ) واستحوذ على خزائن مجد الدولة ومكتبته القيمة وعلى ما يقرب من ألف ألف دينار نقدا وبقيمة خمسين ألف دينار جواهر ، ثم قام باحراق أكثر كتب مجد الدولة وكانت كتبها في الحكمة والنجوم وتاليفا في علوم الضلال ، وبهذا زالت ودالت دولة الديالة في الري .

وبعد فتح الري وقتل جماعة من أصحاب مجد الدولة بحجة سوء معتقدهم فتح أيضا قزوین وساو و آبه وأرسل ابنه مسعودا لفتح زنجان و أبهر ، ثم أنابه بعد فتح هاتين المدينتين على ممالك الديالة التي فتحها جميعا وعاد الى خراسان .

وكانت حكومة أصفهان و همدان وشابور خواست على النحو الذي ذكرنا في تاريخ الديالة في هذا الوقت لعلاء الدولة أبي جعفر محمد بن دشمنزيار كاكويه ، ولما رأى كاكويه أن محمودا تملك الري وقزوین وسائر أملاك مجد الدولة وأنه يريد بنظره الى بلاده ، بادر وخطب في أصفهان لمحمود \* فلم يتعرض محمود له وهكذا بقى علاء الدولة في حكم ولاياته .

وبعد عودة محمود الى غزنة هاجم مسعود أصفهان فأخرجها عن يد علاء الدولة وأناب عنه حاكما لها وعاد الى الري لكن أهل أصفهان ثاروا على والي مسعود وقتلوه \* فقدم مسعود مرة أخرى الى أصفهان من الري وأعمل في أهلها السيف فقتل منهم نحو خمسة آلاف وأعاد المدينة الى حكمه وركن علاء الدولة الى الفرار .

وفي ( ٤٢١ هـ ) هاجم مسعود همدان وطرد منها عمال علاء الدولة كاكويه فهرب علاء الدولة الى خوزستان حتى يستمد أبا كاليبجار وجلال الدولة الأميرين الديلميين لكنهما لم يتمكنوا من عونه لصراعاتهما الداخلية



ونزاع أحدهما مع الآخر ، ومكث علاء الدولة في خوزستان الى أن سمع بوفاة السلطان محمود وعودة مسعود الى خراسان ، فاغتسم الفرصة وتملك أصفهان واستولى على أملاكه السابقة .

### وفاة السلطان محمود في ٤٢١ هـ : -

أصيب محمود في آخر عمره بمرض النسل ( الدق ) وكانت ولادته في عام ( ٤٣٦٠ هـ ) وكان بسببه يشتد ضعفه ونحافة يوما عن يوم . واشتد عليه المرض في سفره الى الري وعاد الى خراسان بحالته هذه وأقام في بلخ ، ثم قدم الى غزنة في ربيع عام ( ٤٢١ هـ ) ، وبعد بضعة أيام وافاه أجله في هذه المدينة في الثالث والعشرين من ربيع الأول من نفس العام .

وقد نال السلطان محمودا وهو أول ملك مستقل وأكبر أفراد الأسرة الغزنوية بشجاعته وجراته وكثرة فتوحاته وانتصاراته وجلال بلاطه شهرة بليغة في تاريخ المسلمين ، خاصة لغزواته في الهند والغنائم التي استاقها منها ولاجتماع العلماء والشعراء في بلاطه والأشعار والكتب التي صنفت باسمه صار اسمه معروفا في أكناف العالم وأطرافه . لكن ينبغي العلم أن أكثر هذه الشهرة يرجع الى تملق معاصريه المتعصبين الذين عدوا غزواته في الهند في سبيل نشر الاسلام والقضاء على الكفار من أعظم الخدمات التي أسداها محمود للدين ، وبرأوا ساحته كمجاهد في سبيل الله من كل عيب ونقص . بينما اذا نظرنا بعين الانصاف وجدنا محمودا به عيوب عظيمة وأن فتوحاته بذكر أن تقع في شعب إيران موقع الاستفادة انتهت بهم الى أضرار بالغة . وبالجمله فان أيام حكم محمود من وجهة نظر الشعب الإيراني من العهود الكثيرة الاظلام ، وليس محمود يمين الدولة في تاريخ إيران مثل هذه الشهرة للأسباب الآتية : -

١ - مشهور أن في بلاط محمود قد اجتمع اربعمائة شاعر ماهر

يمدحون السلطان كان من بينهم كما نعلم العنصرى البلخى (١) والفرخى السيسيتانى (٢) والعسجدى المروزى (٣) والزينبى العلوى (٤) والفردوسى الطوسى (٥) والمنشورى السمرقندى (٦) والكسائى المروزى (٧) والغضائرى الرازى (٨) . وليس من أدنى شبهة فى أن أعظم هؤلاء العظام

( ١ ) العنصرى هو أبو القاسم حسن بن أحمد بن شعراء القصيد الكبار فى العصر الغزنوى وملك الشعراء فى بلاط محمود . ويزيد ديوان قصائده وأغلبها فى مدح محمود ومسعود عن الفى بيت . وغوى القصائد لسه منظومات أخرى مثل وأبق ومذرا وعين الحياة وغيرها . ويدل العنصرى على احاطة كاملة باللغة والأدب العربيين والعلوم العقلية ، وقد صار أسوة أكثر شعراء القصيد الفرس ، توفى عام ( ٤٩٢ هـ ) .

( ٢ ) أبو الحسن على بن جولوغ الفرخى المتوفى ( ٤٢٩ هـ ) ربا ديوانه من تسعة آلاف بيت من قصائد وغزليات وقطعات ورباعيات ويتميز علمه بالبساطة والسهولة والواقعية ويعد من منظمى القصيدة المقتازين .

( ٣ ) العسجدى المتوفى نحو ( ٤٣٢ هـ ) هو أبو نظير عبد العزيز بن منصور ضاع ديوانه الا من أشعار فى كتب سمر الشعراء وأشهرها قصيدته فى فتح محمود الغزنوى لمعبد سونمات .

( ٤ ) الزينبى هو عبد الجبار العلوى المجهودى وقيل ان اسمه الزينبى ذكرته كتب تذاكر الشعراء بعضها من أشعاره .

( ٥ ) الفردوسى المتوفى ٤١١ هـ أو ٤١٦ هـ هو أبو القاسم حسن شاعر الحباسة الكبير وابن احدى أسر الدهاقين الاغنياء ، بدأ نظمه سيرة أسلافه الأسطوريين والتاريخيين فى سن الأربعين ( نحو عام ٣٧٠ هـ ) وأنهى نحو ( ٤٠٠ هـ ) ، منفقا من عمره ثلاثين عاما فى ذلك بعد أن ذهب عنه ماله وثيابه وتقدم به مادحا السلطان محمود ، لكنه لم يلق للأسباب التى سوف نشير إليها بعد ذلك ، ما كان ينتظره من مال وجاء بل هرب خوفا من السلطان الى آل باوند بطبرستان حيث هجاه . وينسب اليه خطأ قصة يوسف وزليخا الشعرية .

( ٦ ) هو أبو سعيد أحمد بن محمد المنشورى السمرقندى من الشعراء الذين غنى شعرهم غير قطع فى كتب الأدب .

( ٧ ) الكسائى هو أبو الحسن مجد الدين اسحاق المتوفى عام ( ٣٩١ هـ ) شاعر المدح والوصف والحكمة والوعظ والممانى الفلسفية ومدح السامانيين كذلك .

( ٨ ) وهو أبو زيد محمد المتوفى ( ٤٢٦ هـ ) من أهل الرى مدح آل بويه بجل محمود الغزنوى وانماض فى مدح محمود وعطاياه فى قصيدته اللامية . وكان له مع العنصرى مباحثه أدبية وقصائد انتقادية .

المشاهير جميعا هو الفردوسى الطوسى ، كما أنه لم يك بين علماء بلاط محمود من هو أجل قدرا وأعظم منزلة من أبى الريحانى البيرونى . لكن محمودا كما نعلم لكثرة لؤمه سلك مسلكا مشهورا مع الفردوسى وأصدر أمر قتل أبى الريحان فى وقت من الأوقات بسبب الحقيقة العلمية التى قالها وكانت تبدو كفرا فى نظر السلطان ولم ينج ذلك العالم الا بواسطة ( أبى نصر مشكان ) كاتبه (٩) .

ولم يكن بمكنة محمود وقد كان تركى الأصل لا يحسن درك لطائف اللغة الفارسية ويعادى بشدة لتعصبه الشديد للمذهب السنى كل ما يشتم فيه رائحة الحكمة وحرية الفكر أن يكون طالب الشعر والأدب ناشد العلم والحكمة عن ميل قلبى أو تذوق طبيعى فى أى وقت من الأوقات . وكان كل هذا التظاهر الذى شوهد منه لأن وجود الشعراء والعلماء المعروفين فى البلاط فى تلك الأيام كان يعد من أسباب عظمتهم وجلاله ، وكان الشعراء بنظمهم قصائد المديح للأمراء والسلالطين والفضلاء وبتصنيف الكتب والرسائل بأسمائهم أفضل وسيلة لاداعة مفاخر ممدوحهم واعلاء صوت واسم مخدومهم ، حتى أن كل بلاط كان يباهى غيره فى عدد شعرائه وكثرة فضلائه وشهرة أسمائهم وعلو سماتهم ووهج لمعاتهم . وكان محمود الذى لم يطق أن يتصور بلاطا فى عصره يفوق بلاطه فى غزنة صيتا فى أى ناحية كلما وجد من هؤلاء الشعراء والعلماء أثرا اجتذبهم الى غزنة بالوعد والوعيد ، كما فعل بالفضائرى اذ استدعاه من بلاط مجد الدولة فى الرى بكثرة صلاته وطلب من ملك خوارزم أن يبعث له بأبى على بن سينا وأبى الريحان البيرونى وأبى سهل الميضى وأبى نصر بن عراق وأبى الخير بن الخمار وقد كانوا سبب ازدهار بلاط جرجانية ، فلاذ منهم أبو على بن سينا وأبو سهل

---

( ٩ ) أبو نصر منصور بن مشكان ديوان رسائل محمود وممسعود الغزنويين وتعد مكاتباته ورسائله الفارسية من ابلغ ما كتب حتى عصره وظل فى منصبه حتى وفاته ( ٤٣١ هـ ) .

المسيحي وكانا يخشيان تعصب محمود بآل زيار وآل بويه ، ودخل  
بقيتهم الذين ظلوا بجرجانية لا يبرجونها في بلاط محمود اضطرا  
لما فتحها .

وقد حث محمودا تعصبه وجهله الأدب أن يعامل الفردوسي الذي  
كان يخالفه المذهب بوضاعة وقبح وأن يؤذى هذا الشاعر العالي المقام  
فيبقى له في التاريخ ذكرا ذميما ، وحق للفردوسي أن يقول فيه :  
لم يكن للسلطان بلاط يقوم على العلم والا لكان وضعنى موضعى (١)  
٢ - كان السلطان محمود يفرط في تعصبه للمذهب الحنفى ، ولما  
كان جمع غفير في بلاد ما وراء النهر وخراسان قد اعتنقوا المذهب  
الاسماعيلى أو مذاهب الشيعة الأخرى بسبب دعوة الدعاة الاسماعيليين  
في هذه المناطق ، فكان محمود يقتلهم بقسوة بالغة حيثما ثقفهم خاصة  
وأن الدعاة الاسماعيلية كانوا يدعون الناس في ايران لاتباع الخلفاء  
الفاطميين في مصر وكان هؤلاء الخلفاء يناهضون بنى عباس مخدومى  
محمود . وكان محمود يتعقب أغلب من لم يتمذهب بالمذهب الحنفى (٢)  
بتهمة القرمطة ( أى الاسماعيلية ومشايعة الفاطميين ) فيقتلهم ، وكان  
في هذا المضمار يستوى لديه القرامطة والمعتزلة والحكماء أو الفلاسفة  
كما فعل بأتباع مجد الدولة اذ قتلهم بتهمة الاعتزال وجعل من الجزء  
الأعظم من مكتبته النفيسة طعمة للنيران وقتل رسول الخليفة الفاطمى

---

( ١ ) أصل البيت الفارسي : بدانش نيد شاه دستگاه

وكرنه مرا برنشاندی يكاه ( سياقي ) .

( ٢ ) لفظ المؤلف الأصلى ( الدين الحنفى ) وهو مذهب من المذاهب  
السنية الأربعة يوحى - ربما - بنزعة الايرانيين الخفية الى تفريق  
الاسلام غربا وجعل كل فرقة ديناً على حدة والا ما وقع المؤلف في هذا  
الخطأ البين وليس ذلك ناشئاً من جهله ببيدهيات الاسلام بقدر ما هو متعمد  
مقصود ، ولا أدل على هذه النزعة الموروثة افتراءهم من دين زردشت  
تشعيب مذاهب منه كالماتوية والمزكية وجعلها ادياناً قبل الاسلام ثم  
تشعيب التشيع من الاسلام وتفريع هذا المذهب - فروعاً يخالف بعضها  
بعضاً مخالفة تجعل كل فرع مستقلاً بذاته .

في مصر • وكان هذا السلطان حينما يتهم الأعيان والأثرياء بسوء المعتقد للاستيلاء على أموالهم وضمها اليه •

٣ — كان محمود رجلا بخيلا عابدا للمال طالبا للثروة ومع أنه كان ينفذ في غزواته للهند بنشر الاسلام والجهاد والغزو في سبيل ذلك في الظاهر فقد كان غرضه الأصلي نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقنوم بغنائمها • وبالرغم من أنه أنفق جزءا زهيدا من هذه الغنائم في التعمير ابنية وحدائق وآثارا خيرية في غزنة وبلخ وطوس ، لكنه كان يكتز أكثرها ولا يصل للشعب شيء منها بل ان عماله كلما خرج للغزو كانوا يسلبون الرعية مالها بقسوة وزجر تامين ، ولما كان هذا الغزو يتكرر كل عام تقريبا فقد أصيب شعب ايران اصابات بليغة ، وقد نفرت العامة بسبب هذا الظلم من نظام حكم الغزنويين نفورا جعل أهل خراسان يستدعون التراكمة السلجوقيين للاستيلاء على بلادهم عن طواعية تامة لما ذهب ربح محمود وتأمر مسعود ، وانحصرت الدولة الغزنوية بسبب هذه الحالة سريعا عن ايران وما وراء النهر •

٤ — ومع أن السلطان محمود قد استوزر وزراء أكفاء لكن أحدا منهم لم يستطع أن يؤسس أساسا متينا دائما لإدارة البلاد بسبب قوة السلطان واستبداده ، ولم تكن أحوال العامة والرعايا مقترنة بالراحة والرفاهية ازاء تسلط جند محمود المغيرين الذين كانوا مزيجاً من المجاهدين المتطوعين من أبناء قوميات مختلفة لعجم سيادة النظام والعدالة كما كانوا في عهد الوزراء الأولين السامانيين أو عهد نظام الملك السلجوقي بعد •

ووزير السلطان محمود الأول هو أبو العباس فضل بن أحمد الاسفراييني الذي كان أولا كاتباً لفائق الخاصة ثم لحق بعد زوال دولته بخدمة سبكتكين وابته محمود ثم استقر في منصب وزارة محمود حتى ( ٥٤٠١ هـ ) وكان أبو الفضل الاسفراييني رجلا كافيا محفكا صارت اللغة الفارسية في ديوان محمود بأمره اللغة الرسمية فكتبت الأحكام والحفائر

والمراسلات بأمر من الوزير بالفارسية . وبعد عزل الاسفرايينى فى ( ٤٠١ هـ ) استوزر محمود أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى الذى جمع الفضل والأدب مع الكفاءة والحنكة . وقد أعاد أبو القاسم الميمندى وكان ممدوح أكثر شعراء عهد محمود ومن المنشئين المشهورين باللغة العربية ديوان محمود الى العربية خلافا لما فعل الاسفرايينى وذلك لى يثبت فضله ومقدرته فى هذه اللغة . ويقول مشهور ان سبب حرمان الفردوسى من تحصيل مكافأته هو هذا الميمندى بينما كان الاسفرايينى يشجع ذلك الشاعر ويكرمه .

ومع أن الميمندى هو أخو محمود من الرضاة ورفيقه فى مكتب التعليم الا أن محمودا أزاله من الوزارة فى ( ٤١٥ هـ ) وأرسله ليسجن باحدى قلاع الهند وظل بها الميمندى حتى موت محمود . وكانت وزارة محمود فى سنى سلطنته الأخيرة لأبى على حسن بن محمد بن ميكال المعروف بحسبك الوزير والذى يعد بدوره من فضلاء المنشئين (١) .

(١) كالمؤلف السبب والشتم لمحمود الغزنوى وزيف عليه لاسباب عدة لن نحصىها فى هذا المقام وانما نذكر أهمها وأول هذه الاسباب ما افصح عنه المؤلف فى نظرتة فى وضع السامانيين الادارى وفى انتهاء دولتهم بيد خانات الترك اذ قال ان انتهاء السامانيين على يد أبى نصر اليلكخان أكثر أحداث تاريخ ايران شؤما لانه فتح الباب له وليسبكتكين ومحمود من قبله لاستعمار ايران . والحق ان الصراع بين العنصرين الايرانى والتركمانى قد انتهى بغلبة الأخير بنهاية السامانيين واعتلاء محمود عرش ايران . فلم يكد الايرانيون يستقلون عن الحكم العربى فى عهد الصفاريين والسامانيين الى حد ما حتى قدر لهم الله العنصر التركى ليحكم بلادهم اذ خلف الغزنويين بنو جلديهم من السلاجقة ثم المغول وهم أقرب الى الترك فغتيهور فالصفويون بالخارجاريون ، وهكذا لم يتمتع الايرانيون بحكم بلادهم فنشأ بينهم شعور الكراهية الشديدة للترك كما كان للعرب الى حد تزيف محاسن حكمهم وقلب حسناتهم سيئات وتضخيم سيئاتهم كبائر ومعلطات الذنوب . فانشا المؤلف ، مخفيا علة كرهة لمحمود وهى انه تركى لاغير ، يبرر تجمع هذا الكرم الهائل من الشعراء والكتاب والطباء وهو لحسب الظهور عنده ، وان ماشيناه فى ذلك لانه حاكم كائ حاكم عاصره فيكفيه فضلا على الايرانيين ان لغتهم الفارسية صارت لغة ادب قوى وعلم مستقر وبلغت كمال ارتقائها على يديه . أما الفردوسى فهو لا يفوق نظراءه من الشعراء فى شعره بل

## ٢ - السلطان محمود بن محمود

(من ربيع الآخر حتى شوال من عام ١٢٢١هـ)

عين السلطان محمود في مرض موته ابنه محمدا وكان في هذا الوقت

يقول كما أرى وأما قول المؤلف من قدره لانه كان فارسيا متعصبا كارها للعرب والترك جميعا يحكم ولادته من أحد بيوت الدهساقين الإيرانيين ذوى الأصل الفارسي والتعصب الشديد وأجلى عصبية في منظومته التي قدس فيها حكام إيران الأسطوريين وأزرى بغيرهم وغير الفرس وأدعى أنه أحيا القومية الفارسية وحاول قدر طاقته الاستغناء عن الألفاظ العربية وهو بهذا بطل في المنظور الإيراني المتعصب كيفقوب الصنارى ، فمن الطبيعي أن يحرم السلطان محمود مكلفاته ، إذ أثبت أنه ألف منظومته من أجل المال وهو ما يشك فيه ، لانه قدم يسيء الى السلطان وعنصره ويقدم في بطولته ومدار أقلب نظمه قائم على انتصار الفرس على التورانيين التتريك وتزييف تاريخ الآخرين وإظهارهم بمظهر غاشس . وتقول المصادر أن محمودا قال للفردوسي أنه لا يرى فيها بطلا غير رستم وفي جيشه ألف مثل رستم فردوسى الفردوسى قائلا : لم أعرف أن بجيشك ألف رستم غير أن ما أعرفه يقينا هو أن الله تعالى لم يخلق مثل رستم . ويحق لمحمود أن يغفر بجنده وقد فتح الله بهم بلادا وثنية وقد ضموها من يريدون الشهادة الخالصة لنشر الاسلام أما الفردوسى فهو يمدح أبطال أكثرهم أسطوريون ويؤم العرب والترك كذبا مستندا الى موروثات قومه الملتفة ثم ينبئ المكافأة بهذا فكانه يستجيز نفسه القتل وهو البادى بالمعدوان . والسبب الثانى هو أن محمودا كان سنيا تعقب الإيرانيين الخارجين مثل الاسمايلية والروافض على الاسلام بالقتل وهو غرض على المسلم الصادق وقد اعتنق الإيرانيون هذه المذاهب الخارجة والتشيع بعامة لا للتدين وإنما تدفعهم عنصريتهم الى الانتقام من العرب والترك بترك الاسلام لانه أتى مع العرب والمذهب السنى لانه مذهب الترك والعرب . ومحمود في نظر المؤلف وقومه عدو دينى فوق أنه عدو قومى ومتحالف مع عدوهم التقليدى وهو العرب ويشترك الاثنان في انهما مستعمران مغيران على أرض إيران وخيرها غلابد أن يكيد وقومه له وللعرب والتتريك جميعا كيد الضعيف للقوى وهو التزييف والتلفيق والدس . ولو كان ملك الأمر هو الدين أو المذهب كما يفهم المؤلف فهل أفاد شعبه ولغته وحضارته من الصفويين الذين جاهدوا بعداء السنة في داخل إيران وخارجها وأعلنوا تشيعهم ؟ أن المؤلف لا يمكنه أن ينكر أن بلاده تظلفت خطى حضارية كثيرة مع حكم الصفويين وأن محمودا التركي السنى أسدى له ولايران والمسلمين جميعا فضلا للحضارة الإيرانية خاصة والاسلامية عامة وأخيرا إذا كان هذا هو رأى الإيرانيين في محمود ومعهده ( الكثير الاظلام ) كما أعلن المؤلف في أول كلامه غائنا نعتزهم ونعذره إذا أخذنا السببين السابقين في الاعتبار .

والى جوزجانان وبلخ خلفا له وحرّم ابنه الآخر مسعودا هذا الحق لغضبه عليه ، فلما مات محمود قدم محمد من بلخ الى غزنة وجلس على عرش أبيه بلقب ( جلال الدولة ) •

وكان محمد ضعيف النفس محبا للهو واللعب غير معتن بأمور الملك ، ولهذا تواضع جمع من كبار الجيش وأكابر الدولة سرا مع مسعود وكان آنذاك فى الرى واستدعوه للسلطة وخلافة أبيه • وقدم مسعود بدعوتهم من الرى الى نيشابور ولحق به جماعة من خاصة محمود وأمراء جيشه كابى النجم اياز بن أويماق غلام السلطان محمود المشهور (١) وعلى دايه وهناؤه بالسلطنة ، وصل فى نفس الحين منشور رسمى بامارته من الخليفة القادر العباسى ، فسلك مسعود طريقه الى غزنین رابط الجأش ثابت الجنان •

فاختار محمد كبير حجابة عليا بن ايل أرسلان ، وكان من اقرب خاصته فسمى لذلك بعلی القريب ، ومعه عمه يوسف بن سبكتكين قائدين لجيشه وتجهيا لمنع مسعود • لكن هذين القائدين سرعان ما أدركا أن مقاومة مسعود وحربه لن يجديا نفعا فقبضا على محمد فى ( ١٣ شوال ٥٤٢١ هـ ) وكان مشغولا بالخمير والشرب وأعمياه وجبساه فى احدى القلاع ثم ناديا بمسعود أميرا للجيش وسلطانا للبلاد • أما مسعود فمما أن بلغ هراة حتى قبض على على القريب وقتله وألقى بعمه يوسف فى الحبس وعامل كثيرا من قواد الجيش الذين غدروا بأخيه ومكروا به معاملة تختلف شدة ورأفة •

وكانت وزارة محمد فى السبعة شهور زمن امارته لـ ( خواجه أبى سهل أحمد بن حسن الحموى ) وكان هذا الوزير من كبار المنشئین والفضلاء والمهتمين بالأدب فى عهده وسوف يشار اليه بعد •

---

( ١ ) كان تاريخيا معروفا بذكائه ونهجه وأديبا وشاعريا مشهور السلطان محمود وقد افترى الايرانيون فى أدبهم وشعرهم على محمود بهذا اذ نسبوا اليه هياته بهذا الغلام وصبايته به ثم تحول اياز الى النموذج للجمال فى حرف الانب الفارسي عامة .



### ٣ - السلطان مسعود بن محمود

(٤٢١ - ٤٤٣ هـ)

أمر شهاب الدولة مسعود بعد ورود غزنة وتولييه مقام أبيه أن يأتيه بأبي القاسم أحمد بن حسن اليمندى الذى ألقى فى السجن بالهند بأمر السلطان محمود من (٤١٥ هـ) الى عرشه ليستخلصه لوزارته وظل هذا الوزير حتى (٤٢٤ هـ) حين توفي بهذه الوزارة .

ومن بين من أمسك بهم مسعود حين حاز العرش أبو على حسنك الميكالى الوزير فقد اتهمه السلطان بالقرمطة بسبب سيمه فى إبلاغ أخيه محمد الى السلطة ثم قام بشنقه .

### حروب السلطان مسعود :

وأول واقعة هامة لعهد إمارة مسعود هي غزوة ولاية مكران سنة (٤٢٢ هـ) فقد أنفذ السلطان جيشا ليمين أحد ولدى واليه المتوفى ثم أدخل مكران حتى حدود السند تحت طاعته . وفى السنة التالية سير مسعود جيشا آخر الى كرمان تقابل مع نواب أبى كاليبجار الديلمى أمير فارس لكن وزير الأخير أصاب جنده بهزيمة فعادوا منهزمين الى خراسان والحرب الثالثة لمسعود كانت فى الرى وهمدان وبلاد الجبل لتأديب العصاة الذين ثاروا بين عامى (٤٣٢) و (٤٢٤ هـ) عليه بعد عودته من هذه الولايات الى خراسان .

وفى نفس سنة وفاة محمود وأوبة مسعود الى نيشابور ، كما سبقت الإشارة ، تقدم علاء الدولة كاكويه من خوزستان الى أصفهان واستولى بيسر على هذه المدينة وهمدان والرى وأخذ يهاجم أملاك فلك المعالى منوچهر بن قابوس الزيارى الذى كان يعيش تحت أمر الغزنويين وأخذ من عماله خوار ورامين ودماوند من عماله . فاستنجد

فلك المعالى بالسلطان مسعود فسير جيشا من خراسان لمدده ، فاستعاد هذا الجيش بعون على بن عمران من أصحاب فلك المعالى ومن ممدوحى الشاعر ( منوچهرى الدامغانى ) الرى من علاء الدولة الذى جرح بالمعركة وفر الى احدى القلاع التى تبعد عن همدان مسافة خمسة عشر فرسخا . وبعد فرار علاء الدولة خطب منوچهر فى الرى للسلطان مسعود وأتاب مسعود عنه أحد رجاله وهو ( تاش الفرائش ) فى ( ٤٢٢هـ ) فى حكم الرى وبلاد الجبل . وبعد أن التأم جراح علاء الدولة هاجم من همدان بروجرد ممدا فرهاد بن مردآوىج ، فأرسل تاش الفرائش وعلى بن عمران جيشا يتعقبهم ، وقد تمكن هذان القائدان بعد سلسلة من الحروب فى ( ٤٢٣هـ ) أخيرا من أن يجبرا علاء الدولة على الفرار الى أصفهان ويخرجا همدان وبروجرد وشابورخواست والكرج عن سيطرته .

وفى ( ٤٢٤هـ ) قدم مسعود بنفسه من غزنة بهدف معالجة أمور الرى وبلاد الجبل الى خراسان ولما بلغ نيشابور أنبىء أن عامله على البلاد البلاد المفتحة بالهند قد أعلن عصيانه . فاضطر السلطان الى تغيير وجهته وصمم على اتيان الهند وبعث أبا سهل الحموى الوزير السابق لأخيه محمد من نيشابور للرى لمراقبة تصرفات تاش الفرائش الذى جأر الناس من جوره وظلمه وقبل عذر علاء الدولة كاكوييه وكان يطلب عفوه وأبقاه على أصفهان حاكما بشرط أن يؤدى اليه خراجا سنويا .

وعمل أبو سهل الحموى على اصلاح ما خربته أيام حكومة تاش بكل عدل وكفاءة فحول للرعية أسباب الرفاهية والرضا اثر قضائه على البدع التى أقراها سلفه وخضع تاش لأمره ، الى أن حلت سنة ( ٤٢٥هـ ) وكان الصفاء بين أبى سهل وعلاء الدولة فى الظاهر وحسب ، ولكن علاء الدولة لما استتفك أن يؤدى الخراج السنوى ثم أعلن عصيانه يمدد فرهاد بن مردآوىج وجه أبو سهل لهما جيئكشا فقتل فرهاد ولاد علاء

الدولة بالأمير أبي كاليجار ببلاده \* واستولى أبو سهل الحمدوى على أصفهان وغنم خزائن علاء الدولة وأرسل نفائسها الى غزنة ومن بينها مؤلفات الحكيم المشهور أبي على بن سينا الذى كان يعيش آنذاك فى أصفهان وكان وزيرا لعلاء الدولة \* ووقع علاء الدولة ثانية فى حرب مع أبي سهل ( ٤٢٧ هـ ) لكنه لم ينل نصرا فانهزم الى طارم \*

ومن حروب مسعود فى الغرب وقائمه فى جرجان وطبرستان مع أبي كاليجار كوهى خال والقائم على أمر أنوشيروان الزيارى فى ( ٤٢٦ هـ ) التى أشير اليها وذكر فيها أن أهل جرجان وطبرستان لقوا فى هذه الحروب أذى شديدا من الجنود الغزنويين ، وعاد مسعود بدون أن يتمكن من احراز نتيجة هامة من سفره هذا بسبب ثورات خراسان برما ملولا \*

أما فى الشرق أى الهند فقد اتجه مسعود اليها مرة واحدة عام ( ٤٢٤ هـ ) بسبب عصيان عامل أبيه على الهند أحمد بن ينالتكين ، وبعد أن طوع أحمد لأمره فتح احدى قلاع الهند الهامة ، ثم آب فى السنة التالية الى خراسان لما سمع بأنباء استيلاء التركمان عليها \* وفى ( ٤٢٦ هـ ) عصى أحمد بن ينالتكين مرة أخرى وهزم جند مسعود ، فسير مسعود أحد قائديه المطيعين له الهنود لدفعه فهزم أحمد وغرق أحمد أثناء فراره فى مياه نهر السند فأرسل برأسه الى مسعود \*

وفى ( ٤٢٨ هـ ) وأوائل ( ٤٢٩ هـ ) غزا مسعود الهند جريا على عادة أبيه وكان فى سفره هذا أكبر فتح له فتح قلعة ( هانسى ) فى جنوب شرقى البنجاب الذى استحوذ عليها فى ربيع الأول من العام الأخير \* وقد عاد مسعود فى اثر هذه الغزوات كأبيه موثرا بالغنائم مجللا بالفخر الى غزنین ولكن أيام هذه الفتوحات كانت آخر عهد شوكتة ، فقد حطم التركمان السلاجقة ، كما سنشير بعد قليل ، نتيجة لبضع هزائم مجده مرة واحدة \*

## السلطان مسعود والتراكمة الغزو السلاجقة : -

كما رأينا في تاريخ السامانيين فقد كانت بلادهم مجاورة من الشمال والشمال الشرقي لمساكن مجموعة من الترك لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، وكان الأمراء السامانيون أكثر أوقاتهم يجردون جيوشهم على مساكنهم للجهاد والسبى والغنم وكانوا يسمون بلادهم دار الكفر كما فعل نوح بن أسد الساماني قبل تأسيس الأسرة السامانية اذ استولى على مدينة ( اسبيجاب ) منهم واستحوذ الأمير اسماعيل العادل على مدينة ( طراز ) والأمير نصر على بلاد أخرى ناحية هرغانة . وكان غير أولئك الترك الذين سكن أغلبهم الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للولايات السامانية طائفة أخرى أيضا منهم سكنوا شمال بحيرة خوارزم ( بحيرة آرال الحالية ) وعلى حدود مصب سيحون وجيحون والصحراء الواقعة بين بحيرة آرال والخرز وكانوا يسمون عامة بالأغز ، ولما كان هؤلاء الترك الذين يشتركون فيما يبدو مع التركمان الحاليين في الأصل والعنصر تسع قبائل سموها أيضا ( تغز اغز ) أى التسع القبائل الأغزية وكلمة ( غز ) التى شاعت فيما بعد مخفف لفظة الأغز هذه (١) .

وقد قام السامانيون بتهجير جموع كثيرة من تراكمة الغز عن مساكنهم الأصلية باقتضاء مصالح بلادهم وحدودها وأسكنوهم في البلاد شمالى ما وراء النهر التى استولوا عليها من قبضة الأتراك الشرقيين منذ فترة قريبة مثل اسبيجاب والمدن التى على مصب نهر سيحون . وكان من بين قبائل الغز هذه قبيلة عرفت باسم رئيسها ( سلجوق ) فسميت بالسلاجقة وقد آثرت الاستقرار في منطقة مصب

( ١ ) الغز والافوز مخفف التغز كما ذكر المؤلف أو الطوقوز أو غوز أى قبائل الغز التسع . وقد كون التركمان دولا قبل الميلاد واشتهر منها بعد الاسلام الافوز والايغور والقرغيز والتقوت وغيرها ( راجع مادة ترك في المجلد الخامس لدائرة المعارف الاسلامية ) .

نهر سيحون أى فى جنوب بحيرة خوارزم .  
وسرعان ما دخل سلجوق فى الاسلام وأدخل فى طاعته مدينة  
جند من بلاد شاطيء سيحون وكان أهلها مسلمين ، فلما مات أقام أبناءه  
بهذه المدينة ، لكن مسلمى جند وقد تضرروا من مهاجمة السلاجقة لهم  
أجلوا بعد موت سلجوق أبناءه وقبيلته عن مدينتهم الى جنوبها فأسكنهم  
السامانيون فى قرية ( نور ) من قرى شمال شرقى بخارى (١) . وقد  
زاد السلاجقة من يومئذ فصاعدا من شوكتهم وعدتهم يوما بعد يوم  
ولما كانوا مسلمين فلم يتعرض لهم أحد وظلت قرية نور ببخارى مسكنا  
لهم الى أن ثاروا على الغزنويين ووفقوا فى تكوين دولة كبرى لهم .  
وكما سبق فى الاشارة فى شرح حروب السلطان محمود للملوك  
الخانين فان هذه الأسرة قد دخلت منذ أن هزمهم محمود فى ( كتر ) فى  
( ٣٩٨ هـ ) تحت حماية الغزنويين ، وبقي طغان خان الذى تأمر على  
الخانين بعد ايلكخان نصر حتى آخر حياته مطيعا ومخاطفا للسلطان  
محمود . وبعد موت طغان خان فى ( ٤٠٨ هـ ) خلفه أخوه أبو منصور  
محمد أرسلان خان ، الا أن ( على تكين ) وهو أمير آخر من أمراء هذه  
الأسرة ادعى الامارة وظل فى حرب مع أرسلان خان حتى موت الأخير (٢)

( ١ ) قال أمير الشعراء المعزى النيشابورى فى ذلك فى مطلع احدى  
قصائده :

كوه سلجوق كنز نوريخارا درر سيد

هم بشرق هم بقرب نوراز آن كوه ر سيد ( سياتى )  
ومعناه : ان جوهر سلجوق الذى أتى من نوربخارى قد عم نوره الشرق  
والغرب جميعا . أما المعزى هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار  
شعراء العهد السلجوقي وقد أخذ تخلصه ( المعزى ) بسبب انتمائه الى بلاط  
معز الدين والدنيا ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي وسوف يأتى تاريخ  
السلاجقة بعد . ويشمل شعره القصائد والغزليات التى تتسم بالبساطة  
وتخلو من التصنع وتتضمن اشارات تاريخية لكثير من أحداث عهد السلاجقة  
كأشاراته الى حروب وصلاح السلطانين ملكشاه سنجر السلجوقيين ، وقد  
توفى المعزى نتيجة سهم أصابه خطأ من ملكشاه فى حدود ( ٥٢٠ هـ )

( ٢ ) يذكر البيهقى فى تاريخه ( توفى ٤٧٠ هـ ) أن طغان خان أخو على  
تكين وليس أخا لأرسلان خان وأن أرسلان وبغراخان ابنا بوسف قدرخان ،  
وعلى تكين عدو لهذين ، وهكذا يختلف مع المؤلف ( سياتى ) .

وقبل أن يموت أرسلان بقليل أى قبل ( ٥٤١٥ هـ ) تغلب على تكين تغلبا  
كليا ، وقد هالف فى ثورته هذه التركمان والسلاجقة وأدخل بخارى  
وسمرقند تحت استيلائهم .

وقصد السلطان محمود ما وراء النهر فى ( ٥٤١٦ هـ ) للقضاء على  
فتنة على تكين وارجاع اماره الغانيين لأبناء قدرخان واستولى على  
بخارى وسمرقند من على ذلك وألقى القبض بالحيلة على اسرائيل بن  
مهلجوق السابق ذكره رئيس السلاجقة وأودعه حبس احدى قلاع  
الهند . ثم سمح مخالفا رأى أرسلان جاذب والى طوس لأربع آلاف  
أسرة من التراكمة السلاجقة بعبور نهر جيحون وسكنى الصحراء  
الواقعة ما بين سرخس وابيورد فى خراسان . وبعد عامين أقدم هؤلاء  
الترك كما تنبأ أرسلان جاذب على اىذاء شعب اقليم خراسان فعجز  
جاذب عن دفعهم وفى النهاية هاجمهم محمود فى ( ٥٤١٩ هـ ) وبعد أن  
أصاب منهم مقتلة عظيمة هزم بقيتهم تجاه جنوب خوارزم .

وبعد موت السلطان محمود توسل مسعود لى يأخذ التاج  
والعرش من أخيه محمد بعلى تكين ولكن قبل أن يجيب على طلب  
مسعود كفى أمر محمد ، ولم يلق على تكين الى السلطان الجديد  
بعد جلوسه كبير بال .

وفى ( ٥٤٢٣ هـ ) هاجم آلتون تاش حاكم خوارزم عليا تكين بأمر من  
السلطان مسعود وكان على حليفا للسلاجقة لكنه لم يحقق نجاحا بل  
نال جرح فى حربه هذه مات متأثرا به بعد يوم فى مكان هذه الحرب .  
وعقد وزيره المشهور أبو نصر أحمد بن على بن عبد الصمد صلحا مع  
على تكين وغدا واسطة السلام بينه وبين السلطان محمود .

وحينما مات آلتون تاش أناب حكم خوارزم لعامل له وولى  
هارون ولد آلتون تاش عملا دون شأنه وكان ينتظر منصب أبيه ،  
فدعاه هذا الى محالفة الترك السلاجقة ، ثم أعلن فى شوال ( ٥٤٢٣ هـ )

قيامه على مسعود لكنه لم يحرز نجاحا وأحمد مسعود فتنقته بيسر وأدب السلاجقة أيضا . وظل السلاجقة الأتراك مقيمين فيما وراء النهر حتى ( ٥٤٢٥ ) وكان على تكين على قيد الحياة يعاملهم بلطف ورأفة . فلما مات هاجم ابنه وقائد جيشه السلاجقة وطردهم مما وراء النهر . ومن ناحية أخرى قتل حاميهم الآخر هارون بن آلتون تاش حاكم خوارزم في نفس الأوان بيد غلمانه وصار المقام حوالى خوارزم غير ممكن لهذه الجماعة ، فارتحلوا الى السفوح الجنوبية لجبال شمال خراسان أى في جنوب صحراء التركستان الحالية وحوالى مدينة نسا ، وأرسلوا منها رسالة بتوسط صاحب ديوان خراسان أبى الفضل السورى بن المعتر الى وزير السلطان أحمد بن عبد الصمد الوزير السابق لآلتون تاش والذي وصل منصب وزارة مسعود فى ( ٤٢٤ ) بعد موت أحمد بن حسن اليمندى ، فشفع لهم لدى مسعود وكانت تربطه بهم أيام وزارته لآلتون تاش علاقة مودة وطلب اليه أن يسمح لهم بالاقامة بخراسان . وكانت هذه الرسالة من أبناء ميكائيل بن سلجوق الثلاثة محمد طغرل وداود جغرى ويغوى وقد بلغت مسعودا حينما كان مشغولا بقتال أتباع أبى كاليجار كوهى فى طبرستان .

وبعد أن وصل مسعود الى نيشابور أجمع بعد تردد طويل أن يبعث جيشا لدفع الترك عن خراسان ومع أن رأى الوزير والأخبار غيره كان يدعو الى استمالة السلاجقة الذين أظهروا عجزهم وطاعتهم له الا أن مسعودا رفض ذلك وأرسل بجيش خليط من الجنود الترك والهنود والعرب والأكراد بقيادة الحاجب بكتغدى (١) لقتال الترك ، غير أن هذا الجيش لقى الهزيمة على مقربة من مدينة نسا فى شعبان (٥٤٢٦) من داود السلجوقى وعاد بكتغدى منهزما الى مسعود بخراسان ، وكانت هذه الهزيمة أول وهن كبير أصاب شوكة السلطان مسعود ودولته

---

( ١ ) بكتغدى كلمة تركية تشير الى الاصل الملكى ( ح ١ ص ١٣٢ من تاريخ بخارى لغامبرى ) .

وجعلت السلاجقة ، خلافا لذلك ، أكثر جرأة وشجاعة .  
وبعد هذه الواقعة أرسل السلاجقة رسولا الى السلطان خوفا من  
نقمته جعلوا شفييعهم لهم عنده أحمد بن عبد الصمد مرة أخرى واعتذروا  
عما حدث منهم ، فترك مسعود الذى كان فى خوف من قوة رؤساء هذه  
الطائفة الولايات الثلاث نسا وابيورد وفراوه ( على بعد أربعة منازل  
من نسا ) لطغرل وداود ويغنو على الترتيب ولقب كلا بدهقان وترك  
حكم هذه البلاد للاخوان الثلاثة فاستراح مؤقتا من فتنة الترك .

وفى شعبان ( ٤٢٩ هـ ) بعد أن عاد السلطان مسعود من الهند أمر  
كبير حبابه ( سباشى ) الذى ولى خراسان من فترة قبل ذلك أن يعارك  
طغرل وداودا ويؤدب السلاجقة . وكان سباشى رجلا ماملا ويبدو أنه  
كان حليفا للسلاجقة لأنه عند مواجهتهم فيما بين مرو وسرخس وقبل أن  
تحسم المعركة جمع أمواله وهرب متسترا بأستار الليل وتبعه أكثر جنده  
فى الصباح ، فاستحوذ طغرل ببسر على الجزء الأعظم لخراسان والحق  
به نيشابور اذ أخذوها من أبى سهل الحمدوى الذى كان طرد إليها من  
الرى وجلس طغرل على عرش مسعود بها فى شوال ( ٤٢٩ هـ ) وأعلن  
نفسه سلطانا . والذى سعى أبلغ من غيره لانتصار التراكمة المسلجوقيين  
كان أحد رؤساء نيشابور لقب بقائد بوزكان ( ٢ ) واسمه أبو القاسم على  
ابن عبد الله الجوينى وقد سحق على صاحب ديوان خراسان أبى الفضل  
السورى بن المعتز وظلمه وظلم سائر عمال الغزنويين فتواضع سرا مع  
السلاجقة . وبعد دخول طغرل نيشابور استخلص أبا القاسم الجوينى  
لخدمته ثم رفعه بعد ذلك أى فى ( ٤٣٦ هـ ) الى وزارته .

وبعد هذه الواقعة الهامة لم يحرك السلطان مسعود حتى أوائل  
( ٤٣٠ هـ ) ساكنا ، فلم يتحرك الا فى هذا العام من غزنة الى بلخ . ولما

---

( ٢ ) بوزكان هى بزجان موطن العالم الرياضى الكبير أبى الوفاء  
البوزجاني وكانت من البلاد الواقعة بين نيشابور وهراة وتبعد عن نيشابور  
بمسيرة أربعة أيام ( سيقى ) .



سمع الترك القازلون حوالى بلخ بنهوض السلطان ارتحلوا من أمام جيشه وسلكوا طريقهم الى الصحراء .

وقد أوعزت هزيمة شيباسى عامة أعداء السلطان مسعود على القمرد ومن بين هؤلاء بورى تكين ولد أيلك نصر خان الذى عمى فيما وراء النهر ، وتحالفت خوارزم أيضا ومى التى دخلت من ( ٤٢٦هـ ) أى بعد قتل هارون بن آلتون تاش تحت طاعة أخيه أبى العباس خندان وخرجت عن دائرة نفوذ مسعود وتحالفت مع السلاجقة وكان الخوف من أن تخرج ما وراء النهر وخوارزم جميعا عن امتلاك الغزنويين بعد خراسان الغربية والرى والمجبل ( التى كان استولى عليها علاء الدولة كاكويه ) .

وأجبر مسعود على أن يعبر جيحون بعد أن عمر الجسر الذى كان مقاما على كئيب من ترمذ بين خراسان وما وراء النهر وذهب متعقبا بورى تكين وأبقى أحمد بن عبد الصمد فى الجوزجانان وما حول بلخ . وحينما وصل مسعود الى المناطق حول الصاغانيان عاد السلاجقة بايعاز من أبى العباس خندان من الصحراء وتقدموا عن طريق سرخس الى الجوزجانان وبلخ فكاتب أحمد بن عبد الصمد السلطان بهذه الحادثة وأفهمه أنه يحتمل أن يقصد السلاجقة تحطيم جسر ترمذ واذا تم لهم ذلك فسوف يستشكل رجوع السلطان . فكر مسعود راجعا على جناح السرعة فوصل ترمذ فى أسبوعين وطلب يينغو أخو طغرل وداود اللذان استقرا بنيشابور عفو السلطان ، فقبل عذرهم مرة أخرى ، ثم أتى من هراة الى طوس بعد عقد معاهدة معه أن يدفع أخويه . إلا أن الترك مع قبول طاعة السلطان أقدموا على نهب متعلقاته وجيشه بهراة وطوس ومع أن مسعودا كان ينبههم فى كل مرة فيعتذرون إلا أنهم لم يرفعوا أيديهم عن الاغارة والحرب واذا انهزموا فى ناحية فكانوا يهاجمون فى نواح أخرى .

وأخذ قادة التركمان السلاجقة أخيرا على عاتقهم وهم طغرل وبيغو وداود وأخ لهم من أمهم هو ابراهيم ينال بعد المشورة في أمر حرب مسعود أو الانسحاب الى جرجان والرى أن ينتزعوا القسم الشرقي لخراسان أى بلخ وترمز وفارياب وهراة أيضا بالحرب من يد السلطان وتجمعوا من أجل هذا الهدف على حدود مرو . وعزم السلطان مسعود في رمضان ( ٤٣٠ هـ ) برفقته جميع قواده الى مرو وحينما بلغ قلعة دندانقان بالقرب من مرو واجهه السلاجقة من ناحية وواجهه الجفاف جنده من ناحية ، فلم يستطيعوا . وعددهم مائة ألف أن يقاوموا ستة عشر ألفا فلقوا هزيمة عظيمة . وهرب مسعود الى هراة وأعمل السلاجقة في أعمال المؤن الضخمة التي تحملها جند مسعود والتي أضحت أحد أسباب هزيمتهم الرئيسية اغارة وغنما وكانت واقعة دندانقان بمنزلة حكم النهاية لسلطنة الغزنويين في ما وراء النهر وايران لأن طغرل عاد الى نيشابور لمساعدته وذهب بيغو الى هراة وداود الى بلخ وأمر ابراهيم ابن ينال بالسيطرة على العراق العجمي ، وأدخلوا كما سيلي في تاريخهم جميع ايران وما وراء النهر تحت امرة دولتهم بأسرع ما يكون وقضوا على أكثر الأسر المحلية ، فضلا عن الغزنويين ، التي كانت باقية في تلك البلاد .

#### وفاة السلطان مسعود في ٤٣٢ هـ : —

وأتى مسعود غزنة بعد فراره من مرو وأمسك بجماعة من الأمراء من بينهم سبائش وبكتغدي وبعث بهم ليحبسوا بالهند . ثم أرسل ابنه مودودا ومعه أحمد بن عبد الصمد في ربيع الأول ( ٤٣٣ هـ ) بجيش جرار الى خراسان ليحلى عنها السلاجقة وقصد هو الهند ليشنتى بها واصطحب جلال الدولة محمدا أخاه الأعمى . وفي أثناء الطريق أغار بعض غلمانه على الخزائن السلطانية وانقسم الجيش جماعتين على نفسه وانغلب أتباع مسعود . فأسر الغالبون مسعودا ورفعوا أخاه الأعمى

محمدا الى الامارة بالتهديد وحبس مسعود في ربيع الآخر ( ٤٣٣هـ )  
بأمر أخيه ثم قتل في السجن بعد ذاك بقليل .

كان مسعود مثل أبيه شجاعا رشيدا مقاتلا محبا للشعراء وزاد  
بلاد أبيه وسعة بسبب فتح الري وبلاد الجبل وكرمان والسند وجرجان  
وطبرستان ، لكن اللهو والشرب والاستبداد غلب على طبيعه ، وكانت  
الهزائم الكبرى التي جرت له بسبب لهوه المفرط واستبداده بالرأى ، فلم  
يطع المخلصين لدولته حينما منعه من تنفيذ أفكاره في حروبه في جرجان  
ومعاملته مع السلاجقة ولم يدع الشراب واللهو حتى في أثناء ثورات  
خراسان وهجمات السلاجقة وبذلك كان غافلا عن ادراك مشكلات الأمور  
الخارجية .

#### ٤ - السلطان مودود بن مسعود

( ٤٣٣ - ٤٤٤هـ )

وقتما قتل مسعود بجانب شاطيء السند ونصب محمد أخوه أميرا  
بعون أعداء مسعود كان مودود في خراسان فقدم منها ومعه أحمد بن  
عبد الصمد الى غزنة وجلس على عرش السلطنة مكان أبيه ثم أخذ في  
التأهب لقتال عمه محمد ، وتمكن من القبض على عمه وقتله ، وكانت  
مدة امارته الثانية أى يوم أن قتل أربعة أشهر ( من بيع الآخر حتى  
شعبان من ٤٣٣هـ ) . وقد عامل قاتلى أبيه بشدة ووظفت له غزنة لكنه  
ووجه الخطوة الأولى بثورة أخيه ( مودود ) الذى كان يحكم في الهند  
نائباً عن والده . فأرسل مودود جيشا ليقمع أخاه ، لكن مودودا قبل  
أن يلتقى الطرفان وإفاه أجله لئلا وانتهى شره بهذا ، ودخلت أملاك  
الغزنويين في الهند في المنطقة مودود .

وفي ( ٤٣٥هـ ) سير مودود جيشا ليسترد خراسان فهزم ألب  
أرسلان ولد طغرل السلجوقى وعاد بهزيمة الى غزنة ، فصرف مودود

اهتمامه الى الهند مضطرا لأن ثلاثة من حكام الهند قد بادأوه بالعصيان آنذاك وهاجموا لاهور فركب أكتافهم وهزمهم وعاد الى غزنة بعد ضم عدد من القلاع اليه وادخلهم في طاعته \*

وفي آخر عمر مودود تحالف بقصد استعادة البلاد التي فقدتها أبيه مع نفر من ملوك الأطراف مثل أبي كاليجار الديلمي وخابان الترك ضد السلاجقة وقرر أن يهاجم الحلفاء السلاجقة من أطراف ثلاثة \* أما جند أبي كاليجار فقد وقعوا فريسة أذى كثير في صحراء لوط ومرض أبو كاليجار نفسه فعاد الى أصفهان \* ومودود ما أن تحرك من غزنة حتى أصيب بالقولنج فعاد الى عاصمته ، ومات بعد قليل أى في العشرين من رجب (٤٤١هـ) \*

وقام الترك وحسب بالاغارة والهجوم بعضا من الوقت على حدود خراسان وخوارزم ثم عادوا الى أوطانهم بعد أن أصابهم السلاجقة بالهزيمة \*

٦٥٠ — على بن مسعود ومسعود بن مودود

(شهران من رجب حتى رمضان من ٤٤١هـ)

بعد موت مودود نادى الأمراء بابنه الصغير مسعود الثانى أميرا ، وبعد خمسة أيام أشرك عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول الملقب بيهاء الدولة معه فى الأماهة ، ومرت أمور السلطنة الغزنوية على هذا النحو نحو الشهرين حتى قدم عبد الرشيد الابن الثالث ليمين الدولة محمود — وكان قد حبسه مودود ابن أخيه وخلص من حبسه بعد موته — من بست الى غزنة مهاجما فتصرف فى العرش والتاج \*

٧ - عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين

(٤٤١ - ٥٤٤هـ)

كان عبد الرشيد رجلا فاضلا عاقلا وحسب ولم يكن له الشجاعة والجرأة اللتان لا محيص للحكم منهما فكان يحكم تحت نفوذ أحد حجاب ابن أخيه مودود واسمه طغرل ، فلما تجاوز استبداد طغرل الحد أرسل به عبد الرشيد الى سيستان ليقاتل السلاجقة يقصد ابعاده فتقاتل طغرل مع والى ييغو على سيستان وألب أرسلان في خراسان فغلبهما فأصابه الغرور وعاد الى غزنة وعصى ملكه عبد الرشيد فأمسك به وقتله وتسعة نفر آخرين من الأمراء الغزنويين وجلس على العرش أميرا . ولم تتجاوز اماره طغرل هذا الذى لقب بطغرل كافر النعمة الأربعين يوما ، اذ قتله بدوره أحد القلمان الغزنويين ، فأتى الأمراء بفرخزاد ولد مسعود الأول وكان حبيس إحدى القلاع ورفعوه للامارة .

٨ - فرخزاد بن مسعود بن محمود

(٤٤٤ - ٥٤٥هـ)

حكم فرخزاد مدة سبع سنين وأهم واقعات حكمه هجومه على خراسان وهزيمته لأحد قادة ألب أرسلان وأسره له . فقدم جغرى بيك دلود أبو ألب أرسلان وهزم فرخ زاد وأجبره على أن يطلق سراح قائده وتصلح فرخ زاد معه .

٩ - ظهور الدولة ابراهيم أخو فرخ زاد

(٤٥١ - ٥٤٩هـ)

بعد أن جلس السلطان ابراهيم خلفا لأخيه دخل فى صلح ، فى أول خطوة له ، مع جغرى بك السلجوقى وأجمع أمرا أن ينهى النزاع

الذى بقى من عهد يودود حتى يومه ما بين أصحاب جفرى بك وابنه ألب أرسلان والغزنويين للاستيلاء على خراسان لأنه حتى وقتذاك لم يقدر السلاجقة على القضاء على الغزنويين في غزنة ولم يستطع الغزنويون أيضا استرداد خراسان .

وتعاهد ابراهيم وجفرى وقررا أن يكون كل منهما مالكا لما تحت يده من متصرفات وألا يتعرض أحدهما للآخر ولا يهرق دم الناس ، بلا ذنب بسبب هذا الصراع . وقد ظل الطرفان فترات يراعيان هذه المعاهدة حتى أنه نتيجة هذا الصفاء والاخلاص زوج ألب أرسلان أحد أولاده من ابنة السلطان ابراهيم ، وزوج ابن لألب أرسلان آخر وهو ملكشاه ابنته بعد ذلك لسعود ولد السلطان ابراهيم .

كان السلطان ابراهيم ملكا عادلا عاقلا فاضلا دينيا حكم اثنتين وأربعين سنة بهدوء وراحة وقصد الهند في هذه الفترة مرارا للجهاد ، من بينها نجاحه في ( ٤٧٣ هـ ) بافتتاحه بضع قلاع واصابته قدرا من الغنم والأسر منهم . وقد بلغت درجة تدينه أنه كان يصوم تطوعا ثلاثة شهور في كل سنة ويكتب القرآن الكريم بيده كل عام ويرسل بنسخه الى الكعبة . وكانت حكومة الهند في عهد ابراهيم لأحد أولاده واسمه سيف الدولة محمود من ( ٤٦٩ ) حتى ( ٤٨٠ هـ ) ومحمود هذا الذى اشغل غالبا بالجهاد في الهند هو مخدوم وممدوح خاص للشاعر الكبير مسعود ابن سعد بن سليمان الذى كان نفسه من الأمراء والمحاربين وكان يجالد بسيفه في ركاب سيف الدولة محمود (١) .

( ١ ) مسعود بن سعد المتوفى ( ٥١٥ هـ ) من كبار شعراء القصائد في القرن الخامس ومعاصر العصرين الغزنوى والسلجوقى ، أصله من همدان وولادته بلاهور ، صاحب مسعودا بن ابراهيم الغزنوى في حروبه بالهند ، غلما ساء ظن ابراهيم بمسعود الذى به الحيس وبخاشيته ومنهم الشاعر الذى مكث عشر سنوات حبيسا نظم فيها أفضل قصائده التى سميت بالحبسيات . وقد أطلق سراجه ليعود ليسجن ثانية نحو ثمانية أعوام حتى خرج عام ( ٥٠٥ هـ ) كان يعرف العربية والهندية وله اشعار بالعربية أيضا .

## ١٠ - علاء الدولة مسعود بن إبراهيم

(٤٩٢ - ٥٥٩هـ)

ولما رقى علاء الدولة مسعود العرش في (٥٤٩٢هـ) سير ولده الأمير عضد الدولة شيرزاد لحكم الهند ففتح عضد الدولة ، وهو من ممدوحى مسعود بن سعد بن سليمان أيضا ، في الهند فتوحات كثيرة وكانت وسعة هجماته حتى الحدود التي بلغها الغزنويون وحسب في عهد السلطان محمود ، فضلا عن أن قسما من البنجاب دخل في ملكية مسعود الثالث أيضا . وزوجة مسعود كما أشرنا هي ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي وأخت السلطان سنجر .

## ١١ - أرسلان شاه بن مسعود الثالث

(٥٠٩ - ٥١١هـ)

وبعد موت علاء الدولة مسعود خلفه ولده أرسلان شاه لكن أخاه شيرزاد ادعى حكمه فقتله أرسلان شاه وحبس أخوته الآخرين ما عدا بهرام شاه الذي فر إلى خاله سنجر بخراسان وعامل والدته بهرام شاه وكان زوجة أبيه باستخفاف .

وظل أرسلان شاه يحكم في غزنة حتى شوال من (٥١١هـ) . وفي هذا الوقت سير سنجر ، في مرو ، أميرا من أمرائه هو الأمير (أنر) مع بهرام شاه إلى سيستان ، ولحق بهما هناك الأمير أبو الفضل نصر بن خلف ملك نيمروز ، وعزم سنجر على اتيان غزنة برغم ممانعة السلطان محمد لفكرته هذه . وقبل غزنة بفرسخ واحد أصاب أرسلان شناه في شوال (٥١١هـ) بهزيمة شديدة وأبلى الأمير أبو الفضل السيستاني في هذه الحرب بلاء حسنا . وورد سنجر غزنة تام الانتصار وأجلس بهرام شاه على عرشها . وقبل بناء على الميثاق الذي واثقه به سنجر خاله أن يخطب للخليفة العباسي وللسلطان محمد وسنجر ثم له وأن يرسل مائتين وخمسين ألف دينار سنويا إلى ديوان سنجر ثم كتب سنجر خير

هذا الفتح المبين الذى لم يسبق للسلاجقة فى تاريخهم ( لأن أحدا من السلاطين السلاجقة لم يستحوذ على غزنة من قبل ) الى أخيه السلطان محمد . وكان السلطان محمد كما سنرى فى أحوال السلاجقة فى هذه الآونة فى مرض الموت ، وخلفه أخوه سنجر على حكم كل البلاد السلجوقية ( فى ذى الحجة من ٥١١ هـ ) .

١٢ — يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود

( ٥١١ — ٥٤٨ هـ )

وبعد أن عاد سنجر الى خراسان واستقر بهرام شاه على كرسى الغزنويين عاد أرسلان شاه وكان قد فر الى الهند واستعاد غزنة من أخيه . فقصده بهرام شاه خراسان ليعتمد سنجر ثم طرد أخاه مرة أخرى من غزنة بعد مقام شهر واحد بها لكن هذه المرة وقع أرسلان شاه أسيرا فقتله أخوه وأصبح بهرام شاه ملك غزنة والهند تحت حماية السلطان سنجر ، لكن الغزنويين كما مرت الإشارة لم يكن استقلالهم كاملا وكانوا يؤدون الجزية للسلاجقة .

وقد أمضى بهرام شاه القسم الأكبر من أيامه من الشطر الأول لحكمه ، الذى طال الى حد ما ، فى إدارة أمور الهند والغزو الجهاد بها بسبب الصفاء بينه وبين سنجر وأمنه من جانب خراسان وكان يفجّر دائماً من الهند فاتحاً غالبا .

لكنه فى ( ٥٣٩ هـ ) استنكف أن يرسل المال للسلطان سنجر متذرعاً بمخالمة فاتاه السلطان مقاتلا فلم يجد بهرام شاه محيصا من اظهار المعجز وطلب العفو فاستدعاه السلطان ليقابله لكن بهرام شاه ركن الى الفرار من أمامه اشفاقا فدخل السلطان غزنة واغتتم كل أموال بهرام شاه ثم أمنه ودعاه الى غزنة وعاد الى خراسان فى ( ٥٣٠ هـ ) .

وكان البلاء العظيم الذى ابتلى به بهرام شاه فى الشطر الثانى لحكمه والذى قضى على شأفة الدولة الغزنوية فى ايران وفى الهند كليهما



هو تعاضلهم قوة أسرة الأمراء الغوريين التي سوف تؤرخ لهم في الفصل  
التالى .

فقد سم بهرام شاه على النحو الذى ستشير اليه في أسوال  
الغوريين قطب الدين محمد الغورى الذى استوحش من أخوته قبل ذا  
فلاذ يغزين وذلك بسعاية جماعة من الأشرار ، فصارت هذه الحادثة  
سبب ظهور العداء بين الغوريين وبهرام شاه . ففطم سيف الدين  
السورى بجيوشه الى غزنة وهزم بهرام شاه بالهند وجلس هو على  
عرش غزنة . ولما علم بهرام شاه في شتاء هذا العام أى ( ٥٤٤هـ ) أن  
الجنود السورىين قد آهبوا الى بلاد الغور وأن وصول الأمداد الى سيف  
الدين السورى المعتلى عرش غزنة في هذا الفصل أمر مستحيل أتى غزنة  
على حين غرة فقبض على سيف الدين وقتله .

وصمم علاء الدين حسين الذى كان حائقا لقتل أخيه الأول ثم  
اشتعل غضبا لسماعه قتل أخيه الثانى ، مقسما بأغلظ الأيمان أن يقلب  
غزنة رأسا على عقب ويمحو آثار أسرة بهرام شاه فهاجم بهرام بجيش  
لجب وبعد ثلاث حروب انتصر فيها أجبره على الفرار الى الهند ثم  
أعمل السيف ليل ونهار سبعة أيام في الناس وحرق غزنة وأخرج أجساد  
السلطين الغزنويين خلا جسد محمود ومسعود وإبراهيم وأشعل فيها  
النار وحطم كثيرا من الأبنية والعمائر والكتب .

وبعد عودة علاء الدين الغورى وهزيمته وأسره بيد السلطان  
سنجر عاد بهرام شاه في ( ٥٤٧هـ ) الى غزنة ومات فيها في السنة التالية .  
بهرام شاه أحد أفضل وأشهر السلطين الغزنويين لأنه كان يقاوس  
في تربية الشجراء وأهل الفضل السلطان سنجر معاصره وكانت غزنة  
ولاهور تضارعان ( مرو شاهجهان ) في عهده في هذا الباب . ويجب  
ذكر أسماء ( مسعود بن سعد بن سلمان ) و ( السنائى الغزنوى ) ( ١ )

( ١ ) السنائى هو الحكيم أبو المجد مجدود بن آدم مدح مسعود بن  
إبراهيم وبهرام شاه أول الأمن ثم أكثر الفزلة والزهدي بعد لقلقه الصونية  
بخراسان ثم السفر الى مكة وغيرها الى أن عاد الى غزنة نحو عام ( ٥٤١هـ )

و ( عبد الواسع الجبلى ) ( ٢ ) و ( سيد حسن أشرف الغزنوى ) ( ٣ )  
و ( عثمان المختارى الغزنوى ) ( ٤ ) من الشعراء العظام الذين مدحوا  
بهرام شاه . ومن أشهر الكتب المتعددة التى ألفت باسم هذا الملك  
بالنظم والنثر ( حديقة الحقيقة ) ( ٥ ) المنظومة المعروفة للحكيم السنائى  
واللتى نظمها هذا الشاعر الأستاذ فى ( ٥٢٥ ) قبل وفاته بقليل ، ثم  
( كلية ودمنة بهرامشاهى ) من انشاء قلم المنشئ الكبير ( أبى المعالى  
نصر الله بن عبد الحميد الشيرازى ) ( ٦ ) واللتى تعد إحدى سامقات النثر

فظل بها حتى موته . من آثاره ديوانه الشامل قصائد وغزليات ومقطعات  
وحديقة الحقيقة وسير العباد الى المعاد وطريق التحقيق وكرنامه بلخ  
ومثنويان هما عشاق نامه وعقل نامه ، ويمكن اعتبار سنائى أول شاعر  
للغزل الصوفى الايرانى مزج المعانى الصوفية بمضامين العشق .  
( ٢ ) الجبلى المتوفى ( ٥٥٥ ) هو بديع الزمان عبد الواسع بن  
عبد الجايح الفرجى ملاح سلاطين غزنة والسلطان سنجر السلجوقى  
وملوك الغور والخوازميين ، كان ماهرا فى علوم عصره خاصة الأدب  
موشحا كلامه بالصناعة اللفظية ، وأنشد الشعر بالعربية فسماه العوفى  
بذى البلاغتين .

( ٣ ) هو أشرف الدين أبو محمد حسن بن محمد الحسينى الغزنوى  
الملقب بالأشرف والمتوفى عام ( ٥٥٧ ) من وأعطى وغصحاء القرن السادس  
مدح الغزنويين والصلاحية ، ويشمل ديوانه أربعة آلاف بيت فى القصائد  
والغزل والترجيعات فى سائر الموضوعات .  
( ٤ ) وهو أبو المفاخر خواجه حكيم سراج الدين أبو عمر عثمان بن  
عمر عامر مسعود بن سعد والسنائى وأبا الفرج الرونى الشاعر ومدح  
الغزنويين ، ويشمل ديوانه ثمانية آلاف بيت وله مثنوى فى قصة شهریار بن  
برزو بن سهراب بن رستم البطل الأسطورى واسمه ( شهریار نامه ) ألفه  
تلبية لرغبة السلطان مسعود بن ابراهيم .

( ٥ ) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة من أهم آثار السنائى وتشمل  
عشرة آلاف بيت الفت باسم بهرام شاه الغزنوى على عشرة ابواب فى  
التوحيد وذكر كلام الباري ونعت النبى وصفة العقل وفضيلة العلم وذكر  
النفس وصفة الافلاك ومدح بهرام شاه والحكمة والأمثال وصفة تصنيف  
الكتاب . ويتضمن الحكمة والمواظ والموضوعات الصوفية وبيان مقام  
العلم والعقل .

( ٦ ) أبو المعالى نصر الله المتوفى فى النصف الثانى للقرن السادس  
كاتب بهرام شاه ووزير خسرو شاه ، ومن آثاره ترجمة كلية ودمنة الى  
الفارسية من العربية وهى نموذج للانشاء الفصيح الذى احتذاه كتّاب  
القرن السادس ومن جاء بعدهم .

الفارسي ، ثم ( البصائر اليمينية ) في التفسير من تأليف فخر الدين محمد ابن مسعود النيسابوري الذي كان من أجلة علماء بلاط بهرام شاه ، وفي ( ٥٥٣٠ هـ ) حين قدم سنجر لتأديب بهرام شاه بغزنة تقدم هذا المعالم سفيرا من جانب ملك غزنة الى السلطان وجعل سنجر يترأف بحال بهرام شاه .

### ١٣ — تاج الدولة خسرو شاه بن بهرام شاه

( ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ )

بعد موت بهرام شاه خلفه ابنه خسرو شاه لكن الغوريين كانوا قد هازوا جانباً عظيماً من القوة في هذا الوقت وصار السلطان سنجر شيخاً واهناً ، وحل التراكم الغز في ممالك سنجر لهذه الأسباب لم يكن خسرو شاه قادراً على الحفاظ على قصبته أجده فاستولى الغز منه على غزنة في ( ٥٥٥ هـ ) وانحصر من هذا الوقت فصاعداً الملك الغزنوي في الهند الغربية .

### ١٤ — سراج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه

( ٥٥٥ — ٥٨٢ هـ )

بعد فتح غزنة على يد الغز أتى خسرو شاه لاهور وتوفي بها وخلفه ابنه ( خسرو ملك ) أو ( ملكشاه ) أميراً عليها . في عهده استعفى الغوريون غزنة من الترك ولما قروا بالآ من هذه الناحية توجهوا لفتح بقية البلاد الغزنوية وأخرج شهاب الدين محمد بن سام كما سيلي بعد بيشاور ولاهور والمولتان أي وديان حدود كابل والسند عن كف خسرو ملك بالتدريج ، وطلب خسرو ملك الصلح في ( ٥٨٢ هـ ) من شهاب الدين لكن قبل أن ينجح في هذا المعنى قبض عليه أشياع شهاب الدين وبهذه الحادثة انتهت دولة آل محمود . وظل خسرو ملك حتى ( ٥٩٨ هـ ) محبوساً في الغور ثم قتل في هذا التاريخ .

## أسماء الأمراء الغزنويين وأيام إمارة كل منهم

٣٥٢ — ٣٥١	أبو اسحاق البتكين
٣٥٥ — ٣٥٢	اسحاق بن البتكين
٣٦٢ — ٣٥٥	بلكاتكين
٣٦٦ — ٣٦٢	بيري

ناصر الدين سبكتكين ٣٦٦ — ٣٨٧

- اسماعيل بن سبكتكين ٣٨٧ — ٣٨٨ (سبعة شهور)
- ١ — يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين (٣٨٧ — ٤٢١ هـ)
  - ٢ — جلال الدولة أبو أحمد محمد بن محمود (٤٢١ هـ (سبعة شهور))
  - ٣ — شهاب الدولة أبو سعد مسعود بن محمود (٤٢١ — ٤٣٣ هـ)
  - ٤ — شهاب الدولة أبو الفتح مودود بن مسعود (٤٣٣ — ٤٤١ هـ)
- ٦٥٥ — بهاء الدولة أبو الحسن علي بن مسعود ومسعود بن مودود
- (٤٤١) (مجموع شهرين)
- ٧ — عز الدولة أبو منصور عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين
- (٤٤١ — ٤٤٤ هـ)
- ٨ — جمال الدولة أبو الفضل فرخ زاد بن مسعود بن محمود
- (٤٤١ — ٤٥١ هـ)
- ٩ — ظهير الدولة أبو المظفر إبراهيم أخو فراخ زاد (٤٥١ — ٤٩٢ هـ)
  - ١٠ — علاء الدولة أبو سعيد مسعود بن إبراهيم (٤٩٢ — ٥٠٩ هـ)
  - ١١ — سلطان الدولة أبو الفتح أرسلان شاه بن مسعود الثالث
- (٥٠٩ — ٥١١ هـ)
- ١٢ — يمين الدولة شاه أبو المظفر بهرام شاه بن مسعود
- (٥١١ — ٥٤٨ هـ)
- ١٣ — تاج الدولة أبو شجاع خسرو شاه بن بهرام شاه
- (٥٤٨ — ٥٥٥ هـ)
- ١٤ — سراج الدولة أبو الملوك خسرو ملك بن خسرو شاه
- (٥٥٥ — ٥٥٨ هـ)

## الفصل السابع

### سلاطين الغور

#### جبال الغور وجبال الفمروز : -

كانت الغور منطقة جبلية واسعة الى حد ما واقعة بين ولايتي هراة وغزنة وهي عبارة عن وديان المناطق الجبلية التي تسمى الآن ( كوه بابا ) أى جبل بابا و ( سفيد كوه ) أى الجبل الأبيض ، وتتمل جبال خراسان عن طريقها بسلسلة جبال هندوكوش . وهذه المنطقة أيضا منبع أنهار الهيرمند والهريروود والمرغاب وهي التي جاور القسم الغربى منها ولاية هراة وكانت تسمى الغرجستان والجبال .

أما السفوح الشمالية للولايات الجبلية الغور والغرجستان التي تعد بداية سهول ماوراء النهر ووادى الفروع الجنوبية. للكمودريا فقد كانت تسمى قديما ( طخارستان ) والطخارستان تقريبا هي المنطقة التي تسمى حاليا بالتركستان الأفغانية .

وكانت أعظم وأشهر مدن منطقة الغور مدينة فيوزكوه التي كانت قصبة ملوك الغور الأصليين ، إلا أن الغور كما سنرى قد سيطروا بالتدريج على ولاية طخارستان في الشمال التي تعد كما سنرى المدينة الرئيسية بها باميان ( ما بين بلخ وكابل ) ، وعلى غرجستان والجبال وهراة في الجنوب والغرب ، ثم اختاروا باميان وهراة ومن بعدهما غزنة مجالا لعروشهم .

## أصل الغوريين ونسبهم : —

أما أصل الغوريين ونسبهم فليس معروفا على وجه الدقة ، والمسلم به حتى الآن أنهم كانوا من الشعوب الجبلية في منطقة الغور وكانوا مستقلين بصفة عامة بسبب الوضع الطبيعي لمساكنهم كأكثر العشائر الجبلية ، ولم يتمكن الملوك الفاتحون والغزاة من السيطرة عليهم بسبب صعوبة الوصول الى بلادهم .

أما الملوك الغوريون فهم يدعون أنهم من أبناء الضحاك بطل الشاهنامه المعروف وكان أحد أجدادهم الأعلين ، واسمه ( شنسب ) قد اعتنق الاسلام على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولهذا يسمى سلاطين الغور حينئذ آل شنسب .

وفي الوقت الذى عمل فيه يعقوب بن الليث الصفارى على السيطرة على بلاد الرخج وكابل لاذ رؤساء الغوريين أمام تقدم جيوشه بمناطقهم الجبلية وعجز يعقوب عن السيطرة على هذه المناطق الصعبة .

ومن رؤساء الغوريين وأول ملك له اسم وأثر معتبران في التاريخ محمد بن السورى :

الذى كان معاصرا للسلطان يمين الدولة محمود الغزنوى وأبيه سبكتكين وكان دائم الهجوم على أملاك هذا الأب وذاك الابن في منطقة ( بست ) ، وفي النهاية هاجمه السلطان محمود فى ( ٤٠١ هـ ) بجيش جرار ، وسلم محمد بن السورى بعد فترة من التحصن باحدى القلاع للسلطان ثم مات فى أسره فأناوب محمود ابنه فى حكومة الغور .

ومع أن الغوريين صاروا من يومئذ للغزنويين الا أنهم كانوا يتمتعون باستقلالهم السابق فى بلادهم الأصلية وظلت أسرهم تحكم بلا انقطاع فى بلاد الغور واستقر الحال على هذا المنوال حتى أيام سلطنة بهرام شاه الغزنوى والسلطان سنجر السلجوقى . ففى هذه الفترة قبل الأمراء الغوريون اطاعة أمر سنجر السلجوقى . ففى هذه هذا السلطان المتزايدة وتبعية بهرام شاه له وكان لهم ببهرام شاه المطيع

لسنجر علاقات حسنة وكان أحدهم صهرا له .

ومن الغوريين الملك عز الدين حسين الذى عاصر سنجر وبهرام شاه  
وقد ولد سبعة أبناء بلغ أربعة منهم الحكم فلقب بأبى السلاطين .

اما الابن الأكبر للملك عز الدين حسين وهو الملك فخر الدين  
مسعود الذى ولى اماره طخارستان فى ( ٥٥٥٠ هـ ) أى قبل وفاة السلطان  
سنجر وبذا صار مؤسس شعبة الغوريين فى باميان ، فلما كانت والدته  
جارية تركية لم يستطع أن يخلف أباه سلطانا فى بلاده الأصلية ، فانتهت  
لهذا سلطنة الغوريين الى أحد أخويه وهو سيف الدين السورى الذى  
قام بتوزيع بلاد أبيه بعد رقيه عرشه بين اخوته وأتاب لكل منهم حكم  
بلد منها . ويعد الملك سيف الدين السورى المؤسس الحقيقى لأسرة  
الملوك الغوريين .

#### ١ - سيف الدين السورى

( ٥٤٣ - ٥٥٤ هـ )

كان أحد أبناء سيف الدين السورى على النحو الذى مر شرحه فى  
سلطنة بهرام شاه هو قطب الدين محمد الملقب بملك الجبال وكان مقىما  
فى فيروزكوه التى بناها بنفسه فخاف ورهب اخوته الآخرين ومن ثم  
لاذ ببهرام شاه حميه بغزنة . وتلقاه السلطان الغزنوى باكرام فى  
البداية ، لكن أساء الظن به بعد ذلك بسبب حب أهل غزنة له لحسن  
خلقه وخلقه وفتوته فدس له السم خفية . ولما وصل أبناء ذلك ، وقد  
حدث فى ( ٥٤٣ هـ ) ، الملك سيف الدين السورى جرد جيوشه للانتقام  
لدم أخيه وغلب بهرام شاه واستولى على غزنة فى جمادى الأولى من  
( ٥٤٣ هـ ) ، ويعد عام ثورة سيف الدين السورى على بهرام شاه  
والاستيلاء على غزنة بيد الجيش الغورى هو بداية سلطنة الملوك  
الغوريين .

أما بهرام شاه فقد عاد بغتة من الهند الى غزنة في فصل الشتاء في المحرم من ( ٥٤٤هـ ) على النحو الذي مر في تاريخه وهاجم سيف الدين السورى بغزنة حيثما كان مقيما بمفرده وبغير جيش ، فكان أن استأثر سيف الدين ووزيره وأركب كلا منهما ناقة وطاق بهما في شوارع غزنة باهانة بليغة بينما كان الناس يخذفونهم بالتراب والفضلات ، ثم قتلهما ، فأوقد نار الحقد عليه التي كانت مشتعلة قبل بقتل قطب الدين محمد .

## ٢ - علاء الدين حسين جهانبوز

( ٥٤٤ - ٥٥٦هـ )

انتهت اماره فيوزكوه بعد قتل ملك الجبال قطب الدين محمد الى أخيه الآخر بهاء الدين سام واتصل بهاء بالملوك المحليين بخرجستان وكان اسم كل منهم العام ( شاز ) ، فلما قتل سيف الدين السورى في ( ٥٤٤هـ ) استقر على رئاسة اخوته وامارة الغور بسبب أنه أكبر أبناء الملك عز الدين حسين ( بعد الملك فخر الدين مسعود الذي كانت والدته جارية فلم يملكوه بلادهم الأصلية وقد سبق ذلك ) .

وتأهب بهاء الدين سام بجيش ضخم يطلب به دم أخويه المقتولين وقصد غزنة . لكن قبل بلوغها مرض في الطريق بسبب حزنه الشديد على أخويه القتيلين ثم مات بعد هذا بقليل بمرض الجدرى وانتهت سلطنة الغور الى أخيه الآخر علاء الدين حسين بن حسين .

وقد حقق علاء الدين مقصد بهاء الدين سام أخيه من غزو غزني ، فسير جيشا ضخما من شعب الغور وخرجستان الى غزنة ، وقدم بهرام شاه من الهند لدفعه بأفيال وجيش عظيم وقاتل علاء الدين قتالا شديدا في سيستان مرة وبين سيستان وغزنة ثانية وعلى كتب من عاصمته الثالثة وانهزم في المرات الثلاثة ، فلاذ بالفرار في نفس العام ( ٥٤٤هـ ) الى



الهند واستحوذ علاء الدين على عاصمة الغزنويين بقهر تام وجعل منها  
 كما سبق طعمة للخرائق مدة أسبوع ليد نهار وسوى بآثار الغزنويين  
 وعمائرهم الأرض ، ثم أخرج جسد أخويه وعاد الى الغور عن طريق  
 بست ولم يقصر في تخريب عمائر الغزنويين وأبنيتهم في بست أيضا ،  
 ولقب علاء الدين حسين بعد تحريق غزنة بلقب ( جهان سوز ) ( ١ ) .

وغدا علاء الدين جهانسوز بعد هذه الفتوحات والخراب الشديد  
 مغرورا متمرا ، فحبس ابنى أخيه بهاء الدين سام غياث الدين محمد  
 وشهاب الدين محمد باحدى القلاع ثم أعلن عصيانه لسلطان السلاطين  
 سنجر السلجوقي وامتنع عن ارسال التحف والهدايا التى كان يرسلها  
 سنويا من بلاد الغور الى بلاطه وهاجم هراة بجيش عظيم واستولى على  
 بلاد وادى نهري هريود ومرغاب وحمل على بلخ . وأمدته طوائف  
 المتركمان الغز فسقطت بيده بلخ . فأتى السلطان سنجر فى ( ٥٤٧ هـ )  
 لدفعته وفى مدينة ( أوبه ) من بلاد شرق هراة ألحق به الهزيمة على  
 شاطئ هريود وأمسك به وصفده وكبله ، لكنه أمر فأخلوا سبيله وكان  
 سنجر من الشهامة والرقه والمقل حتى أثر عنه حكايات فى ذلك ، وأتى  
 به اليه فوهبه سنجر طبقا كان أمامه مليئا بالجواهر القيمة ، فارتجل  
 علاء الدين هذا الرباعى منشدا :

بكرفت ونكشت به مرا درصف كين هرجند بدم كشتى ازروى يقين  
 بخشيد مرايكي طبق در ثمين بخشايش وبخشش چنان بود وچنين  
 ومعناهما : أسرنى الشاه ولم يقتلنى مع أنى أستحق القتل يقنيا  
 بل وهبى طبق در ثمين وهكذا كان عفوه وجوده فى الأولى والثانية .

وقد اختاره السلطان سنجر أولا لمنادمته ثم أعاده الى امارته الغور  
 وبعد عودة علاء الدين جهانسوز من بلاط سنجر عمل أولا على  
 قمع أعدائه وقلمهم وقد أعلنوا عصيانه فى غيابه ، فلما أمن شرهم

( ١ ) اى محرق الدنيا .

انشغل بالفتح فنجح في فتح بضع قلاع في سيستان وبست وهرارة  
وطخارستان ووادي نهر مرغاب \* وفي نهاية عمره لبي دعوة الدعاة  
الاسماعيليين ثم توفي بعد هذا بقليل في ( ٥٥٦ ) \*

### ٣ — سيف الدين محمد بن علاء الدين حسين

( ٥٥٦ — ٥٥٨ )

وبعد موت علاء الدين جهانسوز خلفه ابنه السلطان سيف الدين  
محمد على عرش الغور وفيروزكوه ، وفي بداية حكمه قضى على الدعاة  
الاسماعيليين الذين دعوا أباه لدعوتهم وأمر بقتلهم حيث وجدوا في بلاده  
ثم سرح ابنى عمه غياث الدين محمد وشهاب الدين محمد اللذين  
حبسهما أبوه \* لكنه صار فريسة هجوم التراكمة الغز ولما تنقضى سنة  
وبعض سنة عن حكمه ، لأن الغز كما سنتناوله في شرح حكم السلطان  
سنجر كانوا استولوا في أواخر حكمه على خراسان وسيستان وكرمان  
وأطلقوا أيديهم في نهب جميع بلاد هذه النواحي ، وهاجموا غرجستان  
من بين ذلك ، فارتحل سيف الدين لقاتلتهم ، لكن قائد جيشه بسبب  
خفده على السلطان قتله أخاه ضرب صدره برمح فخر السلطان من على  
جواده فأهلكه الغز \*

### ٤ — غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام

ورفع بعد قتل السلطان سيف الدين محمد الأمراء والكبار من  
الغوريين ابن عمه غياث الدين أبا الفتح مجمدا بن سام على العرش ،  
وواجهت غياث الدين في بداية حكمه ثورة عمه الأكبر فخر الدين مسعود  
ابن حسين الذي كان يحكم من ( ٥٥٠ ) على طخارستان وباميان من  
جانب علاء الدين جهانسوز ، وقد كان فخر الدين أكبر أبناء أبي  
السلطين عز الدين حسين ولم يبق من ولده السبعة غيره ، لكنه لم يتول  
سلطنة الغوريين لأن أمه كانت جارية ، فظن أن الفرصة واثته لضم

البلاد الأصلية للغوريين الى ملكه ، وحمل على فيروزكوه بعد أن تحالف مع أمراء سنجر كالأمير قماج حاكم بلخ والأمير تاج الدين يلدز والسي هراة . ولأقوى السلطان غياث الدين وأخوه الملك شهاب الدين أولا تاج الدين يلدز الذي كان أسبق حلفائه وصولا الى فيروزكوه فقتلاه وفرقا جنده ، ثم عاجلا الأمير قماج بالهجوم وهزمه أيضا وأرسلا رأس يلدز وعلماء من أعلام جيش قماج استولوا عليه الى باميان حيث عمهما ، فاضطرب فخر الدين لهذا شديد اضطراب وعزم العودة ، لكن الغوريين تقاطروا عليه فأسروه ، الا أن ابني أخيه عاملا عمهما بكل التواضع والاحترام وأعاداه الى امارته باميان كما كان عليه .

اجتاح التركمان الغز — كما بينا في أحوال خسرو شاه السلطان الغزنوي قبل الأخير وكما سوف نبين في تاريخ السلطان سنجر — جميع خراسان بعد أن استأسروا هذا السلطان ، فاستولوا على غزنة في ( ٥٥٥٥ ) من بين ما استولوا عليه ولأذ خسرو شاه بالفرار الى لاهور وجعل منها عاصمته ثم انشأ الغز على كابل وقسم من سيستان فاستولوا عليهما كذلك وظلوا بهما حتى ( ٥٦٩ ) وكان الذي طردهم منهما واستخلص غزنة منهم هو السلطان غياث الدين محمد بن سام الغوري . وقد استصفى غياث الدين هراة أيضا في ( ٥٧١ ) من يد أحد عبید سنجر السابقين ، وطوع اليه أيضا بوشنج وسيستان وكرمان وجوزجانان ومرو الرود ، ووسع حدود دولة الغوريين من ناحية الغرب والجنوب الغربي وسعة عظمى .

### الغوريون والخوارزمشاهيون :

حين كان السلطان غياث الدين وأخوه الملك شهاب الدين يقومان بهذه الفتوحات العظيمة كانت الأسرة الخوارزمشاهية القوية القادرة قد رفعت لواء الشوكة والسلطة في خوارزم وما وراء النهر وخراسان وأسسوا دولة في هذه المناطق فقامت دولة الغوريين بمراتب في القوة

خاصة في عهد ملكهم المعاصر لهذين الأخوين السلطان علاء الدين تكش (٥٦٨ - ٥٩٦هـ) الذي حاز شهرة وقوة فوق العادة لما تيسر له من فتوحات وكان يجاور الغوريين من ناحية خراسان وجوزجانان \*

وفي (٥٨٦هـ) أخذ أخو علاء الدين تكش ملك خوارزم وهو جلال الدين محمود سلطان شاه وكان قد عصا أخاه واستولى على حدود مرو الرود وبنجده وهي حدود ملك الغوريين أخذ يهاجم بلادهم على الرغم من صفاء العلاقات بينهما فيما سبق \* فسير غياث الدين جيشا لردهم أكثر من مرة الى أن أهدق الملك شهاب الدين وملك شمس الدين بن فخر الدين مسعود أمير باميان الغوري وتاج الدين ملك نيمروز في (٥٨٨هـ) سلطان شاه وأصابوه بهزيمة فادحة على شاطيء مرغاب ولاذ سلطان شاه بالفرار \*

وفي (٥٩٦هـ) مات علاء الدين خوارزم شاه وخلفه ابنه علاء الدين محمد ، وتأهب الملك شهاب الدين والسلطان غياث الدين على ظن منهما أن الفرصة مواتية للاستيلاء على خراسان بجيش لجب فأوسعوا بلادها المهمة هجوما فابتدوا بأبيورد ونيسا وسرخس ومرو وطوس في (٥٩٧هـ) ثم تقدموا حتى حدود قهستان وجرجان وبسطام وأضحت خراسان مرة واحدة موطيء الجند الغوريين ، وقد تحالف الغوريون في هذه الحروب مع ابن أخى علاء الدين محمد خوارزم شاه \*

وفي ذى الحجة من (٥٩٧هـ) غلب السلطان محمد خوارزم شاه الغوريين بحملة واحدة على مقربة من نيشابور ، فطلب غياث الدين وشهاب الدين عفوه فعفا عنهما خوارزم شاه وخليا خراسان \* وفي السنة التالية عاود الغوريون خراسان بالهجوم وطلبوا الى خوارزم شاه تسليمهم قطعة من خراسان ولما لم يطعهما شاه خوارزم هاجم الملك شهاب الدين طوس وأضر أهلها كثيرا \* وفي هذه الأثناء تناهت أنباء وفاة وفاة السلطان غياث الدين فعاد شهاب الدين الى مرو لكن جنود

خوارزم شاه أحاطوا به فيها فلأذ منهم منهزما بالفرار الى الغور ( ٥٩٩هـ )

ومع أن أحد أسباب صراع الغوريين والخوارزمشاهيين الرئيسية هو المجاورة وطمع أحدهما في الاستيلاء على بلاد الآخر إلا أن عاملا آخر أوسع من دائرة نيران هذا القتال والجدال وهو والخليفة العباسي الناصر لدين الله ( ٥٧٥ - ٦٢٢هـ ) لأنه كان يعيش في عداوة شديدة للخوارزمشاهيين من عهد استيلاء علاء الدين تكش على ايران الغربية وتفكيره في القضاء على دولته ، ولكي يأمن شر هجوم الخوارزميين يبعث دائما بالهدايا الفاخرة والرسل الى غياث الدين الغوري ويحرضه على مهاجمة بلاد خوارزم شاه كما وقع في ( ٥٩٤هـ ) حين أوعز الناصر الى غياث الدين الغوري بالحملة على بلاد خوارزم شاه بعد أن استخلص علاء الدين تكش بلاد الري وهمدان وأصفهان من يد عمال الخليفة وصار معارضا له ليجبر الغوري تكش على العودة الى خوارزم . وعاد تكش الى خوارزم ولكي ينتقم من الغوريين تحالف مع الأتراك القراختائيين الذين يحكمون في كاشغر وكانت ما وراء النهر تابعة لهم أيضا وحثم على مهاجمة بلاد الغوريين وقصد هو بنفسه طوس بهدف ضم هراة . لكن قادة الغوريين هزموا القراختائيين وتصالح خوارزم شاه مع الغوريين . وفي عهد السلطان محمد خوارزم شاه ورث نفس معاملة أبيه للخليفة مما جعل الخليفة يعاود تحريض غياث الدين وشهاب الدين على ملك خوارزم فتتابعت غزوات هذين الأخوين على خراسان وخوارزم وأكثرها كان بتحريض الناصر ، ولم يتورع هذا الخليفة المخادع كما سنرى في تاريخ المغول في عداوته للخوارزميين وعناده لهم عن تحريض الكفار القراخطائيين والمغول وفي النهاية سقطت أسرته بيد المغول الذين دعاهم الى البلاد الإسلامية بنفسه (١) .

---

( ١ ) عاصر ابن الأثير صاحب الكامل الخليفة الناصر واتهمه بالظلم وقبح السيرة وأنه أطبع القتر في بلاد المسلمين ، للتفصيل انظر كتابه الكامل في التاريخ ١٢ ص ٢٠٢ ( طبعة مصر ١٣٠١هـ )

ومات السلطان غياث الدين محمود وكان مريضاً بمرض النقرس في جمادى الأولى ( ٥٩٩ هـ ) وكان وهو أعظم ملوك الغوريين رجلاً عادلاً ديناً كريماً مقرباً للشعراء ، وكان بلاطه في الغور وغزنة يعد محفل الفضلاء والشعراء والفقهاء ومع أنه كان شافعي المذهب لكنه لم يكن يتعرض لعقائد الشعب وكان يقول ان التعصب في الدين من جانب الملوك قبيح . وشاعر عهده الكبير هو فخر الدين مباركشاه المروودي الذي شرع في نظم تاريخ سلاطين الغوريين ونسبهم على وزن شاهنامه الفردوسي باسم السلطان علاء الدين جهانسوز ثم أتمه باسم غياث الدين محمد ، وكانت وفاة مبارك شاه عام ( ٦٠٢ هـ )

#### ٦ - معز الدين محمد بن سام

( ٥٩٩ - ٦٠٢ هـ )

بعد وفاة غياث الدين محمد كان ابنه محمود الذي آثر نفس لقب أبيه له ينتظر أن يترك عمه شهاب الدين محمد سلطنة الغور له ، الا أن شهاب الدين خلف أخاه ملقباً نفسه بمعز الدين وولى غياث الدين محموداً أمانة بست وفراه .

#### فتح الهند من ٥٧١ حتى ٦٠٢ هـ :-

السلطان معز الدين محمد بن سام أو الملك شهاب الدين السابق الذكر أخو غياث الدين هو أعظم ملوك الغور من كل جانب لأن في أيامه تم أكبر فتوحات الغوريين مع أنه لم يحكم بعد أخيه أكثر من سنتين وشهر واحد ، هذا فضلاً عن حروبه بخراسان وخوارزم ، لأنه في الوقت الذي كان غياث الدين منصرفاً فيه الى فتح غزنة وطخارستان وسيستان وكرمان كان شهاب الدين أو معز الدين منصرفاً الى فتح بلاد أخرى في مشرق بلاد الغوريين . ففي عام ( ٥٧١ هـ ) أي نفس العام الذي أخذ

فيه أخوه هراة فتح السند والمولتان وقضى على أسرة أمراء المسلمين  
التي كانت تحكم هناك من مدة وفي ( ٥٥٨٢ ) استحوذ على لاهور وأدال  
الغزنويين نهائياً .

وبعد فتح لاهور انقلب شهاب الدين محمد من هذه المدينة الى  
الهند الوسطى أى ولايتى راجبوتانا وأجمير لكنه هزم فى المنطقة الأخيرة  
ومع شدة تجلده وحنكته فقد كان أدنى الى أن يلقى حتفه . وفى عاقبة  
الأمر أنجاه أتباعه وآب شهاب الدين حانقا متأثرا الى لاهور ، وأمر من  
شدة الغضب أن يقيد الأمراء الغوريين الذين انهزموا فى هذه الحرب  
أمام العليق وعاملهم باذلال ، ويقال أنه من تاريخ هذه الهزيمة حتى  
فوزه فى ( ٥٥٨٨ ) بالانتقام مما حل به كان يتحاشى فى هذه الفترة أن  
يستبدل قميصه أو أن ينام مع زوجته .

أما من هزم جيش الغوريين فى هذه الحرب فقد كان أحد راجات  
اجمير واسمه ( بریت وى ) .

وفى ( ٥٥٨٨ ) هاجم شهاب الدين محمد بجند كثيف أجمير منطلقا  
من غزنة وفى ( ثانى سر ) على اثنين وتسعين ميلا شمال غربى وهلى  
أصاب بریت وى وقد خف مائة وخمسون أميرا هندية لمؤازرته بهزيمة  
فادحة أسر فيها بریت وى ثم قتل وحاز الغوريون غنائم كثيرة من بينها  
أربعة وعشرون فيلا حربيا .

وقد جعل فتح ثانى سر سائر الهند الشمالية حتى وسطها تحت  
تصرف الغوريين ، وبعد أن قام الملك شهاب الدين بشكر الله تعالى على  
هذا الفتح المين أناب غلامه قطب الدين آى بك فى الولايات المفتوحة ثم  
عاد الى أخيه بغزنة .

وفى عام ( ٥٥٩٠ ) تملك الملك شهاب الدين قنوج وبنارس وفى  
( ٥٥٩٢ ) سيطر على قلعة كوالبور ومن بعدها فى ( ٥٥٩٧ ) نهرواله .  
ثم استولى بعد هذا بقليل قطب الدين آيبك وقواده الآخرون على ولايات

بهار والبنغال وبهذا دخل القسم الأعظم للهند بعد فترة وبعد أن كان مجزأ تحت حكم موحد وصار في طاعة دولة مسلمة فارسية اللغة .

ومع أن أكثر هذه البلاد قد تم فتحه بيد السلطان محمود الغزنوي وخلفائه ، إلا أن تسلط الغزنويين لم يدم إلا على القسم الغربى للهند أى الوادى الأعلى للجانج وسهول السند وطرده راجات الهند تدريجاً العمال الغزنويين من الهند الوسطى والشرقية . أما استيلاء الملك شهاب الدين الغورى وغلماؤه وقواده فقد بقى مستمرا خلاف الغزنويين ، ومع أن شهاب الدين قد عاجله أجله وتجزأت دولته الواسعة إلا أن غلمان الغوريين المسلمين قد حفظوا جميع البلاد المفتوحة كما كانت تحت حكمهم وحافظوا على الاسلام واللغة الفارسية فيها على اثر الفتوحات المتجددة ودوام حكمهم واستمر هذا الحال حتى عهد تولى السلاطين الكوركانيين الذين ورثوا غلمان الغوريين في هذا الأمر .

وظل الملك شهاب الدين الغورى حتى ( ٥٩٩هـ ) سنة وفاة أخيه السلطان غياث الدين محمد نائبا عن أخيه مجالدا بالسيف باسمه ، فلما مات أخوه انتهت اليه سلطنة الغور ومن هذا الأوان لعب بالسلطان معز الدين .

وفى ( ٦٠٠هـ ) قصد السلطان معز الدين من غزنة لاهور لغزو الهند ، فأفاد محمد خوارزم شاه من غياب معز الدين وموت غياث الدين وانصرف الى محاصرة هراة التى كانت بيد ابن أخت هذين الأخين لكنه فشل بعد مدة من القتال في فتحها وعاد الى سرخس مصالحا . ولما تناهت هذه الأخبار لمسامع معز الدين عاد من الهند وعزم هذه المرة على استئصال خوارزم شاه تماما وأن يحمل على جرجانية عاصمة خوارزم ويجتث دولة خوارزم من أصلها نهائيا . وتحرك الجند الغوريون من غزنة ومعهم بعض الأنبيال الحربية الى خوارزم ، ولم يوفق خوارزم شاه في أن يعيد السلطان معز الدين عن قصده برغم تهديده بالهجوم على



هراة وغزنة وكان معز الدين يجيبه ( سوف نتقابل في خوارزم ) •  
وعجل خوارزم شاه مضطرا الى عاصمته وأمر بتعطيم كل السدود  
لكي يقطع على السلطان الغوري طريق تقدمه وبأن يغرق خط سيره بالماء  
ووصل معز الدين بعد أربعين يوما من الصراع مع هذه الموانع في النهاية  
الى خوارزم • وعلى مقربة من عاصمة الخوارزميين حارب جيشهم حربا  
ضروسا ومع أنه هزم كثيرا من القادة الخوارزميين وقتلهم الا أنه فشل  
في فتح المدينة بسبب استبسال أهلها في الدفاع عنها • وأثناء هذا الوقت  
وصل قائد خان القراختائيين وعثمان خان الأفراسيابي خان ما وراء النهر  
لعون خوارزم شاه فانهمز السلطان معز الدين بقسوة وهرب من خوارزم  
الى قلعة إندخود ( في جنوب نهر آمودريا بين بلخ ومرورود ) لكن جند  
القراختائيين وما وراء النهر أحاطوا به في ذلك المكان وكان على شفا أن  
يستأسره الكفار القراختائيون • فتوسط عثمان خان لأنه لم يكن يود أن  
يقع هذا السلطان المجاهد المسلم في يد الكفار وأنقذه بعد أن أخذ كل  
ما معه وأعطاه الى القراختائيين فدية ، وبعد قليل استقر الصلح بين  
خوارزم والغور •

كانت هزيمة خوارزم فادحة جدا للسلطان معز الدين الغوري لأنه  
فضلا عن هلاك خيرة الجند وجمع من القواد وذهاب الأموال والخزائن  
أذيع في البلاد الغورية أن السلطان قتل في حرب خوارزم ، ولهذا فقد  
ادعى عدد من غلمانه كانوا ينتظرون هذه الفرصة للاستقلال والحكم كل  
في بلد ، كما فعل تاج الدين يلدز ( وهو غير تاج الدين يلدز الذي سبق  
ذكره وقتل ) اذ عزم الاستيلاء على غزنة ، وغلّام آخر هو آبيك ( ١ ) الذي  
نادى بنفسه ملكا في المولتان والسند وأخذت طائفة الخلع في أفغانستان  
الحالية في قطع الطرق وإيذاء الناس وقد أخمد معز الدين بعد صلحه

---

( ١ ) آبيك هذا غير قطب الدين آبيك قائد شهاب الدين الذي ولي  
حكومة دهلي من طرف الغوريين وأسس بعد قتل السلطان معز الدين أسرة  
ماليك دهلي (سياتق) •

مع خوارزم شاه وعودته الى غزنة جميع هذه الفتن وعمل على اصلاح حال الغزاة والجيش حتى يتأهب للانتقام من اترك القراختانيين الكفار.

### قتل السلطان معز الدين في ( ٦٠٢ هـ ) : -

في ( ٦٠٢ هـ ) طلب السلطان معز الدين من عامله في لاهور والمولتان أن يرسل اليه خراج سنتي ( ٦٠٠ ) و ( ٦٠١ هـ ) حتى ينفقها في سبيل جهاد القراخطانيين ، فأجاب عامله ان ارساله متعذر بسبب عصيان طائفة ( الكوكر ) من سكان المناطق الجبلية في لاهور والمولتان وقطعهم الطرق فأمر معز الدين قطب الدين آبيك حاكم دهلي أن يعد جيشا لافناء طائفة الكوكر ، وتحرك هو أيضا مع أنه كان يقصد حرب القراخطانيين من غزنة صوب بيشاور بسبب شكاوى الناس المتوالية من هذه الطائفة ، وعلى مقربة من نهر جيلم في ربيع الآخر ( ٦٠٢ هـ ) أنزل هو وقطب الدين آبيك بهؤلاء العصاة هزيمة كبرى ، وقمع معز الدين فضلا عن تأديب هذه الطائفة جماعة أخرى من المتمردين ، ثم قصد الى غزنة من لاهور ولكن في الثالث من شعبان ( ٦٠٢ هـ ) وأثناء الطريق اغتيل بيد بضعة نفر من أفراد قبيلة الكوكر كانوا برفقة جنده يهدفون قتله اثر ثنتين وعشرين طعنة بالخناجر ، ونسب البعض قتله الى الفدائيين الاسماعيليين .

كان السلطان معز الدين محمد بن سام الذي تلقب في ذلك بالملك شهاب الدين رجلا رشيدا عادلا مواظبا تماما على تنفيذ أوامر الشرح وكان يعيش كأخيه خاليا من التعصب المذهبي وكان يعاشر أرباب الفضل والأدب والفقهاء . وكان الامام الكبير والحكيم الجليل القدر فخر الدين محمد بن عمر الرازي ( ٥٤٣ - ٦٠٦ هـ ) من خاصة بلاطه وبلاط أخيه السلطان غياث الدين محمد ( ٣ ) .

---

( ٢ ) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبري الرازي القوفي ( ٦٠٦ هـ ) عرف بابن الخطيب ومن الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء الشافعيين ومن علماء إيران الكبار في القرن السادس والذي يعد من نواذر ==

## ٧ - غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد

(٦٠٢ - ٦٠٧ هـ)

انفرط عقد انتظام الممالك الغورية بعد قتل السلطان معز الدين مرة واحدة واتجهت الدولة بكل عظمتها واتساعها الى التجزؤ الكلى . بمعنى أن غياث الدين محمود ابن أخ معز الدين الذي كان يحكم بست وفراء رفع رسميا الى سلطنة الغوريين ، الا أن جماعة من الأمراء الغوريين التفتوا حول بهاء الدين بسام أمير باميان الغوري ابن الملك شمس الدين محمد بن الملك فخر الدين مسعود وابن أخت السلطان معز الدين وغياث الدين واحتدم النزاع بين هذين المدعين وأتباعهما من أجل التاج والعرش ، فنهض من بين ممالك السلطان أعزهم وأقواهم نفوذاً وهو تاج الدين يلدز السابق الذكر لحماية غياث الدين محمود ، وشاء الله أن يموت بهاء الدين سام في طريقه الى غزنة للاستيلاء عليها لكنه أوصى أبناءه بالسيطرة على غزنة وتملك عرش الغوريين .

وسيطر أولاد بهاء الدين سام على غزنة لكن تاج الدين يلدز طردهم

---

==  
عهده في العلوم الاسلامية . له تاليفات هامة في العلوم المختلفة وسمى امام المشككين لتمكنه في المجادلة والاعتراض على الفلاسفة والشك في المسائل الفلسفية ، وكان من مخالفي ابن سينا دفع آراءه بطريق الاستدلال العقلي والفلسفي . من آثاره المشهورة بالعربية في علم الكلام : نهاية العقول وكتاب الأربعين ونحصل افكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ورسالة في المعراج . وفي الفلسفة : الملخص وشرح الاشارات وشرح عيون الحكمة ومباحث المشرقية والنهاية . وفي التفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير وهو في الحق دائرة معارف دينية ثم نهاية الاعجاز في بيان موارد فصاحة القرآن وبلاغته .

واهم آثاره بالفارسية جامع العلوم او حقائق الاثوار في حقائق الاسرار الذي ألفه لعلاء الدين تكتش خوارزم شاه عام (٥٤٧ هـ) ثم (رسالة روحية) في حقيقة الروح وبقاء الجسم وحكمة الموت والنصح ، ثم (أصول عقايد) في ثمانية أبواب ، ثم الاختيارات العلائية في النجوم باسم الحاكم السابق .

عنها وعاد الى عاصمته ، وبدلا من أن يخطب لغيث الدين محمود ادعى  
استقلاله .

وفي دهلي نادى قطب الدين آيبيك أيضا في ( ٦٠٣ هـ ) بنفسه .  
سلطانا بعد قتل السلطان معز الدين وأسس أسرة حكمت في هذه المنطقة  
من بعده حتى ( ٦٨٦ هـ ) . واستقلت السند والمولتان بدورهما بيد مملوك  
آخر من ممالك السلطان معز الدين واسمه ناصر الدين قباجه في نفس  
سنة قتل السلطان وخرجت عن تبعية الغوريين وانحصرت سلطنة غياث  
الدين محمود في نفس حدود ست وغراه وفيروزكوه وبلاد الغوريين  
الأصلية .

وكان غياث الدين محمود رجلا غير كفء لاهيا لاعبا لهذا عصاه  
أمرؤه الأدنون وأقاربه ودعا أكثرهم السلطان محمدا خوارزم شاه  
للاستيلاء على البلاد الغورية حتى أن عز الدين حسين بن خرميل والى  
هراة الذى كان من عهد السلطان غياث الدين الغورى ميالا دائما الى  
حماية خوارزم شاه أعطى هراة ليسيطر عليها الخوارزميون ، وفصل  
خوارزم شاه أيضا بلخ عن تصرف أميرها الغورى في ( ٦٠٣ هـ ) ولم ير  
غياث الدين محمود مفرا من أن يعتبر نفسه مطيعا خاضعا للسلطان محمد  
وعاد خوارزم شاه الى خوارزم .

وفي ( ٦٠٤ هـ ) حينما انشغل السلطان محمد ملك خوارزم بفتح ما  
وراء النهر وهرب القراخطائيين مال حسين بن خرميل الذى كان حاكم  
هراة من جانب خوارزم شاه الى غياث الدين محمود وعصى خوارزم شاه  
فأمسك به عمال خوارزم شاه وقتلوه وأرسلوا برأسه الى خوارزم . ولما  
سمع أخو محمد خوارزم شاه تاج الدين عليشاه الذى كان يحكم طبرستان  
نائبا عن أخيه أن أخاه وقع أسيرا في قبضة القراخطائيين قدم خراسان من  
طبرستان ونادى نفسه سلطانا . وسرعان ما تخلص خوارزم شاه من أسر  
فلاذ تاج الدين عليشاه في ( ٦٠٦ هـ ) بغياث الدين محمود الغورى خوفا

من أخيه • فطلب خوارزم شاه تسليم أخيه من غياث الدين محمود الذي ألقى بعلی شاه في سجن فيروزكوه • وفي النهاية قتل أتباع علی شاه غياث الدين محمود في ( ٦٠٧ هـ ) ونادوا بتاج الدين علی شاه المحبوس ملكا علی الغور وفیروزكوه •

٨٠٩ - بهاء الدين سام وعلاء الدين أئمز

( ٦٠٧ - ٦١٠ هـ )

اختارت جماعة من أمراء الغور بعد قتل غياث الدين محمود ابنه ذا الأربعة عشر عاما بهاء الدين سام أميرا ولم يدعوا علی شاه ينجو من الحبس فيصل للسلطنة • لكن علاء الدين أئمز وهو أمير آخر من الغوريين وابن علاء الدين حسين جهانسوز هاجم بعون خوارزم شاه فيروزكوه وفي منتصف جمادى الأولى ( ٦٠٧ هـ ) انتصر علی بهاء الدين سام وسائر أمراء أسرة غياث الدين ومعز الدين وأصبح تحت حماية خوارزم شاه أميرا للغور وفیروزكوه واشتغل حتى ( ٦١٠ هـ ) أغلب وقته بقتال أمراء غزنة الأتراك وتاج الدين يلدز حتى قتل وقتذاك بيد أحد أمراء غزنة أولئك

علاء الدين محمد بن شجاع الدين علی

( ٦١٠ - ٦١٢ هـ )

عين تاج الدين يلدز بعد مقتل علاء الدين أئمز محمدا سلطانا وكان ابن شجاع الدين علی سابع أبناء أبی السلاطين الملك عز الدين حسين وقد تأمر أيضا بعد موت السلطان غياث الدين فيما سبق أربعة أعوام في الغور وفیروزكوه • وبعد عامين من الامارة سلم علاء الدين محمد فيروزكوه في ( ٦١٢ هـ ) الى عمال محمد خوارزم شاه وأرسل به عمله الى جرجانية وبهذا انتهت سلسلة السلاطين الغوريين •

### أسماء ملوك الفور وأيام امارة كل منهم

- ١ - سيف الدين السورى بن الملك عز الدين حسين ( ٥٤٣ - ٥٤٤ هـ )
- ٢ - علاء الدين حسين جهانسوز أخو سيف الدين ( ٥٤٤ - ٥٥٦ هـ )
- ٣ - سيف الدين محمد بن علاء الدين جهانسوز ( ٥٥٦ - ٥٥٥ هـ )
- ٤ - غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام بن حسن ( ٥٥٨ - ٥٥٩ هـ )
- ٥ - معز الدين محمد أخو غياث الدين محمد ( ٥٩٩ - ٦٠٢ هـ )
- ٦ - غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ( ٦٠٢ - ٦٠١ هـ )
- ٧ - بهاء الدين سام بن غياث الدين محمود ( ٦٠٧ هـ )
- ٨ - علاء الدين أتمش بن علاء الدين حسين جهانسوز ( ٦٠٧ - ٦١٠ هـ )
- ٩ - علاء الدين محمد بن شجاع الدين على بن عز الدين حسين ( ٦١٠ - ٦١٢ هـ )

## الفصل لثامن

### السلطين السلاجقة

(٤٢٩ - ٥٩٠ هـ)

#### أصل السلاجقة ونسبهم : —

سبق أن شرحنا في الفصل السادس ضمن تأريخ حكم شهاب الدولة مسعود بن الغزنوى أصل التراكمة السلاجقة ونسبهم وابتداء قوتهم ، وهنا لكى نوسع هذا الموضوع ايضا ، وكفانا هذا ، نقول باجمال ان السلاجقة طائفة من التركمان الغز والخزر سكنت في أيام شوكة الأمراء السامانيين في صحارى بحيرة خوارزم ( آرال ) والسواحل الشرقية لبحر أبسكون ( بحر الخزر ) ووديان سيحون وجيحون العليا وكانت مساكنهم تفصل البلاد الاسلامية فيما وراء النهر عن مساكن أتراك قرلق ( الخلخ ) الشرقيين والغز غير المسلمين . ولم يشتهر السلاجقة قبل رئاسة سلجوق عليهم شهرة خاصة وقد كانوا يعاونون لدخولهم في الاسلام ومجاورتهم البلاد السامانية الأمراء السامانيين حيناً في صراعهم الخانين التورانيين ولهذا فلم يكن السامانيون يمنعونهم التردد الى بلادهم حتى أن أحد رؤسائهم وهو ( سلجوق ) (٢) بن دقاق ارتحل بقبيلته في أواخر العهد

---

( ٢ ) تقضى قواعد اللغة التركية في رسم كلمة ( سلجوق ) أن تكتب لها ( سيلجيق ) أو ( سالجوق ) لأن مقطعى جيق وجوق ينيذان لصغير ، ويستعمل الأول مع الكلمات التى تقع الياء في مقطعها الأخير ، ويستعمل الثانى مع التى تقع الالف أو الواو في مقطعها الأخير . ويذكر بارتولد في كتابه ( تاريخ الترك في آسيا الوسطى ) ص ١٠٠ أن النطق الصحيح هو ( سالجوك )

الساماني وخطر حاله في مدينة ( جند ) من البلاد على شاطئ نهر سيحون  
في واديه الأعلى وأقام بها .

وبعد موت سلجوق أخذ ابنه ميكائيل وتراكمة قبيلة أبيه يجاهدون  
الكفار جيرانهم في جند ، لكنه قتل في معارك الجهاد وكان له ثلاثة أبناء هم  
يبنغو أو جبنغو وجفري وطفغرل .

وقد شد هؤلاء الأبناء الثلاثة بعد موت أبيهم رحلهم مع قبيلتهم  
التي عرفت بالسلاجقة من حين تولى سلجوق أمرهم من مدينة جند  
قاصدين حدود بخارى عاصمة السامانيين ، وآثروا الإقامة على بعد  
عشرين فرسخا من هذه المدينة ، لكن السامانيين أزالوهم عن مقامهم  
كانوا يخشون جوار هذه الطائفة ولها مثل هذه القوة والكثرة العددية ،  
فاتجه السلاجقة يخدمون ببغراخان الأفراسيابي في توران .

أما بغراخان فقد حبس حبيطة منه أكبر الاخوة وهو طغرل بن ميكائيل  
بن سلجوق لكن جفري نجح في تخليص أخيه ورحل أولاد ميكائيل مع  
السلاجقة هذه المرة من توران الى قرية نور من القرى القريبة الى  
وكان هذا حين تملك أيلك خان الأفراسيابي عاصمة السامانيين وقضى على  
أسرتهم .

---

كما وجده في كتاب محمود الكاشغري ، ( غامبري . تاريخ بخارى ) حاشية ( ١ )  
ص ( ١٧٢٧ ) .

كما أن دقاق صحتها تقماق وكان قائدا لجيش أمير يدمي بغو أو بوغو  
( أي الغزال كما سبق ) وذكر الأستاذ حمزة طاهر في مقال بمجلة الثقافة عدد  
( ٤٦٩ ) أن السلاجقة يعرفون رئيسهم باسم بغو وقائد الجيش باسم  
مثل طغرل وجفري وجاولي هي في الواقع القاب وليست أعلاما . أما طغرل  
سوياشي وتبلاهم باسم اينال وأن الأسماء التي اشتهر بها أبناء سلجوق  
نحو مصغر كلمة بوغراول أي القصاب من المصدر ( دوغرامق ) أي الذهب  
وجفري معناه اللامع أو المتألق من المصدر جقمق أي النعمان وإحطاً  
المستشرقون الأوربيون بربطهم كلمة طغرل مع كلمة دوغرو ( بمعنى استقيم )  
وحين ظنوا أن ( جفر ) هو ( جعفر ) محرفاً ( غامبري : حواشي مسفحات  
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ) .



وأخذ يترأى اعتبار السلاجقة وشوكتهم وقوتهم سريعاً وكثر عددهم تدريجاً وبلغت أهميتهم حدا جعلهم يهددون دائماً اتصال محمود الغزنوى مع قوة هذا السلطان العظيم الشأن بخانات التركستان فقد كانوا يقطعون طريق سفرائه الذين يترددون بين ايران وتوران •

وفى حدود (٤١٦هـ) صارت فتنة التراكمة السلاجقة فى بلاد ما وراء النهر سبب مشقات بليغة خاصة مجموعة منهم كان يرأسها أرسلان بن سلجوق أخو ميكائيل وعم بينغو وجنرى وطغرل وأقامت فى الصحراء المجاورة لبخارى وعاثوا فى الأرض فساداً • وأمسك السلطان محمود بأرسلان وأرسله ليحبس فى الهند وقضى على جماعة أخرى من طائفته ، ولما قدم الجيش الغزنوى يتعقبهم اتجهوا الى أصفهان وعرجت جماعة أخرى منهم الى آذر بايجان ومع هذا فقد ظلت فرق كثيرة من السلاجقة خاصة أصحاب أبناء ميكائيل فى خراسان •

وقد فشلت حملات أرسلان جازب والسلطان محمود كما مر قبل فى إزالة السلاجقة من مساكنهم المحكمة التى اختاروها فى أطراف جبل بلخان ( ما بين المناطق الجبلية شمال خراسان والساحل الشرقى لبحر الخزر ) ، وقد ظل السلاجقة يغيرون من هذه التحصينات طوال مدة حكم السلطان مسعود على بلاد خراسان والجوزخان وطخارستان •

وقد تفرق أتباع أرسلان بن سلجوق فى العراق وبلاد غرب ايران وشمالها الغربية وعرفوا باسم الغز العراقيين لكنهم عجزوا عن تأسيس دولة لهم عكس اخوانهم أصحاب أبناء ميكائيل وهم السلاجقة الأصليون الذين تمكنوا من تأسيس دولة عظمى بعد هزيمتهم لسنباشى كبير حجاب مسعود وفتح دندانتقان الذى انتهى بادالة دولة الغزنويين فى ايران ، هذه الدولة العظمى ، كما سنرى بعد قليل ، لا نظير لها من جهات عدة فى تاريخ الاسلام ، ولم يتأسس لغيرها من عهد انهيار الساسانيين حتى قيامها فى آسيا الغربية سلطنة بمثل وسعتها وعظمتها ووحدتها ادارتها ومركزيتها •

## ١ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق

(٤٢٩ - ٤٤٥هـ)

وكما ذكرنا خلال تاريخ حكم السلطان مسعود فقد دخل طغرل بن ميكائيل ، بعد أن أمده أبو القاسم على بن عبد الله الجويني المعروف بقاتد بوجكان ، نيشابور في شوال من عام (٤٢٩هـ) أي جلس على عرش مسعود بها بعد شهرين من تغلب السلاجقة على سبأشي وقبل سنتين من انتصارهم الحاسم في دندانقان ونادى بنفسه سلطانا . ويعد تاريخ جلوس طغرل في نيشابور والخطبة باسمه في شوال (٤٢٩هـ) بداية حكم السلاجقة .

ويعد جلوس طغرل واسقاط قوة الغزنويين في خراسان قسم قيادة الجيش السلجوقي البلاد المفتوحة ، ولم يكن بعضها قد سيطروا عليه تماما قبل ذلك الوقت ، بين أنفسهم كما يلي :

١ - من نيشابور حتى ساحل نهر جيحون وما وراء النهر كان نصيب جغري واسمه الاسلامي داود . وقد عجل جغري بفتح بخارى وبلغ وخوارزم وضمها كلها الى ملكه .

٢ - صارت قهستان وجرجان نصيب أخى طغرل لأمه ابراهيم بن ينال .

٣ - وتركت هراة وبوشنج وسيستان وبلاد الغور لابن عم طغرل وجغري ويغنو واسمه أبو على حسن بن موسى بن سلجوق .

٤ - أودعت رئاسة السلاجقة العامة أي منصب السلطنة في عهدة طغرل وكان اسمه الاسلامي ولقبه وكنيته ( ركن الدين أبو طالب محمد ) ، وانصرف طغرل الى حدود دولته الغربية بعد أن أصدر الخليفة العباسي القائم منشور حكمه واطمأن على الجانب الشرقي والشمال الشرقي لبلاده لأن قسما هاما من الممالك التابعة للغزنويين وآل بويه أو البلاد

تحت حمايتهم مثل كرمان وفارس وخوزستان وبلاد الرى والجبل وطبرستان وجرجان وايران الغربية لم تدخل طاعته حتى ذاك الوقت .

### فتوح جرجان وطبرستان في ٤٣٣ هـ : -

على النحو الذى مر تفصيله فى تاريخ آل زيار ، تمكن نوشيروان بن فلك المعالى منوچهر - الذى كان يعيش من بعد موت أبيه منوچهر تحت وصاية خاله باكاليجار الكوهى وكان تابعا مؤديا للخراج للسلطان مسعود الغزنوى حتى آخر حكمه - من أسر خاله فى حدود (٤٣٣ هـ) واستقل بنفسه ولم يلق بالا الى طغرل الذى أخذت قوته تتفاقم فى تلك الأيام واغتنم طغرل الذى لم تبرح مخيلته فكرة استيلائه على جرجان وطبرستان الفرصة يضم هذه البلاد فتتحرك صوبها ، وهرب نوشيروان من جرجان الى سارى ، وفى النهاية تعهد أن يدخل فى تبعية طغرل لما رأى أنه لا يدانيه قوة وأن يرسل ثلاثين ألف دينار الى ديوانه . وقبل هذا طغرل ولكى يضمن أن تكون جرجان وطبرستان تتبع أمره وإدارته مباشرة سير اليهما أميرا من أمرائه هو مرد آويج لحكومتهما ، وبهذا انتهت أسرة آل زيار على الحقيقة ، فمع أن بعد موت نوشيروان (٤٣٥ هـ) حكم ابنه جستان سنين عدة أماره جرجان لكن امارته لم تكن غير اسمية لأن الأمور كانت تسير وفق أوامر عامل طغرل السلجوقى مباشرة .

### فتوح خوارزم والرى وهمدان في ٤٣٤ هـ : -

سبق قولنا ان أحد أولاد آلتون تاش حاكم خوارزم وهو اسماعيل خندان استخلص ولاية خوارزم فى أيام صراع السلطان مسعود الغزنوى مع التراكمة السلاجقة من قبضة العمال الغزنويين ، فاستبعاد السلطان مسعود خوارزم بعون شاه ملك بن على أحد الأمراء الذين كانوا تحت حكمه فلاذ اسماعيل بطغرل وجغرى فحمل جغرى على خوارزم ممدا

اسماعيل لكن شاه ملك أوقع به الهزيمة ، واستمر الحال على هذا الخوان حتى غلب مسعود وقتل وانتهد سلطنته الى مودود وظلت خوارزم على حالها بيد شاه ملك بن على نائب الغزنويين .

وفي (٤٣٤هـ) توجه طغرل بنفسه الى خوارزم فتغلب على شاه ملك بعد حصارها واختفى شاه ملك وركن الى الفرار عن طريق دهستان وطبس الى كرمان ومكران لكنه وقع هناك أسيرا في يد ابراهيم بن ينال وبهذا انضمت خوارزم الى البلاد السلجوقية .

وفي بذاية (٤٣٣هـ) مات علاء الدولة أبو جعفر كاكويه وقد سبق ذكرنا أحواله وخروجه ضمن تاريخ آل بويه والغزنويين وبلغت ادارة حكومته التي شملت الري وأصفهان وهمدان وجزءا من بلاد غربى ايران ولده ظهير الدين أبا منصور فرامرز . الا أن أخا آخر لأبى منصور هو أبو كاليجار كرشاسف لم ينضو لذلك فاستقل ب نهاوند ، وبعد قليل تابعه أخوه أبو حرب فأعلن العصيان فهباً هذا الحال من الشقاق المجال لتدخل السلاجقة فأنتى في نفس العام (٤٣٣هـ) ابراهيم ينال الري وطلب الى ظهير الدين أن يقبل طاعة السلاجقة فعصى ظهير الدين ولما رأى أنه يواجه خصما قويا ترك الري وأتى همدان وبروجرد وصالح أخاه أبا كاليجار كرشاسف وكان كرشاسف على استعداد أن يعترف برئاسة أخيه عليه بشرط أن يأخذ حكومة همدان .

وخف ابراهيم بن ينال في (٤٣٤هـ) بعد استيلائه على الري يتعقب ولدى علاء الدولة كاكويه في بروجرد فضمها اليه ، فتحصن أبو كاليجار باحدى قلاع شابورخواست ( خرم آباد الحالية ) ولم يمك به ابراهيم مع سيطرته على شابورخواست وقتله الناس وتصرفاته القبيحة ، ولما سمع بقدم طغرل الى الري أتاه وعاد كرشاسف الى همدان .

وقدم طغرل بعد فتحه خوارزم وجرجان وطبرستان الى الري من خراسان فأخذ الري وبلاد الجبل من ابراهيم ينال وولاه سيستان . وفي

حملته هذه تملك بلاد قزوين وأبهر وزنجان ودخل أمراء الديلم وطارم تحت تبعيته ، ولما لم ير أبو منصور فرامرز وأخوه أبو كاليجار كرشاسف مناصا من التسليم اليه بعد أن أدركا أنهما لن يتخلصا منه سلما اليه بلادهما . وترك طغرل أصفهان على حالها الى أبي منصور لكنه طلب كرشاسف الى الري وأخذ منه همدان وأعطاها أحد العلويين . لكن أهل قرية كنكاور لما أبوا تسليم قلعته لطرغل أرسل اليهم كرشاسف فبقى بها الأخير . وأثناء مقام طغرل بالري أمر بعض جنده بأخذ همدان وكانت هذه الولاية كما نعلم في هذا الوقت تحت سيطرة أبي كاليجار الديلمي . وأرسل الأمير الديلمي وزيره من شيراز لحفظ كرمان فغلب الوزير جند طغرل وحفظ كرمان مؤقتا من سيطرتهم .

وفي (٤٣٦هـ) نزل كرشاسف من قلعة كنكاور واسترد همدان من عمال طغرل وخطب فيها للأمير أبي كاليجار الديلمي وقام بتصريف أمورها ثانية . ولما سمع طغرل بهذا أنفذ إبراهيم ينال من سيستان الى همدان فتصرف في حملته هذه جميع بلاد الجبل حتى حدود نهروان وخوزستان وهزم كرشاسف والأكراد الذين انبعثوا لعون الأخير . وكان الملك أبو كاليجار الديلمي يود أن ينهض لعون كرشاسف محمية لكنه لم يستطع الحركة بسبب شيوخ المرض في خيل عسكره ، وبهذا بلغت حدود دولة السلاجقة حدود العراق العربي من ناحية الغرب .

### طغرل والديالة الكاكوية وآل بويه :-

وفي الوقت الذي انشغل فيه طغرل وأخوه إبراهيم ينال بضبط بلاد ايران الوسطى والغربية ، كان الشقاق والخلاف مشتعلا ما بين أفراد الأسرة الكاكوية من ناحية وبينهم وبين آل بويه من ناحية أخرى ، وكانت هذه الحالة خادمة للأتراك السلاجقة تماما .

ففضلا عن الصراعات الدائمة بين أبناء علاء الدولة كاكوية وقد أشرنا اليها اليها فقد كانت المنافسة شديدة بين أبي منصور فرامرز

كاكويه والملك أبي كاليجار الديلمي أيضا حتى أن أبا منصور في (٤٣٥هـ) هاجم كرمان لاستقطاعها من آل بويه لكنه غلب فالتجأ إلى طغرل على أمل أن يسيطر السلطان السلجوقي على بلاد البويهيين ويدعها له \* ولما لم يحقق طغرل له أمله وعاد إلى خراسان كاتب أبو منصور خوفا في بداية (٤٣٧هـ) الملك أبا كاليجار وقبل أن يدخل طاعته ويخطب له في أصفهان فقبل الأمير البويهي عذره وقر الصلح بينهما \*

وفي (٤٣٨هـ) قدم طغرل إلى أصفهان ليضمها وحاصرها وعجز عن فتحها ووقف أبو منصور بقوة أمام السلطان السلجوقي وفي النهاية قنع طغرل بأن يرسل إليه أبو منصور مالا سنويا ويخطب له وأقلع عن فتح أصفهان \*

وفي هذا الحين كان إبراهيم بن ينال في غرب إيران منشغلا خاصة في كرمانشاه بقمع الأكراد والغز العراقيين واستقطع بعد ضرب هؤلاء جميعا هذه المناطق من قبضة هذه الجماعات وعمال الملك أبي كاليجار الديلمي ، ودخل أبو كاليجار في الصلح مع طغرل مضافة أن يستولى إبراهيم ينال على العراق وخوزستان وفارس فقبل طغرل عرضه وكاتب أخاه في (٤٣٩هـ) أن يتجنب مهاجمته بلاد أبي كاليجار ، ولكي يستحكم الصلح بينهما تزوج طغرل بابنة أبي كاليجار وزوج ابنة أخيه داود أو أخت الب أرسلان لابن أبي كاليجار \*

وفي (٤٤١هـ) تحرك طغرل ثانية من خراسان إلى إيران الوسطى والغربية لقلقه من تفاقم قدرة أخيه إبراهيم بن ينال الذي استحوذ على بلاد الجزيرة وأرمينية حتى حدود دولة الروم الشرقية وأصاب الروم بالهزائم فضلا عن إيران الغربية وكان غير راض من ناحية أخرى لسلوك أبي منصور كاكويه المنافق في أصفهان \*

وبعث طغرل أولا إلى أخيه أن يخلي همدان وقلع إيران الغربية التي بتصرفه ولما لم يطع إبراهيم وأورد وزيره مورد القتل بتهمة أنه

تسبب في الفساد بينه وبين أخيه عجل طغرل الى همدان ، وانقلب ابراهيم ولاذ بقلعة ولم يفلح في النجاة من أخيه فاضطر الى الاستسلام ، فلتقاء طغرل باحترام وأبقاءه عنده ودخلت جميع بلاد ايران الغربية والجزيرة في طاعته .

وبعد أن أنهى طغرل فتنة ابراهيم بن ينال اتجه الى أصفهان وحاصرها في المحرم من (٤٤٢هـ) واستمر حصاره لها عاما أرسل خلاله جيشا أيضا الى فارس . وفي النهاية في المحرم من (٤٤٣هـ) اقتحم طغرل أصفهان وقضى على دولة الديالة الكاكويه فيها وسير أبا منصور الى حكومة يزد وأبرقو .

وكان ملك آل بويه في هذا التاريخ كما رأينا في تاريخهم في يد الملك لارحيم ولد الأمير أبي كاليجار الذي بلغ في (٤٤٠هـ) اماره كرمان وفارس وخوزستان وعمان والعراق العربي خلفا لأبيه لكن لم يكن حكمه قويا مستحكما لأن أعداءه كانوا في الداخل كثرة كما أن خوارج عمان والسلاجقة كانوا يضعون بلاده تحت تهديدهم من ناحية خراسان وقهستان وأصفهان وكرمانشاه ولم يكن هو بالشخص الذي يستطيع أن ينقذ كرمان من تهديد ألب أرسلان أو فارس وخوزستان والعراق من خطر طغرل .

وفي (٤٤٣هـ) حين ضم طغرل أصفهان اليه ، كما مر في تاريخ الديالة ، استعاد الملك الرحيم شيراز وأسطخر من أبي منصور فولادستون أحد أبناءه الذي كان استولى عليهما فاستمد فولادستون طغرل ، وتمكن فولادستون بعونه في (٤٤٥هـ) من شيراز وخطب فيها لطرغرل أولا ثم للملك الرحيم ثم لنفسه .

ومع أن فولاد أحد الأمراء الديالة طرد في (٤٤٧هـ) أبا منصور من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وبعد قليل استعاد الملك الرحيم شيراز الا أن طغرل كما سيلي أسر الملك الرحيم في (٤٤٧هـ) وانهارت بهذه

الحادثة دولة دياملة آل بويه بيد طغرل الأول السلجوقي \*

### أوضاع دار الخلافة وأذربايجان والجزيرة عهد تغلب طغرل : —

كانت أوضاع دار الخلافة وبلاد الجزيرة وأذربايجان في هذا الوقت سيئة ، كانت الخلافة بيد القائم بأمر الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ) الخليفة العباسي لكن الأمور جميعها كانت بيد أحد غلمان بهاء الدولة الديلمي السابقين وهو أبو الحارث أرسلان البساسيري (١) رئيس الجند الأتراك ولم يكن للخليفة القائم في الحقيقة أدنى نفوذ في مقابل البساسيري وأصحابه .

وفي بلاد الجزيرة وعراق العرب أي الموصل وديار بكر والحلة كان ثلاث أسر من الأمراء المحليين تحكم حكما يعد من الناحية الظاهرية تابعا للخليفة العباسية لأن طاعتهم له كانت من الناحية الدينية والروحية وحسب ولم يكن أمراء هذه الأسر ينصتون لأوامر الخليفة كثيرا في منازعاتهم وصراعاتهم أحدهم مع الآخر .

أما الخلفاء الفاطميون الذين أسسوا في (٢٩٧ هـ) دولة في حدود تونس الحالية ثم استولوا في (٣٥٦ هـ) على وادي النيل وبنسوا مدينة القاهرة في ذكرى فتحهم لبلاد مصر وجعلوها عاصمتهم فكانوا أعداء كما نعلم للخلفاء العباسيين في بغداد والأمراء الذين يحكمون تحت حمايتهم بسبب اعتناقهم للمذهب الاسماعيلي . ولما كان الدعاء الاسماعيليون الذين نجحوا في تأسيس الخلافة الفاطمية قد انبعثوا من ايران ولم يتمكنوا من تأسيس دولة عظمى في موطنهم الأصلي بسبب قوة السامانيين والغزنويين فقد كان خلفاؤهم يودون دائما بسط دائرة استيلائهم على الشرق أيضا ويقضون على الخلافة العباسية تماما ويفوضون أمورها الى العلويين الذي انتسب اليهم الفاطميون .

---

( ١ ) البساسيري نسبة الى بساسير وهي الشكل القديم ( بسا ) أو ( غسا ) وهي المدينة المعروفة من مدن فارس ( سيأتي ) .



ومع أن الفاطميين قد فقدوا نتيجة لانتقال عاصمتهم من تونس إلى القاهرة القسم الغربي للكهم أى جزائر صقلية ومالطة وطرابلس لكنهم مدوا حدود دولتهم في الشرق في بلاد الشام ، مثلما ضموا اليهم حلب في (٣٩٤هـ) بسبب صاحبها سيف الدولة الحمداني واعتناقه المذهب الفاطمي وظلوا يرسلون إلى هذه الولاية واليا من قبلهم إلى أن استولى أعراب بنى مرداس عليها في (٤١٤هـ) . وكذلك قبل بعض أمراء ديار بكر والنقاط الأخرى في الجزيرة تبعية حكم خليفة مصر الفاطمي فأضحى القائم العباسي وبغداد مهدين بالخطر الفاطمي خاصة في عهد خلافة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) .

وكان إمارة الموصل بيد الأمراء العقيليين العرب الذين تولوها من (٣٨٦هـ) . أما ديار بكر فقد استولى عليها أيضا طائفة من الأكراد هم بنو مروان من (٣٨٠هـ) وكانت إمارة الحلة مع قوم من العرب أسمهم بنو مزيد أسموا إمارتهم في (٤٠٣هـ) . وكانت إمارة آذربايجان في ذاك الحين في يد أسرة من مهاجري العرب سميت بالرواديين أتوا هذا البلد من أوائل الخلافة العباسية ووصلوا بالتدريج إلى حكمها وكان يحكمها آنذاك منهم أبو منصور وهسودان ولد محمد أو (مملان) وأبو منصور وهسودان بن مملان هو ممدوح الشاعر المشهور قطران (٢) .

وقدم طغرل في المحرم من (٤٤٦هـ) إلى آذربايجان فأحنى له الأمير أبو منصور الروادي في تبريز رأس الاستسلام وأرسل ابنه رهينة إليه وقبل أن يخطب للسلطان السلجوقي ثم رحل منها طغرل إلى كنجة فأطاعه

---

( ٣ ) هو أبو منصور قطران العضدي التبريزي من شعراء القرن الخامس والعصر السلجوقي ومن أول من أنشأ ينظم في تبريز الفارسية . من آثاره ديوان يميل أسلوبه غالبا إلى الفرخي والعنصري ، ومن قصائده المعروفة قصيدة في وصف زلزال تبريز الذي حدث عام (٤٣٤هـ) . وقد امتزج أغلب شعره في شعر الرويكي لتشابه اسم ممدوح الثاني وهو أبو نصر الساماني مع كنية ممدوح قطران وهو أبو نصر مملان . وغوى الديوان له كتاب في اللغة اسمه تفسير في لغة الفرس .

أميرها وأسرع طغرل الى مدينة ( ملازكرد ) من بلاد أرمنية وكانت تحت طائفة البيزنطيين فخرّب ما حولها وبعد استئساره واغتنامه منها كثيرا وادخال الأمير الرواني لديار بكر في طاعته عاد الى آذربايجان ومنها الى الري .

وفي بداية ( ٤٤٧هـ ) قصد طغرل همدان من الري وأظهر أنه يريد زيارة الكعبة بيت الله ويصلح طريق مكة وكان يود باطنا أن يقضى على المستنصر بالله الفاطمي في مصر ويزيل الدولة الفاطمية نهائيا وأمر لهذا الغرض أن يجمع عماله في البلاد المجاورة للعراق العربي مثل دينور وكرمانشاه وحلوان جنودهم .

ولما قفل طغرل وصحبه راجعا الى العراق العربي قدم الملك الرحيم الديلمي الذي كان ما يزال يخطب له في دار الخلافة من واسط الى بغداد بهدف أن يمنع طغرل . ولم يكن هدفه هذا ممكنا لأن طغرل كان قد طمأن الخليفة من جانبه قبل ذلك وأظهر له الطاعة والانقياد من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان وزير القائم وجماعة من حاشيته برفقة طغرل سرا ، وأهم من هذا كله أن أرسلان البساسيري رئيس الجند الأتراك قد خرج من ( ٤٤٦هـ ) عن طاعة الخليفة العباسي واتصل خفية بالمستنصر الفاطمي وحرّم الخليفة والملك الرحيم من معاونته . ونتيجة لهذه الأوضاع خطب بأمر الخليفة القائم في بغداد في الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ( ٤٤٧هـ ) وأسقط اسم الملك الرحيم الديلمي من الخطبة ودخل طغرل بغداد باجازه القائم فقبض على الملك الرحيم بعد امارة بغداد ستة أعوام وعشرة أيام وبهذا سقطت دولة آل بويه الذين استولوا على بغداد وحكموا على خليفاتها منذ عهد معز الدولة بلا انقطاع .

وتزوج القائم في المحرم من ( ٤٤٨هـ ) بابنة داود وأخت ألب أرسلان وبنت أخى طغرل وقامت بهذا علاقة التقرب بالمصاهرة بين الأستين العباسية والسلجوقية .

وأثناء مقام طغرل ببغداد هاجم أرسلان البساسيري الموصل مستظهر بالمستنصر الفاطمي وأشياعه في الجزيرة تقاتل في مدينة سنجار مع قريش العقيلي الأمير الموصلى وقتلمش ابن عم طغرل وكان نور الدولة دببى المزيدي يساعد البساسيري والخليفة الفاطمي في هذه المعركة ، وخرج البساسيري ونور الدولة منتصرين وهزم قريش وقتلمش هزيمة شديدة ، ولكى يتلافى الخليفة القائم الخطر المترتب على هذه الهزيمة وكان يتوجه الى خلافته ولكى يستريح من شر جند طغرل الذين تسببوا في ايذاء الناس لطول مقامهم ببغداد فقد أمر طغرل بأن يتجه الى الجزيرة فاتجه اليها السلطان بعد مكث ثلاثة عشر شهرا .

وكان نتيجة تحرك طغرل أن دخل نور الدولة في طاعته وكذلك الأمير الروانى لدياز بكر وعاد طغرل الى بغداد (٤٤٩هـ) بعد اخماد فتنة هذه البلاد واثابة ابراهيم ينال فيها . أما البساسيري فقد لاز بحدود الشام ولما سمع أن ابراهيم ينال قد تحرك الى بلاد الجبل من الموصل عاصيا طغرل أتاها في (٤٥٠هـ) واستولى عليها لكن طغرل عجل اليها من بغداد فهرب البساسيري من أمامه .

### ازالة فتنة البساسيري في ٤٥١هـ : —

وبعد عودة طغرل من بغداد وتحركه الى همدان انتهر البساسيري الفرصة وهاجم بغداد فتركها الخليفة القائم فلم يكن يطيق مقاومته ودخل البساسيري في الثامن من ذى القعدة (٤٥٠هـ) عاصمة العباسيين وخطب للمستنصر بالله الفاطمي وأزال اسم بنى العباس من خطبتها .

أما طغرل فقد صار تحت وطأة ثورة أخيه ابراهيم بن ينال بعد وصوله همدان وطلب عون أولاد أخيه داود ألب أرسلان وقاورد وياقوتى لقلعة الجند معه فأتوا بعونه وهزم جماعتهم ابراهيم ينال بالقرب من الرى وأمر طغرل هذه المرة بقتله ولما اطمأن قلبه من هذه الناحية خف الى بغداد ليطرد البساسيري عنها ويعيد القائم للخلافة .

وأخلى البساسيري في السادس من ذي القعدة (٤٥١هـ) دار الخلافة  
 أي بعد عام بالضبط مخافة طغرل وثورة الناس فأتى القائم وطغرل بغداد  
 وبعد أن أقر طغرل الخليفة على كرسى الخلافة قصد الكوفة لاجتماع  
 البساسيري حتى يمنعه من التحرك الى الشام ليقطع طريق رجوعه •  
 وقتل البساسيري نتيجة حرب واحدة وأرسل رأسه بأمر طغرل الى القائم  
 ببغداد وكفى الله ببغداد شر البساسيري واستيلاء الفاطميين •

### وفاة طغرل الأول في ٤٥٥ هـ : —

عاد طغرل الى بلاد الجبل بعد القضاء على البساسيري واصلاح  
 أمور العراق العربي والجزيرة ولما كانت زوجته قد وافها أجلها في آخر  
 (٤٥٢هـ) خطب من الخليفة القائم ابنته ، فاستنكف القائم أولا أن يجيبه  
 هذا الأمر لكنه رضى كرها خوفا من تهديدات طغرل وفي ذي القعدة من  
 (٤٥٤هـ) تزوجت ابنة القائم بطغرل رسما •

وفي أوائل (٤٥٥هـ) قصد طغرل بغداد من أرمنية وبعد نحو شهرين  
 من مكثه في دار الخلافة تحرك الى الري ومعه زوجة الخليفة ابنة أخيه  
 التي كانت غضبي من زوجها ، لكنه مرض بهذه المدينة وبعد قليل مات بها  
 في الثامن من رمضان (٤٥٥هـ) وهو في السبعين وقد استمرت مدة سلطنته  
 من شوال (٤٢٩هـ) حتى رمضان (٤٥٥هـ) أي نحو ستة وعشرين عاما •

وزير طغرل المشهور هو أبو نصر منصور بن محمد الكندري من  
 أهل قرية كندر بنيشابور والذي تلقب بعميد الملك ، وكان قد وزر من قبل  
 وزارته التي بدأت من أواخر (٤٤٨هـ) واستمرت حتى آخر عمره ، أربعة  
 نفر آخرون في بلاط طغرل أشهرهم أبو القاسم علي بن عبد الله الجويني  
 المعروف بقائد بوزجان سبق ذكره •

وعبد الملك الكندري الذي يقف من نظام الملك الطوسي وهو من  
 عظام وزراء السلاجقة موقف المنافسة والخصومة من المنشئين الكبار في

اللغتين العربية والفارسية ويعود الفضل في أكثر ازدهار دولة طغرل الى كفاءة هذا الرجل المشهور وحكته ، وبسبب نفاذ بصيرته في الأمور وقوته العلمية والأدبية وتدبيره وسياسته تمكن طغرل من الاستيلاء ببسر على العراق العربي ودار الخلافة وادخال الخليفة القائم ووزرائه وحاشيته بلا قتال وسفك دم تحت طاعته ، وقد بلغ نفوذ عميد الملك الأدبي في بلاط الخلافة حدا كان يجعله يفصل دائما في الخلافات بين البلاطين العباسي والسلجوقي لصالح طغرل .

## ٢ — عضد الدولة محمد ألب أرسلان بن جفري

( ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ )

اختار طغرل الأول في مرض موته بالرى سليمان أحد أبناء أخيه داود جفري بريك ، وكان وأمه ببلاطه ، خلفا له ، ورفع عميد الملك الكندري بعد موت طغرل سليمان الى الخلافة وأجرى الخطبة باسمه . وكان جفري بريك في حياة طغرل أميرا للقسم الشرقي لبلاط السلاجقة وهي ما وراء النهر وخراسان وكان يدفع عنه هجوم الغزنويين والبخاريين الى أن مات في ( ٤٥١ هـ ) وخلفه في ولايته من أولاده الأربعة ألب أرسلان ( ١ ) وقاورد وياقوتى وسليمان الأول ألب أرسلان . ثم لحقت زوجته وسليمان ابنها ببلاط طغرل ، وبعد أن مات أخوه تزوج بها ثم جعله طغرل باضرار زوجته هذه من سليمان ابنها وارثه .

ولما بلغ خبر موت طغرل خراسان ، عصى ألب أرسلان أخاه ونادى بنفسه وارثا لطغرل يؤازره في ذلك وزيره المشهور أبو علي حسن بن علي ابن اسحاق الطوسي أو خواجه نظام الملك وأخذ جانبه بعض الأمراء السلاجقة أيضا . ولما رأى عميد الملك الكندري أن سلطنة سليمان بن

---

( ١ ) ألب في التركية تعني البطل أو القوي وأرسلان هو الأسد فيها أيضا .

تتحقق مع وجود ند قوى كآلب أرسلان خطب لسلطنة الأخير في الري  
وجعل من سليمان وليا لمعهده .

### قتل عميد الملك في ذى الحجة ٤٥٦ هـ :-

وبعد أن جلس ألب أرسلان على الحكم يمم من نيشابور وبرفقتة  
نظام الملك شطر الري لكي يدفع ابن عم أبيه شهاب الدولة قتلмыш بن  
اسرائيل الذي ادعى السلطنة واستولى على الري . وجرت الحرب بين  
أتباع قتلмыш وألب أرسلان على مقربة من (خوار) بالري وهزم قتلмыш  
ولفظ آخر أنفاسه في المعركة ، وقتلмыш هذا كما سوف نشير هو جد  
شعبة السلاجقة الروم (٢) .

وبعد هذا الفتح دخل ألب أرسلان ونظام الملك الري في آخر المحرم

( ٢ ) حينما كان أتباع طغرل واخويه تحت حماية الغزنويين كان أتباع  
أرسلان بن سلجوق الذين عرفوا بالغز العراقيين يسيحون في العراق  
وأذربيجان وأرمينية وقد شهر من قادتهم زمن طغرل قزل وككتاش . ومع  
بداية هجمات السلاجقة على أرمينية عهد باسيل الثاني كما سيلي استطاعت  
قبيلة البجناك أن تصل إلى الدانوب وتعبه إلى بلغاريا وتدخل صفوف جيشه  
وظلت القبائل التركية على صلة بالأناضول ينفذون إليه ويخرجون منه صيفا  
وشتاء ارتيادا للبرعى والنجعة . ولما تأسس للسلاجقة دولة في غارس كانت  
جموع التركمان الواعدة تشكل خطرا على أمن دولتهم فلهذا دفع طغرل بأموال  
الغز والقرلوق والقيجاك والقلاج ، ومن بعده ألب أرسلان وملكشاه إلى  
جهاد البيزنطيين ليجنبوا المسلمين غاراتهم وليقووا نفوذ دولتهم بأضعاف  
الروم وليضمنوا لقبائلهم الأرض والغذاء . وقد وضع ابن الأثير ( الكامل ٦/٩  
٢٢٧ ، ٢٤٩ ) هذه السياسة في ضم أبراهيم بن ينال جموع الغز إليه  
وجهاد بهم الروم ووصولهم إلى ملازكرد وأرضروم وقاليقلا وطرابزون  
واسرهم ملك الأبخاز واقتربهم إلى القسطنطينية .

وبعد موت أرسلان وأصل ابن أخيه قتلмыш بن اسرائيل فتوح  
الأناضول ، ذكر القلقشندي في صبح الأعشى ( ح ٥ ص ٣٥٨ ) طبيعة مصر  
١٩١٧م ) أن قتلмыш فتح قونية وأقصر . وزالت أرمينية بفتح ألب أرسلان  
في آتني وقارص كما سيلي ثم ما نأكرت فأنفتح الطريق أمام السلاجقة خاصة  
سليمان بن قتلмыш الذي وأصل جهاد أبيه بعد أن رفعته قبيلة ( ياب أو غلو )  
رأسا لها وقد هربت إلى الأناضول اثر ثورتها على طغرل وألب أرسلان ، وبعد  
سلسلة من الغزوات أسس فرع السلاجقة في الأناضول أو سلاجقة الروم .

من (٥٦٤هـ) ودخل عميد الملك ليعتذر الى نظام الملك مقدما خمسمائة دينار هدية ، فلما خرج عن بلاط السلطان والوزير تحرك أكثر الجنود في ركابه . وخاف السلطان والوزير من هذا الأمر فأمر ألب أرسلان بسعاية الوزير فيما يظهر بالامساك بعميد الملك فأرسل رأس هذا الوزير الفاضل الى نظام الملك في كرمان .

### فتوحات ألب أرسلان : -

أوسع ألب أرسلان من حدود المملكة التي ورثها عن عمه طغرل في غربها وشمالها الشرقي وفي ظرف تسع سنوات ونصف سنة أوصل حدودها بكفاءته وحنكة وزيره نظام الملك حتى شاطئ سيحون والبحر المتوسط وأزال جميع خصومه الذين ادعوا السلطنة والمخالفة ، ومن بين ذلك ذهابه في (٥٦٤هـ) لتأديب أمير الختلان ( من ولايات الوادي الأعلى لجيحون ) الذي رأس العصيان وقتله له وأدخل ولايته في طاعته ، ثم اسرعه لتأديب عمه بيبغو والي هراة الذي عصاه فغلبه وأدخله طاعته ثم سيطر في عودته من هراة الصاغانيان في طريقه الى نيشابور .

وبعد أن اطمأن قلبه لجانب ما وراء النهر وخراسان عزم الجهاد فقصده أرمنية وبلاد الروم الشرقيين ( البيزنطيين ) فتقدم من نيشابور الى الري ومنها الى آذربايجان وجعل من نخجوان مركزا لمعسكره .

### فتح أرمنية وجزء من بلاد الكرج والأبخاز في ٥٦٤هـ : -

كانت أرمنية وهي المنطقة الواقعة بين البصيرات الثلاث ( وان ) و ( أورمية ) و ( كوكجه ) قد عادت اليها قوتها وظهر بها ملوك أقوياء وحدوا بلادها تحت حكم وإدارة واحدة وذلك منذ أن ضعفت الخلافة العباسية وغفل عنها البيزنطيون بسبب انصرافهم الى دفع هجوم مسلمي الجزيرة والشام .

ولما انتهت الامبراطورية البيزنطية الى سلطانها الكف النشاط

باسيل الثالثى أو باسيلئوس (٣٦٥ - ٤١٦ هـ) لم يكن لهذا الامبراطور فكر غير تجديد عظمة الروم السالفة فبسط جدود دولته فى شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى ومن بين ذلك استولى على بلغاريا غربا وهاجم أرمينية شرقا وسيطر على الجزء الأعظم بين بصيرتى وان وأورمية ، وصارت أرمينية عهد أن كان السلاجقة يؤسسون دولتهم تحت وطأة ندد قوى هو باسيل وجار مقتدر آخر هى دولة الأبخاز ( فى شمال أرمينية وسواحل البحر الأسود ) •

وبعد أن تمكن باسيل من أرمينية توجه من جنوب شرقى البحر الأسود الى بلاد الأبخاز حيث كان يحكم ملكها الشاب ( جيورجى ) ، الا أن جيورجى بعون الأرامنة والمسلمين أوقع بباسيل الهزيمة فخفضت شوكة امبراطور بيزنطة وزاد خلاف ذلك اعتبار دولة الأبخاز وأهميتها • وبعد أن مات جيورجى فى ( ٤١٨ هـ ) خلفه ابنه ذو التسع السنوات ( بقراطى ) تحت ادارة أمه • ولما بلغ بقراطى سن الرشد ، فكر فى بسط مملكته فهاجم لذلك بلاد القفقاز المسلمين أى ولايات تفليس وآران وألحق فى ( ٤٣٠ هـ ) بمسلمى آران هزيمة شديدة وحصر تفليس فى ( ٤٣٤ هـ ) •

ولم تدم فترة قوة بقراطى طويلا لأن الروم الغربيين غلبوه من ناحية ، وهاجم ابراهيم بن ينال أخو طغرل بلاده فى ( ٤٤٠ هـ ) من ناحية أخرى ، فلاذ بقراطى باستمداد امبراطور بيزنطة الا أن الترك السلاجقة هزموا الجيشين معا ، وتقدم ابراهيم بن ينال فى عهد طغرل الأول بعد فتحه بلاد أرزنه الروم ( أرض روم ) وملازكرد حتى ميناء طرابزون •

وفى ( ٤٤٦ هـ ) تقدم كما مر سابقا ألب أرسلان وابنه ملكشاه ووزير نظام الملك الى نخجوان • وقام ملكشاه ونظام الملك بفتح كثير من قلاع الكرج وبلادهم الأبخاروكرا قافلىين الى ألب أرسلان • ثم تحرك السلطان بنفسه الى ولاية كارتلى ( غرب بلاد الكرج ) ولم يجد بقراطى فوتا من أن يصلح السلطان السلجوقى بقبوله دفع الخراج وتزويج



ابنته من ألب أرسلان • وقد طلق ألب أرسلان ابنته هذه بعد ذلك وتزوج بها نظام الملك •

وبعد أن فتح ألب أرسلان بلاد الكرج والأبخاز أناب الأمير الكردي الأصل لكنجة وهو الأمير فضلون في إمارة تغليس ، وذهب عن طريق (قارص) لفتح قلعة كنى ( في غرب أيروان على رأس طريق أخلاط في أرمنية ) وخلص بعد مدة من الحصار هذه القلعة من سيطرة المسيحيين وعلى أثر هذه الفتوحات طوى اسم ألب أرسلان جميع بلاد المسلمين طيا وأمر الخليفة بالثناء عليه على المناجر والدعاء له •

### فتوحات ألب أرسلان في الشرق : —

وعاد ألب أرسلان الى أصفهان بعد أن فتح قلعة كنى وتقدم منها الى كرمان وخف من أصفهان أخوه قاورد بن جغرى الذى وليها من (٤٣٣هـ) ولقب بعماد الدولة قرا أرسلان لاستقباله وآب ألب أرسلان الى عاصمته مرو بعد أن اطمأن الى انتظام الأمور بهذه البلاد ثم اختار ابنة طمناج خان إبراهيم الخاقان الأفراسيابى زوجة لابنه ملكشاه وزوج ابنة السلطان إبراهيم الغزنوى كما سبق ذلك لابن آخر له هو أرسلان شاه وبهذا ارتبطت الأسرة السلجوقية بالأسرتين الخانية والغزنوية برباط النسب •

وفى (٤٥٧هـ) اتجه ألب أرسلان الى ما وراء النهر وخوارزم وعاد الى مرو بعد أن سلمت له جند وهى من المراكز الأولى لإقامة السلاجقة واطاعة أميرها له وأمير خوارزم وفى عودته الى مرو اختار ألب أرسلان ابنه ملكشاه رسماً لولاية عهده ثم أخذ الميثاق على أخوته والأمراء والكبار السلاجقة أن يرفعوا ملكشاه من بعده ، ثم قسم ممالكه فى هذا الحين أى بذاية (٤٥٨هـ) بين أخوته وأولاده وأقاربه ، فترك بلخ الى سليمان وخوارزم الى أرسلان أرغو وطخارستان والصاغانيان الى المياس أخوته الثلاثة وأناب أرسلان شاه ابنه الآخر فى مرو •

وقام في (٤٥٩هـ) عماد الدولة قاورد أمير كرمان السلجوقي وأخو السلطان بعصيانه وأسقط اسمه من الخطبة ونادى باستقلاله ، فجاء ألب أرسلان كرمان وبعد هزيمة جنده قبض عليه في قلعة (جيرفت) لكنه عفا عنه وأبقاه أميرا على كرمان كما كان ثم رحل عنها الى فارس وفي هذا السفر فتح نظام الملك قلعة أصرخر للسلطان ونتيجة لهذا زاد مقامه عند ألب أرسلان عزة واحتراما أكثر من ذي قبل .

### فتح ملازكرد في ٤٦٣ هـ :-

في عام (٤٦٢هـ) هاجم امبراطور بيزنطة رومانوس ديوجانيس بجيش عظيم بلاد الشام وهزم مسلميها والأمير المرداسي بطلب محمود ابن صالح وقد انصرف محمود عن العلويين بمصر بعد أن جعل من نفسه مطيعا تابعا للخلفاء الفاطميين بمصر لما رأى انهيار قوتهم وعظم شوكة ألب أرسلان ، وقبل أن يقع موقع هجوم ألب أرسلان خطب في حلب في (٤٦٣هـ) للقائم العباسي وألب أرسلان ، وقد أسقطت مكة والمدينة وقتذاك أيضا الخليفة المستنصر الفاطمي من خطبتيهما وخطبا مكانه للقائم وألب أرسلان .

ومع أن محمودا بن صالح قد أطاع السلطان ألب أرسلان الا أن السلطان أتى حلب وطلب الى محمود أن يحضر للقائه فامتنع محمود فحصر السلطان حلب ، وفي النهاية لم يجد محمود بدا من الاستسلام فقدم وأمه الى ألب أرسلان فعفا عنه السلطان بشفاعه أمه وصارت حلب من (٤٦٣هـ) تبعا للسلاجقة .

وفي نفس العام أتى رومانوس ديوجانيس لفتح ما فقد من أرمينية وغرب بلاده بجيش عدته مائتا ألف جندي من اليونانيين والكرجيين وشعب البلغار وروسية وفرنسا الى آسيا الصغرى وعسكر في مدينة ملازكرد ( ما بين بحيرة وان وأرزنة الروم في شمال أخلط ) . ومع أن ألب أرسلان لم يكن برفقته أكثر من خمسة عشر ألف فارس تركي الا أنه

خف للقاء الامبراطور وأرسل أهله وعياله برفقة نظام الملك الوزير الى  
همدكن .

وقد طلب ألب أرسلان مع انتصاره على طلائع جيش رومانوس  
بالقرب من أخلاط مصالحته لخوفه بسبب قلة جنده ، لكن الامبراطور قال  
بغرور سوف نتصالح في الرى (١) ، فجعل هذا ألب أرسلان يستبسل  
ولا ينشد الا الفتح أو الشهادة مجاهدا في سبيل الله تعالى ، فهاجم  
وصحبه الذين كانوا فرسان تعصب للدين مغاوير دفاعا عن الاسلام  
البيزنطيين على كتب من ملازكرد وأعمل الترك السلاجقة بأسلوبهم  
الخاص في الهجوم والكر والفر مع قلة عددهم سيوفهم في رقاب  
المسيحيين حتى اختفت الأرض تحت جثث قتلاهم ووقع الامبراطور  
أسيرا في أيديهم وأتى به الى ألب أرسلان . وجلد السلطان أولا  
الامبراطور ثلاثا وقال له لماذا لم تقبل دعوتي للصلح ؟ فأجاب السلطان  
وقد بلغ به التأثر : لا تلمنى وافعل بى ما تريد ، فعفا عنه السلطان مقابل  
ألف ألف وخمسين ألف دينار وعقد معه صلحا لمدة خمسين سنة وأعادته  
الى بلاده (٢) .

وفتح ملازكرد من الوقائع الهامة في تاريخ آسيا الغربية لأن الروم

( ١ ) أراد ألب أرسلان تسوية المسائل سلميا لكنه لم يوفق وللرسائل  
المقابلة بين الطرفين أهميتها ، يقول ألب أرسلان في رسالته الى رومانوس  
على رواية ميرخوند في كتابه تاريخ السلاجقة نشر غولرز ( وبرغم كثافة جنك  
فانك تواجه أميرا انتصاراته شائعة ذائعة فاذا كنت نذمت على تعجلك فخر  
بالجزية وأقلع عن العدوان وسيترك عند ذلك السلطان على ما بيحك من  
أرضين ولا يلحق بك اذى والا فستجلب الخراب على رأسك ) وأجاب  
رومانوس برواية جييون : ( اذا كان البربرى يرغب في السلم فليترك الأرض  
التي يحتلها لجند الرومان ويسلم مدينته الرى وقصره بها ضمانا على اخلاصه )  
راجع : ( تاريخ بخارى ) لغامبرى ص ( ٣٦-١٣٧ ) وحاشية ٢ ص ( ١٣٦ ) .  
( ٢ ) انظر للتفاصيل ما ذكره عماد الدين الاصفهاني في هذه الواقعة من  
وصف بليغ في كتابه ( تاريخ دولة آل سلجوق ) اختصار الفتح البندارى ص  
٣٩ - ٤٢ ( مصر ١٣١٨ هـ ) والكمال ٢٧/١٠ .

من هذا الوقت فصاعدا لم يفكروا في التوجه الى أرمينية مرة أخرى وكانوا دائما ينفذون اليها من أواسط العهد الأشكاني ولم يرفعوا يد السيطرة أو عين الطمع عنها مع مجالدات الملوك الأشكانيين والساسانيين ومجاهدات المسلمين لهم ، بل أخذت بلاد آسيا الصغرى من بعد هذه الواقعة تخرج تدريجا عن أيديهم ، كما بدأت الحضارة اليونانية والآداب المسيحية التي انتشرت نفوذها ورسخت قواعدها بعون أباطرة القسطنطينية حتى حدود أراين وأذربايجان بدأت في الزوال مع فتح ملازكرد وشروع استيلاء الأتراك السلاجقة ، وحلت محلها بالتدريج الحضارة والآداب الاسلامية واللغة الفارسية .

### قتل ألب أرسلان في العاشر من ربيع الأول ٤٦٥ هـ : -

ترك طمناج خان إبراهيم ملك توران سلطنته في أواخر عمومه الى ابنه شمس الملك نصر ولما توفي في (٤٦٠ هـ) استقل شمس الملك وخرج عن طاعة السلاجقة . وعبر ألب أرسلان في بداية (٤٦٥ هـ) جيحون بجيش بلغ مائتي ألف جندي لتأديب شمس الملك . وفي صباح السادس من ربيع الأول من (٤٦٥ هـ) أتى بأمر إحدى القلاع هو يوسف الخوارزمي وكان غاميا مقيدا الى السلطان ولما أغلظ يوسف القول الى ألب أرسلان طلب السلطان الى حراسه أن يطلقوا سراجه لكي يصيب منه يسهامه مقتبلا ، وأخطأ السلطان هدفه فهاجمه يوسف بخنجر كان معه وطعنه ومات السلطان متأثرا بجراحه بعد أربعة أيام ودفن في مرو . وكان مدة حكمه تسعة أعوام ونصف عام وكانت وزارته طوال مدة حكمه لنظام الملك الطوسي ولم يحول ألب أرسلان نظره عنه مرة مع سعاية الساعين وكان يسير دائما برأى هذا الوزير المخلص وكفاحته .

### ٣ — جلال الدين أبو الفتح حسن ملكشاه

(٤٦٥ — ٥٤٨٥هـ)

كان لأبى أرسلان ستة أولاد هم ملكشاه الذى خلفه بنساء على وصيته وتعيينه ثم أياز وتكش وبورى برس وتتش وأرسلان ارغو وكان لكل نصيب من مملكة أبيه وسوف يود ذكر أكثرهم فى تفاصيل الوقائع بعد عاد ملكشاه وكان برفقة أبيه فى غزوة ما وراء النهر بعد طعن ألب أرسلان ووفاته مع نظام الملك والجنود الى خراسان وترك أخاه أيازا فى بلخ ولا سمع أن عمه عماد الدولة قاورد قام يدعى السلطنة وقصد الاستيلاء على الري وبلاد الجبل وصل على عجل الى الري وتواجه بعون من الأمراء العرب للحلة والموصل مع جند قاورد على كئيب من همدان وتغلب عليه فى النهاية وأمسك بقاورد وقتله ليلا بمشورة نظام الملك لكنه ترك كرمان وبقيت كرمان وعمان وسواحل البحر يتوارثها أفراد أسرة قاورد حتى (٥٥٨٣هـ) وتسمى هذه الأسرة بسلاجقة كرمان .

### فتوحات ملكشاه : —

قبل أن يصل ملكشاه الى السلطنة أى حينما كان مشغولا بالحرب فى الجزيرة وأرمينية مع أبيه أرسل أهد أمراءه الترك الخوارزميين واسمه اتسز ( اتسيس ) بجند لمهاجمة الشام وفلسطين وكانت تحت إمرة المستنصر الفاطمى \* وهاجم اتسز فى (٥٤٦٣هـ) بيت المقدس وحصر دمشق لكنه فشل فى أن يفتحها فى هذه الآونة ، وكان حتى (٥٤٦٨هـ) يجدد هجومه عليها كل عام حتى أخرج دمشق فى السنة الأخيرة عن يد عامل المستنصر \* وهاجم فى السنة التالية مصر وحاصر القاهرة ، لكنه لم يحقق شيئا بسبب ظلمه الناس واحجافه بهم ومداغمة الجنود الفاطميين وعاد منهزما الى الشام \*

وفى (٥٤٧٠هـ) ولى ملكشاه أخاه تتش الملقب بتاج الدولة الشام

وأجاز له أن يضم الى حوزته كل ما يفتحه من بلادها . فحاصر تاج الدولة حلب أولا ، ولما قدم في ذاك الوقت قائد الجيش الفاطمي الى الشام لدفع أئتسز الخوارزمي وحاصر دمشق أتى تتش لعون أئتسز وهرب المصريون عند سماع هذا الخبر . ولم يسمح أئتسز لتتش أن يدخل دمشق وخرج هو ليلاقية خارج أسوارها ، فغضب تتش لهذا وقتل أئتسز واستولى على دمشق في (٤٧٢هـ) وأسس أسرة سلاجقة الشام (١) .

وفي نفس عام (٤٧٢هـ) استخلص أمير الموصل العقيلي شرف الدولة مسلم بن قريش حلب من قبضة آخر أمراء بني مرداس وقضى على هذه الأسرة . وجعل ملكشاه حلب تبعا لأمر الموصل . أما شرف الدولة لما سمع في (٤٧٦هـ) أن تتش تحرك من بغداد بجيش ضخم بقصد السيطرة على أنطاكية بأمر من ملكشاه أصيب بالهلع من أجل ملكه فاستمد الخليفة الفاطمي بمصر لكي يخلص دمشق من قبضة السلاجقة لكنه فشل في تحقيق ما يريد واضطر الى أن يعود الى بلاده عندما بلغته أنباء الاضطرابات فيها . فأرسل ملكشاه جندا من بغداد وديار بكر الى الجزيرة لتأديب شرف الدولة هذا العقيلي ، ومع أن جنده هزم أمير الموصل وحصره الا أن ملكشاه صالح شرف الدولة بسبب اضطرابات خراسان وعصيان أخيه تكش وأبقاه أميرا على بلاده كما كان .

( ١ ) كان أول اتصال السلاجقة بالشوام لما دخل هرون بن خان السلجوقي بلاد الشام فاستعان به عطية بن مرداس ملك حلب ومحمود بن شبل الدولة المرداسي في الصراع الدائر بينهما ملك حلب . ومع انه تأسس غرغ للسلاجقة في الشام بيد تتش بن الب أرسلان الا ان الخلافات بين القسواد السلاجقة نشبت فلم يقسم حكمهم مثل اخوانهم في الشرق بالقوة والتمسك . انظر بعض هذا الصراع كمراع تتش صاحب دمشق وبوزان متبلك الرها وحران ، وأقسنقر صاحب حلب من ناحية أخرى (٤٨٧هـ) وقتال رضوان بن تتش وأخيه دقاق وسكان بن أرتق وما يتعلق بهرون السلجوقي « زبدة الحلب » لابن العديم (تحقيق سلمي الدهان دمشق / ١٩٥١) . ح ٢٨٧/١ - ٩٧ ، ١١١/٢ - ١٢٧ .

### فتح أنطاكية في ٤٧٧ هـ :-

كان ملكشاه قد فوض في (٤٧٠ هـ) حكومة ولايتي قونية وآق سرا من بلاد آسيا الصغرى اللتين فتحتهما الأتراك السلاجقة الى سليمان ولد شهاب الدولة قتلمش بن اسرائيل السابق الذكر ابن عم طغرل الأول وجغرى وسليمان هذا مؤسس شعبة سلاجقة الروم .

وهاجم سليمان بن قتلمش في (٤٧٧ هـ) ميناء أنطاكية الذي كان البيزنطيون قد استولوا عليه منذ عام (٣٥٨ هـ) ففتحه باسم ملكشاه وزاد به حوزة ملكه وقد أوسع فتح أنطاكية من حدود دولة السلاجقة ووصل بها الى شاطئ البحر المتوسط غربا . وبعد فتح أنطاكية طلب شرف الدولة العقيلي من سليمان قتلمش أن يؤدي اليه الخراج السنوي الذي كان يدفعه له أمير أنطاكية المسيحي من قبله فرفض سليمان طلبه هذا ، فاشتعلت الحرب بينهما وقتل شرف الدولة بيد سليمان .

### فتح حلب في ٤٧٩ هـ :-

كانت حلب تقع حدا فاصلا ما بين بلاد تاج الدولة تتش مالك دمشق ومؤسس شعبة سلاجقة الشام وسليمان بن قتلمش أمير قونية وآق سرا وأنطاكية ومؤسس شعبة سلاجقة الروم وكانت حلب تحسب كما قلنا من بعد زوال العقيليين تبعا للموصل . وأراد سليمان بن قتلمش أن يضم اليه حلب بعد فتحه أنطاكية الا أن أهلها دعوا تتش ليملك بلدهم فنشبت الحرب بهذا بين القائدين السلجوقيين وقتل سليمان في صفر من (٤٧٩ هـ) بيد تتش ودخلت حلب في طاعته (١) .

---

( ١ ) في تفاصيل صراع مسلم بن قريش صاحب حلب وسليمان بن قتلمش وإنهزام الأخير وقتله وقتال تتش لسليمان وقتل الأخير ، وكانوا في غنية من هذا التقاتل والتفرغ لقتال البيزنطيين انظر ابن الاثير في الكامل ج ( ١٠ ) ص ( ٦٠ ) .

وقصد السلطان ملكشاه في نفس عام (٤٧٩هـ) في شهر جمادى الآخرة من أصفهان الجزيرة والشام ومنها عن طريق الموصل بلاد وادي الفرات الأعلى فاستولى على بعض قلاع هذه المنطقة الذي كان لا يزال في يد الروم ثم أتى حلب فأخلاها تنتش قبل أن يبلغها أخوه ويمن شطر الشام وعاد السلطان الى بغداد .

### فتح ما وراء النهر في ٤٨٢هـ :-

حينما قتل ألب أرسلان وعاجل ملكشاه الى الري لدفع قاورد اغتتم الملك خاقان توزان الفرصة فهاجم خراسان وتملك مدينة ترمذ في ربيع الآخر من (٤٦٥هـ) وطرد ايازا أخا ملكشاه عن بلخ لكن بعد قليل بسبب الخلافات التي استعرت بين أفراد الخانيين وعودة ملكشاه من العراق وتقدمه نحو سمرقند أجبر شمس الملك على قبول الصلح .

وفي أيام حكم أحمد خان ابن أخ شمس الملك الذي كان شابا ظالما متعديا قدم الى ملكشاه جماعة من رجال الدين مما وراء النهر يشكون اليه ظلم حاكمهم ودعوا السلطان ليأخذ بلادهم (٤٨٢هـ) . فترك ملكشاه يرافقه نظام الملك أصفهان الى خراسان وهاجم بعد جمعه جيشا ما وراء النهر فابتدأ بضم بخارى ثم حاصر سمرقند واستولى عليها بعد قليل وأمسك بأحمد خان واحتفظ به أسيرا وأصاب فيها أحد عماله ثم ألحق بسمرقند مدينة أوزجند وجاء أمير خانية كاشغر وقبل أن يخطب ويسك عملته في بلاده باسم السلطان .

وفي نفس رحلة ملكشاه المشهورة هذه الى ما وراء النهر وكاشغر ، كتب الوزير نظام الملك لكي يظهر اتساع البلاد السلجوقية أجرة ملاحى جيحون على خراج أنطاكية أولا ، ثم اصطحبه رسول الامبراطور البيزنطى معه الى حدود كاشغر لكي يؤدى فيها الخراج المقرر الذى كان يدفعه البيزنطيون بعد فتح ملازكرد مسفويا



للسلاطين السلاجقة وكان يأتي مبعوثهم الى أصفهان ليؤديه ، ليقول  
الناس ان امبراطور الروم سلم الخراج السنوى للسلطان  
السلجوقي في كاشغر .

وفي عودة ملكشاه الى خراسان ثار الأتراك الجكيون الذين  
كانوا يعيشون في خدمة ملكشاه وأقاموا في سمرقند تحت رئاسة  
عين الدولة بسبب عدم صرف مرتباتهم اليهم ودعوا الأمير الخاني  
لفرغانة يعقوب تكين الذي كان أخا خان كاشغر الى سمرقند ، فأتاها  
يعقوب تكين وقتل عين الدولة واستولى عليها .

وعاد ملكشاه عند سماعه هذه الأخبار من خراسان على وجه  
السرعة الى ما وراء النهر ولما بلغ بخارى هرب يعقوب تكين من سمرقند  
وتخلى عنه جنوده فاضطر الى اللجوء الى أخيه أمير كاشغر .  
وأمر السلطان أمير كاشغر بتسليم يعقوب تكين وقال انه اذا عصى أمره  
هذا فسوف يهاجم بلاده . فسير خان كاشغر أخاه الى السلطان الا أن  
حراسه لما سمعوا في الطريق أن خان كاشغر قد أسره أحد الثوار فكوا  
عقال يعقوب تكين . ورأى ملكشاه أن مصلحته في أن يدع يعقوب تكين  
فأمر وزير زوجته ترکان خاتون (١) التي كانت ابنة طمناج خان ابراهيم  
وعمة أحمد خان خاقان سمرقند وهو تاج الملك أبو الغنائيم مرزبان ابن  
خسرو فيروز الشيرازي باصلاح أمر يعقوب فأنهى الملك هذه المأمرية  
بنجاح وأدخل يعقوب تكين في طاعة السلطان وعاد الى أصفهان .

### الاسماعيلية وظهور الدعوة الجديدة : —

الاسماعيلية قوم من شيعة آل على كانوا يعتبرون اسماعيل الامام

---

( ١ ) تلفظ كلمة ( ترکان ) وهي تركية بمعنى السيدة والملكة ( ترکن )  
بكسر القاء والكاف ( سياقي ) أما خاتون فعند أغلب أصحاب المعاجم أنها  
فارسية بمعنى السيدة ودخلت العربية وجمعت خواتين الا أن أرمينيوس  
لهبري رأى رأيا آخر في كتابه ( تاريخ بخارى ) وهو أن الكلمة تركية  
مستمدة من الأصل (خت) بمعنى الخط والادغام (ح ٣٩) .

المسابع وليس الامام موسى الكاظم أخاه من بعد موت الامام جعفر الصادق الامام السادس وكانوا يقولون ان اسماعيل مستقر والأئمة من بعده مستورون وسوف يظهرون حين يقتضى الوقت الصلاح ، ولهذا سميت هذه الجماعة من الشيعة الاسماعيلية لأنهم يقولون بامامة سبعة أئمة وحسب كما سموا بالسبعية أيضا . وفي باب الامام يعتقد الاسماعيلية انه لما كان العقل البشرى غير كاف لمعرفة الله فلا بد من امام يطلع الناس على هذه المعرفة كالمعلم يعلم الناس ولهذا سمي الاسماعيليون بالتعليمية أيضا . وفي خصوص الشريعة اعتقد الاسماعيلية أن للإسلام ظاهرا وباطنا وإذا تعقب المرء باطن الشريعة وأهمل ظاهرها فليس عليه مسئولية ، ولهذا فقد كانوا يتأولون غالب أحكام الشريعة على وجه من الوجوه وجعلوا لكل عبادة وغيرها معنى باطنيا فسموا لهذا بالباطنية أيضا .

وانتشر دعاة المذهب الاسماعيلي ومبلغوه في جميع البلاد الاسلامية بعد اسماعيل بن جعفر الصادق ودعوا الناس في الشرق والغرب . وأهم تقدم لهم قبل تزايد قوة الفاطميين في افريقيا هو قيام القرامطة الذين ظهوروا في (٨٢٧٨هـ) واستولوا على كثير من مدن العراق والشام والبحرين وأخذوا مكة وظلوا فترات أسباب اذياء مسلمي هذه النواحي وسفك دمائهم (١) .

( ١ ) انتشرت الدعوة القرمطية بين غلاحي السواد الجهلة الذين كانوا يفتنون من جشع الجبابة واستغلال الملاك وبين البدو الذين كان غفدهم مضرب المثل . وأشاع دعاة القرامطة انهم علويون مع انهم خالفوا الاسلام عقيدة وسلوكا وركزوا على فقر الناس لاثارتهم على الحكم العباسي ، ويظهر هذا في دعوة اول داعي لهم بالعراق الفاتلة ( أمرت أن ادعوا أهلها ) قرية قرب الكوفة ) من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة واستنفذهم من ورطات الذل والفقر والملكم ما لا يستغنون به من القعب والكذ ) انظر تفاصيل مذهبهم في الكامل لابن الاثير ١٧٩-٨/٧ ، ٦٤/٨ . وقد استطاعوا الاستيلاء على البحرين واستشرى خطرهم بقيادة طاهر القرمطي الذي سلب الحجاج وفي ( ٣١٧هـ ) دخل واصحابه المسجد

وفي ايران وما وراء النهر مع ان الاسماعيليين في أيام امارة الأمير نصر بن أحمد وبداية أمر ديلمالة آل زيار نفذوا في الأجهزة الحكومية الا أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا دولة لهم بسبب تولى الأتراك الغزنويون المتعصبون والسلاجقة وعاش دعائهم وأشياءهم لاثنين بالجبال والقلع المحكمة وكانوا ييثون تعاليمهم من مخابئهم الى الناس . أما في الغرب أو افريقية فقد حازوا التقدم خلاف أمرهم في الشرق وأسسوا في تونس دولة في (٢٩٦هـ) وحتى لا يشتبه أئمتهم بعلويي ايران نسبوا أنفسهم الى فاطمة بنت الرسول صلوات الله عليه وسموا أنفسهم بالفاطميين ، وسيطروا كما مر شرحه تدريجا على مصر والقسم الأعظم من الشام والجزيرة العربية وخطب لهم في بغداد أيضا لمدة عام في عهد أرسلان البساسيري .

وبعد موت المستنصر بالله الخليفة الفاطمي في مصر ( ٤٢٧ - ٤٨٧هـ ) قام النزاع بين ولديه المصطفى لدين الله نزار والمستعلي من أجل الخلافة لأن المستنصر جعل نزارا خليفة له في البداية لكنه ندم بعد هذا الاختيار وولى المستعلي عهده وكان لكلا الولدين أشياع . وكان نتيجة هذا الاختلاف أن انقسم الاسماعيليون قسمين : النزارية الذين التفوا حول نزار والمستعلوية الذين شايعوا المستعلي . ولم يبلغ نزار الخلافة وغلبه أخوه وأسرته ومات في أسره الا أن أتباعه انتشروا في الأرض ودعوا الناس اليهم . وسميت دعوة النزارية بالدعوة الجديدة . وكان اسماعيليو ايران الذين قاموا بالدعوة فيها من هذا الوقت فصاعدا كانوا جميعهم من النزارية ويدعون أنهم أبناء أحد أبناء نزار .

---

الحرام وقتل الحجاج فيه وقلع الحجر الاسود وباب البيت وكسوته وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الآخرين في المسجد الحرام ( الكامل ٧٧/٨ )  
و ( تاريخ بغداد للدوري ص ٧٤ - ٧٦ ) .

وفي أيام خلافة المستنصر ممن دخلوا الدين الاسماعيلي شخص  
اسمه الحسن بن الصباح من أهل الري لا يعرف بالضبط أصله  
ونسبه (٢) \*

وتنقل الحسن بن الصباح في (٤٦٩هـ) بين السرى وأصفهان  
وآذربايجان والشام ثم سافر في (٤٧١هـ) الى مصر ومكث بها سنة  
ونصف سنة ودخل في جماعة تشايخ خلافة نزار فنقل عقيدتهم الى  
الشرق وأخذ من أواخر (٤٧٣هـ) يدعو شعب ايران الى مذهب  
الاسماعيلية النزارية ، وفي السادس من رجب (٤٨٣هـ) استولى على  
قلعة (آلموت) (٣) فجعل منها مركز دعوته ومقر اقامته واحتفظ  
أتباعه غير هذه القلعة بحصون في أكثر النقاط الجبلية التي  
يصعب الوصول اليها في شمال وشرق ايران من آذربايجان حتى  
كرمان خاصة في بلاد الديلم وقومس وقهستان ، وكان في طوع  
الرؤساء الاسماعيليين وأمرأ هذه القلاع جمع من الفدائيين  
الانتحاريين سموا بالفدائيين كان الاسماعيلية يستخدمونهم غالبا  
في قتل أعدائهم الألداء من قادة الجيوش والقادة الدينيين والأمراء

---

( ٢ ) جاء في كتاب ( سرگزشت سيدنا ) أي سيرة سيدنا ( المراد به  
الصباح ) الذي ألف له أن اسمه هو الحسن بن علي بن محمد ابن جعفر بن  
الحسين بن الصباح الحميري ، ويدعى الصباح نسبته العربية هذه في قوله  
( أنا من أولاد الصباح الحميري وكان آيائي في الكوفة ثم انتقلوا منها الى قم  
وجاءوا الى الري من قم ) وقد رد نظام الملك الطوسي نسبته العربية ونسبه  
أهل طوس اليها ، ونسبه ابن الاثير الى الري ( انظر : حبيب السير : ج ٤  
مجلد ٢ ص ٦٩ ، الكامل ١٠ / ١٩٩ ) .

( ٣ ) الموت مخفف اله أموت أي اله آموخت أي تعليم العقاب ، فكلمة  
اله بالديلمية تعني العقاب وسميت هذه القلعة بهذا الاسم لأن أحد الأمراء  
الديلمية الذي يهوى الصيد تعقب يوما عقابه للصيد فوقف العقاب على  
موضعها ، ورأى الأمير هذا الموضع مناسبا لبناء قلعة فسميت بسبب ارشاد  
العقاب اليها آله أموت والموت . أما تفسير معناها نعش العقاب فخطيء  
( سياقي ) . زعم خواندмир ( حبيب السير ج ٤ مجلد ٢ ص ٧٢ ) أن معناها  
وكر العقاب ، وكلمة ( اله ) كلمة فارسية وجدت في البهلوية أيضا ومعناها  
النسر والعقاب .

والمملوك ، وقد ولدت أعمالهم فزعاً شديداً في سائر البلاد  
السلجوقية ، خاصة أنهم كانوا يستغلون بعضاً من الأمراء  
والسلاطين في قتل أعدائهم ثم يشيعون من بعد ذلك أن من قتلهم  
هم الفدائيون الاسماعيليون (١) .

( ١ ) ذكر نظام الملك في ( وصايا ) كما أورد حبيب السير : ( كان  
اسم والده حسن الصباح علياً وكان رجلاً ذا عقيدة خبيثة ومذهب سيئ يبدى  
الزهد ويعيش بالري ، وكان الإمام الموفق النيسابوري من أكبر علماء خراسان  
طبقت شهرته الأفاق واشتهر عنه أن أي تلميذ يأخذ عنه قراءات القرآن  
والحديث لا محالة من أن يبلغ المجد والحكم لذلك أرسل على هذا بابنه  
الحسن إلى نيسابور ومكنه من التفرغ إلى العلم عند الموفق ليرفع عنه سوء  
مظنة الناس به ) . ومع أنه قد ثبت انتقال هذه الوصايا على نظام الملك ، فقد  
انطلق خواندмир صاحب حبيب السير من أن الصباح أخذ عن الموفق مورداً  
قصة طويلة مفادها أن نظام الملك وعمر الخيام وحسن الصباح تغلبوا جميعاً  
على هذا الشيخ وكان الثلاثة أصدقاء فاقسموا على أنه إذا وصل أحدهم  
إلى مركز رفيع في الدولة فعليه أن يساعد زميله . ولما صار نظام الملك وزيراً  
للسلاجقة اتصل به الخيام وذكره بالميثاق فأجرى عليه معاشاً بلغ عشرة آلاف  
ثم جاءه الصباح فعرض الوزير عليه حكومة الري أو أصفهان فلم يرض  
بأحدهما وطلب منصباً رفيعاً في البلاط فآدى له ما أراد لكن الصباح أخذ ينس  
إلى نظام الملك للايقاع به وتولى الوزارة مكانه فلما انكشف أمره أثر الهرب  
إلى خراسان فاصفهان في شهر عام ( ٤٦٢ هـ ) وتلاقى بعيد الملك بن العطاش  
داعية الاسماعيلية في الري الذي سيره إلى مصر فاتصل بالمستنصر الفاطمي  
لكن الصباح لم يرض باستخلاف المستنصر دون نزار ولي العهد إلى آخر  
تاريخ الحسن بن الصباح . وما يهمنا هنا أن قصة زمالة الخيام والصباح  
ونظام الملك يرغم تسليم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ  
بها محض خرافة وضرب من الوهم لأن الخيام والصباح ماتا بين ( ٥١٧ ،  
٥١٨ هـ ) وولد نظام الملك عام ( ٤٠٨ هـ ) ومات ( ٤٨٥ هـ ) ولم يبلغ الصباح والخيام  
المائة من العمر ، فإن جاز أن الثلاثة قد تعاصروا ورأى بعضهم الآخر لكن  
الثلاثة لم يتقابلوا في حلقات الدرس في الشباب في سن واحد .

( انظر حبيب السير مجلد ٢ ج ٤ ص ٦٩ — ٧٢ ) . وانظر في أخبار  
الصباح : الكامل : ج ١٠ ص ١٩٩ ، ١١٨ ، ١٦٢ — ٣ ، حبيب السير مجلد ٢  
ج ٤ ص ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، وفي مراتب الحشاشين ووصف جفنتهم المزعومة :  
تاريخ الأدب في إيران لبروان . ترجمة د. إبراهيم الشواربي ( مصر ١٩٥٤ )  
ص ٢٥٢ — ٦ .

## قتل نظام الملك في الحاشية من رمضان ٥٤٨٥ هـ :-

ولما شاخ نظام الملك في أواخر ملكشاه وجعل أبناءه العديديون ورجاله ومعتلوه يديرون القسم الأساسي لأمر الدولة عنه وكانوا ينحرفون عن جادة الانصاف والعدل في كثير من الأحيان يدفعهم نفوذ نظام الملك الخارق وخدماته السابقة الكثيرة في بلاط السلطنة كما كانوا يستبدون بالأمر ويتحكمون في الناس ، فاستوحش ملكشاه من نظام الملك وأولاده وأتباعه وأوسع قوم من الوزراء التابعين وعمال الديوان الظاهرين والذين كانوا يعتقدون أن وجود نظام الملك ونفوذه وأولاده يحولون دون ترقيتهم من دائرة الشقاق والخلاف بين السلطان والوزير وكانوا دائمي السعي الى تحطيم شأن أسرة نظام الملك .

ومن وزراء بلاط ملكشاه الذين سعوا أكثر من غيرهم في استئصال نظام الملك ثلاثة هم تاج الملك السابق الذكر الذي كانت له في هذا الأوان وزارة تركان خاتون زوجة ملكشاه ورئاسة ديوان الطغراء والانشاء السلطانيين ، ثم مجد الملك أبو الفضل أسعد ابن محمد القمي رئيس ديوان الاسقيفاء وثالثهم سديد الملك أبو المعالي المفضل ابن عبد الرازق رئيس ديوان عرض العسكر . وفضلاً عن ذلك فقد تحالفت مع هؤلاء الثلاثة المخالفين تركان خاتون التي كانت تبغى خلافة ابنها الصغير محمود لأبيه السلطان وكان نظام الملك يمانع ذلك ، فكانت هذه السيدة تسعى الى تنصيب تاج الملك الشيرازي مكانه ، فيمكن لابنها بهذا أن يصل الى السلطة .

ومع أن ملكشاه كان يميل قلباً الى أن يقصر هذا نظام الملك وأبنائه وأتباعه عن الأمور لما تقتضيه مصلحة الملك الا أنه لم يكن يستطيع أن يقوم بهذا جهراً مغبة تولد الفتن خاصة أن جماعة من الجند كانت تحب باخلاص نظام الملك وأولاده وكانت طائفة منهم تسمى

الغلمان النظامية على أهبة أن تشعل نيران الفتنة والثورة عند أى  
معاملة سيئة تجوز عليهم .

وفي السنة الأخيرة من سلطنة ملكشاه ثار النزاع ما بين شحنة  
مرو وكان من خاصة غلمان السلطان وشمس الملك عثمان أحد أبناء نظام  
الملك ، فأرسل السلطان على اثر شكاية هذا الشحنة تاج الملك ومجد  
الملك اليه برسالة كتب فيها : ( اذا كنت شريكى فى الملك فهذا حكم آخر  
واذا كنت تابعى فلماذا لا تراعى حدك ولا تؤدب أبناءك وأتباعك الذين  
تسلطوا على الدنيا حتى أنهم لا يراعون حرمة عبيدنا ، أمر لو أصيبت  
أن يأخذوا الدواة منك ) فغضب نظام الملك لهذه الرسالة وقال : ( قل  
للسلطان ألا تعلم أننى شريك لك فى الملك وقد بلغت هذه المرتبة  
بتدبيرى ، وألا تذكر أنه لما قتل السلطان الشهيد ألب أرسلان  
كيف جمعت أمراء الجيش وعبرت بهم جيحون وفتحت لك المدن  
وسخرت أقطار الشرق والغرب ؟ ان دولة ذلك التاج انعقدت  
على هذه الدواة ، فاذا خلعت هذه الدواة خلع ذلك التاج ) .

فزاد ملكشاه حنقا على حنق لاجابة نظام الملك هذه وكانت حقا  
شديدة الجفاء ، خاصة وأن موصلى الرسالة عكروا من الماء  
الصافى ما وسعهم ذلك فوق ذلك الا أن السلطان مع كل هذا لم يقدم  
على عزل نظام الملك ويبدو أنه كان يرقب فرصة أفضل يقسوم فيها  
بدفعه بطريقة أخرى .

وتحرك ملكشاه فى نفس هذا التاريخ من أصفهان متجها الى  
بغداد وكان نظام الملك فى ركبه أيضا . وفى سهول كرمانشاه تقدم  
شاب فى لباس الصوفية الى نظام الملك بالثماس فطعننه فى العاشر من  
رمضان (٤٨٥هـ) مات على اثره نظام الملك ، واشتهر أن القاتل كان من  
فدائيى الاسماعيليه أقدم على قتل نظام الملك باغواء تاج الدولة .

وقد عد الغلمان النظامية وأتباع نظام الملك قتله بتحريض تاج

الملك الشيرازى ورضاء السلطان الخفى به ، فأسروا حقدهم على هذا الوزير والسلطان وصمموا على أن ينتقموا منهما حينما تسنح الفرصة المناسبة .

دخل نظام الملك وكان فى أصله من أبناء دهاقنة ولاية بيهق ( سبزوار ) ( ١ ) لكنه نال تعليمه فى طوس فى خدمة عامل بلخ بعد تحصيله الأدب والفقه ، فعرفه عامل بلخ هذا على ألب أرسلان فاستوزره هذا الأمير وكان يقيم آنذاك فى خراسان أميرا عليها من قبل طغرل خلفا لوالده جغرى بيك ، وقد اختاره ألب أرسلان فى الثالث عشر من ذى الحجة ( ٤٥٥ هـ ) كما رأينا وزيرا للدولة السلجوقية بعد قتل عميد الملك الكندرى ، وظل نظام الملك من هذا الوقت حتى قتله مدة تسع وعشرين سنة وسبعة أشهر وبضعة أيام السيد الكبير أو سيد الوزراء ، وكان حل الأمور وعقدها فى هذه الدولة السلجوقية العظيمة الواسعة التى امتدت من كاشغر شرقا حتى أنطاكية غربا يتم بكفاءته وسياسته . وكانت ولادته فى عام ( ٤١٠ هـ ) .

كان نظام الملك أشهر الوزراء الايرانيين بعد الاسلام لأنه كان فضلا عن حنكته وحسن ادارته رجلا دينيا زكى السيرة كثير الخير والبركة وقد خلف عنه كثيرا من الأعمال الخيرية وأقدم فى غالب بلاد المسلمين بإنشاء المساجد والمدارس من بينها المدارس التى بناها فى طوس وهراة ونيشابور وبغداد والتى سميت بالنظامية وكان أكبرها شهرة

---

( ١ ) سبزووار قصبة ولاية بيهق ، يقول حافظ آبرو ضمن وصفه لخراسان ( ولاية بيهق كانت فى الأصل بيهق أى بهتر ( ومعناها الفضلى ) وعرفت بيهق وهذه الناحية من توابع نيشابور وكانت قصبة بيهق فى أول الأمر ( خسروكرد ) ولكنها صارت الآن سبزووار ) وحافظ آبرو من مؤرخى القرن التاسع الكبار وعاصر تيمور الكوركاني وابنه شاهرخ وأشهر آثاره فى التاريخ والجغرافيا هو زبدة القوارىخ ، والنص الذى أورده عن كتاب معين الدين الاسفزارى روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة ( تهران ١٣٣٨ هـ ) ص ٢٧٢ .



نظامية بغداد . وقد أبقت ابنيته الأخرى في أصفهان وبغداد  
والبلاد الأخرى اسم نظام الملك حيا مدة ، ونظم الشعراء قصائد  
في مدحه وألف العلماء والفضلاء الكتب باسمه ( ٢ ) .

ولم ينته نفوذ نظام الملك في بلاط السلاجقة بقتله لأن أبناءه  
وكانوا كثرة بلغوا في أيام أولاد ملكشاه والسلاطين السلاجقة  
الآخرين الوزارة والوظائف الديوانية المهمة مرارا وظل حالهم هذا قائما  
حتى آخر عهد السلاجقة .

### موت ملكشاه في منتصف شوال ( ٤٨٥ هـ ) :

بلغ ملكشاه بغداد من كرمانشاه بعد قتل نظام الملك في  
الربع والعشرين من رمضان ، وفوض تاج الملك في الوزارة خلفا لنظام  
الملك ، وبعد قليل أى في منتصف شوال من هذا العام دس له السم بنحو  
لم يعلمه أحد ، ويبدو أن هذا الفعل قد تم بيد العلما النظامية وأتباع  
نظام الملك الذين كانوا يعتبرون السلطان مساهما في قتل سيدهم . ولم  
مات ملكشاه لم يتأثر بموته الناس كثيرا ولم يعتبروا موته بعد قتل نظام  
الملك أمرا كبيرا الأهمية .

ملكشاه أعظم سلاطين السلاجقة بكل مقياس ، بلغت دولتهم  
في عهده منتهى وسعتها وعظمتها فقد كان يخطب له من حدود الصين  
حتى البحر المتوسط ومن شمال بحيرة خوارزم وصحراء  
القبجاق حتى ما وراء اليمس ، وكان امبراطور البيزنطيين والأمراء

---

( ٢ ) ونظام الملك فوق أنه سياسى بارع ووزير كفء مؤلف أديب من  
آثاره كتابه ( ساسيناه ) الذى ادارته على كيفية تدبير الملك واحتذاء العدل  
واستقصاء حال الوزراء والكتاب والقضاة واختيار العيون ومشاورة العلماء ،  
فضلا من فضحه معتقد الحشاشين والباطنيين ومن سبقهم من الخارجين على  
الدين والحكم ، وقد اثار عليه الحشاشين الذين هم في الاغلب المسئولون عن  
قتله .

المسيحيون في بلاد الكرج والأبخاز يعطونه الجزية ، كما كانت أصفهان في عهده وعهد نظام الملك من أهم بلاد الدنيا واحدى مدنها الفاتحة العمار . وقد عمر هذا الملك ونظام الملك والعمال والأعيان السلاجقة غيرهما في هذه المدينة كثيرا من الأبنية ما يزال بعض آثارها قائما الى اليوم . ويدين ازدهار حكم ملكشاه وكان هو نفسه ملكا كافيا متدينا عادلا الى كفاءة نظام الملك كما سبق القول وكفاءة أولاده وان كان للسلطان غيرهم أيضا وزراء وعمال ديوان كان أكثرهم خيرا في عمله ذا كفاءة ويؤدون أعمالهم تحت يدي نظام الملك . وأشهر هؤلاء كمال الدولة أبو الرضا فضل الله بن محمد الزوزنى الذى كان رئيس ديوان الانشاء والاشراف حتى (٤٧٩هـ) وكان ابنه الفاضل سيد الرؤساء أبو الحاسن محمد معين الملك ينوب عنه في عمله هذا . وفى (٤٧٦هـ) عزل السلطان كمال الدولة ومسيّد الرؤساء ، وفوض عملهما لاثنتين من منشيئه ثم الى تاج الملك الشيرازى الفارسى وظل الأخير في هذا المنصب حتى قتل نظام الملك .

ومن الوزراء المشهورين لملكشاه شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى الذى كان يترأس ديوان الاستيفاء وكان أبو الفضل محمد مجد الملك القمى ينوب عنه في عمله ، ثم نصب مجد الملك هذا في منصب شرف الملك بعد ذلك على نحو أن أغلب الأمور الهامة في أواخر أيام ملكشاه كانت بيد تاج الملك ومجد الملك وسديد الملك العارض أو رئيس ديوان عرض العسكر وكان ثلاثتهم يعادون وينفسون على أسرة نظام الملك ، وقد كان استيلاء هذه الجماعة على الأمور بدلا من كمال الدولة وشرف الملك ونظام الملك أحد أسباب ظهور الانشقاق والخراب في الأعمال والأمور الحكومية .

ومن أعمال ملكشاه المشهورة اقدامه على اصلاح التقويم وعمرتيه في أصفهان (٤٦٧هـ) وقد اشترك في هذا العمل كذلك

الحكيم والشاعر الحالى القدر أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام  
الفيثسابورى (١) \* وهذا التقويم هو الذى اشتهر بالتقويم الجلالى (٢) \*

#### ٤ - ركن الدين أبو المظفر بركيارىق

(٤٨٥ - ٥٤٩٨ هـ)

ولما مات ملكشاه اخفت تركان خاتون وتاج الملك نبأ وفاته  
وواثقوا أمراء الولايات سرا وأخذوا عهدهم بسلطنة محمود الابن  
الصغير لملكشاه الذى كان يبلغ عمرة أربعة أعوام وبضعة  
شهور وقبل الخليفة المقتدى أيضا بإصرار من تركان خاتون أن  
تكون السلطنة له \* واختير تاج الملك فى وزارة محمود والأمير أنرم من  
أمراء ملكشاه لقيادة جيشه \*

أما الابن الأرشد لملكشاه وهو بركيارىق (١) وأمه زبيدة خاتون  
ابنة ياقوتى بن جمرى بيك فقد كان مقيما بأصفهان عند وفاة أبيه \*

( ١ ) الخيام المذوفى عام (٥١٧ هـ) لا يشتهر فى التراث الفارسى شامرا  
بقدر أنه عالم رياضى وفلكى وطبى وفلسفى ، وكتب مؤلفاته فى هذه العلوم  
بالعربية والفارسية . من جملة رسائله العربية رسالات فى الطبيعيات  
والمعراج ورسالة الجبر والمقابلة ولوازم الامكنة فى اختلاف هواء الأقاليم  
ورسالة فى حل مسألة جبرية ذكر فيها من بين واحد وعشرينقسما المعادلات  
الجبرية . ومن آثاره الفارسية : وروزنامه ورسالة وجودية وغيرها . ولو  
صح أنه نظم بضع رباعيات فى أفكار له فلسفية فمن المحقق انتحال أغلب  
الرباعيات المشهورة عليه . راجع ما كتبه عنه ادوارد براون فى كتابه تاريخ  
الادب فى ايران ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربى ( ص ١٩٥٤ )

( ٢ ) شارك الخيام وبضعة علماء فى اصلاح التقويم الشمسى الذى  
كان معمولاً به قبل عهده وفى عهد ملكشاه وكان بحسبه يتحول الاعتدال  
الربيعى والنيروز وهو أول شهر (فروردين) من شهور السنة الايرانية من  
هذا الشهر الى ما بعده أو غيره ، فأصبح وفق التقويم الجديد الشهر يضم  
ثلاثين يوما ، ثم يضاف الى آخر استغنىاه الشهر الآخر خمسة أيام هى  
المستترقة ويزاد كل أربعة أعوام يوم ، وصارت مواعيت الذسول الأريضة  
بهذا الشكل ثابتة لا تتغير .

( ١ ) بركيارىق كلمة تركية بمعنى الشديد اللعان .

وألقت تركان خاتون ببركيارق هذا في سجن أصفهان لعلها أن وجوده  
سوف يحول دون سلطنة ابنها • ولما علم الغلمان النظامية في أصفهان  
بخبير تنصيب محمود في السلطنة واختيار تاج الملك لوزارته هاجوا  
وماجوا وأخرجوا بركيارق من السجن ورفعوه الى السلطنة ثم  
ذهبوا معه الى رئيس مدينة الري أبى مسلم السروشيارى صهر  
نظام الملك •

أما تركان خاتون وتاج الملك ومحمود فقد أتوا أصفهان فاستولوا  
عليها وجمعوا جيشا وقصدوا منازل بركيارق • ووقعت الحرب بين  
الفريقين في أواخر ذى الحجة من (٤٨٥هـ) على مقربة من بروجرد وكان  
النصر لبركيارق فهربت تركان خاتون الى أصفهان وتعبها بركيارق  
فحصرها في أصفهان •

وهرب تاج الملك أثناء معركة بروجرد أولا لكنه وقع أسيرا  
وأتى به الى بركيارق وهو يحاصر أصفهان • وكان بركيارق يود أن  
يبقى له الوزارة مقابل مائتى ألف دينار الا أن النظامية أعداء تاج  
الملك الذين كانوا يكرهون أن تخرج الوزارة عن عائلة نظام الملك  
ثاروا ثائفة وأقهموا السلطان أنهم لن يكفوا عن ثورتهم الا اذا  
تسلموا رأس تاج الملك وفي النهاية انسالوا على تاج الملك في الثانى  
عشر من المحرم من (٤٨٦هـ) ومزقوه اربا ولم يبلغ عمره وقتها  
السابعة والأربعين •

وتملك بركيارق أصفهان ببسر وتغلب على أعدائه تغلبا تاما  
وخلف أباه رسما وأعطى وزارته لأحد أولاد نظام الملك وهو  
عز الملك حسين وكان بأصفهان آنذاك •

### هروب بركيارق لطالبى سلطنته : —

صار بركيارق في بداية سلطنته أسيرا لمشاكل من ادعوا  
السلطنة غير تركان خاتون وابنها محمود وكان أقواهم تاج الدولة

تتشس أمير الشام . فبعد أن سمع تتشس بموت أخيه نهض مخالفا ابنه فاستخلص أولا حلب وأنطاكية والرها من أمرائها السلاجقة وأدخلهم تحت طاعته ثم اتجه الى فتح الموصل وأخرجها عن يد صاحبها الأمير العقيلي ثم سيطر بعدها على ديار بكر وأذربايجان لكنه أجبر على العودة الى الشام لأن أمراء حلب والرها قد انحدروا الى بركيارق .

وكانت أذربايجان آنذاك تحت حكم اسماعيل بن ياقوتى خال بركيارق ، وزينت ترکان خاتون زواجها باسماعيل مخادعة له فقام هذا بثورته على ابن أخيه ، غير أن أصحاب بركيارق هزموه وألجأوه الى الفرار الى أصفهان ، وسكت ترکان خاتون اسمه بعد اسم ابنها محمود وكانت تريد الزواج به لكن أمراء بركيارق علموا أن اسماعيل يروم السلطنة وقتل السلطان فقتلوه ولم تجد أخته زبيدة خاتون التي كانت تحميه حتى وقتذاك الا السكوت والصمت .

وقدم بركيارق وعز الملك في السابع عشر من ذي القعدة (٤٨٦هـ) الى بغداد ونادى به الخليفة المقتدى في الرابع عشر من المحرم سلطانا ولقبه بركن الدين وثأنت ارادة الله تعالى أن يموت الخليفة في اليوم التالي ، وصدق خليفته المستظهر سلطنة بركيارق أيضا .

وفي شهر جمادى الأولى من هذا العام حمل تتشس على حلب وقتل الأمراء الذين كانوا وافقوا بركيارق ثم أعاد سيطرته على بعلب والجزيرة وديار بكر وأذربايجان وهمدان . وفي همدان بلغ فخر الملك أبو الفتح مظفر ابن نظام الملك الأرشد خدمته فرفعه تتشس الى وزارته ناظرا الى ميل عامة الشعب الى أسرة نظام الملك .

وأتى بركيارق في شوال (٤٨٧هـ) الى بلاد الأكراد لمحاربة عمه تتشس عن طريق الموصل لكنه هزم من عمه فارتد هاربا الى أصفهان .

وهم أهل أصفهان وأتباع أخيه محمود إلى أن يعموا بركيارق ويجعلوا من محمود سلطانا لكن من حسن حظ بركيارق أن محمود كان مريضا يومذاك وكانت تركان خاتون قد لقيت حتفها ، ومات محمود في ذلك الوقت وخلص بركيارق من العذاب الذي كان يأتيه من ناجيته .

وقد مدت سلطنة بركيارق في ذلك التاريخ بشدة لأن تتش قد بلغ من القوة مبلغا عظيما حتى أن المستظهر قرر أن تكون خطبة السلطنة له من ناحية ، كما أن عز الملك وزير السلطان قد وافقته منيته في الموصل قبل تحرك بركيارق لقتال تتش. ولم يكن يوجد من يستطيع أن ينظم عقد الأمور المنفرط من ناحية ثانية .

واختار بركيارق بعد عودته إلى أصفهان الابن الثاني لنظام الملك مؤيد الملك شهاب الدين أبا بكر عبيد الله الذي كان هرب لتتو من فتنة خراسان وقدم إلى أصفهان لوزارته ، وسرعان ما أقام مؤيد الملك الذي كان أكما أبناء نظام الملك ومن الوزراء الفضلاء المجربين السلاجقة السلطنة المزلزلة وأحكم بناءها ، وهزم أكبر أعداء السلطان وهو تتش نتيجة حرب وقعت في صفر (٤٨٨هـ) على مقربة من الري ، وأصيب تتش بالقتل فيها وكفى شبره .

وفي حرب الري وقع فخر الملك الأخ الأكبر لمؤيد الملك الذي كان وزيرا لتتش أسيرا مع الجند ، وكان يتشوف لفترات أن يكون وزير السلطان ويصل منصب أبيه فتحالف مع أعداء أخيه وهم زبيدة خاتون أم بركيارق ومجد الملك القمي المستوفي . وقد حدث هؤلاء السلطان على عزل مؤيد الملك وتنصيب فخر الملك مكانه ، ومع أن فخر الملك بلغ الوزارة إلا أن وزارته كانت أسما بلا مسمى لأن مجد الملك وزير زبيدة خاتون ورئيس ديوان الاستيفاء كان متسلطا في حقيقته الأمر على كل أمور الدولة .

وفي بداية سلطنة بركيارق أدخل أرسلان أرغو أخو ملكستانه

وحاكم مرو خراسان تحت امرته وتغلب على أمراء بلادها فلم يوافق مؤيد الدولة وبركيارق على امارته لكنهما لم يتمكنا من رده بسبب كثرة مشكلاتهما . ولما عزل مؤيد الملك ووزارة مجد الملك أعلن أرسلان أرغو الثورة على بركيارق وقال انه لن يسلم ل مجرد مكاتبة مجد الملك له ، ويبدو أن عصيان أرسلان أرغو كان بعضه بتحريض عماد الملك أبي القاسم أحد أبناء نظام الملك الذي كان وزيرا لأرسلان . وأرسل بركيارق عمه الآخر بوري برس ليقضى على فتنة أخيه أرسلان أرغو لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا بل غلب على أمره في (٤٨٨هـ) ، وبقي الأمير العاصي على حاله أميرا لخراسان .

وفي (٤٩٠هـ) بعث بركيارق أخاه الأصغر أحمد سنجر برفقة الأمير قماج وكيامجير الدولة أبي الفتح على بن حسن الأردستباني الذي يتولى وزارته اذا نجح لحكومة خراسان وطرد أرسلان أرغو ، وتوجه السلطان بنفسه في جمادى الأولى من نفس العام وبصحبه فخر الملك الى خراسان أيضا . وقبل أن يصل جند السلطان أصاب أحد غلمان أرسلان أرغو سيده بالقتل فيسر لبركيارق الاستيلاء على خراسان . وبعد أن قضى السلطان سبعة أشهر في بلخ ولي أخاه سنجر بلقى ملك وناصر الدين حكومة خراسان ، وعزل في نفس هذه الآونة فخر الملك وجعل وزارته لجند الملك مستقلا . ولم يطل انزواء فخر الملك حينما ثوارى في نيشابور لأن سنجر أقال في نفس العام (٤٩٠هـ) مجير الدولة من وزارته وأعطاه فخر الملك ، وظل فخر الملك بوزارته حتى يوم عاشوراء من عام (٥٠٠هـ) حين قتله فدائيو الاسماعيلية .

### عصيان محمد بن ملكشاه لبركيارق :-

عزل مؤيد الملك من وزارة بركيارق فأخذ يطرق الأبواب للانتقام

من مجد الملك القمي والسلطان بأن يثار أمير على السلطان ، فلما لم يتحقق مقصوده في أي باب توجه الى محمد أخ السلطان آخر بكنجه وكان يحكم على أران وكنجة وخرضه على عصيان بركيارق أخيه لأبيه وكان محمد سنجر لأمه ، وجعله يتحرك الى همدان والري ومن نفسه وزيرا له • وعجل بركيارق بجمع جنده وعاجل من الري الى زنجان لمنع أخيه • وفي زنجان عصت مجموعة من الجيش السلطان وطالبت بقتل مجد الملك • ولم يسمع السلطان لقولهم لكن العصاة انسالوا على خيمة مجد الملك فقطعوه اربا في الثامن عشر من شوال من (٤٩٢هـ) وحملوا رأسه وذهبوا به الى معسكر محمد ومؤيد الملك • ولاذ بركيارق بعد هذه الواقعة بالفرار الى أصفهان ، فمنعوه الناس عنها فقصده خوزستان ، ونادى محمد في خرغان بنفسه سلطانا واعترف بسلطنته الخليفة العباسي في السابع عشر من ذي الحجة (٤٩٣هـ) ولقبه بغياث الدنيا والدين •

وألقي مؤيد الملك بزبيدة خاتون أم بركيارق التي وقعت أسيرة في يده بالسجن وكان قد تخلص من شريف نده القوي مجد الملك وفي النهاية قتل هذه المرأة التي كانت تسعى دائما إلى عون مجد الملك وكانت من الأسباب الهامة لعزل مؤيد الملك من وزارة بركيارق •

وشبت الحرب بين محمد وبركيارق خمس مرات من أجل السلطنة في الحرب الأولى التي حدثت في الرابع من رجب (٤٩٣هـ) بالقرب من همدان غلب محمد بركيارق وكان شحنة بغداد وخليفتهما وأمراء الموصل والحلة والجزيرة يساعدون بركيارق ، فاضطر الى أن يلوذ بالفرار الى أمير حبشي من الأمراء السلطانيين الذي تأمر في هذا التاريخ على قسم من خراسان وخوارزم • أما سنجر فقد انحاز الى جانب أخيه الشقيق محمد وهزم في حرب بوجكان بركيارق وحبشي ، وعرج بركيارق الى أصفهان ، وأسر ثم قتل أمير حبشي •



وفي الحرب الثانية في جمادى الآخرة (٤٩٤هـ) تغلب بركيارق يشد من أزره أحد أمراء محمد على أخيه ، ووقع مؤيد الملك أسيرا في يد أحد غلمان مجد الملك ، وكان بركيارق يود أولا أن يبقيه في وزارته نظير مبلغ ضخيم لكنه بسبب قتله لأمه وأعماله القاسية الأخرى قطع عنقه بيده •

وحدثت الحرب الثالثة بين محمد وبركيارق في صفر (٤٩٥هـ) على كئب من نهاوند لأن محمدا بعد هزيمته في السنة السابقة قدم الى سنجر بخراسان فأمدّه ورافقه الى بغداد ، وساعده الخليفة أيضا وبعض أمراء العرب ، وتوجه محمد الى نهاوند لقتال بركيارق ، وبعد حرب قصيرة استمرت يومين تقرر الصلح بين الطرفين على أن تكون كنجة وأران وأذربايجان والموصل تحت أمر محمد وبقيّة البلاد السلجوقية لبركيارق •

وندّم محمد في عودته الى قزوین لهذا الصلح ونسب من كانوا سبب عقده الى الوهن والخيانة وأوقف اعترافه بسلطة أخيه وأتى الري بجيش عظيم وفي جمادى الأولى قابل أخاه في نفس العام (٤٩٥هـ) لكن جنده تفرقوا عنه قبل المعركة فانهزم محمد ومعه سبعون فارسا الى أصفهان ، ولما كانت العاصمة خالية من سلطانها استولى عليها وأقفل المدينة أمام بركيارق •

وأسرع بركيارق الى أصفهان وحاصرها ، ولما وجد محمد نفسه عاجزا بعد أن قاوم سبعة أشهر ركن الى الفرار الى همدان واجتمع به فيها الأمير منصور ولد آخر لنظام الملك ومعه جيشه ونصير الملك محمد بن مؤيد الملك وقد جاء من كنجة لمساعدته ، ورحل محمد الى أذربايجان ليأخذ أهبه ولحق به فيها جماعة من الأمراء •

وجرت الحرب الخامسة بين بركيارق ومحمد في الثامن من جمادى الآخرة (٤٩٦هـ) على مقربة من ( خوى ) فجرت الهزيمة

على جيش محمد وتفرق الأخوان فذهب محمد الى أرمنية وبركيارق  
الى تبريز \*

وفي النهاية تصالح محمد وبركيارق في ربيع الآخر  
(٤٩٧هـ) وقرر أن تكون البلاد شمالي نهر (سفيدرود) بجيلان  
حتى باب الأبواب أي آذربايجان وأران وأرمنية والجزيرة والموصل  
تحت إمرة محمد والعراق وأصفهان وبلاد الجبل تحت طوع وبركيارق  
وظل هذا الاتفاق مرعيا حتى ربيع الآخر (٤٩٨) حين توفي بركيارق \*

### وفاة بركيارق :-

أصيب بركيارق بمرض السسل واشتد به المرض في شهر صفر  
(٤٩٨هـ) حينما توجه الى بغداد فاضطر الى أن يقيم أربعين يوما  
في بروجرد وفي الثاني من ربيع الآخر وأفاه أجله بها ، وقبل وفاته  
اختار ابنه الصغير ملكشاه الذي كان بلغ عمره وقتها أربعة أعوام  
وثمانية شهور ونصب الأمير ايازلا قائد جيشه مربيا له أو أتابك له (١)  
كان بركيارق الابن الأرشد للملكشاه ولم يزد عمره عند وفاة أبيه  
عن الخامسة والعشرين ، وحكم اثنتي عشرة سنة وأربعة شهور وكان  
رجلا كريما عاقلا صبوراً كريماً صبوراً الوجه ، وقد انقضى غالب حكمه  
كما مر في القتال والصراع \* ومع أن بركيارق قد ناله في بضعة من  
الأوقات صدمات وهزائم شديدة إلا أن هذا لم يحوله عن متابعة  
هدفه الى أن تغلب في النهاية على جميع المشكلات ،

### انقسام الدولة السلجوقية

مع أن بركيارق كان الخليفة الرسمي للملكشاه وألب أرسلان  
لكنه لم يكن يحكم مباشرة الا على بلاد الجبل وأصفهان والعراق  
العربي من بلاد السلاجقة الواسعة ، وكانت سائر البلاد في

(١) ( أتابك ) تعنى في التركية ( الاب الكبير ) .

طاعة السلطان ظاهرا وفي الحقيقة كان سلاطانه عليها اسما وكانت هي مستقلة . فقد كان الشام يديره ولد تاج الدولة تتش وكانت بلاد الروم تحت أمر أولاد سليمان بن قتلмыш كما كانت كرمان بيد أولاد قاورد . وفي عام (٤٩٥هـ) خرجت ديار بكر عن حوزة قدرة السلطان وأرمنية في (٤٩٣هـ) عن طريق الأتابكة والأمراء السلاجقة وقد سبق قولنا ان البلاد شمال نهر (سفيدرود) بجيلان تأمر عليها. أخوه غياث الدين محمد وكذلك ايران الشرقية وما وراء النهر استولى عليها سنجر أخوه الآخر ، وكان محمد وسنجر يعتبران نفسيهما ملكا مطلق العنان في بلادهما ولم يكونا يهتمان كثيرا بالسلطان بركيارق . وقد جزأت هذه الحالة دولة السلاجقة العظمى فلم يعد لها هذه الوحدة التي نعمت بها في عهد طغرل وألب أرسلان وملكشاه الا وقتنا قصيرا في أيام حكم السلطان سنجر كما سنشير ان شاء الله بعد قليل .

## ٥ - غياث الدين أبوشجاع محمد

(٤٩٨ - ٥١١هـ)

السلطان غياث الدين محمد هو ثالث أبناء جلال الدين ملكشاه وكان أكبر سنا من سنجر ومحمود وأصغر من بركيارق وكان سنجر ولدى أم واحدة وكان بركيارق من أم أخرى ومحمود من أم ثالثة .

وبعد وفاة بركيارق رحل الأمير اياز قائد جيش السلطان بابنه ملكشاه الى بغداد وأخذ البيعة له من الخليفة ، أما محمد فقد قادم وقتذاك من الموصل وكان مشغولا بحصارها الى بغداد وصالح اياز في النهاية وعن مشورة وزيره السلطان محمد وزال النزاع بين محمد ملكشاه بن بركيارق ، لكن السلطان قام بقتل اياز

لما رأى منه النفاق والخيانة وأبقى ملكشاه لديه كابنه وصفت له السلطة ، وقد اعترف سبخر الذي كان واليا من (٤٩٠هـ) على خراسان وما وراء النهر ويرعى دائما جانب محمد ، برئاسة أخيه السلطان محمد عن طوعية قلب ولم يخلع طاعته في أي وقت قط .

### السلطان محمد والاسماعيلية : -

أفاد الباطنية الاسماعيلية ودعاة الدعوة الجديدة بعد قتل خواجه نظام الملك وموت ملكشاه من الحروب الدائمة بين بركيارق ومحمد وأوضاع البلاد المضطربة وقد ظلوا في بلادهم المختلفة خاصة في قباينات والرى وساوه وأصفهان يقوم بالدعوة لذهبهم العلنية وبقتل أعدائهم والحاك الأذى بهم ، وقد زاد الأمر سوءا حينما كان الخلاف مستعرا بين محمود وبركيارق ومحمد للسيطرة على أصفهان عاصمة الدولة السلجوقية أن تجاسر الباطنية الى حد أنهم كانوا يأخذون الناس بأنواع الحيل الى بعض المنازل حيث يجسسونهم أو يقتلونهم ، ولما عم فسادهم ثارت عامة أصفهان وألقوا بجمع غير من الاسماعيلية في النار .

وكان الاسماعيلية كما أشرنا يلوذون غالبا بالقللاع المحكمة من أجل الحفاظ على أنفسهم والاعتصام من هجوم أعدائهم ، ومن بين هذه القلاع قلعة (شاهدز) أو (قلعة جلالى) أو القلعة الجلالية التى بناها السلطان ملكشاه على جبل أصفهان البركانى فقد استولى عليها أحد رؤساء الاسماعيلية وهو أحمد بن عبد الملك العطاش فى حوالى عام (٤٨٨هـ) وكان عبد الملك أبو أحمد هذا داعى العراق الاسماعيلى ، وقد بلغ الحسن الصباح خدمته بالرى عام (٤٦٤هـ) ثم نيابته ولما استقر الحسن على رئاسة اسماعيلى ايران أبقى أحمد رئيسا للباطنيين فى أصفهان مراعاة واحتراما لأبيه .

ومع أن بركيارق قام بعدة حروب مع الاسماعيلية أيام حكمه

واسنولى فى (٤٨٩هـ) على احدى قلاعهم فى أبهر ، لكنه لكثرة مشاكله الطاحنة لم تسنح له الفرصة لاقتلاع هذه الطائفة من جذورها ، وفضلا عن هذا السبب فقد كان بركيارق وامراؤه يتحالفون خفية مع الباطنية لازالة أعدائهم فيطلبون معونتهم ، كما حدث فى حرب بوزكان التى جرت بين سنجر من ناحية وأمير حبشى وبركيارق من ناحية أخرى اذ امد الأمير اسماعيل بن جيللى الامير الاسماعيلى لطبس وقاين أمير حبشى وبركيارق بخمسة آلاف فارس ، ولما كانت أكثرية قتلى الفدائيين الباطنيين من أصحاب غياث الدين محمد وأتباعه مدعى حكم بركيارق وخصمه فقد أذاع تدريجا أن بركيارق حليف الاسماعيلية وأن فدائييهم يقومون بقتل أتباعه بناء على أمر بركيارق ، خاصة وأن الاسماعيلية بعد هزيمة محمد فى (٤٩٤هـ) وقتل مؤيد الملك قد كان لهم نفوذ خارق فى الاجهزة الحكومية والعسكرية لبركيارق وأدخلوا جماعة فى مذهبهم وكانوا يهددون علنا من يخالفهم بالقتل وقد جعل هذا خاصة بركيارق ووزرائه يحملون اسلحتهم دائما خوفا منهم وكانوا يقابلون السلطان بأسلحتهم هذه ولكى يدفع بركيارق هذه التهمة التى كان أتباع محمد يزيدون من رقعة نارها على تأديب الباطنية وقتلهم فأزرق أرواح جمع من رؤسائهم فى يزد والجزيرة . ومع هذا فلم يقطع أثر هذه الطائفة ولم تصل يد السلطان وأتباعه الى القلاع المحكمة التى كانت تحت تصرف هذه الجماعة فى أكثر بلاد ايران .

وفى أيام حكم السلطان غياث الدين محمد تزايد خطر أحمد بن عبد الملك العطاش وأصحابه المستقرين فى قلعة شاهدز باصفهان ورأى محمد أن وكرا من الفساد العظيم قائم الى جانب عاصمته فأمر بحصار شاهدز ، واخيرا سلم أحمد فى (٥٠٠هـ) فقتله محمد وقتل ابنه وخرب شاهدز وكان الرجل الذى دبر الاستيلاء على شاهدز واستسلام أحمد هو وزير السلطان محمد سعد الملك سعد بن محمد الآبى الذى تولى وزارته من بداية حكمه .

وقد ضم سعد الملك الآبى بعد فتح شاهدز قلعة خان لنجان اليها وكانت من قلاع الاسماعيليه الهامة وتقع على بعد سبعة فراسخ من أصفهان فزاد من قوته وشهرته لكنه اتهم أمام السلطان بتجالفه مع الباطنيين فقتله محمد فى شوال (٥٠٠هـ) بهذا الجرم واستوزر أحد أولاد نظام الملك وهو ضياء الملك أحمد الذى تلقب فى ذلك الوقت بنظام الملك الثانى . وترجع شهرة نظام الملك الثانى هذا فى أغلبها فى وزارة السلطان محمد الى واقعتين أولاهما فتحه للنعمانية فى التاسع عشر من رجب (٥٠١هـ) وثانيهما تجريد جيوشه لفتح قلعة الموت فى (٥٠٣هـ) .

ففى (٥٠٠هـ) وصلت محمدا أنباء عصيان الأمير سيف الدولة صدقة أمير الحلة المزيدي ، فقصده السلطان فى آخر ربيع الأول من عام (٥٠١هـ) العراق العربى وأنزل ووزيره نظام الملك فى التاسع عشر من رجب (٥٠١هـ) الهزيمة بصدقة فى النعمانية وقتل صدقة فى الحرب وضم محمد ولاياته اليه .

وفى المحرم من (٥٠٣هـ) أرسل السلطان محمد بناء على الشكاوى العديدة للناس من اسماعيلية الموت نظام الملك ومعه الأمير جاولى سقاوى الذى كان قد هاجم قلاع الاسماعيليه فى فارس وخورستان مرارا فشغل نظام الملك بحصار الموت وانشغل الأمير بحصار احدى القلاع الأخرى المجاورة ومع أنهما اتفقا من الربيع حتى الخريف للاستيلاء على هاتين القلعتين الا انهما لم يصيبا نجاحا فانصرف نظام الملك عن قصده وبعد قليل أصابه القدائيون الاسماعيليون فى بغداد بطعنات لم تؤثر فيه كثيرا فبرأت جروحه بعد مدة ، وفى السنة التالية أى (٥٠٤هـ) أسقطه محمد من وزارته .

#### وفاة السلطان محمد فى الرابع والعشرين من ذى الحجة (٥١١هـ) :

حكم السلطان أبو شجاع غياث الدين محمد بن السلطان ملكشاه من (٤٨٦هـ) حتى (٤٩٣هـ) فى كنجة وأران من جانب بركيارق ثم نصب من

السنة الأخيرة على السلطة العامة لكل البلاد السلجوقية خلفا لأخيه حتى الرابع والعشرين من ذى الحجة من عام ( ٥١١هـ ) حين مات أى كان سلطانا لمدة اثنتى عشرة سنة ونصف سنة .

وقد اختار محمد وقت احتضاره محمودا ابنه الذى كان يبلغ الأربعة عشر عاما خلفا له فخطب له بعد موت السلطان بيوم وأمر الخليفة المستظهر أيضا فى الثالث عشر من المحرم ( ٥١٢هـ ) أن تتضمن خطبته بعد اسمه أيضا ولقبه بلقب معيث الدين .

كان السلطان محمد الذى لم يزد عمره عن السبعة والثلاثين عاما وقت وفاته ملكا شجاعا عادلا طيب السيرة لم تصدر عنه فى أيام حكمه حركة تذم وكان له جد واجتهاد خاصان فى تقوية أمر الدين يشهد لذلك حروبه مع الملاحدة وأرسل فى ( ٥٠٩هـ ) جيشا الى سواحل الشام وفلسطين حيث استولى الصليبيون من ( ٤٩١هـ ) ليطردهم الا أن هذا الجيش لقى الهزيمة بسبب الخلاف الذى كان قائما بين الأمراء المسلمين بالجزيرة والشام وصارت هزيمتهم باعثا على تقوية موقع المسيحيين الصليبيين .

## ٦ - السلطان معز الدين أبو الحارث أحمد سنجر

( ٥١١ - ٥٥٢هـ )

وبعد أن وصل خبر وفاة السلطان محمد استتفك الملك ناصر الدين سنجر (١) الذى كان يحكم من عام ( ٤٩٠هـ ) على خراسان وما وراء النهر وقد حاز فتوحات كبرى فى هذه الفترة أن ينصاع لأمر ابن أخيه محمود ذى الأربعة عشر عاما أو يقبل سلطانه ، فلقب نفسه باللقاب أبيه السلطان ملكشاه (معز الدين) و (السلطان) ، لكنه لم يتعرض احتراماً لحقوق

---

(١) مستنجر أصلا سنجر أو شسنجر ثم حُرِثَ الى سنقر لفظ تركى يستعمل كذلك كاسم علم ومعناه (الصقر) وأتى سنقر بمعنى الصقر الأبيض

أخيه محمد لابنه السلطان مغيث الدين محمود فأبقى الولاية الغربية له كما كانت . ومع أن محمودا وأبناء محمد الآخرين كانوا يعترفون بسيادة عمهم الكبير ورئاسته مادام حيا عن رهبة أو رغبة وكان يخطب باسم سنجر في غالب البلاد السلجوقية حتى الشام والحرمين إلا أن حوزة ملك سنجر الحقيقية كانت تمتد وحسب من الرى الى كاشغر وحدود السند شرقا وكان أبناء السلطان محمد والأمراء والأتابكة السلاجقة يديرون البلاد الغربية السلجوقية .

وتنقسم مدة حكم سنجر التي استمرت نحو اثنتين وستين سنة الى فترتين ، أولاهما التي تبدأ بعام ( ٤٩٠ هـ ) وتنتهى بعام ( ٥١١ هـ ) وكان سنجر خلالها ملكا ويحكم نائباً عن أخوته وحسب وكان لقبه ناصر الدين . وثاني هاتين الفترتين هي التي تمتد من عام ( ٥١١ هـ ) حتى عام ( ٥٥٢ هـ ) حينما أنيطت به سلطة السلاجقة ورئاستهم العامة وكان يلقب بأكثر من لقب كمعز الدين وسلطان السلاطين وغيرهما وكان يقال له قبل هذه الفترة ( ملك الشرق ) .

### ( ١ ) فترة إمارة سنجر

( ٤٩٠ هـ - ٥١١ هـ )

أول واقعة هامة لفترة إمارة الملك ناصر الدين سنجر بعد دفع غتنة أرسلان أرغو هي فتح طخارستان وثرمد عام ( ٤٩١ هـ ) حينما استنصفى سنجر هذه البلاد من يد أحد الأمراء السلاجقة وضمها الى ملكه ، ووقعت بعدها حرب بوزكان التي أشرنا اليها ضمن سلطنة بركيارق ، وقد نهض سنجر في هذا الحرب التي جرت في عام ( ٤٩٣ هـ ) لمؤازرة ابن أخيه محمد وغلب بركيارق وأمير حبشى وكانت قيادة جيش سنجر في هذه المعركة للأمير ( يرغش ) أكبر أمرائه . وأنفذ سنجر الأمير يرغش في ( ٤٩٤ هـ ) لفتح قلاع الاسماعيلية في قهستان وطبس ، وعاد يرغش بعد قتل وتخريب



كثيرين في هذه البلاد الى مرو عاصمة سنجر ، وعاد مرة أخرى في (٤٩٧هـ) الى هذه البلاد وأذاق الاسماعيليين وبالاً . وأخيراً صالح سنجر الاسماعيليين ببناء على نصيح بعض رجال بلأطه بشرطة الا يبنوا قلعة جديدة وأن يذروا شراء الأسلحة ودعوة الناس الى دينهم وعاد يرغش الى خراسان . ولم يقبل أكثر شعب خراسان هذا الصلح ، واتهم سنجر من هذا الوقت بتواضعه مع الباطنية وتحالفه ، ثم صدرت عنه بعد أعمال قوت من هذه التهمة .

### هروب سنجر في ما وراء النهر :

قلنا سابقاً أن السلطان ملكشاه بعد فتحه سمرقند عاد الى ايران عام (٤٨٢هـ) بأحمد خان أميرها أسيراً ثم أعاده الى امارته بعد مدة . وقد اعتنق أحمد خان أثناء مقامه بايران عقيدة الباطنيين فلما آب الى سمرقند ثار عليه الفقهاء وأفتوا بقتله فقتل أحمد خان في المحرم من (٤٨٨هـ) وخلفه ابن عمه .

وصارت في عهد سلطنة بركيارق امارة الخانية في أيدي ثلاثة من أفراد هذه الأسرة ، وكانوا معترفين على الدوام بسلطنة بركيارق ورئاسته الى أن سافر سنجر الى معية أخيه ببغداد (٤٩٥هـ) فأثاد قدير خان جبريل من غيابه وصمم على أن يستولي على خراسان بعون أحد أمراء سنجر خاصة وأن سنجر كان مريضاً عندما عاد الى خراسان ، كما ائتمدت الخصومة أيضاً بين بركيارق ومحمد ، فأقدم قدير خان متجاسراً على قصده وسرعان ما شفى سنجر وخف الى بلخ لمقابلة قدير خان وأمر الأمير يرغش بأن يمسك بقدير خان الذي كان منهمكاً في القنص الى حد الغفلة فاستأسره يرغش وقتل بأمر دن سنجر وعين سنجر ابن أخته محمد تكين وكان من الأسرة الخانية من ناحية أبيه ويعيش في مرو راهباً قدير خان في امارة سمرقند بلقب أرسلان خان وصارت ما وراء النهر تحت طاعة سنجر المباشرة . وقد أمد سنجر أرسلان خان أكثر من مرة للقضاء على معارضيهِ

من بينها ما حدث عام ( ٥٠٣هـ ) فدفع أعداءه وظل أرسلان خان يحكم فيما وراء النهر بسلام وصفاء نحو عشرين عاما من تاريخ تنصيبه وكان سنجر فارغ البال من هذه الفاحية الا في ( ٥٠٧هـ ) حينما أخبر أن أرسلان خان يظلم رعاياه وقد عصاه ، فتحرك سنجر بجيش له ، الا أن أرسلان خان توسل خوفا بالأمير قماج أكبر أمراء سنجر في هذه الآونة ودعا سنجر أرسلان خان لكي يأتي شاطئ جيحون الشمالى ، وحينما كان سنجر راكبا جواده على شاطئه الأيمن ، قبل أرسلان خان أرض طاعته فعفا عنه سنجر وأعادته الى امارته •

### فتح غزنة في العشرين من شوال ( ٥١١هـ ) :

ذكرنا تفصيل غزو سنجر لغزنة وسبب ذلك في تاريخ الغزنويين أثناء حكم أرسلان شاه الغزنوى وقلنا ان سنجر بناء على العهد الذى كان عقده في مرو مع بهرام شاه أخى أرسلان شاه أتى الى غزنة لمؤازرته وبرفقته الأمير أتر وابو الفضل نصر بن خلف ملك سيستان ففتحها في العشرين من شوال ( ٥١١هـ ) وأجلس بهرام شاه على العرش وقرر الاثنان أن يخطب أولا للخليفة والسلطان محمد وسنجر ثم باسم بهرام ، وبهذا قبلت غزنة طاعة السلاجقة بيد سنجر ولم يكن تابعة حتى هذا الوقت للسلاجقة قط ، وقد جعل هذا الفتح سنجر مشهورا ذائع الصيت في بلاد المسلمين أكثر من المعتاد •

وكان السلطان محمد لا يرى مصلحة سنجر في غزوه لغزنة وكان يمانع فكرته هذه لكن سنجر لم يهتم بأخيه بناء على تشجيع وزيره له ، فبعد أن فتح هذه المدينة كتب خبر فتحها لأخيه حينما كان السلطان محمد أخوه مريضا وبعد شهرين أى في الرابع والعشرين من ذى الحجة ( ٥١١هـ ) وافاه أجله وأصبح سنجر سلطانا •

وفي فتح غزنين كان وزارة سبخر لقوام الملك أبى الحسن صجر الدين محمد ولد فخر الملك ابن نظام الملك وقد اختاره سنجر

لوزارته في شهر صفر (٥٥٠٠هـ) أي بعد شهر تقريبا من قتل أبيه  
فخر الملك الذي قتلته الباطنية في العاشر من المحرم من نفس العام  
وقد ساء ظن سنجر بوزيره أثناء مقامه بغزنة ، وحرص أمراء  
سنجر الذين لم يكونوا محبين لصدر الدين محمد وكانوا ينظرون  
بعين الطمع الى الأموال الضخمة التي حازها في فتح غزنة  
سنجر على قتله ، فقتله سنجر بعد أن بلغ مسرو في سبعين  
من ذي الحجة (٥٥١١هـ) وكان صدر الدين آخر وزراء سنجر في فترة  
امارته وملكيته .

### (ب) فترة سلطنة سنجر

(من ذي الحجة ٥٥١١هـ حتى ربيع الأول ٥٥٥٢هـ)

#### حرب ساوة في الثاني عشر من جمادى الأولى (٥٥١٣هـ) :-

بعد قتل صدر الدين محمد أصيب سنجر لهذا بندم شديد  
خاصة وقد بلغه موت السلطان محمد في هذا الوقت أيضا فزاد  
ألمه وعجزه وكان قتله لوزيره عملا قبيحا وأشد تأثرا فيه وأخيرا  
لما رأى أن ميل المسكر والرعية يتجه الى أسرة نظام الملك اختار  
ابن أخى نظام الملك أبا المحاسن عبد الرازق بن عبد الله الذي تلقب  
بالمفقيه الأجل وشهاب الاسلام وزيرا له ، وجلس مكان السلطان  
محمد في مرو مختارا لقب ( السلطان ) .

وفي (٥٥١٣هـ) قدم السلطان مغيث الدين محمود ابن أخى  
السلطان سنجر بجيش كثيف الى الري لأنه كان غير راض بسلطنة  
عمه وكان يظن أن عمه سوف يعامله بنفس المعاملة التي عامل  
بها أباه محمدا « من قبل » وكان يحرصه وزراؤه والأمير على بن  
عمر رئيس حجاب وأمرأء العراق والحلة وكان يركبه جيش العراق  
بقيادة منكوبرس وجيش العرب برئاسة المنصور بن صدقة المزيدي

فأسرع السلطان سنجر بجيش قوامه عشرون ألفا وثمانية عشر فيلا حريبيا وبعرفته شهاب الاسلام والأمير أبو الفضل نصر بن خلف السيستاني وعلاء الدين محمد خوارزم شاه والأمير علاء الدولة كرشاسف الأتابك الكاكوي ليزد (زوج أخت سنجر ومحمد) ليقابل جند محمود ، وفي الحرب التي جرت في الثاني عشر من جمادى الأولى (٥١٣هـ) في ساوة لحقت الهزيمة الشديدة بمحمود ، فهرب الى أصفهان وتقدم سنجر الى همدان وأسقط الخليفة اسم محمود من خطبة بغداد وخطب لسنجر •

وفي همدان قبل سنجر لقلة جيشه والتماس أمه تاج الدين خاتون التي كانت جدة محمود أن يصلح محموداً ، فأتى الأخير للاقاة عمه وجدته ، فأبدى سنجر له حبا جما وأمر أن يذكر اسم محمود بعد اسمه في جميع البلاد ولها لعده وترك له ولاياته عدا الري وبعد خمس سنوات أرسل باحدى بناته من خراسان الى العراق لتتزوج به •

أما من أوقع محمود بسنجر فقد كان رجلا من عمال الديوان من أهل همدان واسمه زين الملك قوام الدين أبو القاسم وكان وزيرا للأمير على بن عمر كبير حجاب محمود أولا وقد ارتكب كثيرا من الجرائم في نحو خمس عشرة سنة في دولة محمود وسنجر والخليفة بسبب تأمره وفساده ومكره ففضى على كثير من الأبرياء عن طريق أتباعه أو فدائيي الاسماعيلية • وقد حرص أولا مخدومه الأمير عمر كبير الحجاب حتى عصى محمودا على عمه ثم أثار أمراء ما وراء النهر والحلة وفارس وشبا نكاره وقتل جماعة من غلمان محمود ثم هب خزانته وأكثر من تخريبه الى حد أن سنجر صار مجبرا في قدومه للري على اصلاح أحوال بلاط حكم ابن أخيه •

وبعد فتح ساوه أخذ هذا الخبيث يهب هذا وذاك أمولا حتى تقرب الى سنجر فكلفه بأن يأتي بمحمود الى أصفهان ، وبعد عودة سنجر الى خراسان صار رئيس ديوان الطغراء والانشاء من لدن سنجر في بلاط

محمود ، وكان في هذه المدة يكتب لسنجر أخبار العراق الصادقة والكاذبة ، ولم يتخل قط عن الدسائس على أمل أن يبلغ الوزارة حتى حرك محمودا في ( ٥٠١٧ هـ ) فقتل وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك ومن ثم بلع وزارته بعد قليل ، وقد توسل في هذه الآونة بالباطنية للتخلص من أعدائه فأهلك سفيرى الخليفة ووزير سنجر بأيديهم وأمر بالعارف المشهور أبى المعالى عبد الله بن محمد الميانجى المعروف بعين القضاة الهمدانى (١) فشنق في ( ٥٠٢٥ هـ ) في أيام وزارته الثانية كما سوف نشير ، وقد تعددت جرائمه الى حد أن محمودا ألقى به في الحبس في ( ٥٠٢١ هـ ) مع أن سنجر قد اختاره ، واستراح الناس من شروره لبعض الوقت ، وسوف نشير الى بقية وقائع سلطنة السلطان سنجر في القسم الغربى للبلاد السلجوقية أثناء تاريخ سلاجقة العراق أو أبناء أخيه .

### غزو سنجر الثانى لبلاد ما وراء النهر في ( ٥٠٢٤ هـ ) :

وفي ( ٥٠٢٤ هـ ) طلب محمد أرسلان خان خاقان سمرقند الذى أصيب في هذا الأوان بالشيخوخة والفلج عون السلطان سنجر عندما قتل قاضى المدينة ورئيسها أحد أبنائه ، فتحرك سنجر بجيشه الى ما وراء النهر ، ولكن قبل وصوله أحمد ابن آخر للخاقان الفتنة فأرسل أرسلان خان الى سنجر وهو في طريقه اليه أنه لم يعد بحاجة الى عونه ، فغضب السلطان لهذه الرسالة ، ووقع في أسر جماعه ادعت إن أرسلان خان سيرهم لقتل السلطان فهاجم السلطان سمرقند واستباحها ثم قبض على أرسلان أبى زوجته وبعث به الى خراسان ، وترك سنجر ما وراء النهر أولا الى حسن

---

( ١ ) كان عين القضاة المقتول عام ( ٥٢٥ هـ ) من مشايخ الصوغية ومن كلامه مريدون كثيرون ، وقد حرر المؤلف في فترة حياته القصيرة التى لم تزيد كلامه مريدون كثيرون ، وقد حرر المؤلف في فترة حياته القصيرة التى لم تزيد عن الثالثة والثلاثين أثرا عديدة بالعربية والفارسية من بينها ( بزدان التالخت ) أبى معرفة الله ، وتهديدات أو زبدة الحقائق ومكاتب . وكان شجاعا في اذاعة ما يعتقد لهذا اثار عليه المتعصبين فاتهم بالاحاد وتتل .

تكنين ومن بعده الى ابن أرسلان خان الخاقان كمال الدين أبى القاسم محمود وكان ابن أخت السلطان ، وقد ظل هذا الخاقان كما سيلي مطيعا له حتى آخر سلطنته .

### تأسيس الدول القراخانية والخوارزمية :

في حدود عامي ( ٥١٨ ) و ( ٥١٩ ) نجحت طائفة من الجنس الأصفر الساكنين في المنطقة شمالى جبال ( تيان شان ) وأودية نهري ايلي وقاريم ما بين بحيرتي بلخاسن وايسى كول واسمها القراخانيون (١) في تأسيس دولة واسعة بعون رجل اسمه (يلوتاشه) كان يقال له الكورخان (٢) أى ملك الملوك أو خان الخانات وصار لقب كورخان من بعده لقب الملوك القراخانيين العام ، وكانت عاصمة هذه لدولة الجديدة مدينة بلاساغون (٣) .

أما الخوارزمشاهيون الجدد فهم أبناء غلام تركى اسمه أفو شتكنين اشتراه أحد الأمراء السلاجقة في غرجستان فسمى لهذا بأنوشتكنين غرجه . وقد ارتقى أنوشتكنين في بلاط ملكشاه بسبب جدارته وكفايته فعين بشحنكية خوارزم ، وأرسل ملكشاه بابنه أى قطب الدين محمد لحكومتها فلقب قطب الدين بلقب خوارزم شاه وهو مؤسس الأسرة الخوارزمشاهية وبداية ظهور دولتهم هو عام ( ٤٩٠ هـ ) .

---

( ١ ) قره ختاي هو الاقليم الذى يضم اليوم ولايتى شانسى وكانسو الصينيين ( ح ١ ص ١٤٠ من كتاب غامبرى ) .

( ٢ ) كورخان هكذا كما اثبتته المؤرخون الشرقيون بتابعة لعطما ملك الجوينى مؤرخ المغول وصاحب كتاب ( جهانكشا ) ، ويقول الجوينى أن هذا اللفظ في لغة قره ختاي معناه خان الخانات ويستدل على ذلك بكلمة كوركان الأويغورية بمعنى الحائى أو المدافع وهو قول لا يثق به غامبرى في كتابه السابق ( ح ١ ص ١٤٣ ) .

( ٣ ) يذكرها المغول باسم جوبالق أى المدينة الجميلة كما ذكرها ميرخوند على وجه الصحة وفي خريطة آسيا في القرن الرابع عشر التى حققها هول فى كتابه القيم تقع عند الشمال من أورمىجى الحديثة ( المرجع السابق ح ٢ ص ١٤٣ ) .

وبعد أن نصب سنجر على حكومة خراسان وقضى على فتنة أرسلان أرغو أبقى قطب الدين محمداً على حكومة خوارزم ، وظل محمد هذا تابعا مطيعا لسنجر طوال مدة امارته ( ٤٩٠ - ٥٢٢ هـ ) وكان يأتي بلاط سنجر كل عام بمفرده أو برفقة ابنه أئمز وكان يجالذ بسيفه في الغالب في ركبه فكان من بين قواده في ساوة وكان أئمز يحارب مع السلطان في قتاله مع ابن أخيه مسعود .

وبعد وفاة محمد خوارزمشاه جعل سنجر ابنه أئمز في مقام والده ومكث أئمز الذي لقب بأبى المظفر علاء الدولة على سيرة أبيه من الطاعة والمتابعة لسنجر حتى حدود عام ( ٥٣٠ هـ ) . وكان أئمز من ضمن ركب سنجر في ( ٥٢٩ هـ ) وقت تحركه الى غزنه ليؤدب بهرام شاه . الا أن في ( ٥٣٠ هـ ) حين بلغ السلطان بلخ وصل أئمز الى خوارزم وقد نفخ عليه أمراء سنجر وبغير رضا السلطان ، فأعلن عصيانه من هذه الآونة وأخذ يؤسس دولة مستقلة له بينما كان القراخطيون قد بدأوا في جوار خوارزم الشرقي يستولون على البلاد السلجوقية وأخذوا يتقدمون كالسيل ناحية الغرب .

### الحرب الأولى بين سنجر وأئمز في ربيع الأول ( ٥٣٣ هـ ) :

هاجم أئمز بعد إيايه من غزنة جند والوادي الأسفل لنهر خجون بمقصد فتحها فدخلها وكانت تابعة للسلطان ، فأرسل سنجر رسلا اليه وقبح ما فعل لكن خوارزمشاه تجرأ وهبى رسل السلطان وأقفل جميع طرق خراسان وأغرق الأراضى من حوالىها بالماء فيمنع تقدم جيش سنجر . وفي الحسب التي حدثت في التاسع من ربيع الأول ( ٥٣٣ هـ ) بجوار ( هزاراسب ) انتصر سنجر انتصارا مبينا وصرع من جند أئمز نحو عشرة آلاف ، وهرب أئمز إلا أن ابنه سقط أسيرا بيد سنجر فقطعت عنقه بأمر منه . وترك سنجر ابن أخيه غياث الدين سليمان ولد السلطان غياث الدين محمد واليا على خوارزم وعاد الى خراسان .

وكرر أتمسز الى خوارزم راجعا بعد عودة سنجر فأخذ أهلها يعاونونه  
 لسططهم على معاملة الجنود السلاجقة لهم فطرد خوارزم شساء غياث  
 الدين سليمان من ملكه واعتلى عرش خوارزم ثانية ، ولما كان يخشى  
 السلطان فقد أرسل اليه في ذى القعدة من ( ٥٥٣٥ ) رسالة قسم الى  
 سنجر وتعهد أن يبقى على طاعته مقسما بأغلظ الأيمان .

### حرب قطوان في صفر ( ٥٥٣٦ ) :

توجه الكورخان القراخطائي في ( ٥٥٣٢ ) الذي ذكرته المصادر  
 الاسلامية بلقب الأعور لعور فيه الى فتح بلاد كاشغر والختن (١) بعد  
 أن ضبط قبائل القرغيز ( الخرخيز ) التركية وكانت كاشغر والختن بيد  
 أحد الحكام في تلك الأيام وكان مطيعا للسلطان سنجر . وقد ألحق  
 حاكم كاشغر بكورخان هزيمة فادحة في مكان يبعد عن هذه المدينة ببضعة  
 منازل ولاد القراخطائيون بالفرار .

وشرع الترك القراخطائيون مرة أخرى في ( ٥٥٣١ ) يهاجمون بلاد  
 المسلمين وسلخوا هذه المرة طريق ما وراء النهر ، فتقدم اليهم الخاقان  
 محمود بن أرسلان خان لكنه هزم منهم في رمضان من هذه السنة قريبا  
 من مدينة خجند وركن الى الفرار الى سمرقند فتقاطر القراخطائيون على  
 البلاد الشرقية لما وراء النهر وعم أرجاء هذه البلاد فزع عظيم وفي النهاية  
 أنفد أهل ما وراء النهر الخان محمودا للسلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع  
 الكورخان القراخطائي .

وزحف السلطان سنجر في ذى الحجة من ( ٥٥٣٥ ) ومعه نحو  
 مائة ألف مقاتل يصحبه الأمير قماج والأمير أبو الفضل السيستانى

---

( ١ ) يرى أبيل رموسات ( Abel Remusat, Hist. de la Ville Khoten )  
 أن لفظ ختن هو تحريف للفظ السنسكريتي ( كوت - ستانا ) أى صدر الأرض ،  
 ويرى أهل آسيا الوسطى أنه مشتق من اللفظ الفارسي ( خوب تن ) أى  
 الجسد الجليل يشيرون بذلك الى عرى الرجال الوسماء : انظر كتاب  
 لاهورى ج ١ ص ٤٥ .



وبهرام شاه الغزنوى وعلاء الدين حسين جهانوز الغورى والشاه الغازى نصره الدين رستم بن على قائد جيش طبرستان الى ما وراء النهر وهاجم ترك القرلق بناء على شكوى الخاقان محمود منهم أيضا ولم يصنع الى طلب تجديد طاعتهم له واعتذارهم اليه برغم الحافهم فلاذ القرلق بالقراخطائيين فاستشفع الكورخان لهم عند السلطان ، ولكن السلطان لم يقبل شفاعته مغرورا وأرسل مخالفا رأى وزيره ناصر الدين أبى الفتح طاهر بن فخر الملك أخى قوام الملك صدر الدين محمد السابق الذكر الذى ولى وزارة السلطان من جمادى الأولى ( ٥٢٨هـ ) أرسل الى الكورخان يهدده ويدعوه الى الاسلام .

وغضب الكورخان لرسالة وتهديدات سنجر فتقدم الى سمرقند لدفعه وفى الحرب الهائلة التى وقعت فى ( قطوان ) على بعد ستة فراسخ من سمرقند فى الخامس من صفر ( ٥٣٦هـ ) ألحق القراخطائيون والأترك القرلق بجيش سنجر هزيمة شديدة وأهلكوا أغلبه ووقعت زوجة السلطان ابنة أرسلان خان الافراسيابى والأمير قماج والأمير أبو الفضل السيستانى أسرى وهرب السلطان الى ترمذ وفقد الخاقان محمود ما وراء النهر ، واستولى الكورخان على بخارى أيضا بعد فتحه سمرقند .

وانسال القراخطائيون من ناحية أخرى على خوارزم وانهزم أنسر منهم ولعله تدخل فى تحريك الكورخان الى مهاجمة ما وراء النهر وصالحهم على أن يدفع لهم خراجا سنويا ثلاثين ألف دينار .

كانت هزيمة قطوان أول وأشد هزيمة للسلطان سنجر وكان تأثيرها شديدا عليه لأنه فضلا عن الوهن الذى أصابه من جرائها فان أنسر تيسر له أن يسلك طريق العصيان وصارت بلاد سنجر الشرقية من كاشغر حتى بخارى ليست خارجة عن يده وحسب بل أصبحت هذه البلاد الاسلامية فى طوع هذا الملك الكافر تؤدى له الجزية ، وظلت كاشغر وما وراء النهر على حالها من التبعية للكورخانيين الى أن قضى علاء الدين محمد خوارزم شاه على دولتهم فى حدود ( ٦٠٩هـ ) وكان الخانات الافراسيابيون يؤدون اليهم الجزية أيضا .

## حروب سنجر في خوارزم في (٥٣٨) و (٥٤٢) :

لما هزم سنجر من القراخانيين وأتى ترمذ وبلغ انتهاز أئسز الفرصة لتجديد عصيانه ومهاجمته خراسان وفي ربيع الأول (٥٣٦ -) بلغ سرخس ومنها الى مروثما هجان عاصمة السلطان فقام عليه أهلها فقتل أئسز منهم مقتلة عظمى منتقما وعاد الى خوارزم \* وعاد ثانية في شهر شوال الى خراسان وأسقط في ذى القعدة اسم سنجر من خطبتها وأمر أن يخطب له فيها واستمر هذا الحال حتى أول المحرم من (٥٣٧) ولم يك لسنجر قدرة على منعه بسبب الهزيمة التي حلت به \* وعاد أئسز الى خوارزم وأعلن استقلاله وأنشأ رئيس ديوان انشائه الشاعر والكاتب البالغ الشهرة رشيد الدين عمر البلخي الوطواط (١) بمدحه بقوله

لما اعتلى الملك أئسز عرش انتهت دولة سلجوق وآله (٢)

وبلغ الغضب بسنجر مبلغا عظيما لما فعله أئسز فهاجم خوارزم في (٥٣٨) وجاصرها فأخذ أئسز يعتذر اليه ويخطب مصالحته فعفا عنه سنجر وعاد الى خراسان \*

لكن أئسز لم يصف لسنجر في أي وقت وكانت مصالحته له من وجه الاضطراب دائما حتى أنه بعد فترة أرسل بشخصين سرا لقتل سنجر فأرسل مبعوث السلطان في خوارزم وهو الشاعر المشهور أديب

---

(١) سمي الوطواط لضالة جسمه وشبهه هذا الحيوان في الضالة ، وقد اتصل بغير الخوارزميين أيضا كآل باوند والخاتان محمود بغراخان والشاه الغازي نصر الدين رستم بن قارن وغيرهم ، بيد أنه شهرة في الأدب الفارسي طغت على اتصاله بالحكام ، ففوق ديوان له ورسائله السلطانية والاخوانية له كتاب عظيم الشأن في البديع والصناعات اللفظية وهو حقائق السحر في دقائق الشعر ( ترجمه الدكتور ابراهيم الشواربي واتدم له ) . له أيضا منظومة في العروض الفارسي ونثر اللاليء من كلام أمير المؤمنين علي ، وبعض رسائل بالعربية في الأدب والكلام ، وتخلو له تاليفه مكانة كبيرة في الأدب الفارسي والنثر العربي .

(١) البيت بالفارسية :

جون ملك أئسز بتخت ملك برآمد \* دولت سلجوق وآل اوبسرآمد

شهاب الدين اسماعيل صابر (١) بالمؤامرة الى سنجر فقبض سنجر على الرجلين وقتلها ، وألقى أتسز بأديب صابر أيضا في نهر جيحون .  
وفي جمادى الآخرة ( ٥٣٤٢ ) حمل سنجر مرة أخرى على خوارزم وحاصر قلعة ( هزاراسب ) فاقطعها بعد شهرين ، فأتى أتسز وقد أعيتته الحيل مضطرا الى سنجر في المحرم من ( ٥٥٤٣ ) وأحنى رأس الاستسلام عن كراهية وعفا السلطان ثانية عن ذنوبه .

### فتنة الغز في ( ٥٥٤٨ ) :

كانت طائفة الغز كما سبق الشرح جماعة من التركمان المسلمين كالسلاحقة الساكنين فيما وراء النهر . وقد هاجروا منها بعد استيلاء القراخانيين عليها وسكنوا حوالى بلخ . وكانت بلخ في هذا الوقت تحت حكم الأمير قماج من كبار أمراء جيش سنجر فطلب الى الغز أن يتركوا حدود بلخ ويذهبوا الى مكان آخر ، فرفض التركمان الغز فهاجم قماج ولم تستطع هذه الجماعة أن تصرفه عن عزمه برغم محاولاتهم بأن يعطوه ما يشاء من مال ، فاضطروا الى الحرب وبعد أن هزموه انصبوا على بلخ ولم يراعوا عن القتل والنهب .

وهدد السلطان سنجر التركمان الغز ليتركوا بلخ فانبعثوا يعتذرون اليه وقالوا انهم مستعدون أن يعطوه كل عام المال والعبيد اذا أبقاهم في مراعيهم . فلم يسمع سنجر لهم وقصدهم ليزيلهم بنحو مائة ألف .

والحق بدو الغز بجيش سنجر الهزيمة الأولى في المحرم من ( ٥٥٤٨ ) بالقرب من بلخ والهزيمة الثانية في جمادى الأولى من نفس العام على مقربة من مرو وقتل في المرة الثانية الأمير قماج وجماعة غيره من أمراء

---

( ١ ) أديب صابر وأصله من ترمذ أنشأ يمدح أولا سنجر ثم بعثه برسالة الى أتسز فمكث بخوارزم فترة حدث له فيها ما حدث . خلف ديوانا من القصائد والغزليات وكان متأثرا في أشعاره بأسلوب العنصرى والفرخى ، وله مناظرات شعرية مع الوطواط .

سنجر ووقع السلطان وزوجته في السادس من جمادى الأولى أسيرين في يد الغز وتدافع البدو التركمان في مناطق خراسان كالنمل والجراد وأصبحت بلادها العامرة التي كانت كل منها العين والمصباح لعالم الحضارة وقل نظيراتها في العمارة وكثرة السكان موطن حوافر ودواب هذه الجماعة المغيرة الدموية وأشاعوا الفهب والسلب في مرو وبلخ وطوس ونيشابور وهراة وذاق كثير من العلماء وأهل الزهد والتقوى شربة الشهادة من يد أولئك الغز ولم تسلم من هجومهم غير هراة وحدها بسبب قلاعها المستحكمة وألقى أمراء الغز وكان أشهرهم ناصر الدين أبو شجاع الطوطي بسنجر في السجن حتى أوائل (٥٥١هـ) وكانوا يظهرون له الاحترام ويعترفون به سلطانا لكنهم لم يغفلوا عنه حتى لا يفسر ويأتيهم منتقما +

وممن نجا بزوجه من أمراء سنجر مع وزير السلطان طاهر بن فخر الملك سليمان. نشأ السابق الذكر ابن السلطان محمود بن السلطان محمد الذي كان سنجر منذ فترة قد اختاره لولاية عهده فرفعوا إلى مكان السلطان ، وأتى سليمان نشأ في جمادى الآخرة من عام (٥٤٨هـ) إلى نيشابور لكنه لما كان رجلا ضعيف النفس ساء السلك فلم يطق صراع الغز وبعد أن مات وزير السلطان طاهر بن فخر الملك في شوال من نفس العام لم يستطع البقاء في خراسان وعاد إلى العراق في صفر من (٥٤٩هـ) + ودعا أمراء سنجر الخاقان ركن الدين محمود ابن أخت السلطان من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان وخطبوا له فيها ، وفي نفس هذه الأيام أدخل أحد الغلمان القدامى للسلطان واسمه ( المؤيد آي آبه ) نيشابور وطوس ونسا وأبيورد وبيهق والدامغان تحت امرته وطرده الغز عن هذه البلاد وقبل أخيرا أن يستقل في هذه النواحي وأن يعطي خراجا سنويا إلى الخاقان محمود +

وطوال مدة أسر سنجر لم يستفد أئمن خوارزم شاه من اضطراب أوضاع بلاد سنجر مع أنه كان دائم الطمع في خراسان وشغل نفسه أكثر

هذه الفترة بالجهاد في حدود شمال خوارزم وشرقها . ولما أدرك الخاقان محمود بعد وصوله الى خراسان أنه لن يطاول منفردا الغز طلب أئسز ليغاونه فقتلأقى أئسز به في خراسان وكتب مكاتيب الى الشاه الغزأى اسبهيدي طبرستان وعلاء الدين حسين الغورى وتاج الدين أبى الفضل ملك نيمروز ودعاهم الى معاوية سنجر، ووصلت أنباء خلاص سنجر بتدبير أحد الأمراء من قبضة الغز ووصوله الى ترمذ في تلك الأثناء ، فكتب أئسز رسالة الى السلطان وهناه فيها بخلاصه من قبضة الغز الذى تم في أوائل ( ٥٥٥١ هـ ) وطلب السماح منه اليه أن يذهب الى خوارزم أو يبقى بخراسان أو يلحق بجيش السلطان ، ولكن قبل أن يحسم قراره مرض في حدود قوجان ووافته منيته في ليلة التاسع من جمادى الأولى من ( ٥٥٥١ هـ ) .

#### وفاة السلطان سنجر في الرابع عشر من ربيع الأول من ( ٥٥٥٢ هـ ) :

استمر أسر سنجر في يد الأتراك الغز ثلاث سنوات وبعض سنة ، ولم يكن السلطان طوال هذه المدة مستعدا للفرار خوف أن تظل زوجته أسيرة بيد التركمان ، فلما توفيت زوجته ، وصل السلطان بعون من جماعة من حراسه الى شاطيء جيحون بقصد القنص وبلغ ترمذ بواسطة القوارب التى كان صاحب ترمذ قد هياها له من قبل ، ووصل مرو بجيش كان مهيا أيضا من صاحب ترمذ وبعض الأمراء الآخرين ، وجلس ثانية على العرش ، ولكن ضعف الشيخوخة وحزنة على وفاة شريك حياته وخسراب البلاد وظهور العصاة أوهنت منه تدريجا فمات في السنة التالية في الرابع عشر من ربيع الأول ودفن في مرو شاهجان عاصمته وكان عمره اثنتين وسبعين سنة وانقضت نحو واحدة وستين سنة في امارته وسلطنته .

والسلطان سنجر أحد أعظم وأفضل سلاطين ايران وكان بذى جد وجهد بليغين في تعمير البلاد ورفاهية الرعية واحكام الأمن والأمان فوق أنه شجاع وكريم محب لرعيته وكان منتصرا دائما باستثناء واقعتين وكان

يخطب له من أقصى كاشغر حتى شاطئ البحر المتوسط ومن القبحاسق حتى ساحل هرمز والحرمين ، ومن حدود عام ( ٥١١ هـ ) عام جلوسه على السلطة حتى عام وفاته كان سلاطين خوارزم وغزنة والعراق وحتى حرب قبطان أمراء كاشغر وما وراء النهر ، كل أولئك تابعين له يرسلون إلى بلاطه الخراج . ولم يحز أحد السلاطين السلاجقة على ما حاز من فتوح في غزنة وما وراء النهر والغور وخوارزم ، وإذا لم ينل الفتوح في المغرب ، إلا أنه أوسع دولة السلاجقة في شرقها وشمالها الشرقي وسعة جديدة ومد حدودها بضم بلاد الأمراء الغزنويين والخوريين والوادي الأعلى لنهر سيحون إلى أطراف هذه المناطق .

والأمر الآخر الذي أذاع من صيت سنجر في تاريخ إيران وأدبها هو اهتمامه الكامل بالشعر الفارسي وصلاته ونواله التي كانت تبليغ أدباء هذه اللغة والفضلاء الآخرين . وربما لم يقلل الدح الذي أنشده له الملك قبله قط كما أن الكتب التي ألغت باسمه فوق الحصر ، خاصة شعر الطراز الأول في اللغة الفارسية للشاعرين أمين الشعراء محمد بن عبد الملك المعزى النيشابوري (١) والحكيم أوحده الدين علي بن محمد الأنصوري الأبيوردي (٢) اللذين أعليا ذكره بقصائدهما الغراء وخلداه بها . كما أنشأ

---

(١) المعزى المتوفى في حدود عام (٥٢٠ هـ) هو أمير الشعراء أبو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار شعراء العصر السلجوقي ، وكان أبوه عبد الملك البرهاني شاعر بلاط الب أرسلان وتوفي في بداية حكم ملك شاه . وتخصص المعزى نسبة إلى معز الدين والدنيا ملك شاه الذي لقبه أيضا بأمير الشعراء وكانت وفاته بيد مليكه الذي لم يبرح بلاطه إذ أصابه سهم الملك بلا قصد فخرج وظل جريحاً حتى موته . وأشعار المعزى تشمل القصائد والغزليات التي تتصف بالبساطة وعدم التكلف وتحفل قصائده بإشارات تاريخية تعود إلى العصر السلجوقي كحروب ملكشاه وسنجر وصلحهما .

(٢) الأنصوري هو أوحده الدين الملقب بحجة الحق المتوفى عام (٥٨٣ هـ) مهر في الأدب والرياضة والفلسفة والحكمة وكان متعلّقاً بآثار ابن سينا وكتب بعضها بخطه كما كان متبحراً في الفلك . والأنصوري من شعراء القصيد الفارسي وغناق سابقيه في الفصاحة والدقة . كما أن غزلياته تقسم باللفظ والجمال ، ومهر أيضاً في الهجاء . وقد أفاد الأنصوري في شعره بلمغة الحوار ومالت أشعاره حيناً إلى البساطة والسلاسة وإلى التعمق والابهام حيناً آخر . وقد شهد الشعراء بعد الأنصوري له بالاستاذية .

شعراء آخرون قصيد مديحه من قبيل أديب صابر الترمذى وكمال الدين للكمالى البخارائى (١) وفريد الدين عبد الواسع الجبلى والسيد أشرف الحسن بن الناصر الغزنوى والحكيم السنائى .

### أوضاع خراسان بعد موت سنجر :

ولما لم يكن للسلطان سنجر وقت احتضاره أولاد ذكور ، فقد نصب ابن أخته الخاقان أبا القاسم محمودا فى مكانه بالسلطنة ، الا أن حكم محمود وسط طائفة الغز وكانوا لا يزالون يستولون على جزء من خراسان ومؤيد الدين آى ابيه الذى سيطر على القسم الآخر من هذه البلاد كان حكما مضطربا . فقد قبل الغزو حكومته وأدخل مؤيد الدين آى ابيه نفسه تحت أمره على نحو أنه تسلط على جميع أمور الدولة وغدا محمود فى الحقيقة تحت تصرفه ونفوذه .

وعمل مؤيد الدين آى ابيه ومحمود على مقاتلة الغز وكانت الحرب بين الطرفين سجالا الى أن تغلب عليهما الغز تماما فى شوال ( ٥٥٣هـ ) وهرب مؤيد ومحمود وأخذت هذه الجماعة المتجزئة تنهب وتسلب فى بعض بلاد خراسان ثانية . وأقام محمود فى جرجان الى أن أرسل ابنه فى ( ٥٥٤هـ ) الى خراسان باستدعاء من الغز ثم أتاها بنفسه . لكن مؤيد آى ابيه لم يوافق السلطان وبلغ خبوشان ( قوجان ) أو قوشان ومع أنه سقط فى قبضة الغز لكنه استطاع الفكك منهم ونجح فى جمع جيش فى نينابور وأخذ يهاجم به فى هذه النواحي الى أن قر الصلح بينه وبين محمود فى

---

(١) لعل اقبال يقصد به الشاعر أبا النجيب شهاب الدين عميق البخارائى المتوفى ( ٥٤٣هـ ) والذى لقب بأمر الشعراء فى بلاط سمرقند عهد حكم خضر خان إبراهيم وقد مدح جيلة من ملوك الخانية بسمرقند ثم اتصل بسنجر ونظم مراثية فى ابنه وعاصر الأنورى والرشىدى السمرقندى من شعراء ما وراء النهر . وقد حذق عميق استخدام الصناعات البدعية خاصة التشبيهات والكلمات الموزونة ، وشمل ديوانه القصائد والرباعيات ، وينسب اليه ( يوسف وزليخا ) الذى يمكن قراءته ببحرين ، وهو غير موجود الآن .

ذى القعدة فترك له محمود نيشابور وطوس .

وفي جمادى الآخرة من ( ٥٥٥٦ ) بادر محمود بحصار نيشابور ومعه الغز ، لكنه استغل انشغالهم في الحصار فلاذ بالفرار الى مؤيد . ولما عجز جند الغز عن فتح نيشابور عادوا الى الاغارة على طوس وظل محمود حتى رمضان من ( ٥٥٥٧ ) عند مؤيد . وفي هذا الاوان اعمى مؤيد الدين محمودا وابنه وظلا على حالهما هذا الى أن لقيتا حتفهما في حبسه ، فخطب مؤيد آى آبه في نفس هذا الوقت بالسلطنة لنفسه ، وبعد قليل سيطر على طوس وقومس أيضا وفي ( ٥٥٥٨ ) قبل أن يخطب للسلطان أرسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه الملك السلجوقي بدعوة من شمس الدين ايلدكر الأتابك في دائرة حكمه ، فكان يخطب في خراسان آنذاك لثلاثة ملوك : في قومس وطوس وبيهق ونيشابور للسلطان أرسلان السلجوقي . وفي جرجان ودهستان لایل أرسلان خوارزمشاه وفي بلخ ومرو وسرخس كانت أولا للسلطان المتوفى سنجر ، ثم صارت لحاكم تلك البلاد . وقد استولى الخوارزمشاهيون كما سيأتى على خراسان وقتل خوارزمشاه مؤيد آى آبه .

## ٧ — مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد ملكشاه

( ٥١١ — ٥٢٥ )

كان السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود قد ولى سلطنة العراق بعد موت أبيه السلطان محمد في ذى الحجة من ( ٥١١ ) وبعد أن لقي الهزيمة في الثاني عشر من جمادى الأولى ( ٥١٣ ) على يدى عمه السلطان سنجر في ساوه وعاد الى سلطنته السابقة عن طريقه أيضا قدم الى أصفهان واستوزر بأمر سنجر كمال الملك على بن أحمد السمرى صاحب ديوان الأشراف في بلاط والده وكان معروفا بكفاءته وفضله وكان أيضا سبب الاتيان بمحمود بعد هزيمته



الى سنجر واختير قوائم الملك أبو القاسم رئيسا لديوان الطغراء  
والإنشاء وشمس الملك بن نظام الملك مستوفيا عاما للمملكة .

وارتفع السلطان محمود في بداية سلطنته بعصيان أخويه طغرل  
ومسعود ، فقد تحرك الأخير وكان في الموصل حين مات أبوه صوب بغداد  
في جمادى الأولى (٥١٢هـ) بمؤازرة بعض من أمراء الجزيرة واستولى  
عليها ، لكنه صالح أخاه محمودا لما ترك محمود له آذربايجان  
والموصل فعاد الى مقر حكمه بعد قليل . وكان طغرل حين مات أبوه يبلغ  
الثامنة من العمر ، وكان أتابكه أنوشتكين شريك يدير باسمه ولايات  
ساوه وآوه وزنجان . ثم عزله السلطان محمود عن أتابكية طغرل  
في (٥١٣هـ) مع أنه استولى على بعض قلاع الاسماعيلية في عهد السلطان  
محمد ، ونصب محمود أتابك جديدا لكي يأتي بأخيه اليه . وحرص  
الأتابك الجديد طغرل على العصيان ولما سمع بحركة السلطان محمود  
الى همدان اضطرب طغرل وهرب الى كنجة واستولى بالتدريج على  
آران ووادي الأرس .

وفي (٥١٤هـ) عاود مسعود ثورته على أخيه محمود بعد هزيمته من  
سنجر وترك الموصل لحرب أخيه يصاحبه وزيره الشاعر الفاضل  
المعروف مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي  
الاصفهاني (١) ، لكنه غلب على أمره في الحرب التي جرت في منتصف  
ربيع الأول من هذه السنة في وعر جبال أسد آباد بين الطرفين وأسر  
الطغرائي ثم قتل بأمر محمود . وأثر مسعود الفرار ثم أطاع  
أخاه ، بعد قليل ، مضطرا .

---

( ١ ) هو فخر الكتاب أبو اسماعيل المقتول عام (٥١٤هـ) من كبار  
الشعراء والأدباء العرب وكان وزيرا لمسعود بن محمد بن ملكشاه من  
سلاجقة العراق ، وقد عد من الشعراء المشاهير والأدباء بعصره ، وقصيدته  
العربية المسماة بلامية المعجم معروفة ، وقتل بتهمة الإلحاد .

## حرب محمود مع الكرجيين في (٥١٧ هـ) :

استولى ملك الكرجيين داود الثاني (٤٨٢ — ٥١٩ هـ) ابن جيورجى السابق الذكر الذى كان رجلا عاقلا نشطا مطلعا على الاسلام والقرآن الكريم كافي الاطلاع وكان يعامل رعاياه المسلمين بكمال الرأفة وحسن المعاملة ، استولى ابنه على المناطق الشمالية لمملكته من البحر الأسود حتى الداغستان والدريند وأدخل في جيشه نحو أربعين ألفا من الأتراك القبجاق وجعل من أحد أمراء شروان المسلمين حليفا لكرجستان بتزويجه من ابنته ولما بلغ هذه القوة شرع في (٥١٣ هـ) بمهاجمة أران وتفليس وكانت للسلاجقة وبلغت شراسة هجومه حدا أن المسلمين بأران وأرمينية والجزيرة نهضوا في (٥١٤ هـ) لجهاده وتقدم اليه طغرل أخو السلطان محمود مع أتاكه وأمراء الحلة وماردين لرده ، لكن داود هزمهم قرب تفليس وحاصر داود تفليس واستولى عليها في (٥١٥ هـ) وفتح هذا البلد الذى ظل بأيدي المسلمين نحو أربعمئة عام وصارت تفليس عاصمة لبلاد الكرج ثانية ولهذا لقب الكرجيون داود الثانى بمصطفى بلاد الكرجيين .

وبعد هزيمة طغرل صالح أخاه السلطان محمود ، وأتى قوم من شعب تفليس والدريند الى خليفة بغداد والسلطان بهمدان يطلبون العون على داود فتحرك محمود في (٥١٧ هـ) لمعاونتهم وضم مدينة شماخى من ملك شروان صهر داود لكن جنده لم يجرؤوا على مهاجمة جند داود الكرجيين ، وأرجى شمس الملك الوزير الذى بلغ الوزارة من (٥١٦ هـ) حين قتل كمال الملك السميمى بيد الملاحدة النصح الى السلطان بالعودة فكر السلطان راجعا الى همدان بعد مدة من اقامته بشروان ، فانتهز داود الفرصة لكي يسترد شروان ومدينة آنى (حانى) عاصمة أرمينية القديمة أيضا اليه .

وفي عودة السلطان من شروان عاد أبو القاسم الدرزينى الذى تلقى

سنجر في سفارة بخراسان وأكثر من سعايته عنده ضد شمس الملك ، وأبلغ أمر سنجر بارسال شمس الملك الى مرو السلطان محمودا ، فقتل محمود شمس الملك أيضا بناء على اشارة مستوفيه خوفا من أن يطلع شمس الملك سنجر على أسرارہ اذا قابله ، ونجح الدركريني بعد هذا بتليل أن يخلفه وأن يبلغ الوزارة التي كان منتهى أمله .

### حرب محمود مع الخليفة المسترشد في (٥١٢هـ) :

قصد السلطان محمود بجيش كثيف بغداد في (٥١١هـ) بسبب الخلاف الذي ظهر بين شخته السلطان في بغداد والخليفة المسترشد فأخذها في المحرم من (٥١٢هـ) وأجبر الخليفة على مصالحته ، وبعد شهرين أقامهما محمود في دار الخلافة عاد الى همدان . وفي وصول محمود الى همدان ألقى بقوام الملك الدركريني وزيره الدساس في الحبس وأحل محله المؤرخ والمنشيء الكبير شرف الدين أنوشروان بن خالد الكاشاني .

وظل الدركريني حتى (٥٢٢هـ) في الحبس . وأتى السلطان سنجر وقتذاك من خراسان الى الري ليرى هل خرج محمود عن طاعته كما أبلغه المغرضون أم ما يزال على طاعته . فتقدم السلطان محمود من همدان الى الري ليستقبل عمه سنجر فأجلسه عمه بجواره على العرش وأظهر له كثيرا من الاكرام ، وقد حضر هذا اللقاء أخوة محمود الثلاثة الآخرون وهم طغرل ومسعود وسليمان أيضا . وقد أطلق محمود لاصرار السلطان سنجر الدركريني من قيده وجعله وزيرا بأمره أيضا لوزارة ابنة سنجر وكانت زوج محمود ، وتمكن الدركريني بعون هذه الزوجة أخيرا في الرابع والعشرين من المحرم (٥٢٣هـ) من وزارة السلطان .

٨ — غياث الدين داود بن محمود

(شوال ٥٢٥ — جمادى الآخرة ٥٢٦ هـ)

و

٩ — ركن الدين أبو طالب طغرل بن محمد

(جمادى الآخرة ٥٢٦ هـ — المحرم ٥٢٩ هـ)

ومات السلطان محمود في شوال (٥٢٥ هـ) بعاصمته همدان بعد اثنتي عشرة سنة وعشرة شهور سلطنة ، فرفع وزيره أبو القاسم الدركريني ابنه داود بلقب غياث الدين الى عرش السلطنة ، الا أن الناس لما قاموا في همدان على الوزير جمع الوزير أمواله وأتى الري وكانت جزءا من مملكة سنجر أما داود فقد توجه الى زنجان في ذي القعدة من هذه السنة .

ولما سمع عم داود مسعود خبر موت أخيه عاجل الى تبريز فاستولى عليها ، وقدم داود لقتال عمه وحاصر تبريز في آخر المحرم من (٥٢٦ هـ) ، ومع أن مسعودا صالح ابن أخيه الا أنه وصل مسرعا الى همدان وأرسل منها رسلا للمسترشد ببغداد وطلب اليه أن تجرى الخطبة له وطلب داود أيضا نفس الأمر ، فأجاب الاثنان أن الحكم في هذا الطلب للسلطان سنجر وسوف يخطب لمن يحكم له ، وبينما كان النزاع قائما بين مسعود وداود ورد أخ مسعود وابن للسلطان هو سلجوق شياه والى فارس الى بغداد وأقام بها فاستقبله الخليفة بحفاوة واحترام .

وهاجم مسعود بعون من أتابك الموصل بغداد واشتبك في قتال مع أخيه سلجوقشاه والمسترشد ، فهزم سلجوقشاه أتابك الموصل ، ولما تناهت الأخبار بأن السلطان سنجر قاصد العراق في هذه الآونة ، أخاف مسعود الخليفة بوصوله ، فقبل المسترشد أن يخطب لمسعود وأن يكون سلجوق شياه ولي عهده .

### قتال سنجر لمسعود في الثامن من رجب (٥٢٦هـ) :

قدم السلطان سنجر بدعوة من الدركيني بعد موت ابن أخيه في آخر ربيع الآخر (٥٢٦هـ) الى الري ، وبادر طغرل أخو مسعود و سلجوق شاه أيضا الى مقابلته فجعل من داود ولى عهده في خراسان وما وراء النهر وسلطنة العراق ، وتحرك من الري الى همدان ونهاوند ، فمصم مسعود و سلجوق شاه والمسترشد على قتال السلطان سنجر ، لكن الخليفة تأخر عن التحرك معهم ، وألحق السلطان ومعه الأمير قماج وأتسز خوارزم شاه وطغرل بجيش مسعود و سلجوق شاه الهزيمة قرب دينور في الثامن من رجب (٥٢٦هـ) واستدعى مسعودا الذي هرب الى آذربايجان وبعد أن عفا عنه أرسله لامارة كنجة وأران ونصب طغرل رسميا على سلطنة العراق وأبقى قوام الملك أبا القاسم الدركيني بوزارته ، ثم عاد الى خراسان للقضاء على عصيان أحمد خان خاقان ما وراء النهر .

### ١٠ - غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد

( ٥٢٩ - ٥٤٧هـ )

بعد عودة سنجر رجع داود الى همدان واشتبك في رمضان من (٥٢٦هـ) مع طغرل يقاتله ، فهزم طغرل داود قرب همدان فهرب الى بغداد . وكان مسعود على حكومة كنجة فتركها الى بغداد عند سماعه هذا الخبر ، ولقى داود بها وحث الخليفة على أن يعترف به سلطانا ويسدود وليسأ لعده في صفر (٥٢٧هـ) ثم هاجم همدان وهزم طغرل في شعبان (٥٢٧هـ) وسيطر على عاصمة سلاجقة العراق .

وسمع أيضا بأن أخاه عاد منهزما في طريق قم والري فذهب في عقبه فاستولى على هذين البلدين وعلى جزء من فارس وأخذ طغرل ومعه الدركيني ينتقلان هاريين من مدينة الى أخرى . وقد قتل في نفس أيام

هروبه الدركريني في شوال (٥٢٧هـ) في النهاية وأراح الناس من شره + وبعد أن جمع طغرل جيشا جديدا تغلب على مسعود في رمضان (٥٢٨هـ) على مقربة من قزوين واسترد منه همدان وفر مسعود الى بغداد وطلب عون الخليفة + وكان المسترشد عازما على معاونته حين سمع خبر موت طغرل في المحرم من (٥٢٩هـ) فأتى مسعود الى همدان وجلس على عرش السلطنة +

### قتل المسترشد في الثامن عشر من ذي القعدة (٥٢٩هـ) والراشد في الخامس والعشرين من رمضان (٥٣٢هـ) :

بعد أن استقر مسعود على عرش سلطنة سلاجقة العراق اصطدم بالخليفة المسترشد وكان سبب ذلك التجاء بعض أمراء مسعود الى دار الخلافة وحثهم الخليفة المسترشد على اسقاط اسم مسعود من الخطبة + وزحف المسترشد بدعوة من هؤلاء الأمراء في شهر رجب (٥٢٩هـ) لقتال مسعود ولما اقترب من جبل بيستون فاجأه مسعود وجنده وصحبه ، فأسر الخليفة وتفرق جنده + وزحل مسعود بالخليفة الأسير الى آذربايجان لأن داود ابن أخيه (١) كان وعد المسترشد بالعون وأعلن عصيانه مسعودا ، فسار مسعود بأسيره في شوال من عام (٥٢٩هـ) ثم حط رحله على بعد منزلين من مراغة +

وصالح مسعود المسترشد حينئذ وتقرر أن يعود الخليفة الى بغداد ويرسل الى مسعود أربعمائة ألف دينار سنويا وأن يمتنع عن جمع الجيوش أو مغادرة منزله + ولكن قبل عودة المسترشد الى بغداد بلغه سفير من سنجر فأبقى مسعود الخليفة عنده لكي يعرف نتيجة رسالته ، وفي هذه المدة قتل المسترشد في الثامن عشر من ذي القعدة على يد جماعة من الباطنية وعلم بعدها أن سنجر حرض هذه الجماعة على قتل الخليفة + وبعد قتل المسترشد خلفه ابنه الراشد ، ووقع في نزاع مع مسعود

---

(١) ذكر المؤلف أن داود أخو مسعود والصحة أن داود ابن أخيه محمود.

في (٥٣٠هـ) لعجزه عن دفع الخراج السنوي اليه فأبعد اسمه عن الخطبة فنادى ابن أخيه داود وطالب حكمه بنفسه سلطانا وحرك أمراء الأطراف لمقاتلة مسعود وعصيانه ، فأتى مسعود بغداد فلأذ الراشد اشفاقا منه بأتابك الموصل واختير المقتضى خليفة مكانه .

وفي (٥٣٣هـ) قدم الراشد من الموصل الى آذربايجان حيث داود فانحاز اليهما أتابك فارس وبعض الأمراء الذين كانوا يخشون مسعودا وتحرك الجميع لمقاتلته ، فهزمهم مسعود في شعبان من هذه السنة قرب دينور ، وأتى الراشد وداود الى خوزستان ومنها الى أصفهان وفي هذه المدينة في الخامس والعشرين من رمضان لفظ الراشد آخر أنفاسه بعد طعنات من أحد الاسماعيلية .

#### موت مسعود في أول رجب (٥٤٧هـ) :-

أنفق مسعود القسم الأخير من سلطنته غالبه في اشتباكات مع أمرائه وأولئك الذين كانوا يعلنون ملوكية اخوته أو أبناء اخوته على الرغم من أنه ، وفي هذه الفترة أتي سنجر مرة واحدة في عام (٥٤٤هـ) الى الري لكي يصلح من أمور الحكم بها ويأمر مسعود الى طاعته وتجديد عهد تبعيته وانقياده له . وفي النهاية تغلب مسعود على غالب الأمراء العاصين وانتهى أمرهم أكثرهم الى الانهزام أو القتل . ومات مسعود بعد حكم دام نحو ثمانية عشر عاما في همدان في غرة رجب من عام (٥٤٧هـ) وهو آخر ملك كبير من شعبة سلاجقة العراق أو آخر سلطان قوى للأسرة السلجوقية لأنه لم يظهر من بعد موته وموت السلطان سنجر الذي حدث بعد هذا بنحو خمسة أعوام من يعد صاحب اسم أو صفة معتبرين من هذه الأسرة .

١١ - معز الدين أبو الفتح ملكشاه بن محمود  
( من رجب (٥٤٧هـ) حتى أذى القعدة من نفس العام )

و

١٢ - غياث الدين أبو شجاع محمد بن محمود بن محمد  
( ٥٤٧ - ٥٥٤هـ )

بعد السلطان مسعود أصبح ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد ملكا ، لكنه كان رجل لهو ولعب وخمر وعجز في تصريف الأمور فخلع الأمراء بعد أربعة شهور حكمه واختاروا أخاه محمدا ملكا وكان في خوزستان .

وكان من غلمان كمال الملك السميرمي وزير السلطان محمود أحد الأتراك القبجاقيين اسمه ايلدكر (١) ولقبه شمس الدين أخذ يرقى تدريجا في بلاط الحكم الى أن ولاء السلطان مسعود في حدود (٥٤١هـ) حكم آذربايجان وأران ، وزوج مسعود بعد موت أخيه طغرل الثاني زوجته من الأتابك شمس الدين ايلدكر ، وظل ايلدكر حتى آخر حكم مسعودا عبدا وقياله .

أما الأخ الرابع لمسعود وطغرل وهو سليمان شاه الذي أسره مسعود عند عصيانه له فألقى به مسعود في حبسه ففقد فر من حبسه بعد جلوس السلطان محمد الثاني وعزم همدان للاستيلاء على العرش والتاج ولكن أتباعه تفرقوا عنه قبل أن تشب حرب بينه وبين محمد ، فتوجه سليمانشاه الى سنجر فاختاره السلطان وليا لعهده ، ثم اختير سلطانا بعد أسر سنجر كما مر بنا ، لكنه كر قافلا الى العراق خوفا من الغز في

---

(١) ايلدكر أو ايلدركوز تركية بمعنى ( المشرف على الناس ) ( غامبري ح ١ ص ١٥١ ) .



صفر (٥٤٩هـ) ولم يسمح له الغز بدخول كاشان وأصفهان وخوزستان .  
فلاذ بالخليفة ودخل بغداد في أول (٥٥١هـ) بأجازته ونادى الخليفة  
بسلطانه ونقبه باللقاب أبيه السلطان محمد وجعل من ملكشاه الثاني  
ولى عهده أيضا .

وهزم محمد في نفس العام بعون أمير الموصل سليمانشاه الذي  
تحالف مع الأتابك ايلدكر فأسر سليمانشاه وحبس بالموصل ، وهاجم  
محمد بغداد ليرغم الخليفة على الاعتراف بسلطنته وحاصر بغداد الى أن  
سمع أن الأتابك ايلدكر وملكشاه الثاني وأرسلان شاه ابن طغرل الثاني  
وابن زوجة ايلدكر دخلوا همدان واستولوا على عاصمته ، فأجبر على  
أن يتخلى عن حصار بغداد وقصد همدان في الرابع والعشرين من ربيع  
الأول من عام (٥٥٢هـ) .

وآب ايلدكر وملكشاه الى الري الا أن ( اينانج ) شحنة الري  
هزمهما ووصل قبل وصول السلطان محمد الثاني الى همدان واستولى  
على عرشها لهذا السلطان . وفكر محمد بعد أوبته الى همدان أن يهاجم  
آذربايجان ويدخل بلاد ايلدكر تحت تصرفه لكنه أصيب بمرض السل  
وبعد سنتين مات في سلخ ذي القعدة (٥٥٤هـ) .

### ١٣ — غياث الدين أبو الفتح سليمانشاه بن السلطان محمد ( ٥٥٤ — ٥٥٦هـ )

و

### ١٤ — ركن الدين أبو المظفر أرسلان شاه بن طغرل ( ٥٥٦ — ٥٥٧هـ )

ولما مات السلطان محمد الثاني وقع الخلاف بين أمرائه على تعيين  
خلفه فقد كان قوم يميلون الى سلطنة عمه سليمان شاه الذي كان يعيش  
في حبس أمير الموصل ، وانحاز آخرون الى ملكشاه أخى السلطان المتوفى

وطلبت جماعة ثالثة سلطنة أرسلان شاه بن طغرل ابن زوج الأتابك  
ايلدكر نظرا لقدرة هذا الأتابك • وكان بينهم اينانج شحنة الرى الذى  
تغلب على ايلدكر وأرسلانشاه وكان جيشه يفوق غيره نفوذا وقوة فانحاز  
اينانج هذا الى سليمانشاه • وقد أطلق أمير الموصل سليمان شاه بعد  
موت محمد فأتى همدان وجلس على السلطنة ، ولكى يخمد فتنة ايلدكر  
وأرسلان شاه جعل من الأخير ولى عهده وأتاب شمس الدين ايلدكر فى  
أران وأذربايجان • أما ملكشاه الذى كان يفكر فى عصيانه لعمه وشغل  
نفسه فى أصفهان بجمع الجيش فقد وافاه أجله فى أصفهان فى ربيع  
الأول (٥٥٥هـ) وسلمت السلطنة لسليمان شاه •

كان سليمانشاه رجلا خميرا سكيرا عاجزا يصرف أيامه فى اللهو  
واللعب فضايق الأمراء ذرعا به وأمسكوا به فى شوال (٥٥٥هـ) وألقوا به  
فى الحبس ثم أهلكوه فى الثالث عشر من ربيع الأول (٥٥٦هـ) وطلبوا الى  
ايلدكر أن يأتى بأرسلان شاه الى همدان ويجلسه على عرش ملكيتها •  
وتلقب ايلدكر الذى كان يجمع جميع الأمور فى يديه بلقب الأتابك الأعظم  
وجعل من ولديه وأخوى أرسلان شاه لأمه وأولهما نصره الدين محمد  
جهان بهلوان حاكما لأران وأذربايجان وثانيهما مظفر الدين عثمان قزل  
أرسلان قائدا للجيش • وعقد ايلدكر لابنه الأكبر محمد جهان بهلوان على  
ابنة اينانج والى الرى وبهذا حفظ قلبه طائعا له ، لكن تلك الطاعة لم تدم  
فقد كان ينفس اينانج على ايلدكر تقدمه فى بلاط السلطنة فتحالف مع  
الأتابك السلغرى لفارس وحاكمى أصفهان وقزوين ووزير الخليفة فأعلن  
سلطنة محمد بن طغرل الثانى • وهزم ايلدكر وابناه العصاة وأصاب  
اينانج ضربة شديدة فهرب الى الرى ، وعاد الأتابك الأعظم بعد مصالحته  
الى همدان على أن يدفع اينانج خراجا سنويا ، لكنه امتنع عن ارسال  
هذا الخراج سنة أو سنتين فزحف ايلدكر فى (٥٦٤هـ) نحو الرى  
فاستولى عليها وقتل اينانج على يد غلمانه •

ومن أحداث سلطنة أرسلان شاه الهامة هجومه وايلدكر على بلاد

الكرج في (٥٥٧هـ) وقتاله جيورجى الثالث (٥٥١ - ٥٥٨٠هـ) ملك هذه البلاد والأبخاز وفتح (آنسى) و (دوين) و (ديبل) في شرق آرايات وجنوب ايروان وكان من نتيجة هذا أن غنم المسلمون من الكرجيين غنائم وأسرى كثيرين واسترجعوا البلاد التي أخرجها أبو جيورجى من قبضة المسلمين قبل وأدخلوا ملك شروان تحت طاعتهم .

ومات الأتابك ايلدكر في (٥٦٨هـ) بعد أن أسس لإرسلان شاه دولة قوية الى حد ما من حدود تفليس الى حدود مكران ، وبلغ ابنه الأتابك نصرة الدين محمد جهان بهلوان حرية التصرف في أمور السلطنة ، وقد أبقى السلطان تحت تصرفه كما كان والده الى أن مات أرسلان شاه في (٥٧١هـ) بعد حكم خمس عشرة سنة ولم يكن لأرسلان شاه من السلطنة غير اسمها .

#### ١٥ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن أرسلان شاه (٥٧١ - ٥٩٠هـ)

بعد وفاة أرسلان شاه اجلس الأتابك جهان بهلوان ابنه الصغير طغرل الثالث على عرش همدان وأمسك هو بأزمة الأمور بصفته الأتابك وعهد الى أخيه قزل أرسلان بقيادة الجيش وأدار هذان الأخوان البلاد التي استولى عليها أبوهما وحافظ عليها من هجوم الخصوم الطلاب حتى (٥٨٢هـ) حين مات جهان بهلوان ادارة حسنة .

وحينما مات جهان بهلوان أحسب طغرل الثالث الذى كان شابا شجاعا حسن التربية دمك الخلق طموحا وقد بلغ الرشد أن يتحرر من تحكم مظفر الدين قزل أرسلان وانضم اليه جمع من أمراء جهان بهلوان ، وبينما كان قزل أرسلان مشغولا في أمور زفافه الى زوجة أخيه ابنة اينانج شحنة الرى السابق لاذ طغرل بالفرار من مدينة ساوة ليلتها واتجه الى سمنان ، فعجل قزل أرسلان في عقبه لكنه هزم في الدامغان من

أتباع السلطان فعاد الى همدان ومنها في (٥٨٣هـ) الى آذربايجان ، وعاد طغرل بعد مدة من اقامته في طبرستان الى همدان وأعلن نفسه سلطانا مستقلا .

وحينما وصل الأتابك قزل أرسلان الى آذربايجان طلب من الناصر الخليفة العباسي عونه لدفع طغرل وخوف الخليفة هجوم طغرل ، فأرسل الناصر جيشا ضخما بقيادة وزيره في أوائل (٥٨٤هـ) لمعاونة قزل أرسلان الى همدان ، ولم يتمكن قزل أرسلان من أن يصل الى جيش الخليفة في الوقت المناسب فهزمهم طغرل على وجه العجل في الثامن من ربيع الأول من هذه السنة وهرب جيش وزير الناصر مهزوما واهنا الى بغداد .

ولما كرر طغرل راجعا الى همدان بعد لقاءه جيش الخليفة كان قزل أرسلان قد بلغها قبله ونشبت الحرب بين الفريقين في همدان ودام القتال شهرا حتى تعب جيش قزل أرسلان فمال بهم نحو أسد آباد واغتمم طغرل الفرصة فوصل آذربايجان حتى يضم بلاد الأتابك الأصلية .

وفي هذه الفترة كان قزل أرسلان قد استولى على همدان بالجيش الذي أمده به الخليفة الناصر للمرة الثانية وأجلس في رجب (٥٨٤هـ) سنجر بن سليمان شاه على عرش السلطنة .

وكانت حكومة أصفهان في هذا الوقت مع ولد الأتابك محمد جهان بهلوان (قتلغ اينانج) (١) فلما رأى اضطراب أمر طغرل ضم الى حكمه الري وزنجان وهزم في المدينة الأخيرة طغرل الذي كان مريضا فذهب طغرل الى همدان وكانت خالية من الأتابك الا أن الأتابك وصل معجلا فأمر السلطان وابنه ملكشاه وألقى بهما في حبس احدى قلاع آذربايجان وأعلن سلطانه ولكنه قتل ليلة اليوم الذي كان يعتزم الاحتفال بسلطنته في شهر شعبان (٥٨٧هـ) على نحو لم يعرفه أحد ونسب قتله الى الفدائيين الأسماعيليين .

---

(١) قتلغ اينانج تعنى ( المؤمن السيد ) ( غامبرى ح ١ ص ٥١٥ ) .

وبعد قتل قزل أرسلان استولى قتلغ اينانج أحد ولدي أخيه على الري وأصفهان ونشر نصرة الدين أبو بكر علم أمارته في آذربايجان مكان أبيه وتخلص طغرل أيضا بيد بعض الأمراء من سجنه فأتى همدان واستحوذ على سلطنته الضائعة مرة أخرى \*

وفي منتصف جمادى الآخرة من (٥٨٨هـ) لقي قتلغ اينانج الذي جرد جيشه على قزوین الهزيمة بها من طغرل فتحصن بالري واستصرخ السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه (٢) الذي كان قد سيطر على خراسان وجرجان وطبرستان فأتى خوارزمشاه لمعاونته ، وفر من أمامه قتلغ الذي ندم على ما فعل ، وصالح طغرل خوارزم شاه أيضا وتقرر أن تبقى الري في طاعة تكش . وعاد خوارزم شاه بعد أن ترك جيشا في الري لدفع عصيان أخيه \*

ولكى يطمئن طغرل من جانب قتلغ اينانج من بعد هذه الواقعة تزوج بأمه إلا أن قتلغ وأمراء آخرين لم يكفوا عن نسج المؤامرات ضد السلطان فاضطر الى أن يأخذ الري بحملة واحدة ويحبس قتلغ اينانج لكنه سرحه بعد مدة قليلة ، فطلب قتلغ ثانية عون تكش فأرسل لده جيشا الى الري ، وهزم طغرل هذا الجيش في المحرم من (٥٩٠هـ) في خوار بالري وأجبر قتلغ على الهروب الى خراسان \*

### قتل طغرل الثالث وانقراض دولة السلاجقة بالعراق في (٥٩٠هـ) :

ولما علم تكش بهزيمة جيشه زحف من خراسان ومعه قتلغ اينانج قاصدا الري وخاصة أن الخليفة الناصر كان استدعاه أيضا لمداغة طغرل وحينما اقترب خوارزمشاه الى الري كان طغرل منهمكا في اللهو واللعب يحيا متغافلا عن عدو كهذا بمثل تلك القوة ومعتمدا على تدبيره وقوته

---

(٢) تكش بكسر التاء لا فتحها لفظ تركي قديم معناه قتال أو حصار أو موقعة ومصدره دوكشيك أي الحاربة والدخول في المعركة فامبرى ح ١ ص ١٥٠ .

وحددهما حتى أنه في حربه مع قتلغ اينانج وخوارزم شاه ومعه قسلة من الجيش ألقى بنفسه وهو يقرأ بضعة أبيات من الشاهنامة برمحه الثقيل ولكنه سقط سريعا وقتله قتلغ في الرابع والعشرين من ربيع الأول (٥٩٠هـ) وأرسل نكش رأسه الى الناصر بدار الخلافة وانتهت دولة السلاجقة العراقيين بقتل طغرل الثالث .

ترك نكش خوارزم شاه همدان لقتلغ اينانج والرى واصفهان لعمال من قبله وصارت بلاد الجبل أى العراق المعجمى بهذا جزءا من الممالك الخوارزمشاهية .

دامت دولة السلاجقة الواسعة — التى لم يسبق من بداية الاسلام حتى تاريخ تأسيسها لدولة مثل عظمتها واتساعها — نحو قرن في ما وراء النهر وتوران أى حتى عام (٥٤٨هـ) واستمرت حتى (٥٥٧هـ) في خراسان أى نحو ثمانية وعشرين ومائة عام وفي العراق حتى سنة قتل طغرل الثالث أى احدى وستين ومائة سنة . وكانت عاصمة السلاجقة منذ أواخر عهد طغرل الأول حتى أيام محمود بن محمد هى أصفهان ومن عهد محمود حتى نهاية هذه الأسرة همدان . وقد أثر سنجر مدينة مرو التى سماها (شاهجان) أى مقر السلطان عاصمة له ، وكانت مرو شاهجان حتى استيلاء الغز الوحشيين احدى أعظم بلاد العالم المتحضر عمارا ومن المراكز المعتبرة للعلم والأدب .

ويطلق على طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر الذين كانت جميع البلاد السلجوقية في عهدهم من كاشغر حتى انطاكية تحت أمر واحد السلاجقة المعظام ، بينما يطلق على أبناء محمد وأبناء أبنائه الذى كان سلطانا على الرى وهمدان وبلاد الكرد سلاجقة العراق .

وقد أزال التركمان الغز سلاجقة كرمان (٤٣٣ — ٥٨٣هـ) في عام (٥٨٣هـ) وأتابكة الشام والجزيرة أيضا سلاجقة الشام (٤٨٧هـ — ٥١١هـ)

قبل انهيار سلاجقة العراق إلا أن أسرة سلاجقة الروم (٤٧٠ - ٨٧٠٠) قد دامت حتى حدود أوائل القرن الثامن الهجري حتى أزالهم أيضا الأتراك العثمانيون تماما في نفس هذا الوقت .

### أسماء السلاطين السلاجقة وزمان كل منهم .

#### ١ - السلاجقة العظام

- ١ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق  
(٤٢٩ - ٤٤٥٥)
- ٢ - عضد الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جغرى  
(٤٥٥ - ٤٦٥٠)
- ٣ - معز الدين أبو الفتح ملكشاه حسن بن ألب أرسلان  
(٤٦٥ - ٤٨٥٠)
- ٤ - ركن الدين أبو الظفر بركيارق بن ملكشاه  
(٤٨٥ - ٤٩٩٨)
- ٥ - غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه  
(٤٩٨ - ٥١١)
- ٦ - معز الدين أبو الحارث سنجر أحمد بن ملكشاه  
(٥١١ - ٥٥٥٢)

#### ٢ - سلاجقة العراق

- ٧ - مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمود بن ملكشاه  
(٥١١ - ٥٥٢٥)
- ٨ - غياث الدين داود بن محمود  
(٥٢٥ - ٥٥٢٦) ثمانية شهور

- ٩ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثانى ولد السلطان محمد  
( ٥٢٦ — ٥٥٢٩ )
- ١٠ — غياث الدين أبو الفتح مسعود ولد السلطان محمد  
( ٥٢٩ — ٥٥٤٧ )
- ١١ — معز الدين أبو الفتح ملكشاه الثانى ولد السلطان محمود  
( من رجب حتى ذى القعدة من ٥٥٤٧ )
- ١٢ — غياث الدين أبو شجاع محمد الثانى ولد السلطان محمود  
( ٥٤٧ — ٥٥٥٤ )
- ١٣ — غياث الدين أبو شجاع سليمانشاه بن السلطان محمد  
( ٥٥٤ — ٥٥٥٦ )
- ١٤ — ركن الدين أبو المظفر أرسلانشاه بن طغرل الثانى  
( ٥٥٦ — ٥٥٧١ )
- ١٥ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثالث ولد أرسلان شاه  
( ٥٧١ — ٥٥٩٠ )



## الفصل التاسع

### الأتاكة والخوارزمشاهيون

كان السلاجقة كما رأينا قوما بدوا مقاتلين وكان السبب الأول لانتصارهم الذى حازوه فى فتح البلاد التى فتحوها وفى تحطيم كل الجيوش التى لاقوها هو قدرتهم على القتال والحرب والجلاد لهذا لم يترك السلاطين السلاجقة قيادة جيوشهم فى حروبهم أو فى الولايات المفتوحة لغير الأتراك المحنكين فى الحروب المضحين بأنفسهم على نحو أن أمور الجيش كانت دائما بيد العنصر التركى وأمور ادارة الملك كالديوان والمدفاتر فى أيدي المنشئين والمستوفين والوزراء الايرانيين • وكان من نتائج فتوحات السلاطين السلاجقة فى بلاد الكرجهين وأران زيادة أعداء الغلمان الأتراك القبجاق والخزر فى البلاد الاسلامية وقد احتفظ كل واحد من السلاطين والوزراء والعمال الديوانيين بعدد من هؤلاء المماليك فى البلاط أو الديوان ، ورقبت جماعة من هذه الأعداد تدريجيا بسبب حب أسيادهم واهتمامهم بهم أو بسبب ظهور لياقتهم وكفاءتهم من رتبة العبودية الى المراتب الرفيعة فى بلاط السلطان أو جيشه • ولما كانت عادة السلاجقة أن يجعلوا للأمراء الصغار السن من يشرف عليهم فى تربيتهم أو حين ارسالهم الى حكومة الولايات ، فقد تولى بعض هؤلاء الغلمان هذا المنصب وسموا بالتركية ( أتايك ) وهى بالتركية تعنى الأب (١) •

وفى أواخر العهد السلجوقى أصاب الضعف السلاطين وكانوا

---

(١) سبق قولنا ان معناها الحرعى هى الأب الكبير .

دائمي الحرب والتنافس ، فأفاد أكثر هؤلاء الأتابكة من الحرية التي عهدت اليهم ، فأسس كل منهم دولة لنفسه في ناحية من البلاد السلجوقية ، فأسس طغتكين أتابك ابن تاج الدولة تنتش في (٤٩٧هـ) أسرة أتابكة دمشق (٤٩٧ — ٥٥٤هـ) ومثله عماد الدين زنكي من أبناء غلمان السلطان ملكشاه شعبة أتابكة الموصل (٥٢١ — ٥٦٤هـ) وألف ايلدكر أتابك أرسلان شاه كما مر شرحه أسرة أتابكة آذربايجان (٥٤١ — ٥٦٢هـ) . وقد كان أنوشتكين غرجه أبو قطب الدين محمد خوارزم شاه كما رأينا وسلغر جد أتابكة فارس (٥٤٣ — ٥٦٨هـ) ومؤسسو أسرة أمراء اربل (٥٣٩ — ٥٦٣هـ) وملوك أرمنية (٤٩٣ — ٥٦٠هـ) وأمراء دياربكر (٤٩٥ — ٥٧١هـ) كلهم من غلمان أو قادة جيش السلاجقة ، قام كل منهم بفصل جزء من بلاد السلاجقة الواسعة وجعل فيه إمارة لنفسه ولأولاده من بعده . ومن هذه الأسر ما يرتبط خاصة بتاريخ إيران كأتابكة آذربايجان وفارس ولرستان وأسرتى الخوارزمشاهيين والمقراخطائيين . وسوف يذكر تاريخ أتابكة فارس ولرستان والمقراخطائيين بكرمان تكملة لتاريخ المغول ، ولهذا فإننا سوف نذكر في هذه الفترة أتابكة آذربايجان والخوارزمشاهيين وحسب .

## ١ — أتابكة آذربايجان

(٥٤١ — ٥٦٢هـ)

كان شمس الدين ايلدكر مؤسس سلسلة أتابكة آذربايجان كما مر تفصيله من الغلمان القبجاق والذي حصل في بلاط السلطان مسعود السلجوقي أهمية واعتباراً ، وأخذ نجم سعادته يرتفع الى الأوج بعد ما زوجه مسعود من امرأة أخيه طغرل الثاني بعد وفاته وأنباه في أتابكية أرسلان شاه ابن طغرل الصغير الى أن فوض له مسعود في (٥٤١هـ) حكم آذربايجان وأران وقد أمر في الحقيقة ايلدكر لكي يجاهد الكرجيين

المسيحيين الذين كانوا يهاجمون هذه الثغور دائما وقد صارت إمارة  
آذربايجان من عام (٥٤١هـ) وراثية في أسرة ايلدكر واستمر هذا الحال  
حتى (٥٦٦هـ) .

### ١ - شمس الدين أبو بكر ايلدكر

( ٥٤١ - ٥٦٨هـ )

كان لشمس الدين ايلدكر أتابك أرسلان شاه وزوج أمه إمارة  
آذربايجان و آران من عام ( ٥٤١هـ ) حتى عام (٥٥٦هـ) حين أجلس ابن  
زوجته على عرش السلطنة أى نحو ثلاثين عاما . ولم يذهب في هذه  
المدة الى أحد قط من السلاطين الذين جلسوا على العرش من بعد  
مسعود. ليقدم طاعته فقد أقام بهمدان بعد جلوس أرسلان شاه وأرسل  
ابنه نصره الدين محمد جهان بهلوان الى منصبه السابق .

واستولى الأتابك ايلدكر كما مر على الري وأصفهان من عام (٥٥٦هـ)  
حتى سنة موته (٥٦٨هـ) من ناحية ، وحث مؤيد الدين آى ابيه على الخطبة  
لأرسلان شاه في خراسان ، ومن ناحية أخرى استعاد بعد هزيمته الكبرى  
للكرجيين في (٥٥٧هـ) جزءا من آران وآذربايجان الشمالية من هؤلاء  
المسيحيين ، ومنح مرة أخرى هبة واعتبارا لدولة السلاجقة المتصدعة .

٣ — نصرة الدين أبو جعفر محمد جهان بهلوان

(٥٦٨ — ٥٨٢هـ)

3

٤ — مظفر الدين عثمان قزل أرسلان

(٥٨٢ — ٥٨٧هـ)

وبعد موت الأتابك ايلدكر خلفه ابنه الأكبر نصرة الدين محمد جهان بهلوان في ادارة الأمور الملكية وأرسل أخاه مظفر الدين عثمان قزل أرسلان أميراً لأذربايجان وأران . وكان القسم الغربي لأذربايجان من حدود تبريز حتى حوالى الجزيرة في يد أسرة من بقايا الرواديين الذين يسمون الأحمديليين لأن جدهم كان اسمه ( أحمديل ) ، وكانت هذه الأسرة قد حظيت بحكم هذه المنطقة من أوائل القرن السادس أى فترة سلطنة السلطان محمد بن ملكشاه ومن مشاهيرهم ( آق سنقر ) ولد أحمديل الذى كان أتابك داود ومسعود ولدى السلطان محمد وقتل في (٥٣٧هـ) بيد الباطنيين .

وقد استولى أبناء أحمديل على تبريز ومراغة وقلعتها المحكمة (رويين دز) (١) من قلاع مراغة ، وكانوا على عهد ايلدكر يصالحونه مرة وينازعونه أخرى .

وفي (٥٧٠هـ) أى قبل موت ايلدكر بعامين انتهز الأتابك جهان بهلوان فرصة موت الأمير الأحمديلي لتبريز ومراغة لكي يسيطر عليهما فحصر بنفسه مراغة وحصر أخوه قزل أرسلان تبريز . وأخيراً تصالح الأمير الأحمديلي مع جهان بهلوان وترك له تبريز .

ومن عام (٥٧١هـ) عام جلوس طغرل الثالث حتى (٥٨٢هـ) تاريخ

---

( ١ ) أى القلعة النحاسية .

وفاة الأتابك جهان بهلوان كانت أزمة سلطنة آخر سلطان سلجوقي بالعراق الذي خلف أباه وهو في سن السابعة بيد هذا الأتابك ، وكان يدير هذه البلاد الواسعة التي أدخلها وأبوه تحت أمر طغرل ، فوق أنه كان رجلا ذا كفاءة وعدل وحب للأدب ، إدارة حسنة .

وكان لجهان بهلوان من ( قتيبة خاتون ) ابنة اينانج نُسحنة المري ولدان هما قتلغ اينانج و ( ميرميران ) ( ١ ) لم يصل واحد منهما الى الامارة ، الا أن ابنيه الآخرين اللذين ولدتهما له جارية أخرى وهما أبو بكر وأوزبك كما سيلي قد بلغا الأتابكية والامارة .

ولما لقي الأتابك جهان بهلوان حنتقه أمسك أخوه قزل أرسلان بأزمة أمور بلاط طغرل الثالث وتزوج من زوج أخيه ( قتيبة خاتون ) ، الا أنه اصطدم سريعا كما سبق في تاريخ سلطنة طغرل بالسلطان طغرل فألقى قزل أرسلان به في الحبس وأخذ يعد أسباب سلطنته . لكنه وجد مقتولا في شعبان ( ٥٨٧هـ ) ليلا ، وقد طعن جسده بخمسين طعنة خنجر ونسب قتله الى الفدائيين الاسماعيليين كما كان جاريا في تلك الأيام .

#### ٤ — نصرة الدين أبو بكر بن محمد جهان بهلوان

( ٥٨٧ — ٦٠٧هـ )

بعد قتل قزل أرسلان صارت اماره آذربايجان وأران نصيب ابن أخيه نصرة الدين أبي بكر فأعطى العراق لأخيه لأبيه قتلغ اينانج لكن قتلغ كما مر طرده طغرل الثالث الذي كان قد نجا من الحبس من هذا البلد في ( ٥٨٨هـ ) فلاذ بخوارزم شاه فأنتى خوارزم شاه الري وصالح طغرل ، ولكي يخدم طغرل قنتة قتلغ وأمه قتيبة خاتون تزوج هذه المرأة التي شهدت موت زوجها جهان بهلوان وقزل أرسلان ، الا أن المرأة وابنها أعدا طعاما دسا فيه السم ليطعماه طغرل . وعلم طغرل بالمرأة فأطعم

---

( ١ ) أمير اميران اى أمير الامراء .

قتيبة هذا الطعام فلقيت حتفها وألقى باينانج أيضا في السجن ثم خلصه  
معد مدة قليلة من سجنه بشفاة بعض أركان دولته ، وأستبك قتلغ مع  
أخيه نصره الدين أبى بكر للاستيلاء على آذربايجان .

ومن الحروب الأربعة التى أنشبهها قتلغ في ظرف شهر واحد مع  
الأتابك أبى بكر خرج قتلغ مهزوما في كل مرة ، فاضطر الى الاستغاثة  
بخوارزم شاه مرة أخرى وكان هذا وقت أن قصد تكش من خراسان  
الى الري لضرب طغرل ، وقتل طغرل كما مر تفصيله في الرابع والعشرين  
من ربيع الأول (٥٩٠هـ) بعون الجنود الخوارزميين في الري . وأصاب  
خوارزم شاه بعد سقوط دولة السلاجقة في العراق قتلغ في همدان  
وأصفهان وترك الري أيضا لابنه يونس خان ونصب من الأمراء (مياجق)  
في أتابكية ابنه . وفي (٥٩٢هـ) أورد مياجق قتلغ اينانج مورد القتل بحجة  
أنه كان يفكر في مخالفة خوارزم شاه وأرسل رأسه الى خوارزم .

وكان الأتابك أبو بكر رجل خمر ولهو ينفق ليله ويومه في السكر  
والشرب ولهذا فقد كان غافلا تماما عن تدبير أمور المملكة وتعهد أحوال  
الجيش وكانت على خلاف حاله جارتها الشمالية أو بلاد الكرج تحت إدارة  
امراة ذات لياقة وكفاءة وهى (تامارا) (٥٨٠ — ٦٠٩هـ) ابنة جيورجى  
الثالث .

فقد أصاب جنود هذه المرأة في شوال (٥٩٩هـ) الجيش الأتابكى  
قرب شمكور (شمال مدينة كنجة وجنوب نهر كورا) بعون ملك شروان  
وضمت اليها شمكور وكنجه ودوين وأشاعوا القتل والنهب شيوعا فاق  
الحد . ولم يحاول الأتابك رغم كثرة استغاثة مسلمى هذه البلاد أن  
ينتقم لهذه الهزيمة ، ونتيجة لفعله ضاعت النواحي الشمالية من أرس  
التى فتحت في عهد الأتابك ايلدكر وجهان بهلوان .

وقد أطمع سكر الأتابك أبى بكر وغفلته جيرانه الآخرين في  
الاستيلاء على بلاده ، فتحالف في (٦٠٢هـ) أمير أربل مظفر الدين

الكوكبرى مع أمير مراغة الأحمديلى علاء الدين كربه أرسلان لاستخلاص آذربايجان الشرقية ، فاستغاث أبو بكر مظفر بأحد غلمان أبيه وهى آى تغمش (١) الذى كان قد استولى على الرى وهمدان وأصفهان وبلاد الجبل . فأتى آى تغمش لعون ابن سيده وأعاد برسالة منه واحدة صاحب الزبل الى بلاده وتغلب على علاء الدين الأحمديلى وأجبره على قبول الصلح . وعلاء الدين كربه أرسلان هذا الذى توفى فى (٦٠٤هـ) وكان رجلا محبا للمفقراء مشجعا للشعراء والعلماء هو من نظم باسمه الشاعر المشهور النظامى الكنجوى مثنوى بهرامنامه فى (٥٩٣هـ) (٣) .

وهاجم الأتابك أبو بكر بعد وفاة ابن علاء الدين الأحمديلى وخليفته آى فى (٦٠٥هـ) مراغة واستولى على هذه المدينة التى ظلت تحت سيطرته الأحمديليين نحو قرن من الزمان ولم يبق للمباقيين من هذه الأسرة غير قلعة ( روين دز ) .

ومات الأتابك نصرة الدين أبو بكر بن جهان بهلوان فى (٦٠٧هـ) بعد حكم عشرين عاما .

(١) آيتغمش أو آيدغمش البهلوانى استولى على الرى وهمدان وبلاد الجبل من عام (٦٠٠هـ) ونادى على رغم اتابك أبى بكر بسلطنة أخيه أوزبك (سياتى) .

(٢) الحكيم جمال الدين أبو محمد الياس بن يوسف بن زكى من كبار شعراء القصص الايرانيين ، ولد نحو (٥٣٥هـ) فى كنجة وتعلم فيها علوم عصره ، ثم اتصل بحكام آذربايجان وشروان ومراغة والف بأسمائهم كتبه . ويبلغ ديوانه عشرين ألف بيت فضلا عن الخمسة الشهيرة التى تبلغ ثمانية وعشرين ألفا فى صورة المثنوى وهذه الخمسة هى مخزن الاسرار ولىلى والمجنون وخسرو وشيرين وهفت بيكر أو بهرام نامه واسكندر نامه . وكان النظامى اسقاف وأمام شعراء القصة ، خلطها بالحكمة والموعظة والدعوة الى الزهد . وقد بلغ فى وصف الشاعر الانسانية دقة بالغة . ويشاهد فى أشعاره ما ينبئ عن تعليمه العلوم والفلسفة . وقد احتذاه فى نظم المثنويات خمسة شعراء تالون أشهرهم الأمير خسرو الدهلوى والجامى والوحشى . وتولى النظامى نحو عام (٦٠٤هـ) .

## ٥ - مظفر الدين أوزبك (٣)

(٦٠٧ - ٦٢٢ هـ)

ومظفر الدين أوزبك الذي ثار بممد من آيتغمش في حدود (٦٠٠ هـ) من أجل السلطنة هو أخو الأتابك أبي بكر وزوج ابنة طغرل الثالث . وليس في فترة حكمه التي بلغت خمس عشرة سنة وقصد كان ضعيف النفس سكيراً لا هياً لاعباً واقعة هامة غير اعتداءات الكرجيين المتكررة على مشكين واردييل واستيلاء المغول على آذربايجان في (٦١٧ هـ) . ولم يكن الأتابك أوزبك يطبق مقاومة المغول فصالحهم وأعطاهم مالا كثيراً وألبسة ودواباً . ولما سمع ثمانية أن جماعة من المغول قاصدة تبريز أغلّى المدينة وذهب إلى نخجوان فأنقذ رؤساء تبريز عاصمة الأتابكة من قتل المغول ونهبهم وعاد إليها الأتابك .

وقد استفاد الكرجيون من هذا الوضع المنشعث فهاجموا بلاد أران وآذربايجان مراراً ولم يروا من الأتابك تحركاً وكان يعيش بهذه الحالة المنكوبة حتى سمع في (٦٢٢ هـ) أن جلال الدين التكريتي خوارزمشاه زحف قاصداً تبريز ، فترك زوجته في المدينة وهرب إلى كنجة . واستولى جلال الدين في السابع عشر من رجب (٦٢٢ هـ) على تبريز وأرسل الملكة مكرمة إلى خوى ، وتقدم بنفسه لمقاتلة الكرجيين .

وفي عودته من تغليس لما كان رؤساء تبريز قد سلكوا مع جلال الدين طريق النفاق والدهان عاقبهم واستباح الملكة زوج الأتابك أوزبك ومات الأتابك حزناً وحسرة .

---

( ٣ ) تعنى كلمة أوزبك سيد نفسه والمستقل . والجدير بالذكر أن هذه الكلمة نفسها كانت شائعة بين الجرجين بوصفها من القاب الشرف وهي ترى في الوثائق التي يرجع تاريخها إلى عام (١١٥٠ م) والأوزبك الذين استولوا على بلاد ما وراء النهر من أيدي أولاد تيمور هم خليط من السترك والمغول (المعبري ج ١ ص ٢٩٥ ، ج ٢ ص ٢٩٦) .



## ٦ - الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك

(٦٢٢ - ٦٢٦هـ)

لم يبق عن الأتابك أوزبك ولد غير ابن أصم أبكم منذ ولادته اسمه قزل أرسلان لقب بهذه العلة بالأتابك الصامت (خاموش) وتزوج بابنة هي حفيدة علاء الدين كربة أرسلان الأحمديلي ، وبعد أبيه كانت أمارته في قسم من آذربايجان من بينه مراغة ورويين دز . وفي (٦٢٦هـ) حين كان السلطان جلال الدين المنكبرتي في كنجة ذهب إليه الأتابك خاموش وقبل أرض طاعته ثم سافر من هناك إلى الموت ومات فيها بعد شهر وتزوج جلال الدين بزوجته وانهارت أسرة أتابكة آذربايجان بعد نحو خمس وثمانين سنة من الإمارة

يذكر أتابكة آذربايجان خاصة شمس الدين أيلدر ووالداه جهان بهلوان وقزل أرسلان في تاريخ الأدب الفارسي بخير لأن عددا من الأدباء الكبار البلغاء مدحهم بقصائد غراء وخلد أسماءهم وأشهرهم ظهير الدين محمد الفاريابي (١) وأفضل الدين الخاقاني الشرواني (٢)

---

(١) ظهير الدين أبو الفضل طاهر بن محمد الفاريابي من شعراء القصيدة المعروفة في القرن السادس ، حقق العربية وعلوم الحكمة والفلك واتصل بحكام آل باوند وأتابكة آذربايجان وآخر السلاجقة العراقيين ، وقد تأسى في شعره بالأنورى ومهر في فن الغزل .

(٢) الخاقاني وهو أفضل الدين أبو بديل بن علي من كبار الشعراء الفرس وينسب إلى الخاقان الأكبر منوشهر ابن غريدون شاه شروان الذي اتصل به وبابنه الخاقان الكبير أخستان ثم أثر العزلة إلى أن مات عام (٥٩٥هـ) ويعد الخاقاني من شعراء القصيدة في الدرجة الأولى الذي تميز بالقزامة الرديف الصعب في القصائد الطويلة وذلك لأطلاعه الواسع باللغة العربية فضلا عن الاصطلاحات الفلسفية والطبية مما كان يخرج من البساطة حيناً . ويبدأ أغلب قصائده بوصف الطبيعة والربيع والخريف والصباح ، وأغلب تشبيهاته من خلق قريحته وتخيله . ومن آثاره غير الديوان قصائد وغزليات متأثرة بالسنانى ومثنوى (تحفة العراقيين) .

وشرف الدين شفره الأصفهاني (٣) ومجير الدين البيلقاني (٤) وأثير الدين الأخصيكتي (٥) وجمال الدين الأشهرى (٦) .

### أسماء أتابكة آذربايجان وزمان كل منهم

- ١ — شمس الدين ايلدكر ( ٥٤١ — ٥٥٦٨ )
- ٢ — نصره الدين محمد جهان بهلوان بن ايلدكر ( ٥٦٨ — ٥٥٨٢ )
- ٣ — مظفر الدين عثمان قزل أرسلان بن ايلدكر ( ٥٨٢ — ٥٥٨٧ )
- ٤ — نصره الدين أبو بكر بن جهان بهلوان ( ٥٨٧ — ٥٦٠٧ )
- ٥ — مظفر الدين أوزبك ابن آخر لجهان بهلوان ( ٦٠٧ — ٥٦٢٢ )
- ٦ — الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك ( ٦٢٢ — ٥٦٢٦ )

( ٣ ) شرف الدين شفره ، وشفره من أعمال أصفهان ، يعتبره كتاب القذاكر ملك الشعراء للأتابك شيركير ( صائد الأسود ) أخى الأتابك أرسلان آى أبه ، وهد ديوانه شاملا لثمانية ألف بيت .

( ٤ ) هو أبو الكارم مجير الدين المتوفى عام ( ٥٥٨٦ ) تلميذ الخاقاني السالف الذكر ، ويشمل ديوانه القصائد والغزليات والقطعات والرباعيات ويبدو فيه أثر أسقاده ، وكان له مناظرة ومعارضة مع أغلب شعراء عصره كالخاقاني والنظامي وغيرهما .

( ٥ ) وهو من شعراء المدح في القرن السادس ، اقتفى في شعره أثر الأنورى والسفاني والخاقاني ونافس البيلقاني غتاجيا تعريضا وتصريحا ، وكان للأثير ولع باللاتيان بالرديف الصعب والمعاني غير السهلة ، وقد طبع ديوانه بطهران عام ( ١٣٣٧ هـ . ش ) .

( ٦ ) جمال الدين محمد بن عبد الرازق الاصفهاني المتوفى عام ( ٥٥٨٨ ) ولد بأصفهان وقضى بها أغلب عمره ولاقى النظامي الكنجوى ومدح أغلب السلاجقة وبعض أتابكة آذربايجان وآل باوند الحاكمين في مازندران وأسرى آل خجند وآل صامد من أسر أصفهان الكبيرة . ويشمل ديوانه القصائد والغزليات والمدح والحكمة والوعظ ، وهو من المتأثرين بالأنورى والسيد حسن الغزنوى والوطواط ويبدأ أغلب قصيده بالمدح وقل أن وصف الطبيعة ، إلا أن غزله يأتى في الصف الأول لغزل عصره .

## ب - الخوارزمشاهيون

(٤٩٠ - ٥٦٢٨ هـ)

قد بينا ضمن سلطنة السلطان سنجر تاريخ تأسيس وبداية أمر الخوارزمشاهيين وهم أبناء أنوشتكين غرجه وقتلنا - ان أولهم وهنو قطب الدين محمد قد نصبه أمير حبشي بن التوتناق حاكم خراسان حاكما لخوارزم عام (٤٩٠ هـ) وصار منصبه هذا من هذا الوقت فصاعدا وراثيا في أسرة قطب الدين محمد بن أنوشتكين ، فبداية تأسيس الأسرة الخوارزمشاهية اذن هو عام (٤٩٠ هـ) وقطب الدين محمد أول خوارزمشاه أو ملك لخوارزم لهذه الأسرة .

### ١ - قطب الدين محمد بن أنوشتكين

(٤٩٠ - ٥٢٢ هـ)

و

### ٢ - علاء الدولة أبو المظفر أئمز بن قطب الدين محمد

(٥٢٢ - ٥٥١ هـ)

كان قطب الدين محمد طوال مدة حكمه لخوارزم أي نحو ثلاثين عاما ونييف دائم الطاعة والتبعية لسنجر لم يعص أمره قط . وأثرنا قبل الى أنه كان يأتي بلاط سنجر كل عام أو كان يرسل بابنه أئمز الى بلاط خراسان ، وكان الأب والابن دائما بركب سنجر في الحروب التي خاضها الأخير في بلاد ما وراء النهر وغزني والعراق .  
وقد لقي محمد خوارزمشاه منيته في (٥٢٢ هـ) وكان عادلا حسن السيرة حبا للأدب مشجعا له ورقي ابنه أئمز مقامه .  
وتنقسم فترة حكم علاء الدولة أبي المظفر أئمز لخوارزم وتمتد

من (٥٥٢هـ) وتنتهى الى (٥٥١هـ) الى مرحلتين : المرحلة الأولى من عام (٥٢٢هـ) حتى (٥٣٠هـ) وكان أئمز بين هذين العامين كوالده مطيعا لسنجر يؤدي له فروض التبعية وكان يعمل بالقتال في ركبته والجلاد . والمرحلة الثانية التى تبدأ بعام (٥٣٠هـ) وتنتهى بعام (٥٥١هـ) عام موته كان فيها العداء والخصومة قائمين أكثر الأوقات بين أئمز وسنجر ، وقد هاجم سنجر كما مر في تاريخ سلطنته خوارزم ثلاث مرات : في ربيع الأول (٥٣٣هـ) وفي نفس الشهر (٥٣٦هـ) وفي جمادى الآخرة (٥٤٢هـ) وقد غلب في المرات جميعا أئمز وأجبره على الاستسلام والاعتذار ، ومع أن أئمز لم يعص السلطان من عام (٥٤٢هـ) فما بعده بسبب اشتغاله بصراعه مع القراخطائين والاضطراب على الحدود الشمالية والشرقية لبلاده إلا أنه لم يكن صافي الباطن له مخلص النية الى أن أتى خراسان حين أسر الغز سنجر وظل بها الى أن نجا سنجر من حبسه ، وقبل أن يسفر الأمر عن كيف سيكون واجب أئمز نحو خراسان أو أحوال العلاقات المستقبلية بينه وبين سنجر وافى أئمز أجله في التاسع من جمادى الآخرة من عام (٥٥١هـ) في ولاية قوشان الحالية .

كان أئمز شجاعا الى حد الثهور وأميرا عادلا ومشجعاً للشعر كريما معطاء ، وولد طيب سيرته وخير ذكره رئيس ديوان انشائه ومادحه الخاص رشيد الدين محمد الموطواط البلخي الذي توفي في (٥٧٣هـ) بأشعاره الفارسية والعربية . وقد قام هذا الشاعر والمؤلف القدير الذي قل نظيره في النظم والنثر في اللغتين العربية والفارسية في عهده بتأليف كتابه الخائق الشهرة ، بأمر من أئمز ، وهو ( حدائق السحر في دقائق الشعر ) (١) . وقد مدح أئمز غير شاعر بعد الموطواط من شعراء

( ١ ) حدائق السحر في دقائق الشعر كتاب في علم البيان والبديع من آثار رشيد الدين الموطواط الذى بدأ في وضعه بإشارة من أئمز عام (٥٥١هـ) وأنهاء في حكم ابنه ايل أرسلان . وقد استفاد الموطواط في كتابه هذا من كتاب ترجمان البلاغة الذى ينسب الى محمد بن عمر الرادويانى أحد ادباء القرن الخامس وبداية السادس . وقد بدأ الكتاب بذكر محاسن الشعر ثم بذكر بعض شواهد الشعر العربى والفارسى ، ويمثل من الشعر الفارسى بشعر المعزى وعميق البخارائى .

سنجر مثل أديب صابر ومن شعراء أران كالخاقاني الشرواني أيضا . وكانت الجرجانية في عهد أئمة خوارزم شاه من أكبر مراكز العلم والأدب ومحال اجتماع عدد كبير من الفضلاء المشهورين ، وكان لأئمة خاصة اجتهد ببلغ في جمع أهل الثقافة والعلم بعاصمته هذه ، كما حدث في عام (٥٣٩هـ) حينما استولى على خراسان بعد هزيمة سنجر من القراخانيين اصطحب معه جمعا من علماء هذا البلد الى خوارزم ، ومن مفاخر عهده وجود الامام العلامة الكبير جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ( ٤٦٧ - ٥٣٨هـ ) صاحب المؤلفات العديدة في التفسير والنحو واللغة والأدب وأشهرها جميعا ( الكشاف ) في تفسير القرآن والأنموذج في النحو العربي ومقدمة الأدب في اللغة العربية بالفارسية . وغير الزمخشري زين الدين السيد اسماعيل بن حسن الجرجاني المتوفى ( ٥٣١هـ ) (١) من الأطباء الكبار على عهد أئمة وكان أبوه قطب الدين محمد . والسيد اسماعيل الجرجاني هو مؤلف الكتاب المعروف ( ذخيرة خوارزمشاهي ) في الطب وقد صنّفه هذا العالم باسم قطب الدين محمد خوارزمشاه ، ثم اختصره بعد بأمر أئمة وجعله باسم علاء الدولة أئمة باسم ( خفي علائي ) (٢) .

### ٣ - تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أئمة

( ٥٥١ - ٥٦٧هـ )

عاد بعد أن مات أئمة ولده ايل أرسلان الذي كان بصحبته بالجنود الخوارزميين الى الجرجانية وراسل منها السلطان سنجر مظهرا طاعته ( ١ ) زين الدين اسماعيل المتوفى ( ٥٣١هـ ) من معارف أطباء القرن السادس بل أمرهم جميعا وترادف مؤلفاته آثار ابن سينا وأهم آثاره الطبية بالفارسية ذخيرة خوارزم شاهي الذي لخص باسم خفي علائي ، وكتاب ( يادكار ) اي التذكرو ( اغراض ) . ويقع الكتاب الثاني في مجلد أما الثالث فيجد أجزا لكتاب الذخيرة .

(٢) ألف الجرجاني كتاب الذخيرة عام ( ٥٥٤هـ ) في اثني عشر مجلدا يحوى كل مجلد بضعة أبواب وفصول ويشمل مباحث في الطب والأدوية والتشريح وقد استخدم المؤلف في الكتاب كثرة من التركيبات والأصطلاحات الطبية باللغة الفارسية ، وترجم المؤلف كتابه هذا الى العربية .

وتبعيته ، فنصبه السلطان مكان أبيه وجلس ايل أرسلان رسماً في الثالث من رجب (٥٥١هـ) خلفاً لأبيه . ومات السلطان سنجر بعد جلوس ايل أرسلان بثمانية شهور واختير مكانه الخاقان ركن الدين محمود . وقد نصب ايل أرسلان عزاء السلطان ثلاثة أيام وأرسل رسالة للخاقان ركن الدين هنأه فيها بالسلطنة وأظهر أيضاً تبعيته للسلاجقة .

وكانت رئاسة الأسرة السلجوقية آنذاك لغياث الدين محمد بن محمود بن السلطان محمد الذي كان يحكم العراق ويعيش في حال من النزاع والخصومة لعمه سليمان شاه والخليفة المقتفى .

وبعث السلطان محمد الثاني الى ايل أرسلان أنه مصمم على التحرك الى خراسان وما وراء النهر لاصلاح أمورهما ، فقوى ايل أرسلان من تصميمه ، الا أن محمداً لم يستطع بسبب نزاعه مع الخليفة والخصوم الآخرين أن يطبق نيته تطبيقاً عملياً ، ومع أن خوارزم شاه سمى في الاصلاح بين الخليفة ومحمد الا أنه لم يخرج بنتيجة ومات محمد في (٥٥٤هـ) .

أما أحداث سلطنة ايل أرسلان فهي قسمان أحدهما حروبه في بلاد ما وراء النهر وثنائهما غزوه لخراسان . ففي جمادى الآخرة (٥٥٣هـ) هاجم ايل أرسلان ما وراء النهر ليمد رؤساء جماعة القرلق التي كانت قد لاذت به هرباً من طلب الخاقان الأفراسيابي لسمرقند فأخذ بخارى وسمرقند وهرب الخاقان والتجأ بالقراخانيين الذين صار الخانيون من بعد حرب قطوان تحت تبعيتهم .

وزحف القراخانيون في (٥٦٧هـ) نحو خوارزم بسبب رفض ايل أرسلان دفع الخراج السنوي الذي التزم بأدائه أبوه الى الكورخنان القرخانيين ، وهزموا جيش ايل أرسلان على شاطئ نهر جيحون ، ومات ايل أرسلان بعد هذا بقليل في التاسع عشر من رجب (٥٦٧هـ) .

أما في ناحية خراسان فبعد أن أعمى مؤيد الدين آي ابنه الخاقان

ركن الدين محمود في (٥٥٥٧هـ) وسيطر على غالب خراسان ، بدأ الخلاف بين ايل أرسلان الذي أدخل من بداية حكمه خوارزم وجرجان ودهستان تحت امرته ومؤيد آي ابيه بسبب السيطرة على هاتين المنطقتين والنواحي الأخرى من خراسان ، فتقدم ايل أرسلان في (٥٥٥٨هـ) بجيش ضخم الى هذه الناحية وحصر نيشابور لكنه لم يستطع فتحها وعاد الى خوارزم بعد صلحه مع مؤيد الدولة .

#### ٤ — جلال الدين محمود سلطان شاه بن ايل أرسلان ( رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر ٥٦٨هـ )

3

#### ٥ — علاء الدين تكش بن ايل أرسلان ( ٥٦٨ — ٥٥٩٦هـ )

بعد أن مات ايل أرسلان خلفه في حكم خوارزم ابنه الأصغر سلطان شاه محمود لكن ابنه الأكبر تكش والى جند لم يقبل سلطنة أخيه الأصغر ، فاستمد القراخانيين ازاء دفع خراج سنوي لهم وأخرج سلطان شاه وتركاني خاتون أمه من خوارزم وجلس في الثاني والعشرين من ربيع الآخر (٥٦٨هـ) على عرش خوارزم ولأذ سلطان شاه وأمّه بالفرار الى مؤيد آي ابيه في خراسان .

#### قتل مؤيد آي ابيه في التاسع من ذي الحجة (٥٦٩هـ) : —

خدعت تركان خاتون مؤيد آي ابيه بالجواهر والنفائس التي جلبتها معها من خوارزم وشجعت على الاستيلاء عليها ، فجمع مؤيد جنوداً من كل حدب في بلاده وصوب وزحف وبرفقته تركان خاتون وسلطان شاه الى خوارزم ، الا أن تكش فاجأه بالهجوم على بعد عشرين فرسخاً من الجرجانية فأسر مؤيد ثم قتل بأمره في التاسع من ذي الحجة (٥٦٩هـ)

وهرب سلطاننشاه وأمه الى دهستان وتعقبهما تكش الى أن قبض على تركان خاتون في دهستان فقتلها وعاد الى خوارزم .

واختار جنود مؤيد آي ابيه وأتباعه من بعد قتله ابنه أبا بكر طغاننشاه ( ٥٦٩ - ٥٨١ ) لامارتهم في نيشابور ، فهرب اليه من دهستان سلطاننشاه الذي لم يطق مقاومة أخيه وبعد فترة قصـد بلاط السلطان غياث الدين أبي الفتح محمد بن سام الغوري ليحتـمى به .

### الصراع بين سلطاننشاه وتكش : —

وبعد أن تخلص تكش من شر مؤيد آي ابيه وتحريضات تركان خاتون زوج أبيه عاد الى خوارزم واستقر على الملك لكنـه كان محـنى الهامة لتحمله عار دفع الخراج السنوي للكفار القراخطائين لا سيما وأن مبعوثي الكورخان كانوا يأتون بلاطه في أي وقت لكي يصل الخراج اليهم ويعاملونه بتحـكم وغلظة . وأخيرا أمر تكش أن يقتل أحد هؤلاء المبعوثين فتجددت على اثر هذا الخصومة بين الخوارزمشاهيين والقراخطائين .

ولما سمع سلطاننشاه بهذا الخبر وهو في بلاد الغور وقتذاك سر وأتى القراخطائين بدعوة منهم وأعطوه بعض جنودهم على أمل أن يستعيد سلطانه فقدم بهم الى حدود خوارزم ، لكن تكش دفع بماء نهر جيحون الى أطراف الجرجانية وأحكم قلعتها فلم ير سلطاننشاه والقراخطائيون معه فائدة من غزوهم . وهاجم سلطاننشاه بعدد من الجنود القراخطائين خراسان قادمـا من خوارزم فأخذ سرخس من أحد رؤساء الغز واسمه ( ملك دينار ) فـلجأ هـلك دينار الى طغاننشاه في بسطام وكان يومئذ تابعـا لتكش خوارزمشاه .

وتحرك طغاننشاه بدعوة ملك دينار الى سرخس بجيشه وفي الحـرب التي وقعت في ذي الحجة ( ٥٧٦ ) بينه وسلطاننشاه جـرت على جيشـش



طغانشاه الهزيمة ففر الأخير الى نيشابور ، وبعد أن مد يد الالتجاء الى  
تكش والسلطان غياث الدين الغوري مرارا لاسترجاع ملكه الضائع  
ولم ينل فائدة مات في (٥٨١هـ) فأجلس أتباعه ابنه سنجر شاه مكانه .

وسرعان ما استولى سلطانشاه على القسم الأعظم من خراسان ،  
وأخلى ملك دینار هذا البلد تماما وقدم الى کرمان وأسقط بعون الغز  
'المستولين على هذه الولاية سلسلة سلاجقة کرمان وتملك حکمها .

وفي (٥٨٢هـ) توجه علاء الدين تكش خوارزم شاه الى خراسان  
لتأديب منكى بك أتابك سنجر شاه بن طغانشاه الذى أذاق أهل نيشابور  
ظلمه واستبداده وحصر نيشابور لكنه عجز عن السيطرة عليها فعاد الى  
خوارزم ، ثم أتاها فى السنة التالية وأمسك بمنكى هذا وقتله وترك  
نيشابور لابنه ناصر الدين ملكشاه واصطب سنجر شاه معه الى  
خوارزم .

وهاجم سلطانشاه نيشابور وكان لا يكف عن مهاجمته لخراسان بعد  
أن عاد تكش وحاصر ابن أخيه فى نيشابور فتحرك تكش بعجل من خوارزم  
لإنقاذ ابنه فهرب سلطانشاه . وأخيرا تم الصلح بين الأخوين فى ربيع  
عام (٥٨٥هـ) وتلقب تكش بلقب السلطان رسما فى الثامن عشر من جمادى  
الأولى من نفس العام فى طوس ، وأضحى لقب السلطان من هذا الوقت  
فصاعدا لقب حکام خوارزم فكانوا قبل هذا التاريخ لا يجدون فى أنفسهم  
مثل هذه الشجاعة وكانوا يتلقبون بلقب (ملك) وهو لقب الأمراء الذين  
يحكمون أتباعا لسلطان ما . أما سلطان شاه فقد أخذ يهاجم بعد صلحه  
مع أخيه بلاد الغوريين كما سبق الحديث فى ذلك ، لكنه لقى فى (٥٨٦هـ)  
هزيمة مرة على أيدي ملوكهم فهرب الى خراسان وبعد قليل عصي أخاه  
فأجبر تكش على أن يأتى فى نفس هذا العام خراسان ويغلب أخاه  
العاصى ويدخله فى طاعته .

ومن هذا الوقت حتى عام (٥٨٨هـ) استقر الصلح بين تكش  
وسلطانشاه الى أن تحرك تكش الى الرى بناء على دعوة قتلغ اينج ،

فانتهر سلطان شاه غياث أخيه وهاجم خوارزم ولكن أهلها منعوها عنه فخف  
تكنس إلى خوارزم وهرب سلطان شاه إلى مرو • وتقدم تكنس إلى مرو في  
تعب أخيه ومات سلطان شاه في نفس هذا الوقت أي في آخر رمضان  
(٥٨٩هـ) فاطمان قلب تكنس من جانبه وقد كان في ضيق مقيم بسببه لمدة  
تقرب من عشرين عاما وضم إلى خوارزم بلاده التي استولى عليها فيما  
سبق في خراسان وهي مرو وسرخس وطوس • وأصاب ابنه الأرشد ناصر  
الدين ملك شاه في مرو وجعل ابنه الآخر محمداً على حكم نيشابور •

### حروب تكنس خوارزم شاه : -

علاوة على الحربين اللتين خاضهما تكنس في الشرق في بخارى عجل  
في (٥٩١هـ) لتأديب الأتراك القبجاق في بلاد ما وراء نهر سيحون إلا أن  
في السادس من جمادى الآخرة هزم منهم هزيمة قاسية وهلك أغلب جنده  
أما بأيدي هذه الطائفة أو بسبب الحرارة والعطش فعاد منهزماً  
إلى خوارزم • وقد انتقم لهذه الهزيمة التي أصابت خوارزم شاه ابنه  
محمد في (٥٩٤هـ) فهزم رئيس الأتراك القبجاق وأسر وأتى به إلى  
خوارزم •

وفي العراق سبق ذكرنا في الفصل السابق لحروبه بها التي انتهت  
إلى قتل طغرل الثالث وأدالة أسرة سلاجقة العراق في (٥٩٠هـ) ولسنا  
بحاجة إلى تكراره وإنما ما ينبغي ذكره أن خوارزم شاه بعد قتل طغرل  
أتى عاصمته همدان وسمع بها أن الخليفة العباسي الناصر قد أرسل  
وزيره مؤيد الدين بن القصاب بخلع له ونزل الوزير على بعد فرسخ واحد  
من المدينة • فاستدعى تكنس الوزير إلى بلاطه ، لكن مؤيد الدين خاطب  
خوارزم شاه أنه يجب احتراماً لخلعة الخليفة أن يترجل عن جواده ويقف  
أمام جواد الوزير • وظن خوارزم شاه أن وزير الخليفة يقصد التحايل  
عليه فأثنى ليستأسره فهرب مؤيد الدين بن القصاب نحو المناطق الجبلية  
في غرب إيران وكان هذا بداية ظهور العداوة المعلنة بين خوارزم شاه  
ودار الخلافة •

وأودع خوارزم شاه كما سبق شرحه همدان وأصفهان إلى قتلغ اينانج وعهد إلى ابنه يونس وأتابكه مياجق حكم الري وعاد إلى خوارزم وفي عودة خوارزم شاه إلى بلاده الأصلية اصطدم قتلغ اينانج ومياجق فهزم الأخير الأول قرب زنجان ، فأتى قتلغ مؤيد الدين بن القصاب يحتّمى به بخوزستان وكان قد فتح هذه الناحية لتسوّه للخليفة وجاء بالوزير وبجيّشه إلى كرمانشاه وهمدان •

وأخذ وزير الخليفة في (٥٩١هـ) كرمانشاه وهمدان وآوه وسأوه والري من يد يونس خان ومياجق وثقهقر الخوارزميون حتى الري وسرعان ما تصادم قتلغ اينانج بمؤيد الدين الوزير ، فأب مؤيد الدين إلى همدان لازالته وكان قد جمع جيشاً في المناطق حول هذه المدينة فغلب قتلغ وأقام بالمدينة • وقصد قتلغ بعون مياجق الذي كان قد عاد إلى الري همدان ثانية ، لكن مياجق كما رأينا قتله وسير رأسه إلى خوارزم • وعاود تكش في (٥٩٣هـ) إلى العراق وأسرع إلى همدان وهزم عساكر الخليفة وأخرج جثة مؤيد الدين بن القصاب وكان مات قبل وصول خوارزم شاه بهمدان من قبره وقطع رأسه وأرسلها إلى خوارزم وعاد إلى أصفهان ففتحها وآب راجعا إلى خوارزم •

ولما عاد تكش إلى قصبته مات ولده الأرشد ناصر الدين ملكشاه وإلى خراسان ، فبعث خوارزم شاه أولاً بوزيره نظام الملك صدر الدين مسعود بن علي الهروي لإدارة أمور خراسان ثم بابنه الآخر محمد من بعده فأمنا خراسان وكانت أحوالهما مضطربة بسبب نزاع أولاد ملكشاه ، وسير نظام الملك الهروي ابن ملكشاه الأكبر هندوخان إلى خوارزم •

أما الابن الآخر لخوارزم شاه وهو يونس خان فقد أصيب بالعمى من حدود عام (٥٩١هـ) فاستقل مياجق الأتابك بحكم العراق ، ثم تدرج استقلاله شيئاً فشيئاً إلى عصيان خوارزم شاه فأجبر تكش أن يقدم في ربيع الأول للاحقته إلى الري عن طريق مازندران ، وألقى القبض على

مياجق في قلعة ( فيروز كوه ) فلم يقتله خوَارِزم شاه مراعاة لخدمات أخيه واكتفى بحبسه •

ولما سمع الخليفة الناصر بعودة تكش الى العراق أرسل اليه بتملقه بالخلع النفيسة خشية أن يكون قصده دار الخلافة ونصبه رسماً على سلطنة العراق وخراسان والتركستان ولقب ابنه محمداً بقطب الدين •

وبعد اقرار الأمن بالعراق فكر خوَارِزم شاه وكان في قزوین أن يستولى على قلاع الاسماعيلية وبعد أن انقضت مدة على انشغاله بهذا الأمر عاد أخيراً في ( ٥٩٦هـ ) الى خوَارِزم وترك قطب الدين محمداً في خراسان وابنه الآخر تاج الدين عليشاه في أصفهان •

### موت تكش في التاسع عشر من رمضان ( ٥٩٦هـ ) :

اغتيال الاسماعيلية نظام الملك وزير خوَارِزم شاه في جمادى الآخرة ( ٥٩٦هـ ) لأنهم كانوا يعدونه محرّك خوَارِزم شاه لغزوه قلاعهم ، فاشتد غضب تكش لأنه كان يحب هذا الوزير الصالح الدين حبا جما ، فبدأ بأمر ابنه قطب الدين أن يهاجم قلاع قهستان بجيش كبير ، وقصد هو نفسه مع أنه كان مريضاً من خوَارِزم خراسان ، لكنه لفظ آخر أنفاسه بين نيشابور وخوَارِزم في التاسع عشر من رمضان ( ٥٩٦هـ ) ، فأخلى محمد عند سماعه هذا الخبر وكان منشغلاً في هذا الوقت بحصار ترشيز هذه القلعة وقد أعطاه الملاحدة أموالاً ، وصل على عجل الى معسكر أبيه •

كان تكش ملكاً عادلاً حسن السيرة متديناً فاضلاً اجتمع حوله جماعة من الشعراء وأهل الأدب أشهرهم بهاء الدين محمد بن المؤيد البغدادي الذي كان شاعراً ومنشئاً ورئيساً لدار الانشاء السلطانية ، ومجموعة منشأته تعرف باسم ( التوسل الى التوسل ) (١) • وغيره العلامة الكبير

---

( ١ ) جمع المؤلف مجموعة منشأته هذه باسم الوزير بهاء الدين وتحوى

فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٣ - ٦٠٦هـ) الذي صنف عدة كتب من تأليفه باسم السلطان علاء الدين تكش خوارزم شاه (٢) .

## ٦ - علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش

(٥٩٦ - ٦١٧هـ)

وبعد موت تكش جلس ابنه الثاني قطب الدين محمد في العشرين من شوال (٥٩٦هـ) مختاراً لقب علاء الدين خلفاً لأبيه ، ووجه في بداية أمره بعصيان ابن أخيه هندوخان الابن الأرشد لناصر الدين ملكشاه أخيه وكان يطالب بخلافة تكش . وسرعان ما أجبر جند علاء الدين محمد هندوخان على أن يفر إلى هراة ويحتمي بغياث الدين وشهاب الدين ملكي الغور ، فأفاد ملكا الغور اللذان كانا يطمعان في خراسان وبلاد خوارزم شاه من هذه الفرصة كما سبق في تاريخهم فهاجما خراسان ، لكنهم ، كما رأينا ، غلبوا في جميع حملاتهم على خراسان وخوارزم ، وأزال السلطان محمد في (٦١٢هـ) دولة الغوريين واستحوذ على هراة وفيروزكوه وغزنة .

فتح مازندران وكرمان في (٦٠٦هـ) و (٦٠٧هـ) :

كانت مازندران التي ظلت من عهد الساسانيين في يد أمراء إيرانيين

---

ديبلجة ومصليين ومقدمة وثلاثة أنسام في حمد الله ومدح الرسول وأصحابه والسلطان وسبب تأليف الكتاب ومدح بهاء الدين الوزير ومختصر في أساليب الكتاب المختلفة ونماذج للفرمانات وكتب العهد التي كتبها للسلطان وأرسلها إلى الأمراء والملوك بالاطراف ، ورسائل اخوانية تحوى حوادث تاريخية وعادات الناس وأخلاقهم والبلاط ورجال النصف الثاني للقرن السادس . وهذا الكتاب هام إذ أنه يجلئ أساليب الإنشاء والنثر الفارسيين في العصور المختلفة وهو بنفسه من خير نماذج المنشآت الموشاة بالصناعات اللفظية البالغة النضج والكمال .

( ٢ ) من مؤلفات هذا العالم باسم هذا السلطان جامع العلوم أو حقائق الأنوار في حقائق الأسرار الذي ألفه عام (٥٤٧هـ) ورسالة الاختيارات العلانية في النجوم في مقالتين وترجم إلى العربية .

خلص من أبناء الملوك الساسانيين في أيام سلطنة علاء الدين محمد خوارزم شاه تحت أمر الشاه الغازي حسام الدين أردشير بن حسن (٥٦٧ - ٦٠٢ هـ) من ممدوحى الشاعر الشهير ظهير الدين محمد الفاريابي . ومات هذا الاصبهذ في (٦٠٢ هـ) وخلفه ابنه شمس الملوك رستم ولم يتمتع هو أيضا مثل أبيه عن قبول أمر السلطان محمد .

وقتل زوج أخت شمس الملوك في الرابع من شوال (٦٠٦ هـ) وكان من السادات العلويين شمس الملوك ، فثارت القلاقل لهذا في مازندران واستجبد الأمراء المحليون بخوارزم شاه فأرسل السلطان محمد أحد أمرائه لضبط هذا البلد فدخلت مازندران بيسر تحت تصرفه .

وعلى نحو ما سبق توجه أحد أمراء الغز الذى استولى على سرخس وهو ملك دینار في (٥٨١ هـ) بعد أن هزمه سلطا نشاه أخو علاء الدين تكش الى كرمان ، وبعد أن جمع الغز المقيمين بهذه النواحي أسقط أخيرا في (٥٨٣ هـ) أسرة سلاجقة كرمان واستولى دینار على كرمان ، وقد ألف باسم هذا الملك الغزى المنشئ المعروف أفضل الدين أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى كتابه ( عقد العلى ) في تاريخ كرمان في عام ( ٥٨٤ هـ ) .

وبعد إمارة ثمانية أعوام على كرمان مات ملك دینار (٥٨٣ - ٥٩١ هـ) وخلفه ابنه علاء الدين فرخشاه (٥٩١ - ٥٩٢ هـ) ، لكن أوضاع كرمان على عهده كانت قريئة القلاقل وخطبت جماعة لعلاء الدين تكش خوارزمشاه ، وأرسل خوارزم شاه بدوره قوادا من خراسان لضبط كرمان ، وأصبحت هذه الولاية من حدود عام (٥٩٢ هـ) تابعة للخوارزمشاهيين ، وأتاب ناصر الدين ملكشاه بن تكش الذى كان حاكما نيشابور من لدن أبيه ابنه هندوخان على كرمان ، وظل هندوخان بها حتى سنة وفاة أبيه ملكشاه أى الى ربيع الآخر (٥٩٣ هـ) ، وبعد عودته أدار نواب تكش أمور كرمان .

وفي وقت موت تكش صارت كرمان ألعوبة لهجوم التراكمة ثانية ،

وهاجم كرمان ملوك شبا نكارة من فارس لاقتلاعهم مرارا ، وأخيرا تمكنوا من ادخال هذه الولاية تحت امرتهم ، ولكنه بعد نحو أربعة أعوام قام أهل كرمان على أصحاب شبا نكارة بسبب ظلمهم وجورهم ، فأمرؤا عجمشاه الابن الآخر للملك دينار الذي كان هندوخان قد بعث به الى خوارزم وعاد في هذا الوقت الى كرمان .

وفي هذا الوقت استولى الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكي ( ٥٩٩ هـ - ٦٢٣ هـ ) أتابك فارس السلغوري والذي كان في نزاع مع ملوك شبا نكازه على كرمان مرة في عام ( ٦٠٠ هـ ) وأخرى بعد تجديد امراء شبا نكارة هجومها عليها في ( ٦٠٢ هـ ) وظلت كرمان حتى ( ٦٠٧ هـ ) تحت أمر نائب الأتابك سعد .

وعصى نائب الأتابك في تلك الآونة مخدموه ، فصارت أمور كرمان رهن الاضطرابات . وأفاد والى مدينة زوزن في قهستان من طرف السلطان محمد خوارزمشاه واسمه تاج الدين أبو بكر من هذه المقاتلة ، فاستولى على كرمان بجيش أمده به خوارزمشاه في عام ( ٦٠٧ هـ ) ثم هاجم هرموز ( ميناء ميناب الحالي مقابل الجزيرة وباب هرمز ) فضم هذا البلد وقسما من عمان وكانت تبعا لهرموز الى البلاد الخوارزمشاهية ، فاتسعت حوزة السلطان محمد في هذه الجهة حتى السواحل الجنوبية لبحر عمان .

### السلطان محمد خوارزمشاه والخليفة الناصر :

في السنوات الأخيرة من سلطنة تكش كان الناصر الخليفة العباسي دائم الخوف من هجوم خوارزمشاه عليه من بعد هزيمة جنده ووزيره على يديه فعمل على تأليب الملوك الغوريين لمعاداة الخوارزميين ، فدفع كما رأينا في تاريخ الغورية في ( ٥٩٤ هـ ) السلطان غياث الدين الى مهاجمة البلاد الخوارزمشاهية ، فاضطر تكش أن يستمد القراخطائين فهاجمت هذه الفئة الكافرة على أثر تحريضات الخليفة الناصر بلاد الغور المسلمين .

وهزم السلطان غياث الدين جند القراخطائيين ود صالح تكش ، وأصدر الخليفة الناصر منشورا بسلطنة تكش رسميا في ( ٥٩٥هـ ) حين قدم خوارزمشاه الى الري مخافة الخليفة يعترف فيه بحكمه لكل البلاد التي استولى عليها سابقا وأرسل المخلع اليه والى ابنه محمد ولقب محمدا بقطب الدين •

وبعد جلوس محمد مكان أبيه تكش عمل الناصر خثية أن يسلك الابن مسلك عداوة أبيه للخلافة على تحريك الملوك الغوريين ضده ، وقد أحل الخليفة بغياث الدين وشهاب الدين اللذين كانا مشغولين بفتح الهند ودفع الكفار القراخطائيين كما مر شرحه الضعف والعجز لكثرة غزواتهما على خراسان وخوارزم الى أن سقطت أسرة السلاطين الغور وتجزأت الممالك الغورية •

ولما لم يستطع الناصر أن يتخلص من تهديد خوارزم شاه عن طريق الغوريين كما كان يود ، عمل على إثارة الأمراء والحكام المحليين الصغار وتحريكات أخرى ، ومن بين ذلك أنه تحالف مع جلال الدين الحसन الاسماعيلي من خلفاء الحسن بن الصباح والذي سيطر على قلاع الموت ورودبار وقهستان فأطاع الحسن الذي ترك المذهب الاسماعيلي ظاهرا وعرف بلقب ( نو مسلمان ) أى المسلم الجديد أمر الناصر وترك تحت اختيار الخليفة جماعة من الفدائيين الباطنيين لكي يزيل أعداءه بنفس سيرة الاسماعيلية في ازالة أعدائهم • وأمر الناصر أيضا أن يقدم علم جلال الدين الحسن الذي جعله رفق أصحابه الحجاج على علم رعايا خوارزمشاه في الحج ، وكان عمله هذا بمنزلة توهين عظيم من شأن هذا السلطان العظيم الشوكة والذي كان يحكم على أوسع دول العالم آنذاك •

وكان القسم الأكبر للعراق أى همدان وأصفهان والري على النحو الذي رأيناه قبل ذلك حتى عام ( ٦٠٨هـ ) في يد شمس الدين آيتغمش أحد غلمان الأتابك محمد جهان بهلوان السابقين • وفي هذا العام عمى أحد أتباعه وهو ( ناصر الدين منكلى ) مخدومه آيتغمش فاستولى على



البلاد السابقة للأتابك أوزبك وهرب آيتغمش الى بغداد .

وبعد أن استقر منكلى على امارة العراق أخذ في معاداة الأتابك أوزبك من ناحية ، ومهاجمة بلاد جلال الدين نو مسلمان من ناحية أخرى ، فألب الخليفة الناصر جلال الدين والأتابك أوزبك على قتال منكلى وأرسل جيشا من طرفه لمساعدتهما ، وهزم الحلفاء منكلى في ( ٦١٢ هـ ) فقتل في ساوة وسير الأتابك رأسه الى بغداد وتوزعت بلاد منكلى بين الخليفة الناصر والأتابك وجلال الدين . وترك الأتابك نصيبه الى أحد مماليك أخيه واسمه سيف الدين اغلش وقد عاش في خدمة السلطان محمد خوارزمشاه وقد كان يجالذ بسيفه في حروبه ، الا أن اغلش سرعان ما خطب في بلاده خوارزم شاه . فأمر الخليفة وكان غاضبا لما حدث جماعة من الاسماعيلية بقتله فاغتالوا اغلش بطعنات خنجرهم ، ولما وصل ذلك خوارزمشاه زاد غضبه عما سبق على حركات الخليفة العدائية خاصة وأن الناصر كان يأنف من الخطبة له في بغداد . ولما استولى خوارزم شاه على غزنة وجد مراسلات من الخليفة الى الغوريين تدور حول تأليبهم على معاداته فلم يعد له شك في عداء الناصر لأسرته ، ولأجل هذه الأسباب جميعا قصد من خوارزم العراق ، واستولى بسهولة على اصفهان والري وقم وكاشان وساه وهمدان . وتغلب على الأتابك سعد ابن زنكى أتابك فارس وأمسك به ومع أنه كان يريد قتله الا أنه عفا عنه أخيرا بشفاعة أحد مرافقيه وأعادته الى فارس ، وقبل الأتابك أن يترك ابنه رهينة في بلاط خوارزم شاه وأن يرسل ربع مال فارس الى خوارزم هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى جعل خوارزم شاه من الأتابك أوزبك مطيعا له وقبل هو أيضا أن يخطب له في أران وأذربايجان .

وفي نفس هذه الأيام أسقط خوارزم شاه اسم الخليفة الناصر من الخطبة بفتوى جماعة من علماء ما وراء النهر وأمر أن يرفع أحد السادات الحسينيين في ترمذ الى الخلافة قائلا ان الناصر لا يستحق الخلافة بسبب قيامه على سلطان السلام وأعماله القبيحة الأخرى وان السادات

الحسينيين أخرى منه خلافة .

وسار خوارزم شاه من همدان الى بغداد ، لكن كثرة من جيشه وخيوله هلك بسبب الشتاء والثلج الشديد الذي سقط في الأماكن الجبلية الموعرة في أسد آباد ، وسبب له الأكراد ولجيشه كثيرا من الضرر البالغ ، فتشائم السلطان مما حدث ، ولما كان غير مطمئن خاطر من جانب المغول أيضا الذين شرعوا هجومهم منذ فترة سابقة على الحدود الشمالية لبلاده ، فعاد من همدان في أواخر ( ٦١٤هـ ) الى خراسان ومنها بلغ مرو في المحرم من ( ٦١٥هـ ) ، وذاع أن الخليفة الناصر قد مات فليس من اشكال لاسقاط اسمه من الخطبة .

### انهيار الاسرة القراخطائية في (٦٠٧هـ) :

كان الخوارزمشاهيون ، كما سبق ، يؤدون الخراج كل عام الى القراخطائيين من حين أن هزم الكرخان أتنسز ، وفشل ايل ارسلان وتكش برغم محاولتهما أن يتخلصا من هذا الحمل ، خاصة وأن تكش كان قد قبل دفع هذا الخراج السنوي من جديد الى القراخطائيين حينما كان يصارع أخاه سلطاننشا .

واستولى القراخطائيون كما رأينا على بلاد ما وراء النهر أي سمرقند وبخارى من بعد حرب قطوان فكان أمراء هذه الناحية وسلطينها يدفعون الى شحنات الكورخان الخراج بانتظام وكانوا يحكمون تحت تبعيتهم بلقب السلطان والأمير ، وقد كان أخلاف الخانيين على نفس هذا الحال في سمرقند ، وسلكت في بخارى أسرة من العلماء الدينيين عرفت بأسرة ( صدر جهان ) نفس هذا المسلك .

وأخذ أهل ما وراء النهر يشكون الى السلطان محمد خوارزم شاه بعد ما تيسر له من الفتوحات العظيمة ما حل بهم من ظلم وجور وعار باستيلاء القراخطائيين وكان السلطان نفسه في ضيق شديد لأدائه الخراج

السنوى اليهم ولهذا فقد ألقى برسول الكورخان في ( ٥٦٠٦ هـ ) الذي أتى لا يصال الخراج المطلوب في الماء وأغرقه وتحرك في آخر نفس العام عازما الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر .

واستقبل أهل بخارى السلطان محمدا باحترام بالغ ، وفي وصوله الى سمرقند قدم خاقانها نصره الدين عثمان خان الملقب بلقب سلطان السلاطين والذي لم يكن على صفاء مع الكورخان الى خدمة خوارزم شاه وقبل أن يخطب له ويصك العملة باسمه وعبر السلطان قاصدا الاستيلاء على بلاد القراخانيين الاصلية نهر سيحون وفي ربيع الأول ( ٥٦٠٧ هـ ) هزم جيش ( تاييكيو ) والى مدينة طراز قائد الكورخان واستأسره وأتى به الى خوارزم وقتله . ومن هذا الوقت تلقب السلطان محمد بلقبى ( سنجر ) و ( الاسكندر الثاني ) .

أما الكورخان فسرعان ما هاجم بجيشه سمرقند وبعد أن هزم عثمان خان وخوارزم شاه استعاد هذه المدينة ولاذ السلطان محمد بالفرار .

وتصالح الكورخان مع عثمان خان لأنه كان في هذا الوقت فريسة مشاكل شديدة في حدوده الشمالية والشرقية لبلاده وعاد الى بلاده الأصلية بعد أن ترك شحنة من جانبه في سمرقند وتحمله الخراج السنوى .

ومن الملوك الذين كانوا يؤدون الخراج للكورخان كوجك خان (١) الذي يترأس على جماعة النايما من المغول المسيحيين ، أعلن هذا الملك عصيانه للكورخان وجعل مركز بلاده تحت تهديده فاجل الكورخان بالعودة من سمرقند لدفعه .

وانتهز السلطان محمد هذه الحادثة للانتقام لهزيمته السابقة فساد

---

(١) كوجيلوك لفظ أيغوري معناه ( الرجل القوى ) ( غامبرى ج ١ ص ١٥٥ ) .

ثانية الى بخارى وسمرقند وحالفه عثمان خان مرة أخرى ، ودخل خوارزم شاه بعد أن غلب جنود الكورخان في قتال ونزال مع كوجلك ثم عاد مع عثمان خان الى خوارزم وترك ثحنات من لدنه في كل مدينة .

وعقد السلطان محمد في رجوعه الى خوارزم لعثمان خان على ابنته وبعد مدة أعاده يصحبه شحنة الى سمرقند ، الا أن عثمان بعد عودته الى سمرقند أخذ يتألم لظلم الشحنة وجوره واعتداء الجنود الخوارزميين على الرعية الذي فاق الحد فأخذ يسيء معاملة بنت خوارزم شاه ، واستدعى سرا الكورخان ليأخذ سمرقند فجاء وأعمل السيف في الخورازميين المقيمين بالمدينة .

وقد أحنق هذا الخبر خوارز مشاه الى حد أنه قصد سمرقند متحركا من خوارزم بهدف استئصال شأفة عثمان خان وذبح أهل سمرقند ، وبعد أن فتحها أخذ في ذبح أهلها ثلاثة أيام كاملة ثم رفع يده عن فعله الشنيع بشفاعاة أئمة المدينة والسادات بها ، وقبض على عثمان خان الذي أتى يقدم اعتذاره فقتله وأكثر اتباعه وأقاربه ، وبهذا دالت سلسلة الملوك الخانيين في ( ٦٠٧ هـ ) تماما ووضع خوارزم شاه من ناحية الغرب البلاد القراخطائية موضع هجماته بينما أنشأ كوجلك الذي تحالف مع السلطان محمد قبل ذلك في مهاجمة الكورخان من الشرق ، وغلبه وأسره في معركة واحدة ، وبهذا أسقط كوجلك وخوارزمشاه الدولة القراخطائية أيضا في نفس العام ( ٦٠٧ هـ ) وتقرر أن يقسم هذا المكان المنتصران أغلب بلاد الكورخان الواسعة بينهما .

### مجاورة المغول للبلاد الخوارزمية :

بعد أن ترددت السفراء بين كوجلك وخوارزمشاه مرارا المتقسيم البلاد القراخطائية ، ولما لم يتفق الطرفان صمم السلطان محمد أن يهاجم بلاد كوجلك ، ولكن جنده المسلمين بدلا من أن يتحالفوا مع مسلمي كاشغر والبلاد الأخرى الذين كانوا يحاربون بشجاعة مع جنود كوجلك المسيحيين

أخذوا يهاجمونهم ويحملون عليهم وتحاشوا مواجهة أتباع كوجك ، وأمر خوارزم شاه لكي يمنع هجوم كوجك على بلاد ما وراء النهر أهالي عدد بلاد شرقها أن يهربوا مساكنهم ويرحلوا عنها •

وفي شتاء ( ٦١٢ هـ ) زحف السلطان محمد من مدينة جند الى مساكن طوائف القبجاق ، وفي هذه الحدود واجه فرقا من المغول بقيادة جوجي ولد جنكيز خان • وخاطب جوجي خوارزم شاه أنه أتى لدفع ثوار هذه المنطقة ولا يقصدون حربه ، فأجابه خوارزم شاه وهو في كامل غروره أن الكفار جميعا في نظره سواء وهاجمهم ، وفر أتباع جوجي مستترين بالليل مع تفوقهم الخارق ، وعاد خوارزم شاه في صيف ( ٦١٣ هـ ) الى سمرقند وكانت هذه الواقعة التي أفهمت خوارزم شاه درجة فروسية مغول جنكيز خان وشجاعتهم أول صدام ما بين هؤلاء القوم والسلطان محمد •

### موت خوارزم شاه في شوال ( ٦١٧ هـ ) : —

جاء أتباع جنكيز خان ، كما سيلي تفصيله في تاريخهم ، بعد أن زالت الدولة القراخانية فزال بهم الحاجز العظيم الذي فصل بلاد ما وراء النهر العامرة عن مساكن أقوام التتار الوحشيين ، جاؤوا البلاد الخوارزمية مشاهية ، ومع أن جنكيز كان يود أن يقيم علاقة صداقة مع خوارزم شاه إلا أنه بسبب عدم فطنة هذا الخوارزمي وقع معه في نزاع ، فبعد أن طرد جنكيز كوجك من كاشغر في عام ( ٦١٥ هـ ) وأزال دولة جماعة النايمن ، طفق يتأهب للهجوم على البلاد الخوارزمية مشاهية باستعدادات عظيمة ، وانصب في خريف ( ٦١٦ هـ ) بكل أبنائه وقواده على بلاد ما وراء النهر ، وبعد أن خرب مدن هذه المنطقة العامرة سيطر أيضا على خوارزم وخراسان ، وكان خوارزم شاه يفر أمامه حتى تحصن في النهاية بماندران ، ولما سمع أن المغول يتعقبونه يمم شطر جزيرة آهسكون الصغيرة مقابل مصب نهر جرجان في بحر الخزر ولفظ آخر أنفاسه في شوال من ( ٦١٧ هـ ) في شدة من الفقر والحزن

والمرضى في حالة لم يكن له ما يكفونه به ، فكفن برداء أحد أتباعه •

والسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه كان في عهده أحد أكثر ملوك المسلمين شهرة وعظم شأن ، اذ تحقق على يديه فتوحات كبيرة في مدة قصيرة نسبيا ، وقد أسقط الأسر كلها في وقائع عظمى قل أن تنتيسر لملك آخر غيره قط • وكانت دولته من أوسع الدول بعد دولة السلاجقة لأنها شملت فضلا على جميع إيران وما وراء النهر وخوارزم جزءا من التركستان والهند أيضا ، وقد دان بقية الملوك بالطاعة لخوارزم شاه أيضا •

وكان خوارزم شاه ملكا عالما ودينا محبا للعلم والأدب لكنه كان قاسيا فظا خاليا من الحنكة والسياسة ، وكان أسوأ من ذلك كله يعيش تحت نفوذ أمه القبجاقية (تركان خاتون) (١) التي كانت امرأة أنانية شهوانية سفاكة للدماء ذات دسيسة ودهاء وقد بلغ تسلط هذه المرأة على الأمور إلى حد أنها كانت تمنع أوامر ابنها خوارزم شاه من أن تنفذ إذا لم تر أنها صالحة في نظرها ، وكانت تسبب له مشقات بالغة ، وقتلت ناحية من البلاد الخوارزمية لم يتسلط على أمورها واحد من أتباع هذه السيدة •

والم يكن رعيا خوارزم شاه أصفاء القلب له لأنه من ناحية ناهض الخليفة الناصر امام المسلمين بالعداوة وأحنق عليه طبقة رجال الدين ذوى النفوذ بفعله هذا من ناحية ، وكان الجنود الخوارزميون والحراس القبجاقى أو أتباع أمه يصيبون الرعية بكثير من الايذاء والاضرار ، وبلغ ظلمه وقسوته أيضا في البلاد المفتوحة جدا أن المسلمين غالباً كان ينفلون حكم الكفار القراخطائين على سلطنة السلطان محمد •

ونظرا لعدم اهتمامه بسكان البلاد والتابعة له وطبقة رجال الدين

---

(١) تركان خاتون هذا لقب عام يطلق على نساء السلاطين الأتراك وليس اسما خاصا كما فهم المؤلف ومعناها ( السيدة الملكة ) •

فقد جمع حوله جماعة من الأتراك القبجاق كحراس ومستحفظين . فاستحوذ هؤلاء الترك السفادون الغلاظ الأكباد على أزمة الأمور تعاونهم تركان خاتون أم السلطان ، وكان هذا السلطان الضعيف النفس العوبة في أيدي رؤساء هذه الجماعة دائما ولم يكن له رأى ولا حرية أمامهم .

وكان أحد أفعال خوارزم شاه القبيحة التي زاد على أثره نفور رجال الدين والرعية له هو قتله للعارف المعروف الشيخ مجد الدين شرف ابن المؤيد البغدادى أخى بهاء الدين محمد رئيس ديوان رسائل تكش والذى كان له نفوذ عظيم في خوارزم وكانت أم السلطان نفسها تحميه . وقد قتل خوارزم شاه لسبب لا يعرف بالضبط الشيخ مجد الدين في (٦١٢هـ) فأحقق فعله هذا أمه تركان خاتون وشعب خوارزم عليه حنقا شديدا فقام رجال الدين بمعاداته أكثر من ذي قبل ، وكان نتيجة هذه الأفعال أن السلطان محمدا لم يستطع أن يعتمد على رعاياه التابعين له في دفاعه عن تاجه وعرشه مع عدم وجود التنظيمات العسكرية الصحيحة ، ومع كل شوكتة وعظمتها اللتين كانتا له غلبه ونكبه جماعة من أقوام البدو القتار .

## ٧ - جلال الدين المنكرنى

(٦١٧ - ٦٢٨هـ)

كان للسلطان محمد من نسائه العديدات بضعة أبناء أشهرهم أربعة هم جلال الدين المنكرنى (٢) أرشد أولاد السلطان وكان بصحبة السلطان أبيه في غالب الأحوال ، وغينناك الدين الذى كان يحكم على كرمان ، وركن الدين والى العراق ، وأوزلاغ شاه الذى اختاره السلطان

---

(٢) لفظ أويغورية مؤلفة من كلمتين : منك بمعنى السماء وبردى بمعنى مبعوث ورسول ومنكوبردى وليس منكبرى معنىها رسول السماء ( خامبرى ج ١ ص ١٧٧ ، ج ٣ ص ١٨٩ ) .

وليا لمعهده بسبب عناد ترکان خاتون لجلال الدين واصرارها على تولية  
ابنها عهده .

وحينما فر خوارزم شاه من أمام جنود جنكيز الى العراق لحق  
جلال الدين وغيث الدين وركن الدين ثلاثتهم بأبيهم وعين السلطان في  
جزيرة آبسكون جلال الدين خلفا له وحث أخويه الآخرين على اطاعة  
أمره ، ولم تكن عاصمة خوارزم حتى هذا الوقت قد سقطت في يد  
جنكيز خان .

وعاد أبناء خوارزم شاه من مازندران الى خوارزم ولما أعلنت  
سلطنة جلال الدين عصى الأتراك المنحازون الى ترکان خاتون وأوزلاغ  
شاه الذي كانت أمه أيضا قبيجاقية وصمموا على قتل جلال الدين ، فهرب  
جلال الدين ، الى خراسان ، وبعد أن هزم بالقرب من مدينة نسا عددا من  
المغول عرج الى هراة لقلعة عدد جيشه .

وانشغل السلطان جلال الدين حتى عام (٦٣٨هـ) عام قتله بقتال  
جنود المغول وملوك ايران الغربية والجزيرة وخليفة بغداد ومملكة الكرج ،  
وكان يخرج منتصرا في أكثر هذه الحروب ، حتى لقي الهزيمة في الثامن  
والعشرين من رمضان (٦٣٧هـ) من السلطان علاء الدين كيقيباد من سلاجقة  
الروم (١) على مقربة من أرزنجان هانهزم الى آذربايجان وأرسل جنوده  
الى صحراء موغان لينالوا قسطا من الراحة وانهمك هو في اللهو واللعب

---

(١) في عهد علاء الدين كيقيباد (٦١٦ — ٦٣٤هـ) امتدت حدود دولة  
سلاجقة الروم جنوب الأناضول وشماله الشرقى وشرقه على حساب المسلمين  
وغيرهم ، فقد استولى لغايات تجارية على كثير من المدن الحصينة بالساحل  
الجنوبى للأناضول مثل أنا مور وعلائية وسرجيشا الى ميناء صوغداق على  
القرم وشن غارات قاديبيه على أرمينية الصغرى واستولى في شرق الأناضول  
على أرزنجان وأرضروم وخلاط وچالند دولة جلال الدين في ايران وآذربايجان  
وحاول الاستيلاء على حلب وشمال سوريا ولكنه ارتد حسيما . كما حصر  
طرايزون وشغل مناطق حتى أونية وأخضع ملكة جورجيا وجدد جميع القلاع  
في الشرق أمام الخطر المغولي . ( راجع للمترجم رسالته في الدكتوراة جماعات  
الفتوة في الأناضول ص ٥٨ ) .



وشرب الخمر . وفى هذه الأثناء سمع أن المغول يقصدون آذربايجان عن طريق زنجان وقبل أن يصل إلى جنوده باغته المغول بالهجوم فهرب جلال الدين إلى شاطيء نهر الأرس ومنه إلى أورمية فلربما لقي العون من ملوك الولايات الذين كانوا جميعا حائقين عليه خائفين منه ، فلم يساعده أحد منهم ، وأخذ السلطان يطرق هذا الباب وذاك حتى تساقط عليه المغول مرة أخرى قرب ديار بكر ، ومع أن جلال الدين فر بحياته ناجيا حتى حدود ميافارقين إلا أن جماعة من الأكراد قتلته فى الجبال التى حول هذه المدينة فى منتصف شوال (٦٣٨هـ) ، وانهارت الأسرة الخوارزمشاهية التى كانت قد سقطت على يد جنكيز خان فى بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان بقتل السلطان جلال الدين المنكبرنى انهيارا تاما .

ومع أن جلال الدين كان رجلا كثير الشجاعة والجرأة والحلم والقوة إلا أنه لم يقلل عن أبيه قسوة وسفكا للدماء وخرقا ، وكان أسوأ من ذلك كله أن اللهو واللعب والشرب كان يفتتنه إلى حد أنه لم يكن يبالي بأي عدو مهما كان مع وجود اللهو والخمر ، وبمجرد ما كان ينفصل عن عدوه ولو قليل انفصال كان يغرق فى دنان الخمر وينسى الدنيا وما فيها .

وكان جلال الدين كأبيه أيضا سىء الناسك فخلا حقوقا فى حق الرعايا والمغلوبين ووقع فى عدااء الخليفة والاسماعيلية ومملكة الكرجيين والسلطان السلجوقى فى بلاد الروم ومملك الجزيرة — وليس له معاون أو مساعد — فى نفس واحد فى حين أن المغول كانوا من خلفه ، وقد كره شعوب الولايات التى هاجمها فى شخصه إلى حد أنه لم يجد منهم عوناً وقت الضرورة وكان الناس فيها يفضلون حكم المغول على استيلاء جلال الدين عليهم بل كانوا يستدعون جنود جنكيز عن ميل لانقاذهم من اعتداءات جلال الدين . والخلاصة أن العشر سنوات من كر جلال الدين وفره لم تؤد إلى نتيجة اللهم إلا اجتذاب المغول إلى كثير من البلاد التى كان من الممكن أن تظل بمنجى من شرورهم ومزيد من الخراب وتقتيل الأبرياء .

## اسماء السلاطين الخوارزميين وزمان كل منهم

- ١ — قطب الدين محمد بن أنوشتكين غرجه ( ٤٩٠ — ٥٢٢ )
- ٢ — علاء الدين أبو المظفر أئسز قطب الدين محمد ( ٥٢٢ — ٥٥١ )
- ٣ — تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أئسز ( ٥٥١ — ٥٦٧ )
- ٤ — جلال الدين محمود سلطانشاه بن ايل أرسلان  
( من رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر من ٥٦٨ )
- ٥ — علاء الدين تكش بن ايل أرسلان ( ٥٦٨ — ٥٩٦ )
- ٦ — السلطان علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش ( ٥٩٦ — ٦١٧ )
- ٧ — جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد ( ٦١٧ — ٦٨٢ )

## القسم الثاني

من الغزو المغولي حتى نهاية الدولة التجارية

# الفصل الأول

## الفزق المغولى

### أقوام الترك والمغول :-

كان الشعب الأصفر الذى يسمى بين المسلمين بأسماء عامة كالمغول والتتار أو التتر شعبا بدويا يسكن وديان جبال خينكان (Khingan) وبابلونوى (Iablonoi) وسايان (Sayan) وأودية أنهار سلنكا (Sélénka) وأرقون (Argoun) وكرولينا (Kéroulen) وما حول بحيرة بايكال أى الناحية الجبلية الواقعة بين الصين ومنشوريا وسييريا الجنوبية والمنطقة التى تسمى اليوم منغوليا .

ولم كن لهذا الشعب الى وقت ظهور جنكيز خان شهرة فى التاريخ ولا أثر ، لأن التتار قبل هذا الفاتح المسيطر انقسموا على أنفسهم قبائل صغيرة عاشت فى غاقة وانكسار ، ولم يوحد كلمتهم لواء واحد غير جنكيز خان وجعل منهم بفتوحاته وبما ألحق من تخريب وتدمير قوما ذاع صيتهم فى عالم تلك الأيام .

وكانت أقوام الترك والمغول فى حين ظهور جنكيز تسكن ما بين حدود ايران الشرقية والصين وسييريا الجنوبية فى وديان الجبال والأنهار والواحات الداخلية فى الصحارى وتشعبت الى القبائل التالية :-

١ - قبيلة التتار والقتقرات (١) وكانت تسكن فيما بين شاطيء

---

(١) القتقرات وصحتها القتقرات تركية بمعنى الحصان الكتكتلى (غابرى ج ٥ ص ١٦٢) .

نهرى أرقون (من شعب نهر أمور) وسلنكا وبلاد قبائل القرغيز شمالاً ،  
والصين الشمالية أى الخطا شرقاً ، ومساكن قبائل الأويغور ، فالتبت  
جنوباً .

وكانت هاتان القبيلتان من أشد القبائل الصفراء وحشية فى آسيا  
الشمالية وكانت تدفع جزية الى أباطرة الصين الشمالية ، ومع أنهما لم  
يكونا بذات أهمية قط فى أول الأمر ، إلا أن اسم التتار من بعد ظهور  
جنكيز أطلق على كافة القبائل الصفراء التى دخلت فى طاعته وبسبب  
جيش جنكيز وأتباعه وأصحابه كلهم بالتتار والتتر ، وكانت هذه الكلمة  
(التتر) فى الأوقات الأولى لهجوم المغول اسمهم العام ، ثم صار اسم  
«المغول» متداولاً لهم .

٢ - قبيلة القيات الصغيرة التى ظهر منها جنكيز خان وكانت  
سكانهم على شواطئ الشعب العليا لآمور وجبال قراقروم (٢) أى  
يابلونوى الحالية .

٣ - قبائل الأويرات (٣) والآرلاد والجلالير ما بين نهر أنون (Onon)  
وبحيرة بايكال .

٤ - قبيلة الكرائيت الساكنة فى الواحات الشرقية لصحراء  
جوبي (٤) وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين . وكانت هذه القبيلة  
أقوى قبائل المغول قاطنة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين  
وسيطرت على أغلب القبائل حولها ، وقد اعتنق رئيسها المسيحية عام  
(٣٩٨ هـ) ومن هذا الحين دخلت المسيحية وحازت شهرة فى أوربا .

---

(٢) لا يتبغى الخلط بين جبال قراقروم هذه وسلسلة جبال قراقروم  
الحالية الواقعة فى شمال كشمير وجنوب كاشغر (سياقى) .  
(٣) أويرات تركية بمعنى (الحصان الرمادى) (هامبرى ص ١٦٢ ج ٥) .  
(٤) جوبي لفظ مغولى معناه (الصحراء الجدياء الخاوية) ولا يستعمل  
علماً إلا فى القليل (هامبرى ج ١ ص ١٦١) ، وبميل هامبرى (نفس الصفحة  
والحاشية) الى أن الكرائيت واشتقاقها غير معروف الى أنها تحريف فارسى  
لللمة التركية (كيريت) بمعنى كلب الصيد .

وانتشرت في أناسها أساطير حول هذه القبيلة ورئيسها \*

٥ — قبيلة النايما من قبائل الأتراك وكانت تسكن في الوادي الأعلى لنهر أورخون (Orkhon) والسهول حول جبال (آلتائي) والبحيرات في هذه المنطقة ، وقد اعتنقت المسيحية الكرايت ومع هذا فقد كانت في قتال ونزال معها دائمين \*

٦ — أتراك الأويغور المانوية المذهب وكانوا بوجه عام أكثر قبائل الأتراك والمغول حضارة وكانت مساكنهم في شمال التركستان الشرقية الحالية وشمال بحيرة (لب نور) وحوالي نهر تاريم أي مدن تورفان وبيشبالغ (قوشان الحالية) وبرقول وقهره شهر \*

٧ — أتراك القرلق أو القارلق الذين سكنوا في جنوب مساكن الأويغور وشملت مساكنهم الوادي الأعلى لنهر تاريم كله ، وهم الذين عرفوا في الشعر الفارسي باسم الخلق أو الخرج وبالقائمة المشوقة وجمال الوجه \*

٨ — الأتراك القراخطايون الذين أسسوا حين الغزو المغولي دولة كبيرة بين بلاد الخوارزمشاهيين ومساكن المغول الشرقية وكان أتراك القارلق والأويغور يتبعونهم ويدفعون لهم الجزية . كانت قبائل المغول والأتراك كما قلنا قد انقسموا على أنفسهم قبائل متعددة وإن كانت حين ظهور جنكيز قد دخلت طاعة ملك قبيلة الكرايت باستثناء تلك التي قبلت تبعية أباطرة الصين الشمالية من بين القبائل التي تعيش في الشرق وتلك التي كانت تسكن في غرب بلاد المغول تابعة لأمر الكورخان القراخطائي \*

وقد بعث بلوغ جنكيز وأبيه القدرة أن تخلص قبيلة قيات الصغيرة القبائل الساكنة بالغرب أولا من ربة التبعية لحكام الخط ثم تقضى على الكرايت والقراخطايين وتوحد جميع قبائل المغول والترك تحت حكم واحد ثم تهاجم البلاد المتحضرة شرق بلاد المغول وغربها بعونهم ومددهم \*

## جنكيز خان :

ولد جنكيز خان الذي اسمه المغولي هو ( تموجين ) (١) في حدود عام ( ١١٦٩ ) في مضارب قبيلة قيات أما والده يسوكاي بهادر فهو رئيس هذه القبيلة وخانها وهي من قبائل المغول كما مر . وكان يسوكاي بهادر رجلا فطنا قديرا اذ انه لما بلغ رئاسة قيات أدخل المغول المحاورين لها تحت طاعته وأصاب قدرا من القوة والأهمية الى حد أن امبراطور الصين الشمالية أصيب بالفرع لاتساع قوته وأرسل من يحول دون تقدمه لكن يسوكاي قضى عليهم وسرعان ما تخلصت قبيلته من عار دفع الجزية للصين واستقلت تماما .

وكان عمر تموجين ثلاثة عشر عاما حين لقي أبوه حتفه ، ووقع في شدة من أمره حينما خلعت جماعة من المغول طاعته فاضطر الى التوجه الى خان قبيلة الكرائيت المسيحية لاستقبله الخان بحفاوة لعلاقات المودة السابقة بينه وبين أبيه واستقرت المودة بينهما فترة ، لكنه لما زادت شوكة تموجين صمم خان الكرائيت أن يتخلص منه بالحيلة حتى لا يغدو في القابل أسير ند قوى الشكيمة واطلع تموجين على مقصود الخان فهاجر بقومه من بين الكرائيت فلما خف خانهم لتعقبه خر مجنونا في قتاله معه ، فارتفعت منزلة تموجين ودخل تحت امرته كثرة من قبائل المغول ولقب من هذا التاريخ بجنكيز خان

وفي عام ( ١٢٠٠ ) تغلب جنكيز خان في جبال الألتاي على خان قبيلة النايमान كذلك الذي مات بعد فترة قليلة متأثرا بجرح أصيب به في المعركة وقر ابنه كوجلوك بن تايانك خان خوفا من جنكيز . وبعد هزيمة جنكيز للقرغيز في ( ١٢٠٣ ) زحف لتأديب كوجلوك خان في حوالى نهر

---

(١) لفظ جنكيز خان أو يغورى مكون من مقطعين الأول جنك بمعنى مستقيم أو ثابت أو قوى وكيز بمعنى جبار فيحمل كله على معنى الشديد القوى أو الجبار . وسمى الجوينى صاحب ( جهانكشا ) - أو فاتح العالم لقب هولاكو - جنكيز خان تيمورجى ( غامبرى ص ١٦٢ حاشية ٢ ، ٣ ) .

ايرتيش من الشعب العليا لنهر أوبى • ولاد كوجلوك الذى لم يكن يطيق مقاومة جنكيز من أمام جنده الى الكورخان القراخطائى ، فعقد الكرخان له على ابنته وصمم أن يعاونه ليستعيد ملك أبيه •

وقد مضى بنا أن الكورخان القراخطائى وكان معاصرا للسلطان محمد خوارزم شاه قد هاجم سمرقند في ( ٦٠٧ هـ ) ، وبعد أن هزم عثمان خان سلطان السلاطين من ملوك الافراسيايين وصلحه معه والاستيلاء على بلاد الأويغور عمل على ضرب كوجلوك الذى كان عصاه بدفع من خوارزم شاه • وضاق المانويون الأوريغوريون ، الذين بلغوا شأوا عظيما في المدينة وكان علما على حضارة الايرانيين القدامى في عهد الساسانيين في البلاد المختلفة للتركستان الشرقية ، ذرعا بظلم شحنة الكورخان القراخطائى فوثبوا عليه وقتلوه فاحتفى ملكهم بجنكيز خان وصار الأويغور من هذا الوقت من أتباع جنكيز ، وقد انتشر باختلاطهم بالتتار قوم جنكيز الخط الأويغورى ، خاصة ، الذى كان أحد شعب الخط السريانى في المغول ، وصار الأويغور من وقتذاك فما بعده يعلمون سواد المغول وكتابهم الخط الأويغورى ويدونون اللغة المغولية بهذا الخط • وأسر الكورخان أخيرا في ( ٦٠٧ هـ ) على يد كوجلوك واقتسم الأخير مع خوارزم شاه البلاد القراخطائية ، لكنهما تقاتلا بسبب الخلاف على هذا التقسيم ، وعاد خوارزمشاه بعد مدة من القتال في البلاد القراخطائية وايداء الناس وتخريب المدن الى خوارزم •

وقد جعل اتهيار دولة الكورخطائين ، التى كانت واقعة بين البلاد الخوارزمشاهية ومساكن المغول وسدا في الحقيقة يحول دون وصول المغول الى بلاد ما وراء النهر وخوارزم العامرة ، من خوارزمشاه مجاورا للمغول ، ولما مر هذا السلطان في ( ٦١٢ هـ ) من مدينة جند ( من البلاد الواقعة على شاطئ سيحون ) لقتال جماعات القرغيز والقبجاق صادف مجموعة من جنود جنكيز يقودها ابنه جوجى ، ومع أن المغول كانوا لا يعترضون قتال خوارزم شاه الا أنه هاجمهم مغترا ومعتبرا أن الكفار



جميعهم سواء \* وقد أبرز المغول في هذه الحرب شجاعة فائقة لكنهم آثروا الفرار لئلا لعدم ميلهم الى الحرب ، وعاد خوارزم شاه في صيف (٦١٣هـ) الى سمرقند \*

ومع أن هذه الواقعة التي كانت أول لقاء بين خوارزم شاه والمغول لم تكن على أهمية كبيرة الا أنها أرعبت خوارزم شاه لما عاينه من جلادة القتار وشجاعتهم فجعل يتفادى مقابلتهم فيما بعد ذلك حتى موته وكان دائم الانسحاب من أمامهم \*

### جنكيز خان وخوارزم شاه :

فكر السلطان محمد خوارزم شاه بعدما أصاب من انتصارات في آسيا المركزية أن يسيطر على الصين وبعد أن وصلته انباء استيلاء جنكيز على بلاد الأويغور ثم على مدينة بكين عاصمة الصين الشمالية في (٦١٢هـ) أنفذ بعثة الى الصين للتحقق من صدق هذه الأنباء \* واستقبل جنكيز مبعوثي خوارزم شاه باحترام وأرسل الى السلطان رسالة معهم ذكر فيها أنه يميل الى أن يستقر الصلح والصفاء بين الطرفين على الدوام وأن تتردد بين البلاد الخوارزمية والجنكيزية دائما القواهل والتجار ويتم تبادل السلع بين البلدين \*

وبعد أن تجاوزت الدولتان المذكورتان على اثر انتصارات خوارزم شاه في صحراء القرغيز وزوال الدولة القراخانية وتقدم جنكيز بدوره في جبال ألتائي وتيانشان وبحيرتي بلخاش وايسى كول ، وصل بضعة نفر من التجار المسلمين الى بلاط جنكيز ومعهم بعض المنسوجات المذهبة فأجزل الخان لهم العطاء نظير بضائعهم وأرسل برفقتهم جماعة من تجار رعيته الى خوارزم حملها أيضا هدايا الى خوارزم شاه \* واستقبل الأخير وفادة جنكيز في (٦١٥هـ) بعد أن عاد من العراق فأدوا اليه هداياه برسالة \* ومع أن خوارزم شاه غضب أول الأمر لأن جنكيز

خاطبه على أنه ابنه الا أنه أخيرا بناء على نصيح حسن لأحد رسل الخان قبل معاهدته وقرر الطرفان أن يتصل حبل المودة بينهما من ذلك الحين فصاعداً وأن يصادقا من صادقهما ويعاديا من عاداهما • أما الذي عقد هذه المعاهدة ممثلاً لجنكيز فقد كان أحد مسلمي ما وراء النهر واسمه محمود الذي لقب بعد بيلواج أى السفير (١) •

وبعد عقد هذه المعاهدة تحرك جمع كبير من تجار المغول ( ما بين أربعمئة وخمسين وخمسمئة ) ومعهم قدر عظيم من البضاعة القيمة من بلاد المغول الى ما وراء النهر • وطمع أمير مدينة أترار ( على شاطئ سيحون ) وهى أول مدينة من بلاد خوارزم شاه وهو غاير خان فى أموال هؤلاء التجار وكان من ذوى قرابة ترکان خاتون أم السلطان ، وأفهم السلطان أنهم جواسيس ، ثم قتلهم عن بكرة أبيهم غير واحد هرب الى جنكيز واستولى على ما معهم •

ولما بلغت أخبار هذه الواقعة المائلة لجنكيز أرسل الى السلطان محمد سفيرا طلب اليه أن يسلم اليه غاير خان الذى ارتكب هذا الفعل القبيح • وكان أكثرية جيش محمد من الترك من قبيلة غاير خان ومن التابعين له وكانت أم السلطان تحمى هذا الأخير فلم يستطع محمد تسليمه لذلك السبب ولنفوذ أمه الذى تعدى الحدود بل أقدم على قتل رسول جنكيز أيضا ، فزاد من حنق خان المغول بسفاهته هذه عن ذى قبل ، واجتذب بيده الآثمة سيل هجوم المغول على بلاد الاسلام العامرة •

### انهيار دولة النايमान والهجوم على البلاد الخوارزمشاهية :

وقبل أن ينتقم جنكيز لمقتل رسله ورعيته التجار من خوارزم شاه اتجه أولا الى ازالة كوجلوك خان الذى كان يصب على الرعية فى كاشغر والخثن الايذاء وبيعث الفتن والفساد فأرسل قائده المعروف جبه نويان

---

(١) كلمة أويغورية اصلها يولواج ( غامبرى ج ٣ ص ١٥٨ ) •

بجيش عظيم الى كاشغر ، وتمكن جبه بعون مسلميها الذين فاض بهم ظلم ملك النايमान من أن يهزم الأخير الذى قتل أثناء هراة فى برخشان وانهارت دولته فى ( ٦١٥هـ ) وقبلت جميع التركستان الشرقية طاعة جنكيز ، ولم يكن جنكيز وصحه يدينون بأى دين فزال سبب الحاق الأذى بالرعية من أجل الدين ولذلك استقبل المسلمون سيطرتهم بشديد الفرح •

أما خوارزم شاه فقد ثق عليه قتل جنكيز كوجلوك وادالة دولته لأنه كان فى رعب قبل سنوات من اللقاء مع كوجلوك وكان يأمر الناس بتخريب البلاد التى كانت تقع على الحدود معه حتى يستشكل الطريق على حملاته • وقد أدرك بعد هزيمته بهذا اليسر على يد أحد قواد جيش جنكيز أن قدرة المغول الحربية أعظم مما كان يظنه وأنه وقع فى عداء ند قوى المراس ربما لم يقابل نظيره حتى وقته ذاك •

وفى خريف عام ( ٦١٦هـ ) بعد أن أخذ جنكيز كامل أهبة تحرك بجيش قدره المؤرخون المسلمون ما بين ستمائة ألف وسبعمائة ألف والباحثون من مائة وخمسين ألفا ومائتى ألف من وادى سيحون الأسفل وتحت بحيرة الآرال ( بحيرة خوارزم ) للهجوم على ممالك السلطان الخوارزمى • وكانت عدة جيش خوارزم شاه تفوق عدته مع جنكيز بمراتب لكنه لم يكن متألفا متحدا تجمع أفراده وقد كانوا من عناصر مختلفة وأقوام متباينة الوشائج القوية ولم يجتمع تحت ادارة ونظام صحيحين فضلا عن الخلاف الكبير الذى ثار بين قواد الجيش والأمراء الخوارزمشاهيين بشأن خطة الدفاع فقد قالت جماعة بوجوب مقابلة جنكيز على شاطئ سيحون ، واعتقدت جماعة أخرى أن لقاءه أيسر فى ما وراء النهر وذهبت جماعة ثالثة الى توجب اخلاء بلاد ما وراء النهر وايران وصد المغول فى الهند وفوق هذا النقص العظيم فقد انحاز جمع كبير من حاشية السلطان وامرائه سرا الى جنكيز وكانوا يطمعونه خفية

على خطط خوارزم شاه وذلك بسبب سوء سياسته وأعمال سفكه إذا لم يدع دولة ولا ملكا صاحب قوة وصار أكثر الكبار القواد الشجعان بين قتيل، على يديه أو ملقى في السجن \* وكان جنكيز نفسه على اطلاع دائم بما يجري في بلاد خوارزم شاه وبلادته عن طريق التجار والجواسيس وكان يخطو بخطى بصيرة ومحسوبة الى حد عظيم في طريق فتح البلاد الخوارزمية \*

وفي شهر رجب (٦١٦هـ) وقف جيش جنكيز مقابل قلعة أترار أول ما واجهه من بلاد خوارزم شاه من ناحية الشرق متأهبا \* وفي هذه النقطة قسم جنكيز جيشه أربعة أقسام على النحو التالي :

١ — أمر سبعة تومانات أو سبعين ألفا منهم بقيادة جغتای وأوكداي أو أكتاي ولديه بفتح أترار (١) \*

٢ — ترك قسما آخر الى ابن له ثالث هو جوجي أو توشي (٢) وعهد اليه بفتح بلاد شاطيء سيحون \*

٣ — وأمر خمسة آلاف أيضا بالاستيلاء على مدينتي خجند وبناكت من بلاد ما وراء النهر \*

٤ — أما القسم الأعظم من جيش المغولي بقيادة جنكيز يرافقه ابنه الرابع تولوي أو تولي فقد أخذ طريقه الى بخارى ليفصم ارتباط الجيش الخوارزمي فيما وراء النهر بخوارزم \*

### فتح بخارى في (٦١٦هـ) :

عبر جنكيز نهر سيحون وكان أول ما واجهه مدينة زرنوق من القلاع الشمالية لبخارى ولم ينتو أهلها من أول الأمر المقاومة فاستسلموا وأمنهم

(١) التومان عدد مغولي يساوي عشرة آلاف .

(٢) ويدعى أيضا سوداي أو سونتاي أو سوبوتاي ( غامبري ج ٢ ص ٤١٦٤ )

جنكيز واصطحبهم معهم ( حشرا ) ، والحشر في ذلك الحين هم الجنود غير المنتظمين الذين كان يستفاد بهم في الأعمال غير الحربية مثل تسوية الخنادق بالأرض بملئها بالتراب وجمع الأحجار والأخشاب لسد الأنهار وتخريب القلاع وما إليها •

وبعد أن استولى جنكيز على قلعة زرنوق ثم ألحق بها قلعة نور على مسافة اثني عشر فرسخا شمال بخارى اقترب جيشه في غرة ذي الحجة ( ١٢١٦ هـ ) من بوابة بخارى فحاصروها حيث كان يعسكر بها من الجيش الخوارزمي العام عسكر عظيم •

وغلب الخوارزميون بعد أيام ثلاثة من الحصار والقتال ولم ير أهل المدينة مناصا من التسليم فتساقط المغول في الرابع من ذي الحجة على هذه المدينة العامرة التي كانت أفضل وأهم مدن ما وراء النهر • وفي دخول المغول بخارى أمر جنكيز باحراقها لما أبداه حراس قلعتها من شديد المقاومة فاحترقت المدينة بأجمعها لأن منازلها كانت مشيدة بالخشب إلا بعض القصور والمسجد الجامع التي بنيت بالحجر • ورحل المغول أهل المدينة إلى خارجها وأخذوا شبابها حشرا وتفرق من طلب الأمان لحياتهم في كل حدب وصوب • وسئل أحد الفارين من بخارى عن حالها بعد استيلاء المغول فأجاب ( أتوا وخرّبوا وأحرقوا وقتلوا ونهبوا وذهبوا ) •

واستدعى جنكيز بعد دخوله بخارى عددا من كبارها وتجارها وقال لهم ان غرضي من جمعكم هو أنني أريد البضائع الفضية والذهبية التي باعها خوارزم شاه لكم عن طريق غاير خان بعد قتل تجار المغول لأن هذه الأشياء ملكي وملك شعبي ، فقدم له التجار ما بحوزتهم منها ، وأثبت هذا تدخل خوارزم شاه المباشر في قتل تجار المغول ومسئوليته في اثاره غضب جنكيز •

### فتح سمرقند في (٦١٧هـ) :

وبعد أن خرب جنكيز بخارى تحرك صوب سمرقند وقاد من أهل بخارى جمعا عظيما باذلال كبير حتى يتصور أهل سمرقند أنهم من ضمن جيشه ليفزعون لضخامته ، ففعل هذا التخطيط فعل السحر وأزل من أقدام شعب سمرقند مع أن عددا ضخما من الجيش الخوارزمي كان مرابطا بالمدينة ( من خمسين ألفا الى عشرة ومائة ألف باختلاف الرواية ) لاسيما وأن الجيش الخوارزمي كان يتفادى مواجهة المغول . الا أن أهل سمرقند لم يستكثوا عن الدفاع عن مدينتهم فأبدوا مقاومة شجاعة لثلاثة أيام وخرجوا في اليوم الثالث عن المدينة وهاجموا المغول . وتقهر المغول أولا أمامهم وما أن اقترب المسلمون الى كمان المغول حتى تقاطروا عليهم من كل جانب فأهلكوا أكثرهم . أما الجنود الأتراك الخوارزمشاهيون فقد استأنفوا المغول . ودخل جنكيز في العاشر من المحرم ( ٦١٧هـ ) المدينة وبعد أن خرب قصر الحاكم بها أمر بالقتل والنهب ، وعامل سمرقند بما عامل به بخارى من قبل .

### فتح بقية ما وراء النهر :

وفي الوقت الذي كان جنكيز فيه منصرفا الى فتح بخارى وسمرقند كانت الجماعة التي أمرها من جيشه بفتح أترار تهاجم هذه القلعة المحكمة بانتظام ، وقد أبدت أترار مقاومة أشد من البلاد الأخرى فيما وراء النهر لأن حصارها استغرق نحو خمسة شهور ، واستبسل غاير خان ، الذي يجوز أنه المسبب الحقيقي لهجوم جنكيز على البلاد الخوارزمية ولذا لا يمكن بأي حال قط أن يستسلم للمغول ، في الدفاع بشجاعة فائقة أمام المغول ومعه الجند الذين أمده خوارزم شاه بهم والممد الذي بعث به اليه . بعد ذلك . وفي النهاية خانه أحد قواد خوارزم شاه الذي كان قد أتى لمده واسمه ( قراجه خاص ) ولحق بجغتاي وأوكتاي الا أن ولدي جنكيز أهلكاه لخيانته ولى نعمته . ومع هذا استمر غاير خان في المقاومة ما بقى

معه جند وصحب ، وأخيرا لم يبق معه أكثر من جنديين فلاد بسيفه القلعة وأخذ يدفع عن نفسه بقطع الحجارة التي كانت بعض الجوارى يقتلعنها من حائط القلعة ويعطينها له ، ووقع بهذا الحال في قبضة المغول فقتل ولدا جنكيز هذا الرجل الشجاع ووضعوا السيف في أهل مدينة أترار .

أما جنود جوجى الذين أمروا بفتح البلاد الواقعة على نهر سيحون فقد استولوا بعد سبعة أيام من الحصار على سقناق أول الأمر وكانت تقع على بعد أربعة وعشرين فرسخا من أترار ثم قاموا بتخريبها . وفى صفر ( ٨٦١٧ ) حاصروا جند. ولم يقاوموهم أهلها كثيرا فدخلها جوجى منتصرا وانصرف إلى التائب لفتح الجرجانية عاصمة خوارزم. شاة ليكمل مهمته .

ويمم الجيش الأول لجنكيز خان بقيادة ( ألغ نويان ) بعد أن استراح من تعبته في فتح بخارى وسمرقند وأترار شطر بلاد ما وراء النهر الأخرى مثل بناكت وخجند وفرغانة لفتحها . ولم يظهر مقاومة شديدة إلا من خجند من بين هذه المدن فقد قاتل حاكمها ( تيمور ملك ) وكان من أكثر أمراء خوارزم شاة شجاعة بألف مقاتل كان كل ما لديه المغول يبطولة على شاطئ سيحون وأهلك فيهم كثيرا . وفى النهاية لما أدرك أنه لن يظفر عليهم تهاقروا عن طريق النهر إلى بناكت ومنها إلى خوارزم ثم لحق في خراسان بجيش خوارزم شاة .

### عبور المغول جيحون وتعقب خوارزم شاة :

بعد فتح سمرقند أعاد جنكيز تقسيم قواته إلى أقسام عدة أمر كل قسم منها بالاستيلاء على الولايات التي لم تفتح بعد من بلاد خوارزمشاه على النحو التالى :

- ١ - أرسل ثلاثة تومانات أو ثلاثين ألفا بقيادة ( جبه ) أو ( يمه ) .
- ٢ - ( سبتاي بهادر ) و ( تغاجار ) لتعقب خوارزم شاة في خراسان وأمرهم

بعدم التوقف في الطريق لأي سبب كان وألا يكفوا حتى يمسكوا بخوارزم شاه وألا يهاجموا البلاد التي بطريقهم وبفرض أنه توقف عن المقاومة الروتية عدم قدرته على مقلوبتهم لا بد أن يطلعوه على الأمر \*

٢ — بعث ابنه الأكبرين جغتاي وأوكتاي بجيش كبير إلى الجرجانية قسبة الخوارزميين وولاية خوارزم وأمر ابنه الآخر جوجي أيضا أن يخف إلى عون أخويه من جند \*

٣ — أمر عدداً كبيراً من جنوده يقودهم ألاغ بويان ويساور أن يسيطر على الوادي الأعلى لجيئون أي الوخشان والطالقان \*. أما جنكيز فقد أمضى أيام الصيف في حوالى (نخشب) حتى يستريح جنوده بعضاً من الوقت ويتيحاً خيل الجيش للقتال القادم \*

وكان السلطان محمد خوارزم شاه الذي لم يكف عن الفرار أمام جيش جنكيز في هذا الوقت ببلخ ولما سمع بخبر قتياعها وراء النهر واقتراب الحملة المغولية من خوارزم قصد العراق يلبي دعوة ابنه ركن الدين لعله يدبر وسيلة أو أمراً ليمنع تقدم المغول \* وبوصول جيش جبهه وسبتاي وتغاجار إلى شاطيء جيئون سلك جمع من الجنود القراخانيين وأمراء خوارزم شاه سبيل الخيانة وانحازوا إلى المغول ، وأسرع المغول بعد عبور هذا النهر في ربيع الأول (١٢١٧ هـ) والسيطرة على بلخ إلى هراة لكنهم لم يتعرضوا إليها بشيء لأن حاكمها كان قد قبل طاعة جنكيز فتقدموا نحو طوس \*

ولم يكن بالسلطان محمد لشدة خوفه أي هدم للاستقرار في أي بلد فخذ ينتقل بين نيشابور وبسطام والري ولما سمع أن ابنه ركن الدين يربط في قلعة (غريز) من قلاع مدينة الكرج بثلاثين ألف جندي توجه إليه \*

وكان بإمكان خوارزم شاه في هذه المدينة أن يقضي بسهولة بما معه من جنود وبمدد ابنه والأمراء الآخرين على جنود سبتاي وجبه القلة المنهكة، إلا أن الخوف من المغول للأسف أزال عنه تماماً عنان السيطرة على



أنفسه حتى أن سوء تدبيره الذى بلى به لسوء حفظه لم يسمح له أن يفيد من هذه الفرصة السانحة بل أنه أرسل وهو فى حالة من الهروب السريع بحريمه الى ابنه الثانى غياث الدين فى قلعة قارون من قلاع الألبرز الداخلية ، وفشل أمراء العراق فى عثهم المتكرر له على مقاومة المغول وقتلهم فى جبال لورستان ، خاصة وأن الأتابك نصره الدين أحمد أتابك لورستان المشهور طلب الى السلطان أن يأتى أحد المعابر الضيقة بين لورستان وفارس لكى يجمع له من قبائل فارس واللور نحو عشرة آلاف جندي فيسددوا الطريق على المغول ويقضوا عليهم الا أن السلطان التمس رفض هذا العرض وحمله على أنه تحايل منه لضرب أتابك فارس عدوه فعاد نصره الدين أحمد الى بلاده من شدة يأسه وكان أن وصل وقتذاك خبر بلوغ جبهه وستباى مدينة الرى .

#### نهاية السلطان محمد خوارزم شاه :

انقسم فى طرس الجيش المغولى قسمين سلك سبتباى عن طريق الدامغان وسمنان طريقه الى الرى وأخذ جبهه طريقه الى مازندران فوصل عن طريق دماوند الى الرى بعد تهبه مدن طبرستان خاصة آمل .

وفى الرى ترامت الى المغول أنباء تحرك خوارزم شاه من همدان الى مازندران فاتجهوا بعد القتل والسلب فى الرى الى همدان على أخف من الريح وواجهوا على مقربة من دولت آباد بملاير جنود السلطان فأهلكوا كثرة منهم حتى جواد خوارزم شاه نفسه أصيب بسهم الا أن المغول لم ينشطوا كثيرا فى تعقبه لعدم معرفتهم له فأسرع خوارزم شاه ووصل الى قلعة قارون وكان يقصد الى الهروب الى بغداد ، الا أن المغول حلوا كموت الفجاءة ، فتوجه السلطان وقد سيطر عليه الفزع العظيم الى قلعة ( سرجهان ) على خمسة فراسخ من السلطانية الحالية فى سفوح جبال طارم ، وترك المغول تعقبه لجهلهم الاتجاه الذى سلك اليه السلطان .

وأقام خوارزم شاه سبعا في سرجهان وتركها الى جيلان ومنها الى مازندران فاحتفى به أمراؤها ما عدا الاصبهد (كبود جامه) — أو صاحب الرداء الأزرق — الذي كان يتأمر على جنوب مرداب بأستراباذ، فكان يحفظ عليه احنة قتله عمه وابن عمه فتحالف مع المغول ضده فلما علم خوارزم شاه أن المغول عرفوا مقامه ركب سفينة ليلوذ بجزيرة آبسكون احدى الجزر الواقعة على لسان نهر جرجان داخل بحر الخرز (١)، فحل المغول وأمطروا سفينة السلطان بوابل من سهامهم لكنهم فشلوا في تعقبه لعدم السفن معهم •

وسمع السلطان في وصوله هذه الجزيرة وكان مصابا بعللة (ذات الجنب) (٢) أن المغول تمكنوا من قلعة قارون وقتلوا أبناءه الصغار واستنبوا حريمه فأعجزه شدة المرض وسماعه هذه الفاجعة سريعا فلفظ آخر أنفاسه في جزيرة آبسكون في شوال من (٦١٧هـ) هذا السلطان بمثل تلك العظمة في الشأن والموسعة في الدولة حال أنه لم يكن عنده ما يكفى به فكفن بقميص أحد رفقته • وحينما تسلطن جلال الدين ابنه على ايران أمر أن ينقل رفاته من جزيرة آبسكون الى قلعة (اردهن) • وبعد أن قتل أمر أوكتاي ولد جنكيز أن يستخرج رفات السلطان من القلعة أيضا وأن يحرق •

### واقعة خوارزم وفتحها في (٦١٨هـ) :

ومع أن قصد جنكيز الرئيسي تعقبه للسلطان الخوارزمي واستئصال شأفته وانهاء أمره الا أن الاستيلاء على عاصمة الخوارزمشاهيين والقبض على تركان خاتون أم السلطان وسائر الأمراء كانت من الأمور التي عدها

(١) يرى غابري أن الجزيرة التي لجأ اليها السلطان محمد وبها مات ليست آبسكون وانما أغوردجالي أو جيركن الحالية (تاريخ بخارى ح ٣ ص ١٧٧) •

(٢) ورم يصيب الحجاب الصدري من ناحية الجنب ويصاحبه سعال شديد وضيق في النفس والحمى والام شديدة بالجنب •

خان المغول هامة من كل ناحية •

كانت خوارزم وهى مملكة الخوارزميين الأصلية تحت حكم أم السلطان ترکان خاتون وأتراك القنقلى ، وكانت هذه الجماعة بمكنتها أن تنزل بجيش جنكيز المهاجم فى مثل هذا الموقع الذى كان قلب الممالك الخوارزمية الويلات لكن شيخوخة ترکان خاتون وما نزل بها من مصائب من ناحية والانشقاق بين الأمراء وقواد الجيش من ناحية أخرى حال دون هذا الأمر •

وحينما كان جنكيز بما وراء النهر أرسل ( دانشمند حاجب ) أحد مستشاريه بسفارة الى ترکان خاتون وسلمها خطابه الذى يقول فيه انه يقاتل خوارزم شاه وحده ولا يفكر أبدا فى التعرض الى البلاد التى تحت ادارتها ويريد منها أن تبعث بأحد من تثق بهم اليه حتى يسلم الى الملكة حكم خوارزم وخراسان ومضافاتهما •

ولم تخالج ترکان خاتون أدنى خالجة اطمئنان نحو مقترح جنكيز وما ان سمعت أن خوارزم شاه قد عبر جيحون وأخلى ما وراء النهر حتى جمعت حريم السلطان وأطفاله الصغار ونفائس خزائنه وغادرت خوارزم وقبل أن تتركها أغرقت فى ماء جيحون جماعة من وجوه الكبار والأمراء والنجباء كان خوارزم شاه قد قبض عليهم أيام مقامه بخوارزم وألقى بهم فى حبسها اعتقادا منها بأن فتنة المغول سرعان ما سوف تزول وتستقر سلطنة خوارزم شاه فلا يشعرون وقتذاك عليه •

وبعد أن غادرت ترکان خاتون خوارزم بقى جمع من الأمراء وقواد الجيش فى الجرجانية عاصمة السلطان محمد وانتهت أزمة أمور المملكة الى شخص لم يكن لديه أدنى خبرة أو كفاءة لها فزادت الأمور اختلالا واتسع الشقاق فى الناس وصارت الأموال الديوانية نهب المختلسين وظل هذا الحال الى أن قدم خوارزم عاملان من نواب ديوان خوارزم شاه فأدراه باسم السلطان ، وبعد قليل من وصولهما وصل أيضا أبناء

السلطان محمد وهم جلال الدين، وأوزلاغ شاه وآق شهر بعد دفن والدهم  
بجزيرة آبسكون عن طريق بحر الخرز إلى خوارزم فأعلموا الرعية بموت  
السلطان \*

وكان خوارزم شاه في كل الفترة التي ظل أسير رأى أمه تركان  
خاتون قد ولّى ابنه قطب الدين أوزلاغ شاه عهده بناء على ميلها ، لكنه  
بعد أن سمع بأسر أمه وهو بجزيرة آبسكون وأحس بدنو أجله أيضا  
طلب إليه جلال الدين وأخويه وكانوا حاضريه فولّى جلال الدين عهده  
وأمر أخويه بطاعته والانتقياد له \*

وبعد دخول أولاد خوارزم شاه خوارزم وإذاعة ولاية جلال الدين  
العهد، وخلق أوزلاغ شاه رفض الأمراء الأتراك هذا القرار وأعلن أكثرهم  
قوة وهو قتلغ خان وكان طوع أمره سبعة آلاف جندي، خلاف جلال الدين  
وصمم ومن شايحه على حبسه أو قتله \*

ولتظفر جلال الدين والحال هذه إلى الفرار إلى خراسان، وبصحبته  
ثلاثمائة فارس وتيمور ملك أمير خجند السابق الذي كان قد عاد إلى  
خوارزم قرب هذا الوقت وأنزل بجند المغول هزيمة في خوالى هذه  
المنطقة ، وبعد ثلاثة أيام من فرار جلال الدين أخلّى أوزلاغ شاه  
وأمد شاه جرجانية خوفا من دنو المغول إليها وعجلا إلى خراسان \*

ولما دخل أولاد خسوارزم شاه اجتمع أمراء مملكة خسوارزم شاه  
بوجيشه وكانوا يحكمون على تسعين ألفا من الأتراك القنقلين على تنصيب  
أحد أقارب تركان خاتون وهو خمار، تكن على السلطنة وقبل للجميع  
طاغة حكمه \*

وحشد جنكيز معظم جيشه على أكثر من جانب لخوارزم لأنه كان  
مطلعا على أهمية موقعها وكثرة سكانها وعمارها وقوة أترك القنقل  
وتشجاعة أهلها ، فقد أمر جيش جغتاي وأوكتاي بالتحرك إلى الجرجانية  
من ناحية الجنوب الشرقي أي من ناحية بخارى ووجه جوجي من ناحية

أخرى وكان بحوالى جند أن يرسل جنده لد جغتای وأوكتای وبعث هو نفسه بخاصة جيشه الى الجرجانية عقبهم فبلغ عدد الجيش المغولى خلاف جنود جوجى مائة ألف +

وحینما اقتربت طلائع جيش جنکيز الى أبواب مدينة الجرجانية ظن أهلها أن ما يرونه من المغول هم كل ما مع خانهم فاستجمعوا شجاعتهم وهاجموهم فتقهقر المغول وتعقبهم أهل خوارزم وما أن سحيوهم الى فرسخ عن المدينة حتى أحاط بهم كل جيش المغول العظيم وأعملوا فيهم القتل فلم تغرب الشمس حتى قتل جمع كثير منهم وعادت بقيتهم الى المدينة منهزمة +

وفي اليوم التالى بلغ أوكتای وجغتای المدينة فحصرها ودعيا أهلها أولا الى الطاعة فلم يجبهم أحد فنصبوا منجنيقاتهم وصبوا على الناس أحجارهم وأخشابهم ، ولم يكن حول خوارزم حجارة كثيرة فانصرف المغول الى تقطيع أشجار التوت وكانت كثيرة وافرة لأن الخوارزميين كانوا يزرعونها لديدان الحرير ثم تركوها فى الماء حتى تصلبت ثم أشعلوها نارا وطفقوا يقذفون المدينة بها بالمنجنيقات +

وما أن وصل جنود جوجى حتى أحاطوا بالمدينة من كل جانب ، وخطب جوجى أهلها بأنهم لو سلموا يأمّنوا ، ولكن أهالى الجرجانية لم يسمعوا له مع أن السلطان محمدا كتب اليهم من جزيرة أبسكون قبل وفاته يدعوهم الى مسالة المغول والكف عن قتالهم فجدوا فى سعيهم الى الثبات والدفاع + وأخيرا أمر جنکيز الأسرى من الحشر المرافقين لجيشه أن يهيلوا التراب فى خندق المدينة المملوء بالماء فى مدة عشرة أيام ويحيطوا قلاعها وأسوارها +

وقد أفرغت أعمال المغول خمارتکين افزاعا شديدا فكف عن المقاومة وخرج من المدينة واستسلم لجند المغول ، ومع أن خيانتة هذه قد خلفت فى قلوب أهل الجرجانية ضعفا ووهنا الا انهم مع هذا لم يرضوا بعمار

الاستسلام فأجبر جند جنكيز على أن يخرجوا عن أيدي الرعية الباسلة  
عاصمة خوارزم شاه بعنت شديد منحلة محللة وشارعا شارعا وانقسم جند  
المغول ما بين محارب لهم بالسهام ومحرق لدوزهم بالزجاجات المليئة  
بالنقط .

وقد دأب القتال على هذا النحو بضعة أيام ولم تستسلم المدينة ،  
ففكر المغول في حيلة أخرى ولجأوا الى تحطيم سد جيحون واطلاق مائه  
على مدينة الجرجانية ، وقبل أن يتم عملهم انقض حراس جسر المدينة  
وهم الذين سيذوهم على ثلاثة آلاف من المغول فأفنؤهم عن بكره أبيهم ،  
ففنخ هذا النصر في أهالي الجرجانية قوة جديدة وزادتهم جلادة في القتال  
وصبرا على تحمل المصيبة .

وأخيرا تمكن المغول من تسوية المدينة بالأرض الا ثلاث محلات  
اعتصم بها من بقى من أهل الجرجانية العاجزين من السيف وأرسلوا  
محتسب المدينة الى جوجى يطلبون الأمان فرفض لأن طلبهم جاء متأخرا  
عن مواعده المناسب وأمر باخراج البقية من للرعية خارج المدينة ، ففصلوا  
منهم أرباب الحرف والصناعة وكانوا يبلغون مائة ألف وأرسلوهم الى  
البلاد الشرقية التى تحت أمرهم ، واستبقى قادة المغول النساء والأطفال  
وأعملوا في الرجال السيف بأن قسموهم على الجنود وذكر أنه أصاب كل  
جندى مغولى في هذه القسمة أربعة وعشرون رجلا .

وبعد أن أنهى جنكيز أمر الأهالي وسع المدينة نهبا وسلبا فهدم ما لم  
يصبه التخريب وهكذا فنت وزالت تلك المدينة التى لم يكن يناظرها في  
تلك الأيام مدينة من حيث عمارها وكثرة سكانها وأهميتها وكانت تحكم في  
عهد السلطان محمد على العالم الممتد من صحراء جوبى والنبث شرقا  
حتى العراق العربى وخليج فارس .

وقد بلغ حصار جرجانية نحو أربعة أشهر من ذى القعدة (٦١٧هـ)  
الى صفر (٦١٨هـ) ولم يبق حيا من أهلها أحد وقد بلغ القتلى عددا جعل

خضلمته المؤرخين يمتنعون عن ذكره ولا يصدقونه \* وكان من بين من قتل في هذه الواقعة الشيخ نجم الدين الكبرى العالم والعارف المعروف وسوقه نذكر له ترجمة في الفصول التالية \*

وكانت إحدى أسباب طول حصار الجرجانية فضلا عن ثبات أهلها الشجعان أن جوجي بن جنكيز لم يكن يميل إلى إلحاق التخریب الكثير بها لأنه يتقرر أن تكون ضمن مملكته القادمة لهذا لم يتعرض للمدينة أثناء مدة الحصار ووقع الخلاف بشأن ذلك بينه وبين أخيه جغتای ولما علم جنكيز جمل جيوش جوجي وجغتای وأوكتاي تحت أمر الأخير \* وبعد فتح خوارزم تركها إلى جوجي وطلب إليه جغتای وأوكتاي فبلغاه وهو يحاصر الطالقان \*

### نهاية ترکان خاتون :-

بعد أن قتلت ترکان خاتون أم خوارزم شاه الأمراء والملوك والاعيان الذين تم حبسهم من قبل ابنها في خوارزم رحلت عنها بطريق الصحراء ومعها حريم السلطان وأولاده الصغار ونظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح الوزير متجهة إلى خراسان ومنها إلى مازندران وتحصنت بقلعة أيلال (لال) من قلاع ولاية لاريجان \*

وضرب المغول حصارهم لهذه القلعة في أوائل عام (٦١٧هـ) واستمروا يحاصرونها أربعة أشهر وفي النهاية اضطرت ترکان خاتون ونظام الملك الوزير القندان والباء إلى التسليم فنزلوا منها واستسلم الجميع إلى الجيش المغولي \* وأرسل المغول بترکان خاتون ونظام الملك الوزير وحريم خوارزم شاه وأولاده إلى جنكيز عند الطالقان فأنورد الوزير وأبناء السلطان الصغار في (٦١٨هـ) مورد القتل واحتفظ بعشاته خوارزم شاه ونسائه وأخواته مع ترکان خاتون وأمرهن أن يتعبدن موت السلطان بصوت غل وقت رجليهن ، ولما هزم بعد ذلك السلطان جلال الدين المنكبرني في حوالى شهر السغد استقبى حريمه أيضا فأرسلهن مع حريم

أبيه إلى قراقروم وظلت تركان خاتون بهذه المدينة إلى أن لقيت حتفها في (٦٣٠هـ) \* وأمر المغول بنات خوارزم شاه بخدمة الأمراء المسلمين الذين هم في طوعهم بخدمتهم والتزوج بهم إلا (خان سلطان) زوج نصرية الدين عثمان خان سلطان السلاطين القراخانيين التي اصطفاها جوجي لنفسه \*

### فتح خراسان وظهور السلطان جلال الدين المنكبرني :

مكث جنكيز أياما عدة بعد فتحه سمرقند فيما حول جيحون وسمرقند ، وعمل جنده في خوارزم آنذاك بالاستيلاء عليها وتوجهت جماعة أخرى إلى السيطرة على ما لم يسيطر عليه من بلاد ولاية قرغانة \* وأثناء إقامة جنكيز بسمرقند لأذ أولاد السلطان محمد وهم جلال الدين وأوزلاخ شاه وآق شاه بالفرار من خوارزم ، وبلغ جلال الدين الذي كان أسرع من أخويه في تركه خوارزم مدينة نسا ومعه ثلاثمائة فارس وتيمور ملك وإلى خجند السابق ، ولما سمع جنكيز بفرار أولاد السلطان أرسل من خلفهم جندا يتعقبونهم كثيفا فمكثوا يرقبون الطرق من مرو إلى شهرستانه \*

ولاقى جلال الدين الذي جاء عن طريق صحراء خوارزم سبعمائة جندي مغولي فقتلهم في هجوم واحد واستولى على خيلهم وسلاحهم وقتل من استطاع الفرار منهم حتى من لجأ من هؤلاء المغول إلى الاعتصام خوفا بترع نسا أخرجهم منها الزراع وقطعوا أعناقهم على الملأ العام \*

وبعد أن اغتتم جلال الدين مؤن المغول وأسلحتهم وخيلهم استعد بفرسانه لبلوغ نيشابور فوصل إليها معجلا إلا أن أخويه اللذين وصلا ولاية أستو (قوشان) وقعا في قبضة المغول فقتلوهما واستولوا على ما معهما من جواهر ونفائس قيمة وباعوها بثمن بخس دراهم معدودة إلى سكان هذه المنطقة \*



ولما لم يتمكن جلال الدين مع أنه انتصر ذلك النصر أن يجمع في خراسان جندا كافيا تركها بعد مدة قليلة من اقامته بنيشابور الى مدينة زوزن ( بولاية قهستان على بعد ثلاثة أيام سير من قاين ) فلم يوافقها أهلها أو يسمحوا له بدخولها فاضطر الى العروج الى مدينة بست ومنها الى هراة .

وتقدم جنكيز من سمرقند الى نخشب ومنها الى قلعة ترمذ فدعا أهلها الى الطاعة فرفضوها وقاتلوا جنده أحد عشر يوما وأهلكوا كثرة من جيشه الى استبد بهم العجز فغلبوا فاستولى جنكيز على ترمذ وأفنى جميع أهلها .

وعبر جنكيز بعد الاستيلاء على نخشب وترمز جيحون وتقدم الى بلخ والطارقان بنفسه وأرسل بعض جيشه الى طخارستان . وسلمت له مدينة بلخ وكانت من أمهات بلاد خراسان لكنه بسبب ظهور جلال الدين واستظهار شعب خراسان به لم يهتم بطاعة أهل بلخ له فأخرجهم جرياً على عادة المغول عن المدينة وأفناهم عن بكرة أبيهم مرة واحدة .

وحينما كان جبه ( يمة ) سبتاي يتعقبان السلطان محمد خوارزم شاه لم يتعرضا كما مر كثيرا الى بلاد خراسان حينما كانا يعبراه ومضيا كالسيل من خلال مدنه ، فلم يسمع أهل خراسان من بعد رحيل جنودهما لمدة أخرى شيئاً عن المغول فعملوا على تجديد القلاع والحصون وجمع المؤن والعلائف .

وما أن عبر جنكيز جيحون وجسر ترمذ حتى أمر ابنه تولى بالتوجه الى خراسان فاستولى في مدة ثلاثة شهور على جميع بلاد خراسان من حدود مرو الروذ حتى بيهق ( سبزوار ) ومن نسا وبيورد حتى هراة مدينة مدينة وألحق ذلك الاقليم العامر عمارة ونسمة بما وراء النهر تخريباً وقتلاً .

## الاستيلاء على مرو ونيشابور وهرأة في (٦١٨هـ) :-

كانت مرو شاهجان عاصمة السلطان سنجر في عهد حكمه مركز خراسان وتعد من أكبر بلاد ايران وقد بلغ عمارها وغناها الى حد أن ملاكها ودهاقنتها ، كما يذكر ، كانوا يضارعون أمراء البلاد الأخرى وملوكها ثروة وغنى . وفوق الغنى المادى فقد كانت مجمعا لأهل العلم والفضل مثلها مثل الجرجانية كانوا يفيضون الى مدارسها ومكتباتها العامة والخاصة لذلك الوقت فيفيضون علما .

وبعد أن لاذ السلطان محمد خوارزم شاه بالفرار الى جزيرة آيسكون ترك مجير الملك حاكم مرو السابق الذى كان يحيا في خدمة السلطان مازندان الى مرو وجمع نحو سبعة آلاف من التركمان والجنود والتف حوله جماعة من الرنود(١) والأوباش فادعى خلافة السلطان .

وكان شيخ الاسلام بمرو قد أرسل الى قواد جيش المغول قبل دخول مجير الملك فيها هدايا قيمة وقبل طاعة المغول وسلك قاضى سرخس الذى كان ذى قرابة الى شيخ الاسلام نفس مسلكه وجرت مكاتبات بين القاضيين بشأن هذا الأمر ، فلما اطلع مجير الملك على هذه المواضعة أثار الناس على قاضى مرو فمزقوه اربا ووقف من أهل سرخس الذين أطاعوا المغول موقف العداء أما من كان يحكم مرو قبل مجير الملك فقد أسرع الى مازندران لدفع منافسه وأتى بجمع غفير من المغول الى المدينة . وبدلا من أن ينصرف مجير الملك للدفاع عن المدينة أمام المغول هاجم مدينة سرخس وقتل قاضيه وأخذ يقاتل التراكمة فيها ، وبين هذا القتال وصل جنود تولى وضربوا حصارهم حول مرو .

وسلمت مرو بعد أيام خمسة من المقاومة . وأبدى تولى احترامه

---

( ١ ) الرند هو الشاطر ذو الحيلة الغدار فى المعاجم الفارسية ومن لا يبالى وينكر عليه ظاهره الملامه وباطنه السلامة ( لغة نامه دهخدا ) تهران / ١٣٤١ ش ) فالرند اذن من أساء العيارين والفتيان ( راجع رسالة المترجم ) جماعات الفتوة فى الأناضول ص ٣٢ .

لجبر الملك أولا وخلع عليه ولكنه بعد قليل ألقى القبض عليه وعلى جميع كبار المدينة الذين تعرف اليهم عن طريقه ، ثم أمر بأن يخرج جميع أهل المدينة ينسائهم وأطفالهم بحيث لم يبق منهم واحد فيها ، وحين ذاك اعتلى كزيسيا ذهبيا وأمر بضرب أعناق جميع رؤساء جيش خوارزمشاه المأسورين ، وقسم الأهالي على الجنود ، فقتلوا هؤلاء العاجزين بنسائهم وأطفالهم + ثم أحرق مرو وأشعل النار في قصر السلطان سنجر وأمر بنش القبور طمعا في أن يجد مالا وقال لا يبقى واحد من أهل مرو الذين عصونا ( فامتثل المغول لأمره وهلك أكثر من سبعمائة ألف من شعبها البريء في هذه الواقعة المهولة +

أما نيشابور فكان أهلها قد قبلوا طاعة المغول حينما مر بهم جيش جبه وسبتاي وحكمها شحنة من جانبهم ، فلما سمعوا بخبر ظهور السلطان جلال الدين المنكبرنى أعلنوا عصيانهم وقتلوا شحنة المغول +

فلما بلغ خبر قتل الشحنة إلى تولى أرسل تغاجار نويان صهر جنكيز إليها للاستيلاء عليها فأتى تغاجار نيشابور وحصرها + وفي اليوم الثالث من الحصار قتله تغاجار وهزم المغول ففر جماعة منهم إلى طوس وعدد آخر إلى سبزوار +

وفي هذا الوقت فرغ تولى من فتح مرو فتحرك صوب نيشابور ، وكان أهلها يقاتلون حتى ذاك الوقت بشجاعة لكنهم قبلوا التسليم لقلعة في لكن تولى رفض استسلامهم وفتح المدينة في العاشر من صفر ٦١٠هـ) وقتل أهلها واستحيا نساءها وأمر بقطع رؤوس القتلى خشية أن يكون وسطهم من لا يزال ب قيد الحياة ، ثم سوى المدينة بالأرض +

وقدمت ابنة جنكيز زوج تغاجار إلى نيشابور وأمرت أن تخرب المدينة إلى حد أن تزرع أرضها ولا يبقى منها شيء ظاهر حتى كلابها وسنانيرها ففعل المغول ما قالت فقتل جنود تولى سبعة أيام وليلال يغمرسون المدينة الخربة بالماء وبعد تسويتها زرعوها شعيرا + وقدر عدد القتلى في نيشابور بنحو ألف ألف وسبعمائة وخمسين ألفا +

ودقت طوس ومشهد الحالية أيضا ضمن ما وقع تحت سنانك خيول المغول وخربت ، ولما ارتاح المغول من هذه الناحية أخذوا طريقهم الى هراة وكانت آخر مدينة لم تفتح بعد في اقليم خراسان أرسل تولى أولا رسالة الى هراة واستدعى قاضيها وحاكمها اليه فقتل شعبها رسوله فأجكم هذا غضبه وحملته عليهم وعلى مدينتهم •

وخل حاكم هراة وهو ملك شمس الدين الجوزجاني يدافع باستبسال عن المدينة حتى ثمانية أيام ، اذ أصابه سهم في اليوم الثامن مات على اثره فتسبب قتله في ظهور انشقاق بين مدافعي هراة فخرج جماعة من علماء المدينة وأعيانها الى تولى وسلموا اليه المدينة • وأظهر تولى خلاف عاداته رأفة بها فلم يقتل من أهلها الا اثنى عشر ألفا من أتباع السلطان جلال الدين ، ثم توجه بعد تنصيب شحنة عليها الى أبيه الذي كان يحاصر في هذا الوقت الطالقان في ولاية الجوزجانان •

كانت مدينة الطالقان هذه التي تسمى بطالقان بلخ أو طالقان خراسان تقع على بعد ثلاثة منازل شرق مرو الرود على رأس طريق بلخ ولا يجب أن نخلط بينها وبين طالقان قزوين وطالقان أصفهان وطالقان طخارستان ( شرق غندوز قرب فيض آباد الحالية في أفغانستان الشمالية الشرقية ) •

مكث جنكيز عشرة شهور يحاصر قلعة نصرت كوه من قلاع الطالقان وقتل عدد كثير من جيشه في هذه الجروب ، فقدم ابناؤه أوكتاى وجغتاي وتولى بعد أن فرغوا من فتح ما وراء النهر وخوارزم وخراسان لعون أبيهم • وأخيرا بنى جند جنكيز مرتفعا من الحجارة والأخشاب بعلو القلعة فرقوه اليها ، ففر الفرسان المدافعون لكن مشاتها أسروا جميعا ثم قتلوا •

وبعد فتح الجوزجانان والطالقان عاجل جنكيز الى غزنة ، وبما أن ابن جغتاي الذى كان أثيرا جدا عند جنكيز قتل في حصار باميان ، أمر

خان المغول بعد فتحها أن تقتل حيوانات المدينة فضلا عن أهلها وألا يؤسر أحدهم وألا يتركوا حتى الطفل في بطن أمه حتى لا يسكنها من بعدهم  
أحد \*

أما الجنود الذين كان جنكيز قد وجههم من جيشه لفتح بلاد طخارستان فقد استولوا على أغلب مدنها ثم أخذوا في محاصرة قنلاع واليان وولخ حينما شرع جلال الدين في حملاته \*

### السلطان جلال الدين المنكبرنى :

السلطان جلال الدين المنكبرنى هو أكبر أبناء خوارزم شاه ، الا أن السلطان كما مر قبل ولى ابنه الأصغر أوزلاغ شاه عهده بسبب تغلب تركان خاتون على ابنها وكرهها لجلال الدين وحرمة واخوته الآخرين هذا الحق \*

وفى ( ١٢٠٩ هـ ) حينما أزال خوارزم شاه دولة الغوريين واستولى على فيروزكوه وغزني وباميان وسائر سيستان ترك حكم هذه البلاد الى جلال الدين ابنه ، لكنه كان يصطحبه في حروبه لحبه له ولاعتقاده في حكمته وشجاعته وحاجته اليهما وكان ينيب عنه حكاما لغزنة وهراة وبيشاور \*

وكانت حكومة هراة في هذا الحين لأمين ملك ابن خال جلال الدين ، فلما بلغ جيش المغول حوالى هذه المدينة تركها حتى لا يواجههم وتوجه الى السند وفتح بلادها وطلب عون حاكم غزنة أثناء عملياته الحربية \*

وكان جنكيز اذ ذاك مشغولا بحصار الطالقان وكان الجيش معه غير قلة منهم ، وهزم أمين ملك جماعة من هذا الجيش المغولى المتفرق وكانت لا تريد عن ألفين أو ثلاثة بالقرب من غزنة وخذ يتعقب المنهزمين \*

وتحرك السلطان جلال الدين بعد حروب له مع المغول كما سبق على

حدود نيشابور الى هراة في أواخر ( ٦١٧ هـ ) فدخلها في أوائل العام التالي وكان دخوله مصادفا لعودة أمين ملك لها . فقدم أمين ملك ومعه ثلاثون ألفا ليستقبل جلال الدين ولحق به أيضا اثنان من رؤساء الأفغاغة والأتراك القرلقى كل بجيش يساوى ما مع أمين ملك ، وبنى جلال الدين بابنه أمين ملك واستعد لمقارعة المغول .

### موقعة بروان وفتح جلال الدين :

وبعد أن أخذ السلطان جلال الدين أهبطه بلغ بجيشه الذى تألف من شعوب مختلفة هى الترك والأفاغة الغوريون والخلاج والقرلقى الى مدينة بروان ( من المدن بين غزنة وباميان وأقرب الى الأولى والى منبع نهر لوكر ) ، فجعل منها مقر عسكره ولما علم بحصار جماعة من المغول لقلعة واليان فى طخارستان ترك أحمال الجيش ومؤنته فى بروان وهاجم المغول وقتل منهم نحو ألف وهزم البقية ، وعبر المغلوبون جيحون وخرّبوا جسره وبلغوا سيدهم وقصوا عليه ما وقع لهم .

وعاد جلال الدين الى براون ، فسير اليه جنكيز ( قوتو قونويان ) بجيش ذكر أن عدته بلغت من ثلاثين ألفا الى خمسة وأربعين ألفا .

وجرت الحرب بين جلال الدين وقوتوقو على بعد فرسخ من بروان وجعل جلال الدين أمين ملك على ميمنة جيشه وسيف الدين أغراق رئيس الأفغاغة على ميسرته وقاد هو القلب وأمر أن يترجل جنده ويسحبوا خيولهم ويحاربوا المغول راجلين .

واستمرت الحرب يومين ، لم يحز طرف منهما فى اليوم الأول نصرا ، وفى اليوم الثانى أمر قوتوقو أن يعد كل جندى مغولى تمثالا بشكله يركبه جوادا ، حتى يتوهم أتباع جلال الدين أن مددا وصلهم فيؤثروا الفرار . وكادت هذه الحيلة تؤثر أثرها لولا أن جلال الدين استبسل فى المقاومة ففوى من عزائم جنوده فهزموا المغول فأمّر

جلال الدين أتباعه يركوب الخيل وتعتقب العدو وعاد قوتوقو منهزما الى جنكيز \*

وعم الفرع اثر هذا الفتح عامة بلاد المسلمين وحدث لجلال الدين وأتباعه غاية السرور حتى أن جنوده وخدمه كانوا يثقبون آذان الأسرى المغول بمسامير تشفيا وتخفيفا من نار احنهم على اتباع جنكيز ولو قليلا .  
ولما بلغ خبر نصر جلال الدين مدن خراسان وجنوب ما وراء النهر قام أهل كثير من هذه المدن بالثورة وقتلوا شحنات المغول ، وصار من أول نتائج هذا النصر أن رفع المغول حصارهم لقلعة ولخ بطخارستان ، وكانوا يحاصرونها من قبل ، ثم لاذوا بالفرار \*

وبعد فتح بروان ظهر النزاع بين قوات جيش جلال الدين بسبب تقسيم الغنائم واختلف أتباع السلطان وأمين ملك من الخوارزميين والجيش التركي وجماعات البلخ والترك والغوريين ، من ذلك ثار النزاع بين سيف الدين وأمين ملك بسبب أملاك جواد من خيل المغول فضرب الأخير الأول بسوطه ولما لم يحاسبه جلال الدين على ذلك ، أخذ سيف الدين وقواد الترك الخليجين والغوريين طريقهم الى بيشاور . وحاول السلطان استرضاءهم قدر طاقتهم فلم ينجح ، وفي النهاية عاد جلال الدين الى غزنة \* أما الخليجيون والغوريون فأخذ بعضهم يقاتل الآخر في بيشاور وما حولها وقتلت كل مجموعة لائذ الأخيرة لمدة شهرين أو يزيد ، ثم قضى المغول على بقيتهم بعد ذلك \*

وكان جنكيز قد فرغ من حصار الطالقان اذ ذاك فلما بلغه انتصار جلال الدين في بروان قدم الى غزنين عن طريق الباميان \*

### حرب الهند في الثامن من شوال (٦١٨هـ) :

لما لم يكن السلطان جلال الدين يقوى على جنود جنكيز دعاه هذا الى اخلاء غزنة وعقد أمره على عبور الهند ليجمع جيشا ويعيد

سيف الدين اغراق وسائر رؤساء الجيشين الذين تتكفوا طريق الخلافة ،  
الا أن جنكيز خان حث خطاه وأرسل جماعة لملاقاته مقابلوة في ( كريدز )  
على بعد منزل شرق غزنة ، فغلبهم جلال الدين وقصد شاطيء السند ،  
ودخل جنكيز غزنة بنجد أن أهلاها جلال الدين بخمسة عشر يوما  
وبعد أن عين عليها حاكما من قبله أسرع متعقبها يستال الذين إلى شاطيء  
السند .

وكان جلال الدين مشغولا في اعداد سفن لعبور النهر بها حين وصل  
المغول وهاجمت طلائعهم فوجا من جنوده وهزموا قائده ، ومع أن  
جلال الدين كان قد أرسل رسلا خاصين لتجهيز سفن الى هنا وهناك  
الا أن الفرصة بدت ضيقة لكي تنتهي السفن الكافية للعبور الا سفينة  
واحدة جعلها السلطان خاضة لعبور أمه وحزيمه ، لكنهما تحطمت هي  
الأخرى بسبب تلاطم الأمواج فاستحال عبور النهر .

وبلغ المغول أتباع جلال الدين على شاطيء السند قرب معبر  
( نيلاب ) وأبدى السلطان الجلادة والشجاعة واخترق قلب جيش جنكيز  
الا أن مجموعة من قواد المغول كبسوا الجناح الأيمن لجيش السلطان  
وكان يقوده أمين ملك ووقع ابن صغير لجلال الدين لم يزد عمره عن السبع  
أو الثماني سنوات أسيرا في أيديهم فأمر جنكيز بقتله .

وطلب أم السلطان وزوجة وبغض حزيمة وهن ينحن منه أن يقتلن  
حتى لا يقعن في قبضة جنكيز فأمر السلطان فأغرقت هذه التعميمات في  
السند . وآثر أمين ملك الفرار وتوجه إلى بيثاور وأهلكه فيها غدد من  
المغول .

وخل جلال الدين يقاتل ومعه سبعمائة من جنوده ولما رأى أنه لم  
يبق به وبهم قدرة على الثبات أخرى هاجم طليعة جيش جنكيز ولما أن  
ردهم قليلا حتى ألقى بثقنه في مياه السند ووصل سالما أرض الهند .  
وكان الجواد الذي تسبب في نجاحه عزيزا أثيرا لديه منذ هذه الحادثة وظل



برفقته حتى سنة ففتح تفليس أعفاه من ركوبه عليه \*

وقتل جنكيز كل من وجده من بقية جلال الدين وأهلك كل طفل ذكر من أسرته ولم يرحم الطفل الرضيع واستبقى بقية حريمه وأرسل بهن الى بلاد المغول وأمر أن يغوص الغواصون في السند فأخرجوا له المال والنفائس التي ألقى بها بأمر جلال الدين في النهر ، وأتاب ولديه أوكتاي وجغتاي في هذه المنطقة ليقتضيا على السلطان اذا عاد ورجع هو الى شاطيء جيحون \*

### نتائج ظهور السلطان جلال الدين :

حينما طلع السلطان جلال الدين في شرق ايران وأخذ يقاتل المغول وبعد أن ذاع خبر انتصاره في بروان خاصة عصى أهل خراسان وجنوب ما وراء النهر ولاتهم المغول بأهل غلبته وقاموا بقتل كثير من حكامهم وشحناتهم من بين ذلك قتل أهل مرو بعون أحد قواد جيش جلال الدين حاكمها وأعلنوا عصيانهم للمغول \*

وقدم اذ ذاك قراجة نويان قائد المغول الى سرخس وتعاقب القواد المغول بجيوش جرارة من بعده فجعلوا من البقية الباقية من أهل مرو طعمة السيف مرة أخرى وخرّبوا كل ما بقى من مسجد أو بناء \* ولما جال بخاطرهم أنه ما يزال من المروزيين أحياء مختلفون أمروا أن يؤذن مؤذن للصلاة فأخرجوا جماعة من بين الأنقاض وقتلوهم ومكثوا واحدا وأربعين يوما يقتلون ما يجذبون من الأهالى ويخربون ما بقى عامرا \*

وبعد أن عاد المغول أتى مرو أحد الأمراء وجمع حوله جماعة من التركمان فاجتمع بهذه المدينة الخربة نحو عشرة آلاف ، وظل هذا الأمير ومن معه يهاجم عسكر المغول في مرو الرود وبنجدة الطالقان لمدة ستة شهور وينهب خيولهم ومؤنهم \* وأتى قراجة نويان مرة أخرى من الطالقان وفي عقبه قوتوقو نويان ، وأهلك المغول هذه المرة ساكني مرو

مستخدمين وسائل التعذيب كالمثلة والالقاء في النار وسعوا ألا يصل عاصمة سنجر وما حولها مؤنة الا ما تكفى عددا معدودا ، وتذكر المحققون أن مرو أصبحت صحراء الى حد أنه لم يكن بها ظل يستظل به حيوان وخشى وظلت هكذا حتى عام ( ٨١٢ هـ ) حين بدأت ترى العمار بهمة شاهرخ السلطان بن الأمير تيمور كوركان .

وفي هراة ثار شعبها أيضا فقتلوا الحاكم والشحنة المغوليين وأمروا عليهم أميرا فلما بلغ ذلك جنكيز أرسل لابنه تولى يقول له ( لو قتلت جميع أهل هراة لما برزت هذه الفتنة ) ثم سير اليها ( ايلجيكداي نويان ) ومعه ثمانون ألفا وأمر ألا يترك من أهلها واحدا حيا كما أصدر أمرا آخر أن يتوجه من خراسان جنود لمعاونته . وحمل المغول على هراة بأربعة أسراب أو أرتل وبعد ستة شهور وسبعة عشر يوما استولى ايلجيكداي نويان على المدينة في جمادى الآخرة ( ٨١٩ هـ ) فخربها كلها وبعث بكل من وجده من أهلها الى دازه الأخرى .

وخمدت ثورة البلاد الجنوبية لما وراء النهر بعد خراب مرو وهراة ونيشابور معجلة خاصة وأن ثورة الأهالي في هذه المناطق لم تكن لها صفة العموم والشمول الذي كان لأهل خراسان وانما كان بضعة من المنتهزين للفرص والغارة يهاجمون معسكر المغول ويفوزون بقليل من الغنيمة الا في سمرقند في أوائل عام ( ٨١٩ هـ ) عندما خرب الثوار جسر جيحون فقطعوا طريق ارتباط المدينة بالخارج ، ولكن بمجرد قدوم جغتاي اليها وهزيمته للثوار أعاد بناء الجسر فعاد ارتباط ساحلي النهر .

### عودة جنكيز الى بلاد المغول في ( ٨١٩ هـ ) :

بعد أن فر السلطان جلال الدين الى الهند أرسل جنكيز أوكتاي الى غزنة ومع أن أهلها قبلوا طاعته الا أنه أخرجهم عنها الى الصحراء لعل ذلك على أثر ثورة فقتلهم جميعا ما عدا الحرفيين وخرّب غزنة وترك

قوتوقو نويان بها وعاد عن طريق هراة • أما جنكيز فقد مكث ثلاثة شهور في بيشاور والبنجاب في عقب البقية من جنود سيف الدين اغراق وبعد ذلك ترك بيشاور الى كابل وحدود جيحون وبعد قضائه الصيف في الباميان عبر النهر وبلغ سمرقند وكان سبب رجوعه ثورة شبت في الصين الشمالية والتبت وأوجبت حضوره •

وفي عودة جنكيز الى جيحون أمر جغتاي أن يستولي على ولاية مكران والسند فأغار عليهما كما فعل أخوه أوكتاي وقام الاثنان بتخريب نواحي غزنة والسند وكرمان ومكران على نحو أن جلال الدين لو عاد اليها فلن يجد جنوده أدنى وسيلة للعيش أو الحياة •

وبعد تخريب الولايات السابقة اتجه أوكتاي وجغتاي بدورهما الى ما وراء النهر فبلغنا بخارى في شتاء (٦١٩هـ) وأمضيا هذا الفصل على شاطيء نهر زرافشان يستريحان ويتصيدان • وأرسل جنكيز اذ ذاك الى ابنه الثالث جوجي الذي كان بصحراء القبجاق يستدعيه اليه وكان غرضه أن يقوم مع أولاده على شاطيء سيحون بصيدهم الجماعي المعروف ويتحدث معهم أيضا في مصالح الممالك التي سيطروا عليها لأن جنكيز بعد أن عاد من شواطيء السند أصيب بالمرض بسبب سوء طاقته وأخذ يشتد مرضه يوما بعد يوم وشعر بدنو أجله •

ولحق أوكتاي وجغتاي بمعسكر أبيهما على شاطيء سيحون ، وفي هذا المكان في ربيع عام (٦٢٠هـ) ألف مجلس شورى أو باصطلاح المغول (قوريلتا) مع أولاده ، وفي صحراء قلان باشي (شمال جبال ألكساندروفسكي وغرب بحيرة ايسى كول) قدم جوجي ومعه مائة ألف جواد كهديّة لو والده •

وقضى جنكيز الصيف في مأواه بقلان باشي ، وبعد أن أنهى هذا المجلس الشورى الذي ألفه مع أبنائه أعاد جوجي الى صحراء القبجاق ، ثم وصل بعد اهلاكه بضعة نفر من الرؤساء العاصين الأويغور في

ذى الحجة ( ٥٦٢١ هـ ) مع جميع أبنائه ما عدا جوجى الى مضارب أسرته  
الأصلية أى على نهر كروان وأنون \*

### موت جوجى وجنكيز فى ( ٥٦٢٤ هـ ) :

ولما وصل جنكيز الى معسكر أجداده سمع بعضيان ملك ولاية  
تنكغوت أو التنقوت الواقعة شمال التبت فقرر غزوها وبعد استعداداته  
قصد هذه الولاية ، وهزم ملكها بعد حرب طاحنة وأفنى جماعة عظيمة من  
جنوده ، لكن مرضه ائسد به فى هذه المنطقة فمات فى رمضان ( ٥٦٢٤ هـ )  
وهو فى الثانية والسبعين من عمره وارتاحت الدنيا من أفزاعه وتعذيبه \*  
وقبل موت جنكيز بستة أشهر كان جوجى ( توشى ) ابنه الأرشد  
قد مات أيضا بصحراء القبجاق وروى فى موته رواية ذكرها بعض  
المؤرخين ومحاوها أن جوجى لما كان أكثر سلامة نفس من أبيه لم يكن  
يقبل على قتل الناس وتخريب البلاد كثيرا وكان يدعو أباه لأن يقل من  
ازهاق الأرواح وتخريب البلاد حتى أنه قرر وقتا أن يحالف المسلمين  
ويقتل أباه ، فأطلع جغتاي على خبيثة صدر أخيه فأطلعها أباه فهدس أبوه  
له السر خفية \*

ويعتقد بعض آخر من المؤرخين أنه لما ساء ظن جنكيز بجوجى  
استدعاه فى عودته الى أرض المغول الأصلية اليه الا أن جوجى اعتذر عن  
الحضور متذعرا بمرضه ، فقدم واحد من التنقوت من صحراء القبجاق  
الى أرض المغول وأعلم جنكيز أنه رأى جوجى سليما معافى ومنهمكا  
بالقنص فأرسل جنكيز أوكتاي وجغتاي لتأديبه لكن خبر موته وصل قبل  
أن يبلغاه \*

على أية حال فانه لا خلاف على أن ما بين جوجى وجنكيز وأخيه  
جغتاي لم يكن طيبا لأن ابن جنكيز الأكبر كان يريد أن يكون دولة مستقلة  
فى ما حول بحر الخزر ويضم اليها خراسان ومازندران والولايات  
الشمالية لایران التى لم يطوها جبه وسبتاي ولم يستوليا عليها وكان يود  
ألا ينقاد لأمر أحد فأصبحت هذه المسألة باعث تعب كبير لجنكيز وأولاده \*

## الفصل الثاني

### سياسة المغول ومراسمهم

#### حكم التاريخ في جنكيز خان :

روى صاحب كتاب ( طبقات ناصري ) (١) عن ثقات الرواة أن ( جنكيز خان لما قدم خراسان كان رجلا طويل القامة قوى البنية عظيم الجثة ، مفتول اللحية والشارب مبيضهما ، قطى العينين في غاية الجلادة والذكاء والعقل والمعرفة والهيبة ، قتالا عادلا ضابطا هازما لعدوه شجاعا سفاكا سفاها ) \*

أما من ناحية صفات جنكيز الخلقية فقد كان رجلا ذا عزم وإرادة كبير العقل مدبرا كامل التحكم في زمام نفسه ، وكان في مقابل المشكلات والمشدائد يظهر ثابتا غريبا ، وكان لا يكف عن الأمر ما لم يبلغ القصد منه ، لم يدع في أى وقت للقنوط أن يتسرب الى قلبه ازاء الحوادث القاسية فكان يتلقاها ببرود وثبات \*

وحينما هزم السلطان جلال الدين المنكبرنى جيش قوتوقو نويان في

---

(١) كتاب في التاريخ من تأليف أبى عمر منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجاني متوفى ( ٦٩٨ هـ ) لناصر الدين محمود شاه بن التمش . يشمل هذا الكتاب تاريخ العالم خاصة تاريخ الفزنويين والغوز وأعقابهم في غزنة والهند ، وفي نهايته فصل كامل مفيد في هجوم المغول على ايران وخانات المغول حتى هولاء . ومع ان المؤلف لا يفصل في هجومهم لكنه لمعاصرتهم لهم ومعاينته الحوادث فان أخباره مقرونة بالصحة . وأفاد المؤلف كثيرا من تاريخ البيهقي وجعله أساس تاريخه لمحمود الفزنوى ، وقلده أيضا في أسلوب الكتابة . وفي طبقات الناصري اشعار وقصائد للمؤلف نفسه استخدم فيها لأول مرة الفاظا مغولية .

بروان وأتى الأخير جنكيز مهزوما لم يفقد جنكيز عند سماخه هذه الهزيمة حاله سكونه المعتاد وكان كل ما قال ان قوتوقو نويان تعود أن يخرج منتصرا في كل وقت من معاركه ولم يذق مرة طعم الهزيمة ، وسوف يحتاط كثيرا في أمره بعد هذه الهزيمة •

ليس من شك في أن جنكيز كان أحد أشد الفاتحين سفكا للدماء وفضلاظة وغلظة ذكرهم التاريخ ، لأن ما سفك من الدماء بأمر منه أو خرب من الديار العامرة ربما لم يحدث نظيره في أيام غزو غاز قط في فداحة ويلاته ونصائبه ، خاصة وإن جنكيز كان غاية الاحنة والفضلاظة ، ولم يكن يشكل عنده قتل مدينة عظيمة قتلا عاما وازهاق أرواح الآلاف وسفك دماء النسوة والأطفال والعجزة بإشارة واحدة من شفته أمرا عظيما • لكنه ينبغى التسليم بأن فتح كل هذه البلاد وإدارة أراضيها الواسعة لم يكن يمكن بدون فطنة ولباقة وكفاية وحكمة خاصة وأنه لا يمكن أن نتصور أن جنكيز كان خلوا من كل سياسة لا يتعشق غير اقتحام البلاد وازهاق الأنفس في غزواته ، وإنما يتوجب الذكر أن جنكيز كان فاتحا يستجيز لتنفيذ هدفه وسياسته وإزالة الموانع في طريقه كل ضرب من ضروب القسوة والثبور والتخريب بدون ذرة تأمل أو تحوط ولم يكن يعبأ بأي شيء غير نيل مراده •

وكان كل جهده في بداية الأمر افتتاح طريق التجارة والقوافل القديم بين إيران والصين ( طريق الحرير ) ، وأقدم لهذا الغرض على إزالة شعوب الأويغور والمقراخطائين والغايمين والفتتر الذي كانوا جاثلا دون تردد القوافل وسببا في عذم أمن الطريق • وحينما جنتاور البلاد الخوارزمية ، راعى شروط الأدب والاحترام في حق السلطان مخمد ، لكن اقدام السلطان على إزالة الدولة القراخطائية وتحطيم الست الحاجز بين البلاد الإسلامية وأرض التتر والمخول وغرورة وعجبه وسوء تصرفه ومسلكه مع رسل جنكيز والتفكير في الاستيلاء على الصين وغيرها هيأت

أسباب اثاره غضب الخان المغولي وبعثت على هجماته على بلاد المسلمين •

كان جنكيز مثله في المذابح العامة والقتل الجماعي مثل جلال مجرد من أى عطف يأمر بتنفيذ أحكامه ولم يكن يفرق بين الغنى والفقر والصغير والكبير والمرأة والرجل والمسلم والكافر ، ولم ينحرف فى أعماله سفكه هذه عن جادة العدل وعدم الانحياز ، خاصة وأنه بلغ كما كمال الثبات والبرود خلاف عدة نفر من أبنائه وبعض أخبر من الغزاة ( كتيبور لك ونادر الأفشارى ) فى قتل الأنفس ، فلم يصدر عنه فى أى وقت مهما أشد غضبه وحنقه فظائع كتصفية عيون الأسرى والصلم والجدة والهاممة مناراة من جماجم القتلى •

وقد مثل بعض المؤرخين جنكيز برئيس قبائل الهون أى آتيل وشيخو هجوم جيشه بالطوفان أو السيل وتقاطر قومه كهاجرة جماعات من البدو ، لكن تأهب جنكيز للهجوم على البلاد الخوارزمية وتجو طيه وتدبره فى الأمور العسكرية وإثارة نظام عسكرى مضبوط والإفادة من المستشارين وذوى الخبرة والمرشدين وتجريك الجيوش طبق خطة صحيحة كل ذلك يكذب التشبيه الأنف الذكر تكذيبا كاملا ويبدل على أن جنكيز فى كل هجمات كان ينفذ الأمور كلها حسب دستور صحيح ووفق أسلوب ونظام كاملين •

ويدل طول عمر جنكيز وعدم فقدانه أى من قواه الجسمانية والعقلانية حتى لحظة موته على صحة عقله أيضا ورعايته الاعتدال فى الحياة والعيش والشراب • وقد صار بضعة نفر من أخلافه كما سترى ( مثل جغتاي وأوكتاي وكيوك ) بعد اختلاطهم مع المتحضرين من البلاد المغلوبة وأقامتهم بالمدن العوبة اللهو والمجون وبهارج الدنيا وقضوا غالب أيامهم فى سكر ووهن ، فى حين أن جنكيز لم يخرج عن بدويته وخاف وله المغول بالشراب ولامهم مرارا لاعتيادهم هذه العادة لوما شديدا •

كانت هيئته في قلوب الجيش بلا نهاية وكان الجميع يعتبره القائد  
المعظم وحكمه حكما الهيا واعتقدوا أنه لا ينبغي أن يوجد في سائر  
الأرض حاكم آخر غيره .

وكان عصيان جنكيز وعدم طاعة أمره بمنزلة ارتكاب جناح عظيم  
لأن عقيدة المغول أن أمر الخان كان ينزل من السماء وعصيانه في حكم  
عصيان الله . وكان قتل فرد من أسرة الخان له نفس الحكم ، فقد كان  
قلب نيشابور رأسا على عقب اثر قتل تغاجار زوج بنت جنكيز ،  
واستئصال شافة باميان بسبب قتل ابن جغتاي بدفع هذه العقيدة .

ولما أن جنكيز لم يكن يعتقد أى دين أو يدين بأى عقيدة فقد تجنب  
التعصب لأى دين أو تفضيل ملة على أخرى أو ترجيح عقيدة على  
عقيدة ، بل كان يكرم العلماء ويعز الزهاد في كل دين وطائفة ، وكان  
أبناءؤه كلما وجدوا أثناء استيلائهم على البلاد في أغلب الأحيان عالما  
أو مطلقا وأنسوا فيه الجدارة لخدمة أبيهم كانوا يبعثون به اليه سالما .

وكان جنكيز يفيد في باب الأمور العسكرية بالمختصين والأدلة  
وأرباب الأطلاع افادة كبيرة وكان في كل وقت عدد من هذه الجماعة  
بجيشه لا سيما تجار المسلمين وأصحاب القوافل الذين كانوا يأتون من  
أماكن بعيدة ، وبسبب كثرة أسفارهم كانوا على علم وافر بأحوال البلاد  
خارج أرض المغول ، وقد أدوا لجنكيز في هذا الأمر خدمات جليلة . وقد  
ظل من هذه الجماعة حتى حدود (٦٠٠هـ) فئة ببلاطه وكانوا سفراء الى  
السلطين أو رسله لمهام أخرى ومع أن جنكيز لم يبد رحمة أو رأفة  
بأعدائه ، الا انه كان يفرق بين المتحضرين المسلمين الأبرياء من الايذاء  
والبدو المغيرين اللصوص تفريقا بينا فقد كان يقرب اليه الأويغور  
والمسلمين والصينيين ، خلافا للمنجو والتتقوت والأترك الخوارزميين  
والأماغنة فقد نفر منهم وعاملهم بقسوة . وقد كان لخزان المغول كما  
ذكرنا صاحب ومستشارون من المتحضرين من البلاد المغلوبة كالمسلمين



والصينيين والأويغور وأشهرهم هو محمود يلواج المسلم الذي سبق  
أن ذكرنا اسمه .

## الياسا الجنكيزية :-

كان للمغول من قبل جنكيز سلسلة من العادات والتقاليد والآداب  
الشعبية كما تقتضيه الحياة البدوية لم تدون بسبب معرفتهم للخط  
والكتابة ، وقد رفض جنكيز بعضها وأبقى الآخر وزاد عليها من  
نفسه أحكاما وقواعد أيضا فأعطاهما في الواقع جانب الرسمية  
وأمر أن يعلم أطفال المغول الخط الأويغوري وأن تدون الأحكام  
والقواعد المشار إليها في القراطيس وتودع في خزائن أمراء الأسرة  
الجنكيزية .

وكان يقال لكل واحدة من هذه الأحكام والقواعد بالمغولية  
( ياسا ) بمعنى الحكم والقاعدة والقانون ( ١ ) ومجموعتها وهي  
القراطيس المكتوبة بالخط الأويغوري ، والتي كانت تجمع جميع الأحكام  
والمراسم المغولية وقد هذبها جنكيز وصوبها ، كانت تسمى بالياسا  
الكبيرة وكانت عبارة عن القوانين والأحكام المتعلقة بتعبئة الجيش

---

( ١ ) قيدت هذه الكلمة وأصلها المغولي ( دزاساك ) في كتب الفارسية  
والعربية بأشكال مختلفة من قبيل ( ياسا ) و ( ياسه ) و ( يساق ) و ( ياساق )  
و ( يسق ) وكانت تطلق في الأصل على الحكم والأمر من كل ملك أو أمير ،  
ولما كان قسم من هذه الياسا الجنكيزية تتعلق بالعقوبات والجزاءات ، وكان  
جزاء أغلب الجرائم والخطايا القتل أصبح أحد معاني كلمة الياسا تدريجاً  
القتل والموت ، واستعمل مؤرخو تاريخ المغول عبارة ( ياسا رساندين )  
و ( يياسا ملحق كرداندين ) بمعنى القتل ، وأصبح اسم المصدر لهذه الكلمة  
( يياسايشي ) أيضاً مصطلحاً للسياسة وإدارة الأمور .

ويرى مع كلمة ياسا في كتب تاريخ المغول غالباً كلمة ( يوسون ) وهي  
لفظة مغولية كذلك بمعنى الأسلوب والطريقة والرسم ( سياقي ) .  
وقد دون مجموعة هذه القوانين دستور جنكيز خان الأويغور ، وذكرها  
تفصيلاً الجويني في كتابه جهانكشا ، الجزء الأول ص ١٧ وما بعدها ( مجموعه  
جب لندن / ١٩١١ ) ( غامبري ، حاشية المترجم ص ١٦٣ ) .

وتخريب لبلاد وبمصالح الملك وترتيب المشورة في باب الأمور العظمى والغزوات الهامة وأنواع العقوبات وطرق حياة المغول ورسومهم في الحركة أو لاقامة وغيرهما ، وكان رسمهم أنه كلما اعتلى خان جديد العرش أو حدثت حادثة عظيمة أو اجتمع الأمراء كانت الياسا الكبيرة توضع موضع الدراسة ويجرون أمورهم على أساسها •

وكانت الياسا الجنكيزية محترمة مقدسة بين المغول بشكل غير عادي ، ولم يجرؤ أحد أن يغفل أحد مضامينها ، وكان المغول يجلونها اجلال المسلمين للقرآن الكريم •

وكانت الياسا الجنكيزية حتى بعد زوال سلطنة أولاده من ايران موضع الاحترام والرعاية أيضا من جانب التيموريين ، وكانوا يعملون وفق نصوصها حين اجتماع السلطان العام وتنفيذ العقوبات والقتل وأمور الطعام والغذاء وغيرها •

وقد جرى الصينيون وفق عوائدهم القديمة على أن يذكروا أقوال أبائهم اليومية وتعلم المغول هذه العادة أيضا من الصينيين وكانوا يكتبون أحاديث ملوكهم يوميا ثم يذيعونها بعد موتهم ، وكانوا حرفيين جدا في اثباتها فكانوا يقيدون أى كلام يصدر عن الخان وكانوا اذا أجبوا أن يبقى معناه خافيا غلفوا العبارة بالسجع والإغلاق ، وكان يقال لهذا القسم من حديث خانات المغول الذى وقع في الشعب موقع المراساة والاحترام بالمعونة (بيليك) بمعنى العلم والحكمة ، وكانت (الهيليكيات) الجنكيزية محترمة وبعد موته موضع الافادة والمراجعة كياساه تماما •

### مراسم المغول :-

كانت طوائف المغول والتتر التى وجهت حملاتها بقيادة جنكيز خان الى بلاد آسيا الشرقية والمركزية والغربية ثم وسعت مجال سيطرتها الى حدود البحر المتوسط وأوروبا الشرقية والوسطى أيضا كانت كما سبق

الشرح من قبائل مختلفة ، وكانت هذه القبائل وكلها من الجنس الأصفر وشعبه المختلفة قبل ظهور جنكيز واستقرارها في البلاد المتحضرة تعيش حياة بدوية صحراوية دائمة الانتقال من موضع لآخر وكانت معيشتهم تتصف بدرجة كبيرة من البساطة والقوة وضعة المستوى .

فجنكيز خان أحد أولئك الزعماء الذين تمكنوا بقوة السيف والتدبير المحكم والقوانين الصارمة أن يخضع قومه تحت أمره ناهيك عن طاعة سائر طوائف الترك والمغول له أيضا . وقد جعل كل هذه الأقوام التي كانت تعيش قبله في نزاع وقتال دائمين متحدة تتبع أمرا وحكما واحدا وألف قواها المفتتة المشتتة لتنفيذ هدف أكبر ووضعها موضع افادته واستغلاله .

وكانت أكثرية جيش جنكيز في بداية حملاته للمغول الأصليين ، لكن هذه الطائفة ، ولم تكن كثيرة العدد بالدرجة الكافية ، أخذت تتناقص مع كل تقدم وحرب ، فاضطر جنكيز لكي يغطي خسائر جيشه البشرية أن يختار من شعوب البلاد المغلوبة لاسيما تلك التي تقترب من المغول الأصلاء بقربة العنصر والأخلاق ( مثل اليايمان والكراييت والتتقوت وأتراك القبچاق والقبچلى والقرلق والأويغور ) أعداد كجنود له ، واستطاع أيضا أن يطوع هذه الجماعات لأمره وحكمه ولياساء وأنظمته حتى أن هذه العناصر الأجنبية فاقت آخر الأمر المغول عددا وصارت الأغلبية في جيشه للأتراك والمغول .

والمقصود من المراسم المغولية رسومهم وعاداتهم التي كانت شائعة بين طائفتهم المختلفة واستخلصها أولاد جنكيز من بين عامة المغلوبين والمغول بعد اختلاطهم ، وبعد الجرح والتعديل فيها مزجها بأدابهم القومية أضفوا عليها جانب الرسمية والقانونية .

ولما أن أوضاع حياة عامة الأقوام المغولية والتركية كانت واحدة بسبب اتحادها في العنصر والجنس والحياة البدوية ، فقد اتخذت

مراسمهم شكلا واحدا بينهم جميعا على وجه التقريب، وقيل أن كان لطائفة من المغول عادة أو مرسوم لا تعلمها القبائل الأخرى ولا تجربها .

وبعد تغلب المغول على البلاد المتحضرة في الصين وإيران وإقامتهم في المدن تغيرت المراسم المغولية تغيرا عظيما ، ومع أن ظاهر الأمر يقتضى أن يتحكم هؤلاء المغول في آداب المتحضرين من البلاد المغولية ويتغلبوا عليها وكما أن سلاطينهم وأمراءهم حلوا محل الملوك والسلاطين والأباطرة المهزومين فلا بد أن تحل مراسمهم أيضا محل آداب هؤلاء المتحضرين أيضا إلا أن الأمر كان عكسيا وضار أبناء جنكيز بعده بنسليين محكومين بأحكام آداب الرعايا المغلوبين لهم تماما وأهملوا عقائد أجدادهم وقوانينهم ومراسمهم أى انتقم الوزراء والمستشارون من أرباب الفن والفضل الصينيين والایرانيين والأویغور المسيحيين المغلوبين بقوة السيف من المغول بقوة حضارتهم وفرضوا عليهم لغاتهم ومذاهبهم وأصول ادارتهم وأحكامهم .

حق أن مراسم المغول قد انغلبت بعد استيلائهم على البلاد المتحضرة لآداب هؤلاء المتحضرين لكن كثيرا منها ظلوا يترسومونه ويرعونه وهى التى لم تكن عندهم أسبابا لتركها ( كقبول مذاهب المغلوبين ) أو تلك التى كانوا يتبعونها بسبب تعلقهم بخانهم ( كالياسا الجنكيزية ) فاننتشرت في المغلوبين أيضا .

ونحن هنا سوف نشير الى طرف من مراسم المغول وآدابهم التى كانت شائعة أيام حكم أبناء جنكيز لايران ونترك شرح تأثير الآداب الإسلامية والإیرانية في المغول لموضع آخر .

كانت نظرية جنكيز خان الشخصية أن يحتفظ بطوائف المغول مطيعة له على نحو أن يتغلب البدو الصحراويون دائما على المتمدنين المستقرين ولهذا فلم يبالي بأى من آداب هؤلاء المتمدنين بل كان يحول بين المغول وبين إثارة الاستقرار بالمدن ولم يكن يؤثر نفسه الا العودة الى بلاد

أجداده الأصلية والبقاء على نفس تلك الحياة البدوية .

كان المغول يعيشون متسترين بالخيام كما هي عادة عامة البدو وكانوا يسمون انتجاعهم الشتوى والصفى بلغتهم المغولية ( يورت ) أو ( اردو ) (١) ، وبناء على عاداتهم هذه فقد ظلوا يختارون أماكن لمشتاتهم ومصيفهم حتى بعد سيطرتهم على البلاد الحضرية المتحضرة واحتياجهم للإقامة في العواصم والمدن ، فكانوا يتحركون الى هذه الأماكن بحشمتهم وخيولهم وأنعامهم شتاء وصيفا . وكانوا يرسلون رجالا يسمى الواحد منهم ( يورتجى ) أى المسئول عن الإقامة مسبقا لاختيار المكان المناسب للخان وحاشيته الى كل طرف فيعين المنازل المناسبة فينطلق الخان المغولى باتباعه وحشمه وأغنائه اليها ويقام له معسكر من بيوت الشعر واللباد ، كما ينزل أتباعه حول منزله تحت هذه المخيمات أو منازل مصنوعة من أفرع وأوراق الشجر وبعد أن ينتهى الفصل وقبل تحركهم من هذا المقام يشعلون النار في عامة لوازم الإقامة غير المنقولة كالمنازل الشجرية .

وكانت معسكرات المغول الشتوية والصفية في حكم المدينة الكبيرة ، فضلا عما كان فيها من المخيمات الكثيرة والمنازل المتعددة والأنفس المحتشدة ، فقد كان يصاحب الخان كل الطبقات من قبيل المنشئين أو كتاب الانشاء والقضاة ورؤساء الجيش والحرفيين والتجار ، ويقوم أهل الحرف والصناعات والتجار بتصريف منتجاتهم وبضاعتهم فيقضون كافة حوائج المعسكر .

وكان خانات المغول يبعثون الى الأمراء وذوى القرابة للتشاور في الأمور الهامة كانتخاب رئيس الأسرة والغزوات الهامة غالبا في مثل هذه المعسكرات عن طريق مبعوثين كانوا يسمون الواحد منهم ( ايلجى ) وكانوا يقولون لمثل هذه المجالس من الشورى باللغة المغولية ( قوريلتاى ) .

---

(١) استخدمت اللفظة الأولى في الفارسية بمعنى المنزل والبيت والسكن والثانية بمعنى الجيش والمعسكر .

وقد تعود المغول أن الابن الأصغر للخان قلما كان يغادر موطن  
أجداده الأصلي ولا يشارك أخوته في قسمة أملاك أبيهم وإنما يتملك بعد  
موت الخان أبيه ملك الأجداد ، فقد ورث تولى أصغر أبناء جنكيز بعد  
موته المناطق حول نهري كروهن وأنن ، وتضائل نصيبه هذا أمام ما أخذه  
كل واحد من أخوته وربما روعى في هذا التقسيم سن أولاد الخان •

وكان المغول يختارون الزوجات والمضاجعات ، تعود خاناتهم أن  
يتزوجوا بابنة أو أخت من غلبوه من الملوك والأمراء أو قتلوه منهم أو  
عقدوا تحالفا معهم وكان هذا دأب جنكيز خان فقد ذكر أن زوجاته  
وسرياته بلغن الخمسمائة •

ولما كان المغول يتزوجون بكثرة من النسوة ، فقد كان الأب يعطى  
في تقديم أبنائه وتأخيرهم الأولوية لأولاده من زوجته التي يؤثرها عن  
سائر زوجاته الأخريات ، فما حاز من بين أبناء جنكيز التسعة غير أربعة  
منهم وحسب الاعتبار والشوكة لأنهم أبناء (يسونجين بيكى) أكثر نساء  
الخان احتراماً وأعلان منزلة ، وبعد أن مات أبوهم أمسكوا بأزمة  
الأمور العظمى •

وقد تسمى كافة الأبناء والأقارب والأشخاص الذين ينحدرون من  
عشيرة واحد لأحد الخانات أو الأمراء المغول بالـ (أروغ) أما طائفته  
ورعاياه والمطيعون أمره فقد تسموا بدورهم بالـ (أولوس) (١) ، وعلى  
هذا فالمقصود من (أولوس الأربعة الجنكيزيين) جميع البلاد التي وقعت  
تحت إمرة أبناء جنكيز الأربعة من بعد موته وهم جوجى وجغتاي وأوكتاي  
وتولى •

ومن الأمور التي كان يوليها المغول أهمية تفوق الحد ويعتبرونها  
من أزم خاصيات حياتهم الصيد ، فكانوا إذا فرغوا من القتال أمضوا  
حياتهم فيه ، وتألفت لهم مراسم وقواعد في نظام الصيد وتفحص

---

(١) أولوس تعنى مجموعة الخيام (تاريخ بخارى ص ٣٠٠) •

المصيد واقتناص الحيوان والقنص الجماعى ، ذكرت فى بعض أجزاء  
الياسا .

شاع فى المغول بمناسبة جهلهم وعدم معاشرتهم لأهل الحضارة كثير  
من العقائد الخرافية فكان للشياطين والسحرة والسحر كبير أثر وبالغ  
نفوذ فى مجالى أحوالهم وحياتهم وكانوا يخشون السحر والسحرة خشية  
شديدة ، ومن ثبت عليه السحر عذبوه عذابا ألينا ، وتضمنت الياسا  
الجنكيزية أحكاما قاسية لهذه الطغمة .

وبعد أن اختلط المغول بالأويغور الذين اعتنقت طائفة منهم البوذية  
اتخذوا بعض علماء هذا الدين ، وكان يقال لأحدهم ( بخشى ) كتابا لهم ،  
فحثوا جماعة من المغول ناهيك عن تعليمهم الخط الأويغورى على اعتناق  
الوثنية البوذية وتقديس الشمس ، وغلب على رؤساء المغول وأمرائهم  
أن يستشيروهم فيما يتصل بالسحر والساحرين ، ولهذا اكتسبت كلمة  
بخشى عند المؤرخين القدامى معانى الوثنية والعالم بالسحر والساحر  
والمنشىء والكاتب .

ولم يكن لخانات المغول مراسم مفصلة كثيرة فى جلوسهم  
أو استقبالاتهم فى بداية أمرهم فلم يكن لهم أصلا بلاط أو علامة ، وكانت  
رسومهم فيما يختص بهذه الأمور ساذجة ومختصرة .

وبعد حثف جنكيز أحب كبار أسرته أن يرفعوا ابنه أوكتاي الى مقام  
الخان فتخيروا يوما مسعودا بإشارة المنجمين ثم رفعوا قلانسهم بناء على  
العادة المتبعة ، وأخذ جغتاي يمين أخى جنكيز وأمسك هذا بيسرى أوكتاي  
وأجلساه على العرش وقدم تولى له كأس خمر ثم ركع جميع الحاضرين  
ثلاث مرات احتراما له هنأوه بهذا المنصب . ولما انتت مراسم الجلوس ،  
خرج الخان الجديد أوكتاي وجميع الأمراء من المعسكر وخروا ركعا  
للشمس مرات ثلاث ثم جلسوا للشرب واللهو والتلذذ . وبعد انتهاء حفل  
السرور ، صنعوا صنوف الطعام لثلاثة أيام متوالية على رسم المغول فى

ذكرى روح جنكيز وأرسلوا أربعين ابنة رائعة الحسن من نسل الأمراء  
والنساء مزيّنات بأبهى الزينات ممطيات صهوات خيول ممتازة الى روح  
الخان موتا .

وحينما كان خان المغول يود أن ينزل أحدا منهم أعلى درجة لحبه  
كان يمد له يده بكأس من شراب العنب أو لبن الخيول المسمى عندهم  
( قميز ) ، فيأخذ هذا النازل منزلة الحب بكأس الرخمة واللفف ، ويخر  
راكما ويعبه في شربة واحدة . وكان رسم تناول هذا الكأس واعطائه من  
أهم مراسم المغول المعمول بها . وإذا ما عقد صلح وأصدر الطرفان  
قرارات شربوا الخمر بعد اذابة قدر من الذهب به أو قدموا المشروب في  
كؤوس من الذهب .

أما من أدى خدمات جليلة لسلطين المغول وأمدوهم وقت الشدة  
فكانوا ينزلون منهم منزلة اكرام خاص يسمى باصطلاحهم  
( سيور غاميشى ) ، اذ يعطون أراضى وأملاكاً ليتمتعوا بثمراتها . وإذا  
تنقل هذا النوع من الانعام الى أعقاب المنعم عليه ووارثيه سمي بالمغولية  
( سيور غال ) .

### النظام العسكرى والحكومى المغولى :

اختار جنكيز خان عددا من المغول حرسا خاصا له سمي الواحد  
منهم ( كشيكيجى ) أى الحارس كانوا ثمانين حارسا لحراسة الليل وسبعين  
لحراسة النهار .

وفضلا عن الحرس الخاص ألف جنكيز فرقة من صفوة المقاتلة  
عددها ألف وأطلق على كل منهم ( بهادر ) وتعنى البارز والشجاع وقد  
عدوا فى الحروب طلائع حرس الجيش .

وقد ضمت غالبية قادة جنكيز الحرس الخاص به ولما أنه يعرفهم  
حق المعرفة وبلاهم بالتكليفات الصعاب فترات وعلى هذا فقد تعهد بقبادة



فرقة جيشه قواد لم يدينوا بطاعة الا طاعة أمره وقد توغر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامر الخان طاعة عمياء وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها .

وقد بلغ من بين رجال جنكيز والمحيطين به أسمى المناصب أمراء أسرته الذين سمى الواحد منهم (نون) أو (نويان) ، وتلقب تولى بن جنكيز بلقب (ألغ نويان) أى الأمير الكبير .

أما أشرف الجيش فقد تلقب كل منهم بلقب (ترخان) وأعفوا من الضرائب وتملكوا الغنائم فى الحروب وكانوا يدخلون بلاط الخان بلا اذن أو اجازة منه ولهم فى الاحتفالات المنازل الخرية بهم يشرب كل منهم من يد الخان .

انقسم جيش جنكيز الى فرق قوام الواحدة عشرة آلاف جندى وسميت الواحدة (تومان) ، وانقسم كل تومان الى عشر جماعات كل منها ألف ، وانشعب كل ألف الى عشرة أقسام كل منها مائة ، وتفرعت كل مائة الى عشر مجموعات كل منها عشرة جنود .

واعتبر المغول جهة الجنوب أكبر الجهات قداسة فتوجهوا اليه عند اصطفاة جيوشهم وقسموا الجنود الى ميمنة وميسرة وقلب ودرج قائد الجيش أن يأخذ موقعه فى القلب .

وتعين على قواد التومانات والآلاف والمئات والعشرات أن يقابلوا جنكيز مرة كل عام فيتلقون عنه الأوامر ويتعلمون ما يصلح القتال . ولم يسمح لأحد الجنود من الألف أو المائة أو العشرة أن يترك فرقته لينقاد لقائد غير قائده ، وإذا فعل ذلك كان جزاؤه القتل وعوقب من سمح له بهذه النقلة عقاباً صارماً .

واحتفظ جنكيز بجنده فقراء محتاجين لكى يحرضهم على الغلبة ويلجأهم الى الفوز وكانوا يحملون فى وقت التحرك أسلحتهم ولوازم

حياتهم من البينق حتى الابرة ، واذا ضيع أحدهم شيئاً من ذلك واتضح هذا يوم عرض الجيش ، أو ما يسمى اليوم فرش المتاع ، عذب وعوقب بشدة .

وبجرى رسم مغول جنكيز حين الزحف أن يسبق لوازم الجيش المثقلة ومخيمات الغلمان والأطفال والنسوة الجيش بمسافة في أوقات الاطمئنان فإذا ما عن الخطر تأخر ذلك كله الى عقب الجيش حتى يطمئن الجنود أثناء هجومهم .

ولما اتسعت دائرة أملاك وممالك المغول وأخذ الجنود والسفراء والتجار يترددون ويختلفون أقام جنكيز على رؤوس الطرق منازل للقوافل وسميت ( يام ) وزودها بلوازم المسافرين والجيوش من المؤونة وعليق الخيل والمأكولات والمشروبات والحيوانات ويدفع نفقات ذلك التومانات ( لكل يام توماتان ) . وجهزت في هذه المنازل خيول البريد الحكومي المسمى بـ ( ألأغ ) لتوصيل السفراء وكانت هذه اليامات تفتش ويسد ما ينقص منها .

واذا ما كان جنكيز يود الاستيلاء على مدينة أو يدعو أميراً أو ملكاً لطاعته كان يدعو الى طاعته ( ايلي ) عن طريق الرسل فإذا لم يطع ثارا عاضيا ( ياغى ) ولزم الأمر حربه .

واذا وصل خان المغول الى بوابة المدينة التي يزعم الاستيلاء عليها ودعا أهلها الى طاعته فإذا خرج الى استقبله كبارها بالهدايا والتقدمات أو كما يصطلح المغول عليها بـ ( ترغو ) والترموا بمؤونة الجيش وبالقراج لا يتعرض جنكيز الى مدينتهم وعين عليها من قبله ( باسقاق ) أو شحنة وحاكما وأعطى أميرها المنقاد أمرا ( يرلينغ ) حتى لا يتعرض له أحد ، واحتوى هذا اليرلينغ على الـ ( تمغا ) أى خاتم الخان المسود الحبر أو بماء الذهب وقد سمي المسئول عن ختم هذه اليرلينغ ( تمغاچى ) .

واذا آثر أهل المدينة العصيان أو العداء صدر عليهم حكم قتل

نسائهم وأطفالهم وأقاربهم وخراب مدينتهم وقتل الناس جميعا ، وكان نظامهم في معاملتهم المهزومين أن يخرجوا الناس أولا عن المدينة ، ثم يفصلوا عنهم ذوى الحرف ويرسلونهم الى مدن التركستان والمغول ثم يختارون جماعة ( حشرا ) معهم كما رأينا ، ثم يضربون أعناق الباقين •  
 وإذا ما صار أحد العمال محل ظنة خان المغول كان يدعو الخان الى الترافع والدعوى وسميت هذه الدعوى ( يرغو ) وأطلق على قضاتها ( يرغوجى ) •

### تقسيم ممالك جنكيز :

كان من بين أبناء جنكيز السبعة (١) أربعة حازوا الاحترام وكان منظور نظر أبيهم ومدده في عظام الأمور وهم أبناء زوجته الأثيرة ( يسونجين بيكى ) جوجى أوتوشى وجغتائى وأوكتائى وتولوى أو تولى •  
 وقد تم تقسيم ممالك جنكيز بعد فتح الصين الشمالية وبلاد الكرائيت والنايمان والأويغور والتنقوت والقراخطائين والخوارزمشاهيين وذلك أيام حياة جنكيز على النحو التالى :

- ١ — الخطاى الصين الشمالية صارت نصيب أخى جنكيز •
- ٢ — من كاشغر حتى مدينة بلغار ( غازان الحالية فى روسيا المركزية ) أى الوادى الأعلى لسيحون وجيحون وخوارزم وصحراء القبجاق وروسية الجنوبية وسفوح جبال الأورال وسيبيريا الغربية صارت تتبع جوجى ، ولما مات خلفه ابنه باتوخان عليها •
- ٣ — تركت البلاد السابقة للقراخطائين وما وراء النهر لجغتائى •
- ٤ — وأصاب أصغر أبناء جنكيز وهو تولى البلاد الأصلية لأجداد المغول •
- ٥ — أما أوكتائى ولى عهد جنكيز فقد كان نصيبه أقل من غيره وانحصر فى نواحي جبال التارباكثائى وأطراف بحيرة آلاكول ووادى نهر ايميل فى غرب بلاد المغول •

---

(١) ذكر المؤلف أن مدد أبناء جنكيز تسعة منذ وقت قليل .

## الفصل الثالث

### سلطنة أخلاف جنكيز حتى أيام قيادة هولاكو

#### سلطنة السلطان جلال الدين المنكبرنى :

بعد أن أنجى السلطان جلال الدين نفسه من قبضة جنود جنكيز بشق النفس وعبر السند بقى مدة مع خمسة أو ستة من أتباعه فى الأدغال الواقعة شمال هذا النهر حتى اجتمع عليه عدد من الجنود ومن ثم أخذ يهاجم الهنود مستترا بجناح الظلام ويسلب أنعامهم ويغتتم سلاحهم فارتفع أمره ولحق به الفارون من الجيش الخوارزمى من هنا وهناك ، الى أن سمع المغول ثمانية بصيت شوكتة وقدرته فجمعوا جموعهم للقضاء عليه • ولم يطق جلال الدين مقاومتهم فكان يتفادى مواجهتهم فيم وجه شطر دهلى وجمع حشدا من الجند هاجم به السند وهزم أمراءه وكان أشهرهم ( شمس الدين التتمش ٦٠٧ — ٦٣٣ هـ ) من غلمان سلاطين الغور وقد أسس الأسرة الشمسية فى دهلى وغدا من بعد ذلك من أشهر سلاطين الهند •

ومع أن شمس الدين كان ظاهرا يداهن جلال الدين الا أنه فى باطنه كان يخشى قوته فجمع فى النهاية نحو ثلاثين ألفا أرسلهم لمنعه الا أن أحد قواد جلال الدين تمكن من تشتيتهم فلجأ شمس الدين الى الاعتذار واطهار المحبة • ولما سمع جلال الدين فى هذه الأثناء أن أخاه غياث الدين قد استولى على العراق وأن براق حاجب سيطر بدوره على كرمان وكان القواد فى هذه النواحي يميلون اليه غادر الهند وولى وجهه شطر ايران • وبلغ السلطان جلال الدين وأتباعه كرمان عن طريق مكران وهلك

منهم أثناء الطريق كثرة بسبب الجفاف وفساد الجو ولم يتبقى منهم حين بلوغهم كرمان في ( ٨٦٢١ هـ ) غير نحو أربعة آلاف .

كان براق التركي القراخطائي في بداية أمره حاجبا للكورخان المعاصر للسلطان محمد الخوارزمي ثم أتى بعد ذلك سفيرا من قبله الى السلطان الخوارزمي فلم يدعه السلطان يعود واستبقاه بخوارزم ، ولما سقطت الأسرة القراخطائية جعله خوارزم شاه حاجبا له وأعلى مقامه ومنزلته ولما انتهى أمر السلطان محمد ، علا أمر براق الحاجب في خدمة غياث الدين ولد السلطان حتى أقامه حاكما على كرمان من قبله حين زحف للسيطرة على العراق ، وتمكن براق من قلعة ( كواتنير ) أو كرمان الحالية واتخذ منها محلا لأقامته .

ولما ترك جلال الدين الهند الى كرمان بعث اليه براق الحاجب بهدايا كثيرة ودخل طاعته ومع أن جلال الدين شاهد منه أمارات النفاق والخيانة ودعاه جمع من الأمراء الى القبض عليه واستخلاص كرمان منه ، الا أنه لم ير الصلاح في دعوتهم ، وكان أيضا في عجلة من أمره فترك براقا في كرمان وتوجه الى شيزار .

وأرسل أتابك فارس سعد بن زنكي ، وكان غياث الدين قد أصابه بهزيمة وأصيب منه بالبغيضاء ، بسلغور شاه ابنه ليستقبل السلطان جلال الدين وتزوج السلطان بابنة الأتابك وتقدم الى أصفهان واستقبله قاضيها بحفاوة بالغة .

وحين أن سمع غياث الدين بقدوم أخيه واستيلائه أتى على رأس ثلاثين ألف فارس لمدافعته ، فأرسل جلال اليه سفيرا منعه من التحارب وأعاده الى الري والتقاتد غالبية قواد جيشه لأمر جلال الدين . وعين غياث الدين هذه الحال ففر من أمام أخيه فتمكن جلال من الري وأمن أخاه واستبقاه بخدمته على حال من الاحترام . لكنه بعد ذلك ارتكب خطأ فقد أمك في حالة من السكر أحد خاصة ندماء السلطان ، فجعل السلطان

يعاقبه فخافه وفر الى خوزستان ثم الى العراق ثم آب الى خوزستان وأرسل منها براقا الحاجب وقرر الاثنان أن يلتقيا في ( ابرقو ) \* وأتى غياث الدين كرمان ومع أن براقا كان تابعه ظاهرا لكنه كان يعد نفسه السيد عليه في حقيقة الأمر ويعمل في اضعاف أمره الى حد أنه حثه على أن يزوجه بأمه ، فاستأذن بعض أمراء براق المشمزين عليه لحركته هذه غياث الدين سرا أن يقتلوه ، لكنه لم يأذن لهم ، وعلم براق بما حدث فألقى بغياث الدين وأمه في ( ٦٢٥ هـ ) في الحبس واستقل من هذه الآونة بكرمان تماما \* وقد دخل براق وأولاده من بعده في طاعة المغول لذا فقد تأمروا نحو ثلاثة وثمانين عاما ( من ٦١٩ حتى ٧٠٣ هـ ) في كرمان وتسمى أسرهم بالقراخانيين أو بأسرة القتلغانية على لقب براق \*

### فتوحات السلطان جلال الدين : —

وبعد أن تفوق السلطان جلال الدين على أخيه دخل خوزستان وأمضى بها شتاء عام ( ٦٢١ هـ ) وقبل طاعته جماعة من الرؤساء اللوريين \*

وراسل السلطان الخليفة الناصر العباسي من خوزستان وطلب عونه لدفع المغول لكن الخليفة لم يجب طلبه لغضبه على السلطان تكش ومحمد خوارزم شاه واحتنته على الأسرة الخوارزمية \* بل أراد دفعه فأرسل أحد أمرائه بعشرين ألفا لمدايعته ودعا مظفر الدين الكوكبوري ( ٥٨٦ — ٦٣٠ هـ ) صاحب اربل لمده وقتال جلال الدين \*

وأتى السلطان جلال الدين العراق اثر تسخيره شوشتر وغلبته تابع الخليفة عليها وفتح البصرة وهزيمة جيش الخليفة ، وانكب جنوده يؤذون الناس ويغيرون على كل عامر لقلّة أسباب الحرب والملبوس والمركوب بأيديهم وانبعث في سائر العراق خوف منهم شديد ، وتقدم جلال الدين الى أن بلغ قرية (بعقوبا) على مسافة سبعة فراسخ من بغداد ، لكنه بدلا من أن يستصفي بغداد من وجود هذا الخليفة المخرض المحتال وينتقم منه للمصائب التي حلت عن طريقه بجده وأبيه

اتجه الى ( دقدقا ) وحاصرها وأخذها وسمع بها أن صاحب اربل مظفر الدين أت بجيش كبير ويفكر في مباغتته بالهجوم • فبادر السلطان وفاجأ مظفر الدين وأسره لكنه عامله باحترام وأعادته الى مملكته وعزم هو آذربايجان •

وكانت آذربايجان وأران كما رأينا في تاريخ الأتابكة في يد الأتابك أوزبك بن الأتابك محمد جهان بهلوان في ذلك الوقت ، وكان يقضى أيامه في الشرب والفسق وقد تزوج بابنة طغرل الثالث آخر الملوك السلاجقة العراقيين ولم يتصف بأدنى كفاية أو ادارة ولقى الرعايا كثيرا من الآلام من عماله وأرباب دولته ، فضلا عن أن خطر السيلاء الكفار الكرجيين الذي كان يتجدد أغلب الوقت قد سلب الراحة والأمن من رعية هذه الناحية كما حدث في (٦٢٢هـ) حينما هاجم الكرجيون شروان مرة وأران وآذربايجان مرة ثانية لكنهم على اثر مقاومة المسلمين الباسلة ودفاعهم الشجاع انقلبوا مغلوبين مهزومين •

وأخلى الأتابك أوزبك تبريز لما سمع بتحرك جلال الدين اليه وهرب الى كنجه وانتهت أمور بلاده الى يد الملكة زوجته • وسيطر السلطان جلال الدين في السابع عشر من رجب (٦٢٢هـ) على تبريز ومع أنه كان ينفر من أهلها ويعددهم شركاء المغول في قتل الجنود الخوارزميين وأرسل رؤوسهم الى العدو لكنه عفا عنهم وبعث الملكة زوجة الأتابك مع جماعة الى خوى باكرام ولم يتعرض الى ما في تصرفهم ، ثم عامل الرعية وأملاكهم معاملة حسنة وخطب فيها للخليفة ، وأخذ يجمع الجند لضرب كفار الكرج •

لكن هذا الحال لم يدم فبينما كان جلال الدين يقاتل الكرجيين قام بعض رؤساء تبريز وقاطنيتها منحازين للأتابك ، فأغلظ جلال الدين لمخالفيه شديد الغلظة بعد أن عاد وبنى بزوجة الأتابك ومات الأتابك أسي وحسرة لذلك •

وفي (٦٢٢هـ) حمل جلال الدين بجيش جرار على الطرف الجنوبي  
لبحيرة سوان (كوكجة الحالية) واستعاد مدينة تووين أو دووين إحدى  
البلاد الإسلامية قرب إيروان الحالية وكان الكرجيون قد استلبوها من  
المسلمين سابقا ، ثم آب إلى تبريز للقضاء على ثورة أهلها .

وحينما كان جلال الدين في تبريز عمل الكرجيون على إزالة ما لحق  
بهم من هزيمة على يده فجمعوا قوى جديدة من اللان واللزجين والقبجاق  
وهاجموا جيش جلال الدين والبلاد التي سيطر عليها فحمل جلال الدين  
بجيش عظيم عليهم وأمر أن لا يدعوا واحدا منهم حيا وألا يرحم منهم  
واحد ففعل المسلمون ذلك وتقدموا حتى تغلبت عاصمة الكرجيين ومقر  
ملكهم سافكين قاتلين .

ولم تكن الملكة تطيق المقاومة فخرجت عن تغلبت في الثامن من ربيع  
الأول (٦٢٣هـ) وأعمل السيف في سكان هذه المدينة وكانت تغص بهم ولم  
يبق على أحد منهم غير من دخل السلام . واسترق جنود جلال الدين  
النساء والأطفال وباعوهم لتجار العبيد وقتلوا الرجال ومدوا نطاق  
قتلهم وغارتهم إلى جميع المدن المسيحية جنوب تغلبت وقد أنزلوا بها  
ما كان ينزل المغول بالبلاد التي هاجموها .

وأثناء ما كان جلال الدين مشغولا بتعقب الكرجيين في بلادهم وصله  
عصيان براق الحاجب في كرمان وانتهازه مغيب السلطان للاستيلاء على  
العراق فضلا عن أنه راسل المغول وخوفهم كثرة عساكر جلال الدين  
وقوته .

وكان السلطان ينتوي غزو أرمينية والاستيلاء على قلعة خلاط  
(أخلاط) لكنه عجل مسرعا ومعه ثلاثمائة فارس من تغلبت فوصل كرمان  
بعد سبعة عشر يوما . ولما سمع براق بقدومه المفاجيء أخذ يبدى اعتذاره  
فعفا عنه وأبقاه بحكومة كرمان وتوجه إلى أصفهان . ولم يكذ السلطان  
يستريح من تعب السفر في هذه المدينة حتى وصلت مسامعه أنباء اجتماع



الكرجيين ومهاجمة عساكر صاحب خلاط لعسكره فأجبر على العودة الى الكرج وأرمنية فبلغ في رمضان (٦٢٣هـ) من العراق تفليس ، وبعد مدة من القتال والنزال فيها ، زحف منها الى حدود بحيرة وان قاصدا خلاط التي كانت تحت امرة أحد الملوك الأيوبيين من أبناء أخى السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ولم يتيسر لجلال الدين فتح خلاط في هذا السفر لاستبسال صاحبها في الدفاع عنها وصعبت برودة الشتاء الأمر أيضا عليه ، لذلك ترك في الثالث والعشرين من ذى الحجة (٦٢٣هـ) فتحها وكر راجعا الى آذربايجان . ولما رأى جلال الدين تعب جيشه من الحرب أمرهم أن يقضوا الشتاء في المراتع الصيفية للاستراحة واطعام دوابهم على أن يتأهبوا للمحملة على أخلاط في ربيع عام (٦٢٤هـ) .

وفي هذه الأثناء دعا الكرجيون المحصورون في مدينتي آنى وقارمس مسلمي تفليس الذين ذاقوا الشيء الكثير من جور الخوارميين وظلمهم أن يهاجموا تفليس وكانت بغير مدافع ، وبعد قتل أتباع جلال الدين بها واشتعال النار بها خلصوها وأخرجوها عن تملكه ، ولما آب اليها جلال الدين لم يجد من أتباعه أحدا فامتنع عن تعقب الكرجيين . وفي نفس العام (٦٢٤هـ) قتل الاسماعيلية أحد أمراء جلال الدين الكبار الذى استقطع كنجة له واشتهر خلافا للسلطان بالرأفة والعدل والكرم ، فاستولى الغضب على جلال الدين وهاجم بلادهم وسيطر على كثير من أملاكهم في الموت وقومس وأكثر فيها القتل والغارة وكان مشغولا بهما حين وصله خبر وصول جنود المغول الى الدامغان . وتقدم السلطان لدفعهم وكانوا قلة فغلّبهم فاسترق بعضهم وتعقب آخرين وعاد الى آذربايجان .

**حرب جلال الدين للمغول بالقرب من أصفهان في رمضان (٦٢٥هـ) :**

ولما عاد جلال الدين الى آذربايجان أخبر أن عددا كبيرا من المغول

تحرك الى العراق بقيادة خمسة نفر من قوادهم ، فأتى جلال الدين العراق من تبريز ، وأبقى نحو أربعة آلاف من جنده ما بين السرى والدامغان للاطلاع على أحوال المهاجمين المغول وذهب هو الى أصفهان وجعل منها مركز جيشه بسبب تجمع أتباعه وتهيؤ أسباب القتال فيها فأقام بها وكان المغول قد بلغوا حوالى هذه المدينة أيضا في هذا الوقت •

وما أن رأى وحشيو المغول توقف جلال الدين عن خروجه من المدينة ظنوا ذلك خوفا منه فأرسلوا من بينهم ألفى نفر الى المناطق حول لرستان لجمع المؤونة والغنائم ولكى يطمئن بالهم بشأن السؤن وهم يحاصرون المدينة • فأرسل جلال الدين لفوره ثلاثة آلاف مقاتل خلف هذه القوة فحاصروا المغول في مضائق الجبال ومعابرها وأسروا منهم نحو أربعمئة وأتوا بهم الى المدينة فأعطى جلال الدين بعضهم الى قاضى أصفهان ورئيسها فقتلهم وجعلوا من أجسادهم طعمة للكلاب والنسور •

وفي الثانى والعشرين من رمضان ( ٦٢٥هـ ) صف جلال الدين صفوفه لقتال المغول ، فجعل ميمنة جيشه لأخيه السلطان غياث الدين وقاد هو القلب ، ولم يكد أمر القتال يستقيم حتى ولى أخوه غياث الدين وأحد أمراء السلطان دبريهما مع فئة من العسكر فارين فأنزلوا بغيانتهم هزيمة عظيمة على جلال الدين ، ومع هذا لم يكف جلال الدين عن القتال ووقعت بينه وبين المغول حرب عظيمة واشتد هولها واختلط الحابل فيها بالنابل حدا جعل نتيجتها غير معلومة فترة ، وألحق الجناح الأيمن لجنود جلال الدين الهزيمة بميسرة جيش المغول وركبوا أكتافهم حتى كاشان ، لكن ميمنة المغول على النقيض من ذلك وكان جنودها كامنين أنزلوا بميسرة السلطان الهزيمة ، وبقي السلطان وكان فى القلب ويجهل أحوال جناحى جيشه وحيدا ووقع موقع حملات العدو ، فاستبسل فى قتالهـم قتل الفر حتى نجا بنفسه منهم وهرب الى لرستان وهلك قلب جيشه وميسرته وقتل فى هذه الواقعة أكثر أمراءه وقواده الشجعان وفر من بقى من

السيث منهم الى فارس وكرمان واذربايجان • وبعد يومين عادت ميمنة السلطان من كاشان الى أصفهان ظنا منها أن القسمين الآخرين من جيشه في أصفهان ، لكنهم ما أن عرفوا بحالة السلطان وجنوده الأليمة حتى تفرقوا وتواروا في الأطراف والأكناف ، ووقع أهل أصفهان وكانوا حتى هذا الأوان بمنجى من الغارة المغول في اضطراب وقلق عظيمين بسبب اقتراب المغول وجهلهم أحوال السلطان ولم يعرف أحد ماذا حدث للسلطان وماذا كان هدف المغول بعد أن تغلبوا عليه •

أما المغول فقد رأوا أهوالا كبيرة وكانوا فريسة خسائر عظيمة فعادوا بعد أيام ثلاثة متعجلين الى الري وخراسان وعبروا جيحون على حال من الاضطراب وعادوا الى معسكرهم الأول • وظل أهل أصفهان جاهلين مصير السلطان ثلثماية أيام وكان أغلب تصورهم أنه قتل في الحرب الى أن ورد بعد هذه المدة جلال الدين أصفهان فاحتفل أهلها ببشرى وروده وأقاموا مجالس السرور •

ومكث جلال الدين بضعة أيام بأصفهان واجتمع عليه الفارون من جنده من كل مكان وأمر السلطان الذى غضب لثساها ل أغلب قواده في المحرب أن يلبس من أظهر الوهن في قتاله ملابس النساء ويطاف بهم في محلات المدينة • أما من أظهر على خلافهم التضحية والثبات والدفاع فقد خلع عليه ولقب أغلبهم بالقباب الخائنة والملكية والفخرية ثم خف الى تعقب المغول الى الري •

أما غياث الدين الذى كان مثسقا من أخيه لقتله أحد خواصه وهرب من القتال لهذا السبب ذهب من أصفهان بعد فراره الى خوزستان ولما لم يستطع البقاء بها لاذ أولا بصاحب الموت ثم سلك بعد ذلك طريقه الى كرمان ، ثم قتله براق الحاجب بها في نفس الحام على نحو ما سبق •

وأتى جلال الدين الى آذربايجان بعد أن أصلح أمره وغلب العصاة الذين أفادوا من غيبته وأعلنوا عصيانهم بهذا البلد • وكان الكرجيون قد

تأهبوا للانتقام بجيش كثيف فحمل عليهم متجاسرا وسيطر ثانية على تفليس وغنم ما بها ثم توجه الى فتح أخلاط ، وفي أوائل شوال (٦٢٦هـ) ضرب حصاره عليها ، وأثناء ذلك أنفذ السلطان علاء الدين كيقيباد السلجوقي سلطان بلاد الروم الى جلال الدين سفراء ليفتتح باب العلاقات الودية ، الا أن السلطان لم يجب طلبه مغترا بل هدد علاء الدين بالهجوم على بلاده . وقد جعل هذا علاء الدين يدخل في تحالف مع ملك أرمنية الأيوبي على جلال الدين وقرر طرده ومنعه .

وبعد عشرة شهور استطاع أخيرا جلال الدين أن يستولى على مدينة أخلاط التي كانت من ممتلكات السلطان الأيوبي لأرمنية ، لكنه بعد قليل اثبتك مع السلطان علاء الدين كيقيباد والجنود الأيوبيين وفي رمضان (٦٢٧هـ) أصيب بالهزيمة منهم في (ياسى جمن) من مناطق أرزنجان ففر الى خوى ، ولما سمع أن المغول قاصدوه وآتون الى آذربايجان لجأ الى الرضا بصلح أعدائه ، وقر السلام بينه وبين علاء الدين و السلطان أرمنية الأيوبي .

### سلطنة أوكتاى قا آن

(٦٢٦ - ٦٣٩هـ)

آثر جنكيز خان كما مر قبل وهو حى أوكتاى ابنه الثالث لخلافته ، وارضى سائر أبنائه وكبار المغول تبعية أو امره ودانوا له من بعد موت جنكيز بالطاعة ، ولكى يأخذ انتصابه في مقام الخانية صورته الرسمية عقد اجتماعا بعد عامين ونصف من موت جنكيز أى في ربيع عام (٦٢٦هـ) على ضفاف نهر كرو لن ونتج عن هذا القوريلتاي العظيم اختيار أوكتاى لمقام الخانية وأصبح ( أوكتاى قا آن ) خليفة أبيه .

وفي القوريلتاي الذى انتبى باختيار أوكتاى للسلطنة صمم أمراء المغول وقوادهم أن يسيروا جيوشين لإنهاء عمليات فتح عهد جنكيز وفتح

البلاد غير المفتوحة أحدهما إلى بلاد الخطا أو الصين الشمالية والثاني إلى إيران للقضاء على السلطان جلال الدين وفتح آذربايجان وبلاد الكرد .

وقد جعلت قيادة الجيش الثاني لمن سمي باسم جرماغون نويان فأثنى التركستان بخمسين ألفا وعدد من قواد الجيش ووصله مدد خوانين خوارزم وحكامها المغول وحشر خراسان أيضا فوصل إيران ومعه نحو مائة ألف وبلغ العراق عن طريق السرايين والرى .

### انتهاء أمر السلطان جلال الدين في (٦٢٨هـ) :-

كان السلطان جلال الدين في هذا الوقت في خوى وكان يظن أن المغول سوف يقضون الشتاء بالعراق فترك خوى إلى تبريز وأرسل جيشه لتمضية الشتاء بصحراء موقان (موغان) ، لكن لم يطل الأمر حتى وصل خبر بلوغ طلائع المغول زنجان ، فتحرك جلال الدين متعجلا إلى موقان بعد أن يأس من معونة الخليفة وعلاء الدين كيقيباد والسلطان الأيوبي لدفع المغول لكي يجمع من تفرق من جنوده لكن المغول كانوا أسبق إذ وصلت أعداد منهم إليه بموغان وهاجموا خيمته ليلا لكنهم فشلوا في أن يمسكوا به فسلم من المعركة ولأذ بالفرار إلى نهر أرس وتفرق جنده جميعا .

وبعد أن أمضى السلطان شتاء عام (٦٢٨هـ) في ماهان (أورمية) سمع أن المغول عبروا جمن أوجان وفي طريقهم إلى تعقبه فأجبر على التحرك من ماهان ووصول كتبه . وفي كنجة قام بتأديب جماعة من أهلها كانوا قد قاموا أثياغا للمغول وقتلوا بعضا من الرجال والعسكر الخوارزميين وأرسلوا برؤوسهم إلى المغول ، ثم قصد أخلاطا وديار بكر ليستمد سلاطين الشام والجزيرة لكن المغول تقاطروا على رأسه بفتة على مقربة من ديار بكر وقتلوا أغلب أصحابه ، أما هو فقد هرب مرة أخرى سالما من الميدان واتجه نحو ميا فارقين ، وفي الجبال المحيطة بهذه المدينة قتلتة

جماعة من الأكراد في نصف شوال (٥٦٢٨) •

وبعد أن تأكدت حادثة قتل جلال الدين أرسل صاحب مدينة آمد (دياربكر) الى الجبال التي قتل فيها السلطان من أتى بفروسه وسلاحه ووثيابه كما جمع عظام هذا السلطان النعس ودفنها في أحد الأماكن •

وظل الناس نحو ثلاثين عاما بعد قتل جلال الدين المنكرنى يمتقدون أنه لا يزال حيا لأنهم لم يحيطوا علما مؤكدا عن كيفير موته ، وكان أحد الناس يخرج كل يوم وقرول انه السلطان فيسعد الناس ببشرى ظهوره ويفزع المغول • ونقل أساطير في شأنه ، ولم يشأ أحد أن يصدق موت هذا الرجل الشجاع الذي لم يسترح دقيقة طوال مدة حياته وكان كل أيامه في أحد الأماكن في مناطق ايران والعراق والجزيرة وبلاد الكرج الواسعة وكان يعد ندا قريبا لكفار المغول والكرجيين •

### هجوم المغول الثاني على البلاد الإسلامية : -

قام الجيش الذي توجه بعد قوريلتاي عام (٥٦٢٦) بقيادة جرماغون وبأمر أوكتاي الى ايران ولتعقب السلطان جلال الدين المنكرنى ، فضلا عن القضاء على هذا السلطان بتسخير البلاد التي لم يكن المغول قد فتحوها آنذاك مثل غزنين وكابل والسند وزابلستان وطبرستان وجيلان وأران وأذربايجان والجزيرة وغيرها • وفي هذه المرة الثانية مع أن غزو المغول لم يكن بأهميته في المرة الأولى لكنه بسبب عدم ظهور من يقف أمام سيل هجومهم وكان الناس ضعافا من كل جانب وفريسة الرعب والوحشة الزائدين عن كل حد ، فلم تكن سرعة تقدم المغول أقل منها في المرة الأولى ، ولم يخف القتل والنهب والتخريب الذي حدث عما كان عهد جنكيز وأبنائه كثيرا خاصة وقد تخلص المغول من شر ندد خطير مثل جلال الدين واطمأن بالهم فأخذوا ينهبون ويسلبون بغير مانع في أذربايجان وأران وأرمينية والكرجستان والجزيرة والعراق وأحالوا هذه المناطق التي كانت تحيا في عجز وعذاب بسبب صراع الأمراء وتنافسهم

في السنين المتأخرة أحدهم مع الآخر وهجمات جلال الدين ومظالمه هو وعمله ، أحالها المغول مرة واحدة الى مقتل ومغار ومنهب ، وتقدموا حتى حوالى بغداد وداخل الأناضول •

انشعب جنود المغول بعد قتل جلال الدين ثلاث شعب اتجهت الأولى الى التسخير والاغارة على بلاد ديار بكر وأرض روم ( أرزنة الروم ) وميافارقيين وماردين ونصيبين والموصل وتقدمت حتى ساحل الفرات • وقد قامت هذه الشعبة في حملتها هذه بتخريب وقتل جعل الناس لا يطيق مقاومة للمغول أو حتى مجرد سماع اسمهم ، وقد حل الفرع منهم في قلوبهم الى حد أنه لو قلنسوة مغولية كما يذكر أحد المؤرخين سقطت بين ألف فارس مقاتل خوارزمي لتفرق جمعهم ، وكان هذا هو حال المقاتلين فماذا كان حال العامة العاجزة عن الحرب التي لم تجرب منها شيئاً ١٩ •

واتجهت الشعبة الثانية من جنود التتر الى مدينة بثليس (بدليس) وبعد أن أخرجوا هذه المدينة استولوا على بعض القلاع على حدود أخلاط وغيرها وقتلوا أهالي هذه النواحي بالجملة • وسيطرت الشعبة الثالثة في أواخر عام (٦٢٨هـ) على مراغة ثم أتت اربل عن طريق آذربايجان وقتلوا من الناس مقتلة عظمى ، ولما لم يقع لأعد خبر عن مصير جلال الدين فقد مكثوا في هذه الناحية وبآذربايجان • ثم تحركت في أوائل (٦٢٩هـ) لأخذ تبريز عاصمة آذربايجان ونجت المدينة من القتل العام والتخريب بسبب استسلام أهلها لهم •

وبعد أن قلب المغول آذربايجان وجيلان والولايات الأخرى التي كانت تتعلق بجلال الدين رأساً على عقب تحركوا الى صحراء موغان لقضاء الشتاء ثم زحفوا في العام التالي لتخريب أرمينية والكرجستان والجزيرة وبلاد الروم • وفي هذا التحرك سخر المغول كنجة من ناحية ودخلوا أرمينية ، ثم عبروا من ناحية أخرى في (٦٣٣هـ) اربل ونيوى وفي

عام (٦٣٤هـ) انقلبوا الى بغداد ووصلوا حتى السامرة • ونادى الخليفة وعلماء بغداد بالجهاد ، فهزم المسلمون المغول على مقربة من تكريت ما بين نهر دجلة وجبل حميرين وخلصوا من قبضتهم نحو خمسة عشر ألف أسير من مدينتي الربل ودقوقا ، وأحكمت بغداد ، ولكن ما ان عاد المغول في آخر عام (٦٣٤هـ) الى بغداد ثانية حتى أصابوا المسلمين بالهزيمة في خانقين وقتلوا منهم خلقا كثيرا وعادت بقية المسلمين منهزمة الى بغداد •

وفي الغزو الثانوي في شرق ايران وجنوبها الشرقي أى سيستان وغزنين وكابل وحدود السند قام المغول بالهجوم النهب وجعلوا من مناطقها غير فارس وكرمان اللتين كان أمراؤهما أى الأتابكة السلغوريون والقرطباطيون يدفعون الجزية لهم ملعبا لقتلهم وغارتهم •

ولم ينته النزاع بين سلاطين الشام ومصر والجزيرة وبلاد الروم مع وجود أخطار حملة المغول الداهمة بل كان أحد هؤلاء السلاطين الغافلين المحبين لمصلحتهم وحسب يقصد حياة الآخر من أجل التصرف في مدينة أو قلعة وفي كل حملة كانت الرعية البريئة في بلادهم توطأ بالأقدام والسفك ، ولم يكن للخليفة العباسي ببغداد النفوذ ولا الاهتمام اللذان يمكنهما من القضاء على صراعاتهم الداخلية ويجمع قوى ذلك الجمع المشتت للاجهاز على المغول في المعابر الخطرة بين أرمنية وبلاد الأكراد والشام •

وفي عام (٦٣٧هـ) ظهر قواد المغول بجيش جرار مرة أخرى أمام أبواب أرمنية لكنهم فشلوا في الاستيلاء على بلاد الروم أو الأناضول بسبب سيطرة جنود غياث الدين كيخسرو ولد علاء الدين كيقيباد وخلفه على معابر أرمنية الجبلية •

عزل جرماغرن من قيادة جيش المغول عام (٦٣٩هـ) بسبب أصابته بالفالج وشغل مكانه بابجونويان ، وهاجم هذا القائد الجديد في نفس العام بجيش بلغ ثلاثين ألفا وبعده من العرادات والمنجنيقات ارضروم



وكانت من بلاد غياث الدين كيخسرو (١) ، ففتحت قلعتها وقتل كثيرا من أهلها واسترق بعضهم . وفي العام التالي تقدم غياث الدين لاييقاف هجوم المغول بجيش كبير من المسلمين والأرمن والعرب والكرجيين عن طريق البر وبيع بعض السفن عن طريق البحر الى أرمنية وواجه المغول قسرب أرزنجان . ومع أنه كان مفتصرا في بداية الحرب الا أن الهزيمة حاقت به في نهايتها ففر الى أنقورة ( التكرية ) .

وسيطر المغول على سيواس وقيسارية ( قيصرية ) وأعملوا بهما الذهب والغار . وفي النهاية عندما تحقق كيخسرو أنه لن يدألى المغول ارسل لهم رسولا وقبل أن يؤدى لخان المغول كل سنة جزية نقدية وعينية وأن يكون تابعا له ، وكان قبوله تبعية المغول في حكم انتهاء استقلال سلاجقة الروم وانضمام بقية البلاد السلجوقية الى أملاك قاآن المغول .

استولى أوكتاى قاآن في (٦٣١هـ) على الصين الشمالية وترك حكمها الى مستشار أبيه المسلم محمود يلواج وأتاب أيضا ابنه مسعود بيك في ادارة بلاد الأويغور والختن وكاشغر وما وراء النهر حتى ضفاف جيحون ، وقام الأب والابن بتعمير التخريب الذى حدث واصلاح أحوال الرعية وادارة تلك البلاد فوضعا بحسن تدبيرهما وعدلها مرهما على كثير من جرورح أيام سيطرة المغول . وأمر أوكتاى قاآن بعد عودته من الصين بناء على قوريلتاى جديد

---

(١) يقصد المؤلف به غياث الدين كيخسرو والثانى ولد علاء الدين كيخسرو ، وكان غياث الدين كيخسرو هذا آخر سلطان سلجوقى قام بفتوحات في شرق الأناضول وبدأ أنه سيقوى من نفوذه لولا أن المغول هاجموا بلاده وهزمه بالقرب من الجبل الأقرع ( كوسه طاغ ) عام ٦٤١هـ / ١٢٤٣م ووقع الأناضول تحت قبضتهم ، ولم يبق للسلطان السلجوقى بعد عقد الصلح الذى نص فيه على جزية سنوية باهظة الا سلطة نظرية ، وكان أمراء السلاجقة يتولون الحكم لمرادى ومثانى او أكثر يرالخ ( جمع عربى لكلمة يرليغ المغولية بمعنى الفرمان والأمر ) من حكام المغول . انظر قيام الدولة العثمانية . محمد مؤاد كوبريلى ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ( مصر / ١٩٦٧ ) ص ٥٦ - ٧ ، وأيضا : The Cambridge history of Islam, (London 1970) P. 249.

( باتو ) ولد جوجى خان و ( كيوك ) ابنه و ( منكو ) ( ١ ) ولد جغتاي بالسيطرة على بلاد الروس والشركس والبلغار وأرسل تحت قيادتهم جيشا ضخما صوب أوروبا الشرقية . وكانت الرئاسة العامة في هذا الغزو لمباتو خان ملك صحراء القبجاق وان كان زمام الحرب في الحقيقة بيد سبكتاي القائد المشهور المغولى . وقد تمكن هذا الجيش البالغ مائتو خمسين ألفا في ( ٦٣٥ هـ ) من جميع المنطقة بين جبال أورال وشبه جزيرة القرم وكانت مسكنا للباشقرد والبلغار وهزم في السهول حول الغولجا أمراء الأسلاف وروسية وأشعل النيران ببلى فلاديمير ومسكو ثم انقلب الى مملكة أوكرانيا فقلبها رأسا على عقب واستحوذ في ( ٦٣٨ هـ ) على كييف عاصمتها وبهذا دخلت كل روسيا تحت سطوة المغول وظلت روسية من هذا الوقت حتى قرنين ونصف قرن ( ٦٣٦ - ٨٨٦ هـ ) تحت تسلط المغول محكومة بحكمهم وادارتهم .

وبعد فتح روسيا انقسم جيش المغول قسمين سلك أولهما طريق بولونيا ( بولنדה ) وسلك الثانى طريقه الى المجر ، وتطلب القسم الأول في ( ٦٣٩ هـ ) على الحلف الألمانى والبولندى وضبط مدينة برسلو وتقدم حتى برلين الحالية ومملكة ساكسونيا . أما القسم الثانى فقد هزم المجرىين في نفس ذلك الوقت واستولى على عاصمتهم ( بست ) وتقدم حتى ما يقرب من فيينا من ناحية وسواحل بحر الأدرياتيك من ناحية أخرى ، وبما أن المجرىين أو الهنغارىين كانوا يشتركون مع المغول في الأصل فقد أخلى المغول بلادهم وقلعوا بتبعيتهم الاسمية ( ١ ) . وحين ذاك

---

( ١ ) معناه في الأويغورية الخالد وهو مركب من ( ملك ) أى السماء ثم الصفه ( كى ) أى الباقي ( هامبرى ج ٢ ص ١٨٩ ) .

( ١ ) كان قائد القسم المغولى الموجه الى بولندا هو بايدين جغتاي الذى تغلب على جيوش بولندا وحلفائهم الفرسان القوتون الفازلين على ساحل بحر البلطيق بقيادة دوق سيليزيا في ١٩ أبريل ( ١٢٤٠ م ) ، غير أن بايدين لم يجرؤ على المخي نهر الغرب أبعد من ذلك . وفي تلك الاثناء مضى باتو وسبوتاي قائدا القسم الثانى المغولى الى بلاد المجر وقاد ببلا ملك المجر جيشه للقتال غير أنه حلت به هزيمة ساحقة عند جسر موهى على نهر سابو

جاءت الأخبار الى أوربا بموت أوكتاي فاستدعى سببتاي وباتو لعقد  
قوريلتاي انتخاب خان جديد الى آسيا وعاد المغول الى أوربا ولم تتم  
خطة الاستيلاء على ألمانيا وأوربا الغربية وظلت هذه المناطق بمنجى من  
أضرار المغول .

### موت أوكتاي قآن في ٦٣٩ هـ :

قضى أوكتاي قآن طول السبعة الأعوام التي كان جيشه العظيم  
منكبها فيها على فتح أوربا في اللهو واللعب والشراب ، ولما كان سليم  
النفس ، هادئ الطبع فقد عمل على تعمير البلاد وإشاعة العدل  
والإحسان والفتوة ورمم كثرة من خرائب عهد أبيه .

ومع أن المغول حتى هذا العهد لم يتقيدوا بالاقامة في نقطة ثابتة  
ولم يكن لهم مكان دائم أو محل معين للاستقرار به - وأصل كلمة  
( مغول ) كان مرادفا بالتجوال في الصحراء والتخريب - إلا أن أوكتاي

---

فتدفق المغول على بلاد المجر ونفذوا الى كروانيا وواصلوا زحفهم حتى بلغوا  
سواحل بحر الأدرياتيک وأقام باتو بضعة شهور في بلاد المجر . ولما قدمت  
أخبار موت أوكتاي في قراقورم في الحادي عشر من ديسمبر ( ١٢٤١ م ) الموافق  
( ٦٣٩ هـ ) عاد المغول وقد جمعوا أكياسا مملوها بأذان ضحاياهم وقتلهم من  
بولندا وحدها فبلغ مجموع ما جمعوه مليون أذن ومائتين وسبعين ألفا أخذوها  
معهم دليلا على بأسهم . انظر في ذلك : تاريخ الأدب في إيران لبراون  
ص ٥٧٣ ، وتاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمن ج ٣ ، بيروت  
( ١٩٦٩ م ) ص ٣٤ ، المغول في التاريخ د. غزاد الصياد ( مصر ١٩٦٠ )  
ص ١٢٠ .

ومن نتائج غزو المغول لأوربا أنه وجه الغرب الى الاستعانة بهؤلاء  
المغربين لتحطيم المسلمين وتحسين أوضاع الصليبيين . يقول سايكس ( أن  
غزو المغول لأوربا وما أحدثوه من دمار رهيب في بولندا والمجر قد أثار رعبا  
عظيما في جميع أنحاء أوربا وعندما تبين لهم أنهم سوف يحاولون الهجوم على  
أوربا الغربية فإن هذا الخوف الذي ألهموه أوربا بدأ يحمل في ثناياه أمل تحطيم  
الاسلام وأخذت تنتشر الإشاعات أن بين الفزاة الجدد قبائل مسيحية )  
انظر :

Sykes, History of Persia (Oxford, 1922), Vol. II P. 92.

قآآن على أثر معاشرته أصحاب المدينة من الصينيين والأويغور واليرانيين  
تعلق بالتعمير والتشييد فأمر المهندسين والمعماريين الصينيين في ( ٥٦٣١ هـ )  
فأقاموا له في ( أردو باليغ ) في شمال بلاد المغول وسفوح جبال قراقورم  
في مكان الحدى أطلال المدن التي خربت عهد تسلط الأويغور مدينة جديدة  
بنفس اسم أردو باليغ ، ثم سميت بعد ذلك بقراقورم بسبب قربها من  
جبال قراقورم وجعل منها قصبة له ، وبنى كل من اخوته وأبنائه والأمراء  
الآخرين في هذه المدينة قصرا له .

وقد شغل أوكتاي قآآن في مدة إقامته ببلاد المغول بمعسكرات  
الشتاء والصيف والقنص واللهو والسرور وكلف بالشرب والخمر الى حد  
الافراط وكان يقضي يومه تقريبا في معاقرة الشراب ، وأخذ الشراب  
يضعف من قوته وصحته يوما بعد يوم الى أن لقي حتفه بسببه في السنة  
الثالثة عشرة من سلطنته أي في عام ( ٥٦٣٩ هـ ) .

وأوكتاي قآآن معروف في مشرق الأرض بكرمه وجوده وفتوته  
وعظائه وقد ذاع عنه قصص كثيرة عن جوده ولهذا فقد لقب بـ ( حاتم  
آخر الزمان ) ( ٢ ) ، كما اشتهر على النقيض من أخيه جغتاي بالعدل وحب  
المرعية والرفق بالمسلمين ، وقد عرف بحمايته للمسلمين على رغم أنف  
أخيه ( ٣ ) الى حد أن البعض قال ان أوكتاي كان ييطن الاسلام .

---

( ٢ ) كان يمكن أن يطلق عليه معاصروه ( حاتم الزمان ) وليس آخر  
الزمان لولا ان الناس على عهده كانوا يعتقدون ان المغول هم ياجوج وماجوج  
الذين ذكر القرآن الكريم ظهورهم قبيل قيام الساعة ، لكن التاريخ كذب  
معتقدهم فقد اتحف البشرية بأقوام غلاظ الأكباد من المخربين والمستعمرين  
والتاجرين بدماء الشعوب الناهبين ثرواتهم بعد ذلك فاقوا ياجوج وماجوج  
الذين حجزهم ذو القرنين بسده . انظر من القرآن الكريم آخر سورة الكهف .  
( ٣ ) لعل هذا يرد على الأوربيين القائلين ان المسلمين بآسيا الوسطى  
أطلقوا على لهجتهم القومية اسم ( جغتاي ) لفرط حبهم لابن جنكيز ولم يكن  
بين الطرفين أدنى حب وقد وقع شامبرى في نفس الخطأ ورده في الحاشية ( ١ )  
من ص ( ١٨٤ ) من كتابه ( تاريخ بخارى ) .

## سلطنة كيوك خان

( ٦٣٩ - ٥٦٤٧ هـ )

لم يكن الابن الأكبر لأوكتاي قان وهو كيوك سنة وفاة أبيه موجودا بأرض المغول ومع أن أوكتاي استدعاه الى أردو بالينغ الا أن أنه قبل أن ينال لقاء أبيه كان أبوه قد ودع الحياة ، فقبضت زوجة القان (توراكيينا خاتون) على أزمة السلطنة حتى ينجلي أمر خلافة أوكتاي .

ظهر الاختلاف في كبار عائلة جنكيز على تعيين خلف لأوكتاي ، فقد كان باتو ملك روسيا وصحراء القبچاق والذي تمتع بالاحترام والنفوذ بين المغول يود اخراج السلطنة عن أسرة أوكتاي من ناحية ، وكانت جماعة أخرى تشايح سلطنة الابن الثاني لأوكتاي من ناحية أخرى ، وظهرت مجموعة ثالثة تنادى بالحكم لحفيده من ناحية ثالثة .

أما توراكيينا خاتون التي كانت امرأة حكيمة ذكية ذات تدبير وسياسة فقد بذلت جميع مساعيها لحفظ التاج والعرش لابنها كيوك (١) ، وانصرفت لمدة أربعة أعوام أو يزيد ( ٦٣٩ - ٥٦٤٤ هـ ) تواجه مصاولات باتو لتعويق انعقاد القوريلتاي وتقاوم مخالفيها الآخرين وتقصر أيدي أعدائها وتجذب قلوب الجنود ، وأرسلت السفراء لكل البلاد التي دخلت تحت سطوة المغول وحكمهم لكي تصبغ سلطنة ابنها كيوك بالمصبغة الرسمية وتشكل القوريلتاي وأحضرت السلاطين والأمراء والكبار من كل هذه البلاد الى أرض المغول الى أن وفقت في مقصودها في ( ٥٦٤٤ هـ ) (٢) .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في حبيب السير في اخبار البشر لخواندمير (بمباي ١٨٥٧ - ١٨٥٩) جزء أول - جلد سوم (ص ٣٢) .

(٢) تميز القوريلتاي الذي تم فيه انتخاب كيوك بوغرة عدد من حضره من ممثلي الدول الأجنبية فقد حضره حاكم التركستان ويارد سلاف الدوق الروسي الكبير وأميرا جورجيا المتنافسان على عرشها ويسمى كل منهما (دافيد) وأخو سلطان حلب وسبباد أخو هيثوم ملك أرمينية وكل يحمل هدايا قيمة . وكان من الحاضرين أيضا مبعوثو البابا أنوسنت الرابع ورسل الخليفة

العباسي والحشاشين ، أما رسل الخليفة العباسي والحشاشين فقد أرسلوا بتهديدات ووعيد جراء شكوى الضباط المغول منهم وسرعان ما تحققت هذه التهديدات ، انظر :

History of the Mongols, H. Howorth (London, 1876) Vol. I, PP. 162-163.

وحبيب السير : خواندميرج ١ مجلد ٣، ص ٢٢ ثم :

Histoire des Mongols . . , C. D'ohsson (Paris, 1824; Vol. II, P. 297.

أما مبعوثو البابا فقد كان على رأسهم بيان دل كاريني (كاريني) وراهب آخر أرسلوا في سفارة إلى المغول (١٢٤٥ - ٤٧م) بناء على أوامر مجمع ليون المعقود في (١٢٤٥م) للنظر في أمور الصليبيين واستجلاب عيون المغول ضد المسلمين وقد بلغ كاريني المغول في انعقاد القوريلقاي لاختيار الخان فشهد الراهب الاحتفالات الرسمية ورأى كيف كانت آداب السلوك تراعى في دقة وتنوع على اكمل ما يتبع في أرقى المجتمعات فترك وصفا لذلك يحسن أن نشير إليه لالقاء ضوء على عادات المغول من خلال المصادر الأوروبية : كانت قاعة الانتخابات خيمة كبرى من الخمل الأبيض تتسع للآلاف شخص ويحوطها سياج خشبي به بوابتان كبيرتان تخص أحدهما الإمبراطور ورغم تركه بوابته بلا حراسة فلم يكن أحد يجزؤ على ولوجها أما البوابة الأخرى وهي التي كان يذلف منها المدمون فقد كان عليها حراسة شديدة اظهرا لشأنهم في الغالب . واستغرق الاحتفال شهرا وكان من معالم الافتتاح استعراض الجزية والهدايا التي أتت بها أربعة آلاف رسول من لدن الأمراء التابعين لهم كان بينهم كثيرون من أمراء روسيا وجورجيا الذين كانوا قد وقعوا في الأسر فرددت عليهم حياتهم . ولم تعلن نتيجة الاختيار في الحال وإنما استبان انتخا ب كيوك حين أخذ القوم يقابلونه عند خروجه من مضربه بالفناء والطويح له بشملات من الصوف الأحمر مثبتة بأعلى فتحات الرماح . ولا تزال هذه الرايات هي شعار السلطان عند المغول . أما المناداة بكيوك فمقتضى تعنتها في حفل ثان أقيم بالخيمة الذهبية بعد بضعة أيام من الحفل الأول فاجلس على أريكة ملكية وركع أمامه كل الرؤساء والحضور إلا كاريني الذي بقى بمنصب القائمة فلم يثر صنيعه هذا أحدا ودل ذلك على كرم ضيافتهم ، وانتهى الحفل بشراب التميز وخبر العسل حتى ساعة متأخرة من الليل وقد قدمت العربات تحمل اللحم المطبوخ بملح غاصب القوم منه . واستقبل كيوك مبعوث البابا في أول حفل استقبال أثناءه بعد اختياره وكانت الهدايا قد عرضت في الخيمة ومن بينها مظلة مرصعة بالأحجار الكريمة وهي شعار الملوك الآسيويين السائد . وأريكة الخان كانت عرشا من الأبنوس نقشه عجيب وزينته من اللآلئ والأحجار الكريمة الأخرى هذا وكان الذهب يستخدم في اسراف للزينة وكان يقف بخارج الخيمة عربات محملة بالذهب والفضة والحرير ليتقبلها

كان كيوك خان على نقیض من أبیه مقاتلا فاتحاً ماثلاً بكنیته الى الغزو والاغارة وكان أكثر شعبها بجده جنكيز من شبهه بأبيه أوكتاي . ولهذا فما أن اعتلى عرش الخانية حتى أصدر أوامره أن يحترم الأمراء ياسا جنكيز وأن يتحاشوا التحريف بها والتصرف في نصوصها وأن يتأهبوا بجيوشهم لتسخير الصين الجنوبية وبقية البلاد الاسلامية وضرب باتو . وسير سبتاي بهادر القائد المعروف مع قائد آخر الى الصين الجنوبية ونصب ايلجيكثاي ( ايلجيكداي ) فاتح هراة في حكم ايران مكان بايجو وقصد بنفسه بلاد باتو للقضاء عليه ، لكن أجله وافاه عند وصوله بيشبالينغ فمات بعد حكم عام وبعض عام في التاسع من ربيع الآخر ( ٨٦٤٧ ) وكانت أمه توراكيينا خاتون قد لقيت حتفها قبله ببضعة شهور .

كانت توراكيينا خاتون مسيحية الدين عهدت الى الأمير قداق المسيحي بتربية ابنها كيوك وهو طفل ورعايته وقد قرب كيوك بعد بلوغه السلطنة اليه شينقاي مستشار أبيه المسيحي واستوزره ، فحصل هذان الشخصان اهتمام الخان لمساعدة المسيحيين فوقع الرعية المسيحية في البلاد المغولية كالآرمن والكرجيين والسرمان والروس موقع اهتمامه وموضع رعايته ونفذ أطباؤهم في البلاط المغولي نفوذا تاما وشاعت بعض الآداب المسيحية في المغول ، وقد عقد كيوك اتحادا مع الأرمن بسبب عواطفه لهم ولعل قصده من هذا الاتحاد حملته المتوقعة على البلاد الاسلامية في الشام ومصر لأنه ام يكن بممكنته بسبب ضعفه واعتلال

الخان ويفيء بها على خاصته . وحين كان الخان يهتم بالحديث كان الحضور يسارمون بالركوع فلا ينهضون حتى ينتهي من كلامه . وقد تكون البيئة هناك على تأخر الا أن سلوك رجال الحاشية كان على احسن ما يبتغيه أى كبير للأمناء والتشريعات ورسم الراهب صورة لطيفة للخان المغولى فقال انه كان فطنا غاية في الدهاء حازما رزيئا في كل تصرفاته لايسرف في الضحك ولايصدر منه طيش أو نزق وغوى ذلك يميل الى الدخول في النصرانية . انظر :

Howorth : 1, 162-166 — D'ohsson; II, PP. 197-200, 234-Sykes : II, P.P. 92-95.

صحته وتعوده الشراب أن يمحس الأمور جيدا وكان قداق وشينقاي  
يديران دفة الأمور ويشعلون نار عداوته للمسلمين (٣) .

### سلطنة النخبة الثانية للأسرة الجنكيزية

منكوقاآن (٦٤٨ - ٦٤٧هـ)

لما مات كيوك خان حدث الاضطراب في أحوال المغول ثانية وظهر  
الاختلاف بسبب انتخاب القاآن بين كبارهم ، وقامت زوجته بالنيابة في  
الحكم بناء على مراسم المغول الى أن يتألف القوريلتساي ويعين خليفة  
كيوك عن طريق أمراء التتار وكبرائهم .

وشبب النزاع بين هذه المرأة وسرقويتى بيكى زوجة تولوى  
المسيحية وكانت بنتا لأخى أوانك خان آخر ملك للكرائيت وتعد أكبر سيدة

---

(١) نتج عن ذلك بقول رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ  
(جلد دوم) يسمى ادكار بلوشة ص ٢٤٩ أن اتبل الخان على الاهتمام  
بالقساوسة والنصارى وعندما ذاع هذا الأمر ولّى شطره جمع من القسس  
والرهبان من الشام والروم والآس وأوروس وكان بالطبع ينكر الاسلام ، ولم  
يكن صاحب الكلمة في حكمه غفوض الحل والعقد والقبض والبسط في الأمور  
الى قداق وشينقاي ولذا علا أمر النصارى في حكمه وانقلب الوضع بالنسبة  
للمسلمين الذين لم تكن لهم الجراة على التحدث مع هؤلاء النصارى . ويرجع  
براون ( تاريخ الأدب في ايران ص ٥٧٤ ) في اتخاذ هذين الوزيرين المسيحية  
دينا الى تأثير الراهب كارينى وزميله حتى عمداهما فائرا بدورهما على  
الخان فضلا من تأثير الأطباء المسيحيين في بلاطه وجعل ذلك كله البابا يطمح  
الى دعوة الخان الى المسيحية وهذا ما تضمنه أغلب الرسائل البابوية  
(Howorth : P. 165) . وتعاون النصارى وعباد الأصنام على اضطهاد  
المسلمين واضعاف دينهم كما يظهر من قصة أوردها المؤرخ الفارسي  
منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني في كتابه سياسة الأمصار في تجربة  
الأعصار در تاريخ آل جنكيز ) مفادها أن قسسا وعبداء للأصنام طلبوا الى  
الخان مناظرة علماء المسلمين وقتلهم ان غلبوا فلما لم يتمكنوا منهم طلب كيوك  
منهم أن يؤدوا الصلاة أمامه فما ان سجدوا حتى أوسعهم ايذاء لايقاظمهم  
عن الصلاة فلم يقطع المسلمون صلاتهم وانصروا بعدها غير مفتونين .  
( انظر : سياسة الأمصار ص ٥٨ - ٦٠ طبعة ألهند باهتمام مبرز محمد -  
بدون تاريخ ) .



في المغول ، وذلك بسبب تعيين خليفة لكيوك ، لأن زوجة كيوك كانت تبغى أن يرقى ابن أخى زوجها ملكيتهم بينما كانت سرقويتى تطلب هذا المنصب لأولادها . وفي النهاية استدعى باتو بن جوجى ملك القبجاق وروسية كبار المغول وأمراءهم لكى يأتوا اليه بصحراء القبجاق ، حيث يعينون خلفا لـ كيوك .

ولم يقبل أولاد أوكتاى وكيوك وجغتاي هذه الدعوة وانما أرسلوا عنهم مندوبين لدى باتو وأرسلت سرقويتى أبناءها اليه قائلة ان باتو لما أنه سيد(١) جميع الأمراء فان اطاعة أمره واجبة على الجميع ولا يحق لأحد أن يعصيه(٢) .

وسرقويتى أم لأربعة أبناء ذوى اعتبار من تولى كانوا كأبناء جنكيز الأربعة أركان المملكة الركينة وكانوا عامة أعظم أمراء المغول وهم هولكو وقوبيلاي وأريق بوكا ومنكو .

وكان بين منكو الذى أمر في عهد أوكتاى ومعه كيوك وباتو بفتح

(١) السيد ( آقا في الفارسية ) يعنى الأخ الأكبر في المغولية ( آقا في المغولية أيضا ) مقابل ( ابنى ) التى تعنى الأخ الأصغر ، ومجموع الأخوة الكبار والصغار يعنى عامة أمراء المغول من الأخوة الصغار والكبار وأبناء الأخوة والأعمام وبني الأعمام ( سياتى ) .

(٢) تجبج المصائر الفارسية على فضل أم منكو والتى يسميها رشيد الدين فضل الله باسم ( سيورقوتيتى ) وقد لقيت تقديرا واحتراما كبيرين لما اشتهرت به من الحكمة والاستقامة ، أراد أوكتاى أن يزوجه لابنه كيوك بعد وفاة زوجها تولوى ( تولى ) لكنها رفضت بلقاء وأشارت الى أنها تؤثر أن تكرر حياتها لأبنائها الأربعة وكان جميع الأمراء يبجلونها ، وبالرغم من أنها كانت تدين بالمسيحية بحكم تربيتها في قوما المسيحيين إلا أنها كانت تحاول اظهار شأن الاسلام وكانت تبذل الصدقات والعطايا للأئمة والشايخ المسلمين ومصدقاتا لهذا فقد وهبت ألف قطعة من الذهب لإنشاء مدرسة في بخارى فقولى شيخ الاسلام سيف الدين البخارزى هذا الأمر ، فأنشأت هذه المدرسة التى ضمت ألف طالب مسلم ليحصلوا فيها العلوم الاسلامية المختلفة :

( جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ص ٢٧٢ - ٣ ، خواندمير في كتابه حبيب السر ص ٣٦ من ج ٣ وأيضا : Howorth, P. 188 )

روسيا وبلاد أوربا الشرقية وباتو الذى كان دائم الهم بالقضاء على أوكتاي ، كان بينهما كمال الوفاق ، لهذا أثر باتو لنفس العلة منكو الذى كان أميرا أريبا كافيا فى القوريلتاي الذى تألف لانتخاب خليفة كيوك لهذا المنصب ، وبهذا انتهت الشعبة الأولى من أسرة جنكيز أى أولاد أوكتاي قآن من سلطنة المغول وانتقلت السلطنة وخلافة جنكيز الى أولاد تولوى وهم الشعبة الثانية من أسرته .

ولما أن جميع الأمراء والكبراء المغول لم يحضروا مجلس الشورى أو القوريلتاي الذى أثر فيه باتو منكو للسلطنة ، قرر أن يتألف فى السنة الجديدة قوريلتاي كبير يحضره جميع الأمراء والكبار لاضفاء الرسمية على منصب منكو .

وقامت جماعة من أبناء أوكتاي وكيوك وجغتاي بمخالفة قرار باتو متذرعين بأنه لا يحق أن تخرج السلطنة عن أسرته أوكتاي وكيوك وأخذوا يرسلون باتو ويظهرون سخطهم على ما سبق من ترتيب .

وطالت مدة المفاوضات بين باتو ومنكو وسرقويتى من ناحية والرافضين من ناحية أخرى عامين وأسفرت هذه المفاوضات بمظاهرة باتو بانتخاب منكو رسميا فى ذى الحجة من ( ٦٤٨ هـ ) فى قراقروم لمنصب الخانية المغولية ، ومع أن جماعة من الرافضين أبوا حضور القوريلتاي إلا أن منكو مع هذا كان تنصيبه مصطفىا بالصيغة الرسمية .

ولما علم الرافضون برسمية تنصيب منكو انقلب رفضهم الى المؤامرة عليه ، فألقى الخان الجديد القبض على رؤسائهم وقام بشخصه بالتحقيق فى مؤامرتهم فعاقبهم بالحبس والقيود والقتل .

وقد بلغ منكو قآن فى إدارة أمور الملك نهاية الأمر فى مراعاة الياسا الجنكيزية وآداب المغول ومراسمهم ، وإن كانت ضلالية خانات المغول وخشونتهم الأولى بسبب طول معاشرتهم وامتراجهم بالمتحضرين من الأمم المغلوبة قد خفت قليلا فى عهده ، واتسعت نظرتهم فى إدارة البلاد

ومعاملة المغلوبين والرعية ، فاقترب مسلكه من العدل وقواعد السياسة وأصولها وإدارة الملك والنظام عند السلاطين المتحضرين .

اعتزل منكو دوام الشرب وخفض من الضرائب ورتب للجنود والاتباع رواتب محددة وسعى في رفاهية الرعية وأمر عمال حكمه وموظفيه ألا يستلبوا أنعام الرعية بالظلم والاجحاف وألا يأخذوا منهم ما زاد عن انضريبة المقررة ، واستقدم من إيران عدة من فضلائها إلى أرض المغول وأمرهم أن يكتبوا للإدارات والدراوين بشرا قدوم لغة خليطا من الفارسية والصينية والأويغورية والتتقوتية .

ترك منكو حكم القسم الشرقي لبلاد المغول أي الخطا والصين لمحمود يلواج والتركتان وما وراء النهر وبلاد الأويغور وفرغانة وخوارزم لابنه الأمير مسعود وكان الابن والأب دائما سبب ازدهار حكم أولاد جنكيز فرما كثيرا مما خربوه ، خاصة البلاد الإسلامية التي كانت تحت حكم الأمير مسعود من عهد أوكتاي ضوعف تعميرها وقوتها ، وأعاد حسن إدارته واستقامة مسلكه لمن بقى من السيف من رعية هذه البلاد المنكوبين حياتهم الأولى ولبلاذهم المخربة سيرتها الخالية من التعمير والتزيم .

وكان منكو الذي ربته أمه المتصفة بالحكمة مثلها يرفع جانب الاحترام دائم وقته لكل الأديان المختلفة الشائعة بالبلاد الخاضعة للمغول ، ومع أن أمه اعتنقت المسيحية فقد كان علماء المسيحية والبوذية والذثوثية<sup>(١)</sup> والاسلام جميعا على قدم المساواة أمامه ، ويلقون منه

---

(١) الذثوثية مذهب في الصين يمتلىء بالأوهام والخرافات وله اتباع كثيرون ، وقد وضعه شخص عاش في حدود عام ستمائة قبل الميلاد اسمه (لايوتسو) ، وشرح أصول مذهبه وفلسفته في كتاب يسمى بـ (تا أوتة كنك) ، وخلاصته أن الدنيا تقع تحت إرادة وإدارة عقل عال يسمى (تا أو) والهدف من الحياة هو الوصول إلى التا أو ، وكان من بين أتباعه عدد من الفلاسفة الكبار .

الاحترام بلا تفريق ، وقد منحهم قدرا من الحرية الى حد أنهم كانوا يتناظرون ويتحاجون عن أديانهم أحدهم مع الآخر في حضوره ، كمالقى المسلمون الحرية مبلغا كان يخطب في بعض البلاد لخليفة بغداد ويدعي ضمن ذلك لدوام دولة منكو .

وفي عهد سرقويتى وابنها منكو زادت السفارات الى بلاد أوربتا المسيحية وآسيا وبلاط المغول ، وكان سبب ذلك أن المسيحيين في هيزه الأيام كانوا في حرب صليبية مع المسلمين في الشام ومصر ، ولشوة ضربات شديدة من السلطان صلاح الدين الأيوبي وأولاد أخيه ، ولكي يقيموا علاقات طيبة مع المغول وكانوا يعدونهم أعداء للإسلام ، أرسلوا الى بلاط خان التتر سفراء مرارا ، وتمهد منكو أخيرا بإصرار من هؤلاء المسيحيين أن يسعى في عونهم وإنفاذ جيش يقاتل المسلمين . وكانت مأمورية هولكو والقضاء على خلافة بنى العباس على النحو الذي سوف نراه أثرا لهذا التعهد الى حد ما (٢) .

(٢) أهم سفارات الغرب الى منكو لتأليب المغول على المسلمين واستجلاب موثقيهم الى الصليبيين هي سفارة ويليام روبوق (١٢٥٤/١٢٥٥) الذي أرسله لويس التاسع بعد هزيمته وأسرته بيد المصريين غانطوق روبوق من عكا الى قراقرم التي أضحت مركز الدبلوماسية في العالم على سفارات من قبل الإمبراطور اليوناني ومن لدن الخليفة العباسي ومن عند ملك دهلي ومن طرف السلطان السلجوقي بالاناضول كما صادف أمراء تين الجزيرة وكرديستان وروسيا وجميعهم يقفون في خدمة الخان الكبير واقتسام قراقرم كخبر من الأوربيين . وكان النمطرة اقوى اصحاب المذهب فنوذا في بلاط الخان لانه مذهب امه . وقد اهتم ( هورث ) بايراد وصف روبوق لمنكو وأسرته وبلاطه فكانت ( الخيمة التي يجلس فيها منكو مزدانة بالاقمشة الذهبية والفضة والالوان الزاهية المتعددة وكان الدفء ينسري فيها بفعل موقد يخرق غيضة الاشواك والاختشاب الرقيقة ويجلس الخان على اربعة صفوف من العرش رداء مضموما من الفراء الثمين يلعب ويترق ، وكان منكو متوسط القامة مستقيم الأنف تنحرف في آخرها ، في نحو الخمسة والاربعين ، وتجلس امراته الخيمة الصغيرة بجواره ومعها ابنتها سيرينا اما الأطفال فكانوا يجلسون على اربعة قريية ) .

وعندما استقر المقام بالسفارة « سال الخاقان الزهباني عما يشربونه »

من الخمر أو مشروب الأرز أو التميز فغالوا أنهم يشربون ما يروق للخان فاعطاهم مشروب الأرز فشرّبوا منه قليلا ليرضوه ، أما المترجم حلقة الوصل بينهم فقد شرب حتى ثبل ونسى نفسه وكان الخاقان يلعب صقرا في يده .  
وحينئذ جاء نور الرهبان للحديث عن مهمتهم ويبدو أن الوقت لم يكن ملائما فاستأذنه بطريقة متعقبة وبأسلوب المداينة أن يستريحوا في مملكته بعضا من الوقت ونظير ذلك يدعون له ولزوجاته وأولاده وإن لم يرضه ذلك يرجعوا سباحة بالآلة ريثما يستريحون من مناء سفرهم الطويل . وكان المترجم ثبلا لدرجة أنه أخذ يتلعثم في كلامه وشك الرهبان في أن منكو نفسه كان ثبلا هو الآخر ، ولكنه كان رحيما سمح لهم أن يستريحوا شهرين وأن يذهبوا إلى قراقرم إن شاءوا . ولا حظ روبروق أن منكو وأسرته كانوا يهتمون بالديانات الثلاث المسيحية والإسلام واليهودية رغبة في البركات التي تعد بها كل ديانة ، لكن عنايته بالمسيحية النسطورية كانت أشد غنى أحد الأعياد دخلت زوجة منكو الأولى إحدى الكنائس النسطورية غاطفا لها أنوارها وقبلوا يد الكهنان الهنئي تبعاً لتقاليد النسطورة ، وكان منكو يجلس على عرش إمام الخراب .  
وجعل روبروق وصحبه يفتنون تراتيل دينية ثم انسحب الخان بعند ذلك لكن زوجته بقيت ومنحت هداياها للمسيحيين ، وكان الخير ومشروب الأرز والتميز كثيرا ما أخذت كويا ثم ركعت وطلبت البركات وبينما كانت تشرّب كان الرهبان يركسون ، وشرّبوا حتى ثبلوا وقضوا اليوم على هذه الوثيرة . وكانت الأميرة بطورة ثبلى مثل الباقين حتى إذا حل المساء عادت إلى منزلها في عربة يخفرها الرهبان وهم يغنون ويصيحون ، ويحكي هورث ما يثبت ميل الخان إلى المسيحية مما أطبع الرهبان في تحويله إليها لكنه كان متسامحا وأخير ذات مرة روبروق أن كل مرد في بلاطه يعبد الله الواحد الباقي الخالد ومسبوح لهم بأن يعبدوه كل على طريقته الخاصة فكانت الديانات الثلاث تمارس في البلاط بحرية تامة ولا يطفى أждаها على الأخرى . ويؤيد هورث المؤرخون الفرس ويذكر منهم خواندشير أن أيدي قوت كبير رجال الشامانية عقيدة الخان قد أبر أتباعه باغتيال المسلمين حين يؤدون مسلاة الجمعة لكن الله هدى أحدهم للإسلام فأبلغ منكو فأحضر أيدي قوت لوقتته واستجلده الأمر فاعترف له فأمره بالوقوف على باب المسجد عينه بحضور المسلمين ليستردوا منفسه امتبارهم .  
وقد روبروق آماله في تعميد منكو الذي كان يسكن في أحيان كثيرة على يسمح لنفسه باعتناق المسيحية كما كان يهلل . انظر :

(Sykes, P. 100) v (Howorth, PP. 189-191).

١ خواندشير ج ٣ ص ٣٦ ) ، ( رنسيان في تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٠٩ )  
ومع هذا فإن لنكو تمهيدات ذكرها سايكس للصليبيين خلاصة مع هيثم ملك أرمينية الذي كان يريد أساسا استعادة القدس من المسلمين ، وصرح منكو ملك أرمينية أن أخاه هولكو قد تلقى أوامره بالاستيلاء على بغداد وتدمير الخلافة وسوف يعيد القدس إذا تعاونت معه كل القوى المسيحية :  
(Sykes, P. 100)

وبعد أن نظم منكو أموره الادارية واطمان للأوضاع الداخلية لبلائه اهتم في السنة الثانية لسلطنته بالغزو فصمم أن يفتح البلاد التي لم تفتح حتى عهده ، ولهذا أمر أخاه الأصغر هولكو بدفع الاسماعيلية وادخال خليفة بغداد تحت طاعته وأرسل قوبيلاى أخاه الأوسط للاستيلاء على الصين الجنوبية •

توجه قوبيلاى في (٦٥٤هـ) لفتح الصين الجنوبية ولحق به منكو في السنة التالية وفتح الأخان قسما هاما من هذا البلد لكن منكو مرض بسبب عفونة هوائه ومات في (٦٥٧هـ) وأعلن قوبيلاى نفسه خانا وجعل مدينة (بكين) عاصمته باسم (خان باليغ) أى مقر الخان ثم استولى على جميع الصين الجنوبية والهند الصينية وجاوه واليابان وغدا مؤسس أسرة مغول الصين •

وقد عد خانا ايران المغوليان وهما أخوه هولكو وابن أخيه أياهاخان كما سئرى نفسيهما طوال مدة سلطنة قوبيلاى قائا أن مطيعيه تابعيه ولم ينحرفا عن أمره وتبعيته قيد أنملة وقامت روابط المودة والأخوة بينهم دوما وكان يساعد أحدهم الآخر حين تقع الحاجة ، كما حدث عندما أرسل قوبيلاى عدة فرق من الجيش لمؤازرة هولكو في فتحه العبراق العربى وبغداد ، وسير هولكو بعد فتحه دار الخلافة نصف الغنائم التى اغتبتها من هذه المدينة الى خان باليغ هدية وتقدمة الى أخيه •

وقوبيلاى قائا هو أعظم سلاطين المغول ادارة للملك بوجه عام لأنه بعد فتح الصين عمل على ترميم ما خربته غزوات المغول وجسم العلماء والأدباء وأهل الحرف والصناعات الذين كانوا أختلدوا الى التوارى والانزواء وحثهم على الاستمرار فى أداء أعمالهم ، ونشأ طرقا كثيرة وشيد منازل للقوافل فى كل نقطة ، وأقام البريد للنظم لمعاملة البلاد ، ونهض بأمر الزراعة وأنشأ دور المعجزة لرعاية أحوال الضعفاء والمسنين • وكان فى شخصه رجلا كريم الطبع ، وكان بلاطه غالبا يقوم

به مجالس المناظرة والمباحثة في مذهبي البوذية والكنفوشيشي وديني الاسلام والمسيحية ، وقد ترجم بناء على أمره جزء من القرآن والانجيل والتوراة وتعليمات بودا الى اللغة المغولية .

ومقد ازدهرت التجارة أيضا في عهد قوبيلاي قآن كبير ازدهار ، وقدم في عهده الى بلاطه الأخان المعروفان من فنيسيا أو البندقية ( مافيو بولو ) و ( نيكوبولو ) ثم ابن الأخير (ماركوبولو) الذي حاز حب القآن ، ومكث مدة عشرين عاما من قبله محلا لمهام حكم ولايات الصين وإدارة الأمور الجمركية والسفارات وغيرها ، وكان من نتيجة اطلاعه العميق على أحوال بلاد قوبيلاي أن نقل بعد عودته الى أوروبا ( في عام ٦٩٥ هـ ) تفصيل سفره لأحد أصدقائه فجمعها ونشرها وهي تصوي معلومات نفيسة تتعلق بأحوال جميع بلاد المغول في ذلك العصر (١) .

(١) يعد سايكس هاركو بولو ثالث اكبر الرحالة بعد هيرودوت وشانغ كيان ( ٢ ق م ) والثلاثة وصفوا إيران . وقد وصف بولو إيران ومنغوليا وبجل الأولى في طريقه الى الصين قريبا من تبريز عاصمة الايلخانيين التي يصفها بأن سكانها ( يعيشون على التجارة والصناعات اليدوية فهم يقومون بنسج أنواع كثيرة من مواد جميلة قيمة حريرية ومصنوعة من الخيوط الذهبية ولهذه المدينة موقع مناسب لدرجة أن البضائع تجلب هناك من الهند وبغداد وكرمنشهر ومناطق أخرى كثيرة وهذه تجذب تجارا ايطاليين لاسيما الجنوبيين ليشتروا البضائع ويقوموا بأعمال أخرى هناك ) . ثم يصف بعد ذلك مدينة سايها ( ساوه ) فيشيد بجيادها وحصنها ويصف صناعاتها وتجارقتها وزراعتها خاصة القطن والقمح والشعير والدخن والخمور فضلا عن الفاكهة . ويخطيء بولو حين يقسم إيران الى ثمانية اقاليم . ثم زار الرحالة كاشان ووصفها وصفا دقيقا ويذكر أن شيوع ذكورها سببه ملابسها المخملية والحريرية . ثم سار منها الى يزد في الجنوب الشرقي ومنها الى كرمان التي فصل في وصفه لها عن غيرها فيقول انها تشتهر بأعمال الابر البديعة التي تزين الملابس الحريرية بالألوان المختلفة الجيلة في شكل رسوم من الحيوانات والطيور والأشجار والأزهار والحيوانات والأشكال الأخرى المتنوعة . ويتابع الرحالة رايخته ووصفه لبحر إيران أن ذاك مثل كوبان على حافة صحراء لوط ثم قونو كان وأصلها ( تون وكن ) ثم شجر البنار الشرقي ويذكر أن الشجر الذي ينمو بدون ري بعد مقدسا عند الإيرانيين بسبب نثرة الأشجار ، وعادتهم أنه إذا تحققت رغبة الإنسان غلابذ أن يقرب تحتها قربانا من الخراف ويترك علامة على ذلك شريطا من الملابس يمزق ويربط على الشجرة المذكورة ، وقد

ومن أمور عهد قوبيلاي الهامة تردد تجار المسلمين على الصين وظهر نفوذ الايرانيين في بلاطه وانتشار اللغة الفارسية بالصين ، فقد استدعى هذا الخان حينما كان يريد فتح البلاد المحكمة في الصين الجنوبية أشهر المهندسين من ايران والشام لصنع المنجنقات والعربات الحربية ، وكان يصاحبه دائما في معسكره وبلاطه عدد من ايرانيي ما وراء النهر وخراسان ، وكان بعض هذه الجماعة ممن نقلهم المغول من ما وراء النهر وايران حينما كانوا يفتحون بلادهما لأنهم أصحاب حرفة وصناعة الى بلاد المغول ، وقد بلغ عدد هؤلاء الناس مبلغا عظيما الى درجة أنهم شيدوا في بعض البلاد مدنا جديدة لهم على شكل أوطانهم الأولى . وكان بين أمراء قوبيلاي وعماله الاداريين في الصين عدة من الايرانيين وقد عظم نفوذهم اذ استوزرت أسرته بعد محمود يلواج أحدهم لقب بالسيد الأجل وظل وزيرا مدة خمسة وعشرين عاما ( ٦٥٨ - ٦٨٣ هـ ) حتى أن مات . وفي عهد وزارة هذا الوزير الكفاء أعد قوبيلاي قآن النقد الورقي المعروف بـ (شاو) في الصين ، وقد راجت هذه العملة في كل أنحاء الصين رواجا كبيرا في المدة التي كان بها هذا الايراني وزيرا وتنظم بها دخل البلاد ومنصرفها .

---

فصل ماركو بولو كذلك في وصفه لقوة قوبيلاي بعد فتحه الصين وامتدح مناحي تعميره لها خاصة قصره الذي بناه بعد سوز الصين ، ثم وصف باطناب عاصمة قوبيلاي وهي قمبالق أو خان بالق ومكانها اليوم بكين غير رسم صورة لحصنها المستور وصروحها الثمانية ثم القصر الخافي الذي لم يكن له في الدنيا نظير وقد كسى حوائطه الداخلية بالذهب والفضة وسقفه أيضا . ووصف الرحالة أيضا مآدب الخان الملكية واحتفالات البلاط وصفا مستفيضاً نخل القارئ الى : (Howorth, P.P. 257-276) وكذلك : (D'ohsson, P.P. 735-7) أما وصفه لايران فانظر للتفاصيل : (Sykes, P.P. 103-107)



## الفصل الرابع

### غزو هولاكو لایران وانهيار الخلافة العباسية

بعد فتح خوارزم أناب جوجي فاتح هذا البلد في حكم بلاد الخوارزمشاهيين الأصلية أحد قادة المغول ، وتأمر هو حينما تملك أوكتاي ملك المغول على خراسان ومازندان .

ومن هذا الوقت حتى خمسة وثلاثين عاما كان وضع حكم ايران وإدارته تحت الاستيلاء المغولي بنحو أن خانات التتر كانوا يرسلون أحدهم من أرض المغول لإدارة البلاد وقيادة الجيش المقيم بها حاكما حكما مباشرا ، وكان هؤلاء الحكام ينهضون بإدارة أمور البلاد وصد المهاجمين والثوار وجمع الضرائب بمعاونة عمال وكتاب إيرانيين . وكان من جملة هؤلاء الكتاب الإيرانيين بهاء الدين محمد الجويني الذي أمره حاكم خراسان المغولي من حدود عام (٦٣٠هـ) بإدارة أمورها المالية وجمع عائداتها أو جعله باصطلاح ذلك العهد صاحب ديوانه . وقد اختار أوكتاي القآن بهاء الدين الجويني في (٦٣٣هـ) في منصب صاحب ديوان جميع البلاد المغولية ، فتمهد هذا المنصب الجليل حتى سنة وفاته (٦٥١هـ) خاصة في أيام حكومة الأمير أرغون لايران من عام (٦٤١هـ) حتى (٦٥٤هـ) حين كان بهاء الدين الجويني يعيش في أوج القوة ، وحينما كان يعود أرغون الى قراقروم حيث بلاط خان المغول كان ينيب الجويني في الحكم ويكفله فيه .

وقد دخل ولدا بهاء الدين الجويني وهما شمس الدين محمد وعلاء الدين عطا ملك ممدوحا الشاعر الكبير السعدي الشيرازي وكلاهما

من أكفأ رجال عصر المغول ومن المنشئين الكبار في اللغة الفارسية ، دخلا  
بتدبير أبيهما في بلاط أرغون (١) \* ولما قدم هولاكو (٢) الى ايران عام  
(٦١٤هـ) ولحق أرغون بخدمته دخل خدمته أيضا شمس الدين محمد  
وعطا ملك \*

(١) سبغت اشارات الى عطاء ملك الجويني والى كتابه الهام  
(جها نكشا) ، وهو علاء الدين عطاء ملك بن بهاء الدين الجويني من المؤرخين  
المعروفين الايرانيين في عهد المغول . حكم علاء الدين اريسة وعشرين عاما  
في بغداد ، الا انه واخاه شمس الدين وقعا لمريسة سعاية مجد الملك اليزدي  
وزير آيلا خان فسجن علاء الدين بالمر الخان وعذب ومات في النهاية عام  
(٦٨١هـ) .

واثره الهام (جها نكشا) أي فاتح العالم لقب هولاكو أو بالأحرى  
( تاريخ جهان كشا ) . الفه مطا ملك عام ٦٥٨هـ ) ويشمل ثلاثة مجلدات في  
أحداث المغول حتى عام ( ٦٥٥هـ ) . ويضم المجلد الأول عادات ورسوم  
المغول القديمة وقوانينهم المعروفة باليناسا وفتوحات جنكيز وسلطنة اوكتاي  
وعمر نيابة توراكينا خاتون وسيلطنة كيوك وجغتاي . أما المجلد الثاني  
فيشمل تاريخ الخوارزميين وأحداثهم والملوك القراخانيين والكرخانيين .  
والجزء أو المجلد الثالث يذكر حوادث تتويج منكو وجلوسه ووقائع سلطنته  
وتفصيل تهريك هولاكو الى بغداد والقضاء على الاسماعيلية . وقد ضم الى  
نهاية بعض نسخ الكتاب فصل في سقوط بغداد على يد هولاكو من تأليف  
نصير الدين الطوسي ولكنه ليس في سائر النسخ ، قام المؤلف برحلات في سائر  
بلاد المغول ورأى كثيرا مما يقده في كتابه أو سمعه من الفئات مما يثبت  
قيمة كتابه . ولا يكتفى المؤلف بذكر الجادة وإنما يستقصى أسبابها وينقل  
كتب الفتوح كما هي كما يتحدث عن المذاهب والأديان ولهذا فقد اتسم الكتاب  
بالدقة والإصالة فوق أنه مثال للنثر المصنوع المخلوط بالنظم الفارسي والعربي  
لكنه لم يضح بالحقيقة التاريخية في سبيل اللفظ . وقد درس استاذنا الدكتور  
السباعي محمد السباعي المجلد الأول من هذا المؤلف في رسالته للدكتوراه عام  
( ١٩٧٢ ) .

(٢) اختلف في أصل اسم ( هولاكو ) فذكره عطاء ملك ( قره اولاك ) وذكره  
هامر بورجشيتال ( قره اوغلان ) ومن الصعب الجسم بين الاثنين لان المؤلفين  
المسلمين كانوا يجدون مشقة في اثبات الاسماء المغولية فضلا عن اهمال  
النساج ، راجع هامبري ح (١) ص ٨٨

## مأمورية هولوكو والقضاء على الاسماعيلية

( ٦٥١ — ١٨٥٤ )

مع أن المغول وطأوا بسنابك خيولهم أغلب بلاد المسلمين وأدخلوا أصحابها تحت طاعتهم وتبغيتهم إلا أن بعض بلاد المسلمين خصصت ذاك العهد لم تدخل كما كان يقتضى الحال تحت غلبتهم وظلت بها مناطق لم يستطع المغول حتى تلك الآونة أن يتمكنوا منها .

فمن ناحية كان للفدائيين الاسماعيليين في كل منطقة قهستان والموت والوديان الجنوبية جنوبى سلسلة جبال الألبز قلاع محكمة كانت مستودعا لجماعة من المجاهدين المقاتلين ، وقد بلغت هذه الجماعة كما رأينا في تاريخ السلاجقة الخوارزمشاهيين قبل قرن ونصف في هذه المناطق قوة وقدرة وكانوا مبعث الضرر والأذى لأعدائهم على الدوام . ومن ناحية أخرى كانت الخلافة الاسمية لبني العباس ما تزال قائمة ، ومع أن الخليفة العباسي لم يكن له قط قوة ولا اعتبار إلا أنه كان يعد صاحب نفوذ روحى لأنه يعد على المسلمين الرئيس والأمير وكان بمكنته بأشارة وأمر أن يحرك بعض الأمراء المطيعين له للدفاع عن الدين والحفاظ على الخلافة .

وفضلاً عن الأمرين فكانت مضر والشام بيد السلاطين الأيوبيين ولم يتح للمغول الاستيلاء على هذين البلدين وكان الأيوبيون كما أشرنا سابقا في صراع مع مسيحيي أوروبا والصليبيين وجهاد مع طوائف الفرنج .

وهكذا أقدم المغول وكان لديهم علم بمبلغ حال التفكك بين المسلمين على إزالة الاسماعيلية وبني العباس وضم آخر البلاد الإسلامية في القسم الغربى لآسيا . وكان يؤازر المغول في تحقيق مقصودهم ذاك رعية المغول من المسلمين الذين تأذوا شديداً الأذى من ظلم الملاحدة

وجورهم وكانوا يتشفون الى أى وسيلة لاجتثاث فسادهم ، ثم الأمانة الذين كانوا يودون أن يستولى المغول على بغداد بسبب حقدهم الدينى على المسلمين التابعين للخلفاء العباسيين وأن يغلبوا مسلمى مصر والشام الذين يجاهدون المسيحيين الصليبيين وأن يقضوا على الاسلام .

وتزحف هولاء فى آخر عام (٦٥١هـ) الى ايران وكانت أمه (سرقويتى) مسيحية وزوجه (دوقوز خاتون) اعتنقت دين المسيح كذلك وأغلب جيشه من الطوائف المسيحية المغول أى من شعوب الكرائيت والنايمان والأوينغور .

كان مقر الاسماعيلية الأساسى ولاية الطالقان والروديار والموت وبلغ عدد قلاعهم المحكمة فى هذه المناطق الخمسين كانوا يتحكمون فيها . وكان أشهر هذه القلاع ثلاثا هى الموت وميمون دز ولنبه سر ، وعدت الأولى (الموت) بمثابة عاصمة الاسماعيليين ودار ملكهم ولم تبعد عن مدينة قزوين أكثر من ستة فراسخ .

وكان للاسماعيلية غير الموت فى ولاية قومس (السمنان والدامغان الحاليتان) وقهستان قلاع محكمة متعددة أيضا وكان يدير هذه القلاع التى بلغت مائة وخمسين حاكم يقال له (المحتشم) .

قبل الاسماعيلية فى عهد جنكيز طاعة المغول وكان جلال الدين حسن امامهم أسبق الى ذلك من كافة أمراء ايران ، وكانوا أسباب تقدم أمر المغول بطريق غير مباشر فى عهد جلال الدين المنكرنى . لكنهم فى هذا الوقت انحرفوا عن جادة الانقياد للمغول وأهلكوا أحد قادتهم فى إحدى حملاتهم على قلاعهم .

فشل المغول فى الاستيلاء على دار الخلافة أو حتى ادخال الخليفة فى طاعتهم مع حملات جرماغون وبايجو على حدود العراق وحروبهم لجيش خليفة بغداد ، بل أصيبوا بالهزيمة وكان هذا الأمر شديد الوقع على خانهم وقوادهم الى حد أن بايجو تشكى من الخليفة المستعصم بالله أمام منكوقاآن وطلب معاونته لدفع الخليفة .

لهذا صمم منكو على أن يسير جيشا لجبا الى ايران لكي يقضى على شر الملاحدة الاسماعيلية أولا ويزيل خليفة بغداد ثانيا ويفتح طريق الاستيلاء على الشام ومصر ثالثا . واختار منكو بعد مشاورة قادة المغول أخاه الأصغر هولاكو لهذه المأمرية ولم يزد هولاكو وقتها عن السادسة والثلاثين ، وأصدر أوامره بأن يتحرك معه مائة وعشرون ألفا من خلاصة جنود جنكيز وجماعة من الأمراء والعلية المغول صوب ايران فيدخل أولئك بقيادة هولاكو ما بين جيحون حتى أقصى بلاد مصر تحت أمر المغول . وتقدم هولاكو في ربيع الأول (٦٥١هـ) من معسكر منكو الى جيحون ، وفصل من جيشه اثني عشر ألفا وأمر عليهم أحد قادة جيشه وهو كيتوبوقا ووجهه طليعة له الى قهستان والروذربار لأنه كان بطيئا في حركته التي أوصلته في (٦٥٣هـ) الى مدينة سمرقند وأتى كيتوبوقا في السنة التالية الى قهستان وأخذ في مهاجمتها وتخريب قلاع الاسماعيلية بها وفتح بعضها ، ثم تقدم بخمسة آلاف فارس ومن المشاة مثلهم الى الدامغان وحصر إحدى قلاع الاسماعيلية المحكمة التي تبعد عن الدامغان ثلاثة فراسخ وهي ( كردكوه ) أو ( دزكبدان ) وأمر بحفر خندق حولها وترك بها كثرة من الجنود المغول وخف هو الى السيطرة على قلاع الروذربار وطأرم .

وأطبق المحصورون على المغول ليلا فأهلكوا منهم نحو المائة واستظهروا بمذد من جانب علاء الدين محمد خلف جلال الدين حسن امامهم فأبدوا مقاومة شديدة لحمالات المغول ، وفشل جنود كيتوبوقا في فتح كردكوه مع أنهم أخذوا كثيرا من قلاع الاسماعيلية .

وفي (٦٥٣هـ) أصاب ركن الدين خورشاه عن طريق أحد الحجاب والده خداوند علاء الدين محمدا (٦١٨ - ٦٥٣هـ) امام اسماعيلية ايران الذي كان يصرف غالب أيامه في الفسق والخمر وكان خلوا من كل كفاية وعقل أصابه بالمقتل واستقر في منصبه وغدا الامام العام للملاحدة ايران والشام . وكانت محتشمية قهستان آنذاك لناصر الدين عبد الرحيم



### الاستيلاء على الموت وانتهاء الاسماعيلية في (٥٦٥٤) : -

ووافى كيتوبوقا هولكو في طوس وعرض عليه أوضاع قلاع الاسماعيلية وركن الدين خورشاه فأخذ هولكو على غائق نفسه أن يسخر بقية أوكار الفدائيين ويطوى بساطهم فتحرك الى خرقان وبسطام بهذا العزم وأرسل من قبله مبعوثين الى خورشاه يدعوانه للتسليم ويخوفانه بقوة وشوكته ، فقبل خورشاه بمشورة نصير الدين الطوسي وكان حاضرا في هذا الوقت في قلعة ميمون دز طاعة هولكو وأنفذ أخاه مع رسول اليه واستمهلها عاما للتسليم . ولما علم هولكو أن خورشاه يسلك مسلك المخاطلة والمخادعة جاصر قلاعه من جهات ثلاث واستولى في أواخر رمضان (٦٥٤هـ) على المعابر الخطرة بين الرودبار والطارلقان وحصر قلعة ميمون دز التي بلغ محيطها ستة فراسخ لكنه سرعان ما أدرك أن تسخير هذه القلعة المحكمة ليس أمرا سهلا خاصة وأن الشتاء على الأبواب وليست تهيئة المؤونة أمرا يسيرا أيضا ، فأعاد هولكو نداءه لخورشاه بالطاعة . ولما رأى خورشاه أنه لن يمكنه المقاومة ثانية نزل في غرة ذي القعدة (٦٥٤هـ) من القلعة وقبل أرض الطاعة أمام هولكو وبهذا انتهت فترة استيلاء الاسماعيليين المقتدر الذي بلغ مائة وسبعا وسبعين سنة .

وعامل هولكو خورشاه معاملة الاحترام وأمر بتخريب قلعة ميمون دز ونحو مائة قلعة أخرى من قلاع الاسماعيلية كانت في حواليتها وفي قهستان واستمرت قلاع ثلاث تقاوم وهي كردكوه ولنبه سر والموت . وفي النهاية استسلمت كردكوه بعد عشرين يوما وثبتت لنبه سر عامما بأكمله

---

وكان الطوسي يقرض الشعر بالعربية والفارسية وأورد بعض الموضوعات العلمية نظما . أما كتاب الطوسي ( أخلاق ناصري ) فهو في الأخلاق النظرية التي سبق اليها فلاسفة اليونان الفه نحو عام ( ٦٣٣ هـ ) وقد استفاد في القسم الأول منه من كتاب أخلاق ابن مسكويه المسمى طهارة الاعراق وفي القسم الثاني أفاد من كتاب ابن سينا ( تدبير المنازل ) وفي القسم الثالث اقتبس من كتب الفارابي .

لكن وباء تفشى في أهلها فلم يتحمل حراسها للثبات واضطروا الى قبول الطاعة وفتح أبواب القلعة ودخلت قلعة الموت أيضا بعد ثبات ثلاثة أيام في تصرف هولاء وكانت هذه آخر قلعة ومعقل للفدائيين الاسماعيليين تقع في قبضة المغول .

ودخل المغول الوكر الأصلي للحسن بن الصباح فحطموا أسلحته ومنجنيقاته ونهبوا أمواله وخزائنه خاصة المكتبة البالغة النفاسة التي أسسها الاسماعيلية في طى السنين المتتالية وطوى صوت شهرتها وأهميتها الأطراف والأكناف وأمر هولاء باحراقها ، فاستجازه عطا ملك الجويني الذي رافقه في هذا السفر أن يطالع كتبها فيفصل المفيد منها ويحرق المتعلق منها بأصول المذهب الاسماعيلي وفروعه فأذن له .

وبعد أن مكث خورشاه بضعة أيام في جيش هولاء وتمزز بزواجه احدى أميرات المغول عن طريقه ، ذهب بناء على رغبته هو الى بلاط منكو لكن منكو لم يقبله في خدمته فأعاده عنه ليضع قلعة كردكوه تحت اختيار هولاء نظرا لأن أهلها لم يستسلموا للمغول تماما وليدخل أتباعه العاصين طاعتهم . وقفل خورشاه راجعا الى ايران لكن مرافقيه المغول اغتالوه على ضفاف جيحون في ( ٦٥٥ هـ ) .

### فتح بغداد وانهيار الخلافة العباسية

( ٦٥٥ - ٦٥٦ هـ )

خلافة المستعصم بالله ( ٦٤٠ - ٦١٦ هـ ) :

تولى أبو أحمد عبد الله الملقب بالمستعصم بالله الخلافة العباسية من عام ( ٦٤٠ هـ ) وهو آخر خليفة عباسي والخليفة السابع والثلاثون وكان ديناً خيراً هادئاً الطبع عفيفاً طيب السيرة محباً للمعلم حسن الخط لكنه خائر المعزم وأهن الرأي يجهل أمور السياسة والإدارة يفضي أكثر وقته في سماع الأغاني والمطربات والمهين أو في مكتبته الخاصة دونما



الاستفادة الحقة . ومع أن المغول كانوا خلف أبواب بغداد فقد كان يرأس سلاطين الأطراف يطلب منهم المغنين والمطربين بدلا من أن يتدبر أمره ازاءهم وكان يأمن الوضعاء في أعظم مناصب بلاطه وديوانه ورئاسته وحكومته . وكان رجال بلاطه قاطبة من الأراذل ومستولين تماما عليه كامل الاستيلاء بغير كفاءة ضعافا مغرضين حاشا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي (١) ، يميلون بالخليفة العاجز حيثما أرادوا ويهيئون أسباب ضعف الأمور ، لم يخطر ببالهم طوال الخمسة عشر عاما ما بين بداية خلافة المستعصم حتى وصول هولاكو بغداد التفكير في الخلاص ولم يعتبروا بما حدث لأهل خوارزم وما وراء النهر وخراسان (٢) .

وفي عهد خلافة المستعصم أتى المغول مرارا الى العراق لكنهم فشلوا في الاستيلاء على بغداد حتى عام ( ٦٥٦هـ ) وأول عهد قدومهم بغداد في عصر هذا الخليفة كان أوائل عام ( ٦٤٣هـ ) (٣) .

(١) ليس من مغرض غير المؤلف اقبال في مقالته هذه التي يالفك فيها كما سوف يتضح بقوله أن العلقمي هو المخلص الكفاء والصحيح غير ذلك تماما .

(٢) يصف وصاف الخصرة فضل الله بن عبد الله الشيرازي في كتابه تاريخ وصاف في دولة المغول ( مجلد أول مخطوط ، باهتمام وسمي الحاج خواجة ابراهيم غير واضح تاريخه ) وهو مؤرخ معروف للمغول والایلخانين وعاش بين الأخيرين وتوفي ( ٧٣٠هـ ) ، يصف الخليفة المستعصم بقوله : ( يمتاز من بين خلفاء دولة بنى العباس بخفض العيش والنعمة والرغاية وكثرة الأموال والنفائس والذخائر والأعلاق والجواهر كما اشتهر بالقسوة والعظمة والخيلاء والتكبر ) كتابه السابق ص ٥٧ المجلد الأول .

(٣) لم ينس هولاكو قبل فتحه الموت الاتصال بالخليفة العباسي طالبا امداده بجيش يساعده في فتح بلاد الملاحدة وكذلك أرسل الى حكام آسيا الغربية وقال : ( آتينا للقضاء على الملاحدة وإذا قمتم بقواتكم فسنقتلون بلادكم وأسراركم وستكافئون على ذلك ولو تردتم فسنوفد أعود اليكم بعد أن احطم هؤلاء الناس يعون الله وساعملكم بنفس الطريقة ) ومن المعروف أن طلب العون من الخليفة المستعصم كان حجة يتوارى خلفها إذا رفض الخليفة حتى يتسنى له الهجوم عليه ، وهذا ما حدث فعلا إذ شاور الخليفة اتيامه في هذا الشأن فحذروه من الاقدام على هذا العمل وادخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلص بغداد من الجيوش فيسهل عليه الاستيلاء عليها فامتنع الخليفة من ارسال المدد انظر : ( تاريخ وصاف مجلد أول ص ٦٢ - ٣ - Howorth, P. 193 )

أمر الخليفة أن يتأهب عساكر بغداد للحرب خارج دار الخلافة على سبيل الحيطة وأن يمنعوا العدو إذا ظهر ، وأخذ المغول يهاجمون متعجلين بغداد ظنا منهم قلة عساكر الخليفة فأنفذ الخليفة لمقابلتهم شرف الدين اقبال الشرابي أحد قادته .

وفي السابع عشر من ربيع الآخر من عام ( ٦٤٣هـ ) بلغ المغول أطراف بغداد فدخل جيش الخليفة بقيادة شرف الدين اقبال الشرابي وبعون الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي في جهاد معهم ، وهرب المغول تحت جنح الظلام لما لم يأنسوا في أنفسهم طاقة المقاومة وصينت بغداد وقتها من شرهم .

لم يتفق اتفاق بين رجال بلاط الخليفة وقادة جيشه ولم يبد بينهم اتحاد وكان كل منهم يسعى لتحطيم الآخر ، وفوق ذلك اشتد النزاع المذهبي بين أهل بغداد حتى احتدم القتال بين الشيعة والسنة في ( ٦٥٠هـ ) ونهب ابن الخليفة الكبير محلة الشيعة ومشهد الامام موسى الكاظم فنفر لحركته هذه عامة الشيعة ببغداد من بنى العباس وأصمر مؤيد الدين بن العلقمي وكان من الشيعة لهذه الواقعة البغضاء والاحتنة (٤) .

(٤) كانت الفتن بين السنة والشيعة امرا عابدا بين سكان بغداد والكرخ تقوم بين السوقة ثم يصطالح الطرفان ومن يقرأ حوادث الكامل لابن الأثير يلحظ أن هذه الفتن بدأت تأخذ طابعها المذهبي بفضل اتباع البويهيين بين الطرفين يبنون بذلك ايذاء السنة والخلافة كما حدث عام ( ٣٦١هـ ) ( الكامل ٢٤٣/٨ - ٤ ) وكان البويهيون يقومون بحرق الكرخ حيث يتجمع التجار الشيعة الاغنياء ثم يلصقون التهم بالسنة ( الكامل ٢٤٨/٨ ) . واستمر البويهيون والأتراك وأعداء الخلافة يتذرعون بهمسادة السنة والشيعة ظاهرا ويوقعون بينهم ابتغاء المصلحة فلم يكد يمر عام حتى يقيمون الفتن ( للتفصيل الكامل ٧٠/٩ - ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ) واستمرت حوادث الكرخ أيضا أيام السلاجقة الذين كانوا ينصرون الشيعة لغناهم مرة والسنة حسب مصلحتهم ثانية ( الكامل ٤٤/١٠ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٥ ) وكان الشيعة يتخلون عن تعصبهم ويلتزمون الجماعة بل كانوا ينصرون السنة على اتباع الخليفة ( الكامل ٦٧/١٠ - ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ - ٩٩ ) فحين يقدرع ابن العلقمي بمثل

==

وبينما كانت بغداد على حالها هذا أتى هولاءكو من العراق الى همدان بجيش عظيم وكان برفقته في سفرته هذه بدر الدين لؤلؤ ( ٦١٦ - ٦٥٧هـ ) صاحب الموصل والأتابك أبو بكر بن سعد أتابك فارس ونصير الدين الطوسي وعطا ملك الجويني .

ودفع هولاءكو من همدان في العاشر من رمضان ( ٦٥٥هـ ) سفراء الى الخليفة يطلبون منه قبول طاعته وأن يأتي بشخصه يقدم له الولاء واذا لم يتيسر الأمر يرسل له بقائد جيشه وابن العلقمي ومنشئه لتسليم رسائله اليه . فأرسل الخليفة رسولين الى همدان وخوفا هولاءكو سطوته وأمره بالرجوع الى خراسان ، فغضب هولاءكو لهذا الاقدام السفیه ، ولما أن أهل بغداد كانوا عاملوا سفراءه معاملة قبيحة فقد أرجع سفراء الخليفة وأعاد نصيحته بقبول حكم المغول (٥) .

وبعد عودة سفراء الخليفة لجأ الخليفة بتسيير الهدايا الى هولاءكو وبين له ضمن رسالة له سوء عاقبة من ثاروا على بنى العباس وصور وخامة نهاية يعقوب بن الليث الصفاري وأخيه والسلطان محمد السلجوقي والسلطان محمد خوارزم شاه ظنا منه أن هذا التهديد سوف يصيب القائد

---

هذه الحادثة العادية للاتصال بهولاءكو وخيانة المسلمين جميعا من السنة والشيعية وما أدت اليه من قتل وسفك وتخريب فلن يكون الأمر هو مجرد النعمة من ابن الخليفة وحسب وانما بغض هذا الوزير للمسلمين وايقاره مصلحته الخاصة على حساب دمايتهم وشرفهم خاصة وأن هولاءكو لم يترك شيئا ولم يلحظ أهل التشيع بل اتفنى الجميع . يحكى وصاف الخضر ( تاريخ وصاف ص ٦٠ - ٦١ ) ان ابن العلقمي اتى الخليفة عن هربه لما حوضر بخجة أنه يهد طريق الصلح مع هولاءكو وأرسل الخليفة ابنه أبا بكر الى المغول ليعجم مودهم فرأى حفاوة من هولاءكو بناء على اتفاق بينه وبين ابن العلقمي فطمأن الخليفة فخرج اليه ومعه ألف ومائتان من العلية كان مصرهم جميعا القتل . انظر أيضا : ( مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله . دكتور فؤاد الصياد ( مصر / ١٩٦٧ ) ص ٣٧ ) .

(٥) ذكر أن هولاءكو حين أعاد الرسل الى الخليفة كتب يتهدده قائلا ( اتنى متوجه الى بغداد بجيوش كالنمل والجراد ) : مؤرخ المغول الكبير ص ( ٣٤ ) .

المغولي بالرعب فيقلبه من نصف الطريق في حين أن هذه الرسائل قد زادت هولاءكو غضبا على غضب وغيظا فوق غيظ وعزما عن ذي قبل على التحرك الى بغداد(٦) \*

### فتح بغداد :

وفي تحرك هولاءكو شطر بغداد جعل أولا من العشائر والأمراء الساكنين على الحدود الجبلية للعراق بمنحهم الأموال والحكم حلفاء له ثم وجه بضعة نفر من أمراء المغول بقيادة سونجاق نويان أو سوغنجاك نويان عن طريق بلاد الأكراد الحالية وكيثو بوقا وعدة قواد آخرين عن طريق لرستان وخوزستان صوب بغداد وقصد هو نفسه هذه المدينة في أوائل ذي الحجة عام ( ٦٥٥ هـ ) عن طريق كرمانشاه وحلوان(١) \*

وعاود هولاءكو مراسلة المستعصم من أسد آباد وهمدان وطلب اليه الحضور اليه ، فأرسل الخليفة اليه شرف الدين بن الجوزي وجدد وعده ووعيده السابقين وطلب من هولاءكو أن يعود من طريقه ويفرق جنده ويرسل الخليفة اليه المال الذي قرره كل سنة \* فرفض هولاءكو هذا الطلب الذي يفوح منه النفاق وتجاوز كرمانشاه ودخل العراق \*

وحينما اقترب هولاءكو الى دار الخلافة بلغ سونجاق وبايجو حدود

---

(٦) قبل أن يقدم هولاءكو على غزو بغداد استشار كبار دولته فيما يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس فطمأنه نصير الدين الطوسي بأنه لا توجد موانع تحول دون اقدامه على الغزو ( تاريخ وصاف جلد اول ص ٥٨ ) \*

(١) أصدر هولاءكو أوامره بأن تتحرك جيوش جرماغون وبايجو من اطراف بلاد الروم عن طريق اربل والموصل متجه نحو بغداد لتحاصرها من الجهة الغربية وتنتظر حتى تصل اليهم جيوش هولاءكو من الناحية الشرقية . أما كيثوبوقا احسن قواد هولاءكو فقد اتجه بالجناح الايسر الى العاصمة العباسية عن طريق لرستان وخوزستان كما اتفد اليها بعض أمراء المغول بصحبة سونجاق نويان عن طريق كردستان الحالية . ( الصياد : مؤرخ المغول الكبير ص ٢٥ ) \*

العراق أيضا وعبروا دجلة بعد هزيمة طلائع جيش الخليفة وفتح كيتوبوقا أيضا لرستان ودخل العراق من ناحية الجنوب ، وحاصر القواد الثلاثة دار الخلافة من أواسط المحرم من ( ٢٥٦هـ ) وأخذوا يرمونها من أطرافها بالحجارة وقذائف النار والنفط .

وفي يوم الأحد الرابع من صفر من عام ( ٢٥٦هـ ) خرج المستعصم بأولاده الثلاثة وثلاثة آلاف من السادات الأئمة والقضاة وأكابر بغداد وأعيانها عن المدينة وبلغوا معسكر هولاءكو ، وبدأ القائد المغولي بلين الحديث اليه وأمره أن يمنع بقية أهل بغداد من استعمال الأسلحة ومجاهدة التتر ، ففعل الخليفة ما أمره وكف الناس عن الجهاد ، وأخرجهم هولاءكو عن بغداد بحجة احصائهم ثم قتلهم عن بكرة أبيهم وأصدر أوامره بالغارة على المدينة من الرابع من صفر ثم دخلها في التاسع منه وأعطاه المستعصم بيده مفاتيح خزائن الخمسمائة عام لأجداده وأظهر له كنوزه (٢) .

وفي هجوم المغول على بغداد أغلب أبنيتها وعمائرها من قبيل مقابر الحلفاء ومشهد الامام موسى الكاظم وقتل خلق كثير ، وفي النهاية أمر هولاءكو بعد أسبوع بالكف عن القتل والغارة عليها ثم خرج عنها لمفساد هوائها في الرابع والعشرين من صفر وطلب المستعصم اليه وأورده مع ابنه الأكبر أبي بكر مورد التهلكة في نفس اليوم (٣) ، وألحق بهما ابنه

---

(٢) أقعد هولاءكو المستعصم أمام مقعد مغطى بالحجارة الثمينة وأمره أن يأكل غزال ( لا يمكنني أن أكل الذهب ) فقال هولاءكو ( ولماذا احتفظت به بدلا من أن توزعه على جنودك ؟ لماذا لم تحول هذه البوابات الحديدية سهبا وتقدمت حتى ضفاف نهر جيحون لتحول دون تقدمي ) ؟ فقال ( انها ارادة الله لا غزال هولاءكو ) وما سيحدث لك هو أيضا ارادة الله .

(Howorth, P. 201)

وتركه يتضور جوعا أمام الأطباق الملائ ذهبيا وأحجارا ثمينة (D'ohsson, P. 243) ويقول وصاف أن هولاءكو لما وجه هذه الأسئلة الى الخليفة لزم الصمت ولم يفتس بينت شفة ( تاريخ وصاف ص ٨٢ ) .  
(٣) قتل الخليفة بطريقة اختلفت حولها المراجع والمرجح أنهم لفوه في بساط وانهلوا عليه ضربا بالعمى والدبابيس حتى مات دون اراقة دمه لأن المغول كانوا يحرمون اراقة الدم الملكي ويعدون ذلك من اكبر الكبائر .

الأوسط بعد أيام عدة وقتل كل من وجد من بنى العباس إلا ابن الخليفة الأصغر مباركشاه الذي وهبه هولاكو لزوجته فتركته إلى نصير الدين وزوجوه بامرأة مغولية وهكذا سقطت دولة العباسيين التي عمرت خمسا وعشرين وخمسمائة سنة وزالت الخلافة نهائيا وذكر أن عدد قتلى بغداد بلغ نحو ثمانمائة ألف (٤) .

وبعد قتل الخليفة أرسل هولاكو ابن العلقى إلى بغداد وزيرا له بها (١) وعين شحنة مغوليا لها أيضا وعمل هذان على تعمير المدينة وترميم خرائبها وتكفين القتلى ودفنهم وعاد هولاكو إلى خائفين بعد قليل لكن قواده أطبقوا على الحلة والكوفة والنجف وقتل المغول من أهل واسط نحو أربعين ألفا لما أبدوا المقاومة واستولوا على بلدهم وعادوا أدرأجهم إلى شوشتر وبلاد خوزستان الأخرى .

### موت هولاكو في ( ٦٦٣ هـ ) .

وبعد الاستيلاء على بغداد أتى هولاكو بالغنائم التي اغتنمها من

---

(٤) استباح المغول بغداد أربعين يوما ( كان كل يوم منها عبوسا مطيرين وشبه مستطيرا ) كما يذكر وصاف ( تاريخ وصاف ص ٨١ ) وقتلوا أكثر من ثمانمائة ألف شخص بقول هورث (Howorth, P. 201) ووصاف ولم ينج من مذابحهم حتى الطفل الرضيع ووجد المسيحيون الشرقيون في هذه الأيام الرهيبة فرصة للتشفي من المسلمين فقد اشتركت نسبة كبيرة من النساطرة والأرمن في جيش هولاكو وكانوا لا يقلون عنفا من المغول أنفسهم (Howorth, P.P. 200-201) ولم يسلم من بغداد غير الأرشاء والجالينة المسيحية التي لجأت إلى الكنائس تبعا لتعاليم البطريرق النسطوري ولم يمس المغول هذه الكنائس وذلك بسبب نفوذ أكبر زوجات هولاكو دوقوز خاتون التي كانت مسيحية تسورية ولم تخف كرها للإسلام وحرصها على مساندة المسيحيين على اختلاف مذاهبهم . وابتهج المسيحيون والصليبيون وهلوا لهولاكو وطوقوز واعتبروها قسطنطين وهيلينا وأنهما ليسا إلا أدوات الله للانتقام من أعداء المسيح : ( رنسيان تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٢١ — Howorth, P. 200 )

( ١ ) مكافأة له على خيائته للمستعصم والمسلمين ، فقد كان على مكانة خفية بالمغول قبل قدومهم إلى العراق ، كما سبق .

تهب بغداد والبلاد الأخرى الى آذربايجان فكنز جزءا في احدى الجزائر الداخلية لبحيرة كبودان (أورمية) (١) في قصر عال كان شيده بها وأرسل جزءا ثانيا لأخيه منكو ثم أثار مدينة مراغة عاصمة له وأمر نصير الدين الطوسي أن يبني له بها مرصدا ويعمل زيجا فقام في (٦٥٧ هـ) بهذا الأمر بعون عدد من علماء العصر وأنفق خمسة عشر عاما من عمره في هذا العمل ونشر محصلة الملاحظات الفلكية لهذه المدة التي توصل اليها من مرصد مراغة في كتاب عنوانه «الزيج الايلخاني» بعد هلاك هولاكو (٦٦٣ هـ) بفترة قليلة .

ومن الوقائع الهامة في أيام هولاكو بعد فتح بغداد غزواته بالجزيرة والشام التي بدأت من نفس عام الاستيلاء على دار الخلافة وكان نتيجتها فتحه الجزيرة وحلب ودمشق في سنتي (٦٥٧ و ٦٥٨ هـ) ومع أن فكرة فتح مصر لم تبرح مخيلته غير أنه بارح الشام اثر سماعه خبر موت منكو القآن وقنع بطلب طاعة مصر له .

وقتل المصريون رسل هولاكو وفي رمضان (٦٥٨ هـ) في عين جالوت في فلسطين غلبوا قائد هولاكو المشهور كيتو بوقا وقتلوا جميع جنوده ، ولهذا الفتح العظيم الذي أوقع بشوكة هولاكو الوهن الكبير أهمية كبرى في التاريخ لان طريق مصر وبلاد افريقيا الاسلامية وجزيرة العرب من هذا التاريخ انسد أمام المغول فلم يصلوا الى نتيجة بعدها برغم سعيهم الحثيث لنيل هذا المقصود (٢) .

(١) هي الآن بحيرة الرضائية وتدخل حدود ايران .  
(٢) لا شك أن هذا النصر الاسلامي الكبير كما يذكر تسييمان في تاريخ الحروب الصليبية (ص ٥٣٧) قد أنقذ المسلمين من أخطر تهديد تعرضوا له غلو أن المغول توغلوا الى داخل مصر لانتطوى العالم الاسلامي كله تحت سيطرتهم وفعلوا ببقية مثلها فعلوا بالعراق والشام ولزت البلدان العربية بالشرق الأدنى في دور مظلم تحت حكم المغول مما كان من الثابت أن يترك في تاريخها اثرا خطيرا بعيد المدى ، وأنقذت بلاد الشام من المغول وبعد ذلك من الصليبيين ، ولو انتصر كيتوبوقا المسيحي لازداد عطف المغول

وكان هولاکو في هذا الوقت في بلاد المغول وصار لسماعة خبر قتل  
 کیتو أسيفا غضوبا بدرجة كبيرة وهم بالانتقام لكنه أجبر على التوجه  
 لقتال برکای ولد جوجی وأخى باتسو ملك المقيجاق لتعريجه الى ايران  
 فغلبه على كتب من سد جبال القفقاز وأنفذ ابنه أباقا الى صحراء  
 القبجاق ، فالحق برکای الهزيمة بأباقا في ( ٦٦١ هـ ) في شمال القفقاز  
 فأجبر هولاکو على المكث بأذربايجان ليستدرك برکای وانهزم أباقا ،  
 لكنه هلك قبل تنفيذ هذا القصد في التاسع عشر من ربيع الأول ( ٦٦٣ هـ )  
 على ضفاف نهر جيغانو توفي آذربايجان وما يزد عن الثامنة والأربعين  
 ودفن بالقرب من دهخوارقان .

حينما كان هولاکو منشغلا بالأعداد الى مهاجمة القبجاق بلغه خبر  
 جلوس قوبيلای على عرش المغول خلفا لمنكوقا آن وتفويضه حكم البلاد  
 الواقعة بين ضفاف جيحون وهر من قبله ، فقسم هولاکو حكم هذه  
 البلاد بين ابنائه وامرائه ومن بين ذلك اعطاؤه ابنه الأكبر أباقا أو أبقا  
 حكم العراق وخراسان ومازندران والأمير انكيانو ممدوح الشيخ السعدي  
 فارس ومعين الدين بروانة بلاد الروم وابنه الأصغر أران وآذربايجان  
 وأحد أمرائه الجزيرة .

ترك هولاکو حكومة بغداد من ( ٦٥٧ هـ ) في عهدة شمس الدين محمد  
 الجوينی ، وفي حين تحركه لحرب برکای تغير على وزيره السابق فقتله

على المسيحيين ولاصبح للأخريين السلطة لأول مرة منذ سيادة النحل الكبيرة  
 في العصر السابق على الاسلام . وقد جعلت معركة عسین جالوت سلطة  
 المالك بمصر القوة الأساسية في الشرق الأدنى في القرنين التاليين الى أن  
 قامت الامبراطورية العثمانية التي اتمت تقويض المسيحيين الوطنيين في آسيا ،  
 مما حدث من ازدياد قوة العنصر الاسلامي واضعاف العنصر المسيحي الذي  
 زاد قسوة على المسلمين بالشام بالتحالف مع المغول لم يلبث ان أغوى المغول  
 الذين بقوا في غرب آسيا على اعتناق الاسلام ، وعجلت هذه المعركة بزوال  
 الأمارات الصليبية لأن المسلمين المظفرين حسبا تنبأ بمقدم طائفة الفرسان  
 التيوتون أمشحو حريصين على أن يتخلصوا نهائيا من أعداء الدين .



واختار شمس الدين وزيراً له بلقب ( صاحب ديون ) وأتاب أخاه  
علاء الدين عطا ملك في بغداد .

وهولاكو أحد خوانين المغول المحبين للتعمير شيد في مراغة وبحيرة  
أورمية ونهر جغتو وجبل آلتاغ عمائر ، ومال إلى الحكمة والنجوم  
والكيمياء فقد أنفق أموالاً مما احتازه من الاغارة على بلاد المسلمين على  
مباحث الكيمياء . واعتنق هولاكو البوذية وبنى معابد الأصنام في خوى  
لكنه زوجته المسيحية كانت ذات سيطرة تامة عليه وتدفع به إلى مراعاة  
المسيحيين فأدى لهم خدمات هامة وكان قائده المعروف كيتوبوقا مسيحياً .  
كذلك .

ولما لم يكن في إيران من يتبع مذهب بوذا اهتم هولاكو بأحوال  
المسيحيين وكانوا كثرة في أذربايجان وأرمينية على أثر نفوذ زوجته  
وأمرائه فأنشأت الكنائس في كل مكان . وكان الأرامنة ومسيحيو إيران  
غيرهم يعتبرون هولاكو وزوجته متقذين مساعدين لهم ولم يرضوا قط  
باستيلاء المسلمين ، خاصة من كان يسعى منهم كما سبق القول إلى  
استغلال قوة المغول لنفـع أهدافهم الدينية ويمدون المسيحيين  
الصليبيين الذين كانوا في قتال مع المسلمين بالشام ومصر ويحاولون  
القضاء على الاسلام تماماً في آسيا وأفريقيا (١) .

---

(١) يذكر المؤرخ الأرمني ( هيتون ) أن خطة الحملة المغولية على  
الشام قد تفررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمني هيثوم ملك أرمينية  
وبوهيمند السادس أمير أنطاكية الصليبي ، وكان الضمان قد طلب إلى هيثوم  
أن يسير بجيشه إلى الرها بحجة تخليص الأرض المقدسة من المسلمين وردّها  
إلى المسيحيين فجمع الملك الأرمني جيوشه وانضم إلى هولاكو وقدم بالطريق  
الأرمني ليمنح البركة للخان واتخذت حملة هولاكو الأرمينية المغولية سمات  
الصليبية ذلك لأن هيثوم كان في علاقته للمغول لا يتحدث عن نفسه فقط وإنما  
كان يتحدث كذلك من صهره الصليبي بوهيمند . لكن هولاكو لم يقتصر في  
تحالفه مع هيثوم بل أراد التحالف مع كل الصليبيين إذ أرسل رسالة إلى  
الصليبيين في غرب آسيا جاء فيها : ( لدينا أعداد كبيرة من المسيحيين بين  
عسائرتنا وقد جننا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين  
==

وكان هجوم المغول على الشام ومصر لتحقيق هذا المقصود خاصة وأن كيتو بوقا بعد الاستيلاء على دمشق شرع في تبديل مساجدها الى كنائس ، واذا لم يكن المصريون انتصروا في عين جالوت لاستولى المغول على آخر بلاد المسلمين أى فلسطين وأفريقيا الشمالية أيضا ولأصبح مع ضغوط الحليبيين في هذه الآونة لاقتلاع شأفة المسلمين أمرا مشكلا للإسلام أن ينجو ويحافظ على وجوده بين هذين الغريمين المتعصبين الحاقدين .

---

من العبودية ومن الضرائب التي فرضها عليهم المسلمون ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء جميع الكنائس التي خربها المسلمون ( . . ) وقد أنزلت الحملة المغولية المسيحية بالمسلمين بميفارقين وحلب الفطائع والمذابح وأحرقت المساجد بحلب واستسلمت دمشق للمهاجرين ومنحت للمسيحيين الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين ، يقول المقریزی في السلوك : ( واستطال النصارى بدمشق على المسلمين واحضروا غرمانا من هولاکو بالاعتناء بأمرهم واتامة دينهم وقالوا جهرا : ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، وشكوا أمرهم لنائب هولاکو ( كيتو بوقا ) فأهانهم وضرب بعضهم ومظلم قدر تسوس النصارى ونزل الى كنائسهم وأقام شعائرهم وجمع الزين الحافطى ( وزير تورانشاه صاحب حلب ) من الناس أموالا جزيلة واشترى بها ثيابا وقدمها لكيتوبوقا نائب هولاکو وليبدرا وسائر الأمراء المتقدمين من المغول وواصل حمل الضيافات اليهم في كل يوم ) للتفاصيل انظر : تاريخ وصاف جلد اول ص ( ١٠١ ) — رنسيهان ، تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٢٦ ، حبيب السير لخواندمير ص ٥٦ جزء اول — جلد سوم — حافظ همدى : الدولة الخوارزمية والمغول ( مصر / ١٩٤٩ ) ص ٢٣٨ — المغول في التاريخ للصياد ص ١٩٣ — ١٩٦ — المقریزی : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الثانى نشر محمد مصطفى زيادة ( مصر / ١٩٣٦ ) ص ٤٢٥ .

Howorth, P. 209/

## الفصل الخامس

سلطين مغول ايران او الايلخانيون

( ٦٦٣ — ٧٥٦ هـ )

بعد وفاة هولاكو نصبت زوجاته المسيحية ابنه ابقا أو أباقا الذى كان يحكم آنذاك خراسان ومازندان خلفا لأبيه وأنفدت رسولا عاجلا لأباقا فى أران حيث كان يمضى شتاءه واستدعته الى معسكر المغول فى جغتو ورمى أباقا فى الثالث من رمضان (٦٦٣هـ) عرش هولاكو رسما .  
ويقال لأباقا وأخلاف هولاكو غيره الذين حكموا من تاريخ موت الأخير حتى انهيار أسرتهم فى ايران سلسلة سلاطين المغول أو ' الايلخانيين ' ، وتعد أسرتهم مستقلة لقلّة علاقاتها مع خانات بلاد المغول ولأنها لم تحكم بأحكام بلاط قراقروم ، وأخذ نفوذ المغول وحكم خاناتهم الأصليين فى بلاد المغول الأولى يخفون من عهد جلوس أباقا فصاعدا تدريجيا ويسلك أعقاب هولاكو مسلك سلاطين ايران ورسومهم حتى عدوا فى الحقيقة طبقة من ملوك هذا البلد .

سلطنة أباقا خان

( ٦٦٣ — ٦٨٠ هـ )

بعد أن جلس أباقا خان على عرش ايلخانية ايران أثر أخاه الصغير لحكم دربند وشروان وصحراء موغان آلتاغ وجعل رئاسة جيش المغول فى الروم وحدود الشام لاثنتين من قواده وترك فارس وبغداد الى

سونجاق وأبقى الأخير عطا ملك الجوينى على حكم بغداد من قبله .  
وكانت وزارة أباقا خان من نصيب شمس الدين محمد صاحب  
الديوان الجوينى كما كان حالها فى الجزء الأخير لسلطنة هولاكو فقام  
بتدمير أمور الملك فى تبريز وابنه بهاء الدين محمد فى أصفهان والجزء  
الأكبر للعراق العجمى ، أما خراسان فقد فوضت الى اثنين من الأمراء  
المحليين وكرمان الى تركان خاتون وفارس الى الملكة ابش خاتون وهراة  
وغرجستان الى الملك شمس الدين كرت ، وكانت أتابكة لرستان ويزد  
يحكمونها والأمراء الايوبيون يديرون دفعة الأمور أيضا فى  
الجزيرة من قبل خان المغول .

كان علاء الدين عطا ملك الجوينى طوال مدة سلطنة أباقا خان  
( ٦٩٣ - ٨٦٨ ) حاكم بغداد وكل عراق المغرب من جانب سونجاق  
اسما ولكنه فى الحق كان مستقلا فى عمله تمام الاستقلال ، وسعى كل  
سعيه طوال مدة حكمه فى تعمير العراق العربى وترميم ما خربه عهد  
المغول فنشأ قرى وقصبات جديدة وأخرى أنهار للزراعة وأحال الأرض  
البوار مزارع فيحاء وتقدم فى هذا العمل الى حد ان بغداد زادت كما  
يقال عمارا عنها على عهد الخلفاء .

كان شمس الدين محمد الجوينى صاحب الديوان وأخوه عطا ملك  
اسباب ازدهار دولة أباقا خان ، وقام صاحب الديوان بجمع الضرائب  
العامة لبلاد أباقا وإدارة أمورها واجراء سياستها ولم يفقه أحد غير  
الخان ، وكان أن بلغت ايران نتيجة قدرته وحسن ادارته الرقى والقوة  
كما تجمع لصاحب الديوان هذا الاسم والرسم والثروة الطائلة وخلص  
الشعراء وأهل العلم والأدب محامد شمائله وذكر خيالاته فى الدواوين  
والكتب بالنظم والنثر .

وقد اصطفى أباقا مدينة تبريز عاصمة له وكان يقضى شتاءه فى  
ايران وبغداد وعلى ضفاف جغتو وصيفه فى آلتاغ ( وسياهكوة )

أو الجبل الأسود ولقيت تبريز من عهد حكمه ووزارة صاحب الديوان شمس الدين فصاعدا الرقي المتزايد ، خاصة وأنها لم تبطل في عهد المغول كما رأينا بالكثير من المصائب أو تنهب مثل غيرها من بلاد ايران وما وراء النهر .

## هروب أباقا : -

بنى أباقا زمن وفاة أبيه بابنة أحد أباطرة الروم الشرقية فقرب اليه المسيحيين متأثرا بنفوذها ونفوذ أمه المسيحية وجعل منهم وسيلة لقتال مسلمي الشام ومصر الذين كانوا في جهاد مع الصليبيين المسيحيين وعقد عن طريقهم مع البابا وسلاطين أوروبا مرارا اتحادا ضد المسلمين (١) ظهر لأباقا غريمان كبيران اثر غزوات عهد هولاكو الأخيرة غلبا جنود أبيه هما بركاي ولدجوجي ملك القبچاق والثاني مسلمو مصر . أرسله أباقا في أوائل ( ٦٦٤ هـ ) أخاه لمقاتلة بركاي ومع أنه كان منتصرا في البداية ، الا أنه بمجرد أن بلغ جيش بركاي الأساسي الى وادي نهر كورا وأرس استوحش أباقا من قوة عدوه فأثر العودة واتفق في هذه الأثناء موت بركاي ورجع جيشه الى صحراء القبچاق .

(١) لما مات هولاكو الملائد الوحيد لهيئوم امام هجمات الممالك سعى الى كسب تحالف أباقا خوفا من بيبيرس الذي كان يحفظ على الأرمن والصليبيين بمساعدتهم للمغول ، وذهب هيئوم يستصرخ الخان يقبريز بينما قدم بيبيرس فعضف بارمنية وأمر أحد أبناء هيئوم وقتل أبنا آخر ( ٢٤ أغسطس ١٢٦٦ هـ ) ثم عرج الى أنطاكية فآذاق أهلها وبالا بها فملوه وعجل بذلك بانتهاء المسيحية في شمال سوريا . وولى الأمراء الصليبيون وجه الاستفائة لأباقا ، يحكى القريري في حوادث ١٢٦٨/١٢٦٩ أن ( جماعة من الفرنج خرجوا من القرب وبعثوا الى أباقا ( أباقا ) بن هولاكو بأنهم واصلون لواعدته من جهة سيس في سفن كثيرة ) . وتوجه أمير طرابلس بالرغم من معاهدته مع بيبيرس لأباقا يستمرخه ويذكر له ما فتحه بيبيرس من القلاع والحصون وعندئذ صاح فيه أباقا قائلا : ( أنت ما جئت الا لتخونني منه وتفرني عنه وتبلى قلوب عسكري رعبا ) ( رنسيومان : ٥٥٣ - ٥ - القريري ج ١ ق ٢ ص ٥٨٤ - ٦٠٠ ) لكن أباقا غير لهجته بعدا هزيمة المغول في أبليستين كما سبلى .

وبعد انتهاء شربركاي زحف براق ملك بلاد جغتاي الذي كان يحكم على التركستان وما وراء النهر بجيوشه لقتال أباقا وقام من ( ٥٦٦٧ هـ ) حتى ( ٥٦٦٨ هـ ) بحروب في خراسان واذربايجان وأصاب أباقا بتعب شديد في ذي الحجة ( ٥٦٦٨ هـ ) منه مهزما على بعد خمسة فراسخ من هراة وأعاد استيلاءه على خراسان ولأذ براق بالفرار الى بخارى ودخل الاسلام فيها متلقا السلطان غياث الدين ونسج على منواله كثرة من قواد المغول في بلاد جغتاي وكانت هذه الطائفة أول من اعتنق الاسلام من المغول (١) •

أما في ناحية مصر والشام فبعد فتح عين جالوت استرد المسلمون الشام من المغول ( ٥٦٦٤ هـ ) وبلغوا حتى حدود أرمنية الصغرى أى قيليقيا وما حولها والتي كانت بيد أحد الأمراء الأرمن الخاضعين لأباقا فاستصرخ هذا الأمير أباقا •

وكانت سلطنة مصر يومذاك مع أحد ممالك الأيوبيين واسمه الملك الظاهر بيبرس ( ٦٥٨ - ٥٦٧٦ هـ ) ، وقد ألحق بيبرس من أشهر سلاطين المسلمين الهزيمة مرارا بمسيحي الصليبيين في أكثر من سفر حربي من ( ٥٦٦٦ هـ ) حتى ( ٦٧١ ) وطهر الشام ولبنان من الملاحدة الاسماعيلية ولما حمل على أنطاكية في ( ٥٦٦٦ هـ ) وكانت في يد المسيحيين استتجه أهلها أباقا ، فأمر أباقا الذي كان يتشوف الى غزو الشام ومصر معسكين الذين بروانه حاكم الروم بمهاجمة حلب لكنه لم يتحصل على شيء من حملته عليها لأن الملك الظاهر أجلى أمامه المغول وسيطر على البلاد حتى الجزيرة أيضا وبلغ جنوده ضفاف الفرات وفي ( ٥٦٧١ هـ ) انتصروا نصرا مبينا فيها حول النهر لكنهم عادوا الى الشام لما سمعوا بهجوم المسيحيين عليه •

---

(١) تفاصيل صراع أباقا وبراق ذكرها غامبرى في كتابه تاريخ بخارى من ص ١٩٢ حتى ص ١٩٥ •

وفي ( ٦٧٥هـ ) هاجم بيبرس ثغور الشام وما حول بلاد آسيا الصغرى وهياً معين الدين برواته له النصر لاتحاده معه في الخفاء بسبب اسلامه وبغضه لمسيحيي أرمنية الصغرى ، وغلب بيبرس بالقرب من قيسارية في الأبلستين في ذى القعدة ( ٦٧٥هـ ) الجيش المغولي والمسيحي ودخل بلاد الروم لكنه عاد أدراجه الى الشام بعد شهر واحد بسبب قلة المؤونة .

وصار أباقا لسماعه خبر هزيمة الأبلستين مغاضباً (٢) حتى أنه تحرك بنفسه الى الروم وأمر بأعمال السيف في عامة المسلمين بين قيسارية وارزنة الروم انتقاماً لقتلى المغول وقتل كثيراً من القادة والمسؤولين عن هذه الهزيمة وكان من ضمنهم معين الدين برواته الذي مزقوه ارباً وأنضجوا لحمه في وعاء وأكل المغول كل أجزاء جسمه لاختاد نار الغضب (٣) .

ومات الملك الظاهر بيبرس بعد عوته من أرزومة الروم في السابع والعشرين من المحرم ( ٦٧٦هـ ) في دمشق وبعد أن حكم ولداه أحدهما بعد الآخر تلقب سيف الدين قلاوون الألفى أكبر قواد بيبرس شهرة في ( ٦٧٨هـ ) بلقب الملك المنصور وأمسك بأزمة سلطنة مصر ، لكن سلطنته لم تكن بلا ميازع من بينهم أحد هؤلاء المتمردين الذي ثار في الشام ولبنان وأجبر قلاوون على التصديق على سلطنته في هذه النواحي دعا أباقا للقضاء على سيف الدين بالشام ، فأثنى أباقا مع أخيه منكو تيمور وثمانين ألف جندي الى الجزيرة والشام ، فعمل هو على فتح قلعة على شاطئ الفرات وسير منكو تيمور الى الشام . وفي الرابع عشر من رجب

---

(٢) قتل للمغول في معركة أبلستين نحو سبعة آلاف قتيل بكى أباقا لما شاهدهم صرعى بما جعله يعجل بتحالفه مع الصليبيين ( وليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر ( مصر / ) ص ٥٢ ) .

(٣) يفكر المقرئ في أن أباقا قتل من مسلمي بلاد الروم انتقاماً لهزيمة أبلستين ما يزيد عن مائتي ألف نفس ولم يقتل أحداً من النصارى ( السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٣٣ ) .

( ٥٦٨٠ هـ ) أنزل سيف الدين قلاوون هزيمة فادحة بالقرب من حمص بمنكو تيمور ، فولى الأخ موزوما الى أخيه ، وعاد أباقا وقد سسيطر عليه الخوف ومعه الجيود الفارون ، ولم تسنح له الفرصة بعد ذلك لمهاجمة الشام لأن المنون بعد ذلك بقليل أى فى العشرين من ذى الحجة ( ٥٦٨٠ هـ ) حل به وخلفه أخوه تكودار .

كانت وزارة أباقا طوال مدة حكمه لشمس الدين محمد صاحب الديوان الجوينى الا أن ارتقاء أمر هذا الوزير الذى فاق المعتاد وأبنائه فى حكم الولايات وأخيه فى بغداد والعراق والثروة الطائلة التى تجمعت لهم كان يبعث دائما حسد الأعداء من بينهم أحد أتباع صاحب الديوان وممن تربوا على يديه وهو مجد الملك اليزدى الذى جن جنونا لكى يبلغ مقاومه تألب مع أرغون ولد أباقا وجمع آخر من الأمراء وعمال الديوان وأخذ يسعى بصاحب الديوان وأبنائه وأخيه وفى ( ٥٦٧٨ هـ ) نفذ الى خدمة أباقا وأخذ يقذف فى أسرة الجوينى بالكذب والصدق حتى أنه نسب الى صاحب الديوان أنه حرض على انشقاق معين الدين بروانه فى حرب بيبرس وحث اليزدى أباقا على تحقيق أموال صاحب الديوان . وتوسل صاحب الديوان باحدى حريم هولاكو وهى أم منكو تيمور ونجا من شر سعاية مجد الملك بوساطتها .

وتقرب مجد الملك بوسائله الى أباقا ولم يكف عن دسائسه وعدائته لأسرة الجوينى وفى ( ٥٦٧٩ هـ ) نصب فى وظيفة المشرف أو الناظر العام للمنصرف فى البلاد الايلخانية وأصبح مشاركا لصاحب الديوان منافسا له ، وفى أواسط ( ٥٦٨٠ هـ ) بينما كان أباقا فى غزوته فى الشام اتهم أخا صاحب الديوان عطا ملك بالاختلاس وعدم ايمال بقية أموال بغداد وأرسل الايلخان لضبط هذه الأموال عمالا الى بغداد فأنتوها برفقة مجد الملك وألقوا بعطا ملك هذا المؤرخ الشهير بالسجن بعد ايدائسه وايداء أتباعه كثير الأذى وان كان أباقا عجل بالمعفو عنه بوساطة أحد أمراء المغول وأحسن له .



حفظ جلوس تكودار واسلامه أسرة الجوينى حتى فترة من شرو  
خصومة أعدائها لأن هذا الايلخان أناب بعد جلوسه مباشرة فى حكم  
مازندران والعراق وايران وآذربايجان باستقلال وبلاد الروم بمشاركة  
السلطين السلاجقة شمس الدين صاحب الديوان ، وفى حكم الموصل  
واربل ابنه هارون وبغداد والعراق عطا ملك كما كان فى السابق وخلع  
عليهم بأنواع الخلع فازدهر شأن أسرة الجوينى كرة أخرى .

### سلطنة السلطان احمد تكودار

( ٦٨١ — ٦٨٣ هـ )

كان أبا قباخان يميل الى أن يخلفه ابنه أرغون وبما أن ميله هذا  
خالف الياسا الجنكيزية التى تحكم بأن يلى السلطة أرشد الأمراء فقد  
رفع بعد موته أمراء المغول أخاه تكودار الى العرش واختير بالقوريقتاي  
المنعقد باللاتاغ فى السادس والعشرين من المحرم من عام ( ٦٨١ هـ )  
رسم لهذا المنصب .

عهد تكودار فى شبابه على دين المسيح ، وقد كان بالصين وقت غزو  
أبيه هولاكو ايران وهو الابن السابع له ، لكنه بعد اختلاطه بالمسلمين  
أخذ يميل شيئاً فشيئاً الى الاسلام فاتصل بالأمراء والرجال المسلمين  
وسموه بأحمد .

فى أواخر عهد أباقا انشعب أمراء المغول ثلاث شعب كانت احداهما  
تود تنصيب الأمير أرغون فى مقام أبيه وتشيعت شعبة ثانية الى تكودار  
ومالت الثالثة الى أن يلى هذا المقام منكوتيمور ولد هولاكو ، وميات  
منكوتيمور قبل أباقا بخمسة وعشرين يوماً فمال أتباعه الى أرغون  
واشتدت المنافسة يوماً بعد يوم بين أتباع تكودار وأرغون ، وبعد أن  
خلفه تكودار باسم السلطان احمد خان أخاه أباقا انقلب هذه المنافسة  
الى عداا علنى .

وبعد أن جلس تكودار بسط يد البذل والجود وفرق كثيرا من أموال أبيه المكتوزة على اخوته وامرائه وقواد جيشه ، وطلب صاحب الديوان اليه وكان فريسه مغالب أرغون فأنزله منزل الاحترام والاكرام ، وبعد ذلك أولى الأمير أرغون ملاطفته وبره ، لكن أرغون لم يسر لهذا فحالف أخا تكودار في نفس الوقت وصمم على مخالفته . ذ  
وأول ما قام به تكودار هو اعلانه الاسلام ديننا وراسل في هذا الشأن علماء بغداد وكبارهم وأظهر نفسه على أنه حامى الاسلام وتابع شريعة الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، وكان لاعلانه هذا طيب الوقع والأثر في المسلمين واقتدت به جماعة أخرى من المغول فدخلت الاسلام (١) .

وفي الصراع بين تكودار وأرغون أخذ مجد الملك جانب أرغون والتف صاحب الديوان واسرة الجوينى حول تكودار وفي النهاية نجح شمس الدين في اتهام مجد الملك بالاختلاس والسحر والشعوذة ومخالفة أرغون فأغضب الخان عليه . فسلم تكودار مجد الملك لعطا ملك لتسوية حساباته واعادة ما اختلسه ، وفي النهاية اطبق على هذا الرجل الماكر الطالب للجاء أعدائه في الثامن من جمادى الأولى من عام ( ٦٨١ هـ ) على باب خيمة عطا ملك ومزقوه شر ممزق وأرسلوا بكل شيء من أسلحته الى اقليم .

وصار أتباع أرغون المغول في غضب عظيم لما حدث لمجد الملك وهموا بالانتقام له وكان أرغون وقتها في خراسان فأقدم على ايداء عمال عطا

---

(١) أخذ أحمد في نشر الاسلام وأجبر جماعة من اليهود والمسيحيين على اعتناقه وتخرب كنائس تبريز وبذلها الى مساجد وقطع وظائف الأطباء النصارى واليهود وأخذ يفتتها على تجهيز قوافل الحجاج واهتم بالأوقاف على الأماكن المقدسة بالحجاز وبنى المساجد والمدارس الاسلامية في كل مكان وسمى الى الوثائق مع المالك حقنا لدماء المسلمين وتبودلت بينهما الرسائل تفيض ايمانا واسلاما وشكرا لله على هداية أحمد الى الصراط المستقيم ، وهذه الرسائل موجودة بالنص في تاريخ وصاف ( ص ٢٥٩ ، ٢٦٤ ) والسلوك ج ١ ص ٧٠٧ .  
انظر أيضا : حبيب السمر ج ٣ ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، تاريخ ايران از مغول تا افشاريه ، رضا بازوكى ( ايران / ١٣٥٨ ) ص ٨٨ — ٨٩ .

ملك بعد قدومه العراق والحق عظيم أذاه بأتباعه بحجة طلبه بقايا أموال عهد أبيه من بين ذلك أن أخرج جسد نائبه الذي لقي حتفه من فترة قليلة من قبره وألقى به في عرض الطريق ، ولما بلغ هذا الخبر عطا ملك وكان بأران مات حسرة في الرابع من ذي الحجة فأرسل السلطان ابن أخيه هارون لحكم بغداد .

ولم يصف أرغون أبدا لعمله تكودار وغضب لاسلامه وحسن روابطه بسيف الدين قلاوون فأعلن العصيان في وصوله بغداد وأخذ جانبه جمع كبير من أمراء المغول منهم كيخاتو ابن آخر لأباقا وهموا بدفع تكودار وقتله .

ووفق تكودار هذه المرة في ان يخمد فتنة العصاة ، واضطر أرغون الى العودة الى خراسان دائرة حكمه لما صار نهب الاعواز وفشل بسبب خلافه لتكودار في القبض على صاحب الديوان ومصادرة أمواله وكانت عودته اليها في ( ٦٨٢ هـ ) ، وبعد أن ضبط مالها طالب تكودار بحكم فارس والعراق أيضا بحجة أن خرج خراسان لا يكفيه فرفض السلطان فزاد أرغون غضبا على غضبه خاصة بعد قتل تكودار في نفس تلك الأيام أخاه الذي كان يحكم في الروم وحليفه لأرغون وأن اهراق دم الأمير المغولي بيد أهله لا تقره الياسا الجنكيزية ، وأدرك أرغون أن تكودار بعد اسلامه لا يظهر اهتماما ولا احتراماً في مراعاة تطبيق ياسا أجداده ولن يحسم العداء بينهما بغير الحسام المهند .

وكان تكودار يسلم بقتله اذا غلبه أرغون فتمكن بتدبير وزيره شمس الدين من طرد كيخاتو وأشياع أرغون غيره من العراق أولا ثم هزيمة جيش أرغون في صفر ( ٦٨٣ هـ ) على مقربة من قزوین ، لكنه بسبب خشيته منه طلبه اليه واعاده الى خراسان بعد اكرام له ومصالحة ، وقد مهد فعله هذا الخاطيء أسباب قتله ووزيره الكافي شمس الدين لأن أرغون لم يرفع عن غيه ، وحييما فكر تكودار في قتله سرا وفشت خطته

أحرق جمع من امرائه كان يظاهرون أرغون في الباطن خاصة الأمير بوقا في ليلة الثامن عشر من ربيع الآخر (٦٨٣هـ) بخيمة السلطان وكان ثملا وأهلكوا قائد جيشه وفر تكودار والوزير ناجين بحياتيهما ورفع العصاة أرغون إلى الحكم •

وقبض على تكودار أثناء فراره من آذربايجان فأمر أرغون في السادس والعشرين من جمادى الأولى (٦٨٣هـ) بقتله انتقاما لقتله أخاه ، ويقتله بدأ عهد زوال الأسرة الجوينية والمسلمين الذين بلغوا شأوا عظيما في عهد تكودار •

### سلطنة أرغون خان

(٦٨٣ — ٦٩٠ هـ)

بعد اختيار أرغون للإيلخانية في (٨٨٨٨٨ رود) بآذربايجان وإقامة مراسم الاحتفال بذلك أودع زمام حل الأمور وعقدها أي خلافة الوزير شمس الدين إلى الأمير بوقا وسير ابنه غازان برفقة الأمير نوروز بن أرغون آغا حاكم المغول المعروف إلى خراسان وضم إليه الري ومازندران وقومس وأناب أخاه كيخاتوف في بلاد الروم •

أما شمس الدين محمد وكان وقتذاك في أصفهان فقد قدم إلى خدمة الإيلخان الجديد خشية أن يهلك أرغون بموته إبنائه وأتباعه ، ولعله ينتظف به بدفع أموال إليه والتحايل بوسائل أخرى عليه فينجى أسرته من الاستئصال التام • وأثر تدبيره وعفا أرغون عن جرائمه وقرر أن يقتسم مع الأمير بوقا إدارة أمور البلاد الإيلخانية إلا أن الأمير بوقا واعداء شمس الدين خلفه خشوا تجدد قوته فاتهموه أمام أرغون بدمس السم إلى أبيه فأمر أرغون بقتل الوزير في الرابع عشر من شعبان بالقرع من (أهر) وقتل إبنائه وأحفاده وإبناء أخوته بالتدريج وسقطت الأسرة الجوينية بهذا الشكل المؤلم •

وشمس الدين محمد صاحب الديوان من أكبر الوزراء والعمال والكتاب الإيرانيين ولم يناظره في عهده أحد في كفاءته وتدبيره وشوكة جاهه وجلاله وثروته واشتهر بمزيد الحكمة والتواضع وحب الفضل والشعر ، وخلد أعذب شعراء الفارسية وأفصح متكلميها السعدي الشيرازي ذكره وذكر أخيه علاء الدين عطا ملك في قصائده وأنشأ بضعة نفر آخرين من كبار العلماء والشعراء الآخرين لذلك العهد مثل نصير الدين الطوسي والاستاذ صفى الدين الارموى ومهام الدين التبريزي وبدر الدين الجاجرمي (١) الكتب والقصائد باسمه وأفراد أسرة الجويني فتركوا ذكرهم بخير للخلف بعد أن شهر اسمهم على الألسنة وذكر على الأقواء عهدهم .

بعد قتل صاحب الديوان زادت قوة الأمير بوقا حدا لم يبق لأرغون فيه من السلطنة سوى اسمها وأعضب هذا الأمر كثرة من أمراء المغول وكبار دولتهم فسعوا الى الايلخان لطفى بساط استبداده ، وكان أذكي أعداء بوقا طبيبا يهوديا من أهل أبهر زنجان اسمه سعد الدولة الذي كان يعيش ضمن اطباء أرغون المقربين ، ولما كان يعلم ميل الايلخان الخفى الى جمع المال نال اذنه بالتحقيق في حساب عمال الأمير بوقا في بغداد وعاد في المرتين اللتين ذهب فيهما الى العراق بمال وفير وحوله لأرغون فاختره لحسن خدمته وزيرا له وفي السنة الثالثة أي ( ١٢٨٧ هـ ) قتل بوقا بجريمة الخيابة والتفكير في عصيانه .

وسرعان ما قصر سعد الدولة أيدي العمال والموظفين المسلمين عن أعمالهم وكان ينيب عنه في كل مكان من اليهود والمسيحيين وظلت خراسان والروم وحدهما بمنجى من شرور استيلاء اليهود لأنهما كانتا بيد غازان وكخاتو .

---

(١) أشهر هؤلاء الشعراء بعد الطوسي همام التبريزي ( متوفى عام ٧١٤ هـ ) من مشاهير شعراء آذربايجان ، كانت له صحبة مع الشيخ السعدي وهدايات شعرية وقد تأسى به في فن الغزل ، وله منظومات باسم ( صحبت نامه ) نظمها لشرف الدين هارون ولد شمس الدين محمد صاحب الديوان .

وكان سعد الدولة رجلا ذكيا كافيا فقبض على الأمور المالية للدولة ووضعا تحت إدارته وعمر الخزانة وأمسك بأزمة الأمور وقصر أيدي جميع أمراء أرغون عن الأمور بكل مكان وظل هكذا متسلطا مقتدرا حتى وفاة أرغون ( ٦٩٠ هـ ) وبلغ استبداده أن استصدر منه أمرا بمهاجمة الحرمين وتحويل الكعبة إلى معبد للأصنام وقتل علماء الإسلام لكنه أصيب بالمرض حينذاك بينما يخشى أن يمتنع من تنفيذه أمره ولم يطال الأمر حتى أهلكه أمراء أرغون في سلخ صفر ( ٦٩٠ هـ ) في آذربايجان ولحق به أرغون بعد أيام ستة أيضا •

### سلطنة كيخاتو

( ٦٩٠ - ٦٩٤ هـ )

وبعد حثف أرغون طلب أكثر أمراء مغول أخاه كيخاتو حاكم بلاد الروم إلى آذربايجان وانتخبوه خانا في الثالث والعشرين من رجب ( ٦٩٠ هـ ) •

وتزامن جلوس كيخاتو مع ثورة جماعة من التركمان ويوناني بلاد الروم فقصد كيخاتو هذه البلاد لتأديبهم وآب بعد شهر عشرة مظفرا منصورا إلى إيران •

وفي عودته من بلاد الروم أنفق كيخاتو بعد إصابته بالمرض على الناس صدقات كثيرة طلبا للشفاء ووزع الذخائر والنفائس التي جمعها أرغون وسعد الدولة على أمراء المغول وكبارهم وأصدر أمره بتحرير المحبوسين وأعطى العلماء والسادات وأئمة الدين من دفع الضرائب ومع أن هذه الأعمال كانت في الظاهر بدافع الاخلاص والجود والكرم فيه إلا أنها هدمت في الباطن أساس دولته بسبب خواء الخزانة وانتكاس العائدات وزوال الخوف من قلوب الزعية وآلت إلى سوء حال الناس •

## وضع (التشاو) النقد الورقى :-

استوزر كيخاتو صدر الدين احمد الخالدي الزنجاني الذي كان حليف مجد الملك في (٦٧٩هـ) ضد أسرة الجويني ثم أناب بعد ذلك عن الأمير المغولي في فارس ، وكان صدر الدين احمد هذا الذي لقب (بصدر جهان) أى صدر الدنيا من الكرام المحبين للآداب الأجواد ولكنه بغير كفاءة في الأمور الحكومية ومع أنه كان كثير البذل والعطاء فلم يقل كيخاتو عنه وكان يقول ان الذهب والمال والجواهر والنفائس زينة الزمان وكان يتشبه بأوكتاي القآن في بذله .

ونتج عن هذا التبالغ والتساهل في الانفاق عند الايلخان والوزير أنه لم يتبق في الخزانة دينار واحد حتى أن نفقات المطبخ الملكى اليومية أخذت في الاختلال ، وصمم الوزير للخلاص من هذه الأزمة وعن مشورة أحد أتباعه المطلعين على أحوال الصين أن يروج عمله ورقية بدلا من الذهب والفضة كما هو المتبع بالصين ونشر في (٦٩٣هـ) عملة ورقية تشبه أوراق النقد وأسماها (تشاو) في البلاد الايلخانية لكن أكثر الرعية لم يقبلها وأقفل غالب التجار محلاتهم وهجروا المدن فركدت المعاملات وكانت المدن الكبرى على شفا الثورة بسبب هذه المشكلة فاضطر كيخاتو الى تركها ولم يترتب عن فعله أيضا لاصلاح حال الخزنة المخربة نتيجة تذكر .

## قال كيخاتو في (٦٩٤هـ) :

كان كيخاتو فضلا عن ضعف نفسه واسرته سكيما فاسقا وأغضب في مدة حكمه القصير العامة عليه لانتهاكه شرف الناس وكرهه أمراء المغول أيضا وكان أقواهم بايدو حفيد هولاكو حاكم بغداد والعراق ، وفي النهاية قدم بايدو في جمادى الأولى بجيشه من بغداد الى آذربايجان ولما علم كيخاتو أن أغلب امرائه انحازوا الى بايدو هرب الى موغان وقتل بها بيد الثوار واختير بايدو ايلخان لايران .

## سلطنة بايدو

من جمادى الاولى حتى ذى القعدة من ٦٩٤ هـ

بعد قتل كيخانو رفع الأمير طغاجار والأمراء الآخرون بايدو الى الايلخانية وبعد أن جلس بالقرب من همدان في جمادى الاولى ( ٦٩٤ هـ ) نصب الأمير طغاجار في امارة الأمراء والجيش وأرسله نائباً عن صدر الدين الترنجاني لحكم بلاد الروم .

وقد تآمر جلوس بايدو قيام غازان بن أرغون خان الذي حكم خراسان يعاونه الأمير نوروز من بداية جلوس أبيه على الايلخانية .

وقد ثار الأمير نوروز الذي دخل الاسلام على غازان مخدومه ايام وزارة سعد الدولة وأخرجه عن خراسان في ( ٦٨٨ هـ ) فأرسل أرغون بايدو لضبط أمورنا فأضطر الأمير نوروز الى الفرار الى التركستان وظل في حالة عصيانته حتى ( ٦٩٣ هـ ) حين قدم يطلب عفو غازان فعفا عنه غازان وأحسن اليه .

وبعد أن جلس بايدو تحرك غازان بحث من الأمير نوروز ليلاقى ملاينخان الجديد بأذربايجان في الظاهر ويقصد القضاء عليه في الباطن ، وبرغم محاولات بايدو ارجاعه الى خراسان بالوعد مرة وبالأوعيد أخرى ظم ينصرف بدفع من الأمير نوروز حتى جرت الحرب بين الطرفين في الخامس من رجب ( ٦٩٤ هـ ) في احدى قرى مراغة وطلب بايدو من غازان الصلح بعد أن أحس الهزيمة في جنده ودخل الاثنان في مفاوضات شروط الصلح وتقدم البلاد الايلخانية ، وعاد غازان الى خراسان وهو غير مطمئن لحصانة نية أمراء بايدو وبعد فترة خالص الأمير نوروز بعد اتفاقات سوية مع طغاجار والأمراء المغول بالحيلة من بايدو ولحق بغازان .

وفي ( ٦٩٤ هـ ) اعتنق غازان الاسلام بتشجيع من الأمير نوروز وسمى نفسه محمودا واقتدى به نحو مائة ألف من المغول فدخلوا



الاسلام كذلك (١) فزادت هذه الواقعة من العداوة بينه وبين بايدو وحتى حل آخر عام (١٦٩٤ هـ) حين هاجم غازان آذربايجان متذرعاً بعدم وصول عائدات فارس التي ضمها بايدو الى حوزة غازان ، ولحق صدر الدين الزنجاني بمعسكر غازان أيضاً لسخطه على بايدو عزله من وزارته وهاجم بجنده آذربايجان وتخطى طغاچار والأمرء الباقون عن بايدو ليطلبهم الى غازان ولم يجد بايدو مناصاً من الفرار الا أن الأمير نوروز أوقعه بأسره بالقرب من نخجوان فأرسل به الى غازان في صحراء أوجان فقتله غازان في الثالث والعشرين من ذي القعدة (١٦٩٤ هـ) (٢) .

---

(١) راجع في ذلك أيضاً حبيب السير ج٣ ص ٨٣ .  
(٢) يذكر خواندمير أن بايدو بدأ حكمه عادلاً فأعاد الحقوق الى أصحابها وأعفى الأوقاف الاسلامية من الضرائب ( حبيب السير ج٣ ص ٨٢ ) ويورد وصاف أنه عهد بالوزارة الى جمال الدين المستكرداني فاختار لقب الوزارة بدلاً من لقب صاحب الديوان ( تاريخ وصاف ص ٢٨٤ ) ولم يكن يدين بالمسيحية يقول هورث ومع ذلك عمل على احياء آداب هذا الدين غير أنه في الوقت نفسه لم يكن يضرر عداءه للإسلام عكس سابقه فكان يرسل ابنه ليصلي مع المسلمين كما يصلون .

(Howarth III, P. 387/

## الفصل السادس

### سلطنة الايلخانات المسلمين

١ - سلطنة السلطان محمود غازان

(٦٩٤ - ٧٠٣ هـ)

من حين جلوس غازان حتى انهيار أسرة الايلخانات غدا الاسلام الدين الرسمي للدولة وتأسس الحكم الايلخاني على الشرع والآداب الاسلامية وزالت طاعة الايلخانات من وقتذاك للقائهم بخانباليغ وانبتت الصلة تدريجيا بين خانباليغ والبلاط الايلخاني \* دخل غازان في المعاشرة من ذي الحجة (٦٩٤ هـ) تبريز وجلس على الايلخانية في يوم النيروز بتلك السنة وكان أول ما أصدر من أمر يوم جلوسه وجوب قبول الاسلام ديناً للمغول واجراء آدابه الدينية ورعاية جانب العدالة ومنع الأمراء والأكابر من ظلم الرعية \*.

وبعد فترة كتب غازان أوامره الى الأمصار وأرسل رسلا خاصين وفحواها تخريب الكنائس والصوامع فخربت الكنائس ومعابد اليهود ومعابد نار المجوس وحطمت في تبريز اصنام البوذيين وطيف بها في شوارعها وبذلت الكنائس الى مساجد ونزل أذى كبير بغير المسلمين تعصبا للدين (١) \*.

وأمر غازان لطلب الأمير نوروز أن تسك الشهاداتتان على اختتام

---

(١) من ذلك اجباره غير المسلمين على الظهور بثياب مميزة لهم (حبيب السمرج ٣ ص ٨٣) \*.

الدولة وأن تشرع الأوامر والمكاتيب الرسمية بالبسملة وأن يراعى ذلك على العملة التى تضرب باسم غازان أيضا وبنقش أسماء الخلفاء الأربعة عليها كما كان الرسم أيام العباسيين \*

استورز غازان خان صدر الدين احمد الخالدي أو ( صدر جهان ) الزنجاني ثم أهلك من اشتراك في قتل كيخاتو من الأمراء وبعث بطارجار لقيادة عسكر الروم وأمر في عقبه من يقتله ونجا بذلك من شره وكان شديد النفوذ والقوة \*

وبعث اسلام غازان على ثورة طائفة من الأمراء البوذيين لكن غازان قبض عليهم جميعا بعون الأمير نوروز والأمير هرقداق ثم أوردتهم مورد التهلكة وعزل صدر الدين من الوزارة الذى اتهم بمؤازتهم بشهادة الأمير نوروز وهم بقتله غير ان الأمير هرقداق توسط له فنجوا من الموت وعاد الى الوزارة كما كان \*

### قتل الأمير نوروز في الثانى والعشرين من ذى القعدة ( ٦٩٦ هـ ) : -

جلس صدر جهان ثانية على مسند الوزارة لكى يفكر في الانتقام من الأمير نوروز الذى سعى في عزله فحالف أعداءه لهذا الهدف وسمى الجميع بوسائل متعددة الى قلب نوروز \* وزيف صدر جهان وأخوه قطب جهان على لسان نوروز وأخيه مراسلات موجهة الى سلطان مصر فدعواها أنه مع اسلام غازان الا أن امراءه لم ينالوا شرف الدخول فيه فما تراءل الفرصة للسلطان سانحة لمهاجمة ايران واستئصال شأفة الكفر وأن الأمير نوروز وأخوته متأهبون لعون المصريين وشملت خطاباتهم أيضا ذكر ارسال الأمير نوروز بضعة أثواب قيمة هدية للسلطان \*

وقد أثار افشاء هذه المراسلات حنق غازان خان وتحرك الايلخان وكان وقتذاك بهمدان معجلا الى شهبوان وقد بلغ به الغضب مبلغا جعله يقطع نحو خمسة وثلاثين فرسخا في اليوم ، وفي الحادى والعشرين من

جمادى الأولى ( ٦٩٦ هـ ) بلغ شهروان وأمر بقتل أخوة الأمير نوروز بدون محاكمة أو مسائلة وأرسل من يتتبع أتباع نوروز وأشياعه وأخوته الثمانية بالقتل حيثما وجدوا \*

واستدعى أخاه ( خدا بنده ) الذى كان ولى وجهه شطر خراسان بجيشه والأمير قتلغشاه وهرقذان ومعهما عشرون ألف جندى والأمير تشوبان وبضعة نفر آخرين من الأمراء من نقاط مختلفة وأمر الجميع بالقبض على الأمير نوروز بخراسان \*

وعلم الأمير نوروز بما يعد له فلاذ بالفرار بأربعمائة من صحبه الى هراة بعد أن خالفه قواد جيشه وانفصلوا عنه وذلك ليحتمى بالملك فخر الدين كرت الذى تزوج بابنة أخيه وعليه لنيروز أياذ بيضاء ولسكى يطلب مدده الا أن فخر الدين سلم الأمير نوروز الى جنود قتلغشاه فقتله قتلغشاه وسير رأسه فى الثانى والعشرين من ذى القعدة ( ٦٩٦ هـ ) الى غازان \*

#### قتل صدر جهان فى الثانى والعشرين من رجب ( ٦٩٧ هـ ) :

بعد قتل الأمير نوروز أشاح غازان خان فى جمادى الأولى ( ٦٩٧ هـ ) بوجهه عن صدر الدين أحمد الزنجانى صدر جهان بعد أن أتهمه عدد من عمال الديوان وأمراء غازان بالتصرف فى أموال الدولة وشكا صدر جهان رشيد الدين فضل الله الطبيب الهمدانى وهو من العمال التابعين له الى غازان متوهما اشتراكه فى مؤامرة ضده وحديثه للسلطان حديث العداوة لسه فرد عليه غازان أن رشيد الدين لم يثفوه بكلمة ضده \*

وفى هذه الأثناء قدم الأمير قتلغشاه الذى كان توجه لضرب ملك الكرجيين الى معسكر غازان على ضفاف نهر كورا ( كر ) وسمع أن صدر جهان قد تحدث الى الايلخان عن أتباعه شر الحديث ونسب اليهم الشدة فى القتل والنهب فعاتبه غازان فاستفسر من الوزير عن سبب

غضب الايلخان وعمن ذكره بسوء أمام غازان ، فأظهر صدر جهان رشيد الدين فضل الله الى قتلغشاه على أنه سبب القضية ومحرکہا فغضب قتلغشاه من رشيد الدين وشكاه الى غازان \*

وعلم غازان بعد استدعاء قتلغشاه أن صدر جهان اتهم رشيد الدين فحنق عليه وأمر بتقييده في السابع عشر من رجب (٦٩٧هـ) وبعد محاكمته تركه الى قتلغشاه لمعاقبته فشطره قتلغشاه نصفين في الثاني والعشرين من رجب وانتهت بهذا حياة صدر جهان الذي كان مع ذكائه وكرمه وأدبه رجلا طالبا للجهاد والفتنة والدسائس \*

وفي أواخر عام (٦٩٧هـ) حين كان غازان في طريقه من تبريز الى بغداد للقضاء الشتاء أصدر أوامره في أوجان بتولى سعد الدين محمد المستوفي الساوجي وزارته وديوانه ورشيد الدين فضل الله نيابة وزارته فأقبل هذان على ادارة البلاد الغازانية يعان أحدهما الآخر \*

### حروب غازان في الشام : —

ومن الوقائع الخارجية الهامة لعهد غازان غزوه مصر والشام ولم يكن موضوع النزاع في هذه الغزوات الدينية بين المغول ومسلمي مصر والشام كما كان في أيام هولاكو وأباقا لان غازان غدا مسلما وانما بعثت المنافع والمصالح السياسية الى ظهور الصراع بين الطرفين \* فقد رنا ممالك مصر الى اخراج بغداد عن يد المغول بعد أن استولوا بالتدريج على جميع الشام وسواحل البحر المتوسط من الصليبيين وبلغوا شاطئ الفرات الأعلى وكانوا يودون احياء الخلافة العباسية بها وقام غازان مدافعا عن أملاك الايلخانات واسترداد البلاد التي استحوذ عليها هولاكو وقواده من قبل \*

وشرعت الحرب في (٦٩٩هـ) حين هاجم غازان يصحبه الأمير قتلغشاه والأمير تشوبان وثلاثون ألفا من آذربايجان بلاد الشام

وأصاب المسلمين في ربيع الأول من نفس العام على مقربة من حمص في مجمع المروج بالهزيمة واستولى على الشام وفلسطين لكنه أجبر على العودة الى إيران لدفع المغول الجغتائيين فاهتبل المصريون الفرصة واستعادوا كثيرا من البلاد الضائعة .

وفي الحملة الثانية لغازان على الشام ( ٥٧٠٢ هـ ) أنزل الملك الناصر محمد ( ٦٩٨ - ٥٧٠٨ هـ ) ابن سيف الدين قلاوون سلطان مصر بأمره غازان الأقوياء في مرج الصفر بغوطة دمشق في الثاني من رمضان ( ٥٧٠٢ هـ ) هزيمة قاسية واستأسر منهم عددا كبيرا ولاد الأمير تشوبان وقتلغشاه بالفرار يجالهما فضيحة كبرى الى ضفاق لفرات حيث معسكر غازان . وتأثر غازان من هذه الهزيمة عظيم الأثر الى حد أن الدم كما ذكر نزع من أنفه لشدة غضبه وقتل بعضا من الأمراء المهزومين لتخفيف نار حنقه وأدب البقية بضربهم بالعصا ولم يبارح فكره الانتقام حتى موته (١) .

#### وفاة غازان في الحادى عشر من شوال (٥٧٠٣ هـ) : —

بسط غازان يد البذل والانعام بعد مجلس الشورى الذى عقده أثر هزيمة مرج الصفر في أوجان وتأديب قادة الجيش ، وخلع على كل من قادته وأنعم عليهم انعاما جزافا ، ومكث خمسة عشر يوما في مخيمه وزع فيها اموال خزائنه والأموال التى جمعت ظلما من الولايات من قبل باسم اعداد الجيش وصنع ما لم يصنعه ايلخان سابق في هذا العطاء . وبعد انتهاء قورينتاى أوجان أتى غازان تبريز لى يهيبه جيشه للتحرك الى الشام والانتقام من هزيمة مرج الصفر لكنه صار فريسة مرض بعينه على نحو مباغت ومكث فترة تحت علاج الأطباء الصينيين . وبعد قليل عاد الى أوجان وتحرك الى بغداد لقضاء الشتاء لكنه لم يستطع تحقيق

---

(١) لتفاصيل حروب غازان مع المماليك انظر حبيب السريج ٣ ص ٨٨

مقصده بسبب هطول الثلج والمطر فقرر أن يقضى شتاءه ذلك حوالى  
قزل أوزن •

أصيب غازان فى سفره لقضاء الشتاء الأخير بشديد المرض ولم  
يكف عنه الهم والحزن منذ هزيمة مرج الصفر ، ولم يجد أى علاج معه  
فاضطرب الى أن يتحرك فى أوائل الربيع من حوالى قزل أوزن الى ساوه  
واستقبله الوزير سعد الدين الساوجى فى منزله هذا حيث كان وطنه  
حرى الاستقبال •

وفى ساوه تحسن غازان تحسنا طفيفا لكنه حينما تحرك منها الى  
الرى عاوده المرض بشدة فاضطر الى المكث بضعة أيام فى الرى ثم سار  
الى قزوین ووافاه أجله فيما حولها يوم الأحد الحادى عشر من شوال  
( ٨٧٠٣ ) بعد نحو تسعة أعوام من الحكم فى سن الثالثة والثلاثين وحمل  
جسده من ذلك المكان الى تبريز وأوسدوه الثرى فى ( شنب غازان ) أو  
( شام غازان ) أحد الأبنية التى أقامها بجانب تبريز يعلوه قبة •

ومع قصر عمره حكم غازان إلا أنه مع ذلك أحد سلاطين الشرق  
العظام بلانجبة بسبب اصلاحاته وأعماله والأبنية والقواعد والقوانين  
التي نفذها ، وإذا لم تصح مقارنته بمثل كوروش الكبير ودأميوش الأول  
والسلاطين العظام الشأن الساسانيين لكنه يعد من ناحية ادارة الملك  
والدولة واحدا من مشاهير سلاطين ايران وأول ملك فى الاسرة الايلخانية  
من هذه الناحية • بيد أنه يتوجب الأخذ فى الاعتبار أن القسم الأكبر لهذه  
المناقب والمعظمة وعلو الصيت التى اتصف بها غازان انما يرجع لبركة  
وجود الوزير الأريب الفاضل خواجه رشيد الدين فضل الله الهمداني  
الذى أخذ على عاتقه ادارة بلاد غازان الواسعة بالتبدير والفضل  
والسياسة من ناحية وشارك غازان فى تحقيق رفاهية الرعايا واصلاح  
الأمر المالية وانشاء الأبنية والآثار الخيرية ، ومن ناحية ثانية خلط  
بقلمه المبدع ذكر مدامد غازان وأعماله البيضاء ووقائع أيامه علبى

صفحات الزمان ، وقد اجتمع غير هذا الوزير العالم له من الفضلاء نتيجة لحب الأدب وتشجيعه له في البلاط الإيلخاني وشارك كل منهم في هذه المرحلة بخطوة هامة على نحو يمكن أن يقال به أن عهد غازان وخلفيه أو لحاجتيه والسلطان أبي سعيد خان بسبب وجود رشيد الدين فضل الله وأولاده أحد ألمع العهود الأدبية لتاريخ إيران بل هو ولأسباب سوف نذكرها منعدم النظير في هذا المضمار في تاريخ هذا البلد .

### شمائل غازان خان وفضائله :-

غدا السلطان محمود غازان خان بعد أن أسلم من المؤمنين الجادين في الدعوة إلى هذا الدين وظل حتى نهاية عمره يجهد في رعاية مرائم الدين الحنيف وآدابه وإقامة شعائره ويسعى إلى تحويل ذلك القسم من عساكره الذي ظل على إثراكه وعبادته الأصنام أو بوزيته إلى الدين الإسلامي وكان يباحثهم ويحادثهم بنفسه لهذا الأمر .

كان غازان رجلا عاقلا خيرا بالحرب خاصة قبل بلوغه الإيلخانية أي عهد حكمه خراسان وذلك إثر حملات المغول المتعاقبة فيما وراء النهر على هذا البلد فقد أتقن فنون القتال ومجابهة العدو ووقف على أسرار هذه الفنون ولم يك يمالئ الموت بل كان يحرض جنوده دائماً على احتقار الحياة وعدم الخوف من لقاء العدو وكان يستحضر قواده في أغلب كما كان ديدن جنكيز ويلقى إليهم بتعليماته الخاصة ويوصيهم وصية جنكيز الفاتح الأريب بالاستفادة قبل كل شيء بالطرق والمرشدين والإدلاء والاستعانة بمدد جواسيسهم قبل التحرك لتأمين وسائل التموين والمؤونة وتحصيل المعلومات عن أحوال العدو المعنوية وتجهيزاته المختلفة . وقد جهد غازان جهداً بليغاً في رعاية النظام والانضباط العسكري وكان متأسباً بجنكيز في هذا الأمر أيضاً ويقول إن السبب الأساسي لهزيمة الجيوش هو عدم انتظام الجند وتفسخ انضباطهم وانحلاله وقت الوغي أو غلبة العدو .



كان غازان على علم قليل بالعربية ولغات الصين والتبت والتلاتينية فضلا عن اتقانه المغولية والفارسية وكان شديد الميل لمعرفة تاريخ السلاطين وآدابهم وأخلاقهم خاصة من عاصروه منهم وكان كلما صادف أحد الأجانب استعلم منه عن هذه الأمور كامل الاستعلام ، لكنه كان شديد التعلق فوق كل شيء بمعرفة تاريخ آبائه وأجداده المغول فلم يكن أحد من الأفراد والكبار المغول يضارعه علما بأحوال المغول وأشياء سلاطينهم ووقائع أيامهم وقد نقل رشيد الدين عن فم غازان قدرا من المعلومات النفيسة في كتابه المعروف جامع التواريخ .

وكان غازان خان فوق هذه الفضائل رجلا فنانا وله معرفة ببعض الصناعات اليدوية والحرف المختلفة من قبيل العمار والنقش والصدادة وصناعة الأسلحة وأنفق قدرا من عمره متجولا في طلب الكيمايا والاستغال بالرمل والتنجيم وجمع النباتات العجيبة كما هي عادة المغول وكان يفكر في بناء مرصد بالقرب من تبريز وصنع نموذجا له في شام غازان .

كان غازان يؤثر أهل الأدب والحكمة والفضل وغالبا كان يجالسهم ويطرحهم الأسئلة في محضرهم ولديه المام كاف بالأديان والمذاهب والملل والنحل يمضى كثيرا من وقته في مباحثه الفرق الدينية المختلفة ومناظرتهم . وكان ذا خبرة في تشخيص ندر كفاءة الناس ولياقتهم ينزل كلا مقامه الجرى به حسب فضله واستعداده ، وقلما كان يصغى لكلام المعرضين وسعاية الساعين ، وعلى النقيض من ذلك كان شديدا قاسيا فوق المعتاد في عقابه المخطئين وتأديبهم ويغلظ في معاقبة عماله وأتباعه وقواد جيشه الذين يتعدون حدود العدل والنصفة وكان جماعا لأزمة هوأه لم يصدر عنه ما يبين عنه تشهيه وكان ينزل من يرتكب رذيلة شديد العقاب والمؤاخذة ، ولما كان في تنفيذ يأساه التي سوف نذكرها غاية المراقبة والشدة فلم يقل حكمه في سفك الدماء وأعمال القسوة عما سبقه في الجهود المتقدمة .

## القواعد والياسا الفارانية : -

وضيح غازان قواعد لياسات لتحقيق رفاهية الرعية ووصول الضرائب وصولا منظما ورقع الظلم والتعدي وحسن إدارة الأمور وألغى كثيرا من الآداب والرسوم التي كان معمولاً بها قبله ولم يرض بها وزراءها مجافية للمعدل والنظام ، ونشر إلى قواعد باجمال :

١- قبل غازان كان جمع الضرائب بالولايات يقطع للحكام وكانوا غالبا ظلمة طامعون فطالبوا الرعية أحيانا بأداء الضرائب عشر مرات في عرض العام الواحد بل عشرين مرة في بعض الأوقات +

٢- وكان من القروض أن تجمع حصيلة هذه الضرائب من المضارح الجارية والصكوك التي كان يرسلها الديوان حوالات للرعية بالولايات إلا أن الحكام كانوا يثقلون أكثر هذه الضرائب والموائد بالاستيلاء عليها لأنفسهم فتبقى الحوالات بأيدي الرعية لم يؤد مالها أو تدفع ضرائبها فتعود إلى الخزينة + ولم يكن العمال بالديوان يفتشون قبط في عائدات الولايات ولا يعرفون شيئا عن حساباتها فيصدرون بدون أدنى ملاحظة أو مراجعة الصكوك والحوالات الآتية من حكام الولايات ، وكان بين هؤلاء الحكام وصاحب الديوان أو الوزير علامات متفق عليها فإذا لم يرسم صاحب الديوان هذه العلامات على الحوالات امتنع الحكام عن دفع أموالها التي أدتها الرعية .

٣- وقد هجرت الرعية العاجزة قراها لظلم الحكام وجورهم وجلوا عن أوطانهم فنتج عن ذلك خراب تام في المدن والقرى ، وكان عمال الديوان على علم كامل بهذه الأوضاع لكنهم لم يقدموا على القضاء على الظلم وأسبابه لتحالفهم مع الحكام ، وكانت عامة أصحاب الدواوين والوزراء المخول مشتركين في هذا الظلم بتفاوت بينهم والمسؤولين عما نتج عنه من خراب وان كان أكثرهم مسئولية صدر الدين الخالدي الزنجاني لأنه افتتح هذا الوضع الفاسد ووصل في أسرافه وانفاقه المال في غير موضعه إلى حد الافتضاح وبلغ إصدار الحوالات والصكوك من غير أن يصدّر

ما لها وضرائبها في عهده أبلغ القبح والفضيح . .

وكان غازان شديد التأثر لهذا الفساد المبالي فأقدم قبل كل شيء على تنظيم وصول الضرائب واقصار أيدي العمال وحكمهم بالولايات الظلمة وطمأننة خواطر الرعية من هذه الناحية ، لهذا أمر الأيقلع جمع الضرائب والآتطالب الرعية بدفع الضرائب أكثر من مرة طول العام ، وأرسل لكل ولاته مستوفيا خاصا لكي يعبد كشف أو صورة لمعاشرات جميع دافعيها من البلاد طبق آخر تحديد حدد لها بالاسم والراسم ويرسل به الى غازان ولكي ينمخ صورة أيضا للاملاك الشخصية والخالصة والأراضي الخاصة أو الس ( اينجو ) والأوقاف المستقلة ويذكر فيها أسماء المستفيدين بعوائدها في الثلاثين سنة الأخيرة ، ويرتب ويدون ( قانون المال ) كما كان المصطلح لكل ولاية . .

وبعد أن وصلت هذه الصور والكشوف الى الديوان وأزيلت أخطاؤها استنسخ منها عمال الديوان خلاصة العوائد والضرائب المقرر بالمطالبة بها سنويا وقيدت مضبوطة بالديوان ، ومهر الموظفون الكبار الديوانيون كشف ضرائب كل قرية ومدينة بالأختام الديوانية ووشح السلطان عليها باسمه ( ١ ) . .

وأصدر غازان أوامره بالا يقيد من هذا الوقت فما بعده حكام الولاية والمستوفون حوالات على أحد من الرعية وإذا خالف حاكم هذا الحكم فأصدر ضكا أو كتبه كاتب عوقب الأول وقطعت يد الثاني . . وكان اثر هذا النظام وإزالة التعدي على الرعية وظلمها وتحديد مقدار معلوم من الضرائب لكل قرية وضعية عن قواعده وقوانين ثابتة لأن عبرت الولايات بعد عامين أو ثلاثة ودخلت الأموال بتمامها غير منهوية الخزانة وقصرت يد تعدي الحكام والمستوفين والمبعوثين تماما .

---

( ١ ) التوضيح تعليق العنق بالصفائل والزينة وتزيين المكتوب بالأضياء والختم وباصطلاح علم البديع تضمين اسم الشخص أو الشيء في الحرف الأول للمصراع أو البيت بترتيب الجمع والترتيب . .

٢٠ - قبل غازان كان الرسم أن يرسل بمأمورين يسمي الواحد منهم ( ايلجى ) أى الرسول والمبعوث للولايات لتنفيذ أمور الدولة الهامة وإبلاغ أخبار المدن للعاصمة ، وقد اتسم هذا الرسم الذى كسان جاريما من عهد جنكيز بالسوء الشديد ، فقد كان عامة أمراء البيت المغولى وغيرهم من الأمراء وقواد العشرة آلاف والآلاف والمئات والشحنات أو قواد جيش الولايات يرسلون خدمهم مطلقين عليهم اسم الرسول والمبعوث ( ايلجى ) الى الولايات للاستخبار أو قضاء المصالح الأخرى ، وإذا ما كان لأمر خصومة مع آخر أو قضية لم يعرضها عليه الحاكم أخذ من بين من تقرب اليه مبعوثا يرسله للحاكم ، ومع أن منازل البريد كان يعد بها خمسمائة جواده الا انها لم تكن جيادها تكفى لركوب المبعوثين فكان هؤلاء المبعوثون يأخذون ما يريدون من خيول الرعية وقد بلغ أمر ظلم المبعوثين وتعديتهم على الناس حد أن جرأ جماعة من قطاع الطرق فسماوا أنفسهم مبعوثين وأخذوا يتهبون خيول الرعية ، ولم يكف الرسل بذلك بل كانوا يأخذون ما يطلبون من أهالى القرى الواقعة على الطرق من المؤونة والأغلاف . . . وحينما كان يمر المبعوثون كان رؤساء الولايات ينزلونهم فى منازل الرعية وأرباب الحرف وكان هؤلاء المبعوثون النهبة يستولون على كل ما يضادقوتة فى بيوت الناس وأحيانا كانوا يرتكبون أموراً مشينة فلها أيضا .

أمر غازي أن تكان لالغاء هذا الرسم أن يبين كل ثلاثة فراسخ في الطريق للمبعوثين الخاصين بالحكومة المكلفين بانتهاء الأمور الضرورية للمملكة منازل تحتفظ كل منها بخمسة عشر جواداً قويا وأن يعطى كل مبعوث معه أمر موشح من السلطان أخذ هذه الخيول، ووضعت هذه المنازل بيد أمراء كبار كما أرسل إلى الحكام والأمراء بولايات الحدود قدر من الورق الأبيض الموشح بخطاتم السلطان ليعطوها لمبعوثين إذا اقتضت الضرورة، وتقرر ألا يشطى أكثر من أربعة خيول لكل مبعوث، وإذا اقتضى خبر وجه السرعة في إبلاغه كان يمهده الحكام والأمراء

بأختامهم ويعطونه الرسول ليبلغه الى أقرب منزل اليه راكبا خيل منزله  
ويتقل نفس الفعل الرسول تاليه الى أن يحمل الخطاب الخيم السلطاني،  
وهكذا كان المبعوثون يقطعون في اليوم الواحد ستين فرسنگا وكسنان  
المسافة بين خراسان وتبريز مثلا تطوى في ثلاثة أو أربعة أيام .

وأمر غازان فضلا عن ذلك أن يصرف لكل مبعوث نفقات سفره  
وأن يبنى بالمدينة بيوت تسمى (ايلخى خانه) أى بيوت المبعوثين  
لأقامتهم، ولم يصبح لغير الايلخان ونواب البلاط الحق في إرسال مبعوث  
من لدنه، وعلاوة على ذلك أمر قاصدين في كل منزل ليبلغوا لدى  
الاقتضاء أخبار المنازل احداهما للأخرى وكان هؤلاء القاصدون يقطعون  
في اليوم ثلاثين فرسنگا .

٣ — عم غازان خان في شعبان (٦٩٨هـ) أمرا على جميع البلاد  
نهى فيه عن الربا وفوائد المال نهيا تاما كما أمر الحكام والشحنات بمقاب  
من يعصى الأمر .

٤ — قبل أيام حكم غازان خان كل حاكم لبلاد الروم وأذربيجان  
وفارس وكرمان والكرج ومازندران يسك عملته بغير عيار يخالف العملات  
الأخرى ولما لم يكن عيار السكيات واحدا في كل البلاد الايلخانية ظهر  
اختلال في التعامل وصار سبب ضرر التجار وجدال اكبر في أمور  
التجارة . وأصدر غازان أيام حكومته أمرا بأن يكون عيار العملة الذهبية  
والفضية في كل البلاد تسعة أعشار وأمر كيخاتو نفس هذا الأمر لكنه  
بسبب عدم قدرة الايلخانيين لم ينفذ هذا الأمر فلم يتجاوز عيار العملة  
الذهبية والفضية عن الثمانية الأعشار .

وجمعت بأمر غازان كل العملات المغشوشة في كل البلاد الايلخانية  
فلم يرج غير المسكوكات التي أمر بضربها وكان موظفون المسكوكات  
يضبطون العملات المخالفة لصفات المأمور بها ويكبسونها ويحملونها الى  
دار الضرب ليعاد سكها كاملة العيار .

٥ - وكان قبل غازان مقاييس الوزن والكيل بشكل خاص في كل ولاية بل في كل مدينة وقصبة وكان الوزن والكيل يختلف اثنائهما عن الآخر من قرية الى قرية اختلافا فادحا وكان هذه المشكلة تسبب كل حين بين موظفي الحوالات الضريبية ومحصلي الضرائب أو الرعية الاختلاف وتوجد حجة للعمال الجائرين لكي يحصلوا من الرعايا ظلما أكثر مما يحق لهم المطالبة به فكانوا يستنزفون الناس ما يريدون بضرهم بالعصى وتعذيبهم بحجة اختلاف المكييل والموازين ، وقد سبب هذا الاختلاف فضلا عن المعايير المشار اليها انتكاس التجارة أيضا وعدم رغبة الناس في أن يحملوا تجارتهم الى سائر الولايات لأنه غالبا كان يقع الاختلاف بين البائع والمشتري على الوزن والميزان وكان التعامل ينتهي أغلب الأوقات بضر البائع فصار هذا الأمر موجب نقص بعض الاموال في غالب الولايات .

وأصدر غازان لكي يوحد الأوزان والمكييل أمرا وزعه على سائر الولايات وعين موظفين مخصوصين لكي يساووا موازين التعامل بالذهب والفضة وأوزان الاحمال والمكييل في كل مكان وأن يصنعوا هذه الموازين من الحديد ويمهروها بأختام خاصة .

٦ - لما كان من نتيجة استيلاء المغول وحروب عهد الصلحكم الايلخاني وظلم العمال الديوانيين وتعذيبهم أن خربت أغلب القرى والقصبات وبارت المزارع ، أصدر غازان أمرا لكي تعمير ما خرب من الأراضي البور بأن يجدد الناس البعثات والمجانين ويزرعون المزارع البائرة لقاء معاملة خاصة من فروع الديوان لهم فيخفف عنهم الضرائب . وقبل غازان خربت الأملاك الخاصة الايلخانية أو أملاك الب ( ايلجو ) تماما وأكل الحكام الاموال المرصودة لها ، فالمر غازان بأن يوضح من الضرائب لكل ولاية مبلغ تحت اختيار الحكام لشراء البذور ونفقات الزراعة على أن يستنزل السنة التالية من محصولها . وفي السنة

الأولى أحب بعض الحكام أن يمتنع عن أداء مقرراتها بخضبة أضرار الأقات وضعف محصولها فصمت أملاكهم إلى الديوان بناء على أوامر غازان ونتيجة لذلك زرعت كل الأراضى البوار وبلغ إنتاجها مستثنى كبيرا \*

٧ - قبل غازان كانت طرق التجارة غير آمنة وخطرة بسبب تسلط قطاع الطرق عليها ومشاركتهم ممن سبوا أنفسهم رفاق القافلة فكانت أموال المسافرين ورجال القوافل معرضة دائما لخطر النهب والسرقة واتفق قطاع الطرق مع الأدلاء والمرشدين عليهم \*

فأمن غازان الطرق وأمسك بقطاع الطريق ولقوا جزاءهم ووضع مرشدين أمناء في المنازل الخطرة وقبرر أن يأخذوا عن كل حيوان أجرا معيناً وان يكونوا مسئولين عن سلامة الطرق ، وإذا وقعت سرقة في الطريق كان على مرشد هذا القسم من الطريق الذى حدثت فيه السرقة أن يقبض على اللص أو يدفع قيمة ما سرق . كما قرر أن يوضع على رؤوس الطرق قوائم قصيرة من الحجر أو الحصى ينصب عليها لوحات يكتب عليها عدد المرشدين والقدر المستحق لهم أخذ عن كل حيوان \*

٨ - قبل حكم غازان كان الملازمون خاصة الأيخانات الأمراء وقواد بلهم وخبولهم وقاصدوهم يتمولون بمال من الأثرياء بكل مكان يصلونه لنفقاتهم . وغلب أن يرد عليهم في اليوم الواحد ثلاث وأربع مجموعات من هذه الجماعة يعقب بعضها بعضاً يأخذون من الناس جوراً وعنفاً ما يريدون فننادى غازان في أسواق المدن أن لا يعطى من هذا الناسخ فصاعداً أحد بلا اسم ولا رسم الملازمين والقاصدين والجمالين الخاصة دينارا واحداً ولو سمع أن أحداً أخذ من غيره شيئاً ظلماً فسوف يسترد ذلك منه بضرب الهراوة وكان هو وجيشه إذا تزلوا بأى مكان اشتركوا ما يلزمهم بأسفار عادلة فلم يكن أحد يتعرض للرعايا والمعامه بسوء \*

٩ - نهى غازان بناء على أمر منه عن شرب الشراب والتكرلى

الشارع العام وقرر أن يطاف بالعامى فى الطرقات ثم يعلق بالأشجار وأرسل بالأوامر المتتابعة الى الولايات منع فيها الناس من التلطف بحديث الكفر كما أمر أن لا يعتقد أحد أن كفاءة السلطان أو قنطته لهما دخل فى الانتصارات التى كانت نصيبه أو نصيب جيشه بل يعدها جميعا من توفيق الله عز وجل وأن أى شر يتولد عن السلطان لا ينسب الا اليه ، وأصدر حكما كذلك يخفض فيه فى عقود الزيجات من صداق المرأة ويحدده بتسعة عشر دينارا ونصف دينار حتى اذا لم يحدث اتفاق بين المرأة وزوجها لا يكون أمر الطلاق متعسرا بسبب ارتفاع قيمة الصداق .

١٠ - وأحدى عظيمات اصلاحات غازان تنظيم أمر المرافعات واختيار القضاة والشهود وأمور التعامل العرفى فكان قبله سوق التزوير والعش شديد الرواج بسبب عدم الاهتمام باختيار القضاة وأخذهم الرشوة فقل أن فصل فى أمر بمقتضى العدل والانصاف وكان القضاة يستأجرون مناصبهم وشاع كمال المشيوع أخذهم بالشهادة الزور وتزوير الاقراءات والحجج وأخذهم الرشوة واعداد المستندات الزورة وتقليد الخطابات .

وأصدر غازان خان لكى يلغى هذه الرسوم المقبحة وليصلح نظام المعاملات والمرافعات أربعة فرمانات : للفرمان الأول بخصوص منصب القضاء والثانى بشأن التقدم وعدم الترافع لقضية مضى عليها ثلاثون عاما والثالث بشأن اثبات ملكية البائع قبل البيع والرابع تأكيد فرمانات الثلاثة السابقة وتكميلها .

١١ - لم يكن لرسوم الجنود ورؤسائهم وتمويلهم ورواتبهم نظام صحيح قبل غازان وانما كان لبعض قواد الجيش وخدمهم مقدار معين من الأجر يأخذونه من الديوان ، فحدد غازان للجنود الذين يخدمون على كعب من العاصمة رواتب معينة كان يرفعها من عام الى عام لاولها كانت مكوك رواتب الجنود قبله ترسل الى الولايات وغالب الوقت لم



تكن تصل أصحابها فيؤدى ذلك الى أضرار للرعية والجنود أصدر غازان أمره بأن تجتمع فى كل ولاية من الولايات فى مكان معروف أموال الديوان حين تجمع وذلك بعلم الشحنة لكى يدفع قيمة أى حوالة وصك فسور وصولها الى صاحبها فلا يضر الرعايا ثم أصدر فى ( ٥٧٠٣ ) أمرا حدد فيه لعامة الجنود اقطاعات معلومة .

١٢ — وقبل غازان كانت جماعة من صناع الأسلحة يصيبون كل عام مقداراً من الأجور المالية والعينية لقاء اعدادهم الأسلحة للجيش الايلخانى ، لكنه بسبب الهرج والمرج الشائع فى أمور البلاد لم يكن العدد المقرر ارساله من الأسلحة كل عام يرسلون به الى الجيش ، فقاطع غازان تعامله معهم وأمر بعضاً من صناع الأقواس والسهام والسيوف بارسال مائة مجموعة من كل منها سنوياً ويأخذوا قيمتها حسب السعر الجارى وكلف رجلاً أميناً بتسلم الأسلحة منهم كل عام وسمى ولاية ليدفع مالها ثمنها لهذه الأسلحة ، وبهذا النظام كان عشرة آلاف جندى على أهبة بأسلحتهم بينما كان يدفع قبل غازان ضعف ما دفعه ولا يسلح ألفا جندى .

١٣ — واحدى اصلاحات غازان ترقية ( التاريخ الايلخانى ) أو ( التاريخ النغازانى ) الذى قام به لتوفيق وتطبيق السنوات القمرية مع الشمسية فى التقويم الهجرى اذ أنه حدث فرق بينهما بسبب تأخير بداية العام أو ( النوروز ) ومن ثم تكون فارق ثلاثة عشر عاماً بين السنتين فى عهد غازان ، فطابق هذا الايلخان السنين القمرية بالشمسية فى الثالث عشر من رجب من عام ( ٥٧٠١ ) بعد أن اهتم تطبيقها من عهد المعتضد الخليفة العباسى والديلمية ، وجعل من هذا اليوم بداية تاريخ جدد ، ألا أن هذا التاريخ لم يدم وعجلت الايام بزواله

### الابنية الغازابية : —

غازان خان أحد السلاطين المعمرين المشيدين لكثرة تشييده الممائر والابنية ، وقد جرت عادة المغول أن يوسد اجساد خاناتهم ثرى مكان

مختلف بعيد عن للعمار والزراعة ويحظر دخوله ، فأحب غازان بعد أن أثار الاسلام ديناً أن يتشبه برجالات الدين الكبار وسلاطين المسلمين فابتنى لنفسه مقبرة وهو حى أوقف عليها لى يحيى على وقفها الصلحاء والزهاد والعباد فيذكرونه بالخير بعد موته ، ولهذا القصد بنى قبة فى (شام تبريز) الذى سمى بعد ذلك بشنب غازان أو شام غازان جنوب تبريز بثلاثة أرياع الفرسخ كانت من روائع المعمار الاسلامى فاقّت فى كبرها وعظمتها ما بنى حتى عهد فى البلاد الاسلامية .

وبعد أن أتم بناء قبة قبره أوقف عليها فى ايران والعراق أملاكاً خاصة ولاها الوزيرين سعد الدين السلوجى ورشيد الدين فضل الله ، وبنى حولها كثيراً من المساجد والمدارس والخانقاهات والحمامات ودور الكتب وغيرها من وجوه الخير .

وخلاف ما أثير اليه من أبنية أعاد غازان بناء مدينة أوجان بأكملها فى (٨٧٩٨) من جديد واختط فيها أسواقاً وحمامات جديدة وبنا خانقاة أيضاً فى همدان ، وشيد أسواراً دائرة حول تبريز وشيراز وعمر فى (٨٧٠٣) قلعة تبريز .

## ٢ - السلطان محمد خدابنده اولجايتو

(٧٠٣-٧١٦هـ)

اختار غازان خان كما سبق القول أيام حياته أخاه محمداً ولياً لعمده وخلفاً له وكان محمد حين وافى غازان أجله فى خراسان فما أن سمع بوفاة أخيه حتى اعتداء بقتل الأمير الأفرنگ ولد كيخاثر عن طريق جماعة من أمواته لو كان يطلب خلافة غازان لم يستاعده فى ذلك (هرقداق) قائد جيش خراسان ومع أن هرقداق ولي دبره فأبى إلا أنه لم يقض فترة طويلة حتى وقع فى الأسر ثم قتل مع الأخير له وثلاثة أولاد ونجساً محمداً فى بداية حكمه من شر عائلة عظيمة !

بعد القضاء على فتنة الأفرنج وهز قداق وإدخال جنوده هما طاعة  
السلطان وإشاعة الأمن بخرانان تركها السلطان متعمداً إلى تبرز دار  
ملكه وقد رافقه في سفره هذا كثرة من الجند وجمع من الأمراء الكبار  
من قبيل الأمير مولاي سونج وإيسن قتلغ وعلى القوشنجي .

وبعد جلوس محمد على العرش لقب نفسه السلطان أولجايتو  
أي السلطان المغفور له وكان إذ ذاك لا يزيد عن الثلاثة والعشرين عاماً  
وهو ثالث ابن لأرغون خان .

وقد لقب الشيعية السلطان محمدًا أولجايتو بلقب ( خدابنده ) أي  
عبد الله بسبب تعلقه بمذهبهم إلا أن أهل السنة حرّموا هذا اللقب إلى  
( خربنده ) أي الكار والخمار بدافع العداء والحقد وذكر لقب السلطان  
محمد أو لجابتو لهذا السبب بالشكلين معا في كتب القدماء .

أضمر أولجايتو بعد جلوسه بأيام ثلاثة أمراً يقضى بتأدية المراسم  
الدينية وتعمير الأسلام ورعاية قوانين غازان وبإشاعته ونظّم على الأمراء  
وهواد الجيش الكثير ، ومنح مئتمنة ثوبان رئاسة (١) القيادة العامة  
للجيش والمقام الأول بين رجال الملك ، وجعل تحت امرته الأمير تشوبان  
وفولاذقيا وسونج وإيسن قتلغ ثم أبقى رشيد الدين فضل الله الهمداني  
الطبيب وزيراً له كما كان سابق حاله أيام أخيه وجعل سعد الدين محمد  
الساوحي شريكاً له في أمور الديوان والوزارة .

#### بنساء السلطانية في ( ٧٠٤ هـ ) : —

فكر غازان خان أو آخر عمره أن يختط مدينة في ( بجمن سلطانية )  
حيث ينبع نهر أبهر وزنجان القنيران وشرع في بنائها فلولا أن الأجل

(١) بالتركية بيلكر بكي أي رئيس الرؤساء أو أمير الأمراء وذكرها المؤلف  
في النص الفارسي : « وفي تاريخ بخاري أن هذه الزوجة العسكرية تمسك في  
العصر الحديث رتبة المشير وكانت شاركتها ملها أحرار طويلا ، وقد ظلت هذه  
الرتبة في عهد تيمور والأوزبك . ( تاريخ بخاري ص ٢١٥ وحاشية رقم ٢ )

لم يمتد به فاقتفى أولجايتو فكرة أخيه •

كانت منطقة السلطانية الجالية ومروجها عهد المغول مرتعا لأجشامهم وغلب أن كانوا يلقون برجل اقامتهم في عبورهم من العراق الى آذربايجان أو بالعكس ، فالقى غازان خان فيها وكانت خربة تماما أساس مدينة وبدأ بناءها أولجايتو باسم السلطانية على بعد خمسة فراسخ من زنجان وتسعة من أبهر في ( ٧٠٤ هـ ) فلتمها في مدة عشرة أعوام بحيث أن في عام ( ٧١٣ هـ ) ظهرت احدى أعظم البلاد الإسلامية في مكان لم يكن أكثر من مرج وأنشأ بها كثيرا من العماثر والمدارس والمساجد والحمامات والأسواق وتجمع بها سكان كثيرون من كل طبقة •

وأمر أولجايتو ببناء سور مربع حول السلطانية كان طوله ثلاثين ألف قدم وبلغت ضخامة جدرانه أنه كان بمكة أربعة فرسان أن يتحركوا على جدارها متحاذين ، وأقام أولجايتو بوسطها قلعة عظيمة كانت كأنها مدينة في عظمتها وبنى بها قبة ليدفن بها بعد وفاته وعرفت باسمه ( شاء خدا بنده ) وهي من اهم الأبنية ومن النماذج الرفيعة للمعمار في عهد المغول •

وقد اقتفى أولجايتو في بناء السلطانية الأسلوب الذي سار عليه غازان في بنائه شنيب غازان في تبريز فقد أمر بعد تشييد المدينة والقبة على أطراف قبره ببناء سبعة مساجد زين أحدها بالمرمر والصيني على نفقته وأقام فيها كثرة من الأبنية كدار الشفاء ودار الدواء ودار السيادة والخانقاة وأوجد أولجايتو أيضا في السلطانية بعد قصر بناء لاقامته الخاصة مدرسة كبيرة على غرار المدرسة المستنصرية ببغداد استدعى اليها المدرسين والعلماء وأهل البحث والدراس من كل حذب وصوب •

وقد شارك في بناء العاصمة الجديدة أمراء أولجايتو ووزراؤه كل بنصيب ومن بينهم الوزير رشيد الدين البذى عمر محله كاملة من السلطانية شملت ألف دار فضلا عن مدرسة ودار للشفاء وخانقاه •

وبعد أن بنى أولجايتو السلطانية استقدم أفواجا من أرباب الحرف  
والمصناعات من تبريز إليها وشغلهم بترويح صناعاتهم اليدوية فيها ،  
وافتن في الإهتمام بها حتى صارت في مدة وجيزة أول مدينة في البلاد  
الایلخانية بعد تبريز ، ولكن للأسف لم يدم لها عظمتها إذ زالت أهميتها  
بعد أولجايتو وأبى سعيد خان مرة واحدة ، فخربت بالسرعة التي عمرت  
بها وسوى الأمير تيمور لك الذي كان كانه على عداء شخصي مع العمار  
ما بقي منها بالأرض ولم تترك هذه المدينة من ذاك الوقت حياة وما تزال  
الى اليوم أطلالا .

### فتح جيلان في (٧٠٦هـ) : -

بقيت ولاية جيلان الصغيرة الواقعة من أردبيل وخلخال حتى حدود  
كلاردشت وأرض مازندران طوال عهد الاستيلاء المغول بمنجى  
من سيطرة قواد جنكيز وهولاكو والایلخانات. أعقابهما ولم يتمكن المغول  
منها بسبب وجود المعابر الصعبة العبور إليها والمروج الكثيفة حولها .

وفي ( ٧٠٦هـ ) سير أولجايتو أربعة جيوش من أربع نواح على  
النحو التالي : أرسل الأمير تشوبان من ناحية أردبيل وطالش وقتلغشاه  
من جهة خلخال وطوغان والأمير مؤمن من اتجاه قزوین وكلاردشت واتجه  
هو بالجيش الرابع عن طريق لاهيجان صوب جيلان هدف الهجوم .

أرسل أولجايتو قبل غزوة جيلان سفراء الى أمرائها المحليين طلب  
منهم طاعته ، فبعث أمراؤها كلهم بهدايا الى السلطان ودخلوا طاعته  
فلقوا منه الاحترام لكنهم أدركوا بعد قليل أن ثروة جيلان  
التي فاقت الحد وصيت انتاجها خاصة حريرها أطعما أمراء أولجايتو  
بالولاية ، فأصبح كل أمير من أمرائها يتوقع ويضرب أخماسا في أسداس  
وبدأ كل منهم لذلك السبب يخرج عن طاعة السلطان وينبغث للدفاع عن  
أملكه الوراثية وماله واسمه ، فأخفق هذا أولجايتو وصمم على تحريك

جيئته والاستيلاء على جيلان من الجهات الأربع .

ومع أن فتح جيلان كان يبدو للوهلة الأولى سهلا بسبب صغرها وقربها وعدم قوة أمرائها المحليين الا أنه اتضح بعد قليل أن أمر فتحها ليس سهلا كما كان يبدو لأن صعوبة الطرق والموانع الكثيرة كالغابات والجبال والأمطار والأوحال من ناحية جعلت من جيش أولجايتو في كل خطوة يخطوها نهب الشدة والخطر ومن ناحية أخرى فإن دفاع أهلها البطولي عن أرواحهم وأموالهم أحل بجيش خدابنده الهزائم المتتالية ومع أن أولجايتو سيطر على جيلان نهاية الأمر وأدخل أمراءها طاعته يؤدون الخراج اليه الا انه غرم خسائر ضخمة في الأرواح وقتل القائد العام لجيشه وهو قتلغشاه الرجل الأول في المملكة في هذه المعارك .

وبعد أن سيطر أولجايتو على جيلان وادخل أمرائها طاعته قرر أن يرسل كل منهم مقدارا من الحرير كل عام كخراج الى المعسكر الايلخاني ويعد نفسه من هذا الوقت تابعا له ، ثم قرع ابن قتلغشاه بالعصا لفراره من الحرب وعين الأمير تتسويان في منصب قتلغشاه أى القيادة العامة للجيش وعاد بجميع أمراء جيلان المطيعين الى السلطانية .

### أولجايتو والنشيع : -

عمدت أم أولجايتو وكانت من قبيلة الكرائيت المسيحية ابنها - نيكولا في البداية - طبق مراسم الدين المسيحى وعاش أولجايتو بهذا الدين حتى وفاة أمه فتزوج بامرأة مسلمة . وقد حثته زوجته على الاسلام واختار خدابنده من المذاهب الأربعة السنية المذهب الحنفى مذهباً بسبب نفوذ علماء خراسان الأحناف وأصبح مسلماً رسماً وأمر بنقش اسم الخليفة الأول على مسكوكاته .

وفى ( ١٢٠٩ هـ ) دخل السلطان محمد خدابنده المذهب الشيعى بتشجيع أحد امرائه ذوى النفوذ واصرار علماء الشيعة فأمر

بترك أسماء الخلفاء الثلاثة في السكة والخطبة وباحلال أسماء أمير المؤمنين على والامامين الثانى والثالث عند الشيعة محل الأوائل في الخطبة والاقتصار في السكة على اسم على بن أبى طالب وقبول شعب ايران مذهب التشيع .

وأصدر أولجاتيو أمره لى ينشر عقائد التشيع بجلب أئمة هذا المذهب من البلاد لينشئوا مدارس خاصة لتعليم اصول التشيع وعقائد فرقته كما هيا مدرسة بحوار قبة السلطانية عمل فيها ستون معلما ومدرسا اجتمع عليهم مائتا تلميذ لتعليم عقائد الشيعة وأنشأ مدرسة أخرى في معسكره باسم ( المدرسة السياره ) من خيم تطوف مع الجيش أينما ذهب ويتحرك معها طائفة من كبار علماء الدين ليدرسوا لطلاب العلم .

وقد دفع اقبال أولجاتيو واهتمامه بالمذهب الشيعى علماء الى أن يأتوا معسكره من كل حذب وصوب ويحببوا السلطان أكثر مما سبق في هذا المذهب ويحاولوا احكام ايمانه به بالأدلة الكلامية والشواهد المختلفة فيسدوا الطريق على نفوذ أئمة اهل السنة . وكان بين هؤلاء العلماء العلامة جمال الدين الحسين بن المطهر الحلى ( ٦٤٨ - ٥٧٢٦ ) وابنه فخر المحققين فخر الدين محمد ( ٦٨٢ - ٥٧٧١ هـ ) وكلاهما من علماء الشيعة المعروفين خفا مع جماعة أخرى من أئمة هذا المذهب الى بلاط أولجاتيو بالسلطانية وقدم العلامة الحلى وهو من أشهر مصنفى الفرقة الامامية الاثنى عشرية ومن علماء المعقول والمنقول ومن تلامذة نصير الدين الطوسى كتابين في اصول عقائد الشيعة من تأليفه تحفة الى أولجاتيو . وأنزل السلطان بالجللى وابنه منزلة الاحترام وأقاما بالمعسكر ، وطفقت قوة التشيع تزداد يوما بعد يوم اثر هذه الواقعة وأتى علماء الشيعة من البلاد المختلفة خاصة من العراق والبحرين ايسران وانكبوا على تأليف الكتب ونشر عقائد هذا المذهب .

وكان السلطان خدابنده ذا طبع مسالم قليل التعصب فبعد قليل

من قبوله التشيع وإصدار أوامره بالترويج له بتشجيع علماء الامامية رأى أن اهل أغلب بلاد ايران خاصة اهل قزوین وشيراز واصفهان لا يطيعون أوامره وأن جماعة من أمرائه يصرون ويتعصبون في الحفاظ على مذهب اهل السنة ، لهذا قلل من حماسه الأول في مشايعته للتشيع وأمر ثانية آخر عمره أن تدخل أسماء الخلفاء في السكة والخطبة .

### قتل سعد الدين الساوجي في ( ٧١١ هـ ) : —

عمل سعد الدين محمد الساوجي مشاركا لرئيس الدين فضل الله الشطر الأعظم لسلطة غازان وأولجايتو في ادارة أمور الدولة وتدبير مهامها لكنه أخذ يفقد قبوله الأول في خدمة أولجايتو بالتدريج ونزل منه منزلة خشونته ، والأمر الذي كان باعثا على أفول نجم إقباله يوما بعد يوم هو طلوع كوكب سعادة رجل ذكي طامح للمجد نفذ الى البلاط الإيلخاني وأخذ يستلفت انتباه أولجايتو اليه آنا بعد أن وهو تاج طيشاه جيلان تبريزي وكان في الأصل دلال جواهر وأحجار كريمة لم لم يكن بفضل أو علم ولكنه بفهم وذكاء والاستعداد ، وقد تعرف الى الأعيان والأمرء وكثر تردده عليهم عن طريق تعامله التجاري معهم وعرف نفسه بنفس الطريقة للسلطان فأصبح موضع اهتمامه .

وأرسل الوزير سعد الدين بطيشاه الى بغداد ليدبر المصانع الخاصة بالنسيج بها لابعاده عن البلاط فذهب اليها بطيشاه وسرعان ما نظم أمور مصانعها تنظيما حسنا وصنع بها بعض المنسوجات النفيسة العالية القيمة لم يصنع مثلها أحد قبله ولما قدم السلطان بغداد أتحفه بطيشاه وأهداه بها ، فزاد اهتمام خدابنده به أكثر مما كان وأخذ أمره في الارتقاء حتى أنه رافق العسكر السلطاني ، ولما بلغ الجيش السلطانية شيد بطيشاه على نفقته الخاصة بهذه المدينة أبنية رائعة وأقام سوتها لم ير مثله حتى ذاك الوقت بالعاصمة فرضى أولجايتو الذي كلف بتعمير هذه المدينة والبناء بها على بطيشاه رضاء كبيرا وزاده



أكراما ورعاية عما سبق . أما سعد الدين فقد برم بما حدث ولم يستطع أن يرى علو أمر عليشاه وعلى النقيض منه أبدى رشيد الدين احترامه لعليشاه وتعظيمه له فأدى الخلاف بينهما الى الاصطدام فسعى سعد الدين للاضرار برشيد الدين ، فسعى رشيد الدين به عند السلطان دفاعا عن نفسه وتخلصا من عدوه واتهمه بالاختلاس وبعد أن حقق في حسابه وثبت الجرم عليه قتل بأمر من أولجياتيو في العاشر من شوال ( ٧١١ هـ ) على بعد فرسخ واحد من بغداد . وبعد أن قتل سعد الدين اختار أولجياتيو عليشاه في منصب الوزير المقتول وذلك بطلب من رشيد الدين وقرر أن يكون الأخير مع تاج الدين عليشاه في أمور تعامل الديوان وأن يكون عليشاه مع رشيد الدين في المشورة والتدبير لأمر الملك وأن يطيع تاج الدين وأمر رشيد الدين .

وعمل رشيد الدين هذه المرة على اصلاح ما خرب في عهد تولى سعد الدين وأتباعه وتقنين قوانين جديدة وأناب في كل ولاية حاكما أمينا من بين ذلك عهد الى حمد الله المستوفي القزويني المؤرخ والمنشيء المعروف (١) بحكم قزوين وأبهر وزنجان وطارم العليا والسفلى والى ابنه أى ابن رشيد الدين جلال الدين بحكومة اصفهان والى ابن آخر له هو الأمير عبد اللطيف بوزارة أبى سعيد ولى عهد السلطان وكان قد نصب في حكم خراسان في عام ( ٧١٣ هـ ) .

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن نصر المستوفي القزويني في ( ٧٥٠ هـ ) سليل الاسر القديمة التي عاشت سنوات طويلة في قزوين ، ولى أعمالا في خدمة رشيد الدين فضل الله الذي وجهه الى تعهد أموال وحكم قزوين وزنجان وأبهر . وكان حمد الله غالب الحضور بمجالس رشيد الدين والمشاركة في مباحثاته العلمية والتاريخية . ومن آثاره المعروفة نظمه ظفر ثابه ونزهة القلوب وتاريخ كريدة أو التاريخ المختار الذي ألفه عام ( ٧٥٠ هـ ) لغياث الدين محمود ولد رشيد الدين . وهذا الكتاب موجز لكتاب جامع التواريخ اثر رشيد الدين مع ايجازات لتواريخ أخرى ، ويحوى الكتاب مقدمة وسنة البواب في كل منها فصول مختلفة ساق فيها المؤلف بداية التاريخ ومباحث عقلانية ثم تواريخ الرسل والعرب والخلفاء وملوك ايران حتى عهده .

وفي أوائل عام (٧١٢ هـ) قدم بلاط أولجياتيو جمع من أمراء الملك الناصر محمد سلطان مصر وقواده وبعض فرسانه وحرضوه على غزو الشام ، وكان أولجياتيو يفكر في هذا الأمر حتى قبل فتح جيلان فعزم على تنفيذ فكرته وتحرك بجيش متأهب من الموصل إلى شاطئ الفرات ولكنه فشل في الاستيلاء على أول قلاع الشام من ناحية العراق في الخطوة الأولى لمعاد إلى إيران وتخطى نهائيا عن فكرة غزو الشام (١) .

وبعد عودة أولجياتيو من الشام أي في (٧١٣ هـ) نصب ابنه أبا سعيد الذي ولد عام (٧٠٤ هـ) وكان وقتذاك ابن التسعة أعوام في حكم خراسان وعين الأمير سونج لأتابكته ورئاسة خراسان وعبد اللطيف بن رشيد الدين بوزارته وجعل جماعة أخرى من الأمراء في معيته .

وقبل انتصاب أبي سعيد على حكم خراسان هاجمها المغول الجغتائيون مرارا وغلبوا الأمير بيساو والأمير على القوشجي وتصادف دخول أبي سعيد المدينة مع هجوم منهم آخر وانضم الأمير ييساول والأمير على القوشجي بعد عجزهما عن مقاومتهم لجيش أبي سعيد وظل أبو سعيد مدة حكمه لخراسان وكانت ثلاثة أعوام وبعض العام في شغل دائم لدفع هجومهم .

وفي (٧١٥ هـ) أي قبل وفاه أولجياتيو بعام احتاج أبو سعيد للمال لدفع رواتب جنده وأرسل مرارا وتكرارا إلى الخزانة بطلبه أي إلى تاج الدين عليشاه ورشيد الدين فضل الله وكان هذان الوزيران ينفس

---

(١) وجه أولجياتيو سفارة إلى مماليك الغرب المسيحي مكونة من « تومس الدوتشي » تحالفا ضد المماليك وكتب رسائل إلى البابا كليمنت الخامس وإلى ملكي فرنسا وإنجلترا ، وقد أدت هذه الرسائل إلى الاعتقاد بأنه يميل إلى اعتناق المسيحية ، وكان ذلك منافيا للحقيقة ، وما زالت رسائله إلى فيليب موجودة في متحف الوثائق الوطني (وليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر ص ٨٢) .

أجدهما على الآخر منزلته ويطمح كلاهما الى الاستقلال فأخذ كل منهما يحيل دفع المال على الآخر ، واستقر رأى أولجاتيو في النهاية لانتهاء النزاع بين الوزيرين على تقسيم بلاده بينهما فجعل عراق العجسم وخورستان وولايات اللور وفارس وكرمان بمعهد رشيد الدين وعراق العرب وديار بكر وبلاد الروم تحت ادارة عليشاه الا أن الأخير طلب الى السلطان أن يشركهما معا في الادارة العامة للبلاد وأن تمهر الأوامر والأحكام بخاتم كليهما .

أشرك أولجاتيو في (٧١٥هـ) عليشاه ورشيد الدين في أمر الوزارة ليتدخل متفقين في تصريف أمورها المالية وتنفيذ أحكامها وقرر من هذا الوقت أن يكون لكل من الوزيرين معاون في أمور الوزارة . وبعد أن أخذ هذا النظام صفته الرسمية اعتكف رشيد الدين في منزله طـوال الشتاء لاصابته بالنقرس ولم يأت الديوان لمدة أربعة شهور كاملة وكان أبو سعيد خلال هذه المدة يرسل برسله متعاقبين يطلبون المال وكان عليشاه يجيبه أن الخزانة خالية من المال وأن أموال الديوان كلها عند رشيد الدين الذي يتمارض حتى لا يدفع مالا ولا يعادر منزله بغرض أن يظهره مقضرا ليزيله كما فعل بسعد الدين . وفي النهاية الأمر أمر أولجاتيو لأجراء مصالح الملك أن يتراضى الوزيران مع أنه كان خشنا مع رشيد الدين وأن يشترك الاثنان كما كان الحال في ادارة الأمور .

### موت أولجاتيو في الثامن والعشرين من (٧١٦هـ)

كان أولجاتيو كأغلب الايلخانات غيره يفرط في الشرب والشهوة فزاده ضعفا وفي رمضان من (٧١٦هـ) حينما كان في القلص في أطراف السلطانية وقم فريسة آلام في قدميه وساعات صحته وأهبط يوما دخل فيه الحمام في تناول أطعمته لذيذة فاشتد به المرض وفي الثامن والعشرين من رمضان ذلك العام وافته منيته فأودع ثرى المدينة في قبته ولما

يزد عن الأربعين بعد حكم اثنى عشرة سنة ونصف سنة .

أصدر أولجاتيو في مرض موته أمرين يقضى أولهما بتحديد ذكر  
اسماء الخلفاء الراشدين في خطبه الجمعة والثاني بارجاع نصف أموال  
سعد الدين الساوجي إلى أولاده .

وأولجاتيو بوجه عام من ايلخانات ايران الأخيار عاش الناس في  
عهده في رفاية وقل أن أقدم على ظلم أو قسوة ، واستقام في عهده  
مذهب التشيع وازدهر العلم والأدب وكان ملكا معمارا فعلاوة على اتمامه  
بناء السلطانية وقبتها في سفح جبل بيستون وشيد مدينة أخرى سميت  
باسم ( سلطان آبادتشمثال ) أو بغداد الصغرى ومدينة ثالثة على  
حدود موغان قرب نهر أرس باسم ( سلطان آباد أولجاتيو ) وكان له  
علاقات مع البابا وسلاطين أوروبا المسيحيين والروم الشرقية وأرسل عنه  
مبعوثين إلى فرنسا وانجلترا وإيطاليا ولعله كان يهدف من وراء ذلك  
إلى تجميع حطاء له لمهاجرة الشام ومصر وكان يفكر في هذا قبل فتحه  
لجبلان وكان بعض المسيحيين في جزيرة قبرص وأرمينية يحرصونه على  
هذا الهجوم ، لكن هذه العلاقات لم تتعد قسط حدود التعارف ولم  
تنته بارسال مدد حرب من أحدهما للآخر بسبب المواقع الأساسية  
والتنافس السياسى .

### ٣ - السلطان أبو سعيد بهادر خان

( ٧١٦ - ٧٣٦ هـ ) .

في وقت موت أولجاتيو أرسل أمراؤه ووزيراه سرا رسلا  
إلى أبى سعيد وكان وقتذاك في مازندران يستقدمونه إلى السلطانية على  
عجل ليصلها قبل وفاة أبيه وكان هدفهم من هذا التعجيل أن يبلغ  
أبو سعيد العاصمة قبل أن يتحرك أتباعه الأمير سونج من طوس فيجمل  
الأمراء والوزراء بالبلاط وكان جمعهم تحت نفوذ الأمير تشوبان من

ولى العهد الشاب مطيعا لارادتهم فيقصبون بذلك يد قدة الأمير سونج أتايكه ، الا أن أبا سعيد وحاشيته كانوا أوفياء للأمير سونج فلم يخرجوا عن أمره ولم يبارحوا موضعهم الى ان شاع خبر موت أولجاتيو فقدم الأمير سونج من خراسان . وتحرك أبو سعيد بمصاحبة أتايكه الى السلطانية فاستقبله الأمير تشوبان والأمراء الآخريين وأدخلوه العاصمة باجلال كبير وفي غرة صفر ( ٧١٧هـ ) ارتفق الأمير تشوبان ساعد أبي سعيد والأمير سونج ساعده الآخر وأجلساه رسما على عرش الأبلخانية .

قبل أن يلج أبو سعيد السلطانية كان ميله الى أن يعطى الأمير سونج منصب امارة الأمراء الا ان سونج لم يقبل قائلا ان قبول هذا المنصب يفرض عليه ابتعاده عن العاصمة وتجهد حال السلطان . ولما إنه كان يميل كسابق عهده الى أن يكون حاضرا لخدمته وألا يتعارض مع تشوبان في هذا المنصب حث أبا سعيد على التخلي عن هذه الرغبة فأبقى السلطان بعد جلوسه هذا المنصب للأمير تشوبان كما كان الحال في عهد أبيه وأرسل ابن تشوبان تيمور تاش لحكم ولاية الروم واختار جلال الدين الابن الأكبر لرشيد الدين فضل الله في وزارة واستيفاء بلاد الروم .

وعند ورود أبي سعيد السلطانية بعث رشيد الدين محمدا لاستقباله ولما كان بينه وبين الأمير سونج تكدر سابق وكان يعلم أن سونج يحفظ عليه فهم بأن يتقرب الى الأمير تشوبان منافسه ويجعله حاميه القوى واتصل سرا بتاج الدين عليشاه والأمراء الباقين وفي النهاية كان أن ثبت بتدبيرهم منصب امارة الأمراء لتشوبان .

وفي نتيجة هذا الترتيب أبقى أبو سعيد وتشوبان رشيد الدين وعليشاه في الوزارة الا أن أزمة الامور الأساسية صارت في يد عليشاه ولم ينصب رشيد الدين وكانت الشيخوخة قد أصابت منه ومن أموره

الديوان في ذلك الوقت الا في أن يستريح من شروا أعدائه ويمضى ما بقى من عمره فى أمن وراحة .

### قتل رشيد الدين فى السابع عشر من جمادى الأولى (٧١٨هـ)

سيطر الأمير تشوبان على مقاليد أمور الجيش والبلاد بعد أن زادت قوته بتدريجا وفاقت الحد حتى أنه لم يبق لأبى سعيد من السلطة سوى اسمها وكان هذا الأمير كما سبق القول على اتفاق مع رشيد الدين فبعث هذا الى تحريك حسد عيشاه وغبه فجعل يسمى بكل وسيلة الى أن يقضى على رشيد الدين .

وقد بلغت المنافسة بين الوزيرين وكان لها سابقة مفصلة فى هذا الوقت أوجها فشقت الأمور على أصحاب الديوان لأن اذا قدم أحدهم الى أحد الوزيرين خدمة اكتسب أضرار الآخرين وعداوته ، فأدى الأمر الى اختلال أمور الديوان وأخذ الطرفان يثير أحدهما عمال الديوان على الآخر .

وقد أدت تحريضات عيشاه فى النهاية الى عزل رشيد الدين عن الوزارة أواخر رجب (٧١٧هـ) وترك الأخير السلطانية الى تبريز للراحة ، ولم يكن سونج راضيا عن عزله برغم حنقه السابق لكنه لم يستطع التدخل فى الأمر لاصابته بمرض صعب لكنه قال أنه ما ان تقتضى صحته فلسوف يعيد رشيد الدين الى الوزارة ، الا أنه تحرك برفقة أبى سعيد الى بغداد اذ ذاك ووافاه أجله فى (٧١٧هـ) على فرسخ واحد منها .

واستقدم الأمير تشوبان وكان هذه الأوقات فى آذربايجان رشيد الدين اليه وقال له ان وجوده أمر ضرورى فى بلاط الإيلخان ولن تستقيم الأمور بغير رأيه وتدبيره فأجابه رشيد ان أيام وزارته فاقت أيام وزارة غيره عدا وان له ثلاثة عشر ولدا يخدمون السلطان والأفضل

له أن يظلوا هم بالخدمة ويقتضى هو بقية عمره بشأن الدار الآخرة لكن تشوبان أصر عليه وقبل رشيد أخيرا أن يلى الوزارة .

وقد أقلق رجوع رشيد الدين للوزارة باستظهار تشوبان القسوى عليشاه وسائر أعداء الوزير الفاضل فدفعهم هذا الى التشهير عن السواعد لاستئصاله .

واتهم السعادة رشيد الدين هذه المرأة أمام أبى سعيد أنه دس السم لأولجاتيو عن طريق أحد ابنائه وكان قائما على شراب الایلخان فسقاه شرابا مسموما ، فغضب أبو سعيد لهذا غضبا شديدا ومن المدهش أن تشوبان المخايل أكد الأمر للایلخان وشهد أميران قبضا مالا من عليشاه بصحة الواقعة كذلك واستصدر الجميع حكما من أبى سعيد بقتل رشيد الدين . وقتل الجلادون في السابع عشر من جمادى الأولى (٥٧١٨ هـ) أولا ولد رشيد الدين القائم على شراب أولجاتيو ولم يتجاوز عمره الستة عشر عاما أمام ناظري أبيه ثم تنوا بهذا الوزير الفاضل نسيح وحده فشقوقه بالسيف نصفين في سن الثالثة والسبعين بالقرب من تبريز وانتهى بهذه الواقعة المشينة عمر أحد أكابر الحكماء والأطباء والمثنيين والمؤرخين الإيرانيين الذى قل نظيره في رجال المشرق .

وبعد قتل رشيد الدين ضبط أعداؤه جميع أمواله وأموال ابنائه ونهبوا محلة الأربع الرشيدى التى بناها في تبريز ولم يتركوا حتى الأملاك التى أوقفها واتهموا هذا المسكين باطلا وتسبب هذه التهمة الباطلة في ألا يستريح جسده تحت ثرى قبره لأن بعد قرن أميرانشاه ابن الأمير تيمور لك الذى أصابه من الجنون بسبب سقوطه من على جواده قد أمر بنش قبر رشيد الدين الكائن بمسجد كان بالربع الرشيدى في تبريز واستخرج رفاته فأودعوه مقابر اليهود .

وقضت ارادة الله تعالى أن يلقي كافة من اشترك في مؤامرة قتل رشيد الدين نفس مصيره واحدا بعد الآخر ولم ينج منهم أحد حتى.

الأمير تشوبان وقتل الجميع أما على أيديهم هم أو على يد أبي سعيد •  
 أما تاج الدين عليشاه الذي لم تسعه الفرحة بقتل منافس قوى مثل  
 رشيد الدين فقد فرق في الناس الهدايا والعطايا شكرا لهذا التوفيق من  
 بينها أن أرسل في نفس عام قتل رشيد ( ٥٧١٨ هـ ) حلقتين من الذهب زينة  
 كل منهما ألف مثقال إلى الكعبة ليملقها بها تذكرا للانتصار الذي صار  
 نصيبه • وبقي عليشاه بعد قتل رشيد الدين مدة ستة أعوام وزيرا لأبي  
 سعيد في راحة واطمئنان وتزايد احترامه في عين الأيلخان يوما بعد يوم  
 وظل ينحيا بهذه الحال إلى أن توفي في جمادى الآخر ( ٧٢٤ هـ ) ودفن  
 باحترام في تبريز •

وقد فرط قتل رشيد الدين والستة الأعوام التي قضاهما عليشاه  
 وزيرا مستقلا وكان مع ذكائه رجلا عاميا عاريا من الفضل عقد أمور  
 الديوان وسياسة الملك وحين أن مات عليشاه اختير أولاده بأمر أبي سعيد  
 يعاون أحدهم الآخر للوزارة مراعاة لحق احترام أبيهم فزادت الفوضى  
 والاختلال شدة إلى أن حل الوقت الذي صار أبو سعيد فيه في أسف  
 عظيم لمقتل رشيد الدين وعلم مبلغ تخبطه في قبول سعاية الأمراء وعليشاه  
 به وخينما دعى إلى اختيار غياث الدين محمد ولد رشيد الدين إلى  
 الوزارة قال أنه لم يكن أحد حريا بخلافه رشيد الدين في وزارته من بعد  
 قتله ورفع السلطان لتلافى الظلم الذي حل بهذا الرجل الكفء كما سترى  
 ابنه غياث الدين محمد إلى وزارته •

#### الثورات أوائل سلطنة أبي سعيد : —

شجعت سن شباب أبي سعيد وحادثة أمره الإعداء الخارجين  
 للأيلخانات على الاعتداء على بلاده من ناحية وعصاه جمع  
 من قواد أولجايتو الأقوياء وكان كل منهم أميرا مقتدر بنفس أحدهم  
 على غيره جاهه ومقامه من ناحية ثانية ، واحتوى أبو سعيد بكنايته  
 ورشاده وعون قواده الباقين جميع هذه المشكلات ومنع انهيار الأسرة



الايلاخانية ما بقي حيا ، وأهم مشكلات حكم أبى سعيد كانت كالتالى

١ - انبعث الأمير يسور من بلاد جغتای وكان موضع انعام أولجاتيو فى السابق ومقيما فى بادغيس بهراة يطلب فى ( ٧١٦ هـ ) تسخير خراسان ومازندران وتقدم فى أوائل ( ٧١٧ هـ ) حتى مازندران فأرسل أبو سعيد قائده المعروف ( ايس قتلخ ) ( ٣ ) لدفعه فتظاهر يسور بطاعة السلطان لكنه أعلن العصيان بعد قليل وهاجم هراة لكنه لم يقو على غياث الدين كرت فعاد الى خراسان وبعد أن غلب أمراء أبى سعيد فى ( ٧١٨ هـ ) اتخذ سبيلا الى مازندران • وأمر أبو سعيد هذه المرة الأمير حسين جورجاني ولد الأمير آقبوقا جلاير بالقضاء على يسور فركن الأخير الى الفرار حينما لم يطق مقاومته وقتل أثناء قتله وأمنت خراسان شره •

٢ - هاجم من الناحية الشمالية الغربية أى من جانب مغابر جبال القفقاز أوزبك خان ملك صحراء القبجاق البلاد الايلاخانية وقضى أبو سعيد أيضا بمؤازرة الأمير تشوبان على هذه الفتنة وعاد أوزبك خان الى بلاده من ناحية الدربند •

٣ - قام الأمير تشوبان وكان أقوى وأكبر أمراء أبى سعيد بعزل أو معاقبة قواد الايلاخان وأمراءه الذين وهنوا فى حربهم فى الدربند فحنقوا عليه وصمموا على قتله ، وهاجم المظالمون تشوبان وابنه الأمير حسن قرب بحيرة كوكشه لكن الأمير وابنه نجيا من القتل وبلغا تبريز فأدخل تاج الدين عيشة أمير الأمراء تشوبان الى السلطان فتلقاه أبو سعيد خلاف المتوقع بترحاب واحترام •

وسار الأمراء الثائرون بعد غلبتهم لتشوبان من ديار بكر وأذربايجان الى السلطانية لى ينهوا أمر الأمير بعون أبى سعيد فخف أبو سعيد مع

---

(١) صحة اسمه يساور كما ذكر غامبرى فى تاريخ بخارى ( ص ١٩٩ ) .

(٢) صحة الاسم ( ايسن ) هى ( اسن ) وهو لفظ تركى معناه القوى والسليم ( المرجع السابق ح ١ ص ١٩٨ ) .

الأمير تشوبان لدفع الثوار وكان أهمهم الأمير إيرنجين والد زوج السلطان وحاكم ديار بكر وتطلب على أعدائه في الحرب التي جرت في جمادى الأولى ( ٧١٩هـ ) على مقربة من ميانج وقبض على إيرنجين والرؤساء الباقين فلقب من هذا الوقت بلقب ( بهادر خان ) \*

وبعد هذا النصر زادت سطوة وشوكة الأمير تشوبان وأولاده العديدين في حكم أبي سعيد إلى حد أن السلطان كان ينادى الأمير تشوبان أبا وسيدا ، ولما ماتت ( دولندي ) أخت أبي سعيد وزوج تشوبان زوجته السلطان أخته الأخرى ( ساتي بيك ) وكان ( دمشق خواجه ) ولد الأمير تشوبان في بلاط السلطان كل شيء وبحكم الوزير العام للبلاد الايلخانية وكان لابنه الآخر تيمور تاش امارة أمراء حكومة بلاد الروم وكان يحكم فيها مستقلا \*

#### قتل الأمير تشوبان في ( ٧٢٨هـ ) : —

كان للأمير تشوبان ابنة اسمها ( بغداد خاتون ) طبقت شهرة حسنها الألفاق وزوجها للأمير شيخ حسن ولد الأمير حسين جورجان جلاير ، وكلف أبو سعيد بهذه الابنة فأرسل إلى أبيها أن يحرض شيخ حسن على أن يسرح امرأته بغداد خاتون ليتزوج بهذا السلطان فغضب تشوبان لهذا الأمر وسير ابنته وزوجها إلى خراباغ \*

وأخذ الجوى يحرق أبا سعيد يوما بعد يوم بنار عشق بغداد خاتون ولما علم أن تشوبان لا يوافق في مواله ساء ظنه وبابنه دمشق خواجه الذي كان هذا الوقت وزيرا في الحقيقة للبلاد الايلخانية إلى حد أن قتل الابن في شوال ( ٨٢٧هـ ) حينما كان أبوه في خراسان بتهمة اتصاله باحدى الحرمين السلطاني وعلق برأسه على قلعة السلطانية ونهب أمواله \*

ولما سمع الأمير تشوبان بقتل ابنه دعا ابنه الآخر الأمير حسن للثورة على أبي سعيد فلم ينصع له رغم الحافة في دعوته بل اتجه

ابنه الى السلطانية بدعوة الايلخان لعله يلطف من غضب أبى سعيد عليه ويلتحق بخدمته . أما أبو سعيد الذى كان فى خوف تام من الأمير تشوبان وقوة أولاده الباقين فقد أسرع بجيش كبير للاتقاء تشوبان ولم يقصد فى تحركه هذا: غير القضاء المبرم على أسرة التشوبانيين .

وقصد الأمير تشوبان لقاء العارف المعروف الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمنانى (١) بسمنان وأرسله يتوسط له عند أبى سعيد الذى اشتهر بحبه للصوفية فتلقى علاء الدولة باحترام لكنه لم ييسد موافقته فى قبول طلبه المتعلق بالأمير تشوبان . ولما رأى تشوبان أن جماعة من أتباعه تركوه أيضا لمعسكر أبى سعيد سرح زوجته ساتى بيك والتجسأ بغياث الدين كرت من (٥٧٢٨هـ) .

وبعد هذه الواقعة حرض فى النهاية أبو سعيد شيخ حسن الجورجاني على تطليق زوجة بغداد خاتون وبني بها ولقبها بلقب (خدائوندار) .

كان للأمير تشوبان تسعة أبناء أكبرهم الأمير حسن الذى حكم خراسان ومازندران فلما سمع بقتل أبيه رحل الى خان القبجاق وقتل فى خدمته فى هروبه مع الشركس .

وكان الابن الثانى لتشوبان تيمور تاش حاكم ولاية الروم وقد قام

---

(١) هو أبو المكارم ركن الدين أحمد بن محمد البيبانكى السمنانى من كبار صوفية النصف الثانى من القرن السابع والنصف الأول من الثامن ، ولد عام (٦٥٩هـ) ومات (٧٣٦هـ) ، وكان أبوه محمد الملقب بشرف الدين وزيراً لغازان خان . وقد عمل السمنانى أول الامر فى ديوان أرغون لكسبه اعتزل العمل بعد عشر سنوات وأثر اكمال تعليمه الدينى حتى أن ابنه بالتدريس بالعلوم الدينية . ثم سافر الى بغداد فى (٦٨٧هـ) وراى الشيخ عبيد الرحمن الاسفراينى حتى حاز منه مرتبة الارشاد الصوفى فعمد الى سمنان ليرشد أهلها . وللسمنانى آثار عربية وفارسية كثيرة بحيث ينسب اليه ثلاثمائة كتاب ورسالة ، منها بالعربية فى التفسير مطلق النقط ومجسم اللفظ ، وبالفارسية فى النصوص سر البال فى أطوار سلوك اهل الحال وسلوة العاشقين والعروة لاهل الخلوة والجلوة ، كما ترك غزليات ورياضيات .

ففيها بفتوحات هامة وكان يعيش في صفاء ومودة تامين مع سلطان مصر الملك الناصر ، ولما قتل أبوه أعلن عصيانه لأبى سعيد وترك بلاد الروم الى مصر . فأبدى الملك الناصر له الاحترام في بداية الأمر لكنه خشى بعد قليل شوكته واستبدأه فسيره الى ايران بدعوة أبى سعيد ثم أمر سراً من يقتله قبل وصوله الى ايران فقتل في الرابع من شوال ( ٧٢٨هـ ) فلربما يتمكن تيمور تاس بعد وصوله ايران بعون أخته بغداد خاتون وغيث الدين محمد الذي ولى الوزارة بعد قتل دمشق خواجه من الأمور ويقوى ويعود للانتقام من الملك الناصر .

ولم يكن لأولاد تشوبان أهمية كبرى كان من بينهم محمود حاكم أرمينية وبلاد الكرج قتله أبو سعيد في ( ٧٢٨هـ ) في تبريز وآخر كان مع أبيه تشوبان وكان صغير السن قتله الملك غياث الدين كرت ، ولم يكن لبقيتهم شأن كبير أو اسم ورسم .

#### حوادث سنى سلطنة أبى سعيد الأخيرة : -

في ( ٧٢٩هـ ) رفع حاكم خراسان ( نارى طغاي ) رأس العصيان وكان هذا الرجل أحد العوامل العامة في القضاء على دمشق خواجه وجمع ثروة طائلة من نهب أمواله وبلغ القوة والنفوذ الكبيرين في معسكر أبى سعيد وبلغ أمر كبره حد نفور أبى سعيد منه ، ولكى يبعده الايلخان عن حضرته أرسله لحكومة خراسان ، وأمر نارى طغاي الذي ادعى خلافة الأمير تشوبان على أن يستولى على هراة التي كان يتوارث حكمها آل كرت منذ سنين ، الا أن غياث الدين كرت الذي كان يمسك السلطان في هذه الآونة استصدر الايلخان أمرا ووصل الى هراة وعلم يسارى طغاي أنه لن يستطع مقاومة آل كرت .

وبعد وصول أنباء ثورة خراسان واحتمال هجوم المغول الجغتائيين أمر أبو سعيد خاله ( على بادشاه ) حاكم اربيل مع بضعة نفر من

الأمراء بالتوجه الى خراسان ، ولما اطلع نارى طغاي على تحريك الأمراء أرسل رسلا متعاقبين الى الجيش الاليخاني يقول بأنه لا ضرورة لقتلهم الأمراء الخراسان طالما أنه ليس من خطر هجوم عليها . وتهاون أمراء أبى سعيد في تنفيذ أوامره لتحالفهم مع نارى طغاي بغرض أن ينتهي أمر غياث الدين الى القتل ، وفي النهاية تمكن أبو سعيد من العصيابة وقتلهم جميعا في عيد الأضحى عام ( ٥٧٢٩ ) وعلق رؤوسهم بقلعة السلطانية .

وفي ( ٥٧٣١ ) أخبر بعض المغرضين أبا سعيد أن أمير شيخ حسن جلاير يكتب زوجته السابقة بغداد خاتون سرا بغرض قتل السلطان ، فأمر بالقبض عليه وبقتله غير أن عمه السلطان وأم الأمير شيخ حسن توسطت لابنها فعفا عن قتله السلطان لكنه حكم عليه الا يبقى أمامه وأن يحبس باحدى الأماكن البعيدة ، فحبس الأمير مع أمه في قلعة كماخ احدى قلاع بلاد الروم وتبعد عن زنجان بمسافة سير يوم واحد وسقطت بغداد خاتون من نظر السلطان . وبعد قليل ثبتت براءتها فأورد أبو سعيد المغرضين مورد الهلاك وحلت بغداد خاتون مرة ثانية محل عفايته وبعد عامين بنى أبو سعيد بدلا لساد خاتون ابنه دمشق خووجه أيضا .

وفي ( ٥٧٣٢ ) مات الأمير دولتشاه حاكم بلاد الروم الجديد أثناء سيره لتقلد منصبه فخلص أبو سعيد الأمير شيخ حسن جلاير من حبسه وأرسله الى الروم في أوائل ( ٥٧٤٢ ) وظل الأمير حتى وفاة أبى سعيد في عمله هذا .

وفي ( ٥٧٣٤ ) عزل أبو سعيد الأمير شرف الدين محمود شاه اينجو من امارته وكان ممن تربى في كنف الأمير تشوبان وولى من فترة سابقة حكم فارس وجمع اليها كرمان والبحرين وكيش وأصفهان وحصل ثروة ونفوذا فاق المعتاد وصار من كبار رجال عهده باتصاله بالوزير غياث

الدين ، وعين السلطان غيره في مكانه . فتحالف محمود شاه مع نفر من الأمراء وكان يأنس في نفسه الكفاءة عن كل رجل في الحكم وتعقب حاكم فارس الجديد حتى قصر سلطنة أبي سعيد وطلب من السلطان تركه فغلب أبو سعيد الأمراء العصابة وقبض عليهم وأصدر أمره بقتلهم الا أن غياث الدين الوزير تدخل واستجاز السلطان لنفيهم وحبسهم وحبس كلا من هذه الجماعة في احد الأماكن ومن بينهم شرف الدين محمود شاه اينجو الذي حبس بطبرك قلعة لأصفهان ، وأرسل ابنه جلال الدين مسعود شاه لبلاد الروم لدى الأمير حسن .

### وفاة أبي سعيد في الثالث عشر من ربيع الثاني ( ٥٧٣٦ هـ ) :

في آخر عام ( ٥٧٣٥ هـ ) تحرك أوزبك خان ملك القبچاق عن طريق الدربند لمهاجمة آران وأذربايجان ، ولما لم يكن أحد الأمراء الكبار في هذا الوقت حاضرا السلطان ترك أبو سعيد السفر الى بغداد الذي الذي كان مزما عليه وأمر غياث الدين الوزير بالتوجه لصد أوزبك خان . فقصد الوزير بجيش قرا باغ وسرعان ما لحق به أبو سعيد بجيش عظيم لكنه أصيب بالمرض في ( ٥٧٣٦ هـ ) بسبب حرار الجو وفساده في آران ، وفي الثالث عشر من ربيع الآخر من ذلك العام وافته منيته في حدود شروان فحمل جسده الى السلطانية ودفن بالقبة التي اجتباها في ما حول هذه المدينة .

أبو سعيد آخر ايلخان قوى في أسرته وكان ملكا كريما عاقلا محبا للعلم وارتقى في عصره العلم والآداب كبير ارتقاء وظهره مؤرخون وشعراء كثيرون وان كان شطر عظيم من هذا الرقى بفضل وجود الوزير المحب للفضل غياث الدين محمد كما سنرى . كان السلطان ذا قريحة شعرية حسن الخط ويضرب على الأوتار ومع أنه لم يكن شديد التعصب الا انه أقفل بأشارة من مستشاريه بعض الكنائس ، وبعد القسطنطينية والمطوفان اللذين حدثا في ( ٥٧١٩ هـ ) في أغلب بلاده وأظهر له رجاله الدين

أن سبب ذلك أعمال الناس القبيحة أمر أن يظلى كل مكان من دنان الخمر  
ومتقفل الخمرات ولم يترك غير خمارة واحدة في كل ولاية للأجانب .

### الايخانات الباقسون

أبو سعيد هو آخر ايلخان كبير لهذه الاسرة لأن بعد موته المياغت  
اتجهت أسرة الايلخانات بسرعة نحو الانهيار وانتهى منصب الايلخان  
الى النزاع والصراع بين عدد من الأمراء الخائرين من الاسرة  
الجنكيزية وعدد آخر من الأمراء غيرهم المتخاصمين فتجزأت بالتدريج  
البلاد الايلخانية الى أجزاء عديدة ونهيا الجو ليسيطرة الأمير تيمور  
كوركان الذي تصادف مولده في نفس عام موت أبى سعيد فسقطت دولتهم  
القصيرة الأجل في يد هذا الأمير القاهر .

ولم يكن لأبى سعيد أولاد ذكور ولما كان غازان بدوره عهد حكمه  
صير أمراء أسرة هولاكو بين قتل أو خامل الذكر والصفة تماما فلم يظهر  
بعد موت أبى سعيد من يستطيع القبض على أزمة الأمور بيد قوية .  
ورفع الوزير غياث الدين محمد بعد مشاورة الأمراء والأميرات أحد  
أحفاد أريق بوكا أخى هولاكو كان اسمه أرباكاون وقد عينه أبو سعيد  
أيضا لخلافته الى الايلخانية واختاره كبار المغول بعد اقامة مراسيم  
تشجيع جنازة أبى سعيد مباشرة في هذا المنصب .

### سلطنة أرباكاون (من الرابع عشر من ربيع الثانى حتى الرابع من شوال ٧٣٦ هـ)

هاجم أرباكاون بعد جلوسه الدربند ليمنع ملك صحراء القبجاق  
الذى بلغ نهر كورا وبعد حرب قصيرة تغلب أرباكاون وعاد الى تبريز  
وبنى بساتى بيك أخت أبى سعيد وزوج الأمير تشوبان ، وفي منتصف  
رجب أهلك الأمير شرف الدين محمود شاه اينجو بتهمة اخفائه أحد

أولاد كولاكو في منزله ليعلم سلطنته ولاذ ابنا محمود شاه أي الأمير جلال الدين مسعود شاه والأمير شيخ أبو اسحاق من تبريز فالتجأ الأول بالأمير شيخ حسن والثاني بعلى بادشاهه بديار بكر .

وفي نفس هذه الأيام التي لم تستقم فيها سلطنة أرباكاون ، اجتمعت داشان خاتون وحاجي خاتون أم أبي سعيد وعدد من الأمراء الباغين الفتنة بالتدريج حول الأمير على بادشاه وحرصوه على مخالفة أرباكاون ، ونصب الأمير على حفيد بايدوخان موسى خان على الايلخانية وتحرك من ديار بكر الى آذربايجان وهزم في معركة واحدة جرت على ضفاف نهر جفاتو في السابع عشر من رمضان ( ٨٧٣٦ ) جيش أرباكاون والوزير غياث الدين وقبض على الاثنين وقتلها .

#### قتل الوزير غياث الدين في الحادي والعشرين من رمضان ( ٨٧٣٦ )

كان غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله رجلا سليم القصد والصدر خيرا محبا للفضل سعى عهد وزارته في أن يحسن الى كل أعداء أبيه ومن يطلب له الشر لكن الغرور ركبة في أمور السياسة لأنه رفض نصيحة الخلاء في القضاء على الأمراء المشايعيين لعلى بادشاه وأصابهم بالخور من ناحية ولم يقبل اقتراح الأمراء المعارضين لتعيينه في منصب قيادة الجيش فجراه على المخالفة ، ولهذا فما ان تفرق جيش أرباكاون على نهر جفاتو وأسر الوزير في إحدى قرى مراغة ومع أن على بادشاه لم يكن راضيا بقتله حتى حرضه الأمراء المعارضون للوزير على قتله وكان وزيرا عالما من كبار المربين لاهل العلم والادب ومن كرام عصره بعد أبيه فقتل على بادشاه الوزير في الحادي والعشرين من رمضان ( ٨٧٣٦ ) وفي نفس الوقت أسر أرباكاون أيضا في ( سجاس ) بزنجان فسلم بأمر من على بادشاه الى أتباع محمود شاه اينجو فقتلوه في الثالث من شوال من نفس العام انتقاما لقتله محمود شاه .

وكان غياث الدين من الوزراء الذين خلدوا اسمهم بالخير في تاريخ



ايران مثل والده تماما لأنه فضلا عن كفاءته وحنكته ومجالدته بالسيف كان من المنشئين البلغاء وفضلاء عصره ، أجل اهل الأدب والمعرفة وكان يحلهم محال الكرامة ويصلهم بالصلات القيمة وأنشأ جمع من كبار العلم والأدب الكتب والمنظومات باسمه .

**سلطنة موسى خان ( من شوال حتى الرابع عشر من ذى الحجة ٧٣٦هـ ) :**

بعد أن قتل الوزير غياث الدين وأرباكاون نصب أمير على بادشاه موسى خان حفيد بايدو ملكا في مدينة أوجان ، وسرعان ما شبت الثورات في بعض الولايات بسبب قلة كفاءة موسى خان خاصة وأن الأمير شيخ حسن بزرگ الايلكاني ولد أمير حسين كوركان حاكم بلاد الروم وزوج بغداد خاتون الأول وكان من كبار أمراء أبي سعيد ويعتبر حفيدا لأرغون من ناحية أمه ولذلك لقب أبوه الأمير حسين بلقب كوركان أي صهر أرغون خان قد قدم ذاك الأمير من مقر حكمه ببلاد الروم الى آذربايجان وكان أميرا كفوا طموحا انتخب لمنصب الايلخانية أحد أحفاد منكوتيمور ولد هولاکو واسمه محمد خان وشبض على أزمة الأمور باسمه ، ولما غلب في الرابع عشر من ذى الحجة ( ٧٣٦هـ ) الأمير على بادشاه وموسى خان وقتل الأول استقل في توليه الأمر تماما .

**سلطنة محمد خان ( من ذى الحجة ٧٣٦هـ حتى ذى الحجة ٧٣٨هـ ) :**

بعد دخول تبريز اجلس الأمير شيخ حسن الايلخاني محمد الخان رسما على عرشها وبني بدلشاد خاتون جزءا وفقا لما صنعه أبو سعيد ببغداد خاتون ، وكان غرضه أيضا غير الانتقام من المتزوج بدلشاد خاتون انه اذا أتت هذه السيدة بولد وكانت حاملا من أبي سعيد (١) لا يجعلها

---

(١) المعروف انه لا يحل لرجل ان يعتقد او يبنى على امرأة حامل الا بعد انتضاء عدتها بوضع الحمل ويبدو ان السياسة كشأنها دائما تحطم اصول الدين .

أحد تطالب بمنصب الايلخان ومن ثم يعرض منصبه للخطر .  
وأحسن الأمير شيخ حسن بأعقاب رشيد الدين وجعل الوزارة  
الايلخانية لصهر رشيد وهو الأمير جلال الدين مسعود شاه اينجو وابن  
بنفته محمد زكريا ثم جازى قتلة بغداد خاتون وسير ساتى بيك زوج  
الأمين تشوبان وأرباكاون مع ( سيور غان ) الابن السادس لتشوبان وابن  
هذه السيدة الى صحراء موغان .

### سلطنة طغا تيمور خان ( ٧٣٧ - ٧٥٣ هـ ) :

بعد استيلاء الأمير شيخ حسن الايلخانى على آذربايجان عادته  
جماعة من أمراء أبى سعيد ففروا من آذربايجان والعراق الى خراسان  
واختاروا فيها أحد أمراء البيت الجنكيزى وكان يقيم بمارندران ومن  
أحفاد أحد اخوة جنكيز ويسمى طغا تيمور ليكون الايلخان وأوجدوا  
سببا لتحقيق أهدافهم مقابل محمد خان والأمير شيخ حسن .

وبعد أن أعلن تنصيب طغا تيمور اصطحبه الأمراء العصاة وتحركوا  
الى آذربايجان ولحق بهم فيها موسى خان العوبة الأمير على بادشاه  
الذى كان قد هرب من حربه الأمير شيخ حسن الايلكانى . وجرت الحرب  
بين جيش الحلفاء وجنود الأمير شيخ حسن فى منتصف ذى القعدة  
( ٧٣٧ هـ ) بالقرب من مراغة فهرب طغا تيمور وسقط موسى خان أسيرا  
فى يد الأمير شيخ حسن وقتل فى العاشر من ذى الحجة من نفس العام .  
واستولى الأمير شيخ على آذربايجان والعراق لنفسه وأتى طغا تيمور  
خان خراسان أيضا وجلس على عرش الايلخانية بعون من بقية الأمراء  
المتحالفين معه فى ذلك البلد .

### عصيان الأمير حسن كوتشك فى ( ٧٣٨ هـ ) :

بعد أن قتل موسى خان وفر طغا تيمور الى خراسان بقي تأثيران فى  
البلاد الايلخانية أولهما طغا تيمور خان الذى أدخل جرجان وخراسان

تحت طاعته وثانيهما محمد خان آله مقاصد الأمير شيخ حسن الكبير (١) وبعد بضعة شهور من واقعة قتل موسى خان ظهر تاشر ثالث في بلاد الروم وكان أحد أولاد الأمير تيمور تاش بن الأمير تشوبان سلدوز كان يسمى شيخ حسن وسمى بعد أن شهر أمره بالأمير شيخ كوتشك (أى الصغير) تمييزاً له عن شيخ حسن بزرگ وقيل له أيضاً الأمير شيخ حسن التشوبانى .

ولما قتل أتباع الملك الناصر تيمور تاش اختفى ابنه شيخ حسن في بعض بلاد الروم وظل يعيش متوارياً حتى (٨٧٣٨ هـ) ، وفي هذه السنة نهض بهوس الاستيلاء أظهر أحد لغلمانه وكان يشبه أباه تيمور تاش شبها بسيطاً وأعلن أن الأمير تيمور تاش قد خرج بعد أن فر من سجون القاهرة وظل حتى ذاك الوقت مختفياً ولكن تنطلى خدعته على الناس زوج هذا الغلام من أمه وكان يمشى مترجلاً خلف ركبته .

وطبقت شهرة ظهور تيمور تاش الآفاق فحركت من ناحية أصحاب الأمير على بادشاه وأشباع الأسرة التشوبانية الذين كانوا على عدا مع الأمير شيخ حسن بزرگ على القيام ضده والمحقق بجيش تيمور تاش المكاذب وأفزعت الملك الناصر سلطان مصر من ناحية أخرى .

وفي النهاية تواجه شيخ حسن الكبير والصغير في العشرين من ذى الحجة (٨٧٣٨ هـ) في آلتاغ بنخجوان ، وقبل أن يحتدم الموعى خلى الأمير مير حسين بن الأمير محمود بن الأمير تشوبان الذى كان من قواد شيخ حسن الأيلكانى الكبير جيشه وانضم إلى جيش ابن عمه الأمير محمد خان لكنه سقط أسيراً بيد شيخ حسن التشوبانى فأمر بقتله ودخلت أذربايجان والعراق تحت سيطرة التشوبانيين وطلق جنود الأمير حسن التشوبانى يهاجمون الناس لنهب أموالهم .

---

(١) الكبير بالفارسية بزرگ واسمه شيخ حسن بزرگ وإن ترجمنا آخر اسمه للعربية تجاوزاً .

### سلطنة ساتى بيك (٧٣٩ حتى أوائل ٥٧٤١) :

ولما دخل الأمير شيخ حسن الصغير تبريز أثناء ستة عشر نفر من أعقاب الأسرة التشوبانية وطلبوا اليه اختيار أحد أفراد أسرة هولوكو للايلخانية ، ولما لم يبق من هذه الأسرة رجل ذا ثمن الاسم نصب قواد الألوف بالجيش والتشوبانيون ساتى بيك بنت أولجايتو وأخت أبى سعيد ولم تكن على صفاء مع الأمير شيخ حسن الكبير نصبوها ايلخانة وخطب لها بأمر شيخ حسن التشوبانى ونقش اسمها على العملة وصارت آذربايجان وأران تحت امرة ساتى بيك وشيخ حسن بينما ظلت سائر البلاد الأخرى فى ايران والعراق تحت رئاسة أمير من الأمراء السابقين لأولجايتو وأبى سعيد أو من الأسر المطيعة لهم .

وبعد استقرار ساتى بيك على عرش الايلخانية زحف الأمير شيخ حسن التشوبانى لصد الأمير شيخ حسن الايلكانى الى قزوین فقبل الأخير المصلح واعترف برسميته سلطنة ساتى بيك وأخذ كل من الندين القوين بالآخر فى أحضانه وقررا ن يقضى حسن الكبير الشتاء فى السلطانية ويذهب حسن الصغير وساتى بيك الى أران على أن يعقدا مجلس الشورى أو القوريلتاي لتدبير أمور المستقبل ، وتوجه حسن الصغير وساتى بيك الى أران وعاد حسن الكبير الى العراق .

ومع أن هذا المصلح لم يدم الا أنه لم يدع لحسن الكبير أهمية وكان فى حكم المعترف بسيادة الأمير حسن الصغير والأسرة التشوبانية . ولهذا أرسل حسن الكبير أحد خاصته الى خراسان وحرّض طغا تيمور خان على اتيان العراق فأتى طغا تيمور فى رجب ( ٥٧٣٩ ) ساوة فبلغ بها حسن الكبير معسكره وقام بهراسم استقباله لكنه بعد قليل وقف على سوء فعله اذ رأى أن أحدا من أمراء خراسان لا يلقى اليه بالا ، لكنه تحصّل اذ لم يكن أمامه وسيلة أخرى وفى هذا الحين بلغ نبأ تحرك حسن التشوبانى وساتى بيك لدفع طغا تيمور خان . واجتذب حسن الصغير حسنا الكبير

بالحيلولة مرة أخرى الى طاعته وطاعة ساتى بيك وعاد طغسا تيمور الى خراسان لعدم قدرته على القتال .

سلطنة شاه جهان تيمور خان ( من ذى الحجة ٧٣٩ حتى ذى الحجة ٧٤٠ هـ ) :

لما عاد حسن الصغير الى آذربايجان نهب بلاط ساتى بيك بحجة أن الملك لم يصنع للنساء ونصب مكانها أحد أحفاد يشموت بن هولكو واسمه سليمان خان وتزوج بساتى بيك قسرا . ولما سمع حسن الكبير بهذا الخبر أعلن سلطنة ابن آلامرنك بن كيخاتو بلقب شاه جهان تيمور خان وقدم الى عراق العرب واستولى على بغداد وديار بكر وخوزستان .

وتواجه الحسنان الندان القويان مع الايلخانيين الجديدين في الأربعاء آخر ذى الحجة ( ٧٤٠ هـ ) في حوالى نهر جغاتو في مراغة وجرت الهزيمة على جيش حسن الكبير وشاهجهان تيمور . وعاد حسن الكبير بهزيمة الى بغداد وعزل شاه جهان تيمور واستقل بالحكم وأسس حكم أسرة الايلكانيين أو آل جلاير في بغداد وعراق العرب .

سلطنة سليمان خان ( من أوائل ٧٤١ حتى ٧٤٥ هـ ) :

وضع حسن الصغير بعد نصب سليمان خان آذربايجان وأران وبلاد الكرج وعراق العجم تحت سيطرته وعمل على بسط قدرته في هذه البلاد وأهلك كثيرا من المتمردين عليه في مدة قليلة .

وفي ( ٧٤٠ هـ ) حينما أجلس حسن الصغير سليمان خان على عرش الايلخانية أرسل الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن تشوبان ابن عمه الى فارس وكانت وقتها بيد أبناء الأمير محمود اينجو ، فاستقبلوه بها ولكنه قتل أحد أفراد أسرة اينجو مغترا فثار أهل شيراز وطردوا الأمير بير حسن منها .

وبعد انتهاء هذه الحادثة وانتهزم حسن الصغير وظهور كفاءات من الأمير بير حسين سيره حسن الصغير من طرف سليمان خان بجيش كبير الى فارس وقرر لحكمه يزد وكرمان أيضا وكانتا حتى ذلك الوقت في يد الأمير مبارز الدين محمد المظفرى •

ولما سمع الأمير مبارز الدين محمد الذى كان تربطه علاقات مودة بالأمير بير حسين بتحريك الأخير خف الى استقباله ومد جيشه وتلقى به فى اضططر وتحرك الأميران يرافق أحدهما الآخر الى شيراز • وهرب مسعود شاه اينجو بن محمود شاه الى كازرون لعدم قدرته على مقاومتها فلما علم بعودة مبارز الدين الى شيراز وضرب بحصاره عليها والأمير بير حسين • وسقط من الطرفين قتلى كثيرين ولم ينته القتال بانتصار أحدهما واستقر الأمر فى النهاية على الصلح ودخل بير حسين المدينة وفوض حكم كرمان ويزد لمبارز الدين فاستولى عليهما بعون جيش بير حسين وأسر حاكمهما الذى استصرخ ملوك آل كرت قبل ذلك (٧٤١هـ) • وفى (٧٤٢هـ) فوض الأمير بير حسين الذى سيطر على فارس وأصفهان لنفسه وترك كرمان ويزد للأمير مبارز الدين الأخي مسعود شاه اينجو الذى فر الى بغداد قبل ذلك وهو شيخ أبو اسحاق حكيم أصفهان لعله يرضى عليه بهذا تطلب اسرة اينجو الا أن شيخ أبا اسحق حرك الملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير حينما كان بالعراق للسيطرة على فارس فأثارتها الملك أشرف ، وخان أتباع بير حسين رئيسهم فأجبر على تخليّة فارس وكان يخشى فى تلك الآونة مبارز الدين أيضا مما جعله يتجه الى تبريز لدى الأمير حسن الصغير الا أن الأخير لخشيته هو الآخر استبداده بالأمر دس اليه السم بعد أن استقبله بالسلطانية وانتهت دولته القصيرة العمر •

أما ملك أشرف وقد سلمت اليه فارس بلا تعب فقد توجه الى شيراز وكان شيخ أبو اسحاق أسرع منه فى بلوغها بحجة ترتيب وسائل استقباله بها ، وجمع فيها حوله جماعة من العامة والمنتهزين للفرص فباغتوا أتباع الملك الأشرف بالهجوم بعد دخولهم شيراز فشتتوا جمعهم وجعلوا الملك

الإشرف يولى وجهه فارا واستولى شيخ أبو اسحاق على المدينة .

وفي ( ٥٧٤٣هـ ) قدم مسعود شاه اينجو الذى سبق أن قدم الى بغداد لدى شيخ حسن الكبير وشرف عن طريقه بزواجه من ابنة ( دمشقى خواجه ) وأخت دلتاد خاتون وكان أهل شيراز يعدون حكم مدينتهم حق مسعود شاه برغم تغلب أخيه شيخ أبى اسحاق عليها ولهذا ظهر النزاع بين أشياع الأخين ، ولما أن مسعود شاه فى هذه الآونة قد قتل الابن الثامن للأمير تشوبان المائر عليه فقد كر شيخ أبو اسحاق الذى كان فى شيراز نكارة راجعا بعد سماعه خبر قتل أخيه راجعا الى شيراز وأعاد استيلاءه عليها .

**قتل شيخ حسن التشوبانى فى السابع والعشرين من رجب ( ٥٧٤٤هـ ) :**

وفى عام ( ٥٧٤٤هـ ) أرسل شيخ حسن التشوبانى أو الصغير جيشا مع سليمان خان والأمير يعقوب شاه أحد أمراء بلاد الروم للسيطرة على هذه البلاد فلحقا بها الهزيمة وكرا قافلتين وحبس شيخ حسن يعقوب شاه وكانت زوجة شيخ حسن الصغير على علاقة بالأمير يعقوب شاه فظنت أن زوجهالقى به فى الحبس لاختفاء أسرارهما بعد أن علم بها فتعاونت مع اثنتين أو ثلاث من الحريم وقتلته فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ( ٥٧٤٤هـ ) بوضع مخز مشين .

وبعد قتل رأس سلسلة الأمراء التشوبانيين أى شيخ حسن الصغير قسم سليمان خان أمواله وخزائنه التى لا حصر لها بين الأمراء وتوجه هو الى قرا باغ لما لم يأمن فيه الكفاءة لخلافته . أما ملك أشرف فقد صاحبه ياغى باستى الى آذربايجان ولحق بهما الأمير سيور غان الذى تخلص من حبسه بالروم عند بحيرة كوكتشة وجمع الأمراء التشوبانيون الثلاثة حولهم كثرة من الجنود ودخلوا تبريز .

### سلطنة أنوشيروان العادل (٧٤٤ - ٧٥٦ هـ) :

احتدم النزاع بعد قتل شيخ حسن التثوباني بين عميه وأخيه ملك أشرف ولما صار النصر في النهاية مع ملك أشرف عين من تسمى بأنو شيروان الذي اختلف في نسبته فذهب البعض الى أنه قبجاقى وبعضهم جعلوه من أولاد هولاكو وجماعة ثالثة اعتبروه من أصل كاوياني (١) عين في الايلخانية ولقب بالعادل وهو آخر ايلخان عين بمنصبه عن طريق الأمراء وحديث في نفس هذا الأوان أن زال سليمان خان الايلخان صنيعة شيخ حسن الصغير أيضا .

وبعد تملك أنو شيروان وصل ملك أشرف الذي يعد ثاني أمراء أسرة التثوبانيين الى مدينة كنجة واستولى عليها وأهلك عميه واستقل بها في ( ٧٤٤ هـ ) تماما وحكم أربعة عشر عاما ( ٧٤٤ - ٧٥٩ هـ ) بالظلم والجور وجمع الأموال الى أن أتى هذه المدينة في أوائل ( ٧٥٩ هـ ) جاني بيك ملك القبجاق بدعوة أهل تبريز فقتله وانتهت دولة الأمراء التثوبانيين .  
ونهاية أنو سيروان الكاذب الآلة المسخرة لتنفيذ أهداف ملك أشرف غير معروفة كنهاية سليمان خان أيضا وكل ما يعرف عنه أن عملة باسمه بقيت حتى ( ٧٥٦ هـ ) وهي السنة العشرون بعد موت أبي سعيد بهادرخان آخر ايلخان شهير للأسرة الايلخانية وتعد هذه السنة أيضا التي كانت بعد قتل طغا تيمور خان بثلاثة أعوام آخر حكم هذه الأسرة .

---

(١) كاوياني نسبة الى كاهو الحداد الذي أعلن الثورة على الضحاك لظلمه وسفكه دماء الايرانيين ، بناء على شاهنامه الفردوس وغيرها . وقد جعل الايرانيون من الحرقلة التي رفعها كاهو علما للثورة شعارا لايران وزادوا عليها قطعا من الجواهر كلما وافاهم نصر ، ووقع هذا العلم الثمين في ايدي المسلمين عند استيلائهم على المدائن ( ١٤ هـ / ٦٣٦ هـ ) . وكاه مدع للسلطة المسلمين عند استيلائهم على المدائن ( ١٤ هـ / ٦٣٦ هـ ) . وكان كل مدع للسلطة آثارنا انقراض ساسانيان . حسن بيرنيا مشير الدولة . تهران ١٣٤٦ ش  
ص ٢٣٤ ، ٢٤٥ .



## فهرست أسماء ایلخانات ایران

(من ۶۵۱ حتى ۷۵۶ هـ)

- ۱ — هولاكو خان بن تولوی بن جنكيز (۶۵۱ — ۷۱۳ هـ)
- ۲ — أباقا خان بن هولاكو (۶۶۳ — ۷۱۰ هـ)
- ۳ — السلطان أحمد تكودار بن هولاكو (۶۸۰ — ۷۱۳ هـ)
- ۴ — أرغون خان بن أباقا (۶۸۳ — ۷۹۰ هـ)
- ۵ — كيخاتو بن أباقا (۶۹۰ — ۷۹۴ هـ)
- ۶ — بايدو خان بن طرغای بن هولاكو  
(جمادی الأولى ۶۹۴ — ذی القعدة ۷۹۴ هـ)
- ۷ — غازان خان بن أرغون (۶۹۴ — ۷۵۳ هـ)
- ۸ — أولجايتو خدا بنده بن أرغون (۷۰۳ — ۷۱۶ هـ)
- ۹ — أبو سعید بهادر خان بن أولجايتو (۷۱۶ — ۷۳۶ هـ)
- ۱۰ — أربا كادون + بن أرتوبوگا بن تولوی (۷۳۶ هـ)
- ۱۱ — موسى خان بن علی بن بايدو  
(من شوال حتى ذی الحجة ۷۳۶ هـ)
- ۱۲ — محمد خان + بن منكو تیمور بن هولاكو (ذی الحجة ۷۳۷ هـ)
- ۱۳ — ساتی بك ابنة أولجايتو (۷۳۹ — ۷۴۱ هـ)
- ۱۴ — شاه جهان تیمور بن آلافرنگ بن كيخاتو  
(۷۳۹ — ۷۴۰ هـ)
- ۱۵ — سليمان خان + بن یشموت بن هولاكو  
(۷۴۱ — ۷۴۵ هـ)
- ۱۶ — طغا تیمور خان (۷۳۶ — ۷۵۳ هـ)
- ۱۷ — أنو شیراوان العادل (۷۴۴ — ۷۵۶ هـ)

## الفصل السابع

### الفترة بين العهد الايلخانى والعهد التيمورى

تجزأت البلاد الايلخانية من بعد موت أبى سعيد بهادر خسان كما ذكرنا نبذة من ذلك الى أقسام عدة بيد الأمراء الكبار وظهر في العشرين عاما ما بين موته وفناء آخر المعينين الايلخانيين في أماكن مختلفة من ايران خمس سلاسل كالتالى :

١ - سلسلة الأمراء الايلخانيين أو آل جلاير ومؤسسها شيخ حسن الكبير بن الأمير حسين ابن آقبوقا بن ايلكان نويان جلاير وقد استقل بالحكم في (٧٤٠هـ) بعد عزله شاه جهان تيمور وأسس أسرة حكمت من بعده حتى عام (٨١٣هـ) في بغداد وعراق العرب .

٢ - سلسلة الأمراء التشوبانيين أى أبناء الأمير شيخ حسن الصغير أو الأمير شيخ حسن التشوبانى الذى استقل بالحكم في آذربايجان وأران مدة أربعة أعوام ونصف العام ، وثانيهما الأمير ملك أشرف أخوه الذى تملك آذربايجان أربعة عشر عاما ( ٧٤٤ - ٧٥٩ هـ ) وقتل في أوائل العام الأخير على يد جاني بيك ملك القفجاق وانتهت بقتله الأسرة التشوبانية .

٣ - سلسلة آل المظفر وهم أولاد الأمير المظفر الذى استقل بيزد وكرمان بعد موت أبى سعيد وثار ابنه الأمير مبارز الدين محمد في ( ٧٤٠ هـ ) وأسس من هذا الوقت سلسلة تغلبت بعد ذلك على فارس أيضا وكان لها حتى ( ٧٩٥ هـ ) استقلال وشوكة .

٤ — أسرة اينجسو أو أولاد الأمير شرف الدين محمود شاه  
الذى برغم حكمه من فترة قبل موت أبى سعيد فارس ومضافاتها لكن  
استقلالهم بدأ من عام (٥٧٤٣ هـ) أى من وقت أن طرد شيخ أبو اسحاق  
ابن محمود شاه ملك أشرف التشوبانى من تلك المدينة واستقل بها ،  
وانتهت هذه الأسرة أيضا بقتل شيخ أبى اسحاق فى (٥٧٥٨ هـ) .

٥ — السريداريون الذين رفعوا راية الاستقلال فى سبزوار فى  
(٥٧٣٨ هـ) وكان لهم حكم محدود بهذه الناحية من هذه السنة حتى عام  
(٥٧٨٨ هـ)

وغير هذه السلاسل الخمس التى ظهرت فى ايران بعد أبى سعيد  
خان حكم عدد من الأفراد أيضا فى هراة وفارس وكرمان وينزد  
ولرستان من قبل استيلاء المغول حكما مظلما نصف مستقل لأنهم انقادوا  
لطاعة اليلخانات الاسرة الجنكيزية فلم يمحهم المغول ، وزال بعض هذه  
الأسر أيام حكم الاليلخانات وبقي بعضها حتى فترة ما بعد أبى سعيد  
وأشهر هذه السلاسل ما يلى :

١ — الأتابكة السلغوريون أو أتابكة فارس .

٢ — أتابكة كرستان .

٣ — أتابكة يزد .

٤ — القراخطايون بكرمان .

٥ — آل كرت فى هراة .

ويتوجب العلم بأن هذه الأسر لم تبلغ أهمية سياسية وقدرة هامة  
وانما غالب الاهتمام الذى يوجه اليهم بسبب تدخلهم فى تاريخ أدب  
أيران وتربيتهم لاهل الطم والأدب واذا لم يصلنا آثار الفضلاء  
والشعراء وقصائيفهم لا محى اسم أغلبهم وقد أزلت هذه الأسرة نفسها  
أو أن الأمير تيمور كوركان قضى عليها .

## ١ - ملوك آل كرت

ملوك آل كرت هم طبقة من ملوك إيران الشرقية حكموا فيها من النصف الأول للقرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثامن وكانت عاصمتهم دائما هراة ومع أنه لم يتبق في التاريخ السياسى لهذه المملكة اسم كبير ولا رسم ظاهر بل اشتهرت جماعة منهم بالخيانة وعدم الوفاء الا أنهم أبقوا ذكرا طيبا في تاريخ أدب إيران •

وأول من كان له في التاريخ اسم ورسم معتبران من هذه الأسرة هو الملك ركن الدين بن تاج الدين الذى بنى بابنة السلطان غياث الدين محمود الغورى وعين من طرف السلطان حاكما لقعة خيسار من القلاع التى على الحدود بين هراة والغور •

واختار الملك ركن الدين آخر عمره حفيده ابن بنته شمس الدين محمد بن أبى بكر الذى اشتهر هو أو أبوه باسم ( كرت ) خلفا له وشمس الدين محمد كرت فى الحقيقة هو مؤسس أسرة آل كرت •

وقد تصادفت رئاسة الملك ركن الدين لقعة خيسار مع بداية استيلاء المغول وأدرك ركن الدين أن صلاحه فى تبعيته لجنكيز خان ولكى يثبت وفاء الكامل له أرسل حفيده وظلفه شمس الدين محمدا كرت فى صحبة خان التتار وظل مطيعا للمغول حتى عام ( ٦٤٣ هـ ) •

ومع أن خليفة الملك ركن الدين أى شمس الدين محمد ( ٦٤٣ - ٦٧٦ هـ ) وقع أوائل أمره موضع حسد بعض أمراء المغول وكان جغتای يريد محاكمته بتهمة تعاونه مع المسلمين المهزومين الا أن لحسن حظه جغتای مات فى نفس الأوان وبلغ شمس الدين معسكر منكو القان فترك خان المغول مراعاة لسابق خدماته ووفائه ووفاء أسرته له حكم هراة وجام وباخرز وبوشنج والغور وخيسار وفيروزكوه وغرجستان ومرغاب ومروالروء وفارياب حتى ضفاف سيحون واسفزار وفسراه

وسيبستان وكابل حتى شاطيء السند ، وصار الملك شمس الدين من  
حوالي ( ٥٦٤٨ هـ ) حاكما مستقلا لهذه البلاد المتسعة . وفي عهد هولكو  
حين قدم لاستئصال الاسماعيلية كان شمس الدين كما سبق الشرح  
أول من خف لأداء فروض الطاعة له وهو الذي أدخل بأمر هولكو ناصر  
الدين عبد الرحيم محتشم قهستان في طاعة المغول ، وعاش خادما للمغول  
حتى موته .

وفي عهد ايلخانية أباقا وهجوم براق خان على خراسان انحسار  
شمس الدين الى براق فلما غلب براق اعتصم شمس الدين خوفا بقلعة  
خيصار وظل متحصنا بها حتى ( ٥٦٧٤ هـ ) وفي النهاية عفى عنه بعسوان  
شمس الدين صاحب الديوان ورافق هارون ابن صاحب الديوان الى  
تبريز لحضرة الايلخان لكن أباقا لم يهتم به فأقام شمس الدين  
بتبريز حتى مات مسموما في ( ٥٦٧٦ هـ ) وخلفاء الملك شمس الدين كرت  
كالتالي :

#### ١ - الملك ركن الدين بن شمس الدين ( ٦٧٧ - ٧٠٥ ) :

أرسل أباق بعد موت شمس الدين أبيه ركن الدين لحكم هراة  
وإدارة ملك آل كرت ولقبه بلقب أبيه شمس الدين وكان يسمى للتفريق  
بينه وبين أبيه بـشمس الدين كهين أو الأصغر . وتحصن شمس الدين هذا  
من بعد موت أباقا بقلعة خيصار وظل بها حتى آخر عمره .

#### ٢ - الملك فخر الدين بن ركن الدين ( ٧٠٥ - ٧٠٦ هـ ) :

لما لم يجد الملك فخر الدين من أبيه ركن الدين أيام حياته  
تمكينا بل ألقاه أبوه حبيسا وظل كذلك حتى خلاصه الأمير نوروز هائد  
جيش المغول بخراسان ثم طلب من غازان له حكم هراة فأخذها له  
في ( ٥٦٩٥ هـ ) وزوجه من ابنة أخيه ولما أن ركن الدين قد أثر التحصن  
بخيصار كما سبق فقد كانت إمارة ملك آل كرت في حقيقتها لفخر الدين .  
ومع كل الأيادي البيضاء التي كانت للأمير نوروز على فخر الدين

على النحو الذي سبق تفضيله قبض الثاني على الأول لما التجأ اليه  
اعتماداً على أفضاله عليه وتركه لقتلغشاه وقتل قتلغشاه نوروز في ذي  
الحجة (٥٦٩٦) ٠٠

وبعد هذه الحادثة بثلاثة أعوام امتنع فخر الدين عن إرسال المال  
الذي تعهد به إلى ديوان خراسان وتحالف مع بعض الشعائر المقاطعة  
للطرق السيستانية التي حل غضب غازان عليها ، فأرسل غازان أخاه  
أولجاتيو لتأديب فخر الدين ، لكن فخر الدين طلب الأمان لما بلغ  
أولجاتيو نيشابور وقبل الأخير الصلح بسبب عدم اطمئنانه للسيطرة على  
قلعة هراة لكنه لم يصف قلبه لفخر الدين المشهور بخيانتة وقطعه  
المواثيق حتى صار أولجاتيو ايلخان وامتنع فخر الدين عن الذهاب اليه  
لتهنئته . فأرسل أولجاتيو أحد قادته بعشرة آلاف جندي لتأديبه لكن  
هذا الجيش لم يحقق شيئاً وقتل قائد أولجاتيو في (٥٧٠٦) ، فسار  
أولجاتيو جيشاً آخر إلى هراة تألف من ثلاثين ألفاً ، وانشاء انشغال  
الجيش بالسيطرة على المدينة وافي فخر الدين أجله فاستولى جيش  
المغول على هراة في ذي الحجة (٥٧٠٦) وتركت الامارة بأمر أولجاتيو  
لابن فخر الدين الملقب بملك غياث الدين .  
٣ — الملك غياث الدين (٧٠٧ — ٧٢٩هـ) :

ليس في عهد حكم غياث الدين واقعة هامة وقد عاش وقتاً في صفاء  
مع أولجاتيو وأبى سعيد وفي خلاف وقتاً آخر اللهم الا اعدامه على  
قتل الأمير تشوبان (٥٧٢٧) الذي سبق ذكره . وفي السنة التالية للقتل  
تشوبان قدم غياث الدين إلى بلاط أبى سعيد لعله يغال عناية أكبر من  
الايخان لقاء الخدمة التي أداما اليه لكنه لم ير اهتماماً بسبب نفوذ بغداد  
خاتون فعاد آيسا إلى هراة ومات السنة التالية .

٦٥٥٤ — أولاد غياث الدين (٧٢٩ — ٧٧١هـ) : بعد موت  
غياث الدين أصابت امارة أسرة كرت أولاده الثلاثة على الترتيب شمس  
الدين محمد (٧٢٩ — ٧٣٠هـ) والملك حافظ (٧٣٠ — ٧٣٣هـ) والملك

معز الدين حسين الذي كان مربيا كبيرا لاهل العلم والأدب والفسد  
سعد الدين التفتازاني من العلما والفضلاء الكبار كتابه المشهور  
(المطول) باسمه (١) .

وزامن جلوس الملك معز الدين ظهور أسرة السريداريين في سبزوار  
وانبساط رقعة استيلائهم على خراسان وتفاقم قوة الأمير قزغن في  
التركستان . ولمع الدين مع السريدارية والأمير قزغن عن وقائع سوف نشير  
إليها في الفصول التالية .

٧ - الملك غياث الدين الثاني ( ٧٧١ - ٧٨٣ هـ ) : مات الملك  
معز الدين في ( ٧٧١ هـ ) بعد حكم تسعة وثلاثين عاما وخلفه ابنه  
الملك غياث الدين الثاني ، لكنه ووجه آخر أمره حملة الأمير تيمور  
الكوركاني على خراسان وسيطر الأمير تيمور على هراة في ( ٧٨٣ هـ )  
وأمر غياث الدين وقتله مع ابنه وأخيه في ما وراء النهر في ( ٧٨٧ هـ )  
وانهارت أسرة آل كرت .

### أسماء ملوك آل كرت وأيام حكم كل منهم

- ١ - الملك شمس الدين بن أبي بكر كرت ( ٦٤٣ - ٦٧٦ هـ )
- ٢ - الملك ركن الدين بن الملك شمس الدين ( ٦٧٧ - ٧٠٥ هـ )
- ٣ - الملك فخر الدين بن الملك ركن الدين ( ٧٠٥ - ٧٠٦ هـ )
- ٤ - الملك غياث الدين بن الملك فخر الدين ( ٧٠٦ - ٧٢٩ هـ )

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني من علماء  
وحكام العصر التيموري ، ولد في قريته تفتازان بالقرب من نسا بخراسان  
عام ( ٧٢٢ هـ ) وأقام في خوارزم مركز العلم والأب اذ ذاك . ولما سمع تيمور  
بمقامه استدعاه وأسند إليه مهام التدريس بسرخس ثم حضره بعد ذلك إلى  
عاصمته سمرقند ومنحه اهتمامه ومكث التفتازاني بقية عمره بهذه المدينة .  
ومن آثاره المطول والمختصر . وأغلب آثاره في المنطق وانصرف والنحو العربيين  
والفلسفة والكلام والتفسير والفقه وكلها بالعربية . وله منظومة هي ترجمة  
تركية لبوستان السعدي الشيرازي .

- ٥ - الملك شمس الدين بن غياث الدين ( ٧٢٩ - ٨٧٣٠ )  
 ٦ - الملك حافظ بن غياث الدين ( ٧٣٠ - ٨٧٣٣ )  
 ٧ - الملك معز الدين بن غياث الدين ( ٧٣٣ - ٨٧٧١ )  
 ٨ - الملك غياث الدين الثاني بن معز الدين ( ٧٧١ - ٨٧٨٣ )

### أتابكة فارس

كان السلاطين السلاجقة يديرون أمور فارس بعد انقراضها من الديلمية عن طريق حكام كابوا يرسلونهم اليها من جانبهم ودام هذا الحال نحو خمسة وثمانين عاما وحكم فارس في خلال هذه الفترة خمسة حكام من عهد ألب أرسلان حتى عهد ملكشاه الثاني أي عام ( ٥٤٣هـ ) من طرف السلاجقة ولقب هؤلاء الحكام وكانوا جميعا من غلماء وابناء السلاطين السلاجقة بلقب ( أتابك ) \*

وكان من بين هؤلاء الحكام الأخيرين الأتابكة الذين حكموا على فارس من قبل السلاجقة بوزابه أتابك محمد محمود ابن أخى السلطان مسعود السلجوقي وقد عصى السلطان في ( ٥٤١هـ ) وقتل في نفس هذه السنة على يد السلطان مسعود في أصفهان \* وكان لبوزابه ابن أخ اسمه سنغر (١) ابن مودود ثار ليثار لعمه وكان بوزابه ينيب أخاه وأبنا سنغر مودودا في غيابه حينما كان يقصد قتال السلطان مسعود في شيراز \* ولما أصيب بوزابه بالقتل اختفى مودود وابنه سنغر وفي تلك الآونة استولى محمد بن محمود السلجوقي على فارس ، وفي ( ٥٤٣هـ ) آب سنغر الى فارس وطرد محمدا من هناك وتسلم عليها \*

ويقال لأبناء سنغر وهم من جماعات التركمان من نسل رجل اسمه سلغور أتابكة فارس أو الأتابكة السلغوريون وظلوا يحكمون فارس من ( ٥٤٣ ) حتى ( ٦٦٣هـ ) تحت طاعة قواد ايران الأقوياء ابتداء

(١) سنغر وسنغر وسنجر كلها كلمة واحدة تركية بمعنى الصخر .



بالخوارزميين ثم المغول والایلخانات وقد حفظ قبولهم أمر السلاطين  
الكبار وأداؤهم الخراج اليهم فارس لمدة قرن تقريبا من الغزو والخراب  
الناجم عنه .

ومع أن أتابكة فارس لم يكونوا قط ثقلا سياسيا هاما الا أنهم  
أبقوا في تاريخ الأدب الفارسي ذكرا طيبا واستاذ الأدب الفارسي وأعذب  
شعراء ايران السعدى الشيرازى مداح لهم .

### الأتابك سنغر ( ٥٤٣ - ٥٥٨ هـ ) : —

وبعد أن قتل بوزابه في ( ٥٤١ هـ ) أودع حكم فارس الملكشاه  
ابن محمود بن محمد السلجوقي . وفي عهد حكم ملكشاه نهض التركمان  
الذين كانوا تحت إمرة السلاجقة ثائرين لما شاهدوا تشعث أمر أسرتهم  
فقامت جماعة منهم بقيادة سنغر بن مودود حوالى جبل كيلويه على  
ملكشاه . في عام ( ٥٤٣ هـ ) تغلب سنغر على جنود ملكشاه وأخذ شيراز  
وأعلن نفسه أتابك فارس مثقبا بلقب مظفر الدين وأسس الأسرة  
السلجوقية .

وفي الوقت الذى استولى فيه الأتابكة السلجوقيون على فارس  
أصابته أسرة أخرى قدرة كبيرة فى القسم الشرقى من هذه الولاية أى فى  
الناحية التى على الحدود بين فارس وكرمان والخليج وتشمل بلاد  
دارانكرد ونيريز وآيج وفرى وطارم واصطهانات واستولوا على هذه  
الولايات التى تسمى فى ذلك الوقت شبانكاره .

وملوك هذا القسم المعروفون بملوك شبانكاره أو أمراء آيج كانوا  
بقول مشهور طبقة من الايرانيين القدماء ويصلون بنسبهم الى أردشير  
بأنكان .

وكان ملوك شبانكاره الذين استولوا على شبانكاره من حدود عام  
( ٥٤٨ هـ ) وهو وقت سقوط دولة آل بويه واستقلوا بها فى نزاع دائم

مع الأتابكة السلغورية بعد تأسيس دولتهم بسبب شبانكاره وكرمان ،  
فشار النزاع مرارا بين نظام الدين يحيى منهم مع الأتابك سنغرا  
السلغوري من أجل السيطرة على فارس سيطرة قطعية لكنه لم يستطع  
التغلب عليه ، وحكم سنغر شيراز أربعة عشر عاما ونشر العدل والأعمار  
حتى مات في ( ٥٥٥٨ هـ ) .

#### الأتابك مظفر الدين زنكي مودود ( ٥٥٨ - ٥٧١ هـ ) :

بعد سنقر صارت الأتابكة لأخيه زنكي الذي كان نهب الصراع مع  
ملوك شبانكاره طوال مدة حكمه ولم يستطع في النهاية القضاء عليهم  
لأسيما وأنهم بلغوا تلك الأيام قوة فاقت الحدود ولم يعد ممكنا إزانتهم .  
ولكى يزيد الأتابك زنكي من قدرته على الحكم قدم إلى السلطان أرسلان  
ابن طغرل السلجوقي سلطان العراق واستصدره أمر أتابكته الرسمي  
وظل ملكا مدة أربع عشرة سنة إلى توفى في ( ٥٧١ هـ ) .

#### سعد بن زنكي ( ٥٩٩ - ٦٢٣ هـ ) :-

مظفر الدين سعد بن زنكي أحد أكبر أتابكة فارس ظل يصارعه ابن  
عمه طغرل بن سنغر طوال مدة حكمه حتى غلبه سعد في ( ٥٩٩ هـ ) واستأسر  
طغرل وحار هو أتابك فارس ثم ضبط كرمان وقصر عنها أيدي ملوك  
شبانكاره .

وبعد أن بلغ هذه القوة زحف الأتابك في ( ٦٠٠ هـ ) إلى أصفهان  
والعراق وكانتا إذ ذاك في يد أتابكة آذربايجان وهاجم الأتابك أوزبك  
بن جهمان بهلوان شيراز من أجل أن يصرف سعد بن زنكي عنه وأكثر فيها  
القتل والنهب ، وبعد هذا بقليل أمر السلطان محمد خوارزم شاه ابنه  
غياث الدين بالتوجه لتأديب الأتابك سعد أيضا ففر الأتابك من أمامه ولما  
تغلب غياث الدين راجعا إلى خوزستان عاد سعد بن زنكي أذراجه إلى  
فارس وأعاد سيطرته عليها .

وفي ( ٥٦٠٧ هـ ) ثار الحاكم الذي أرسله الأتابك سعد إلى كرمان واضطربت أمورها فاستولي عليها السلطان محمد خوارزم شاه وخرجت بهذا عن ملكيته أتابكة فارس .

وفي ( ٥٦١٤ هـ ) قصدا الأتابك سعد العراق وتقدم مهاجما حتى لرى واشتبك مع ملك قوى مثل خوارزم شاه وهاجمهم جيشه لكنه وقع أسيرا وأراد خوارزم شاه قتله لكنه عفا عنه بشفاعة أحد أتباعه واستقر الصلح على أن يترك الأتابك سعد قلعتي استخر واسكنوان (١) مع ربح مال فارس إلى خوارزم شاه وأن يخطب ابنه (ملكة خاتون) لابن خوارزم شاه أي السلطان جلال الدين المنكرني ويبقى ابن زنكي الأكبر في بلاط خوارزم شاه رهينة . بعد هذا أنزل خوارزم شاه الأتابك منزل الاحترام وأرسله إلى فارس وعاد إلى شیراز .

ولما علم الابن الثاني للأتابك وهو أبو بكر بقرار صلح أبيه مع خوارزم شاه لم يرض به ولا بتزويج أخته من جلال الدين فثار على أبيه وخف إلى صده ، وجرح الأب والابن أحدهما الآخر على مقربة من قلعة اصطخر وأسر أبو بكر وأودع محبس هذه القلعة وأتى الأتابك سعد فارس وأوفى بعهده مع خوارزم شاه .

ولم يقدم الأتابك من بعد عودة السلطان جلال الدين المنكرني إلى إيران وحملاته في العراق حتى ( ٥٦٢٣ هـ ) حين توفي على قتال أو حرب وإنما أمضى بقية عمره في تشييد أبيية الخير من السوق والمسجد والرباط والحمام وشق الترع والحصون حول شیراز وتشجيع أهل العلم والأدب وقد مدحه بشيعة نفير من مشاهير شعراء الفارسية ، وما يقال أن الشيخ السعدي أخذ تخلصه من اسم هذا الأتابك قول خاطيء تماما .

---

(١) اسكنوان أو سكنوان مع اصطخر وقلعة سكسته كانت ثلاث قلاع فيها حول مدينة اصطخر ويقال لها القباب الثلاث لوقوع ثلاثها فوق ثلاثة جبال (سباقى) .

الأتابك أبو بكر بن سعد ( ٦٢٣ - ٦٥٨ هـ ) : -

بعد الأتابك سعد صار حكم فارس إلى ابنه الأتابك أبي بكر وهو أشهر الأتابكة السلغوريين وقد بلغت في عهده قوتهم أوجها ولقيت فارس كثيرا من العمار والأزدهار . وكان الأتابك أبو بكر رجلا عاقلا بعيد النظر ، ولما قام بترميم ما تخرّب في فارس في عهد أتابكة الملاجطة وغزوات السلطان غياث الدين وطلوك شهبانكاره دخل طاعة أوكتاي خليفة جنكيز والانقياد له ورأى الصلاح في التسليم لأمر المغول وإن ينقذ أهلهم فارس من هجومهم وكانوا في هذا الأوان أي في ( ٦٣٣ هـ ) قد سبوا أصفهان آخر مدينة كبرى بالعراق بالأرض ولهذا أرسل ابن أخيه إلى بلاط أوكتاي وتعهّد بأداء خراج فارس وبهذا القصر الحكيم حفظ جنوب إيران من أضرار غزو جنّد المغول ، ولكيلا يدع في يد المغول أي ذريعة للاغارة على فارس وكانت في تلك الأيام من أغنى ولايات إيران بسبب تجارتها الخارجية العامة كان يرسل سنويا ابنه سعدا وبرقته أحد أبناء أخوته بالخراج إلى حضرة الخان وكان يسمح لشعنات التتار بالانكسار بشيراز في ( بيرون ) ويهيئ لهم أسباب الراحة من كل شيء ويضع العامة من الاقتراب اليهم ، والخلاصة أن فارس نعمت في عهده بالأمان والطمأنينة فصارت مركز تجمع الشعراء والفضلاء والعلماء الذين فروا فزعا من أمام المغول ومسلموا بأرواحهم وراموا ناحية هامة ولما كان الأتابك أبو بكر يؤلف هؤلاء الناس بالتربية والمراعاة ويهيئ لهم أسباب الأطمئنان فقد اجتمعوا حوله وأثبثوا اسمه ضمن أفعالهم أو تضمناتهم أثبات خير وأشهرهم السعدي الشيرازي الذي نظم كتابه ( بوستان ) في ( ٦٥٥ هـ ) بأبانه .

وكان الأتابك أبو بكر كأبيه في كثرة تضييده أبنية الخير في شيراز . كان من بينها دار كبيرة للشفاء غولج فيها المرضى بالجان وكان يصرف لهم الدواء والغذاء . وكان أبو بكر رجلا دينيا زاهدا صوفيا مغربا هزينا للصالحين والزهاد والذراويش وأوقف على هؤلاء الناس وظائف كثيرة .

وفي ( ٦٢٨ هـ ) أي في العام الخامس من حكم الأتابك أبي بكر جردت جيشه على الخليفة الفارسي واستولى على عهان والبحرين ( مسقط )

وكيش وشاطئ الخليج من البصرة حتى سواحل الهند وطرت شهرة قوته حتى الهند وخطب له في بعض البلاد ولقب من يومذاك بلقب (سلطان البر والبحر) .

ولما وصل خبر وفاة الأتابك أبي بكر لمسمع ابنه سعد وهو في طريقه الى مقر هولاكو ناله المرض وقبل أن يبلغ سعد شيراز ويخلف أباه وافاء أجله في إحدى قرى (تفرش) بعد موت أبيه باثني عشر يوماً أي في السابع عشر من جمادى الأولى وكان في حياة أبيه يلقي الاحترام ويولى أهل العلم والأدب برعايته ، والشـيخ السعدى (١) من خواصه وأخذ تخلصه من اسمه ودبج كتابه (كلستان) باسمه (٢) .

(١) السعدى الشيرازى المتوفى نحو ( ٦٩١ او ٦٩٤ هـ ) هو شرف الدين مصلح بن عبدالله من كبار وفوايج الأدب الفارسي ، ولد بشيراز نحو عام ( ٦٨٠ هـ ) وبدأ تعليمه بها ثم رحل عنها الى بغداد حيث أكمل تعليمه بمدرستها النظامية . وقد أقبل السعدى على التطواف لحبه للسياحة وبسبب الصراع بين الخوارز مشاهيين واتبكة فارس وهجوم المغول وطال سفره حتى أرى على الثلاثين عاماً أو ناهز الأربعين وحاب بلاد المسلمين قترية ، وآب سعدى الى موطنه شيراز حين استقرت أمورها وأخذ في التأليف . ويعد السعدى من الشعراء الإيرانيين العظام ان لم يكن أعظمهم على الإطلاق كما يعتبر استاذ النثر المسجع الموزون ومن مبرزى الكتّاب . ونظم السعدى القصيدة والقطعة والرباعي والترجيع بنـد (مجموعات من الشعر لكل منها وزن وقافية مختلفان وآخرها بيت يتكرر بقافية مختلفة يسمى الترجيع ) والتركيب بنـد ( هو الترجيع بنـد الا أن البيت المسمى بالترجيع لا يتكرر ) غير أنه يمكن القول ان الغزل أعتلى أنواع الشعر كلها بالسعدى الذى بلغ به ذروة لطفه وجماله حيث يجمع السلاسة والصناعة والسهولة والامتناع . وآثار سعدى هي ديوان غزلياته من الطيبات والبدايع والخواتيم والغزليات التقليدية ثم اليوستان والقصائد والمعات والرباعيات والترجيعات . أما كتابة الكلستان ( بمعنى اليوستان ) فهو كتاب قيم في النثر المزوج بالشعر . وقد أفرغ الشاعر تجاربه وما رآه في أسفاره وما سمعه في أعماله بنيت حاوية للمواضيع الأخلاقية والمواعظ والحكم ومضامين العشق واللفظ والجمال . وقد ترجمت آثار السعدى الى اللغات الأجنبية فصار بها شاعراً عالمياً .

## (٢) السعدى يقول في هذا :

على الخصموص كه ديباجه هـاـيـونـش

بنام سعد أبى بكر سعد بن زكى است سياتى

اى : على الخصموص وديباجته المباركة

بنام سعد أبى بكر سعد بن زكى است (سياتى) .

## الأتابكة السلفوريون الباقون :

وبعد أن حمل سعد بن أبي بكر بن زنكى الى شيراز اختير للأتابكية ابنه محمد الصغير السن ، وبما أنه سقط من سقف القصر وهو في الثانية عشرة في ( ٥٦٠ هـ ) أعطيت الأتابكية لأحد أحفاد سعد بن زنكى وكان اسمه محمداً أيضاً . ولما كان محمد هذا سفاكاً جائراً فاسقاً فأمسك به الأمراء في ( ٥٦١ هـ ) وأرسلوا به الى مقر هولاكو وبلغ أخوه سلجوقشاه الحكم ، لكنه قتل في ( ٥٦٢ هـ ) بيد أحد قواد هولاكو الذي أرسله لتأديب الأتابك ولم يبق بعده رجل من الأسرة السلفورية ففوض المغول حكم شيراز لبنت الأتابك سعد بن أبي سعد وهى ( لبش خاتون ) التى زوجها هولاكو في ( ٥٦٣ هـ ) لابنه منكوتيمور فضمت فارس رسماً الى ديوان الایلخانان ، وتوفيت أبش خاتون في ( ٥٨٤ هـ ) في تبريز ومع أن استقلال السلفوريين قد انتهى فى الحقيقة من عام ( ٥٦٣ هـ ) إلا أن أبش خاتون أعاد السلطان أحمد نكودار تنصيبها على حكومة فارس فى العهد الایلخانى وظلت بها حتى عام ( ٥٨٣ هـ ) حين ذهبت الى تبريز لحضور محاكمة بها ثم توفيت هناك فى العام تاليه .

## أسماء أتابكة فارس وأيام حكم كل منهم

- ١ - سنغر بن مودود ( ٥٤٣ - ٥٥٥ هـ ) .
- ٢ - زنكى بن مودود ( ٥٥٨ - ٥٧١ هـ ) .
- ٣ - تكله بن زنكى ( ٥٧١ - ٥٩١ هـ ) .
- ٤ - طغرل بن سنغر بن مودود ( ٥٩١ - ٥٩٩ هـ ) .
- ٥ - سعد بن زنكى ( ٥٩٩ - ٦٢٣ هـ ) .
- ٦ - أبو بكر بن سعد ( ٦٢٣ - ٦٥٨ هـ ) .
- ٧ - الأتابك سعد بن أبي بكر في ٦٥٨ هـ ( اثنا عشر يوما ) .

- ٨ — محمد بن سعد (٦٥٨ — ٦٦٠ هـ) \*
- ٩ — محمد بن سلغور بن سعد (٦٦٠ — ٦٦١ هـ) \*
- ١٠ — سلجوقشاه بن سلغور (٦٦١ — ٦٦٢ هـ) \*
- ١١ — أبش خاتون بنت سعد أبي بكر (٦٦٢ — ٦٨٤ هـ) \*

### ٣ — قراخطائيو كرمان

تأسيس سلسلة القراخطائيين في كرمان كان على نحو ما نعلم بيد براق الحاجب أحد الأمراء الكبار للسلطان غياث الدين بن السلطان محمد خوارزم شاه ولقب براق بقتلغ خان ولذا تعرف هذه الأسرة أيضا بالأسرة القتلغ خانية \*

وحينما وصل جنكيز الى خراسان قدم براق الحاجب باجازه السلطان غياث الدين الى كرمان واستولى عليها في (٦١٩ هـ) ومات في (٦٣٢ هـ) وأمضى مدة حكمه مطيعا للمغول \*

وظل أتباع براق الحاجب يحكمون كرمان حتى (٧٠٣ هـ) ولم يستطع أحدهم الاستقلال بحكمه بل كانوا دائمي الطاعة والانقياد للایلخانات \*

وأشهرهم (سلطان حجاج) (٦٥٦ — ٦٧٦ هـ) الذي بلغ الامارة من بعد أبيه قطب الدين محمد ابن عم براق ولما كان صغير السن وقت بلوغه الحكم أدارت امرأة أبيه (قتلغ ترکان) التي كانت أولا زوجة لبراق ثم تزوجت بقطب الدين محمد بعد وفاة براق أمور كرمان من طرف هولاء وشهرت هذه المرأة بالعدالة والكفاءة ومراعاة أهل العلم والأدب وبالتعمير وزوجت إحدى بناتها وهي (بادشاه خاتون) أبانها خان لكي تحكم أساس حكمها في كرمان وتسد الطريق أمام مطالبة سلطان حجاج وأخيه أي ابني زوجها \*

ولما بلغ حجاج حد الرشدا أساء معاملته زوجة أبيه فولت قتلغ ترکان  
وجهها شطر معسكر أباها زوج ابنتها وشكت اليه فحرم حجاج من تدخله  
في أمور سلطنة کرمان فلأذ بالذهاب الى سيستان والهند ومات بنفس  
هذه الحدود في (٥٦٩٠هـ) \*

واستقلت قتلغ ترکان بحکم کرمان حتى (٥٦٨١هـ) وفي هذا العام  
حصل الابن الآخر لزوجها وهو (سيور غتمش) من السلطان أحمد تكدار  
على أمر بامارة کرمان ولما لم تستطع قتلغ ترکان الغاء الأمر ماتت حسرة  
فاستقل سيور غتمش بحکم کرمان \*

ولم سيور غتمش کرمان مدة عشر سنوات (٦٨١ - ٥٦٩١هـ) الا أن  
اغتته (بادشاه خاتون) التي تزوجها كيخاتو بعد وفاة أباها كانت نزاعة  
دائما الى توهين أمره الى أن هلك حاميه أرغون وتملك كيخاتو فقدمت  
بادشاه خاتون الى کرمان متذرة برؤية وطنها وقبضت على سيور غتمش  
والقت به في (٥٦٩١هـ) حبس احدى القلاد \* ومع أن سيور غتمش خلص  
من حبسه بعد قليل بعون زوجته كردوجين ابنة منكوتيمور بن هولاکو  
وابس خاتون السلغورية لكن لم يطل به الوقت حتى سقط بيد كيخاتو  
الذي تركه تحت تصرف زوجته بادي شاه خاتون فأوردت هذه المرأة أخاها  
في (٥٦٩٣هـ) مورد الهلاك \*

وبعد أن قتلت بادي شاه خاتون أخاها سيور غتمش جعلت من نفسها  
واليا لکرمان في (٥٦٩١هـ) وكانت كما نعرف ابنة قطب الدين محمد وقتلغ  
ترکان واشتهرت بحسنها وفضلها وأدبها وسمت نفسها بعد الاستيلاء على  
منصب أخيها (حسن شاه) \*

وفي (٥٦٩٤هـ) خرجت کرمان عن يد بادي شاه خاتون عن طريق بايدو  
وباصرار من كردوجين وشاه عالم أخت سيور غتمش التي تزوج بها  
الايخان الجديد دوکان من استولى على هذه المدينة هي كردوجين التي  
سلمت لها بادي شاه خاتون فقتلتها انتقاما لسيور غتمش واعتلت كردوجين  
مقامها المارة کرمان \*



وآخر ملك قرا خطائي لكرمان هو قطب الدين شاه جهان بن سيور غتمش الذي ولي من جانب غازان كرماني ( ٥٧٠٢ ) إلا أن أولجايتو عزله بعد جلوسه لما رأى منه عدم الكفاءة والميل إلى الغلبة وتحولت كرماني إلى حكم شحات المغول المباشر .

وكان لقطب شاه جهان ابنة اسمها ( مخدوم شاه خان قتلغ ) تزوج بها الأمير مبارز الدين محمد المظفرى وأكثر سلاطين آل المظفر من أبنائها .

### أسماء قراخطائي كرماني وأيام كل منهم

- ١ - براق الحاجب بن كلدوز ( ٦١٩ - ٥٦٣٢ )
- ٢ - ركن الدين مبارك خواجه بن براق ( ٦٣٢ - ٥٦٥٠ )
- ٣ - قطب الدين محمد ابن اخى براق ( ٦٥٠ - ٥٦٥٥ )
- ٤ - سلطان حجاج بن قطب الدين وأمه عصمة الدين قتلغ ترکان زوجة قطب الدين ( ٦٥٥ - ٥٦٨١ )
- ٥ - جلال الدين سيور غتمش بن قطب الدين ( ٦٨١ - ٥٦٩١ )
- ٦ - صفوة الدين بادشاه خاتون بنت قطب الدين ( ٦٩١ - ٥٦٩٤ )
- ٧ - مظفر الدين محمد شاه بن سلطان حجاج ( ٦٩٤ - ٥٧٠٢ )
- ٨ - قطب الدين شاه جهان بن سيور غتمش ( ٧٠٢ - ٥٧٠٣ )

#### ٤ - أسرة اينجو وآل المظفر

بعد جلوس أبى سعيد على عرش الايلخانية نظر الى شاهزاده خانم كردوجين ابنة أبش خاتون ومنكو تيمور أى زوج سيور غتمش القراخطائى نظر العناية ففوض اليها حكم فارس مراعاة لودتها وحبها وكفالتها التى أظهرتها فى وفاة أولجايتو فى ادارة أمور السلطنة حتى دخول أبى سعيد لسلطانية وكان حكمها لفارس من أول ( ٧١٩هـ ) فوقعت هذه المملكة برها وبحرها تحت تصرفها ومقطعة لها مقاطعة تامة ولم يكن لها من بعد أمها أبش خاتون رئيس أو قائم معين فدخلت كردوجين أرض أجدادها تحفها مظاهر العزة وكانت امرأة عاقلة محبة للخير فأنشأت تنشر العدل وتشيد أبنية الخير وتبسط يد البذل والجود فأقامت نحو اثنى عشرة مدرسة ورباطا ومستشفى ومسجدا وسدا وأوففت عليها كثيرا من الأوقاف ، وحين أن أرسلت بهدايا وتقدمات نفسية الى أبى سعيد أصدر لها السلطان أمرا ملكيا باعفائها من دفع الضرائب .

ولا يعرف متى ماتت كردوجين وأما ما يعرف عنها أنها تزوجت فى بداية حكمها بالشحنة المغولى بشيراز ، ثم الأمير تشوبان من بعده وظلت فى حكم شيراز فى ( ٧٢٩هـ ) لأن فى هذا العام قدم الأمير مبارز الدين محمد بن المظفر من يزد الى كرمان اليها كما قدم ابن زوجها قطب الدين شاه جهان وبنى مبارز الدين بابنة قطب الدين وهى مخدوم شاه وعاد بها الى يزد .

وفى عهد حكم كردوجين لفارس أرسل الأمير تشوبان أحد خاصته وكان وكيلًا للأملاك الايلخانية الخاصة أو ما تسمى بأملاك الـ ( اينجو ) واسمه شرف الدين محمود الى وزارة فارس وكرمان ويزد وكيش والبحرين ، فوضع شرف الدين محمود هذا الذى كان يعد نفسه منتسبا

لعبد الله الأنصاري (١) بلاد جنوب إيران من أصفهان حتى جزر الخليج تحت إدارته المالية وعرف بالأمير شرف الدين محمود أينجو فجمع له مال كثير عن هذا الطريق حتى أن حاصل أملاكه الشخصية السنوي كان يبلغ في أواخر أيام سلطنة أبي سعيد مائة تومان أي ألف ذهباً . وبعد كردوجين استقل محمود شاه بهذه النواحي تماماً وكان رجلاً ذا كفاءة وذكاء وميسار ويتحدث بجسارة أمام أبي سعيد . وعزله أبو سعيد كما سبق من حكم فارس في ( ٥٧٣٤ هـ ) لكن محمود لم ينصع لأمره وأعلن تمرده وعفا السلطان عن قتله بوساطة غياث الدين الوزير وحبسه بقلعة طبرك بأصفهان ، وبعد قليل أَرْضَى الوزير السلطان عليه وخصه من حبسه وأقام محمود بالمعسكر . وأمر أبو سعيد بابنه جلال الدين مسعود شاه فارس إلى بلاد الروم لدى أمير شيخ حسن القشوباني حاكمها فمأش فيها خلال حياة أبي سعيد .

وكان للوزير غياث الدين اهتمام بأسرة أينجو أي محمود شاه وأولاده جلال الدين مسعود شاه وغياث الدين كيخسرو وجمال الدين أبو اسحاق حسن وأدخلهم في أعمال الديوان ، ولما أن محمود شاه غالب

---

(١) هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري من صوغية القرن الخامس الأشاهر عامر السلطان الب أرسلان السلجوقي والوزير نَقْلَام الملك ، ويصل نسب عبد الله الأنصاري إلى المجاهد أبي أيوب الأنصاري الذي غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية ( ٤٩ أو ٥٠ هـ ) واستشهد أمامها ودفن على أبوابها ( انظر الكامل لابن الأثير ج ٢ / ١٩٥ ، ١٩٧ ) . ولد عبد الله بهراء واشتهر في شبابه بالبهر في العلوم الأدبية والدينية وهفط القصص العربي ومهر في علم الحديث والفقه وأخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن الخرقاني ( متوفى ٤٢٥ هـ ) كما استفاد من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ( متوفى ٤٤٠ هـ ) . نظم عبد الله الشعر بالفتن والفت كثيرا من بينها ترجمة طبقات الصوفية للمسلمي إلى اللهجة الهروية وتفسير للقرآن الكريم كان أساس تفسير أبيبدي المشهور كشف الأسرار وعدة الأبرار المؤلف حسام ( ٥٢٠ هـ ) . وللأنصاري رسائل غرامية أخرى مثل مناجات ناسه وزاد العارفين والهي ناله وكثر السالكين ورسالة دل وجان أو رسالة القلب والروح وقلندر ناسه ، ويمكن اعتبار نثره رائد النثر المؤزون والمسجع ونوغى الأنصاري عام ( ٤٨١ هـ ) .

أقامته بالمعسكر السلطاني فقد كان يعد قبل عصيانه لأبي سعيد مستشاراً  
للوزير وموصولاً منه .

ولما كنا نشرحنا تفصيل قتل شرف الدين محمود شاه بيد أرباكاون  
وفرا أولاده وقتل أرباكاون بيد أولاد محمود شاه فليس إعادة هذا  
الشرح هنا ضرورياً وحسبنا القول أن على بادشاه بعد تغلبه على أرباكاون  
أرسل مسعود شاه اينجو وبصحبته الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن  
الأمير تشوبان في ( ٥٧٤٠هـ ) إلى شيراز وخول للأمير بير حسين حكم  
فارس ويزد وكرمان ، فاستوزر بير حسين سلطان شاه أخا مسعود شاه  
لكنه بعد قليل قتل سلطان شاه . ولا استقدم بير حسين من يزد الأمير  
مبارز الدين محمد استوحسن مسعود شاه اينجو من كليهما فتركهما إلى  
كازرون ومنها رحل إلى شيخ حسن الكبير ببغداد .

وفي ( ٥٧٤٢هـ ) فوض الأمير بير حسين حكم أصفهان إلى شيخ  
أبي اسحاق أخى مسعود شاه وسلطان شاه ، واستدعى شيخ أبو اسحاق  
كما مر ملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير لقتال بير حسين وأخذ فارس  
منه انتقاماً لمقتله أخاه واستولى أشرف ببسر على شيراز وطرد بير  
حسين ، ونجح أبو اسحاق بعد قليل في أن يخرج شيراز عن يد أشرف في  
نفس ذلك العام بعون أهلها وأن يصير حاكماً عليها .

أما الأمير مسعود شاه أخو شيخ أبي اسحاق الذي سبق أن هرب  
إلى بغداد فقد أمره شيخ حسن الكبير حاكمها بالتوجه مع الأمير ياغى  
باستى بن الأمير تشوبان قبل أن يعلم بوقائع بير حسين وملك أشرف إلى  
شيراز فأتياها في ( ٥٧٤٣هـ ) وقت استيلاء شيخ أبي اسحاق عليها .

ولما ذهب أبو اسحاق إلى كازرون حرك الحسد ياغى باستى إلى قتل  
مسعود شاه فعاد أبو اسحاق بمدد من أهل كازرون إلى شيراز ولم يطق  
ياغا مقاومته فهرب إلى ملك أشرف بالعراق فاستقر أبو اسحاق في شيراز  
وخطب له فيها ونقش اسمه على عملتها ونادى بنفسه ملكاً رسمياً عليها .

## أصل آل المظفر ونسبهم : —

آل المظفر وعم أولاد الأمير مبارز الدين محمد بن المظفر من نسل واحد من أهل خواف إحدى قرى خراسان واسمه غياث الدين حاجي وقد هاجر حاجي هذا عن موطنه وقت استيلاء جنكيز على خراسان وأتى إلى يزد وأقام بها . وكان له ثلاثة أولاد هم أبو بكر ومحمد ومنصور ، ولحق الأولان بخدمة الأتابك علاء الدين بن قطب الدين بن محمود شاه ( توفي عام ٦٦٢ هـ ) أتابك يزد ، وبعث بهما الأتابك عام ( ٦٥٥ هـ ) قائدين لثلاثمائة فارس إلى معسكر هولكو حينما أزمع على فتح بغداد ، وأمر أبو بكر بمرافقة جيش المغول المتجه إلى حدود الشام ومصر وقتل في الطريق في حروبهم مع أعراب البادية ورجع محمد إلى يزد وظل ببلاط الأتابك حتى وفاته ولم يعقب هذا الولدان .

أما الابن الثالث لغياث الدين حاجي وهو منصور فكان مع أبيه بيزد ورزق ثلاثة أبناء هم محمد وعلي المظفر ، ولم يعقب علي بن منصور الذي مات مغمورا . أما محمد والمظفر فكانت لهما ذرية تولد منها سائر ملوك آل المظفر . وكان المظفر الابن الأصغر لمنصور بن غياث الدين حاجي رجلا عاقلا شجاعا ودخل خدمة الأتابك يوسف شاه بن الأتابك علاء الدين ( ٦٦٢ — ٦٩٠ هـ ) وأعطاه الأتابك حكم مدينة ميبد . ولما أخطى يوسف شاه يزد خوفا من المغول وتحرك إلى سيستان ليلتجئ بالأمير نوروز رافقه المظفر وقد لقب بالأمير شرف الدين . ورأى الأمير شرف الدين المظفر أثناء سفره من بعض أمراء الأتابك هما بقتله ، فعرج إلى كرمان وانظم إلى خدمة جلال الدين سيو غتمش القراخطائي فتعهد القراخطائي بالعناية . وبعد فترة آب المظفر إلى يزد وذهب منها إلى المعسكر الأيلخاني وتعرف إلى أرغون خان ونال رتبة حارس للخان وظل بجيش الأيلخانات عهد كيخاتو وغازان . ولما عصى أتابك لور كيخاتو وقت جلوسه وعزم كيخاتو تأديبه اختار الأمير المظفر ليقوم بهذه المهمة ، فميمم المظفر وجهه إلى لرستان وكانت بينه وبين الأتابك أفراسياب

علاقات مودة فانتهى الأمر الى المسألة ورافق افراسياب الأمير المظفر الى المعسكر الايلخانى فنزل كلاهما من الايلخان منزل العناية وخدمت فتنة لرستان .

وبعد وفاة كيخاتو صار المظفر في غازان خان في (٦٩٤هـ) وعاش لديه ولدى خلفه أولجاتيو مقربا محترما وتقلد أثناء ذلك بعض المناصب المهمة وظل يرتقى امره حد ان أصدر أولجاتيو أمرا بأن يلقى ارشاد وحفاظ طرق الولايات بين كرمشاه ولرستان حتى هراة ومرو وأبرقو مع حكومة مدينة ميبد . وقضى الأمير المظفر حيناً في ميبد وأغلب الأحيان في المعسكر الايلخانى الى أن عاد الى وطنه في (٧٠٧هـ) . وفي (٧١١هـ) وقتما توجه أولجاتيو الى بغداد خف المظفر ومعه ابنه مبارز الدين الى ركه عن طريق شيراز وجبل كيلويه وبلغ المعسكر ببغداد وأذن له الايلخان بالعودة بعد أن صاحبه مدة . وفي عودة المظفر أمر بقتال المتمرددين في شبانكاره ، ولما فرغ من تسكين فتنة هذه الناحية أصابه الوهن والتعب في نفس شبانكاره فلاقاه أجله فيها في الثالث عشر من ذي القعدة (٧١٣هـ) وحمل جسده الى ميبد .

وقد أعقب الأمير شرف الدين المظفر بن منصور بن غياث الدين حاجي الخراسانى ولدا وبنتين ، وولده هو الأمير مبارز الدين محمد الذى يعد أول آل المظفر .

#### الأمير مبارز الدين محمد (٧١٨ — ٧٥٩هـ) —

لم يزد مبارز الدين حينما مات والده عن ثلاثة عشر عاما لهذا عمد أعداء أسرته الى اتهام ابيه بالظلم والتعدي أمام الوزير رشيد الدين فضل الله وادعوا أملاكه التى احتازها وأتى الأمير مبارز الدين معسكر أولجاتيو وظل به حتى آخر عهد حكمه . ولما خلف أبو سعيد أباه أبقاه في نفس مقامه وأرسله في (٧١٧هـ) الى ميبد .

وفي ( ٥٧١٨ هـ ) قدم من شبانكاره الى يزد أخو شيخ أبى اسحاق اينجو وهو الأمير غياث الدين كيخسرو وعقد مع الأتابك فيها أسباب المودة ثم عجل منها الى ميبد وتوثقت بينه وبين الأمير مبارز الدين عرى الصداقة ، لكنه الأمر لم يطل اذ شب نزاع بين نائب الأمير كيخسرو وأتابك يزد لأمر بسيط فقتل الأتابك وكان فظا نائب الأمير كيخسرو .  
فهاجم كيخسرو ومبارز الدين الأتابك بعد استئذان أبى سعيد وهزمه في هذا النحو في ( ٥٧١٨ هـ ) وانتهت حكومتها الى الأمير مبارز الدين من طرق الايلخان بعد اتصاله به .

وبنى الأمير مبارز الدين كما سبق القول في ( ٥٧٢٩ هـ ) بابنه قطب الدين شاه جهان الحاكم المفاوض لكرمان وهى خان قتلخ مخدوم شاه وهذه المرأة هى أم شاه شجاع وشاه محمود وسلطان أحمد .

بعد وفاة السلطان أبى سعيد ثار في كل جانب من الولايات الايلخانية من يطالب بالاستقلال وأخذ الأمير مبارز الدين بدوره أهبطه لهذا الأمر أيضا ومهد المجال لكي يستقل أيضا لأنه لم يكن من بقية الأسرة الايلخانية الرجل القوى الذى يجعل اعداءه لا يتجاوزون حدودهم وكان الوزير الكفاء غياث الدين قد لقي القتل أيضا ولما كان كل وال يدعى نصيبا له من تلك البلاد الواسعة وكان الأمير مبارز الدين قائما من عام ( ٥٧١٣ هـ ) حتى ذاك الوقت بالقضاء على فتن جنوب ايران وضبط طرقها فأخذ يطالب بنصيبه ويدعو الى خلافة أتابكة يزد خلافة مستقلة .

وكانت فارس كما سبق شرحه في تلك الآونة تحت سيطرة شيخ أبى اسحاق وأخوته وكان هذا الأمير يرنو ببصره الى يزد . ولهذا أتاها في ( ٥٧٣٧ هـ ) بأمر أخيه جلال الدين مسعود شاه فلما تلقاه مبارز الدين بالاحترام التام ترك المدينة الى كرمان ، وبعد قليل عساده الى يزد ثانية ليسيطر عليها بحجر أنه عائد الى شیراز لكنه لم يقو على مبارز الدين وانتهى الأمر بتخليته المدينة بوساطة أحد العلماء وأوبتسه الى شیراز .

وفي (٧٤٠) رأينا أن الأمير بير حسين التتشيوياني بلغ فارس وأستمد الأمير مبارز الدين فأثيا متحالفين إلى شيراز ولأذ منعود شاه بالفرار إلى كازرون فطوى الأمير بير حسين فارس تحت تصرفه وترك حكم كرمان التي كانت تبعا لفارس إلى مبارز الدين فاستولى عليها في (٧٤١هـ) .

وبعد أن اطمأن شيخ أبو اسحاق من ناحية فارس وطرد عنها الأمير بير حسين وملك أشرف أزمع على فتح كرمان وقد أدعى حكمها بعد أن دانت له أصفهان وهرمز بالطاعة وخطب له فيهما وسكت عملتهما باسمه ولا سيما وأن كرمان كانت جزءاً من أملاك أجداده فجرد جيشاً كبيراً إليها وتقدم إلى (سيرجان) لكنه فشل في دخول قلعتها مما أجبره على تخليتها وتقدم حتى قبل كرمان بخمسة عشر فرسخاً ، وجمع أن الأمير مبارز الدين قادم بجيش متأهب لصدده فنصحه بعض مرافقيه بالعودة إلى شيراز فانتصح وعاد .

ولما عاد شيخ أبو اسحاق قام الأمير مبارز الدين بقتال عشيرتين من قبائل المغول هما (أوغاني) و (جرمائي) بسبب عصيانهما وكانتا قد أثبتتا كرمان من عهد بيسور غتمس وإيلخانية أرغون للمحافظة على حدودها ، ثم عهد إلى شيخ أبي اسحاق ألا يدخل أمير شيخ الأوغاني رئيس العشيرة الأولى شيراز إلا أن أبا اسحق الذي لم يتخل عن فكرة ضم كرمان ويزد إليه نقض هذا العهد في (٧٤٧هـ) لما رأى مبارز الدين في عنت شديد وتظاهر بأرسال خمسة آلاف فارس لمدد مبارز الدين بكرمان وأمرهم أن ينضموا إلى عبدو مبارز الدين حين يشرع المقتال ، وزحف هو إلى يزد . ومع أنه أخذ يزد لكنه لم يقنو على شاه مظفر ولد مبارز الدين في ميبد وعلم أن جنوده والأوغانيين مع ضربهم الحصار على كرمان وغلبتهم لمبارز الدين لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة لهذا اضطر إلى الصلح والعودة إلى شيراز .

وفي (٧٤٩هـ) أرسل الأمير مبارز الدين ابنه شاه شجاع الذي لم يزد



وقتها عن السادسة عشرة لتأديب الأوغانيين والجرمانيين وغلب شهاب  
شجاع هذه الجماعات في مناطق كرمان الحارة ، وبعث أبو اسحاق أحد  
قاداته لما سمع بتمرد هذه الطوائف الى هرمز ومكران لكي يحصل  
أموالهما ويأتي كرمان فيمد المتمردين على آل المظفر ، لكن هذا القائد  
استجاز خيافته وانضم الى آل المظفر فأدى هذا الى قوة أمر المظفرين  
ووهن أمر أبي اسحاق .

وفي ( ٨٧٥١ ) عاود أبو اسحاق هجومه على يزد لكنه لم يحقق شيئا  
فعاد الى شيراز وفي السنتين التاليتين أيضا أنفذ أحد أمراء الروم  
الفار الىه من ملك أشرف لفتح كرمان فلم يجد نتيجة كذلك وهزمه مبارز  
الدين فعاد الى فارس مهزوما .

### قتل شيخ أبي اسحاق في ( ٨٧٥٨ هـ ) :

غضب مبارز الدين لكثرة تعدى شيخ أبي اسحاق وأتباعه على كرمان  
ويزد فأرغم على ضم شيراز والقضاء عليه ونصب في ( ٨٧٥٤ ) ابنه  
شاه شجاع وليا للعهد وتوجه معه الى شيراز ، فلما علم بذلك أبو اسحاق  
سير القاضي عضد الدين الايجي (١) العالم الكبير المعروف يطلب الصلح  
من مبارز الدين . فاستقبل مبارز القاضي عضد باختفاء بالغ لكنه رفض  
طلب أبي اسحاق قائلاً أنه نقض العهد سبع مرات ولا يمكن الوثوق  
بمعهوده فعاد القاضي عضد الدين بغير فائدة وتقدم مبارز الدين صوب  
شيراز وفي صفر ( ٨٧٥٤ ) نزل حواليتها وألقى بحصاره عليها . واستغرق  
حصار شيراز نصف عام ولم يقنط مبارز الدين مع أنه أصيب بالمرض  
خلال مدة الحصار ولقى ابنه شرف الدين المظفر حتفه أيضا بل زاد من

---

(١) هو عضد الدين عبد الرحمن أحمد الايجي المتوفى ( ٨٧٥٦ هـ ) من  
علماء فارس المعروفين ومن مدينة ايج ، تولى القضاء وكان شاعرا  
المذهب ، وله تاليف كثيرة بالعربية في الفلسفة والكلام والأخلاق والمذهب  
اشهرها ( المواقف في علم الكلام ) الذي يعد من الكتب المعبرة في علم الكلام .

كفأه حتى انتهى بالاستيلاء على المدينة في الثالث من شوال من العام نفسه . وكان أبو اسحاق في أيام الحصار يمضى غالب وقته متغافلا خميرا سكريا . لا هيا وضاق جمع من أهل المدينة بأعماله فاتصلوا سرا بالأمير مبارز الدين وفتحوا إحدى بوابات المدينة لجنوده وهرب أبو اسحاق واستصرخ شيخ حسن الأيلكاني ، فقدم هذا من بغداد إليه مددا بلغ ألفي جندي هزمهم أيضا شاه شجاع فاضطر أبو اسحاق إلى الاعتصام بأصفهان ووقع ابن له عمره عشر سنوات وجماعة من قواد جيشه أسرى لآل المظفر فقتلوا جميعا وصارت فارس على هذا تحت تصرف المظفرين . وبعث مبارز الدين شاه شجاع لحكم كرمان وأقام هو بشيراز .

وفي ( ٧٥٥ ) أناب مبارز الدين ابن اخته شاه سلطان عنه في شيراز وتوجه لاستئصال شأفة أبي اسحاق بأصفهان واستدعى إليه شاه شجاع من كرمان .

وفي غياب مبارز الدين قام نفر من أهل شيراز واتباع أبي اسحاق بدعوة عشائر الأوغانية والجرمانية للثورة على عمال آل المظفر إلا أن شاه شجاع أوقف الجميع عند حدودهم وأمن فارس وخف إلى أبيه مبارز الدين وحصر الاثنان أصفهان .

ووقع أبو اسحاق والسيد جلال الدين مير میران كبير أصفهان الذي كان له في أصفهان منذ وفاة أبي سعيد القوة والنفوذ في الحصار وأخذ كلاهما يتوسل لطلب العون بالجميع .

ولم يستطع مبارز الدين وشاه شجاع فتح المدينة وحل عليهما الشتاء فأجبروا على رفع الحصار والعودة إلى شيراز فاغتنم أبو اسحاق الفرصة وتوجه إلى لرستان عله يجمع منها مددا له فأمدده أتابكها وعاد أبو اسحاق إلى أصفهان لكنه فشل في الوصول إليها لأن شاه شجاع أعاد حصاره عليها ووقف جنود مبارز الدين حائلا بينه وبين الجنود المحاصرين . وعاد الأتابك إلى لرستان واتجه أبو اسحاق إلى شوستر

أما كبير اصفهان السيد جلال فأثر اطاعة آل المظفر فعفوا عنه •

وفي ( ٨٧٥٧ ) ١٤٠٠ أبو اسحاق الى اصفهان وأعد خبيثا بعون من السيد جلال استعداد به المدينة فاستقر على كرسي امارتها ، فعجل مبارزا الدين لمحاصرتها وظال حصاره لها فترك شاه سلطان على حصارها وارتمل هم لقتال اتابك لورستار •

وصار المحصورون في فصل الشتاء نهب قلة الطعام والضيق الشديد فضعفت مقاومتهم وهرب غالبهم أو انضموا الى شاه سلطان وفر جلال ميرميران الى كاشان وأخفى أبو اسحاق نفسه أيضا في دار شيخ الاسلام بالمدينة وسقطت المدينة في ربيع ( ٨٧٥٧ ) بيد آل المظفر •

وسرعان ما أسر شاه سلطان أبا اسحاق وبدأ بحبسه في قلعة طبرك ثم بعث به بأمر من مبارز الدين الى شيراز وسلم الأمير مبارز شيخ ابا اسحق اينجو الى ابن أحد كبار شيراز الذي كان أبو اسحاق قتله فأثنى بأبي اسحق في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى ( ٨٧٥٨ ) الى ( ميدان سعاد ) بشيراز أحد أبنية أبي اسحاق وقتله •

كان شاه شيخ أبو اسحاق رجلا كريما فاضلا محبا للشعر ولكنه لاه مغرور قاس بلا تدبير ومع هذا فقد كانت فارس في أيام حكمه وسائر أفراد اسرته عامرة وكانت تضارع في كثرة نعمها ومالها حالها عهد الاتابكة السلجوقيين • ولما أن الأمير شيخ أبا اسحاق كان يجهد في العناية بأهل العلم والأدب فقد اجتمع حوله شعراء وعلماء معتبرون أشهرهم شمس الدين محمد حافظ الشاعر السامي الفكر الشيرازي (١) ونظام الدين

---

(١) الشاعر الايراني الأشهر حافظ الشيرازي هو شمس الدين محمد ابن بهاء الدين المعروف بلسان الغيب اكبر شعر الغزل الفرس ، ولد أوائل القرن السادس بشيراز وحصل العلوم بها واخذ يدارس الأدب ودواوين الشعراء العرب وتخلص بالحافظ لحفظه القرآن الكريم . لحق الحافظ في شبابه ببلاط ملوك الاينجو وآل المظفر وعمل في دواوينهم ومدحهم وتوفي في عام ( ٧٩١ هـ ) . ويشمل ديوان الحافظ غزلياته التي شهر بها

عبيد الله الزاكاني (٢) وشمس الفخرى الأصفهاني (٣) الذين مدحوا  
أبا اسحق ورثوه بعد موته .

فتح الأمير مبارز الدين في (٨٧٥٨) تبريز وبعد مقام فيها أنبىء أن  
السلطان أويسر الحلايري أت لفتحها فرأى الأملح أن يعود إلى شيراز ،  
ولما سلك مبارز الدين في سفره هذا مع ولديه شياه شجاع وشاه محمود  
ملكه التحقير وهددهم بالعقاب وحرمانهم البصر خاف ولداه على حياتهما  
فتحالفا مع شياه سلطان الناقم أيضا على أبيهما وتواضعا على القبض  
عليه عند وصولهم أصفهان وتقييده . وفي الخامس عشر من رمضان  
(٨٧٥٩) نفذ المأمرون خططهم فبدأوا بالقبض على مبارز الدين وحبسه

ومثنويه سابق ناميه و يضع قصائد . وقد امتاز شعره بالثانة والقوة مع أن  
الفريد الذي عاشه كان يتسم بالفتن والقلق . ولم يقل في مدحه . مزج  
الحافظ المعاني للصوفية بقدر أن تشرب روح التصوف بمعاني العشق وبلغ  
بهذا المزج غايته . وحاز ديوانه شهرة ورواجا لم يصل اليهما ديوان شاعر  
غزل قنط مما يجعله أحب الشعراء إلى الفرس . وقد طبع ديوانه في أدب ان  
مبارز وتكرار .

(٢) عبيد الزاكاني المتوفى نحو عام (٧٧٢هـ) من الشعراء الهجائيين  
والناترين المنتقدين في الأدب الإيراني . غادر غريته زاكاني من أعمال قزوین  
إلى شيراز حيث حصل العلوم والفنون وصار من فضلاء مهنه وأدبائه ثم  
سافر إلى العراق ولاقى سليمان الساوحي الذي مرشده عنه . ومجموعة  
آثار الزاكاني تشمل القصيدة والغزل والرباعي والقطعة والأشعار الهزلية  
وزنائه عشاق ناميه وأخلاق الأشراف وریش ناميه (كتاب اللحن) وصد بند  
(المائة نصيحة) وتضمينات ورساله دلکش (الرسالة المبهجة) ورسالة  
تعريفات وموش وكره (الفار والقط) غالنامه وغيرها ، ويبلغ شعره الجاد  
نحو ثلاثة آلاف بيت .

والزاکانی من كبار الادب الفارسی وشاعر منتقد هاج انتقد غبياد  
عصره بأسلوب ساخر متهمك ويلاحظ انه لم يتخذ السخرية من أجل البخرية  
وانما جعل منها سوطا يلهب فيه غاسدي عصره ومطية لتبنيه الخارجين من  
الصراط القويم في عهده .

(٣) الشمس الفخرى هو شمس الدين محمد بن سعيد الفخر  
الأصفهاني من كتاب وشعراء القرن الثامن ، ألف عام (٧٤٥هـ) كتابا في  
اللغة الفارسية هو (معيان جمالي) وقدمه إلى شيخ أبي اسحق أنيجو .  
ويشمل أجزاء أربعة في العروض والقافية وبدايع الصنائع والفاظ الفارسية .

في قلعة طبرك وفي التاسع عشر من نفس الشهر سملت عيناه بأمر من  
شاه شجاع ثم أرسلوه من طبرك الى قلعة (سفيد فارس) احدى قلاع  
جبل كيلويه .

وبعد فترة راسل مبارز الدين الأعمى ولديه يطلب الصلح فسأتي  
شيراز وصارت الخطة والسكة واجراء أمور الحكم باسمه ، وبعد ثلاثة  
أدرك شاه شجاع ان أباه ما يزال يقصده فأعاد تقييده وسيره الى مناطق  
فارس الحارة ومنها الى قلعة (بم) بكرمان الا أن الأمير مبارز الدين  
الذي وقع غريسة المرض مات في الطريق قبل وصوله هذه القلعة الأخيرة  
في ربيع الأول (٧٦٥ هـ) ودفن في المدرسة المظفرية بميبد وكانت احدى  
ما بناه بها .

حكم الأمير مبارز الدين محمد أربعين عاما في تبريز وكرمان والعراق  
وفارس ومات في سن الخامسة والستين وسعى في مدة حكمه لأم تأسيس  
أسرة قوية شهرت باسم أبيه أي بآل المظفر . وكان ديننا ناسكا متعصبا  
وفي (٧٥٢ هـ) طفق يستغفر الله عن ذنوبه ويتلو القرآن الكريم وينشغل  
بالعبادة والطاعة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والجتهد في تعبد عظيم  
اجتهاد وبنى لتعهد أحوال السادات وعلماء الدين في شيراز دار السيادة  
وفي كرمان مسجدا وأوقف عليهما وقفا خاصا . وأثناء حصاره أصفهان في  
(٧٥٥ هـ) بايع رسول أبي بكر المعتضد بالله الذي نادى بنفسه في مصر  
خلفاء الخلفاء العباسيين مقتديا بشيخ أبي اسحق في هذا وذكر اسم الظليفة  
في الخطبة وعلى السكة وجعل علماء العراق وفارس ويزد يبأيعوناه أيضا ،  
لكنه كان ضيق الخلق حاد الكلمات يعاقب الناس غالبا بيده ويتجاوز الحد  
في القسوة في منعه المنكرات ولهذا لم يكن الظرفاء والمتتدرون من أهل  
شيراز يذكرونه بالخير وكانوا يسمونه بالملك المحتسب تتدرا به .

شاه شجاع (٧٦٠ — ٧٨٦ هـ) :-

بعد أن سمل الأمير مبارز الدين تعهد ابنه الأكبر جلال الدين شاه

شجاع أمور الحكم ففوض أخاه شاه محمودا في حكم ابرقو وعراق المعجم وأخاه سلطان عماد الدين احمد في حكم كرمان واستورز قوام الدين محمدا صاحب عيار وحبس شاه يحيى بن شاه مظفر ابن أخيه في شیراز .

في بداية حكم شاه شجاع تمردت العشائر الأوغانية والأجرامائية فارتحل لصددهم وبعد هزيمتهم قبل اعتذار رؤسائهم ودخولهم طاعته فعاد الى شیراز . وخدر شاه يحيى الحبيس بقلعة قهندز حارسها فتحصن بها ولم يستطع شاه شجاع مع حربيه وقتاله أن يمسك بابن أخيه . وانتهى الأمر بالصلح بين الطرفين على أن يبارح شاه يحيى القلعة ويذهب الى يزد حاكما عليها من قبل عمه وأن تخلي القلعة لسيطرة العم ، وقبل شاه هذا الاقتراح وارتحل الى يزد لينتقض عهده فمما ان وصلها حتى ثار عاصيا عمه وأخذ يروغ من قبول حكم شاه شجاع بالحيل والخداع ويتصيد الأسباب لمداوته الى أن تحرك في النهاية شاه شجاع ومعه الوزير قوام الدين صاحب عيار وجيش كبير من شیراز الى يزد فبقى في ابرقو وتقدم الوزير لحصار يزد فحضر بحصاره عليها فلما ضاق الحال بشعبها وشاه يحيى راسل عمه بأبرقو يعتذر اليه ويظهر عجزه ويلحف في ذلك حتى عفا عنه شاه شجاع فاستقدم الوزير وعادا الى شیراز . وأصاب شاه شجاع من هذا الوزير بسعاية اعدائه في ذي القعدة ( ٧٦٤هـ ) مقتلا .

وفي ( ٨٧٤هـ ) تمرد شاه محمود حاكم ابرقو واصفهان من قبله أخيه هادفا للاستيلاء على العراق ، فهاجم يزد واسقط اسم أخيه شاه شجاع من الخطة مستوليا عليها فقدم أخوه الى اصفهان ووقعت الحرب بين الأخين وحصر شاه محمود في اصفهان وتتابع الحروب بين جنده وجيش شاه شجاع وشاه سلطان الى أن باغتت جماعة من عساكر شاه محمود اتباع شاه سلطان فهزموهم وأتى بشاه سلطان الى شاه محمود مقيدا وكان سبب سمل أبيه مبارز الدين فعامله بنفس المعاملة .

وفي نهاية الأمر تصالح الأخوان. وتقرر أن يظل شاه محمود حاكما لاصفهان كما كان ويجرى الخطبة باسم أخيه وإن كان شاه محمود قد انصاع لهذا الطلب لكنه لم يكن صافي القلب لأخيه بل كان يخطط ازالتة بأى وسيلة ويستولى على ملك أبيه ولهذا راسل السلطان أويس جلایر ملك آذربایجان وخوفه استيلاء شاه شجاع على تبریز وخرصه على معاداة أخيه فأمدّه أويس بجماعة من أمراءه فاستظهر شاه محمود بهم وببقيّة من أمراء أبى اسحاق وجراً على عصيان أخيه وانضم شاه يحيى الى العصاة أيضاً وبلغهم من لرستان وقم وكاشان وساوه وآوه مدد فخرجوا من اصفهان فى ( ٥٧٦٥ هـ ) لأزالة حكم شاه شجاع ويمموا شطر شیراز .

وخرج شاه شجاع للقاء عدوه مع أخيه الأصغر سلطان احمد واينه سلطان أويس من شیراز وقبل أن يبلغ جنود شاه محمود استاء سلطان احمد من أخيه شاه شجاع فانضم الى جيش شاه محمود وسلك بعض جنود شاه شجاع وأتباعه كذلك طريق الخلاف فاشتد الأمر عليه ومع كل هذا لم يفقد عنان المقاومة والثبات وواجه اعداءه بارادة صلبة وكان طبعيا أن يهزم ويعود مكسورا الى شیراز ويتحصن بها فحصره جنود شاه محمود . وطالت المحاصرة وأخذت قوة مقاومته وعدد رفاقه يتضاءلان يوما بعد يوم . واخيرا طلب شاه شجاع الصلح وتلاقى الأخوان أسفل قلعة قهندز وبعد ترتيب قرار الصلح غادر شاه شجاع الى أبرقو ودخل شاه محمود شیراز تجلله العظمة والجلال .

وفى ربيع ( ٥٧٦٦ هـ ) أخذ شاه شجاع کرمان وارتحل لتأديب الأوغاب والجرمائيين فبعث شاه محمود بشاه يحيى لمعاونتهم الا أن شاه يحيى وأخاه شاه منصور تحولوا عن شاه محمود وانضموا الى عمهما شاه شجاع فغوى عزمه على استرداد شیراز عاصمته السابقة حتى أن توجه مباشرة من کرمان اليها وألحق بالقرب من جسر فسا على رأس طريق شیراز فى الرابع والعشرين من ذى القعدة ( ٥٧٦٧ هـ ) بشاه محمود الهزيمة وعاد الى

شيراز وركن محمود الى الفرار الى أصفهان .

وظل النزاع بين شاه شجاع وشاه محمود قائما الى عام ( ١٧٧٦ هـ ) حين توفي الأخير وغزا شجاع أصفهان مرارا وبعد أن يغلب أخاه يعفو عنه ويرجع الى شيراز ولقى منه مرة الهزيمة بعد أن استطاع بممدد أويس جلایر حميه وتقدم محمود حتى شيراز لكنه لم يستطع فتحها فعاد الى اصفهان .

وتمكن شجاع بعد موت محمود من اصفهان بيسر وهاجم تبريز كذلك منتهزا فرصة موت أويس جلایر في ذلك الوقت أيضا فغلب ابنه سلطان حسين وقر بينهما الصلح وزوج حسين أخته لزين العابدين ولد شجاع وترك الأخير لابنه زين هذا حكم أصفهان وكان موضع النزاع بين آل جلایر وآل المظفر .

**وفاة شاه شجاع في ( ١٧٨٦ هـ ) :**

في عام ( ١٧٨١ هـ ) قام رجل اسمه عادل آقا مشايخا سلطان حسين في السلطانية وقصد مهاجمة بلاد آل المظفر فأثناء شجاع بالسلطانية لقتاله وكانت الهزيمة عليه أول الحرب والنصر آخرها له نتيجة لثباته ووصول المدد اليه فأخذ السلطانية وعفا عن عادل وعاد الى شيراز . وتجمعت لمعادل آقا تدريجيا القوة ، ولما خرج في ( ١٧٨٤ هـ ) سلطان احمد الابن الثاني لسلطان أويس جلایر على أخيه سلطان حسين وقتله نادى عادل آقا بحكم الابن الثالث لاويس وهو سلطان أبو يزيد ودخل في حرب مع سلطان أحمد ولما كان قد أعلن نفسه تابعا لشاه شجاع استمده فأتاه بالسلطانية في ( ١٧٨٥ هـ ) .

وقبله بلغ السلطانية مساء ظن شجاع بابنه الشبلي وتوهم منه الخروج فأمسك به قرب اقلید من أعمال فارس وحبسه باحدى القلاع ثم سلك عيفيه في شعبان ( ١٧٨٥ هـ ) . ولما وصل السلطانية قام بإصلاح ذات البين لولدى أويس وخرج منها مع عادل آقا وانتهى أمر النزاع بين أبي يزيد وأحمد بوساطته نهاية طيبة .



وارتحل شجاع من قزوین الى خرم آباد وشوستر ولقى لهما  
 عنتا ولایا شديدين بسبب الشتاء والأمطار والطرق الوعرة وأتاه شياه  
 منصور والى لرستان وبعد لقائه يمّم ناحية شيراز وفي طريقه أفرط في  
 شرب الخمر حداً أمرضه ، وأحس بدنو أجله ففرق الصدقات والعطايا  
 واستدعى اليه ولديه سلطان أحمد زين العابدين وكان لکليهما أتباع  
 وأشياع فخاف اقتتالهما بعد وفاته فنصحهما وأوصاهما بحفظ الوفاق  
 والاتفاق لمنع الخلاف ، وولى زين العابدين عهده وفوض سلطان أبا يزيد  
 أخاه الصغير السن في حكم اصفهان وعين سلطان أحمد بكرمان ثم راسل  
 الأمير تيمور كوركان وسلطان أحمد جلاير ليراعيا أولاده وبعد قليل أى في  
 يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان ( ٧٨٦هـ ) لفظ أنفاسه الأخيرة  
 ودفن بشيراز .

أمضى شاه شجاع غالب مدة حكمه الستة والعشرين عاما في صد  
 العصاة وكان يفرج منتصرا في الفسالب وكان كآبيه شجاعا دينيا ، حفظ  
 القرآن الكريم في التاسعة واجتهد في العبادة بالغ الاجتهاد وكان ملکا  
 فاضلا محبا للشعر والشعراء مشجعا للادب وتتلذذ الى القاضى  
 عند الدين الايجى وبعض علماء زمانه . وكان يمتاز بحافظة قوية حتى  
 أنه كان يستظهر السبعة أو الثمانية الأبيات العربية بمجرد سماعها وكان  
 ينشد الشعر العربى والفارسى وبقي عنه قطعات ورباعيات عدة  
 بالفارسية . وراج في عصره الشعر الفارسى ومن شعراء عهده الحافظ  
 الشيرازى والعماد الفقيه الكرمانى (١) ومن مداحيه أيضا .

---

(١) العباد الكرمانى المتوفى ( ٧٧٢هـ ) من فقهاء القرن الثامن وشعرائه ،  
 رآه الشاعر الحافظ الشيرازى مرثيا حينما ذكر في شعره أنه كان علم مرة  
 تقتدى به في صلاته وكان الشاه شجاع بعد هذا كرامة له وكان الحافظ يعتبره  
 مكررا وتحايلا . وكان العباد من أهل كزمان ابنتى فيها مدرسة . ومن آثاره  
 المنظومة ديوان غزليات ومثنوى محبت نامه صاحب دلائل أو مثنوى محبة العارفين  
 ومثنوى مؤنس الأبرار .

### زين العابدين ( ٧٨٦ - ٨٧٨٩ ) :

بعد وفاة شاه شجاع خلفه مجاهد الدين زين العابدين لكنه ووجه بخلاف سائر كبار أسرته في بداية حكمه ، فمن ناحية قدم شاه يحيى بدعوة أهل أصفهان اليها واستولى عليها وهاجم شيراز عاصمة زين العابدين لضمها ومن ناحية ثانية ترك أبو يزيد بن الأمير مبارز الدين وأشياعه جانبه وانضم إلى جيش شاه يحيى ولما رأى زين العابدين أنه لن يظلب شاه يحيى قبل مصالحته وترك حكم أبرقو لأبى يزيد . وسمع أن شاه منصور بن شاه المظفر منصرف إلى غزو شوستر فخرج إلى كازرون وفر منصور من أمامه .

أما أهل أصفهان فطردوا شاه يحيى بعد عودته إليها من شيراز لأمساكه وبخله فعاد إلى يزد ودخل أصفهانيون طاعة زين العابدين فلما أخذها ارتحل إلى نطنز وغلب أبا يزيد بها الحاكم من طرف شاه يحيى فهرب إلى لورستان وعاد زين العابدين إلى شيراز .

وفي ( ٨٧٨٨ ) جمع أبو يزيد الهارب أمام زين العابدين إلى لرستان جماعة حوله فأتى بهم كرمان وهم حاكمها سلطان أحمد بدعوته إليه ولكنه لم يسمح له بدخول عند سماعه أن جنوده الناهيين أغاروا على القرى وجاروا على الناس فارتحل إلى يزد لدى شاه يحيى .

وفي نفس عام ( ٨٧٨٨ ) سسير الأمير تيمور كوركان الذي كان استولى على كل بلاد ما وراء النهر والتركستان وجزء من إيران رسولا من قبله إلى شيراز لدى زين العابدين يطلب إليه التعجيل إلى بلاده لأن أباء شاه شجاع أوصاء به . فلم يجبه زين العابدين ولم يسمح لرسوله بالعودة . فأتى الأمير الكوركاني في شوال ( ٨٧٨٩ ) من همدان إلى أصفهان وأدخل حاكمها تحت طاعته وهرب من وجهه زين العابدين وأمرأوه إلى بغداد وقبل شاه يحيى أمرته ، وانشغل عمال الأمير تيمور بجمع المال الذي جمعه الناس لهم لكنهم أصابوهم في نسايتهم ومالهم بالظلم

والاعتداء فقتلوههم ، وغضب الأمير تيمور لهذا فأمر بالقتل العام للمدينة  
وهلك بنسبوف جنود هذا السفاك سبعون ألفا من الأصفهانيين .

وبعد القتل العام في أصفهان قصد تيمور شیراز فبعث سلطان  
أحمد ببعض أمرائه للأمير تيمور وكان قد قبل طاعته قبل ذلك وأظهر له  
الأمير عطا مما شجعه الى ملاقاته بمعسكره واستولى تيمور على بلاد  
آل المظفر بعير عناء وقسمها بين شاه يحيى وسلطان أحمد وسلطان  
أبى اسحاق ابن سلطان أويس بن شاه شجاع ثم آب راجعا الى ما وراء  
النهر عند سماعه أنباء عنها غير طيبة .

أما زين العابدين الذى فر ناحية بغداد فقد انطلقت عليه خدعة وعد  
شاه منصور حاكم شوشتر بمده فوقع أسيرا في قبضته وجبسه في قلعة  
سلاسل بها .

#### شاه يحيى ( ٧٨٩ - ٥٧٩٥ هـ ) :

ترك الأمير تيمور حكومة شیراز لشاه نصره الدين يحيى وسيرجان  
لسلطان أبى اسحاق بن أويس بن شاه شجاع وكرمان لسلطان عماد الدين  
أحمد ولما تم هذا التقسيم قدم شاه يحيى الى شیراز وقد بلغ أمله الأول  
فجلس مكان شاه شجاع وسلطان زين العابدين على كرسى اماره  
آل المظفر .

وما أن سمع سلطان أبو يزيد الذى كان ببزد وينتوى الذهب الى  
ألهند بتقسيم البلاد المظفرية ولم يأخذ من القسمة نصيبا أتى كرمان  
وتحالف مع فريق من الأوغانيين وعصى سلطان أحمد فغلبهم وأسر  
أبا يزيد ثم عفا عن أخيه (١) وسيره الى هرمز فجمع أبو يزيد أموال هذا

---

(١) سيق أن تذكر المؤلف أن سلطان أبا يزيد اتح صغير السن لشاه  
شجاع وعليه فهو عم سلطان أحمد والصحة أن أبا يزيد هو ابن شاه شجاع  
واتح لأحمد .

البلاد وعاد به إلى كرمان وظل في معية أخيه حتى سنة وفاته (٨٧٩٢) •  
 أما شاه منصور فبعد أسر زين العابدين وسماعه بعودة الأمير تيمور  
 شيخه ركابه من شوشتر إلى شیراز فأخبرها شاه يحيى عندما لم يصيادف  
 في نفسه طاقة لقاء أخيه الأصغر وأتى يزد فاد تولى منصور على شیراز  
 ببسر •

وفي عودة يحيى إلى يزد عزم أخذ كرمان من سلطان أحمد فجبرت  
 الحرب بين جنودهما في السابع من جمادى الأولى (٨٧٩٢) في صحراء  
 (بافت) وكان النصر من نصيب أحمد فهرب يحيى وصحبه •  
 ولما استقر يحيى بشيراز تمكن زين العابدين من حبسه بقلعة  
 بسايسل بعون بعض حراسه وقصد أصفهان وبعد قليل نجح في الاستيلاء  
 عليها •

#### شاه منصور (٧٩٠ - ٨٧٩٥) :

ولما علم شاه منصور باستيلاء زين العابدين على أصفهان زحف  
 من شیراز لطرده منها فطوى أولا بأبرقو تحت سيطرته ثم أتى أصفهان ،  
 ولم يكن الاستيلاء عليها سهلا له فتركها إلى شیراز ومنها إلى لرستان  
 أدخلها ناعته وأتاب فيها أحد أولاد أتابكتها ورجع إلى شیراز للتأهب  
 لاستعادة أصفهان •

وتحالف شاه يحيى وسلطان زين العابدين وسلطان أحمد وسلطان  
 أبو اسحاق بعزم التحرك من كرمان ويزد وأصفهان لازالة شاه منصور  
 وقرروا أن تكون سيرجان نقطة الالتقاء في شهر صفر (٨٧٩٣) ويهاجموا  
 منصورا متعاضدين • وما أن زحف منصور إلى سيرجان حتى تخلف يحيى  
 المشهور بخلف المواعيد ونقض الموائيق عن مد حلفائه وأخذ يماطلهم  
 مدة • وفي النهاية أنزل منصور في فسا بجنود أحمد وزين العابدين  
 الهزيمة فعاد الأول إلى كرمان والثاني إلى أصفهان وبقي أبو اسحاق  
 بسيرجان •

وعاد إلى شيراز بعد هذا الفتح منصور وأخذ أهبة وقصد أصفهان لينجلى عنها زين العابدين \* وانفضت غالبية جيش زين العابدين عنه وانضمت إلى منصور فخلّى أصفهان بلا قتال واتجه إلى خراسان فضم منصور المدينة إليه \*

ولم يكذ زين العابدين يبلغ الرى حتى قبض عليه حاكمها وأرسل به إلى منصور فسلم هذا عينية وشد رحله إلى يزد فخرّب أكثرها وبعد صلحه مع يحيى انقلب إلى كرمان وأرسل إلى أحمد يخبره بين التحالف معه وترك طاعة تيمور هو ويحيى ومدهم ما له بجيش لكى يتقدم إلى خراسان ويصد هجمات تيمور أو التهيؤ لقتاله \* ولم يكن سلطان أحمد يجروء على مخالفة تيمور فعصى هذا الاقتراح فخرّب منصور كثرة من قرى يزد وكرمان وعاد إلى شيراز وأثار أبا اسحق على أحمد وحرّغه على ضم ولايته وأخذ أبو اسحاق يهاجم أملاك أحمد إلى أن بلغ منه أحمد وقت فتنة تيمور بالعراق وفارس مقتلاً \*

### انهيار آل المظفر في (٥٧٩٥هـ) :

نال الغضب من الأمير تيمور لجسارة منصور وغزواته فقصده أول (٥٧٩٥هـ) شيراز من شوشتر ولما عصف بقلعة سفيد المحكمة ظلم سلطان زين العابدين الأعمى المحبوس بها بأمر منصور ووعدّه بالانتقام من منصور \*

وكان شاء منصور وقتذاك بأصفهان فرحل عنها إلى شيراز وبهلا من أن يأخذ أهبة الدفاع غرق في الشراب واللهو ولم تلح عينا أحد عليه مدة أربعين يوما في أى مكان لانصرافه بكليته إلى الخمر الصافي ولما سمع باستيلاء تيمور على قلعة سفيد وعزمه إلى شيراز ولى دبره للهروب من المدينة \* وبعد مدة قليلة آب إلى شيراز من فسا وجمع نحو خمسة آلاف فارس وماش وهاجم على بعد ثلاثة فراسخ من شيراز الأمير تيمور وكان

جيش تيمور يبلغ الثلاثين ألفا ، ومع أن عقد ونظام جناحي جيشه انفرط إلا أنه حارب ببطولة وهاجم مرارا قلب جيش تيمور حتى حطم مقاومة جيشه ولم يبق غير تيمور وخمسة من أتباعه وضرب منصور بسيفه مرتين على قلنسوة تيمور فلم يصب بسوء لتلقى أحد أمرائه ضرباته بدرعه وعاد منصور إلى شيراز وقد أصيب بطعنات ثلاث غير أن أحد أتباع تيمور أنزله من على جواده وهو يجهل أمره وقتل هذا الشاب الشجاع .

وبعد قتل شاه منصور خف سائر أفراد الأسرة المظفرية لطاعة تيمور فقيدهم جميعا وبعث أولا بسلطان شبلی الذي سمل بأمر والده شاه شجاع وزين العابدين الذي حرم بيد شاه منصور البصر إلى سمرقند ثم ترك فارس إلى ابنه عمر شيخ وقصد أصفهان وبرفقته أمراء الأسرة المظفرية بيد أنه قبل بلوغه لها أمر بقتل جميع أفراد هذه الأسرة صغيرها قبل كبيرها في العاشر من رجب (٧٩٥هـ) في قرية ماهيار من أعمال قمشه وقتل بقيتهم الحكام التيموريون في الولايات وذكر أن عدد قتلى هذه الأسرة على يد عمال تيمور بلغ السبعين . والخلاصة أن هذه الأسرة الكبيرة التي خلد ذكرها الطيب في تاريخ أدب ایران وجود الشاعر الكبير الحافظ الشيرازی زالت من الوجود على هذا النحو المفجع ولم يبق من آثارهم غير هذه الشهرة الطيبة .

ومع أن سلاطين آل المظفر كانوا عقلاء مقاتلين ناشرين للعلم والأدب إلا أن التعصب والقسوة غلب على خلقهم خاصة الشقاق وقتل الأخ وسمل العينين أحدهم للأخر وهذه صفات كانت لهم لم يسلم منها حتى شاه شجاع مع علمه وفضله وكانت هذه الصفات من الأسباب الأساسية لسقوط دولتهم ، ومدة حكم هذه الأسرة اثنان وسبعون عاما من (٧٢٣هـ) حتى (٧٩٥هـ) وحوزة ملكهم هي فارس وكرمان ويزد وأصفهان وبعض أجزاء من خوزستان .

## أسماء سلاطين آل الظفر وزمان حكم كل منهم

- ١ — أمير مبارز الدين محمد بن مظفر بن منصور بن غياث الدين حاجي  
(٧٢٣ — ٧٦٠ هـ)
- ٢ — شاه محمود بن أمير مبارز الدين محمد  
(٧٦٠ — ٧٧٧ هـ)
- ٣ — سلطان عماد الدين أحمد بن أمير مبارز الدين محمد  
(٧٦٠ — ٧٩٥ هـ)
- ٤ — شاه نصرة الدين يحيى بن أمير مبارز الدين محمد  
(٧٦٠ — ٧٩٥ هـ)
- ٥ — شاه شجاع بن أمير مبارز الدين محمد  
(٧٦٠ — ٧٨٦ هـ)
- ٦ — سلطان زين العابدين بن شاه شجاع  
(٧٨٦ — ٧٩٠ هـ)
- ٧ — شاه منصور بن شاه مظفر بن أمير مبارز الدين محمد  
(٧٩٠ — ٨٧٩ هـ)

## ٤ - أمراء لورستان

لرستان (أو لورستان أو بالتعريف بالألف واللام) هي أراضي اللوريين الذين كانوا وقت الاستيلاء المغولي قسمين هم اللوريون الكبار واللوريون الصغار ، وبين مساكن اللور الكبار وشيراز بلد اللوريين جماعة ثالثة منهم كانت موجودة ومعروفة باسم (شولستان) . واليوم تعرف الشولستان بـ (ممسنى) واللور الكبار بكوه كيلويه أو جنباك كيلويه ويختارى ، واللور الصغار هم ما نسمى بلادهم اليوم لرستان والتي كان يطلق عليها تلك الأيام بلرستان الصغرى ، وقد وسعت أغلب منطقة (فيلى) أى أطراف خرم آباد وأراضى (بشت كوه) .

وكان كل من اللور الكبار والصغار قبل استيلاء المغول حتى فترة بعد انهيار الأيلخانيين نصف مستقلين يحكمهم أمراء منهم شهر بعضهم بوقائع مشهورة كأولئك الذين حازوا أسما في التاريخ وصفة بسبب ترويجهم للادب الفارسي أو حروبهم لأسر أخرى .

ويفوق اللور الكبار وأمراؤهم في التاريخ ذكرا على اللور الصغار لأنهم سكنوا بين فارس وعراق المعجم وعراق العرب وشولستان وكانت لهم علاقات مع أتابكة فارس وخلفاء بغداد وكانت أهم مساكنهم تقع على رأس طريق العراق العربى ووادى نهري قارون وكرخه بفارس وسواحل البحر . وكانت الأسرة التى بلغت قوة فى اللورستان الكبرى من حدود منتصف القرن السادس الهجرى وسميت بالأمراء الفضلوين أو تجاوزا بأتابكة لرستان أصلا من أكراد الشام الذين أتوا الى ايران عن طريق ميافارقين وأذربيجان والقوا برحالهم بداية القرن السادس الهجرى فى (اشتران كوه) وسهوله الشمالية وكانت عاصمة أتابكة لرستان مدينة (ايذج) أى مال أمير أو ايذة الحالية . وأشهر أتابكة لرستان هم :



### الأتابك تكله (٦٤٩ - ٦٥٦هـ) :-

والأتابك مظفر الدين تكله أحد أشهر أتابكة لرستان وقد ناهض  
أتابكة فارس وأمران اللور الصغار والشول والمغول وقضى الشطر  
الأعظم من عمره في حروبه معهم .

اشتد الصراع ما بين أتابكة فارس وأتابكة لرستان التي كانت بدايته  
من عهد الأتابك هزار أسب في أيام اماره تكله اذ أن الأتابك سعد بن زنكي  
هاجم أملاكه ثلاث مرات هادفا استئصال الأمراء الفضلوية والاستيلاء  
على بلاد اللور الكبار لكنه لم يغز في أي منها بل كان النصر دائما لتكله  
مما زاد أهميته واعتباره .

وفي (٦٥٥هـ) حينما بلغ جيش هولكو هذه المنطقة وقت مسيره  
للاستيلاء على بغداد وبلاد العراق سارع تكله الى لقائه وحضر  
غزو المغول لبغداد لكنه لما رأى وحشية التتار في هذه الحروب من  
قتل الخليفة ونكبة المسلمين أصابه التأثر ففكر في العودة الى لرستان  
فأعظم هولكو قواده بهمه وهمته فأراد القبض عليه فعاد تكله الى بلاده  
دون اعلامه ، وبعد أن أمته هولكو اصطحبه الى تبريز وقتله بها في  
الخامس عشر من ذي القعدة (٦٥٦هـ) وولى أخاه شمس ألب أرغو  
حكم اللور .

وليس بعد اماره شمس الدين ألب أرغو التي استمرت خمس  
عشرة سنة حادثة تذكر .

### يوسف شاه (٦٧٢ - ٦٨٨هـ) :-

خلف ألب أرغو ولده يوسف شاه وقد أدى هذا الأتابك لأياقا  
الايخان خدمات جليلة ومن ثم لقبه أياقا بلقب (بهادر) وضم الى  
ملكه خوزستان وكوه كيلويه ومدينة فيروزان (على بعد فراسخ من  
أصفهان) وكلها يكان .

ولما جلس أرغون خان استمر يوسف شاه على طاعته لهم وأمره أرغون باصطحاب الوزير شمس الدين الجوينى صاحب الديوان اليه فقدم به اليه يوسف شاه وزوجه الوزير باينته • وبعد قتل شمس الدين عاد الأتابك يوسف شاه بأمر أرغون الى بلاد اللور وظل بها حتى وفاته

### الأتابك أفراسياب (٦٨٨ - ٦٩٥ هـ) :-

كان ليوسف شاه ولدان أفراسياب وأحمد خلف الأول أباه فى الحكم وأرسل أخاه الثانى الى بلاط الايلخان • وكان أفراسياب مستبدا ظالما بدأ بمصادرة أفراد أسرة وزير أبيه ثم قتلهم قتلة شنيعة وخافه جماعة من أتباعهم ففروا الى أصفهان فأرسل عقبهم أفراسياب للقبض عليهم أحد أقاربه وقد قارنت هذه الحادثة موت أرغون (٦٩٥ هـ) • ورأى أفراسياب فرقة أوضاع البلاط الايلخانى فرصة سانحة للثورة والتمرد على المغول فأمر بقتل المغول المقيمين بأصفهان وأرسل عنه ولالة الى همدان وفارس حتى شاطيء البحر وصمم على مهاجمة تبريز وقدم هو الى العراق وأهلك بالقرب من قهرود بكاشان أحد قادة المغول واغتسم منه كثيرا وأساء الى أسرى المغول اساءة بالغة •

وأرسل الايلخان الجديد وهو كيخاتو الذى امتلا غضبا لتصرفات افراسياب وجراسته جيشا كبيرا للتأديبه وتأديب قومه ، فأوسع المغول اللور قتيلا وذبحا واعتصم أفراسياب الذى لم يطق مقاومتهم بقلعة ( منكست ) ولما رأى أنه لن ينجو منهم فر الى معسكر كيخاتو يطلب عفوه فأكرمه الايلخان وترك افراسياب أخاه أحمد بمعسكرهم وعاد الى بلاده ، وفى هذه المرة أهلك طائفة من أمراء وكبار مملكته بحجج مختلفة لكى يستقل تماما •

وفى عهد الايلخان غازان بدأ افراسياب بداية حسنة معه فكان موضع رعايته ويحكم بلاده من جانبه وفى (٦٩٥ هـ) أتى غازان همدان فبلغ

افراسياب موضعه وأدى له فروض الطاعة فأذن له غازان بالعودة ، لكن الأمير هرقداق والى فارس في عودة أفراسياب عاد به الى غازان وشرح له سوء سيرته فأمر غازان بقتله في العشرين من ذى الحجة (٦٩٥هـ) \*

### نصرة الدين أحمد (٦٩٥ — ٥٧٣٠هـ) :-

خلف نصره الدين أحمد أخاه افراسياب وهو أحد مشاهير الأمراء الفضلوين لأنه فضلا عن حسن سلوكه مع رعيته كان له اختلاط بالعلماء والزهاد وأهل الأدب والشعراء فبقى عنه ذكر طيب .

أنشأ الأتابك نصره الدين أحمد مراسم المغول في بلاده وسمى سعييا بليغا لترميم ما خربه أخوه ببناء المدارس والرباطات والطرق وشيد نحو مائة وستين زاوية أو خانقاة في بلاده المختلفة من بينها أربعة وثلاثون في اينج عاصمته \* وكان يقسم عائدات بلاده السنوية أقساما ثلاثة متساوية يجعل كلا منها للانفاق على وجه خاص ، فقسم منها للانفاق على نفسه والأقارب والأتباع خاصته ، وثالث ثان للانفاق على عسكره وثالث للانفاق على الزوايا والمدارس وكان هو نفسه من الصلحاء وكان أغلب إلباسه الصوف ويتصدق على الفقراء بالطعام والمال واللباس . ويذكر الأتابك نصره الدين أحمد بخير في تاريخ الأدب الفارسي فقد ألف له ثلاثة كتب فارسية أبقى مؤلفوها بها ذكرا له طيبا ، وأول هذه الكتب (تاريخ معجم في آثار ملوك العجم) لشرف الدين فضل الله الحسيني القزويني (١) ثم (معيار نصرتي) (٢) في العروض والقوافي الذي ألفه

---

(١) شرف الدين الحسيني من أدباء وشعراء القرن السابع وأوائل الثامن بلغ خدمة الجايغو من طريق الوزير غياث الدين محمد خائف أغلب مؤلفاته له وللatabek نصره الدين أحمد شاه لرستان . أما أثره المعروف التاريخ المعجم فهو في ذكر مآثر ملوك ايران القداسي وله كتاب آخر في فن الانشاء والبيان والتعريف بأرباب الادب وهو القرسل النصرية وكان تابعاً في أسلوبه النثرى لوصاف صاحب تاريخ وصاف الذي سوف يشال اليه .

(٢) الكتاب اسمه الذي ذكرته المعاجم الأدبية هو معيار جهالى ومفتاح

شمس الفخرى الاصفهاني باسم الأتابك ثم (تجارب السف) (١) بقلم هندوشاه بن سنجر النخجواني (٢) \*

وخلف نصره الدين أحمد ابنه الأتابك يوسف شاه الثاني (٧٣٠ - ٧٤٠هـ) ومن بعده ابنه الثاني (الفراسياب الثاني) ولما أن أسرة اينجو وآل المظفر في فارس بلغت شأوا ظاهرا فأعملت نفوذها في لرستان فخربت بالتدريج أوضاع اللور ، لا سيما في عهد مبارز الدين اذ أمد أتابك اللور نور المورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد شيخ أبا اسحاق فأتى مبارز الدين لقتاله في (٧٥٧هـ) وأسر نور المورد وسمل عينيه وترك حكم اللور لبشنگ بن سلغر شاه بن أحمد وهو ابن عم وصهر نور المورد وذهب هو نفسه لشد أزر ابنه شاه شجاع في حصاره لأصفهان \*

وظل أتابكة اللور الكبار حتى النصف الأول للمقرن التاسع وكان آخرهم غياث الدين كاوس الذي ذهبت دولته بيد السلطان ابراهيم بن شاه رخ التيموري فانقرضت أسرته \*

---

أبو اسحقاني وهو معجم في الفارسية الفه الفخرى عام (٧٤٥هـ) لشيخ أبي اسحاق بن الأمير محمود اينجو حاكم فارسي ، وليس كما نذكر المؤلف بهذا الاسم أو أنه ألف للأتابك نصره الدين أحمد . على أية حال فالكتاب قيم ويشمل أربعة فنون الأول في العروض الفارسي والثاني في قوافيها والثالث في علم البديع والصناعة والآخر في معجم اللفظ الفارسي ، وشواهد الكتاب كلها تقريباً من وضع المؤلف . وقد نهج المؤلف نهج الأسدي الطوسي في ترتيبه الألفاظ في الفن الرابع من كتابه اذ جعله حسب الحرف الأخير للكلمة ، وجعل كل حرف باباً ونظم الأبواب حسب ترتيبها الأبجدي .

(١) تجارب السلف الم ألف عام (٧٤٤هـ) هو ترجمة لكتاب منية الفضلاء في تاريخ الخلفاء والوزراء المعروف بالتاريخ الفخرى لابن الطقطقي الذي ألفه عام (٧٠١هـ) . ولم يقتيد المترجم هندوشاه حرفياً بالأصل بل حذف أجزاء منه وزاد عليه وأورد حكايات وقصصاً لم ترد فيه . ونثر الكتاب سهل سلس وأنشاه بليغ وعذب .

(٢) مؤلف الكتاب السابق هو محمد بن نخر الدين هندوشاه النخجو من مؤرخي القرن الثامن وإن لم يذكر له كتاب غير كتابه السابق .

## أسماء أتابكة اللور الكبار

- ١ — أبو طاهر حدود عام (٨٥٥٠)
- ٢ — الأتابك هزار اسب بن أبي طاهر (حتى عام ٨٦٢٦ هـ)
- ٣ — عماد الدين بهلوان بن هزار اسب (٦٣٦ — ٨٦٤٦ هـ)
- ٤ — نصره الدين كلجه بن هزار اسب (٩٤٦ — ٨٦٤٩ هـ)
- ٥ — تكله بن هزار اسب (٦٤٩ — ٨٦٥٦ هـ)
- ٦ — شمس الدين ألب أرغو بن هزار اسب (٦٥٦ — ٨٦٧٢ هـ)
- ٧ — يوسف شاه بن ألب أرغو (٦٧٢ — ٨٦٨٨ هـ)
- ٨ — افراسياب بن يوسف شاه (٦٨٨ — ٨٦٩٥ هـ)
- ٩ — نصره الدين أحمد بن يوسف شاه (٦٩٥ — ٨٧٣٠ هـ)
- ١٠ — يوسف شاه الثاني بن نصره الدين أحمد (٧٣٠ — ٨٧٤٠ هـ)
- ١١ — افراسياب الثاني بن نصره الدين أحمد (٧٤٠ — ) هـ
- ١٢ — نور الورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد (٨٧٥٧ — ) هـ
- ١٣ — الأتابك بشنك بن سلغر شاه بن الأتابك أحمد (٧٥٧ — ٧٩٢ هـ)
- ١٤ — بير أحمد بن الأتابك بشنك (٧٩٢ — ٨٧٩٨ هـ)
- ١٥ — أبو سعيد بن بير أحمد (٨٢٠ — ) هـ
- ١٦ — شاه حسين بن أبي سعيد (٨٢٠ — ٨٨٢٧ هـ)
- ١٧ — غياث الدين كاوس بن بشنك

أما شعبة اللور الضغار فمع أن بضعة نفر أقوياء ظهوروا فيهم ودامت  
أمارتهم مددا أطول لكنهم لم يبلغوا مرتبة اللور الكبار أسما أو رسما .

## ٥ - التشويانيون

لم يزد التشويانيون كما سبق القول عن أميرين أولهما أمير شيوخ حسن بن أمير تيمور تاش بن أمير تشويان سلدوز والذي سبق تفصيله أحواله وأعوانه ، وثانيهما أخوه ملك أشرف الذي هاجم فارس أيام قتله أخيه لأخذ شیراز فلما بلغه خبر قتل أخيه عام (٧٤٤هـ) عاد إلى تبريز وخلف أخاه كما مر ونادى بمن كان اسمه انوشيروان ايلخان باسم انوشيروان العادل وبعد قليل عزل العادل واستقل بالأمر .

وحكم ملك أشرف أربعة عشر عاما (٧٤٤ - ٧٥٨هـ) في آذربايجان بسفك الدماء والظلم والجهل ولم ينقض على امارته ثلاث أو أربع سنوات حتى جلى غالب أهل تبريز تماما لجوره عن بلدهم وأعقب الهجرة ظهور وباء عظيم في (٧٤٧هـ) فيها فسقطت تبريز تماما من أهميتها وعمارها ولم يسع ملك في هذه الحال الا لجمع المال وايزاء الناس .

وفي (٧٤٨هـ) فكر ملك أشرف أن يستولى على بغداد من أمير شيوخ حسن الكبير الايلكاني فهاجمها لتحقيق قصده ، وفزع حسن من ظهور جنود أشرف المفاجيء فقرر الذهاب إلى الروم ويتحصن بقلعة كساخ الا أن زوجه دلشادختون منعتة من الفرار وأحكمت أسوار بغداد وتأهبوا لصد أشرف ، ولم يحقق جنود أشرف شيئا أمام استعداد جنود شيوخ حسن وثباتهم بل لم يستطيعوا مقاومة هجماتهم فعادوا إلى آذربايجان منهزمين .

ولما عاد ملك أشرف إلى تبريز قسم مملكته بين أمرائه لكي يستخرجوا من بلادها أموالا يرسلون بها إليه ومع ذلك فكان يقيدهم ويستولى على ما معهم ثم يبيع بغيرهم بدلا منهم وكان كلما سمع أن أحد الناس عنده مال لم يهدأ الا حين يأخذ ماله ولم يكن يقصد في الغالب من مهاجمة البلاد غير القتل والنهب حتى أنه هاجم شروان مرارا فلما لم

يستطع السيطرة على أميرها وتلاغها نهب قراها حتى حدود بلاد الكرج .

وفي (٧٥٩هـ) قصد أشرف أصفهان ليضمها إليه فقاومه أهلها ولما رأى منعتها عليه قنع أن يخطب له فيها ويسك عملتها باسمه وعاد إلى تبريز وقتل جماعة من الأمراء والناس وقد حبسهم قبل ويمم إلى قراباغ .

وفاض بأهل تبريز من ظلم ملك أشرف وفسقه ولم يطق علماءؤها وزادها تحمل مظالمه فانطلقوا منها باحثين عن راحتهم منه بأي وسيلة فاستمدوا (جاني بيك خان أوزبك) الملك المغولي المسلم للقبجاق وكان رجلا دينيا محبا للفضل فأعد جاني بيك جنودا في ظرف شهر وأرسلهم إلى آذربايجان في (٧٥٨هـ) عن طريق دربند .

ولما علم أشرف بوصول جند جاني بيك حمل الأموال العظيمة التي جمعها بالجور والخبث أربعمائة بغل وألف بعير ووجهها إلى خوى وعسكر هو بأوجان ، وعصف جنود جاني بيك ببسر بجيش أشرف ، لمعجل أشرف عذب خزائنه لكنه أسر في خوى وأعيد إلى تبريز وتجرع الكأس السقي أذاقها الناس وذلك باصرار حاكم شروان وصارت خزائنه ونفائسه نصيب الخالين (١) وزال الأمراء التشويانيون .

وبعد قليل أخذ جاني بيك تيمور تاش بن ملك أشرف وسلطان بخت ابنه معه في طريقه إلى شهر غازان وترك ابنه (بردي بيك) على رأس خمسين ألف جندي في آذربايجان إلا أن بردي بيك عاد إلى القبجاق بعد قليل بسبب مرض والده وبقي (أخي جوق) نائبه في

---

(١) قيل في ذلك : أرايت ما فعل أشرف البهار

قال المظالم وقال غيره المال ؟

وهي الفارسية : ديدى كنه جة كرد أشرف خر

أو مظلمة برد وديكرى زر (سيامي)

وفي نص البيت الفارسي بالأصل (أشرف خر) أي أشرف الحرولاتناسب هذه الصلة المقام فقلنا (أشرف خر) أي أشرف الحصار لقرب دلالتها .

تبصير (١) \*

### الأميران التشوبانيان

١ — أمير شيخ حسن كوجك أو الصغير بن تيمور تاش بن أمير تشوبان  
(من ٧٣٨ حتى ٧٤٤ هـ)

٢ — ملك أشرف أخو شيخ حسن  
(من ٧٤٤ حتى ٧٥٨ هـ)

### ٦ — الأمراء الايلكانيون أو آل جلاير

أشهر أسرة ظهرت في الفترة بين انهيار ايلخانات ايران وظهور  
تيمور الكوركاني عن تجزئ دولة الايلخانات الكبرى هي أسرة آل جلاير  
أو الايلكانيين التي ذكرنا فيما سبق نبذة عن مؤسسها شيخ حسن بن  
أمير حسين آقبوقا المعروف بشيخ حسن بزرگ أو الكبير وخلاصة عن

---

(١) لفظ (أخي) المرادف للفتى أول من اطلق عليه من الصوفية هو  
(أخي شرج زنجاني) المتوفى (٤٥٧ هـ). (انظر صفحات الانس للجامي بخطوط  
مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٥٦٩ غا) ورقة ١٧٠ أ و ٦٩ ب) . وأول  
من استخدم لفظ (أخي) يريد به الفتى والأخيه يعنى بها الفتوة هو شهاب  
الدين السهروردي (المتوفى ٦٣٢ هـ). في كتابيه الفارسيين (رسالة الفتوة).  
(الكتاب في الفتوة) . ولما زار ابن بطوطة الأناضول عام (٧٣٤ هـ) وصادفه  
الفتيان وأهل الفتوة بهم وجد ركلا منهم يسمى نفسه به (أخي) بدلا من (فتى)  
تذكروهم في رحلته على أنهم (الفتيان الأخية) قائلا (واحد الأخية) (أخي).  
على لفظ الأخ إذ أضافه المتكلم إلى نفسه) (مذهب رحلة ابن بطوطة لأحمد  
العوامري وزميله — مصر (١٩٥٤) ج١) فالكلمة عربية وليست كما ادعى بعض  
المستشرقين مثل بروكلمان وبندي وشايدر وجيزه وتاشنر ممن درسوا الفتوة  
أنها تركية أتت من اللفظة الأويغورية (أخي) بمعنى السخي . وقد تلقب  
الغزاة والمقاتلون بهذا الاسم من أهل الفتوة والغزاة كما صادفنا في هذا  
الوضع (أخي جوق) أي الأخ الكبير بالتركية كما تلقب به المتصوفة وأرباب  
الحرف وأطلق على أسرته في الأناضول في القرن الحادي عشر وأماكن  
مختلفة به وبالروملی . (انظر لمزيد من التفاصيل رسالة المترجم للحكويوه  
(جوامع الفتوة في الأناضول) ص ٤ — ٦ ، ١٦ .



أبيه أمير حسين كوركان (بمعنى صهر أرغون خان) وجده آقبوقا . أما أبو آقبوقا فهو ايلكانويان أو الأمير ايلكا وكان من قبيلة جلاير وأحد القواد الذين صاحبوا هولاكو إلى إيران ، ولذلك تسمى هذه الأسرة بالايلكانيين وآل جلاير وينبغى التفريق بين الايلكانيين هؤلاء والاييلخانيين أتباع الاييلخانات أعقاب هولاكو في إيران .

حكم أمير شيوخ حسن بزرگ سبع سنوات ( ٧٤٠ - ٧٥٧هـ ) في العراق العربي مستقلاً لما كان متزوجاً بدلدشاد خاتون زوجة أبي سعيد سابقاً وكان أصلاً من قبيلة جلاير المغولية وينتسب للاييلخانات من ناحية أمه فقد اعتبر نفسه أخرى من غيره بخلافتهم ، ومع أنه في نهاية الأمر أسس دولة قوية إلى حد ما إلا أن دولة أولاده لم تشتهر من ناحية اتساع الملك والقوة الحربية والسياسية بقدر اشتهارهم بحب الشعر وتشجيعهم لبضعة نفر من شعراء الفارسية مثل الحافظ الشيرازي ومحمد العصار (١) وشرف الدين الرامى وسلمان الساوجي (٢) وعبيد الزاكنى ، وقد أشهرتهم خاصة قصائد مدح جمال الدين سلمان الساوجي أكثر من غيرها .

( ١ ) العصار المتوفى ( ٧٨٣هـ ) هو شمس الدين محمد بن الشعراء المقصوفة في تبريز ، له مثنوى اسمه ( مهن ومشتري ) أى الشمس والمشتري اهدحه الشاعر المعروف عبد الرحمن الجاني من أشهر شعراء القرن التاسع الهجري وسوف يشار إليه .

( ٢ ) الساوجي هو جمال الدين سلمان بن علام الدين من كبار شعراء القرن الثامن كان في خدمة غياث الدين وزير السلطان أبي سعيد بهادر أول الأمر ثم لحق بعد موت الوزير ببلاط آل جلاير ، ويعتد الساوجي أكبر شعراء القصيدة الايرانية بعد المغول وقبل العصر الصفوي ، انتهج نهج الأنسوري وقتل المنوتشهرى أيضاً ، وله قصائد في حمد الله ومدح الرسول والائمة ولم يكن هذا معمولاً به قبله . وكان الساوجي استقذاً في الغزل وموضع اهتمام الحافظ الشيرازي . وفي غزليات الشاعر موضوعات طريفة وتشبيهات مبتكرة كثيرة . وله غير القصائد والغزليات ترجيعات وتركيبات وقطع ومثنويات . وغلق ديوان شعره له مثنوى اسمه جمشيد وخورشيد أى جمشيد والشمس ألفه لأويس عام ( ٧٦٣هـ ) وغرافنامه ألفه عام ( ٧٧٠هـ ) له أيضاً .

وفي مدة حكم حسن الكبير المستقل التي بلغت سبع عشرة سنة في العراق كانت زوجته المدبرة تدبر غالب الأمور وعملت هذه المرأة التي ظلت تعيش حتى قبل موت زوجها بعامين على تشجيع الشعراء ببغداد وتعميرها ونشر أعمال الخير والبر ، وأحد أقسام ديوان سلمان الساوجي الهامة يتعلق بمدح هذه السيدة • وقد توفي حسن الكبير عام (٧٥٧هـ) •

### معز الدين أويس (٧٥٧ - ٨٧٦هـ) :-

استقر في إمارة شيخ حسن بعد وفاته ابنه معز الدين أويس الذي ولدته دلشاد خاتون عام (٧٣٩هـ) وكان يناهز حين مات أبوه التاسعة عشرة وهذا الأمير الشاب هو أشهر أمراء جلاير بعد أبيه لأنه كان أميراً أحسنت تربيته محبا للشعر والشعراء وتعلم في تعلم الأدب إلى الشاعر سلمان الساوجي وقد تعلق بهذا الشاعر تعلقا جعله يصطحبه في أغلب أسفاره وسلك الشاعر فتوحات السلطان ومقاماته في عقد النظم في قصائده •

### فتح تبريز في (٧٥٩هـ) :

في ربيع (٧٥٩هـ) قدم السلطان أويس بجيش كبير تبريز ليتردد عنها أخى جوق نائب بردى بيك الأوزبكي فجعل أخى جوق مع جماعة من الأمراء والبقية الباقية من جيش أمير أشرف التتوباني لصدده واحتدمت الحرب بين الفريقين في المعابر الضيقة الواقعة بين بلاد الكرد وأذربايجان • ولم يتبين في اليوم الأول نصر حاسم لأحدهما غير أن أخى جوق هرب إلى تبريز صباح اليوم التالي فتعقبه أويس • ولما عاد أخى جوق لم يكف بدوره عن ظلم الناس والأضرار بهم وأخلى تبريز وفر إلى نخجوان فدخل أويس تبريز في رمضان (٧٥٩هـ) واستقر في الربع الرشيدى وأهلك نحو سبعة وأربعين أميراً منافقاً من أمراء ملك أشرف وهربت البقية إلى أخى جوق •

وأرسل أويس أحد أمرائه في عقب أخى جوق والأمراء الفاربيين لكن  
الأمير تلكاً في مسيره وتهاون في الحرب فوقت عليه الهزيمة وأجبر أويس  
على العودة الى بغداد في الشتاء وترك آذربايجان مرغماً لأخى جوق \*

وفي السنة التالية كما سبق القول هاجم مبارز الدين المظفرى  
آذربايجان واستولى على تبريز لكنه ما ان سمع بأوبة أويس اليها من  
بغداد حتى أخلى آذربايجان وعاد الى شيراز وضم أويس تبريز اليه ثانية  
وصارت من هذه الواقعة آذربايجان وأران وموغان تبعاً لآل جلدير  
وانبسطت حدودهم الى السلطانية وشاطيء بحر الخزر شرقاً \*

وفي (٧٦٥هـ) أم داويس كما سبق شاء محمود المظفرى ولما طرد  
محمود بمدده شاء شجاع عن شيراز زادت أهمية أويس عن ذى قبل  
وطوى ميته حتى كرمان وسواحل الخليج الفارسى \* واستخلص أويس  
في (٧٦٦هـ) بعون قرا محمد التركمان بغداد من حاكمها العاصى واستحوذ  
أيضاً على ولايتى موصل والموصل من يد (بيرام خواجه) أخى قرا محمد  
التركمان وفتح أمراؤه في هذا الوقت نفسه شروان أيضاً \*

وجلب أويس بترويجيه ابنته لمحمود المظفرى الذى كان يحكم  
أصفهان وينافس شاء شجاع محموداً ذاك تحت نفوذه وفي (٧٧٢هـ) أخذ  
الرى كذلك من يد (أمير ولى) أحد أمراء طغا تيمور خان أمير جرجان \*

### وفاة أويس في (٧٧٦هـ) :

في (٧٧٤هـ) قدم أمير ولى الى عراق العجم ثانية لاستخلاصها  
وأخذ مدينة ساوه وعاد الى جرجان ، فانقل السلطان أويس لاقتلاع  
جذور فسادة في ربيع الثانى (٧٧٦هـ) من تبريز الى الربيع الرشيدى  
لكنه أصيب بالمرض أثناء هذا فمات في غرة جمادى الأولى بعد تسعة عشر  
عاماً من الحكم \*

كان شيخ أويس بهادر خان أحد الأمراء المشيدين المحبين للشعر

والشعراء المهتمين بهم وكان هو نفسه كما سبق القول ينظم الشعر ،  
وفي عهده أقيمت علاقات سياسية وتجارية بين بغداد وتبريز من ناحية  
ومصر ومدينة البندقية من ناحية أخرى • وقد أنشأ يمدح أويس شعراء  
من قبل سلمان الساوجي ومحمد العصار وعبيد الزاكاني وشرف الدين  
الرامي وقد عاشوا في حكمه ودولته •

السلطان حسين ( ٧٧٦ — ٧٨٤هـ ) :

أوصى أويس في موته بتولى ابنه الأكبر ( شيخ حسن ) حكم بغداد  
وابنه الأصغر ( حسين ) عهده ، فقال الأمراء ان شيخ حسن هو الأكبر  
ولن ينقاد للأمر ، فقال أويس ( أنتم عارفون ) وما أن اسمع الأمراء  
قولته هذه حتى قيدوا شيخ حسن وقتلوه بعيد موت أويس فخلف حسين  
أباه •

كانت طوائف التركمان المختلفة قد حظيت بالقوة في عهد السلطان  
أويس في جنوب بحيرة وان وحوالي سنجار وموش والموصل وصار أحد  
رؤسائهم وهو قرا محمد كما رأينا من أتباع أويس • فلما مات أويس  
وحد قرا محمد وأخوه بيرام خواجه التراكمة المطيعين لهم المسمين بالقرا  
قويونلو ( أو أصحاب الخراف السوداء ) تحت قيادتهما فاستولوا  
على عدد من القلاع الواقعة حول مساكن قبيلتهم ووضعوا من الناحيتين  
البلاد المجاورة لهم المتعلقة بالايلكانيين أى العراق وأذربايجان تحت  
تهديدهم •

وفي ( ٧٧٧هـ ) زحف سلطان حسين الى غرب بحيرة وان لاستئصال  
شأفة التركمان القراقويونلو واستولى على بعض قلاعهم فطلب الأمير  
قرا محمد الصلح ودخل طاعته عندما قابله وأهداه ألف رأس من الخراف  
فعاد حسين الى أذربايجان •

وفي نفس العام الأخير تحرك شاه شجاع كما سبق شرحه بإيعاز  
من أهل تبريز الساخطين على السلطان حسين لهوه وعدم اهتمامه الى

أذربايجان فهزم السلطان ودخل تبريز لكنه عجل بعودته عند سماعه عصيان شاه يحيى بفارس فأعاد حسين سيطرته الى تبريز وبعد صلحه مع شاه شجاع زوج ابنته لزين العابدين ولد شجاع \*

وفي ( ٥٧٧٨ هـ ) ارتحل حسين الى ( جملى أوجان ) لقضاء الريـع وعجل اليه عادل آقا حاكم السلطانية ، فثار بعض امراء السلطان على عادل آقا لاحتيازه قوة ونفوذا كبيرين \* وقفل عادل آقا راجعا الى السلطانية وأعطى شاه منصور بن شاه مظفر المظفرى الذى لجأ اليه قبل حكم همدان ودفعه لصد الأمراء العاصين على رأس جيشه \* ولم يكن هؤلاء الأمراء العصاة على وفاء للسلطان حسين أيضا \* فترك السلطان أوجان الى تبريز خوفا منهم فأتقبلوا الى معسكر السلطان ونهبوه وتوجهوا منه صوب بغداد وأخبر السلطان عادل آقا بما حدث \* وأوقع شاه منصور بالأمراء العصاة فى بلاد الكرد هزيمة وفى أسره ثم أمنهم الا أن السلطان أمر الآقا بقتلهم فقتلهم عادل جميعا وزاد فى عين السلطان احتراما \*

وفى نفس العام ( ٥٧٧٨ هـ ) تمرد أيضا بعض الأمراء الجلايريين فى العراق العربى على السلطان واستولوا على بغداد \* فزحف السلطان حسين وعادل آقا فى ( ٥٧٨٢ هـ ) بجيش كبير من تبريز الى بغداد وهرب العصاة الى شوشتر وقد عجزوا عن الثبات وبقي السلطان ببغداد وذهب فى عقبهم عادل آقا الى خوزستان وأدبهم ، وعاد الى السلطانية لما كان مغاضبا من السلطان \*

### قتل السلطان حسين فى ( ٥٧٨٤ هـ ) :

عاد حسين الى تبريز وأرسل بأغلب جيشه الى السلطانية لاستمالة عادل آقا ليعاونوه فى أخذ بعض قلاع الرى من قبضة أمير ولى ، ولم يكن فى هذا الحين من أمراء السلطان وجنوده أحد تقريبا فى تبريز

مما جعل أخا السلطان أحمد يغادر المدينة خفية ويتجه الى أردبيل وموغان وأران ويعد جيشا ليعود به الى تبريز . وباغت أخاه بالهجوم فاقتاده اسيرا وفي الحادى عشر من صفر ( ٧٨٤هـ ) أهلكه وجلس مكانه باسم السلطان احمد .

### السلطان احمد ( ٧٨٤ - ٨١٣ هـ ) :

بعد مقتل السلطان حسين هرب أخ له آخر هو أبو يزيد خوفا من تبريز الى السلطانية لدى عادل آقا فنصبه في الملك وقدم به الى تبريز لمقاتلة السلطان احمد . وبدأ احمد باجتذاب بعض القواد المرافقين لعادل آقا اليه فأوهم هذا من قوته وجعله يعود الى السلطانية . وبين ذلك حرض عادل الأمراء العصاة بالعراق وبغداد على مخالفة أحمد فهاجموا آذربايجان ونالوه بالانكسار فهرب أحمد الى نحجوان عن طريق خوى ولاقى فيها قرا محمد تركمان واستمده ، فعاد ثانية الى تبريز بهزيمة قرا محمد للعصاة .

وبعد فترة تقصيرة صالح السلطان احمد عادل آقا الا أن الأخير لم يهتم بالأمر واقترب الى تبريز وأثاه أمراء بغداد مجتمعين على أحمد مما أجبره على الفرار الى موغان وأران . وفي النهاية تدخل أمير الأبخاز بين الطرفين للصالح وقرر أن تكون آذربايجان للسلطان احمد على وجه الاستقلال وعراق العجم للسلطان أبى يزيد محمى عادل آقا وعراق العرب لأحمد وعادل مشتركين في ادارتها .

وسخط عادل آقا على السلطان احمد استبداده وسفكه فأتى بجيشه آذربايجان وواجه السلطان على مقربة من مراغة وغلب السلطان وآب عادل الى السلطانية وخلاها خوفا الى همدان ومنها راسل شاه شجاع يحرضه على فتح آذربايجان ، فقدم شجاع الى تبريز فأخفض له أحمد جناح المودة فمنع عادل آقا عن مباشرة الأمور وبعد فترة وجيزة استولى أحمد على السلطانية .

وفي نفس هذه الأيام تناهت أخبار قدوم جنود الأمير تيمور  
الكوركاني من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان وتقدمه منها إلى قومس  
والري وبلغ رسله تبريز للاقاة السلطان أحمد . وأرسل أحمد رسل  
الأمير التيموري إلى بغداد ثم تعقبهم ليلقاهم بها ويفاوضهم . وأعاد  
عادل من غياب أحمد فاستعاد السلطانية من عماله وخالفه وبقيت  
السلطانية وقلعتها بيده حتى مجيء تيمور إليها .

وقضى السلطان أحمد من عام ( ٧٨٨ هـ ) حتى ( ٨١٣ هـ ) حين قتل  
بيد قرايوسف التركمان في تطواف حائر وقتال أعدائه ويأس وقنوط .  
وسيطر الأمير تيمور في ( ٧٨٨ هـ ) على آذربايجان وأخرجها تماما عن  
تملك آل جلاير فانحصر ملك أحمد في عراق العرب وبعد سبعة أعوام  
من هذا دخلت بغداد طاعة الأمير الكوركاني ففر أحمد إلى مصر ولم  
يجرؤ على أمر ما بقي تيمور حيا ، وما أن سمع بموته حتى عاد إلى بلاده  
السابقة واستعاد العراق العربي وحكم في بغداد خمس سنين أخرى .  
بيد أن عداوة برزت بينه وبين قرايوسف التركمان فجرت الحرب  
بينهما في تبريز وقتل أحمد في ( ٨١٣ هـ ) ويمد في الحقيقة آخر أمير  
للأسرة الأيلكانية برغم أن بضعة نفر من الأمراء الأيلكانيين بعد قتله  
تولوا السلطة .

### الأمراء الأيلكانيون أو آل جلاير

- ١ — أمير شيخ حسن برزك أو الكبير بن أمير حسين بن آقبوقا بن ايلكان  
( ٧٤٠ — ٧٥٧ هـ )
- ٢ — السلطان شيخ أويس بن شيخ حسن  
( ٧٥٧ — ٧٧٦ هـ )
- ٣ — السلطان حسين بن شيخ أويس  
( ٧٧٦ — ٧٨٤ هـ )
- ٤ — السلطان أحمد بن شيخ أويس  
( ٧٨٤ — ٨١٣ هـ )
- ٥ — شاه ولد بن شيخ علي بن شيخ أويس  
( ٨١٣ — ٨١٤ هـ )
- ٦ — السلطان أويس بن شاه ولد  
( ٨١٤ — ٨٢٤ هـ )
- ٧ — السلطان محمود بن شاه ولد  
( ٨٢٤ — ٨٢٧ هـ )
- ٨ — السلطان حسين بن علاء الدولة بن سلطان أحمد  
( ٨٢٧ — ٨٣٦ هـ )

## ٧ - السريداريون والطقاتيموريون

بين أسر الأمراء الذين قضوا مدة من الإمارة والتسلط بعد انهيار الأيلخانات في بعض ولايات إيران كان السريداريون ومع أنهم غير محلل للمقارنة بغيرهم من الأمراء من حيث اتساع الملك والقوة والشوكة ولا من ناحية دوام الحكم وعظمة الآثار ، لكن لأن لهم اعتبارا خاصا في تاريخ إيران قبل تشكل الأسرة الصفوية يتمثل في مناهضتهم لأهل السنة وخلافهم لهم وإعلانهم المذهب الشيعي وسعيهم لنشر آدابه وأحكامه ، وكانت بداية أمرهم على شكل دعوة مذهبية لها مريدون ومشايخ على نحو عدهم روادا لمريدى الشيخ صفى الدين الأردبيلي وأولاده .

جعل أمراء هذه الأسرة من مدينة سبزوار التي اشتهرت منذ القدم بتشيع أهلها (١) مركزا لهم ووثقوا علاقاتهم مع الدراويش والشيوخ

( ١ ) يضرب المثل في الفلو في التشيع بأهل سبزوار ، من ذلك حديث الاسفزاری ( من مؤرخي القرن التاسع ) في كتابه الفارسي ( روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة ) عن أهل سبزوار ، يقول ( وسبزوار ولاية متميزة بمنافعها وزياراتها المرغوبة ، ولكن أهلها أصحاب غلو تام في الرغض كما يحكى أن السلطان ملك شاه بن الب أرسلان عاتبهم على رغضهم فأنكروا فقال إذا كان قولكم صدقا وأنكم لا تدينون بالرغض فأمثلوا أملى من يسمى بابى بكر من أهالى ولايتكم حتى أصدقكم . فأخذ هؤلاء في البحث وجدوا في الطلب وفي النهاية وجدوا من يسمى بابى بكر وكان الذى به تحت زرع يعقريه المرض والفقر ، قد بلغ الضعف منه مبلغه حتى سقم جسمه ونحل بدنه بسبب مرضه وجفائهم له . فحملوه على محفة وأشخصوا به الى السلطان . فلما رآه سأله : من هذا الذى ليس بهيت ولا حى ؟ قالوا : أعزنا ايها السلطان فلا يوجد في ولايتنا ( أبو بكر ) أفضل وأصح من تراه . . . ) ( راجع كتابه المذكور المذكور لمزيد من التفاصيل ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ) وفي ( رشحات عين الحياة ) من تأليف على بن الحسين الواعظ ( من أدباء القرنين التاسع والعاشر ) تذكر على أهل سبزوار في رغضهم وغلوهم في التشيع في صورة حكايات أيضا منها أن سنيا جلس يستريح في ظل جدار في سبزوار ، وبعد لحظة رفع رأسه فوجد من يجلس على أعلى الجدار وقد كتب اسمى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على كف قدمه . فلم يطق السنى وأخرج مديته وضرب بها قدمه ، فصرخ الراضى واجتمع عليه الراضة . ولما رأى السنى أنه هالك بين هذه الجموع أن لم يصطنع الحيلة قال انه لم يطق أن يرى أسماء يمتتها فوق رأسه فغضب وضرب قدمه ليبعدها من فوقه . فجعل الراض يلهون يديه لقوة اعتقاده ، وخلص منهم بهذه الحيلة ( رشحات عين الحياة مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ( ٥١٠ ) ورقة ١٨٨ ) .



الذى شهروا بحب آل على ، وحثوا الشعراء على مدح أهل البيت وكاتبوا بعضا من علماء الشيعة خارج ايران لاسيما في جبل عامل الذى كان مركزا هاما للشيعة في ذلك الحين واستقدموهم لارشاد الناس وإجراء شعائر دين الشيعة الى خراسان ، وأسفرت هذه الدعوة عن تأليف الفقيه المعروف ( الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد المكي ) المقتوله في ( ٨٧٨٦هـ ) كتابه المشهور ( اللمعة الدمشقية ) باسم السلطان على المؤيد السريدارى وأرسله الى خراسان حتى يعمل شيعتها طبق الفتاوى المدرجة به ، وهذا الكتاب وشرحه كما سيمر من أشهر الكتب الفقهية للطائفة الامامية أى الشيعة الاثنى عشرية وما يزال شرح اللمعة الدمشقية من الكتب الخراسانية المعتبرة .

كان أحد السادات الأثرياء واسمه ( خواجه فضل الله ) ينتسب الى الامام الحسين من ناحية أبيه والى يحيى بن خالد البرمكى من ناحية أمه مستقرا بقرية باشتين احدى قرى سبزوار حينما كانت سوق أصحاب الشيخ حسن الجورى الداعين الناس الى الثورة على أهل السنة وقصر أيدي الظلمة في رواجها وكان أحد أبنائه وهو أمين الدين عبد الرازق يعيش في بلاط أبى سعيد خان . وقبل موت أبى سعيد كلف عبد الرازق بمأمورية ديوانية فأرسله الى كرمان ليأتى بأموالها الى الديوان . فجمع عبد الرازق أموال كرمان وكان رجلا لاهيا مسرفا فأنفق كل هذه الأموال ظلما وعدوانا وكان يفكر في جواب يتعلل به للديوان حينما وافاه خبر موت أبى سعيد فنفضت فيه هذه البشري روحا جديدة وأتى سبزوار فرأى أن اخوته قتلوا مبعوث وزير خراسان ( خواجه علاء الدين محمد ) وكان سبب قتل هذا المبعوث أنه طلب منهم خيرا وحسنا فلم يتحملوا جرائته وقتلوه فاستصوب عبد الرازق ما فعله اخوته وضموا اليهم جماعة من شجعان بيهق وتآزرت هذه الجماعة قائلة ( اذا وفقنا فلسوف نقضى على ظلم الظالمين والأنا نرى رؤوسنا على المشانق فلن نتحمل ظلما

ولا جورا بعد اليوم) ولهذا عرفوا باسم السريدارين (١) .

واختارت جماعة السريدارين أمين الدين عبد الرازق في الثاني عشر لشهر شعبان (٥٧٣٧ هـ) رئيسا لها وبدأوا حينما لم يكن عددهم كبيرا وقوتهم شديدة عصيانهم بشكل الانقضاخ على قوافل وأموال من عرفوا بالظلم والجور وجمعوا بهذه الوسيلة الأموال والأسباب التي تؤدي إلى عصيان أكبر ، وزدت شوكتهم وقدرتهم تدريجا إلى أن تغلب عبد الرازق على الوزير علاء الدين محمد وزير خراسان وقتله ، وفي (٥٧٣٨ هـ) استولى على مدينة سبزوار ورفع راية الاستقلال .

وبعد هذا الانتصار الذي كان نصيب عبد الرازق تملكه الغرور والجبر وأراد أن يتزوج بابنة أحد أعيان خراسان بالقوة فلم تقبله البنات وهربت من سبزوار إلى نيشابور فبعث الأمير عبد الرازق أخاه الأمير وجيه الدين مسعود ليأتي بها ، فصادفها في نيشابور وأراد إرجاعها إلى سبزوار بالعنف فالتصمت منه الفتاة أن يتركها واستحلفتها بحب أمير المؤمنين على ألا يمضي عزمه فأطلق مسعود سراحها وعاد إلى نيشابور ، فخاطبه الأمير عبد الرازق بغضب وسبه وقبحه فلم يتحمل وجيه الدين أهاناته ووثب على أخيه بخنجره فأرداه قتيلا في الثاني عشر من ذي الحجة (٥٧٣٨ هـ) وانتقلت إليه رئاسة السريدارين ودامت حكومة عبد الرازق عامين وشهرا واحدا .

### وجيه الدين مسعود (٧٣٨ — ٥٧٤٤ هـ) :

امتاز الأمير وجيه الدين مسعود الباشتيني عن أخيه بحسن خلقه ومزيد شجاعته وكرمه وفتوته ولهذا علا أمره كثيرا ولما كان يود أن يقيم أساس دولته على التي هي أقوم اتصل بالشيخ حسن الجوري واستدعاه إلى سبزوار وجعله امامه ومقتداه في مناهضة الظلمة وتعهده برئاسة

---

(١) سريدار حرفيا من رأسه على المثنقة .

طائفة الجورية للدينوية وجمع جمعا آخر من الأئمة والمشايع والسادات في سبزوار حوله فاتحد الأمير والشيخ واستوليا على نيشابور في (٥٧٣٩هـ) وأفزعا من الفاضيتين طغاتييمور خان ملك خراسان وجرجان والملك معز الدين كرت صاحب هراة والجبال خاصة وأن ثورتهم كانت ضد أهل السنة وكان هذان الملكان يعتبران نفسيهما حاميين للسنة وكانت قوة أي طائفة شيعية لاضرار رعاياهما وضدهما على طول الخط .

فتم طغاتييمور خان كما سبق شرحه في بداية حاله بجرجان وخراسان بعد الهزائم التي لقيها وأخوه الأمير على كاون بالعراق وكان يدير خراسان عن طريق عماله ادارة سيئة حتى حين قيام السريداريين . وبعد أن سارت الركبان بذكر قوة السريداريين في خراسان جمع طغاتييمور جيشا سيره بقيادة أخيه أمير على من جرجان الى سبزوار ، فخفف الأمير مسعود والشيخ حسن الجوري في (٥٧٤١هـ) للقاء هذا الجيش ، وأصاب السريداريون الأمير عليا أخا طغاتييمور بالقتل في المعركة وبعد حرب شديدة تغلبوا على جنوده وهزموهم وعادوا بغنائم كثيرة الى سبزوار وقد زادهم هذا النصر شهرة في خراسان عن ذي قبل وزاد عدد التابعين لهم .

وزحف الأمير وجيه الدين مسعود والشيخ حسن الجوري بعد قتل الأمير على كاون وغلبة جيش جرجان نحو طغاتييمور فغلباه أيضا على شاطيء نهر ، أترك وفر طغاتييمور تجاه لار ورودبار قصران وخرجت خراسان وجرجان عن سيطرته تماما .

### حرب الأمير مسعود للملك حسين كرت في (٥٧٤٣هـ) :

وبعد الاستيلاء على خراسان وجرجان توجه الأمير مسعود والشيخ حسن الجوري للسيطرة على هراة واستخلاص بلاد غرجستان والجبل وكانت بيد الملك معز الدين حسين كرت وكان أغلب أهدافهم من

هذا الغزو القضاء على الملك حسين الذي يجد في ترويع المذهب السنني وتقويته جدا بليغا ، وجرت الحرب بين الطرفين على بعد فرسخين من (زاوه) من بلاد خواف في الثالث عشر من صفر (٧٤٣هـ) وهزم السريداريون وعاد الملك معز الدين بعد قتال قصير في خراسان الى هراة .

وكان انهزام جيش السريداريين في واقعة زاوه مقدمة انهيار دولتهم في خراسان لأن أمل الناس كان في زيادة شوكة هذه الأسرة واعتبارهم ليكونوا سدا أمام هجوم أتراك ما وراء النهر وجنود تيمور الذين كانوا في بداية ظهورهم الا أن هزيمة زاوه بدلت هذا الأمل الى يأس .

وهاجم الأمير مسعود في أواخر (٧٤٣هـ) ملازندان ليستولى عليها وبدأ بآمل لكن جيشه أصيب بضربات شديدة في النهاية بسبب وعورة الطرق وهجمات الرعية والأمراء بملازندان وسلك الأمير السريداري بعد مدة من الإقامة في الطريق سبيل الفرار لكنه سقط في يد أهل ملازندان فأردوه في آخر ربيع الأول (٧٤٠هـ) قتيلا .

وبعد مقتل وجيه الدين مسعود أشهر أمراء السريداريين تحولت قيادة هذه الجماعة الى نوابه وغلماؤه فتداولوها واحدا بعد آخر بضمة أعوام ، وليس لهم اسم أو صفة يذكران حاشا آخرهم (خواجه علي مؤيد) الذي شهر لمناسبات مختلفة .

### خواجه علي المؤيد (٧٦٦ - ٧٨٨هـ) :

كان الخواجه علي المؤيد السبزواري من أمراء وجيه الدين مسعود تحصل بين الناس على نفوذ وشهرة بسبب نسبه البارز وتدينه وقد بلغ شهرة فائقة وهو آخر السريداريين وحكم مدة أطول ممن سبقه بسبب تعلقه الكامل بالتشيع وسعيه في نشر مناقب الأئمة وإقامة مراسم هذا

## المذهب واحترام السادات •

ولما غير خواجه على في بداية حكمه اعتقاده في اتباع الشيخ حسن الجوري الذي سبق أن قتل في حرب زاوه ، قدم أحدهم في (٧٧٨هـ) الى فارس واستمد شاه شجاع فأمدّه وعاد الى خراسان واستولى لنفسه في (٧٧٩هـ) على سبزوار وأجرى الخطبة والعمله باسمه فقدم خواجه على الى مازندران واستعاد سبزوار بعون الأمير ولي الذي كان قد استولى على مازندران اذ ذاك وتسيطر مرة أخرى على هذه الناحية •

وضم خواجه على بلاده ولايات قازين وطبس وترشيز وقهستان ايضا واتسعت حدوده من الدامغان حتى سرخس ، وجرى صراع بينه وبين الأمير وبى مرارا وحصر الأخير سبزوار في النهاية فاستصرخ خواجه على الأمير تيمور كوركان ، فأتى خراسان بعد أربعة شهور من هذا الوقت أي في (٧٨٢هـ) فخفف على لاستقباله وظل بركبه حتى سرخس ، ثم أصبح من هذا الأوان ملازما للأمير تيمور في كل هجماته وكان الأمير يحبه كذلك ويحترمه ، ومكث على نحو سبعة أعوام مع أقربائه في صحبة الأمير الكوركاني الى أن وافاه أجله في (٧٨٨هـ) في خرم آباد من لرستان أثناء حرب بعد أن أصيب بسهم فيها وانتهت بقتله الأسرة السريدارية •

كان على المؤيد ينصب في ترويج العلم والأدب ويجهد كما قلنا سابقا في احكام المذهب الشيعي جهدا بليغا وكان على ترأسل مع الشيخ الشهيد المكي يدعوه الى المجيء الى خراسان وألف الشيخ كتابه اللمعة الدمشقية باسمه وأرسل به اليه بخراسان •

## أسماء الأمراء السريداريين وأيام كل منهم

- ١ - الخواجه عبد الرازق الباشتيني (٧٣٦ - ٨٧٣٨)
- ٢ - الخواجه وجيه الدين مسعود أخوه (٧٣٨ - ٨٧٤٥)
- ٣ - الآغا محمد آيتمور (٧٤٥ - ٨٧٤٧)
- ٤ - الخواجه شمس الدين أخو عبد الرازق (٧٤٧ - ٨٧٤٩)
- ٥ - الخواجه شمس الدين على الجشمي (٧٤٩ - ٨٧٥٣)
- ٦ - الخواجه يحيى الكرابي (٧٥٣ - ٨٧٥٩)
- ٧ - الخواجه ظهير الكرابي أخو الخواجه يحيى (٧٥٩ - ٨٧٦٠)
- ٨ - بهلوان حيدر القصاب (٧٦٠ - ٨٧٦١)
- ٩ - ميرزا لطف الله بن الخواجه مسعود (٧٦١ - ٨٧٦٢)
- ١٠ - بهلوان حسن الدامغانى (٧٦٢ - ٨٧٦٦)
- ١١ - الخواجه نجم الدين على المؤيد (٧٦٦ - ٨٧٨٨)

أما طائفة طغاتيمور أو طغاتيمورخان حفيد أخى جنكيز وأبنائه فبعد أن قتل طغاتيمور خان بيد الخواجه يحيى السريدارى فى (٨٧٥٤) حكموا من (٨١٢هـ) فى جرجان وما حولها لأن الأمير ولى الذى طرد بعد طغاتيمور السريداريين من جرجان أجلس لقمان ولد طغاتيمور حاكما على جرجان الا أنه بعد قليل عزله من منصبه لما رأى عدم كفايته ، وفى (٨٧٨٦هـ) استولى الأمير تيمور على جرجان من الأمير ولى الذى ولى وجهه فارا الى تبريز وخلخال وقتل هناك بأمر تيمور وأعطى تيمور لقمان حكم جرجان وظل به حتى (٧٩٠هـ) وبعد موته حكم ابنه وحفيده أيضا حتى (٨١٢هـ) تحت حماية التيموريين جرجان واسترا باد مدة قليلة .

## اسماء الامراء الطغاتيموريين وايام كل منهم

- ۱ — طغاتييمور خان بن ۱۰۰۰ جوجي قسار آخي جنكيز  
(۷۳۷ — ۵۷۵۴)
- ۲ — لقمان بادشاه بن طغاتييمور  
(۷۶۱ — ۵۷۹۰)
- ۳ — بيرك بادشاه بن لقمان بادشاه  
(۷۹۰ — ۵۸۱۰)
- ۴ — السلطان علي بن بيرك بادشاه  
(۸۱۰ — ۵۸۱۲)

## الفصل الثامن

### الحضارة والعلوم والصناعات في عصر استيلاء المغول

عهد المائتي عام الذي شرحنا أحداثه مع أنه أسوأ العهود التاريخية للبلاد الإسلامية إلا أنه يعد تكملة للقرون الثلاثة للنهضة العلمية والأدبية للعصر العباسي ولم تظهر حتى ذاك العهد آثار الاستيلاء المغولي السيئة كما يتوجب مما جعله من أقوى العهود في تاريخ العلم والحكمة والأدب الإيراني ويمتاز من وجوه كثيرة خاصة من حيث تعدد ممثليه ذوي الدرجة الأولى الذين عايشوا هذا العهد عن غيره من العهود من مثل المولوى الرومى والسعدى والحافظ وعطا ملك الجوينى ورشيد الدين فضل الله الوزير وحمد الله المستوفى والعلامة قطب الدين الشيرازى ونصر الدين الطوسى ، ويمكن القول أن بعد انقضاء عصر هؤلاء العظماء الذى امتدت أعقابه حتى أواخر العهد التيمورى بدأ عهد انحطاط العلوم والأدب فى إيران وبلغ فى أيام السلاطين الصفويين والأفشاريين منتهى الضعف والتفاهة وفى هذه العهود الأخيرة فقط ظهرت آثار استيلاء المغول والتيموريين المخربة .

### كبار هذا العهد

كبار هذا العهد عهد الاستيلاء المغولى من الكتاب والشعراء حتى العلماء وأهل الحكمة والعرفان كثرة كثيرة الى حد أن حصر أسمائهم جميعا وتفصيل أحوال سائرهم لا يتيسر لنا فى هذا الكتاب المختصر ولهذا نقنع بأسماء مشاهيرهم فى طى بضعة عناوين : —



## ١ - المؤرخون والكتاب

مؤرخو عهد المغول وهم الذين نقتصر مصادر معلوماتنا المتعلقة بهذا العهد على مؤلفاتهم القيمة كثيرون وتصانيفهم بعضها بالفارسية وبعضها بالعربية وأشهر المؤرخين الفارسيين اللغة هم :

منهاج السراج الجوزجاني مؤلف كتاب طبقات الناصري الذي صنفه هذا المؤلف بين سنتي (٦٥٧هـ) و (٦٥٨هـ) في السند باسم أحد حكامه المحليين في التاريخ العام ، ولما كان المؤلف معاصرا لهجوم المغول في إيران الشرقية وفر من أمامهم إلى الهند فقد أوسع القسم الأخير من كتابه المتعلق بهذا العهد كثيرا من المعلومات القيمة (١) .

علاء الدين عطا ملك الجويني (٦٢٣ - ٦٨١هـ) أخو شمس الدين محمد صاحب الديوان مؤلف كتاب تاريخ جهانكشاي الذي أتمه في (٦٥٥هـ) والذي يعد أحد الأعمال السامية في الفارسية في تاريخ الجنكيزيين حتى عهد المؤلف فضلا عن تاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية مع كثير من الفوائد الأخرى .

شهاب الدين عبد الله الوصاف الشيرازي والذي صنف كتابه التاريخي تذييلا لتاريخ جهانكشاي الجويني حتى عام (٧٢٨هـ) وإن كان تعبيره متكلفا ومصنوعا إلا أن موضوعاته في غاية الأهمية

---

(١) هو منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجاني المتوفى (٦٦٨هـ) من علماء خراسان هاجر إلى الهند أثناء الهجوم المغولي وأقسم في بلاط ناصر الدين قباچه الذي نصبه في رئاسة المدرسة الفيروزية . ولما افرق قباچه نفسه في السند وسقطت بلاده في يد التتمش أتى منهاج الآخر فرقى في بلاطه وألف كتابه طبقات الناصري باسم ناصر الدين محمود شاه ولد التتمش .

أما كتابه فهو تاريخ العالم آنذاك خاصة تاريخ الفزنويين والغوريين وخلفائهم في غزنة والهند فضلا عن احتوائه في الفصل الأخير منه وقائع شاهدها المؤلف شخص المغول وخاناتهم حتى عهد هولاكو .

## • والاعتبار (١) •

الخواجه رشيد الدين فضل الله ( ٦٤٥ — ٧١٨ هـ ) وزير غازان المشهور وأولجايتو وأبى سعيد مؤلف الكتاب العديم النظير جامع التواريخ في التاريخ العام وتاريخ المغول والذي أنهاه المؤلف في ( ٧١٠ هـ ) ويعد خاصة جزؤه الدائر على تاريخ المغول والمسمى ( تاريخ غازاني ) أكثر المصادر اعتبارا وعظما في أسانيده المتصلة بهذه الفترة •

حمد الله المستوفى القزويني مؤلف كتابين أولهما تاريخ كريده وهو خلاصة جامع التواريخ لرشيد الدين وثانيهما نزهة القلوب في الجغرافيا والأول ألفه المستوفى سنة ( ٧٣٠ هـ ) والثاني عام ( ٧٤٠ هـ ) •

محمد بن علي الشبانكارى مؤلف مجمع الأنساب باسم غياث الدين محمد ( ٢ ) •

الفخر البناكتي صاحب تاريخ روضة أولى الألباب الذي ألفه في ( ٨١٧ هـ ) •

( ١ ) وشهرته وصاف الحضرة توفى ( ٧٢٠ هـ ) ولد بشيراز حيث حصل العلم والأدب ثم لقي القربى عند غازان خان وأولجايتو بوساطة الوزير رشيد الدين فضل الله . وقد قدم كتابه تاريخ وصاف أو تجزية الامصار وترجيبة الأعصار عام ( ٧١٢ هـ ) الى أولجايتو عن طريق وزيره أيضا وهو تذييل لتاريخ عطا ملك الجويني يقع في خمسة أجزاء ويشمل تاريخ ايلخانات ايران ويبدأ من حيث انتهت بهانكشاى من عام ( ٦٥٦ هـ ) وينتهى الى أواسط عهد أبى سعيد بهادر وأن عيب على الكتاب تكلفه لكنه يتفرد بأثبت مراسلات الملوك أثناء قصة الوقائع فضلا عن ذكره الشعراء وحديثه من شعرهم ، وأبحاث الفلسفية والدينية .

( ٢ ) الف محمد بن علي بن محمد الشبانكاره كتابه التاريخي مجمع الأنساب مرتين أحدهما عام ( ٧٣٣ هـ ) والثانية ( ٧٤٣ هـ ) لأن الكتاب فقد وقت الأمانة على منزل الوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله ، فلجأ المؤلف الى إعادة تصنيفه من حافظته . والكتاب تاريخ عام من بدء الحليقة حتى وقت تأليفه ، وقسم المؤلف الملوك الى بضع طبقات والطبقات الى بضع مجموعات والمجموعات الى بضع طوائف وزاوج بين التفصيل والإيجاز في قص الوقائع وبين السهولة والصنعة في أسلوبه .

شرف الدين فضل الله الحسيني القزويني مؤلف التاريخ المعجم  
باسم الأتابك نصره الدين أحمد اللوري .

هندوشاه النخجواني صاحب كتاب تجارب السلف في تساريخ  
الخلفاء والوزراء الذي صنفه في (٥٧٢٤هـ) باسم الأتابك نصره الدين أحمد  
أيضا وهو أحد الكتب الكثيرة العذوبة والفصاحة الفارسية .

معين الدين اليزدي (توفي عام ٥٧٨٩هـ) مؤلف تساريخ آل المظفر  
باسم (مواهب الهيأة) (١) .

ابن البيهقي صاحب كتاب سلجوقنامه أو تاريخ سلاجقة الروم (٣٣) .

ضياء البرني وله كتابان الأول (أخبار برمكيان) والثاني (تساريخ  
فيروزشاهي) أو تاريخ الأسرة المتغلية من سلاطين دهلي .

ابن البزاز مصنف كتاب (صفوة الصفا) في مناقب الشيخ صفي  
الدين الأردبيلي (٢) .

(١) معين الدين اليزدي المتوفى (٥٧٨٩هـ) ألف كتابه مواهب الهيأة  
في مواهب الهيأة عام (٥٧٥٧هـ) والذي يبدأ من بداية حكم الأسرة المظفرية  
حتى قتال الشاه شجاع والشاه محمود وأنهاه المؤلف عام (٥٧٦٧هـ)  
بناء على تشجيع الشاه الشجاع وأبيه مبارز الدين . وهذا الكتاب يماثل  
تاريخ وصاف في أنشائه المتكلف المصنوع والاستعارات الغريبة لكنه مفيد  
من الناحية التاريخية .

(٢) ابن بيبي هو نصر الدين يحيى عمل في دواوين سلاجقة الروم من  
عهد مسعود الذي حكم من عام (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) فصاعدا ، وشغل  
رئاسة ديوان الطغراء ، وقد بلغ شأوا كبيرا أبوه نجم الدين في حكم كيقيبادا  
(٦١٦-٦٣٤هـ) حيث كان سفيره إلى حكام بغداد ودمشق والحشاشين بالموت  
والغول ، ومات ابن بيبي عام (٦٨٤هـ) ودفن بقونية .

وكتابه يعد من إحدى الوثائق الهامة في تاريخ آل سلجوق وهو تلخيص  
لكتابه التركي الفصل في تاريخهم أيضا ، وقد قام بإيجازه بنساء عن شكوى  
أحد اصحابه ضخامة الأصل التركي .

(٢) ابن البزاز هو توكل بن اسماعيل أحد الصوفية ألف كتابه هذا  
يتشجيع من شيخ صدر الدين ولد صفى الدين الأردبيلي بعد أن خلفه في  
مكتب الإرشاد . ويحوى الكتاب مقدمة وأثنى عشر بابا يشمل كل منها  
بضعة فصول في ذكر نسب وأصل وكرامات الشيخ وأحواله وتأويلاته للقرآن  
وجذباته وسهامه وكراماته بعد موته . وهذا الكتاب أقدم المصادر التي أفاد  
منها مؤرخو العهد الصفوي .

أحمد بن زركوب من معاصري شاه شيخ أبي اسحاق مصنف كتاب  
(شيراز نامه) (١) وغيرهم كثيرون \*

ومن الكتاب المشاهير لهذا العهد يتعين ذكر بضعة نفر منهم أبو نصر  
الفراهي مؤلف المعجم المبالغ الشهرة (نصاب الصبيان) (٢) الذي كان  
يعيش في تاريخ الشعراء الفرس وجوامع الحكايات في القصص الخلقى  
والتاريخ والروايات (٣) ، ثم شمس قيس الرازي مؤلف كتاب المعجم  
في معايير أشعار العجم في العروض والقافية والبديع الذي أنشأه  
المؤلف في حدود (٦٣٠هـ) باسم الأتابك أبي بكر سعد بن زنكي (٤) ، ثم

---

(١) أبو العباس بن أبي الخير زركوب الشيرازي ألف كتابه شيرازنامه  
في تاريخ وجغرافية شيراز نحو عام (٧٣٤هـ) باسم الوزير حاج قوام  
الدولة . ويشمل الكتاب مقدمة وبضعة فصول في جغرافية شيراز وتاريخ  
ملوك وإمراء فارس ومشايخ المدينة وفضلاتها . ونثره خال من التصنيع  
حين يقص التاريخ والوقائع التاريخية لكنه حين يمدح أو يصف يزدان بالبيان  
والبديع .

(٢) أبو نصر محمد بن أبي بكر الفراهي نسبة إلى قرية فراهة من  
سيمستان المتوفى (٦٤٠هـ) أو (٦٤٦هـ) ألف كتابه نصاب الصبيان الفارسي  
في الشعر العربي شاملاً مائتي بيت ، ولأن عدد المائتين درهماً هو حد نصاب  
زكاة الفضة سمي المؤلف كتابه بالنصاب .

(٣) العوفي (متوفى ٦٣٥هـ) هو سديد الدين أو نور الدين محمد  
وينتسب إلى عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور ولد في النصف الثاني من  
القرن السادس في بخارى حيث تعلم ثم هاجر إلى ما وراء النهر وخراسان  
وسمستان ولاقى علماءها ثم إلى السند وقت الهجوم المغولي واتصل بقباجة  
وظل في خدمته حتى (٦٢٥هـ) حين لحق بخدمة التتمش . وكان العوفي أديباً  
نابلاً وشاعراً بقي عنه القصائد والقطعات ، وكتابه لباب الالباب في سير  
الشعراء الفرس من البداية حتى عهد تأليفه ، وجزؤه الأول في شعر الملوك  
والأمراء والوزراء العلماء والثاني للشعراء غيرهم البالغين مائة وتسعة  
وستين

(٤) توفي شمس الرازي أواسط القرن السابع وولد بالسرى وأقام  
بما وراء النهر وبلاد العراق إلى أن صار من ندباء سعد بن زنكي وأبي بكر  
أنبه ، ومن آثاره (كتاب الكافي في العروضين والقوافي) لعمله أصل كتابيه  
المعجم في معايير أشعار العجم والمغرب في معايير أشعار العرب . والمعجم  
من أجمع الكتب الفارسية في العروض والقافية ونقد الشعر قيم من ناحية  
هواهد الشعرية وذكره كثرة من الشعراء قبل المفول .

شمس الفخرى صاحب كتاب ( معيار جمالى ومفتاح أبو اسحاقى ) الذى حرره فى ( ٥٧٤٤هـ ) فى العروض والقافية والبدیع واللغة باسم شاه شيخ أبى اسحاق ، ثم محمد بن محمود الآملی من مدرسى المدرسة السلطانية فى عهد أولجايتو ومؤلف كتاب نفايس الفنون الذى يشبه دائرة المعارف فى المعلوم المتداولة باسم شيخ أبى اسحاق ( ١ ) فى ( ٥٧٤٢هـ ) وجماعة أخرى \*

## ٢ - العلماء والعارفون والحكماء

أبو يعقوب السكاكى ( ٥٥٥ - ٦٢٦هـ ) من علماء الأدب ومؤلف الكتاب المشهور ( مفتاح العلوم ) فى الصرف والنحو والمعانى البيان والشعر وغير ذلك - شهاب الدين السهروردى ( ٥٣٩ - ٦٣٣هـ ) من كبار العارفين مؤلف عوارف المعارف فى التصوف ( ٢ ) - نجم الدين الداية الرازى ( توفى فى ٦٤٥هـ ) صاحب كتاب مرصاد العباد ( ٣ ) - أثير الدين الأبهري ( توفى ٦٦٠هـ ) من الحكماء مؤلف كتاب ( هداية الحكمة )

---

( ١ ) الآملی هو شمس الدين محمد بن محمود المتوفى ( ٧٥٣هـ ) كان شيعى المذهب غلبسوغا وعالم . وكتابه ( نفائس الفنون فى عرائس العيون ) فى بيان شرف العلوم وتقسيمها الى علوم الأوائل والأواخر ويشمل العلوم الأدبية فى خمسة عشر فنا كعلم اللغة والبيان والمعانى والصرف والنحو والعروض والقوافى وغيرها . وتشمل العلوم الشرعية فيه تسعة فنون كعلم الكلام والتفسير والحديث والحكم والأخلاق وأصول الفقه .

( ٢ ) السهروردى هو شهاب الدين أبو حفص عمر ( ٥٣٩ - ٦٣٢هـ ) له تأليف متعددة فى التصوف والفتوة مثل عوارف المعارف ورسالة الفتوة وكتاب فى الفتوة . وكتابه الأخيران بالفارسية . وكان السهروردى من مقربى الخليفة الفاضل لدين الله العباسى ( ٥٧٥ - ٦٢٢هـ ) .

( ٣ ) نجم الدين أبو بكر عبد الله بن محمد الرازى المتوفى ( ٦٤٥هـ ) من الصوفية المعروفين ، غر أمام المغول من الرى الى العراق ثم الى الأناضول ولاقى السهروردى السابق فى ملاطية ثم لحق بخدمة علاء الدين كيقباد وألف كتابه مرصاد العباد فى سيواس بالفارسية عام ( ٦٢٥هـ ) لهذا السلطان فى التصوف والأخلاق وآداب المعاش والمعاد ويختلف نثره بين السهولة والموازنة والسجع ويزدان بالشعر الفارسى والعربى له ولاخرين غيره .

وأعظمهم جميعا الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي ( ٥٩٧ هـ - ٦٧٢ هـ ) أحد النجوم الالامعة في تاريخ ايران ومن العلماء الجامعين ذوى الفنون وهو كما نعرف بدأ حياته في خدمة الاسماعيلية ثم دخل بلاط هولاءكو وأشهر مؤلفاته الفارسية ( أخلاق ناصري ) الذى حرره باسم ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور محتشم قهستان ، ثم ( أساس الاقتباس ) فى المنطق و ( أوصاف الأشراف ) فى التصوف و ( معيار الأشعار ) فى العروض والقافية . أما أشهر كتب نصير الدين فهى بالعربية ومنها ( تحرير أوقليدس ) فى الهندسة و ( تحرير المجسطى ) فى الهيئة و ( شرح الاشارات ) فى الحكمة و ( تجريد الكلام ) فى اثبات عقائد الشيعة الامامية أشهر من أى شئ . وقام نصير الدين كما سبق بأمر هولاءكو وأبلاقا فى مراغة فترات بوضع زيج ورصد الكواكب يعاونه جماعة من الفضلاء وكتابه ( زيج ايلخانى ) نتيجة هذه الأعمال والأرصاد وخلصتها .

ومن علماء عصر المغول الكاتبى القزوينى أو نجم الدين دبيران ( توفى ٦٧٥ هـ ) من معاونى نصير الدين فى زيج مراغة ومؤلف الكتاب المشهور ( شمسيه ) فى المنطق باسم شمس الدين الجوينى ، و زكريا القزوينى ( ٦٠٠ - ٦٨٢ هـ ) مؤلف كتابى ( عجائب المخلوقات ) و ( آثار البلاد ) ( ٤ ) ، وجمال القرشى الذى ترجم صحاح اللغة للجوهري الفارابى من العربية الى الفارسية وأنشأ منه كتابه ( صراح ) ( ٥ ) ثم

---

(٤) حماد الدين زكريا بن محمد القزوينى المتوفى ( ٦٨٢ هـ ) من علماء ايران قد أحاط بعلم الجغرافية احاطة كائلة له عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات بالعربية فى العلوم الطبيعية وترجمته الفارسية موجودة ثم آثار البلاد بالعربية أيضا ساق فيه سر بعض شعراء ايران المعروفين وهو أقدم المصادر عن الشعراء والبلاد التى ولدوا أو توطنوا فيها .

(٥) الجوهري المتوفى ( ٣٩٨ هـ ) هو اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابى من علماء اللغة العربية صرف وقتا بين القبائل العربية يجمع الفاظا ويعد ذلك اثنى نيشابور وعمل بالتدريس بها و ( الصحاح فى اللغة ) يعد من كتب اللغة الهامة .

القاضي ناصر الدين البيضاوي (توفي ٦٨٦هـ) من معاصري أرغون خان صاحب تفسير (أنوار التنزيل) أو التفسير البيضاوي بالعربية ثم نظام التواريخ بالفارسية (١)، ثم العلامة قطب الدين محمود الشيرازي (٦٣٤ - ٧١٠هـ) من كبار العلماء الجامعين لعهد المغول مؤلف (شرح كليات قانون ابن سينا) في الطب و (درة التاج) بالفارسية في العلوم المختلفة و (شرح حكمة الاشراق) وغيرها (٢) - العلامة الصلي (٦٤٨ - ٧٢٦هـ) من كبار علماء الشيعة ومن المروجين لهذا المذهب وصاحب كتب عديدة في الفقه والأصول والكلام - القاضي عضد الدين الايجي (٧٠١ - ٧٥٦هـ) من معاصري شيخ شاه أبي اسحاق صاحب كتاب (مواقف) في علم الكلام - العلامة قطب الدين السرازي (٣)

(١) البيضاوي المتوفى (٦٨٥هـ) هو أبو الخير ناصر الدين عهد الله أبو سعيد من أهل بيضاء غارس عمل بالقضاء في شيراز وكان هذا المنصب لأبيه في عهد الاتابك أبي بكر بن سعد الزنكي ، والبيضاوي يشتهر لفتنه وتفسيره المعروف بأسرار التنزيل بالعربية وطوابع الأنوار في التوحيد ومنهاج الوصول في علم الأصول بالعربية كذلك .

(٢) قطب الدين محمود بن ضياء الدين مسعود الشيرازي المعروف بالعلاقة الشيرازي (المتوفى ٧١٠هـ) تلقى الطب عن أبيه وكان من الأطباء المعروفين وبشايخ الصوفية ثم تصوف في العاشرة وخلف والده في القطيب ، ثم لحق ينصير الدين الطوسي وقرأ عليه الهيئة وكتاب اشارات ابن سينا . وبعد ذلك رحل إلى بغداد والروم ولأقلى جلال الدين الرومي ومكث وقتاً بقونية وتعرف إلى معين الدين برونه غولاه قضاء سيواس وملاطية .

وفي (٦٨١هـ) بعثه أحمد تكودار إلى مصر فذهب منها إلى الشام حيث درس كتاب القانون والشفاء لابن سينا ثم أعزل في تبريز أربعة عشر عاماً وعمل بالكتابة . ومن آثاره العربية الادراك في دراية الافلاك والتحفة الشاهية وشرح حكمة الاشراق للسهروردي المقتول وفتح المنان في تفسير القرآن وحاشية على كتشاف الزمخشري .

(٣) قطب الدين محمد الرازي المتوفى (٧٦٦هـ) من تلامذة عضد الدين الايجي كان من أهل الري لكنه صرف الجزء الأخير من حياته بالشام ، ألف كتباً في الحكمة والمنطق منها شرح الرسالة الشمسية المعروف بشرح شهسبه في المنطق الفقه للوزير غياث الدين محمد وفي شرح كتاب الكائنات القرويني ثم لوامع الاسرار في شرح مطالع الانوار فكتاب المحاكمات قضى فيه بين الامام الفخر الرازي وبنصير الدين الطوسي في خلافاتها على شرح اشارات ابن سينا .

(وفاته ٥٧٦٦هـ) صاحب شرح شمسيه وشرح مطالع في المنطق .

وعارفو هذه الفترة المشهورون هم الشيخ صفى الدين الأردبيلي (٦٥٠ - ٥٧٣٥هـ) جد السلاطين الصفويين وسوف نذكر حاله بعد ذلك وكمال الدين عبد الرزاق الكاشاني (١) (توفي ٥٧٣١هـ) من كبار عهد أبى سعيد وعلاء الدولة السمناني (٦٥٩ - ٥٧٣٦هـ) وغيرهم .

### ٣ - الشعراء

وأشهر شعراء العصر المغولي هم :

- ١ - الشيخ فريد الدين العطار (توفي ٦٢٧هـ) ثالث الشعراء الصوفية بين شعرائهم بعد السنائي (٢) والولوى الرومى وله كتاب بالنثر فضلا عن منظوماته العديدة وكتابه باسم (تذكرة الأولياء) في أحوال العارفين وأشهر منظوماته منطق الطير والهمى نامه وأسرار نامه .
- ٢ - كمال الدين اسماعيل الاصفهاني ولد الشاعر المشهور جمال الدين محمد بن عبد الرزاق من كبار الشعراء الناطقين للقصيدة بالعراق وقتل في فتح أصفهان (٦٣٥هـ) بيد المغول .
- ٣ - أمير الدين عبد الله الأوماني الهمداني (توفي ٦٦٥هـ) من

---

(١) لقب كمال الدين اسماعيل بن جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الاصفهاني (توفي ٦٣٥هـ) بخلق المعاني مدح كائبه جمال الدين عبد الرزاق السرة آل صاعد وآل خجند ثم الخوارز مشاهيرين واتباعه غارس وحكام طبرستان المسيهذات . عاش فطائع المغول واختفى في واقعة القتل العام بأصفهان بيد المغول ثم قتل في النهاية عام (٦٣٥هـ) . وكان كمال الدين أستاذًا في القصيدة وكان يبدأها من غير تغزل وله في وصف أصفهان ومهد مزارها وخزاياها قصائد كثيرة .

(٢) فريد الدين العطار الشاعر الفارسي ذو التأليفات الثرة ، بدأ حياته كائبه عطارًا ثم اعتزل عمله واقبل على التصوف وعلّى أفكاره الدقيقة فيه بالشعر القوى . ولم يمنعه اعتزاله من السفر ولقاء مشايخ التصوف . ألف كتبًا ورسائل في الشعر والنثر بعدد سور القرآن الكريم . ويتميز العطار في الإيضاح موضوعات التصوف العميقة بالشعر والنثر بالسهولة والسلاسة وضرب الأمثلة المختلفة وقص الحكايات المتنوعة وكان أستاذًا في هذا الأمر . وله أيضا فضلا عن ديوانه مثنويات مختار نامه ومصبيت نامه ووصيت نامه وبلبل نامه وحيدر نامه وخسرو نامه وشرف نامه .



مداحي الأتاك مظفر الدين بن الأوزبك .

٤ — سيف أسفرنك ( ٥٨١ — ٦٦٦ هـ ) من شعراء ما وراء النهر  
قرض الشعر في عهد السلطان محمد خوارزم شاه وظل حيا بعد استيلاء  
المغول بفترات .

٥ — جلال الدين محمد البلخي أو المولوي الرومي ( ٦٠٤ —  
٦٧٢ هـ ) صاحب الكتاب البالغ الشهرة ( مثنوى ) من السوامق العديمة  
المنظير ، وهو أكبر الشعراء الصوفية الفرس ومن مفاخر ايران الجليلين  
وله غير المثنوى أشعار كثيرة كذلك نظمها باسم شيوخه شمس الدين  
التبريزي وتسمى مجموعها بكتابات شمس ( ٣ ) .

٦٧٢ هـ — امامي الهروي ( ٤ ) ومجد همكر ( ٥ ) وبدر الجاجرمي وقد

( ٣ ) المولوي هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن الحسين  
الخطيب من كبار شعراء الصوفية في القرن السابع ، ولد في بلخ لكنه لقب  
بالرومي لطول اقامته بقونية . ووالد المولوي لقب بهاء الدين ولد وهو  
ينتسب من ناحية امه الى الاسرة الخواز مشاهية لذلك كان من المقربين في  
بلاط محمد خوارزم شاه ، لكنه رحل عنه ولاقى العطار فاهدى الى ابنه جلال  
الدين كتابه اسرار نامه وهو لا يزال طفلا ( ٦١٠ هـ ) . واستقر المقام ببهاء  
الدين في قونية يدموة من سلطانها كيقباد غفل بها حتى موته ( ٦٢٨ هـ ) .  
وخلف جلال الدين والده في ارشاد الناس صوفيا وتعليم المريدين كما اخذ  
عن برهان الدين المحقق الترمذي من ربابهم والده . وفي ( ٦٤٢ هـ ) لاقى  
جلال الدين الصوفي الكبير شمس الدين محمد التبريزي فآثره فآثرا جعله  
يعتزل الناس ويلحق به . وفي ( ٦٤٥ هـ ) رحل شمس الدين عن قونية  
بلا عودة فحزن جلال الدين وجعله ينصرف الى تأليف الشعر حتى موته .  
ومن آثار مثنويه الكبير في ستة مجلدات ومجموعة رباعياته وديوان غزليات  
معروف بديوان شمس . ومن آثاره المنثورة كتاب غيه ما غيه والمجالس  
السبعة المكاتيب . بلغ المولوي بالشعر الصوفي درجة عليا ليس في ايران  
والهند والافاضول فحسب بل اسرى نفوذه الى الغرب ، كما ترجمت آثاره الى  
لغات مختلفة .

( ٤ ) الهروي هو ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عثمان ، كان له  
مع مجد همكر وغيره مطارحات شعرية ومدائح في أمراء كرمان ووزرائها .  
وقد اعترف همكر بسبقه في الشعر الذي لم يبق له منه غير ديوان مخطوط  
وقطع في كتب السير .

( ٥ ) أما مجد همكر فهو من شعراء القصيد ومن مداحي الأتاك سعد  
ابن ابي بكر وبهاء الدين الجويني حاكم فارس وغيرهما . وله فوق المدح  
هجاء وغزل عاطفي ويصادف حينا في أشعاره موضوعات اجتماعية وحكمية .

ماتوا جميعا في (٥٦٨٦هـ) .

٩ — فخر الدين العراقي الهمداني (توفي ٥٦٨٨هـ) من الشعراء العارفين والفاظمين الشعر البالغ اللطف وقد قضى الشطر الأعظم من عمره في الشام والروم ودفن بدمشق (١) .

١٠ — أكبر شعراء هذا العهد بل وأستاذ جميع شعراء إيران أبو عبد الله شرف بن مصلح الشيرازي أو السعدي الذي لم يقرض حتى اليوم أحد الشعر بالفارسية بفصاحة بيانه وعذوبته ولم ينثر نثرا بسلاسته وجزالته وهو أشهر من أن يعرف ولد أوائل القرن السابع وتوفي في (٥٦٩١هـ) وأول سوامقه كتابة (بوستان) أو (سعدى نامه) الذي أنشأه هذا الشاعر المتمكن في (٦٥٥هـ) للتابك أبي بكر بن سعد وباسمه والذي كان السعدي من خواصه وتخلصه بالسعدي مأخوذ من اسمه ، وغزليات سعدي وقصائده لا نظير لكل منها أيضا خاصة وأن السعدي استأذ الغزل الفارسي وقل أن استطاع شاعر الوصول في هذا الأسلوب درجته .

١١ — همام الدين التبريزي (٥٩٨ — ٥٧١٤هـ) من خاصة الاسرة الجوينية وأشهر شعراء آذربايجان (٢) .

١٢ — الشيخ محمود الشبستري (توفي ٥٧٢٠هـ) من العارفين

---

(١) فخر الدين ابراهيم الهمداني المتخلص بالعراقي من الصوفية وشعراء الغزل ، ولد بهمدان ورحل الى الهند وخلف شيخه بهاء الدين زكريا بها في الارشاد ، غير أنه تركها الى بغداد غلى شهاب الدين السهرودي . وبعد ذلك قصد الاناضول فدرس على الشيخ صدر الدين القوينوي أحد مشاهير صوفية قونية وألف له كتابه اللمعات . ونقل الشاعر بعد ذلك في مصر والشام حيث توفي . والعراقي من شعراء الغزل والصوفية المشويبي العاطفة بيل شعره نحو ستة آلاف بيت ، وله مثنوي عشاق نامه المنظوم على نسق حديقة الحقيقة لسنائي .

(٢) من شعراء آذربايجان ومداحي شمس الدين محمد صاحب الديوان كان له مع السعدي مصاحبة ومداخلة وتآسى به في الغزل ، نظم اشعارا بأسه صحت نامه لشرف الدين هارون ولد شمس الدين صاحب الديوان .

والشعراء المعروفين بأقربايجان وهو ناظم المثنوى المعروف (كلشن راز) أو روضة الأسرار وهو جواب منظوم لخمسة عشر سؤالا صوفيا من الأمير الحسيني الهروي من العارفين والشعراء الهرويين الذي توفي عام (٥٧١٨هـ) (١) .

١٣ — النزارى القهستاني (توفي ٨٧٢٠هـ) من الشعراء الفحصاء بقهستان وكان اسماعيلى المعتقد (٢) .

١٤ — الأمير خسرو الدهلوى (٦٥١ — ٧٢٥هـ) أشهر شعراء الفارسية بالهند ويشتهر بعذوبة الشعر وكثرته وله خمسة دواوين من الغزليات والقصائد وخمس منظومات على غرار خمسة النظامى (٣) .

١٥ — الأمير حسن الدهلوى (توفي ٧٢٧هـ) من رفاق أمير خسرو وأتباع أسلوب السعدى (٤) .

(١) هو سعد الدين محمود بن عبد الكريم من كبار الصوفية كان مقصد المتسائلين عن المسائل الفلسفية والصوفية . له غير كلشن راز رسالتا حق اليقين وشاهد وينسب اليه رسالتا سعادات ناهه ومراة المحققين فى التصوف .

(٢) من الشعراء المنسبين الى الاسماعيلية أخذ تخلصه من اسم نزار الابن الثانى للمستقر بالله ثلثن خليفة فاطمى فى مصر . ويشمل ديوانه غزليات يقترب أسلوبها الى أسلوب السعدى ، خلف مثنوى دستور ناهه .

(٣) يمكن اعتباره رائد السبك الهندى أو أسلوب التعبير بالفارسية فى الهند ، وديوان اشعاره على خمسة أقسام : تحفة الصغر نظمته فى شبابه ويحوى القصائد والغزليات والترجيع يندب واسطة الحياة — غرة الكمال وساق فى مقدمته حديثا عن الشعر ومحسناته وكبار الشعراء — بقية النقية — نهاية الكمال . وتتميز قصائد الشاعر بطولها والقاسى غيرها بالخاقانى . أما خمسته المذكورة فهى : مطلع الانوار — شيرين وخسرو ومجنون ولىلى وايينه اسكندرى ( المرأة السكندرية ) — هشت بهشت ( الثمانى جنات ) . وله أيضا منظومات مثل قران السعدين و ( نه سيه ) أو التسعة اثلاك ومفتاح الفتوح فى سير ملوك الهند . ومن كتبه المنثورة خزائن الفتوح ورسائل الامجاز فى حسن الانشاء . ويمكن جد أمير خسرو اكبر شاعر فارسى فى الهند .

(٤) هو خواجه حسن شيخ نجم الدين بن على السنجرى الدهلوى من شعراء الهند الفارسية اللغة ومن معروفى الصوفية فى القرن الثامن ، أخذ عن الشيخ نظام الدين اولياء من كبار الصوفية الهنود والذى راده خسرو الدهلوى أيضا . اقتدى حسن الدهلوى بالسعدى فى غزله واشتار الى ذلك نفسى سعدى الهند .

١١٦ — الأوحدي المراقى: الأصفهاني (توفي ٥٧٣٨ هـ) من الشعراء  
المعارفين المولود بأصفهان وعاش في مراغة وهو صاحب مثنوى (جام  
جم) باسم غيات الدين محمد الرشيدى الوزير (١) \*

١٧ — الخواجهوى الكرمانى (٦٧٩ - ٨٧٥٣ هـ) أكبر شعراء كرمان  
ومن مداحى أبى سعيد بهادرخان والوزير غيات الدين محمد وله فضلا  
عن قصائده وغزلياته خمسة يقلد خمسة النظامى (٢) \*

١٨ — ابن يمين (توفي ٨٧٦٩ هـ) من أهل فريو مد بجوين من  
مداحى ملوك الكرت والسريدارية والطفا تيمورية وأفضل شعره مقطعاته  
التي تشمل المواعظ والنصح والحكم (٣) \*

١٩ — نظام الدين عبيد الزاكاني (توفي ٨٧٧٢ هـ) من الفضلاء  
والشعراء ذوى الذوق العالى فى عهد أبى سعيد وشاه شيخ أبى اسحاق

---

(١) من الشعراء المتصوفة كان مريدا للشيخ أبى حامد أوحى الدين  
الكرمانى (توفي ٦٣٥ هـ) فأخذ تخلصه من اسمه : يتألف ديوانه من القصائد  
والغزليات والقطعات والترجيعات والرباعيات والغزليات الصوفية . له  
أيضا مثنوى ينطق العشاق نظمه ( عام ٨٧٠٦ هـ ) لوجيه الدين حفيد نصير  
الدين الطوسى ثم مثنوى المعروف ( جام جم ) أو كاس جهشيد التي تقص  
الشاهنامه أن جهشيد ملك ايران الاسطورى كان يرى فيها سائر الدنيا ..

(٢) هو كمال الدين أبو المعطاء محبوب بن على لاقى فى سفره الشيخ  
علام الدولة السمنانى الصوفى المعروف وأخذ عنه . وأقام فى شیراز فترة  
ومصاحب شامرها الكبير الحافظ الشيرازى . من آثاره ديوان غزليات  
وقصائد ثم مثنويات تقلد النظامى وهى روضة الأنوار وكمال نامه وسام نامه  
وجواهر نامه وكل ونوروز أو الزهور واليزوز . وكان الخواجهوى محتفيا  
حنو السعدى فى غزله .

(٣) هو أمير محمود بن أمير يمين الدولة الطبرائى ، كان أبوه شاعرا  
ويعمل فى ديوان الأيالات فى خراسان وعمل ابن يمين أيضا بهذا العمل  
فترة . ومن حوادث حياته أسره فى الحرب التي جرت فى زاوه بين وجهيه  
الدين السريدارى وملك معز الدين كرت ونهب ديوانه ثم جمعه له ثانية .  
وكان ابن يمين شيعيا صوفيا ، أنشأ شعرا ذا غائده أخلاقية واجتماعية  
بسميه كثرة تجاربه ، فنزل شعرة الى خمسة عشر ألف بيت ، وترجع  
أغلب شهرته الى شعره الخلقى .

وشاء شجاع وكان استاذا في النثر والنظم خاصة في النثر فهو تابع  
وتال للشيخ السعدى وترجع أغلب شهرته الى مطالباته المنعمدة النظير  
وقصته المنظومة ( موش وكربه ) أو القط والفار •

٢٠ — سلمان الساوجى ( توفى ١٧٧٩ هـ ) من مشاهير شعراء عهد آل  
جلالير صاحب ديوان قصائد وغزليات وعدة مثنويات وأشعار أخرى •

### الصناعات والأبنية والآثار

وفي عهد سيطرة المغول خاصة بعد هجوم هولاكو وتأسيس أسرة  
الايلاخانات واهتمام الايلاخانات المسلمين منهم بتشيد الأبنية والعمائر ،  
وقع الجانب الصناعى خاصة النقش والتصوير تحت التأثير المباشر للفن  
الصينى ، والسبب الأساسى لهذا الأمر هو جلب الفنانين الصينيين من  
الصين لايران بأمر الايلاخانات ، ثم اهتمامهم بل قل تعلقهم بأحياء  
السنن المغولية فقد ظلوا مع قبولهم الاسلام واقامتهم فى ايران ينظرون  
الى الياسا الجنكيزية بعين الاحترام ويحفظون مجدين فى ذلك بكل ما  
يتصل بالمغول وماضيهم التاريخى وآدابهم ورسومهم لدى أجدادهم  
ولذلك دأبوا دأبا شديدا على تخليد تاريخهم وشجعوا على تأليف  
المصنفات فى هذا التاريخ بكل نصب وانفاق مال •

ونتيجة لهذين الأمرين واختلاف اهل ايران الى الصين انتشر  
النقش بالاسلوب الصينى فى ايران بالتدريج ، والأمر الذى أزرر رواج  
هذا الأسلوب الاسلامى الخاص ببنى العباسى والسلاجقة ، حتى فى بلاد  
ما وراء النهر هو انتشار النسخ من الكتاب الكبير جامع التواريخ  
تصنيف رشيد الدين الذى كان يتابع نشره حتى فى تلك البلاد بأمر  
أولجاتيو وبأمرار مؤلفه الوزير الذى استمد فى تأليف بعض أقسامه  
علماء الصين والمغول والأويغور ودفع بفنانى ورسامى هؤلاء الناس الى  
رسم الصور فى نسخة أيضا الا ان هذه النسخ المتميزة برسومها ونهاية  
دقتها ونفاستها وجمالها قلدت رسومها بعد وقوعها فى أيدي الناس •

أما النسخ لهذا الكتاب الموجودة في مكتبات أوروبا وألفت في عصر رشيد الدين بعد قليل من وفاته فهي أول النماذج لفن التصوير في عهد المغول الذي امتزج فيه الفن الإسلامي الموجود قبل العهد الأيلخاني بالفن الصيني فصار ممثلاً لبداية رواج فن وأسلوب خاصين .

وعلى أثر نفوذ المصورين الصينيين والأقلام والأخبار الصينية وطرق التلوين ورسم الخطوط وصور بعض الحيوانات التي لم تسبق بين المسلمين كالأفاعى وبعض الحيوانات الأسطورية دخل بالتدريج عناصر جديدة في التصوير الإيراني وصار رسم الوجوه المغولية ذات العيون اللوزية والخدود البارزة أمراً شائعاً في هذا التصوير ووصل هذا الامتزاج بين الفنين الصيني والإيراني أوجه في عهد التيموريين .

وشاعت في عهد المغول بالإضافة الى التصوير بعض الصناعات الأخرى انتضحت فيها آثار الفنانين الإيرانيين انتضاحاً كاملاً ويمكن الوقوف بميسر عند مشاهدتها على كمال الاهتمام لدى هؤلاء الفنانين بالابداع واظهار جوانب الجمال والذوق ، وأهم هذه الصناعات صناعة القاشاني والأطباق الخزفية والنقش البارز على الأبواب والأخشاب وتفضيض المعادن ونسج الأقمشة العادية والمنسوجات المقصبة بالذهب وصناعة الأسلحة وغير ذلك .

وبقى نسج المنسوجات النفيسة الذي راج كليا في إيران قبل استيلاء المغول أيضا على حال ارتقائه في عهد الأيلخانات بل زاد رواجها وازدهارا عن ذي قبل لأنه كان يتعين على الأمراء والعمال والوزراء كل سنة أن يتحفوا ويهدوا الأيلخانات بأشياء من هذه المنسوجات وكانوا يشجعون على نسج المنسوجات المذهبة خاصة في مراكز حكمهم وامارات ملكهم فوجدت مصانع عديدة لهذه المنسوجات في تبريز والكرج وبغداد ومرو وطوس وشوشتر وشيراز ونيسابور وكان المغول يفتخرون في بداية فتوحاتهم من بين أرباب الحرف الذين كانوا يرسلون بهم الى

أرض المغول وقراقروم جماعة من الأساتذة النساجين خاصة ، والذين  
حازوا المهارة في نسج المنسوجات المذهبة والمقنصة بالذهب .

وكان لنسج المنسوجات الحريرية في ذيك العهد في إيران خاصة  
في جيلان وخراسان ويزد وكرمان أهمية فائقة وكان الحرير في ذلك  
الحين من الثروات النفيسة حتى أن جزءا من الضرائب العينية لهذه  
الولايات كان يدفع حريرا وكان الحرير في الغالب هو الخراج المهود  
تأديته إلى دافعي هذه الولايات ، وبعد أن فتح أولجاتيو جيلان حث  
أمرأها المحليين على تأدية مقدار من الحرير في العام ما وسعهم دفعه .  
وفي خراسان أيضا عهد السريداريين منع بهلوان حسن الدامغانى  
( درويش عزيز مجدى ) من مخالفته بأن أعطاه بضعة خبربارات من  
الحرير (١) وسيره إلى أصفهان وكان الحرير كما سوف نذكر أحد أهم  
البضائع التجارية في الشرق عهد استيلاء المغول وكان تجار المغرب  
يحرصون على شرائه وجلبه حرصا شديدا .

وازدهر شديد الازدهار أيضا نسج الطنافس والسجادات والأكلمة  
العالية عهد ايلخانات إيران وسائر البلاد الإسلامية في الشرق وكان  
يحمل كثير منها إلى الهند عن طريق موافىء الخليج الفارسى وإلى أوروبا  
عن طريق تجار البندقية وجنوه .

وكانت صناعة آلات الرصد والآلات الفلكية وأنواع الساعات  
وآلات معرفة أوقات الصلاة وتحديد وقت الظهر رائجة في سائر البلاد  
الإسلامية ، وجد قبل غزو المغول الاسماعيلية والخلفاء العباسيين في  
جمع هذه الآلات واستقدام أساتذة هذه الصناعات إلى أكبر مركزى  
الشرق في بلاد المسلمين وهما ألموت وبغداد ولهذا شهرت خزائن بغداد  
والموت من هذه الناحية شهرة عالية في دنيا تلك الأيام ، ولما استولى

---

(١) الخريار أى الخوال وزن تعميم يساوى مائة من تبريزى والمن  
يمادل ثلاثة كيلوجرامات تقريبا .

هولاكو على هاتين المدينتين وضع القسم الأكبر لهذه الآلات القيمة تحت اختيار نصير الدين الطوسي ليفيد بها في رصده بمراغه ، وجمع نصير نفسه في أسفاره الى بغداد مقدارا آخر من تلك الآلات لتحقيق عمله واستصحب معه العارفين بصناعة الآلات الفلكية والرصدية .

واحدى شعب الصناعات الجميلة الأساسية التي لقيت خاصة أهمية تفوق المعتاد وقت الغزو المغولي في البلاد الاسلامية هي تجويد الخط وقد أنفق المستنصر والمستعصم ووزراؤهما أموالا باهظة في استجلاب الخطاطين واستخدامهم في خزائن الكتب والمكاتب في دار الخلافة . وأشهر خطاطي هذه الفترة اثنان أولهما صفى الدين عبد المؤمن الأرموى ( مات ٦٩٣هـ ) الذي مر ذكره ، وثانيهما تلميذه الذي زاد شهرة في فن الخط عن أستاذه ومرتبته وهو جمال الدين ياقوت المستعصمي ( توفي ٦٩٨هـ ) وكان كلاهما من الخطاطين الخاصين للمستعصم آخر خلفاء بنى العباس ، وبعد انهيار دولتهم لحقا بخدمة الأسرة الجوينية . وكان ياقوت الذي يعد أستاذ خط النسخ بداية أمره أحد العظماء الذين اشترأهم المستعصم لنفسه ودفعه ليتعلم الى صفى الدين عبد المؤمن ، فسرغان ما مهر في الأدب وحسن الخط وفاق في هذا الفن الأخير أستاذه .

### المعمار والأبنية

يبدو للوهلة الأولى غريبا اهتمام المغول بالبناء والتعمير والبحث في هذا الموضوع عهد استيلائهم لأن القتار أولا كما قلنا لم يكن لهم تقيد بمكان ثابت كأي طائفة بدوية وكان مستقرهم هي المخيمات القبلية ومساكنهم الخاصة التي تكون بحكم المدينة وقت الحول ولا يتخلف عنها أثر عند الفرحال كما أن القتار وأتباع جنكيز وقواده وخلفاء كانوا ثانياً آية التخريب وحينما كانوا يضعون أقدامهم كانوا يقتلون كل ما هو قائم وعامر رأسا على عقب ، وكانوا أحيانا يسوون أعظم البلاد بغير مبالغة منا بالصحارى والفلوات . الا أن هذه الحالة خاصة بهم أوائل حالهم



ولما أصبح المغول أرادوا أم أبو محكومين بآداب رعاياهم المغلوقة أجبروا على قبول الإقامة في المواسم مثلهم وتأسيس الإدارات وجمع الوزراء والعمال الديوانيين حولهم . ولما لم يستطيعوا التخلي عن عاداتهم القبلية وهى الارتحال للإقامة في الشتاء أو الصيف أو من التنقل من المشتى الى الصيف وبالعكس ، فكان لهم غالبا محلان للإقامة أحدهما — للصيف — في عراق العجم وأذربايجان ( تبريز ، موغان ، أران ، السلطانية ) وثانيهما — للشتاء — في عراق العرب ( بغداد ) وبنى في كل واحد من هذه المراكز الايخانات والأمراء والوزراء قصورا وأبنية لهم . فضلا عن أن خلفاء جنكيز وقادته بعد الاستيلاء والتخريب على بلاد إيران ما أن تبقى لهم حتى يسمحوا للناس بتجديد أبنيتها وعمائرهما وكانوا هم أنفسهم بعض الأحيان السابقين في هذا التعمير ولهذا رمت كثير مما خربوه قبل ذلك .

كان المغول حتى قبول الايخانات الاسلام ديناً يدفعون أجساد سلاطينهم بعيدا عن أنظار الناس في أماكن خافية ولهذا فإن مكان قبر الايخان غير المسلم منهم لا يعرف على وجه الدقة ، لكنهم بعد أن أسلموا خاصة من عهد غازان فصاعدا حين قوى الاسلام في قلوبهم وزادت مدة سلطنة الايخانات المسلمين عن أسلافهم الكفار ، أقدموا على بناء المقابر والقباب الخاصة كما يقتضى قانون المسلمين (١) وعلاوة على ذلك قاموا بتشييد وتعمير أبنية الخير لبدء تعلقهم بالاسلام من مثل المساجد والجوامع والمدارس .

---

(١) ربما يقتضى هذا قانون المسلمين ولا يقضى به قانون الاسلام ، لأن الله تعالى حرم اقامة الانصاب التى تتخذ بعد ذلك بعد نسيان صاحب النصب أو ثانا وأضرحة يعتقد فيها ويتقرب الى أصحابها الزائرون والمتشفعون بالندور والأضاحى من دون الله تعالى ، من حيث أن النفع والضرر والشفاعة والأمر لله تعالى دون غيره ، وكان العرب في جاهليتهم يتقربون ويستشفعون بالانصاب والأوثان ، ثم انتهوا عن ذلك بعد الاسلام فترة ، لكنهم وغيرهم عادوا إليها في صورة مقابر الكبار والأولياء والصالحين وكل من هب ودب بشرط أن يكون له ضريح أو قبة .

وصار متداولاً من عهد غازان فما بعده بناء ثلاثة أنواع من الأبنية بيد الأيلخانات والأمراء والوزراء :

١ — بناء القرى ومدن التشتية والتصنيف أو تعمير القرى والمدن السابقة مثل تعميرهم أوجان وتسميتها بمدينة الاسلام ، وبناء ( محمود آباد ) بموغان وتجديد قسم من عمائر الري وتشبيد سور تبريز وإقامة ( شنب غازان ) عن طريق غازان وبناء السلطانية وسلطان آباد شملتشال بأمر أولجايتو وتشبيد قسم من السلطانية والربع الرشيدى بأمر رشيد الدين فضل الله الوزير وجزء من أبنية تبريز بواسطة عليشاه الوزير وغير ذلك .

٢ — الأبنية الدينية والمدارس ودور الخير كبناء دار السيادة وخانقاه النجف والأبنية الخيرية بشنب غازان بأمر هذا الأيلخان وإقامة مسجد ( ذو الكفل ) والدور الخيرية التى شبيدها عطاملك فى عراق العرب ورشيد الدين فى السلطانية والربع الرشيدى .

٣ — المقابر والقباب أى قبة شنب غازان مقبرة هذا الأيلخان وقبنة السلطانية مقبرتا أولجايتو وأبى سعيد .

ومن عهد هولاكو فصاعداً حين زادت العلاقات بين البلاد الاسلامية فى وسط وغرب آسيا بالصين وتردد المتخصصون الصينيون والایرانيون الى بلديهما فاختلط الفريقان ونتج عن ذلك أن تعلم كل منهما علوم الآخر وفنونه ، حدث أن نفذت العمارة الاسلامية لعهد السلاجقة والعباسيين عن طريق الإيرانيين الى الصين وكذلك المعمار الصينى الى البلاد الاسلامية . وقد تأثر المسلمون من الأسلوب المعمارى الصينى خاصة بشكل القباب التى قلد نظائرها فى المقابر والمساجد تقليداً كاملاً فى المعابد الصينية والبوذية ثم استخدم اللون السماوى الشفاف فى أعمال القاشانى وتغطية أسطح القباب بالقاشانى الأزرق البراق .

أما الذي لا يزال باقيا حتى الآن من آثار عهد الإيلخانات وأبنيتهم  
ومع أنه بحال خربة ومضى الجزء الأعظم منها فلا يزال محل الاهتمام  
كالتالى :-

- ١ — المقبرة المعروفة بمقبرة ابنة هولكو فى مراغة .
- ٢ — بقايا مرصد مراغة .
- ٣ — مسجد ورامين عن أولجاتيو .
- ٤ — قسم من المسجد الجامع فى أصفهان عن أولجاتيو أيضا .
- ٥ — قبة السلطانية عن أولجاتيو كذلك .
- ٦ — منبأ عن أبى سعيد فى مراغة .

ومن بين هذه الأبنية الأكبر أهمية من غيره ولقى شهرة فائقة فى  
عصر الإيلخانات وما يزال قسم هام منه قائما هو قبة السلطانية أى  
مقبرة السلطان محمد أولجاتيو الذى شيده كما سبق قوله أثناء حياته  
ضمن بناء مدينة السلطانية التى استغرقت ما بين عامى (٥٧٠٥)  
و (٥٧١٣) .

## الفصل التاسع

ظهور الأمير تيمور وتأسيس أسرة الكوركانيين

أوضاع ما وراء النهر وقت ظهور الأمير تيمور :

في تقسيم البلاد التي استولى عليها جنكيز ، كما ذكرنا في آخر الفصل الثاني ، صارت بلاد القراخطائين السابقة وما وراء النهر نصيب جغتاي ، ولم يمض جغتاي أوكتاي وقت خانيته للممول رغم أنه الأكبر سناً بل كان يصدق دائماً على خانية أوكتاي عليه وعلى بلاده. وكان يدير بلاده بمعون من أحد رؤساء قبيلة البرلاس وهو قراجار نويان . ويصل مؤرخو تيمور نسب هذا الفاتح إلى الأمير قراجار نويان البرلاسي من ناحية الأب ويعتبرون قراجار الجد الخامس لتيمور .

حكم أولاد جغتاي الذين تسمى أسرتهـم بالخانات الجغتائيين أو حكام البلاد ( أولوس ) الجغتائية مدة ستة وثلاثين ومائة عام ( من ٦٢٤ حتى ٨٧٦ ) على بلاد ما وراء النهر وقسم من خوارزم وكاشغر ، وكانت عدتهم نحو الثلاثين كان من بينهم خانان من أولاد أوكتاي تصادف حكمهم للبلاد الجغتائية وليس لهم ذكر خاص في تاريخ إيران اللهم إلا بضعة نفر منهم هاجموا إيران في أيام الإيلخانات عن طريق الدربند أو خراسان من مثل براق ( ٦٦٣ - ٨٦٨ ) الذي أغار عليها إبانها . وبراق هو أول خان للبلاد الجغتائية أثر الإسلام ديناً لكن رعاياه لم تحبذ عمله هذا فعادت أكثريتهم للثمة السابقة بعد موته .

ودخل الإسلام أحد خلفاء براق وهو ( ترمشيرين ) ( ٧٢٢ -

٥٧٢٧هـ) فدخل على عقبه هذه المرة خلاف السابقة أكثر الرعايا الجغتائية الاسلام ، وأصبح الاسلام من هذا الوقت فما بعده الدين الرسمي لخانات ما وراء النهر ومغولها .

وفي أوائل النصف الأول للقرن الثامن أصاب خانات الجغتائيين شديد الوهن وسقطت أزمة أمورهم من حدود (٥٧٤٦هـ) بيد أحد رؤساء قبيلة البرلاس واسمه الأمير قزغن وكان الأمير قزغن هذا يولى ويعزل من يشاء من خانات الجغتائيين وكان لابنه الأمير عبد الله من بعده نفس النفوذ والمنصب الى أن تمكن من قتل الأمير حاجى برلاس من أحفاد قراجار نويان والأمير بيان سلدوز يعاونه الخان تحت حمايته واستحوذا على الأمر لكنهما لم يستطيعا إدارة الأمور كما ينبغي فصارت ما وراء النهر رهن الهرج والمرج واثارت في كل ناحية الثورات والقتل .

وقد حرص وصول أبناء ثورات ما وراء النهر الى كاشغر حيث كانت شعبة أخرى من خانات البلاد الجغتائية تبأشر أمور الحكم ( تغلق تيمور ) (١) حاكمها وكان من أحفاد براق خان على غزو ما وراء النهر وهاجمها تغلق تيمور مرتين احدهما في عام (٥٧٦١هـ) والأخرى في (٥٧٦٣هـ) وقتل في المرة الثانية الأمير بيان سلدوز (٢) وسيطر على بلاد ما وراء النهر وأتاب ابنه الياس خواجه في إدارة أمورها ، فظل يحكمها حتى (٥٧٦٥هـ) حين طرده عنها تيمور الكوركاني والأمير حسين حفيد الأمير قزغن .

### أصل تيمور ونسبه :-

تيمور ولد الأمير ترغاي (٣) وأوصل المؤرخون نسبه الى أسرة

---

( ١ ) تغلق كلمة تركية بمعنى حامل الراية و ( تق ) بمعنى العلم والراية ( تاريخ بخارى ص ٢٠٨ ح ٢ ) .

( ٢ ) أننا ذكر المؤلف ان قاتله هو الأمير عبد الله والخان الواقع تحت حمايته .

( ٣ ) أبوه تورغاي وليس ترغاي او تارغاي ، وتورغاي تركية بمعنى

جنكيز وصحة هذا الادعاء غير معلومة حتى ان هناك شكاً في أن الأمير قراجارنويان البرلاسى جده الخامس (١) \* ولد تيمور في شعبان (٥٧٣٦) أي بعد موت السلطان أبي سعيد بنحو خمسة أشهر في إحدى قرى مدينة كس (مدينة سبز) (٢) الحالية جنوب سمرقند على مفترق الطرق بين هذه المدينة وبلخ) وعاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس التي كانت أقرباء لأجداده ، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهي عملهم الرئيسي من رسوم الصيد والفروسية ورعى السهام حتى غدا فارساً ماهراً ورامياً للسهام بطلاً ، وكان على المهمة طموحاً فلم يقنع بذلك وخطا في طريق العلو والرياسة .

ذكر أن جد الأمير تيمور كان يظهر كامل إخلاصه للمصالحين والمفقرء وظل هذا الميل لهذه الطائفة فيه وفي أسرته فكان من أول أمره يبدى الإخلاص للزهاد ومشايخ التصوف وكان يأتيهم ويطلب منهم المدد .

وأوائل حياة الأمير تيمور غير معروفة على وجه الدقة وما يقرب الى اليقين أنه لم يحدث في هذه الفترة المبكرة من حياته شيء ذو بال

---

طير الدج ، أما ( تيمور ) فهي من ( تهر ) أو ( دهر ) تركية بمعنى الحديد ، وينسب الى ( كركان ) وصحتها ( ككن ) وليست هذه الكلمة من كوركان أو كورخان بمعنى الخزان العظيم كما ذهب بعض الباحثين وإنما بمعنى ( المليح ) في التركية وكانت اسم أسرة تيمور ( تاريخ بخارى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ وحواشيها ) .

( ١ ) ان ما يقال من أن تيمور من أصل مغولي اعتمادا على ميرخواند صاحب ( روضة الصفا ) وشرف الدين على يزدى صاحب ( ظفرنامه تيمورى ) - وكلاهما من مؤرخى العهد التيمورى - وقد ادعى كل منهما أن تيمور منحدر من نسل قراجة نويان ( قراجارنويان ) المغولى خطأ كبير من ناحيتين الأولى أن هذا الأمير قراجة لم يشر اليه الجوينى صاحب جهان كشأ أدنى إشارة ، كما أن تيمور خالص النسب الى بيت برلاس التركى لا المغولى . راجع في ذلك الكتاب السابق ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ وحواشيها ) .

( ٢ ) اسمها الفارسى ( شهن سبز ) أي المدينة الخضراء لفرط اخضرار نباتها .

لأنه كان اذ ذاك مغمورا ويحيا حياة أفراد قبيلته العادية لكي يهتم  
بإثباتها مؤرخ ، وانما بدأت أحداثه التاريخية في التقييد والذكر من حدود  
عام (٧٦١هـ) وحسب وتوالت السنوات بعد ذلك مقيدة مضبوطة .

ففى (٧٦٣هـ) حين قام تغلق خان الأول مرة بغزو ما وراء النهر  
كان الأمير تيمور فى خدمة الأمير حاجى برلاس فلما هرب الأمير حاجى  
أمام تغلق الى خراسان كان تيمور برفقته أيضا وبعد مدة وجيزة آب  
تيمور الى ما وراء النهر ولحق بخدمة تغلق تيمورخان ، وترك خان  
الكاشغر حكم مدينة كس التى كان رؤساء البرلاس يتوارثونها . الى تيمور  
وحينما عاد تغلق تيمور الى كاشغر استقل تيمور بحكمه وبعد قليل بسط  
سلطانه على أغلب بلاد ما وراء النهر .

وفى هذه الأيام استعان الأمير حسين القزغنى بجماعة من أمراء  
ما وراء النهر الأقوياء فهزم الأمير بيبان سلدوز وكان ينقم عليه قتله عمه  
الذى أصابه بالحزن فانهزم بيبان الى بدخشان فاختارت هذه الجماعة  
من الأمراء الأمير حسينا لامارة ما وراء النهر ونصب كل منهم على حكم  
ناحية منها تحت امرته واستقر من ضمنهم الأمير تيمور على حكم كس  
مقر أجداده . وفى هذا الحين زوج الأمير حسين أخته بتيمور مؤثره  
لمصاهرته فسمى تيمور من هذا الأوان تيمور كوركان أى تيمور الصهر ،  
ويذهب البعض الى أن تيمور قد أضيف الى اسمه لقب كوركان أى  
الصهر من بعد أن بنى بابنه تغلق تيمور (١) .

وبما أن أوضاع ما وراء النهر اقترنت بعدم الأمن وكان الأمراء  
المتوردون دائمي الخلافات أحدهم مع الآخر غزا تغلق تيمورخان هذه  
البلاد مرة أخرى فى (٧٦٣هـ) وقتل الأمير بيبان وجعل الأمير حسين يفسر  
وترك حكم ما وراء النهر الى ابنه الياس خواجه وبقي تيمور على  
حال حكمه لكس .

---

( ١ ) سبق التنبيه الى ان معنى كركن أصل ( كوركان ) بالتركية هي  
الليح من غامبرى صاحب تاريخ بخارى ( ص ٢٠٦ حاشية ١ ) .

وبعد فترة تحالف الأمير تيمور مع الأمير حسين المتواري بقصد الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر متعللاً بمظالم التابعين لالياس خواجه وهاجم خوارزم لكنه غلب على أمره فركن إلى الفرار إلى خراسان وبعد أن أسره التركمان ساكنو أبيورد وعودته إلى سمرقند وحياته متخفياً بها عاد أخيراً إلى خراسان وانضم معه الأمير حسين إلى خدمة الملك معز الدين حسين كرت \*

ولما طلب تغلق تيمور إلى معز الدين كرت تسليمه هذين الأميرين هربا إلى قندهار ومنها إلى سيستان فاحتال وإليها وهاجمهما وأثناء قتالهما أصيب تيمور بعدة طعنات منها في عقب قدمه وكتفه الأيمن وفقد الأصبعين الآخرين من كفه اليمنى وأصيبت قدمه اليمنى بضربة لم ترجعها بعد ذلك إلى حالتها الطبيعية فكان يمشي طوال عمره عارجاً فسمى لذلك بتيمور الأعرج (لنك) \*

وبعد أن التأم جراح تيمور أخذ هذا الأمير وحسين القزغني بعد أن جمعا الجنود والإتباع بلاد دركر وترمز وبلخ وبدخشان وكش من أيدي عمال الياس خواجه ، وتقوى قلباهما بعد أن تناهت اليهما أنباء موت تغلق تيمور وعزم الياس خواجه ابنه على العودة إلى كاشغر فهاجما الأخير وهزماه وسيطر على ما وراء النهر . ومع أن الياس انتقم منهما لهذه الهزيمة في (٧٦٥هـ) وأجبرهما على الفرار إلى بلخ إلا أنهما عادا في (٧٦٦هـ) فاستوليا على ما وراء النهر وقطعت يدا الأتراك الجغتائيين تماماً عن هذه البلاد \*

وبعد الاستيلاء الأخير على ما وراء النهر وقع الخلاف بين الأمير حسين وتيمور ووافى زوجة تيمور وأخت الأمير حسين في ذيك التاريخ أجلها فأنبتت قرابة النسب بينهما فأعلن تيمور مناهضته لحسين وجرد جنده يهاجمه فخانه بعضهم مما أجبره على الفرار إلى أبيورد وظل الصراع بين الأميرين قائمة حتى (٧٦٩هـ) إلى أن طمأن بعض علماء



هاشقند وخجند الأمير تيمور من ناحية حسين فاصطالحا \* ولم يدم هذا الصلح اذ بدأ أحدهما يسيء الظن بالآخر حتى سلم الأمير حسين تماماً الى تيمور فتخلى عن الرئاسة والقيادة بشرط الابقاء على حياته \* فتظاهر تيمور بتأمينه وانقض أمرؤه في أطراف بلخ في أوائل رمضان من ذاك العام على حسين وولديه فأهلكوهم وصارت ما وراء النهر من حين ذاك تحت سيطرة تيمور بلا منازع \* ودخل تيمور في الثاني عشر من رمضان سنمرقند (٧٧١هـ) وكون مجلس شورى من الأمراء والكبار والعلماء ، ومع أنه لم يلقب بالسلطان في هذا الحين ولقب أحد أمراء البلاد الجغتائية وهو سيور غتمش بالسلطان لكن رمضان (٧٧١هـ) يعد بداية استقلال الأمير تيمور \*

#### غزو خوارزم (٧٧٣ - ٧٨١هـ) :-

كانت خوارزم في تقسيم البلاد الجنكيزية نصيب جوجي وخلفه عليها أولاده واستولى الحكام الجغتائيون عليها بعد ذلك وضموها الى أملاكهم \*

ووقت استقلال تيمور وجا-وس سيور غتمش خان استولى من يسمى حسين الصوفي من قبيلة القنقرات على خوارزم \* فأرسل تيمور له ليترك هذا البلد التابع لديوان الحكام الجغتائيين الى وارثهم سيور غتمش فلم يقبل الصوفي فاضطر تيمور الى مهاجمة خوارزم \*

وغزا تيمور خوارزم أربع مرات بين عامي (٧٧٣هـ) و (٧٨١هـ) وغلب في الأولى على أمره ومات حسرة فترك تيمور حكمها الى ابن حسين فعصى الابن بعد مدة وقدم تيمور اليه وأدخله طاعته \* والمرة الثالثة وقعت (٧٧٧هـ) والرابعة (٧٨٠هـ) وفي الأخيرة أخذ تيمور خوارزم بعد حصار ثلاثة أشهر ونصف شهر أوائل (٧٨١هـ) وخرّبها ثم ضمها الى بلاده \*

### غزو أرض المغول وصحراء القبجاق في (٧٧٦ - ٧٧٩ هـ) :-

غزا تيمور بين غزواته لخوارزم شرق ما وراء النهر وشمالها الشرقى أى كاشغر وأرض المغول وصحراء القبجاق مرازا خلمامات تغلق تيمور تسلط أحد أمرائه الأقوياء وهو قمر الدين دوغبلات على الأمور واستبد بالحكم في كاشغر فأغاد تيمور من هذا وأخذ يغير من (٧٧٦ هـ) حتى (٧٧٩ هـ) على جنود قمر الدين وملكه كلما أمن جانب خوارزم وهزم قمر الدين بضع مرات وألجأه الى صحراء القبجاق . وفي (٧٨٧ هـ) سيطر على صحراء القبجاق أى المنطقة بين سيمون وبحيرة خوارزم وبحر الخرز وأتاب عليها أميراً من أسرة باتو اسمه (توقتمش) (١) وعاد الى سمرقند .

### غزوات تيمور على خراسان في (٧٨٢ - ٣) و (٧٨٤ - ٥٥) :-

ولما مات الملك معز الدين كرت الذى كان على مودة دائمة وضفاء بتيمور غير ابنه غياث الدين بير على سيرة أبيه ولم يحضر مجلس الشورى الذى عقده تيمور في رمضان (٧٧١ هـ) بسمرقند . وفي (٧٧٨ هـ) أرسل تيمور الى غياث الدين بينما كان يغزو خوارزم ليذكره بالمودة القديمة بينه وبين أبيه ، فاستقبل غياث الدين رسوله هذه المرة بترحاب وأحكم تيمور أساس المودة بين الأمرتين بتزويج غياث الدين ابنة أخته .

وفي (٧٨٢ هـ) اضطربت أوضاع خراسان على نحو ما رأينا في تاريخ السريداريين شديد الاضطراب وأخذ شاه شجاع وشاه منصور والأمير ولى وغياث الدين والخواجه على المؤيد في الكر والفر في هذا البلد فهاهتبل تيمور هذه الفرصة لضمه . ولما اطمأن قلبه من ناحية خوارزم نهائياً سير أول صيف (٧٨٢ هـ) ابنه ميرانشاه ذا الأربع عشرة سنة بعدة من كبار أمرائه الى خراسان ولحق بهم وبعد أن غلبوا جنود غياث الدين كرت في

(١) ليس توقتمش كما ذكر اقبال المؤلف وغيره وانما صحة الكلمة هي (تقتمش) لفظ جغتائي حديث يقابل لفظ منكو القديم ومعناه الخالد والباتى . (تاريخ بخارى ص ٢٢٢ وحاشية ٢) .

فيشامبور توجه الى هراة عن طريق خواف . وبدأ في منتصف ذي الحجة  
 بهصار فوشبغ (شوربان العالية) ففتحها ثم فتح هراة أيضا بعد حصار  
 دام أربعة أيام وأمر غياث الدين وعفا عنه وبعد اغتنامه خزائن ملوك  
 الكرت. أتى الى نيشامبور وسبزوار . وفي هذا المكان أتى على المؤيد  
 السريداري خدمة تيمور وقدم الأمير ولي المستولى على جرجان في تلك  
 الأيام اليه مطيعا أيضا فعاد الى بخارى وبهذا انتهت الغزوة الأولى  
 له لخراسان .

وبينما كان الأمير تيمور في مصيفه على حدود بخارى أتاه أتباع  
 لعلى السريداري وأخبروه أن الأمير ولي ورئيس التركمان في أبيورد  
 ونسا مع قبولهم طاعته اتفقوا على مهاجمة سبزوار فنهض تيمور في آخر  
 شتاء (٧٨٤هـ) لعون على السريداري الى خراسان وغافل قلعة كلات محتل  
 رئيس التركمان وفتحها ثم ألحق بها قلعة ترشيز التي استولى عليها أحد  
 عماله بنى كرت عاصيا بناء على طلب غياث الدين الذي كان في ركب تيمور ،  
 وفي هذا المكان وصل كتاب من شاه شجاع فحسوا ابيداع أولاده اليه  
 فأجابه تيمور جوابا مطمئنا .

وارتحل تيمور من ترشيز الى مازندران فطلب الأمير ولي الأمان  
 منه فعاد الى خراسان واحتفظ بغياث الدين وأخيه وابنه من ذلك المكان  
 حبيسين أمام ناظريه فلم يسمح لهم بالعودة الى هراة ، واضطربهم معه  
 الى سمرقند وأتاب في هراة عمالا من قبله .

وفي (٧٨٥هـ) تمرد أهل هراة على نواب تيمور فبعث ابنه ميرانشاه  
 من خراسان لقتالهم وجاء بنفسه في عقبه وأعمل التيموريون الذبح في  
 الهرايين وأقاموا من جماجمهم منارات . وعند سماع تيمور بثورة أهل  
 هراة أخذ الغضب منه مبلغه حتى انه أمر بقتل غياث الدين وأخيه وابنه في  
 سمرقند وفي خريف (٧٨٥هـ) قصد هراة وأقام يقتل في أهلها ثانية ويصادر  
 أموال هؤلاء المساكين وبعد أن سكن نار غضبه سلمت له سيستان وبست  
 أيضا حتى حدود سيستان فعاد الى سمرقند .

### الاستيلاء على مازندران واسترأباد في (٧٨٦ - ٧٨٧ هـ) :

كانت مازندران حتى عام (٧٥٠ هـ) في يد طبقة من ملوك باوند من الأمراء القدماء الأيرانيين ، وفي هذا الوقت أردى شخص اسمه (أفراسياب التشلوي) آخر أمير لهم قتيلا وجعل من نفسه حاكما لها . وفي أيام ظهور أفراسياب التشلوي كان أحد السادات الحسينيين وهو السيد قوام الدين المرعشي (من أولاد السيد علي مرعش من أعفاد الإمام علي زين العابدين) موضع احترام الناس التام في مازندران ، ودخل أفراسياب هذا ضمن مريديه خلقت له لمله يزيل من أذهان الناس جميع فعله بقتل آخر ملك باوندي .

ولم يدم اتصال أفراسياب بقوام الدين لأنه بعد قليل ألقي به في الحبس ولما أطلق سراحه زاد مريدو الشيخ عن ذي قبل . وفي النهاية هلك أفراسياب في الحرب التي ثارت بينه وبين قوام الدين في (٧٦٠ هـ) وصار قوام الدين حاكم مازندران وأسس أسرة تسمى بالسادات العلوية القوامية . وقد طوع قوام الدين بيد أولاده من عام (٧٦٠ هـ) حتى (٧٨١ هـ) سنة وفاته شطرا هاما من جيلان وغيروزكو وكلا رستاق ونور وكجور حتى هزار جريب وقزوين .

كان لقوام الدين أربعة عشر ولدا ولما مات هاجم ابنه الأكبر السيد كمال الدين وخليفته استرأباد وجرجان وهما ملك الأميين ولي وغلب الأخير في (٧٨٢ هـ) وهزعه إلى خراسان .

وفي الغزوة الثانية لتيemor في خراسان زين ابن أفراسياب التشلوي لتيemor ففتح مازندران انتقاما لدم أبيه ، وكان تيمور حبتاء أيضا من الأمير ولي فزحف إلى خراسان من بلاد ما وراء النهر للقضاء عليه والسادات القوامية في (٧٨٦ هـ) وأتى منها كبودجامه (فيما حوله أشرفه أي بهشهر الحالية) . وغلب تيمور الأمير وليا في أحرش كبودجامه . وتلقبه إلى الرى . وفي ربيع (٧٨٦ هـ) بلغ السلطانية لضمها وكانت لابن

السلطان أحمد الجلايري ، وفي أواخر هذه السنة استحوذ على قلعتها .  
وفي بدايات (٧٨٧هـ) تحرك تيمور الى آمل وسارى فقدم كمال الدين مطيعا  
اليه فأبقى مازندران لأولاد قوام الدين وعاد الى سمرقند .

### هجوم السنين الثلاث (٧٨٨ - ٧٩٠هـ) :-

لاذ الأمير ولي بعد هجوم تيمور على جرجان والرى بالفرار الى  
آذربايجان ودخل طاعة السلطان أحمد جلاير ، وبعد فترة أتى من طرفه  
اللى عادل آقا حاكم السلطانية يدعوه الى طاعة السلطان الجلايري ويغزو  
خراسان بعونه ، لكنه لم يخرج بشئ من مهمته هذه فعاد الى تبريز  
ونصب عليها من قبل الجلايري .

وموافق هذه الأيام حمل توقتمش خان الذى أبلغه تيمور بسلطنة  
صحراء القبجاق فيما سبق على تبريز عن طريق الدربند فاستخلصها من  
يد الأمير ولي ونهبها وعاد الى صحرائه بعد فترة من التقتيل والنهب ومات  
السلطان أحمد أثناء ذلك .

وهتت هذه الأنباء الأمير تيمور الى التحرك الى ايران فعبر جيحون  
(٧٨٨هـ) وقضى ثلاثة أعوام يقاتل ويذبح وينهب فى الولايات بعد شاطىء  
النهر المواجه لايران وقد سمي المؤرخون المعاصرون هذه الغزوة التى  
طالت ثلاث سنين بهجوم السنين الثلاث .

وقبل بلوغ تيمور خراسان استصفى عاد آقا بعون أمراء ميرانشاء  
ابن تيمور وجنوده همدان والحق بها تبريز من يد اتباع أحمد جلاير وأسر  
( أمير ولي ) فى كرمرود يآذربايجان وأهلكه . فوصل تيمور الى مازندران  
على عجل ، وبعد أن جدد طاعته كمال الدين القوامى وعلى السريدارى  
قصد لمصر الملك عز الدين اللورى ( ٧٥٠ - ٨٠٤هـ ) وأصيب فى الهجوم  
الذى قام به على خرم آباد على المؤيد أبخر الأمراء السريداريين وهلك .  
ولما سمع تيمور بعد أن أسير عز الدين أن أحمد جلاير آت من بغداد الى

تبريز وجه ابنه ميرانشاه اليها ثم توجه هو نفسه اليها كذلك . وخلي  
السلطان أحمد تبريز وكر راجعا الى بغداد فتملكها تيمور بلا منازع ثم  
ألحق بها في ملكيته آخر صيف (٧٨٨هـ) أرمنية واستولى على تفليس  
بهجمة واحدة ودعا ملكها لقبول الاسلام وجلب شروان أيضا تحت تبعيته  
بادخال أميرها طاعته .

وفي أوائل ربيع (٧٨٩هـ) أرسل توقتمش خان ثانية بجند له الى  
أران وأذربايجان ، فتعقبهم ميرانشاه بأمر من أبيه الى الدربند واستأسر  
منهم كثيرا ، وخلص تيمور عليهم جميعا وأعادهم الى توقتمش وذكره عن  
طريقهم بسوابق فضله عليه ودعاه الى ترك الخلاف .

وبعد فتح أذربايجان والكرج وشروان أخذ تيمور مثل بايزيد  
العثماني بلاد أرمنية وأرزنة الروم وارزنجان أيضا وبعث ميرانشاه  
يتعقب قرا محمد القراقويونلو رئيس تراكمة وان وبايزيد فهرب قرا محمد  
وفتح تيمور مدينة وان أيضا بعد حصار سبعة وعشرين يوما وعاد الى  
أذربايجان .

وفي بداية هجوم السنين الثلاث راسل تيمور سلطان زين العابدين  
ولد شاه شجاع وخلفه يستدعيه اليه بموجب الوصية التي أودع بها  
شاه شجاع أولاده اليه ، فلم يأبه زين العابدين بطلبه ولم يدع مبعوث  
تيمور يعود ، فغضب تيمور لهذا وقدم أصفهان لتأديبه عن طريق همدان  
وكلبايكان . وطلب علماء أصفهان أمان تيمور وتمهدوا بأداء مال اليه .  
فقبل تيمور وأرسل بعض أمرائه الى داخل المدينة لتحصيل المال ، فأنزل  
هؤلاء الأمراء في جمعهم المال أذى كثيرا بأهل أصفهان ولم يراعوا عن  
انتهاك حرمان أهلها . فثار الناس وقتلوا محصلي تيمور ونوابه في جمع  
المال بأنسوا حال وقامت ثورة عظيمة بالمدينة . وهاجم تيمور أصفهان  
وقت الغروب وظل يقاتل أهلها حتى صباح اليوم التالي فلما دخل أصدر  
أمره بذبح أهلها وأمر فجمع له سبعون ألف جمجمة فأقام منها هذا

السفك منارات من الجماجم في المدينة بحيث أقيمت في نصف قلعة  
أصفهان ثمان وعشرون منارة من ألف وخمسمائة رأس وفي النصف الآخر  
أقل قليلا خلاف المنارات خارج القلعة .

وبعد واقعة أصفهان الأليمة عزم الأمير السفك الكوركاني إلى  
شيراز وهرب زين العابدين المظفرى كما مر منها فزعا واعتصم بشوشتر  
لدى شاه منصور فحبسه بها . وفى أواخر (٧٨٩هـ) دخل تيمور شيراز  
بلالئى ، ولما وصلت مسامعه أخبار عصيان توقتمش خان فى هذا الوقت  
قام بتقسيم البلاد المظفرية بين شاه يحيى وعماد الدين أحمد أبى لسحاق  
حفيد شاه شجاع وعجل إلى سمرقند .

### الصراع بين تيمور وتوقتمش (٧٩٠ - ٨٣هـ) :

فى أيام هجوم السنين الثلاث قصد قمر الدين دوغلات إلى توقتمش  
لينتقم لهزائمه السابقة فأوعز إليه أن يجعل بلاد تيمور من الناحيتين  
موضع هجومها .

وهاجم قمر الدين من ناحية فرغانه وتوقتمش من جهة بخارى بلاد  
ما وراء النهر فى ( ٧٩٠هـ ) وثار أهل خوارزم بتحريض توقتمش على  
اتباع تيمور . أما قمر الدين فقد لقى الهزيمة من عمر شيخ ولد تيمور  
ولما سمع توقتمش برجوع تيمور هرب إلى صحراء القبجان ، فبلغ تيمور  
خوارزم ، وقام بتخريب هذه المدينة إلى حد أنه لم يكن فيها حائط  
يستراح تحت ظله وزرعوا الشعير فوق أطلالها ، ولم يسكنها واحد إلى  
عام ( ٧٩٣هـ ) حين أمر تيمور بإعادة تعميرها . وفى أواخر نفس عام  
( ٧٩٠هـ ) مات سيور غتمش خان الذى اختاره تيمور فى ( ٧٧١هـ ) على  
سلطنة ما وراء النهر وجعل الأمير الكوركاني محمود خان ولد سيور  
غتمش حاكما بعد أبيه مراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتای .

وفى شتاء ( ٧٩١هـ ) هاجم توقتمش خان مرة أخرى ما وراء النهر

لكنه هزم أيضا من عمر شيخ وتعقبه تيمور حتى أرض المغول وصحراء القبجان وعاد إلى سمرقند بعد غزو وقتال فيهما وتحرك في منتصف صفر ( ٧٩٣ هـ ) إلى صحراء القبجاق بعد الاستعداد لهجوم قاطع ، وفي الخامس عشر من رجب لنفس العام أنزل على شاطئ ائل ( للبولجا ) الأيسر بتوقتمش هزيمة فادحة وعاد إلى عاصمته بغنائم وأسرى كثيرين .

### هجوم السنين الخمس ( ٧٩٤ — ٧٩٨ هـ ) :

ولما عاد تيمور من صحراء القبجاق أناب ابنه ميرانشاه في حكم خراسان وحفيده « بير محمد » في حكم غزنة وكابل ، وبعد خلاصه من مرض شديد أصابه قصد إيران في رمضان ( ٧٩٤ هـ ) لاختفاء الثورات التي شبت بها وظل يقاتل فيها خمسة أعوام وتسمى حروبه هذه بهجوم السنين الخمس . وأتى تيمور أولا إلى جرجان ومازندان وكان السيد كمال الدين القوامي قد أثر العصيان فغلب تيمور جنده وأرسل بالسيد في سفينة إلى خوارزم . وبعد قضاء الشتاء بمازندران اتجه في صفر ( ٧٩٥ هـ ) إلى شوشتر عن طريق الري والسلطانية وكهرود ( سلطان آباد العراق ) وفرشاه منصور المظفرى من أمامه وكان استقل بشوشتر في ذلك الوقت صوب شیراز فذهب تيمور في أثره إليها .

وأورد تيمور كما مر بنا في تاريخ شاه منصور بالأمير الشجاع المظفرى في حرب خروس قرب شیراز مورد الهلاك وأدرك أسرة آل المظفر وترك فارس إلى عمر شيخ وعاد إلى أصفهان . وبعد عدة أيام من إقامته بها توجه إلى آذربايجان وعراق العرب لمقاتلة السلطان أحمد جلاير وقرأقويونلو .

وتمكن تيمور من قرا محمد والآق قويونلوية فهزمه بشدة وفي شوال ( ٧٩٥ هـ ) تحرك تجاه بغداد .

وأخلى السلطان أحمد بغداد ولم يك يطبق مقاومة تيمور وهرب إلى



السام ويمهم تيمور الى فتح قلعة تكريت التي صارت وقتها عش فساد  
لحاربى السبيل والقوافل ففتحها بعد لاي شديد وجعل من رؤوس  
المدامعين عنها منارات ، وبعد أن أدخل طاعته واسطا والبصرة سلك طريق  
الجزيرة . وفي هذا السفر أصاب سهم قاتل في ربيع الأول ( ٨٧٩٦ ) عمر  
الشيخ اثناء قدومه للالقاء أبيه على بعد أربعة منازل من بغداد من سهام  
أهل هذا المكان ، فأرسل تيمور بابنه بير محمد خلفا لأبيه الى حكومة  
فارس .

وأضى تيمور بقية عام ( ٨٧٩٦ ) في فتح بلاد أرمنية والكرج وضرب  
التركمين وبلغ العراق العربى بقضاء الشتاء ، وفي هذا الحين بلغه خبر  
هجوم توقتمش خان على الدربند وأران مجددا فخف تيمور اليهما على  
جناح السرعة وهاجم صحراء القبجاق منهما .

وفي هذا السفر الذى بدأ في ربيع الثانى ( ٨٧٩٧ ) أنزل على ضفاف  
نهر ( ترك ) في شمال القفقازنة بتوقتمش هزيمة ثانية وترك في عقبه  
ولايتى الشركس والقرقز ودخل روسيا واستولى أيضا على مدينة  
( موسكو ) وبعد اغارته عليها رجع الى آذربايجان . ثم عمل على اخماد  
الفتن التى شبت في غيابه في نهاوند وسيرجان ويزد وآذربايجان وحين  
ذاك ترك حكم آذربايجان الى ميران شاه وقصد الى سمرقند في شوال  
( ٨٧٩٨ ) وحول في السنة التالية حكم خراسان وهرارة كذلك الى شاهرخ  
ابنه الثانى .

### فتح الهند في ( ٨٨٠١ ) : -

عاد تيمور من هجوم السنين الخمس وكان أول ما فكر فيه بعد  
ذلك أن يغزو الخطا والختن أى ما وراء كاشغر والصين الأصلية ، لكن  
لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو ففتح الهند في هذا الآن ، ووصل  
الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد في غرة ذى الحجة ( ٨٨٠٠ ) وبعد

قتال مع الأفغانيين في جبال سليمان عبر وادي خيبر ثم عبر السند أوائل  
(٨٠١ هـ) \*

وكان حكم السند والبنجاب في هذا الحين للسلطان محمود الثاني  
من ملوك التخلقيين أو أسرة أبناء محمد تغلق. وكان مقره مدينة دهلي \*

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب  
الهامة وبعد ستة أيام اجتاحتها في السابع والعشرين من صفر وقتل نحو  
عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله إلى دهلي \*

وتواجه جيش تيمور والسلطان محمود في السابع من ربيع الثاني  
(٨٠١ هـ) في (باني بت) على مقربة من دهلي ، وفي هذه المعركة التي كان  
النصر الكلي فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده  
وهرب السلطان محمود إلى دهلي ودخلها تيمور في العاشر من ذلك الشهر  
وأخذ جنوده ينهبون المدينة ومكثوا بها خمسة عشر يوما \* وحين بلغ  
تيمور أنباء ثورات نشبت بإيران عجل يترك دهلي فقسم بلاد آل تغلق  
بين قواد جيشه وعاد إلى سمرقند عن طريق أفغانستان \*

### هجوم السنوات السبع (٨٠٢-٨٠٨ هـ) :

حينما انقلب تيمور إلى سمرقند أنبىء أن ابنه سقط من على جواده  
فأصيب بارتجاج شديد في مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة (١) ولهذا  
سلك الرعايا المخلوبون في الكرج وأذربايجان والعراق طريق العميان ،  
فتأهب تيمور بحملة جديدة على إيران وبلادها الغربية وزحف إليها \*  
وغزواته هذه التي تسمى بهجوم السنوات السبع هي آخر حروب له \*

---

(١) يميل غابيري إلى أن ميران شاه كان يعاني من الهذيان وأن مؤرخيه  
برروا سلوكه الشاذ بإصابته في مخه أثر سقوطه من فوق فرسه ، وقد روى  
عنه أنه أهر يوما بهدم دور كثيرة ومساجد وغيرها من المنشآت لا شيء إلا أن  
يذكره الناس بقدر كل شيء باعتباره ابن أعظم رجل في الدنيا ولا بد أن يشتهر  
بأي شيء . راجع تاريخ بخارى ص ( ٢٣٣ ) حاشية (١) .

وكانت الخطوة الأولى في هجوم الأعوام السبعة وصوله إلى تبريز وبعد تنبيه حاشية ميرانشاه وندمائيه وتنظيم أوضاعها قصد الكرج لقتال أهلها الذين استفادوا من الظروف التي جرت فيها جموا آذربايجان • وبعد أن أوقف الكرجيين على حدودهم وهاجم بلادهم أخبر من آذربايجان أن السلطان العثماني (بايزيد خان الأول) (٧٩٢ - ٨٠٨ هـ) طلب من وإلى هذا البلد المال والخراج • وتبادل الجانبان مراسلات يهدد فيها كل منهما الآخر وانتهت بتقديم تيمور أوائل المحرم (٨٠٣ هـ) إلى سيواس من بلاد الروم ، وبعد حصار عشرة أيام عصف بها واستولى على مدينة ملطية والسواحل الجنوبية للبحر الأسود أيضا وترك هذه البلاد لجد التركمان الآق قويونلو وهو قرا عثمان البايندر وخرج على الشام •

في (٨٧٩ هـ) أثناء هجوم السنوات الخمس حينما كان تيمور في إيران وجه سفيرا من لدنه إلى سلطان مصر الملك الظاهر بركةوق من المماليك البرجية يظهر له مودته ، فأردي الملك الظاهر بمبعوث تيمور قتيلا واستأسس حارس العهد قتلاع أرمنية عن عريق قرا يوسف بن قرا محمد وأتى به إلى مصر وألقاه بالسجن •

فلما فتح تيمور ملطية أرسل إلى ولد وخلف الملك الظاهر الملك الناصر هرج (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) رسلا يطلبون إطلاق سراح قائد القلعة المحبوس ، فلم يبال الملك الناصر بدعوة تيمور كما فعل أبوه من قبل بل أودع رسلك السجن ، فلما بلغ تيمور هذا الخبر ركبته الغضب حتى أنه عد الحملة على الشام ومصر أهم من تعقب السلطان العثماني ، فتقدم من الجزيرة إلى حلب مباشرة وفي التاسع من ربيع الأول (٨٠٣ هـ) بلغ قلعة هذه المدينة وفتحها في الحادي عشر منه وأغار على المدينة ونهبها وسلك طريق دمشق بعد مكث خمسة عشر يوما •

وكانت دمشق اذ ذاك مركز معسكر الملك الناصر وبلغ هذا السلطان بجيش كثيف من مصر دمشق بطلب أهل الشام • ولم يكن بالنجد إلا سير

تيمور وبعد حرب قصيرة هرب من الشام الى مصر فسلم أهل دمشق لتيمور خوفا من الذبح ، فأمنهم تيمور ، وبعد قليل أمر بنهب دمشق مركز النفائس وسوق الثروة والأمتعة القيمة متذعرا بأسباب غير وجيهة فقامت فيها فتنة عظيى أصاب فى نتيجتها هذه المدينة الجميلة وأهلها ضربات شديدة .

وبعد فتح الشام عاد تيمور الى العراق ليقبض على جذور فساد السلطان احمد جلاير الذى لم ينجب اليه تماما وكان دائم الظلم والجور لرعاياه وليضم عاصمته بغداد الى بلاده .

فى أيام انشغال تيمور فى الهند وغزواته فى بلاد الكرخ وسامراء والشام وفق أحمد جلاير بمؤازرة قرا يوسف التركمانى فى أن يستعيد الجزيرة وبغداد لكنه كان كثير الظلم فطرده رعاياه عن بغداد فارتحل السلطان احمد الى الموصل وعاش بها مع قرا يوسف تحت حماية السلطان العثمانى بايزيد خان .

هاجم تيمور بغداد مع مقاومة واليها الشديدة فى السابع والعشرين من ذى القعدة (٥٨٠٣هـ) وأمر انتقاما لقتل بضعة نفر من قواده كانوا قد قتلوا اثناء حصارها بأعمال الذبح فيها اذ جعل كل جندى فى جيشه البالغ عشرين ألفا يضرب عنق بغدادى ويعطيها اليه ففعلوا كما أمر وفى هذه الواقعة خرب كثير من الأبنية والمدارس والمساجد ببغداد .

ولما فرغ تيمور من فتح بغداد وسائر بلاد العراق شد رحاله الى قرا باغ لتمضية الشتاء بها وهناك هب أمور له الحملة على بلاد الروم وقتال بايزيد خان .

### حرب أنكورية فى التاسع عشر من ذى الحجة (٥٨٠٤هـ) :

بعد أن عاد تيمور من العراق هاجم قرا يوسف التركمانى ببغداد لكنه هزم من أبى بكر حفيد تيمور ووالى العراق فلاذ بالسلطان بايزيدخان

وحرض السلطان على ايذاء الأمراء الأناضوليين الذين رضوا بحماية تيمور وتبعيتهم له . ولم يلق السلطان بايزيد فكرا لتقوية جيشه ولا بالا لفتح تيمور لاغتراره بفتوحاته السابقة في الأناضول مع هزيمته في سيواس والفرصة التي لاحت له عندما كان تيمور منشغلا بحروب الشام والعراق ، وكان منهمكا في الصيد والقنص حتى قبل المعركة بثلاثة أيام ولما انتوى الاسراع لصد تيمور هلك من جنوده نحو خمسة آلاف عطشا نتيجة ما دبره تيمور اذ قطع عليهم طريق الماء .

وشبت الحرب في التاسع عشر من ذى الحجة ( ٨٠٤هـ ) جنوب غربى مدينة انكورية أو انقره ( عاصمة تركيا الحالية ) ودامت من الصباح حتى المساء في حرارة الصيف . وأجبر السلطان بايزيد على الفرار مع استبساله في المقاومة بسبب القيظ وهلاك جميع جيشه لكنه وقع في الأسر فتلقاه تيمور بالاحترام واحتفظ به معه وظل السلطان في جيش تيمور الى ان وافاه أجله في شعبان ( ٨٠٥هـ ) .

وبعد فتح ولايات الأناضول وصل تيمور حتى أزميز وشاطئ البحر المتوسط وهناك أتاه مبعوث الملك الناصر فرج الذى حل به الفزع لفتوحات تيمور وأظهر له تبعية ملكة للأمير صاحب العراق وقبل الملك الناصر من هذا الوقت أن يخطب لتيمور ويسك عملته باسمه .

وعاد الأمير تيمور بعد هذه الانتصارات الى قرا باغ وبعد تمضية الشتاء فيها توجه الى مازندران فحطم ثوارها وفي المحرم من ( ٨٠٧هـ ) بعد سبعة أعوام عاد أدراجه الى سمرقند .

وفي ( ٨٠٥هـ ) أى في الهجوم على بلاد الروم مات السلطان محمود خان بن سيور غتمش آخر بقية الحكام الجغتائيين والذى رفعه تيمور قبل ذلك الى السلطة وكان يجالده بسيفه — أى تيمور — باسمه في الظاهر أو قتل في رواية اخرى بأمر تيمور . ولم يختار تيمور خانسا في محله وأمر أن تجرى الخطبة والسكة باسمه ، ومن هذا الأوان أصاب تيمور في الحقيقة مقام السلطنة .

## موت تيمور في السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ) :

ولما عاد تيمور الى سمرقند زوج بضعة نفر من أحفاده واحتفل سرورا بهذا الأمر وبالفتوحات التي صارت نصيبه احتفالات طويلة وتأهب لمهاجمة الصين والتي كان فكرة فتحها تراوده قبل غزوه الهند . وبعد اعداد مائتي ألف رجل ومثلهم فرسان زحف تيمور ومعه بضعة من قواده وأحفاده في الثالث والعشرين من جمادى الأولى (٨٠٧هـ) صوب شاطيء سيحون . واتفق أن كان الشتاء في ذلك العام شديد البرودة حين قام تيمور قبله بقليل من مرض ألم به ، فأصيب بالبرد في (أترار) (فاراب القديمة) على شاطيء سيحون ولما كان أفرط في شرب العرق سقط مريضا في حالة خطيرة ، وهناك حل بل المنون في السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ) في سن الحادية والسبعين ودفن بها .

مع أن الأمير تيمور أحد أعظم الفاتحين والغزاة ومن القواد المحنكين المتدبرين وليس في هذا ريب الا انه يظل نظيره في القسوة والعنف والفظاظة والدهاء . ولا تصح مقارنته بجنكيز لأن جنكيز كما نعلم فضلا عن جمعه الصفات اللازمة لتمتلك البلاد وفتحها يمتاز بصفتين الأمير تيمور خلو تماما منهما الأولى صفة ادارة البلاد المفتوحة ورعاية العدالة والقانون والنظام والترتيب والثانية خلوه من التعصب الديني وحياده في مسألة الأديان والمذاهب عند الرعايا المهزومين في حين أن أعذار تيمور في غزوه الهند والصين ونهب دمشق كانت أعذارا دينية وكان يفرق في تذييعه للمهزومين بين المسلم والمسيحي (١) .

---

(١) القول أن تيمور كان يتذرع لحروبته بتذرعات دينية ينقصه الدقة لأن مثل هذا السفك كان يهبه أولا وقبل كل شيء لغزو البلاد ما فيها من خيرات وما يجره فتحها من تمكن سياسي يدفعه حبه للسفك اليهودية ولم يأخذ في اعتباره وقت الغزو أو الذبح أي دين أو مذهب فقد قاتل في الهند المسلمين وغير المسلمين ولم يفرق بين مسلم أو بوذي وأغار على دمشق ونهبها ولكن لم تبلغ مآسى ولا فظائع بغداد فلم يفرق بين سني أو شيعي ولم تزل بلاد الكرج دارمنية المسيحية ما رأت اصفهان أو هراة المسلمتان غنائى لتيمور مراعاته الدين والمذهب في غزوه وسفكه .

وبعثت هاتان الصفتان الموجودتان في جنكيز والمنعومتان في تيمور على أن تدوم دولة الأول خلاف دولة الثاني فترات بعد موت مؤسسها ، وأن يحفظ أولاد جنكيز البلاد الواسعة التي فتحها وامتدت من المحيط الهادى حتى البحر المتوسط في كمال انتظام ونظام وترتيب تحت أمرهم نحو قرن في حين أن دولة تيمور كانت كدولة نادر الأفشارى في سرعة تفسخها مرة واحدة بعد وفاة مؤسسها ولم يستطع واحد من بعد تيمور ممن خلفوه أن يحافظ على هذه البلاد تحت نظام وإدارة سليمين .

قل اتساع البلاد التيمورية عن الجنكيزية بقليل لأنه إذا كان تيمور قد زاد عن بلاد جنكيز نضمه للهند وجزءا من روسية لكنه لعدم تمكنه من فتح الصين لم يصل اتساع ملكه الى درجة وسعة البلاد الجنكيزية .

ولم يدع استبداد تيمور بالأمر وعدم اعتناؤه بالأمور الادارية لبلاده أن يبرز في عهده وزراء عظام كأيام السلاجقة والایلخانات . أما من شغلوا في أيام تيمور الوزارة أو الأعمال الديوانية الأخرى فقد كانوا أناسا مجهولين عد أغلبهم منشئين خاصين بهذا الأمير ولم يشاهد منهم أى نوع من الكفاءة في إدارة البلاد وقد أهلك أغلبهم تيمور نتيجة لأقل خلاف كان يصدر منهم (١) .

---

(١) في قول المؤلف تجانف الى حد كبير لأن تيمور معروف أنه له مجموعة من القوانين هي المسماه (توزوكات تيمور) أى مراسيمه (توزوك في التركية تعنى المرسوم والقانون) فوقى أنه ضمنها سيرته وهى تتصل باليأسا المغولية . ومن هنا نقل قوانین جنكيز خان الخاصة بالنظم العسكرية في البلاد واحتفظ بالرتب العسكرية المغولية كرتبة تومان ، أغاسى ( قائد العشرة آلاف ) وبيوزباشى ( قائد المائة ) وأونباشى ( قائد العشرة ) . وبقي نظام الحكومة على حاله اللهم الا قوانین المكوس فقد عدلت ، وبسق الشرع الاسلامى . . . واقبس تيمور قواعد السلاجقة والخوارزميين لمخ الرتب غاخذ عن الآخرين رتبة بكريكى أو أمير الأمراء . ولم تكن الادارة المدنية على ما ورد في توزوكات تيمور بأقل نظاما من الادارة العسكرية التي يرجع اليها الفضل في فتوحات تيمور الواسعة ، فكان على رأس هذه الادارة ديوان بيكى ( كبير الحجاب ) يعاونه ارزيبكي ( الحاجب ) وأربعة من الحجاب وكان أحد هؤلاء الوزراء يوكل به شئون الخراج والمكوس والشرطة .

## مادة تاريخ ولادة وخروج وموت الأمير تيمور

السلطان تيمور الذي كان نسيج وحده  
ولد في سنة ثلاثين وسبعمائة  
وخرج في الواحدة والسبعين والسبعمائة  
وودع العالم في السابعة بعد الثمانمائة (١)

---

أما الثاني فكان يناط به أمر مدفوعات الجند وتموينهم ، في حين كان يختص الثالث بسجلات وأحصائيات الجيش والمواريث والرابيع بنفقات البلاط السلطاني . وكان كبار الموظفين يوكل لهم تنفيذ القوانين وجبجج الخراج في رفق بالناس ما وسعهم ذلك . والمفروض أن استخدام السوط كان ممنوعا منعاً باتاً حتى لدى تيمور يقول أن الحاكم الذي يهاب الناس سوطه أكثر من شخصه غير جدير بمنصبه . انظر تاريخ بخارى ص ٢٠٧ وحاشية ٣ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(١) أصل الأبيات بالفارسية : -

سلطان تهرآنکه مثل او شاه نيسود

در هفتصد و سی و شش آمد بوجود

در هفتصد و هفتاد و یکی کرد خسرو

در هشتصد و هفت کرد عالم بدرود



## الفصل العاشر

### خلفاء تيمور

(٨٠٧ - ٩١١ هـ)

كان للأمير تيمور أربعة أولاد هم :

١ - الأمير غياث الدين جهانكير وقد مات في أوائل ظهور أبييه بسمرقند وأعقب ولدين هما السلطان محمد ولي عهد تيمور ومات في هجوم السنين السبع أي في شعبان (٨٠٥) والثاني بير محمد الذي قوض اليه حكم غزنة والهند وولاية عهد تيمور وقد قتله أحد أمرائه بعد موت جده .

٢ - الأمير معز الدين عمر شيخ حاكم فارس وقد مات أيضا في حياة أبيه كما مر بنا اذ قتل في (٧٩٦ هـ) على بعد أربعة منازل من بغداد .

٣ - الأمير جلال الدين ميرانشاه حاكم آذربايجان والعراق والجزيرة الذي أصيب في أواخر أمر تيمور باختلال في مخه واستمر يحكم في ملكه بعد أبيه حتى (٨١٠ هـ) مع وجود هذا المرض به وفي النهاية كما سيمر قتله في العام الأخير قرا يوسف التركماني .

٤ - الأمير معين الدين شاهرخ أفضل وأشهر أولاد الأمير الكوركاني الأربعة وهو الذي جلس بعد موت أبيه على سلطنته رسما (٣)

---

(٣) مع أن تيمور وابناءه كانوا من الترك وكانت التركية شائعة جدا

ولما مات تيمور كان له ستة وثلاثون عقبا ذكرا من أولاده وأحفاده ، ولكي يحول بين أعقابه والنزاع على حكم البلاد قسم بلاده بينهم في حياته الا أن تدبيره لم يؤثر لأن الحرب احتدمت ما بين ولديه الباقيين ميرانشاه وشاهرخ وأحفاده الكثيرين بعد موته مباشرة واستولى كل من الولدين بالتدريج على أجزاء من أملاك أولاد أخويهما ، وتآلفت من البلاد التيمورية الواسعة دولتان كبيرتان احدهما دولة ميرانشاه وابنيه أبسى بكر ومحمد عمر في ايران الغربية والعراق والجزيرة وأران والكرج وأرمينية ، وثانيهما دولة شاهرخ في خراسان وهرات وما وراء النهر . وأسرت الأيام بزوال دولة ميرانشاه بعلّة سفاهته وثورات ولديه وقسوة آل جلاير وتراكمه المراقويونلو في حين أن دولة شاهرخ دامت فترات نتيجة لكفائته وعقله وخبرته الأمور وغدا بلاطه وبلاط خلفائه من أفضل مراكز العلم والأدب والفنون وبرزت فترة للألاء أخرى على اثر وجوده ووجود ابنائه في تاريخ حضارة ايران .

## ١ و ٢ - السلطان خليل وشاهرخ

( ٨٠٧ - ٨٥٠ هـ )

مع أن شاهرخ اختاره أبوه في ( ٧٩٩ هـ ) لحكم خراسان وسيستان ومازندان فقد أقل الإقامة في حوزة حكمه وكان أكثر أوقاته مرافقا لأبيه في غزواته الا حين سيره الى هرات لإدارة حكومتها في رجوعه من غزو الأناضول ، ولما مات تيمور كان شاهرخ مقيما بهرات . ولما علم بموت

---

في بلاطهم بقول غامبرى الا انهم لم يستطيعوا التخلص من الفارسية حتى في أسمائهم ، فالابن الاول لتيمور ( جهانكير ) يعنى اسمه الفارسي هذا المستولى على الدنيا ) والابن الثالث ( ميران شاه ) يعنى اسمه ( ملك الامراء ) والرابع ( شاهرخ ) يعنى اسمه الشاه الرخ ، وابن الولد الاول له وهو ( بير محمد ) يعنى اسمه الشيخ محمد وغير ذلك من اسماء الامراء والقواد .

أبيه بقي في بلاده ولم يفكر لسلامة نفسه وجبه السلام في منافسة أخيه  
وابناء أخويه .

ورشح الأمراء التيموريون المقيمون بآثرار بعيد موت سيدهم  
(ميرزا خليل) ولد ميرزا شاه حاضرهم بالمعسكر للسلطنة مع أن تيمور  
عين بير محمد ولد جهانكير لولاية عهده وأجلس في الرابع من رمضان  
(٨٠٧ هـ) في سمرقند على عرش السلطنة التيمورية وكانوا يعتقدون أنه  
سوف يمضى غزو الصين وهم معه تحت امرته .

وقد دفع انتخاب ميرزا خليل للسلطنة بير محمدا المناهضة ابن  
عمه ، وكان حاكم فارس وأخوه ميرزا رستم حاكم اصفهان وأخوه  
الثاني ميرزا اسكندر مالك همدان ، فقرر بعد مشاورة أمرائه أن يتجه  
رغم أنف ميرزا خليل وأبيه ميرانشاه الى شاهرخ عمه وزوج أمه ليدعوه  
الى السلطنة . وقبل شاهرخ هذا الطلب وأبقى بير محمدا من جانبه على  
حكم فارس وقام بنهاية الكفاءة والعدالة بتصريف أمور ذلك الجزء من  
ايران ونشر الأمن والعدل فيه .

وواجهت سلطنة ميرزا خليل فيما وراء النهر مشاكل كثيرة لأن فئة  
من الأمراء والناهضين لتحكيم وصية تيمور رفعوا رؤوس العصيان وكان  
مسلك ميرزا خليل غير مرض مما جعل شاهرخ يزحف الى ما وراء النهر  
لتأديب ميرزا خليل والاستحواذ على خزائن أبيه التي استلبها خليل .  
وأرسل خليل سفراء الى شاهرخ حينما كان ببلخ يظهر له الطاعة وسير  
له جزءا من خزائن تيمور . فصدق شاهرخ على سلطنة خليل على ما  
وراء النهر وعاد الى خراسان . أما بير محمد فلم يكف عن دعواه  
وجرد جيشه لمهاجمة ما وراء النهر لكنه غلب وهرب الى قندهار وكان  
بصدد هجوم آخر حين أصاب منه أحد أمرائه وكان وزيرا له مقتلا في  
(٨٠٩ هـ) .

وعزل خليل بعد فترة بيد أحد أمرائه الأقوياء ثم حبس واستولى

خان كاشغر على ما وراء النهر • وقصد شاهرخ هذا الطرف لاصلاح  
أموره وأرسل ميرزا خليلا لحكومة العراق وأتاب ابنه ميرزا ألغ بيك في  
حكم ما وراء النهر في ( ٨١٢ هـ ) وظل خليل بحكم العراق الى أن مات في  
( ٨١٤ هـ ) •

كان تيمور قد ولى في حياته في حكومة ايران الغربية والجزيرة  
والعراق وآران وأرمينية والكرج كما ذكرنا جلال الدين ميرانشاه فلما  
اختلط أشرك ولديه أبا بكر ومحمدا عمر في الحكم مع أبيهما وترك اختيار  
جميع الأمور لمحمد عمر ابن ميرانشاه الأصغر • وبعد قليل قيد محمد عمر  
أخاه أبا بكر وأرسله لسجن السلطانية ولاذ ميرانشاه بخراسان •

وبعد فترة هرب أبو بكر من السلطانية وأتى أباه وحثه على العودة  
الى آذربايجان وهناك في الحرب التي اشتعلت في الرابع والعشرين من  
ذى القعدة ( ٨١٠ هـ ) بينهم وبين قرا يوسف التركمانى أصيب ميرانشاه  
بالقتل واستدعى اهل تبريز أبا بكر على رغم أنف محمد عمر اليها •

وثار محمد عمر الذى طرد من عام قبل حكمه واعتصم بشاهرخ على  
غمه فلما غلب في الحرب وجرح وافاء أجله في ذى الحجة ( ٨٠٩ هـ )  
وهرب أبو بكر أيضا بعد هزيمتين من قرا يوسف الى كرمان وقتل فيها في  
( ٨١٠ هـ ) • وبهذا زال ميرانشاه وولداه أبو بكر ومحمد عمر ثلاثتهم في  
سنوات متقاربة ومات الابن الثالث لميرانشاه وهو ميرزا خليل على نحو  
ما سبق في ( ٨١٤ هـ ) في حكمه العراق بعد أن أخلى من سلطنة ما وراء  
النهر •

وفي ( ٨١٠ هـ ) أوقع شاهرخ ببير بادشاه الطغا تيمورى هزيمة  
شديدة ، ولما وقع الخلف بين أولاد أخيه عمر شيخ ميرزا اسكندر وميرزا  
رستم وميرزا بايقرا الذين حكموا على فارس وهمدان واصفهان ذهب  
شاهرخ لتهديتهم وفي ( ٨١٧ هـ ) أخذ اصفهان من ميرزا اصفهان وأعطاها  
ليزا رستم • وبدأ رستم مع وصاية شاهرخ بسمل أخيه ثم قنطه في

( ٨١٨ هـ ) ، وبما أن ميرزا بايغرا عصى شاهرخ بدوره في شيراز فقد قام شاهرخ بطرده عنها وترك فارس لابن له اسمه إبراهيم سلطان .

وبعد أن خلعت ما وراء النهر وجرجان وسيستان وكرمان وفارس وعراق المجمع قصد شاهرخ إلى آذربايجان للانتقام لقتل أخيه ميران شاه من التراكمة القراقويونلو في ( ٨٢٣ هـ ) فتقدم إليه قرا يوسف لكن قبله احتدام الوغى مات قرا يوسف فجاءة فأمضى والسداه الاسكندر وجهانشاه الحرب مع شاهرخ فخلبا وفقدوا الرى . وفي الحرب الثانية التى جرت في ( ٨٣٢ هـ ) والثالثة التى وقعت في ( ٨٣٨ هـ ) كانت الغلبة في اثنتينهما لشاهرخ ، وبعد الحرب الثالثة قبل جهانشاه طاعة شاهرخج وولاه من طرفه حكم آذربايجان وهرب الاسكندر .

وبعد انتهاء أمر التراكمة القراقويونلو لم يقيم شاهرخ بغزو هام بعد ذلك وأمضى بقية أيامه في التحمير والحفاظ على العلاقات الودية مع بلاد الأهراف كالصين والهند والفتت .

وشاهرخ أحد أفضل الملوك الذين تسلطوا على إيران فقد اتصف فوق تدينه وتقواه وعدالته ومسالته ببإلخ كرمه وحبه للعلم وطلبه للأدب وتشجيعه الفنون وتعميره فقد رمم كثيرا من الخرائب التى وقعت من أبيه تيمور . وفي مدة ثلاثة وأربعين عاما من الحكم مع أنه لم يقدم على الحرب في وقت ما بقصد التملك إلا أنه كان يخوض الحرب كلما وقعت بتعقل شديد وكان يخرج ظافرا في كل هروبه تقريبا .

وكان ينظم الشعر ويخط حسن الخط وكانت هراة في عصره مركز تجمع العلماء والأدباء والشعراء والخطاطين والرسمين فوق أنه أسس بها مكتبة ضخمة لاسيما وأنه أمر بتأليف عدد من أفضل الكتب التاريخية الفارسية وبتشجيع من هذا الملك المحب للفضل والفن وقد تتابع هذا العمل في عهد أولاده وأكمل أوائل العصر الصفوى .

وكانت إحدى نسوة شاهرخ وهى جوهر شاد آغا مشهورة بإنشاء

الآثار الخيرية وأقامت في هراة ومشهد طوس بضعة مبان أشهرها مسجد  
جوهر شاد ( أرض أقدس ) •

### ٣. ميرزا علاء الدولة وميرزا الخ بيك

( ٨٥٠ - ٨٥٣ هـ )

لم يبق بعد شاهرخ من أولاده الخمسة غير ميرزا الخ بيك ومات  
بقيتهم في حياته • وأشهر هؤلاء الأولاد غير الخ بيك غياث الدين بایسنقر  
( ٧٩٩ - ٨٣٧ هـ ) الذي تخطى عن الملك وتحكم تبريز واستراياد بسبب  
أنه كان صاحب ذوق فاضل محبا للأدب والجمال وصرف عمره في جمع  
الكتب والاختلاط بأهل الفضل والأدب وكان بلاطه محل تجمع الرسامين  
والخطاطين والموسيقين والشعراء وأهل الأدب والفضل وكان نفسه  
ماهرًا في القريض وأنواع الخط الجميل خاصة • وهو الذي جمع شاهنامه  
الفردوس ثانية ونظم منها الشاهنامه البایسنقرية • توفي بایسنقر في  
اليسايح من جمادى الأولى ( ٨٣٧ هـ ) ودفن بمسجد جوهر شاد بمشهد •

وبعد أن وصل خبر وفاة شاهرخ إلى سمرقند جلس الخ بيك مكان  
أبيه على العرش ومع أنه لم يطل في سلطنته لكنه أنشأ طوال مدة حكمه  
على ما وراء النهر التي بلغت ثمانية وثلاثين عاما ( ٨١٢ - ٨٥٠ هـ ) في  
سمرقند بلطاع خيبر بلط آية وأخيه بایسنقر وكان على علم دقيق  
أقسام العلوم الرياضية وكان يقضى الشطر الأعظم من أوقاته في المرصد  
الذي شيده بسمرقند • وفي ( ٨٢٣ هـ ) نظم بعون جماعة من فحول العلماء  
الرياضيين وعلماء الهيئة علم عهده من مثل صلاح الدين موسى قاضي زاده  
الرومي ومولانا على القوشجي وغياث الدين جمشيد المكاشاني الزيج  
المعروف بالأنبيكي الذي أنبني على أصوله استخراج التقاويم حتى عهد  
قريب ( ١ ) ، هذا فضلا عن تشجيعه أهل الفضل والأدب والفن •

( ١ ) . تقسم جداول زيج الخ بيك إلى أقسام أربعة وتتناول : مختلف  
المصور والمناطق ، المواقيت ، مسالك النجوم ، ثم مواقع الأجرام الثابتة  
( تاريخ بخارى ص ٢٦٨ ح ١ )

لكنه خلافا لذلك لم يرمنه كفاءة جمة حتى انه لقي هزيمة في زمن حياة أبيه أي في (٨٢٨هـ) من المغول الأوزبك ، ولم يوفق أيضا في وقائع عهد حكمه .

وبمجرد وصول خبر موت شاه رخ وقد لقي منيته حول الري أعلن حفيده ميرزا علاء الدولة ولد بايسنقر سلطانا في هراة وقبض على ابن ألغ بيك وهو ميرزا عبد اللطيف وألقى به في السجن . وأنفذ ألغ بيك رسلا الى ابن أخيه ليخلصوا عبد اللطيف . وعقد الصلح بين الطرفين ببقاء ميرزا علاء الدولة في حكم هراة وبعودة عبد اللطيف الى سمرقند لدى أبيه .

وفي (٨٥٢هـ) طرد ألغ بيك بعون أولاده علاء الدولة عن هراة فاعتصم بأخيه ميرزا بابر بشيراز وعاد بعونه الى خراسان . . .

وبعد أن قتل ألغ بيك أهل هراة لاتهامهم بعدائه وانحيازهم الى التراكمة القوا قوينطو تقدم لصد الأوزبك الى سمرقند فأتى ميرزا بابر الى هراة ورقي عرش شاه رخ وسمل علاء الدولة الذي بقى بقيقته حياته ولم يكن في عمى كامل حتى عام وفاته (٨٦٥هـ) يطرق هذا الباب وذلك الباب الى أن لقي حتفه على ضفاف الخزر .

وشار ميرزا عبد اللطيف على أبيه في (٨٥٣هـ) في بلخ وكانت له الغلبة في الحرب التي جرت بينهما بل سقط ألغ بيك أسيرا في يد ابنه ، وأمر عبد اللطيف بأبيه فقتل بيد أحد خدومه في العاشر من رمضان (٨٥٣هـ) بعد حكم عامين وثمانية أشهر . وعام قتل ألغ بيك هو عام التفسخ التام لبلاد تيمور لأن قبله طرد أخوه ميرزا بابر أخاهم بابر من هراة ، وصار أحفاد تيمور يقاتل أحدهم الآخر في ناحية من نواحي ايران وما وراء النهر ولم يكن لأحدهم لياقة أو جدارة لكي يدير دولة بهذا الاتساع ويفرض قوته على أعدائه .

## ٥ - عبد اللطيف

( رمضان ٨٥٣ هـ - ربيع الأول ٨٥٤ هـ )

لم يحكم ميرزا عبد اللطيف بعد قتله أباه أكثر من ستة شهور فقد كان مشهورا بالفضاظة وسوء الخلق وإساءة الظن مع انه لم يكن خلوا من تذوق للأدب وهيبة وسياسة فقد حانت لخدم والده فرصة تقتلوه في السادس والعشرين من ربيع الأول خارج سمرقند رميا بالسهم وعلق رأسه بمدخل مدرسة ألغ بيك وقيل في هذه الحادثة شعر :

ان قاتل أبيه لا يليق بالملك

واذا لاق به لا يبقى غير ستة شهور (١)

## ٦ - ميرزا عبد الله

( ٨٥٤ - ٨٥٥ هـ )

ميرزا عبد الله هو ابن ميرزا ابراهيم سلطان بن شاهرخ وقد وصل الملك من بعد قتل عبد اللطيف فيما وراء النهر وابتلى أول حكمه بعصيان أبى سعيد حفيد ميرانشاه لكنه غلبه في فترة وجيزة ، فولى أبو سعيد وجهه لاجئا لأبى الخير خان ملك الأوزبك واستمده ، وفي جمادى الأولى (٨٥٥ هـ) تمكن من ميرزا عبد الله على بعد فراسخ أربعة من سمرقند وأرداه قتيلا .

## ٧ - ميرزا بابر

( ٨٥٢ - ٨٦١ هـ )

وبعد أن فر ميرزا بابر بن ميرزا بايسنغر من هراة أمام أخيه ميرزا سلطان محمد وقضى مدة من الانتقال والقتال غلب في النهاية وعاد ثانية

---

(١) البيت بالمرايسية : بددكش بادشاهى رانشايد . . اكرشاييد  
بجزششه نياید .



الى سلطنة هراة وفي هذه المرة قتل أخاه بعد لقاء ثان بينهما وظل يحكم مستقلا في خراسان وهراة مدة سبعة أعوام الا أن جهان شاه قرا قويونلو أخرج عن يده في ( ٨٥٧هـ ) العراق وفارس وكرمان • وقد توفي ميرزا بابر عام ( ٨٦١هـ ) •

## ٨ — السلطان أبو سعيد

( ٨٥٥ — ٨٧٣هـ )

ميرزا سلطان أبو سعيد هو ابن ميرزا سلطان محمد بن ميرانشاه وقد اعتلى عرش ما وراء النهر بعد قتل ميرزا عبد الله بعون من أبي الخير خان الأوزبك في ( ٨٥٥هـ ) وهو — وقد بنى باحدى بنات ألغ بيك — الملك الوحيد بعد شاهرخ من أسرة تيمور الذى ضم بضعة أجزاء هامة من بلاد تيمور زمانا تحت ادارة واحدة وقيامه كذلك بفتوحات عظيمة •

بعد أن تغلب أبو سعيد على أحفاد شاهرخ استصفى هراة وغزنة وكابل وسيستان ثم خوارزم بعد قليل وفي ( ٨٧٢هـ ) لما قتل أوزون حسن الآق قويونلو جهانشاه القرا قويونلو واضطربت أوضاع بلاد الأخير استدعى أمراء العراق وكرمان وأذربايجان أبا سعيد لحكمهم فبلغ ( ميانج ) بهدف الاستيلاء على أذربايجان وخطب أوزون مصالحته الا أن أبا سعيد لم يقبل وقد أخذ منه الغرور وهاجم أران عن طريق أردبيل • فقطع حسن بيك طريق المؤونة على جنوده ففشى الجوع فيهم والعطش ثم انتصر حسن بيك في حربه لأبى سعيد ، وقبض على أبى سعيد أثناء فراره ، وفي الخامس والعشرين من رجب ( ٨٧٣هـ ) تجرع كأس القتل بعد ثمانية عشر عاما من الحكم •

## الأمراء التيموريون الباقون

بعد أن قتل أبو سعيد عادت إيران وما وراء النهر إلى حال من الفوضى والهرج والمرج فقد أعلن ميرزا سلطان أحمد (٨٧٣ - ٨٩٩ هـ) نفسه ملكا فيما وراء النهر من ناحية وطوى تراكمية الآق قويونلو آذربايجان والعراق من ناحية أخرى تحت أمرتهم وحرص حسن بيك مؤسس هذه الأسرة ميرزايا دكار محمد بن ميرزا سلطان محمد بن بايسنقر على استخلاص خراسان واشتبك مع سلطان حسين ميرزا حفيد بايقرا بن عمر شيخ ابن الأمير تيمور الذي كان مستوليا في هذه الآونة على خراسان لكنه هزم في (٨٧٤ هـ) ، فأعاد أوزون حسن معاونته وكان النصر هذه المرة له وفسر أمامه سلطان حسين ميرزا بن بايقرا ودخل يادكار محمد هراة . وبعد قليل باغت سلطان حسين ميرزا في الحرم (٨٧٥ هـ) يادكار محمدا بالهجوم وقتله في صفر من هذا العام وانهارت أسرة شاهرخ بقتل يادكار محمد . ومقارن هذه الأيام على نحو ما سوف نبين ضمن تاريخ الصفويين بلغ الأوزبك ببلاد ما وراء النهر قوة كبيرة ، وبعد أن قضوا على الحكم التيموري في هذه الناحية شرعوا في مهاجمة خراسان ولهذا صار سلطان حسين ميرزا الذي طال حكمه من (٨٧٥ هـ) حتى (٩١١ هـ) فريسة هجومهم على خراسان آخر حكمه وتحرك هذا السلطان في (٩١١ هـ) من هراة لدفعهم ، لكن أجله وافاه ولما يسر بضعة منازل في السادس عشر من ذي الحجة من هذا العام وسقط أولاده الذين انهزموا من الأوزبك في خراسان وآذربايجان وفارس وانتهت الأسرة التيمورية بهزيمتهم .

والسلطان حسين ميرزا بن بايقرا أحد أشهر الأمراء التيموريين لأنه فضلا عن حال الأمن والراحة النسبية التي نعم بها أهل خراسان وهراة مدة حكمه فإن عصره هو ألمع عصور الحضارة في عهد تملك التيموريين ، فقد كان هو نفسه فاضلا شاعرا واجتهد في جمع الفضلاء وأهل الفنون

في بلاطه اجتهدا بليغا وكان أقام مدرسة ومكتبة كبيرة في هراة لطلاب العلوم لم ير نظيرها حتى ذاك العهد وكان يدرس فيها نحو عشرة آلاف طالب على نفقته أنواع علوم العصر وشيد هو وأمرأؤه في هراة الأبنية والمباني الكثيرة والتي تعد أفضل الأعمال الضخمة المعمارية والمتصفة بالجمال الفني للمعمار الاسلامي . وصنف باسمه المؤرخون الكتب التاريخية المتعددة ونظم الشعراء كثير قريضهم له ، ومن كان معـاون السلطان حسين ميراز ومؤازره في هذا الأمر وزيره المحب للعلوم الأمير نظام الدين عليشير ( ٨٤٤ - ٩٠٦ هـ ) الذي تخلص في الشعر الفارسي والتركي بالنواثي . ومن مفاخر عهد السلطان حسين ميرزا ووزيره الشهير وجود عظام مثل مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي الشاعر الكبير والفاضل العالي القدر وأمير خوند المؤرخ مؤلف كتاب ( روضة الصفا ) و ( بهزاد ) الرسام الأستاذ وعدد غيرهم كثير (١) .

( ١ ) كان حريا بالمؤلف ان يفصل في نهضة ايران العلمية والادبية والفنية عهد التيموريين ، اذ شهدت البلاد عهد تيمور وخلفائه بواجبا في العلوم العقلية اثر تشجيعهم لعلمائها خاصة النجوم والرياضة والجغرافيا والحكمة والطبيعة والتاريخ . وقد كان من بين الحكام انفسهم العالم ذو الفهم والبصرة . ومن من لم يسمع بالغ بيك ومرصده المشهور ؟ وقد أورد الاديب والوزير الشهير عليشير النواثي وزير حسين ياقرا في كتابه مجالس النفائس ان الغ بيك كان يحفظ القرآن كله بالسبع قراءات وليس كما ظن غامبرى حين ذهب الى انه كان يتميز بملكة حفظ قوية حتى انه كان يحفظ سبع سور من القرآن ، وما حفظ الغ بيك لسبع سور بدليل على قوة حافظته . وكان الا بيك عالما بالنجوم وقد بدأ في اقامة مرصده الشهير عام ( ٨٣٢ هـ ) . ويصف عبد الرازق السمرقندي صاحب « مطلع السعدنين » الآلات التي شاهدها فيه كما دهش عندما شاهد الكرات السماوية وعليها النجوم والكواكب وكذا الخرائط التي تبين صورة كل اقليم في دقة تامة . ويدل بناء مثل هذا المرصد على تقديم علوم الفلك والرياضة والجغرافية . وكان تيمور كما ذكر السمرقندي يهتم أكثر بعلوم الدين والتصوف يقول ( كان يرأى تعظيم السادات والعلماء ويكرم الائمة والصالحين ويبالغ في تقوية الدين والشرع المبين ، ولم يشرع احد في زمانه في التاليف في علم الحكمة والمنطق ) فكان ان الحق الغ بيك رعايته بالعلم التطبيقية بعلوم الدين والتصوف . ومن العلماء الذين ألفوا بالفارسية في هذه العلوم غياث الدين

الحسينى الأصفهاني الذى ألف كتابه ( دانشنامه جهان ) فى علم الحكمة الطبيعية ( ٨٧٩هـ ) بإسم الأمير محمود بن أبى سعيد ، وكمال الدين الخوارزمى ( متوفى ٨٤٠ ) وسيد صاين الدين تركة وقد أثرى العربية والفارسية بمزيد مؤلفاته التى أنبخت على علوم الدين والتصوف والحكمة وبلغت مؤلفاته العربية اثنى عشر كتابا والفارسية سبعة عشر كتابا ورسالة . ولا ينبغي اغفال العلامة جلال الدين الدوانى الذى عاش بين التركمان الإق قوينلو وألف باللغتين ما يربو على عشرة كتب فى علوم التوحيد والتصوف والحكمة والأخلاق . هذا ويشيد خواندمير بالسلطان حسين بايقرا ويمدح فيه حبه للعلماء ورجال الدين وكان يدعوهم لمجالسته يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع يفترق من علومهم أن يتناظرون لديه . وقد التحق بمعرفته أو وزيره على شير جمع كبير من العلماء والفقهاء والتصوفة منهم ( مولانا حسامى الخيوى ) أحد تلامذة عبيد الله أحرار شيخ الطريقة القشينية ، ومولانا نصيح الدين وكان ذا حظوة لدى على شير وله شروع مفيدة على أهم كتب المذاهب فى عصره ( متوفى ٩١٩ ) وكان للشاعر الشهر نور الدين عبد الرحمن الجامى غوق شعره ونثره مؤلفات فى علوم الدين والتصوف والحكمة والفلسفة . ومن تلاميذه ومشهورى الفقهاء الملا عبد الله جعفر ( م ٩١٦ ) ومولانا معين الدين الغرائى صاحب المؤلفات فى سيرة النبى الأكرم وأركان الإسلام ، والحسين الواعظ الكاشفى ( م ٩١٠ ) الذى قاربت مؤلفاته أربعين فى التفسير والتصوف والنجوم والأدب والأخلاق . ثم مولانا محمد القاضى صاحب ( سلسلة العارفين ) ، وعلاء الدولة الغازى السمرقندى الشهير بدولتشاه صاحب تذكرة الشعراء التى ألفها عام ( ٨٩٢هـ ) فضلا عن شيخ الإسلام أحمد التفتازانى صاحب المؤلفات فى الفقه ومولانا الشيخ حسين وكان غدا فى علوم الحكمة والكلام ولم يكن السلطان أبو سعيد يبرم أسرا دون مشورته وكان ضليعا فى الحكيميات والمنقولات والمحدث مير جلال والفقهاء القاضى اختيار وغيرهم .

أما علم التاريخ فقد راج بذوره فى هذا العصر ومن اسباب رواجه فضلا على تشجيع الحكام لتخليد مآثرهم هذه السفارات التى أوردتها صاحب مطلع السعدين فقد ذكر وصفا لرحلتين تجاريتين بدأت أولها من هراة ووصلت الصين وأطلقت الثانية من ميناء هرمز وكان المؤلف أحد أعضائها قاصدة الهند . ويصف السمرقندى ذاك الميناء وصفا دقيقا ويذكر ما كان يجمع فيه من خلق وغدوا من كل حذب وصوب مصطحبين طرائف ما تنفتح بلادهم . وأقدم مؤرخى هذا العهد هو نظام الدين التماسى أو شنب غازانى صاحب ( ظفر ناه ) الذى ألفه بناء على أمر تيمور ( ٨٠٤ ) وقد وضع تيمور بنفسه تحت تصرف المؤلف ما احتاجه من أسناد ووثائق . ثم ذيل هذا الكتاب فى عهد شاهرخ وبناء على أمره مؤرخ شهير هو حافظ آبرو ( ٨٣٤ ) الذى أكمل

نقصه بإثبات أحداث آخر عهد تيمور . وصار هذا الكتاب أساسا لكتاب شرف الدين اليزدى ( م ٨٥٨ ) . ( ظفر نامه تيمورى ) . ولأبرو كتابا هاما أحدهما فى التاريخ وهو ( زبدة التواريخ ) الفه لبايسنقر فى أربعة مجلدات منها حوادثه عند عام ( ٨٢٩٠ ) وثانيهما فى جغرافية ولايات ايران وقد طمعه بكثير من المعلومات التاريخية القيمة . أما كتاب اليزدى الآلف لذكر نقد وضع لابراهيم سلطان بن شاهرخ على غرار جهانكشا الجوينى عام ٨٢٨ . وقد تبس منه ميرخواند صاحب روضة الصفا وخواند مير مؤلف جيب السير . وكتاب مطلع السعدين لكمال الدين عبد الرزاق السمرقندى ( م ٨٨٧ ) المشار اليه آنفا ذكر مؤلفه الوثائق التى حدثت بين عصرى أبى سعيد الایلخانى = ( ٧١٦ - ٧٣٦ ) وأبى سعيد التيمورى ( ٨٥٥ - ٨٧٣ ) . ومحمد خاوند شاه المشتق بهيرخواند ( ٩٠٣ ) وضع كتابه روضة الصفا على سبعة أجزاء لم يتم منها لمرضه الا الستة الأولى وقد بدأت بتواريخ الأتبياء وانتهت الى عهد أخلاف تيمور أى عام ( ٨٧٣ ) . وقد كتب السابع ابن أخته غياث الدين بن همام خواندمير ( م ٩٢٤ ) واشتهر بحبيب السير وقد شمل تاريخ عهد حسين بايقرا ثم ذيله رضا قلى خان هدايت فى عهد القاجاريين بالمجلدات الثامن حتى المائى فى تاريخ الصفوية والزندية وبعض القاجارية أى حتى عام ( ١٢٧٤ هـ ) ولخواندمير كتب أخرى مثل ( نامه نامى ) أو الكتاب الشهير ودستور الوزراء وخاصة الأخبار فى أحوال الأخيار . وأخيرا يعد كتاب ( روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة ) لمؤلفه معين الدين الزمى الأسفزارى ( م ٨٩٩ ) من أهم الكتب فى تاريخ مدن هراة خاصة ومدن خراسان عامة . وقد تتبع فيه تاريخ هذه المدن من الفتح العربى حتى العام الخامس والعشرين من حكم السلطان بايقرا الذى أهدى والف الكتاب له .

أما عن الآداب فقد عمل بها طائفة من السلاطين التيموريين ومن أول من قال شعرا منهم هو شاهرخ الذى نظم بالفارسية والتركية ولا يزال غزله فى زوجته ( جوهز شاد ) مشهورا فى الفولكلور الهروى . وقبله ترك خليل ميرزا شعرا فى زوجة ( شاد ملك ) حينما غرقت بينهما الأيام وذكر له دولتشاه السمرقندى بعضا من اشعاره . أما بايسنقر فبقى عنه شعر فضلا عن حبه الأدب وجمعه لشاهنامه الفردوسى . وكان السلطان اسكندر بن عمر شيخ قرض الشعر بالتركية والفارسية . وترك أحمد بن شاه ديوانا ومثنويسا بعنوان ( لطافت نامه ) . أما أبو سعيد فقد مدحه خواندمير بحماية للأدب والأدباء وظهير الدين بابر - سس الدولة المغولية بالهند غنى عن التعريف بكتابه « بابر نامه » بالجفتائية الذى ضمنه سيرته وآبائه ووصف فيه مغامراته والبلاد التى زارها يعد بحق أصدق المراجع التى يرجع اليها للاطلاع على أحوال العصر وشخصياته . والسلطان حسين ميرزا بدوره

شهير في هذا المضمار ، فقد عرف بقرضه الشعر بالفارسية والتركية وأورد وزيره على شير في المجلس الخاص بهذا السلطان من كتابه شعره التركي ، كما أثبت له شعر فارسي . كما نشأ على فراره من أولاده من قال شعرا ذكر منهم على شير بدیع الزمان ومحمد مؤمن وفريدون ميرزا وأورد شعرا لكل . وقد زاد على شير في مجالسه على مدن ذكرهم من السلاطين وأبنائهم أما بكر ميرزا حفيد تيمور والسلطان احمد ميرزا وبايقرا ميرزا شقيق حسين بن بايقرا وكيجيك ميرزا ومحمود ميرزا بن السلطان أبي سعيد . كما احصى امراء هؤلاء السلاطين الارباء من قبل شيوخهم السهيلي مسدوح الكاشفي وله مثنوى ليلي والمجنون وميرزا مقيم كيخسروي وهما من امراء بايقرا وكذلك ميرزا قاسم ولدي ، ناهيك عن الشعراء الوزراء وأشهرهم على شير الذي اشتهر سياسيا وقائدا ووزيرا ثم ادبيا . وترجع شهرة على شير بالادب الى نظمه خمسة دواوين اربعة منها بالتركية وهي ( غرائب الصغر - فواخر الشباب - بدائع الوسط - غوائد الكبر ) والخامس بالفارسية وتعدى ستة الاف بيت ، هذا فضلا عن مثنوياته الخمسة وهي حيرة الابرار وغرهاد وشربين وسد سكندري وقصة الشيخ صنعمان وسبعة سيطرة . وكتبه الاخرى للشعرية والفنرية باللغتين منها مثنوى لسان الطير وسراج المسلمين ونظم الجواهر ومحبوب القلوب وقاريخ انبياء ونسائم المحبة ورسالة عروضية وخمسة التحيرين في احوال جامي الشاعر ومحاكمات اللغتين الذي سمي فيه ان يثبت اسبقية التركية على الفارسية ثم كتابه الشهير مجالس الفنايس . وقد ألف هذا الكتاب بالتركية وأورد فيه تراجم الشعراء عصره وجعله في ثمانية مجلدات : الاول لشعراء أدرك على شير آخر عمرهم والثاني لشعراء عاصرهم في صباه وشبابه والثالث لشعراء اتصلوا به زمن شهرته والرابع لشعراء لم يشتهروا بالشعر وقالوه مصادغة والخامس لشعراء خراسان الملقين والسادس لغيرهم من اصحاب الدواوين والسابع للسلاطين الشعراء والثامن والاخير في لطائف السلطان حسين بايقرا . وقد ترجمه غزري الهرازي الى الفارسية عام ( ٩٢٨ ) والحق به الفصل التاسع في احوال على شير وآخرين .

أما الشعراء غير الحكام منهم كثيرون ولكن من اشتهر منهم بشعر جيد قليل منهم نعمة الله ولي ( م ٨٣٧ ) شاعر شاهرخ وسهرقند وخواجه عبد الله الهاتفي ناظم سيرة تيمور شعرا وعصمت البخاري شاعر خليل والبع بك ( م ٨٤٥ ) وحسين كبرى حفيد نجم الدين كبرى . وعد غامبري من شعراء تيمور وكتابه سيد على الهمداني ولطف الله النيشابوري وكمال الدين الخجندی وأحمد الكرمانی . أما شعراء عهد بايقرا فأشهرهم عبد الرحمن الجامي آخر الشعراء العظام وكان ميرزا في النظم والسنن وعلوم الدين والفلسفة وسائر علوم العصر . نظم ديوانا ومثنويات سبعة ( هفت اورنگ )

كسبحة الإبرار وقمعة الأحرار ويوسف وزليخا وليلى والمجنون وسلامان وأيسال وسلسلة الذهب وغيرها ، وكتبه النثرية كثيرة منها نفحات الإنس وبهارستان ونقد النصوص وأشعة اللغات وغيرها كثير . وبعد الجاهى ذكر يابر حسين على طفلى جلاير وبنائى الهروى وسينى بخارى وابن أخت الجاهى عبد الله مثنوى كوى ومير حسين معمارى ويوسف بنديى وغيرهم . والجدير بالذكر ان الأدب فى تركيا والهند وما وراء النهر يدين فى بعض أسباب ظهوره لهذا العصر ، فالأدب التركى شاع على يد على شير وبابسر ثم أخذ يقرض فى اسلامبول بعد ذلك ولم يثبات قبل هذا العصر هذا النفوذ الأدبى للغة الفارسية فى تلك البلاد سواء فى تأثيرها فى لغاتها المحلية أو فى رواجها فيها . هذه النهضة فى الآداب والعلوم جعلت لفظ ميرزا لقباً لأولاد تيمور يطلق حتى عهد قريب فى ايران علماً على المثقف الأديب وصاحب القريحة والعقل وذلك لاقتراحه بالأمراء التيموريين أصحاب الفضل والعلم من قبيل شاهرخ والبع بك وبابسنقر وحسين بايقرا ومن اليهم .

جميع تيمور كنوزاً وثروات طائلة من غزواته فى مختلف أجزاء آسيا انفق جزءاً عظيماً منها فى إقامة المنشآت الفخمة التى رام بها تزيين حاضرتيه هى ومستقر رأسه ، وحرص تيمور على ان يخلد ذكر كل نصر باهر أحرزه وكل حادث قد وقع له بتذكارات من المنشآت وجلب لذلك مئات من البنائين من الهند وأبهر رجال المعمار من بلاد ايران ودمشق . ولقد أمر تيمور بآقامة منشآت كثيرة فى أجزاء مختلفة من دولته من بينها مسجد فى تبريز وقصر فى شيراز ومدرسة فى بغداد وضريح على قبر الولى المشهور أحمد اليسوى بمدينة التركستان وأجمل هذه المنشآت التى يتجلى فيها ذوق تيمور الرفيع ما أقسم بكش وسهرقند . غنى الأولى بنى الأضرحة والمدارس وقصر آق سراى ( القصر الأبيض ) الذى استغرق بناؤه عشر سنوات ، وفى الثانية أضوا ما يتألق فيها قصر دلکش أو المبهج الصيفى وقصر باغ بهشت أو روضة الجنة وقصر باغ شمال أو روضة الشمال وباغ نو أو الروضة الجديدة . وقد تعددت المساجد التى بناها تيمور فى سهرقند وأصفهان وغيرها . ويتميز عهد تيمور خاصة بإقامة المدارس الكثيرة وأجراء الأرزاق عليها .

وقد أصلح شاهرخ ما دمر أبوه وعمر أبراج هراة وهره ولم يترك بلداً فى نطاق حكمه الا وأعاد بناءه . وما تخلف من آثار زوجته جوهرشاد شاهزاده على اهتمامها — مناسية بزوجها — بالقشيد فى مشهد وهراة اللتين ما يزالان تحتفظان الى اليوم ببعض آثارها . وأورد يروان عن دولتشاه صورة من الحياة الفنية فى بلاط شاهرخ وذكر أربعة من مشاهير الفن غيه وهم عبد القادر الراغى استاذ الموسيقى (م ٨٣٨) ويوسف الأنشكانى المطرب وقوام الدين الشيرازى المهندس المعمارى ومولانا خليل المصور الذى عد ثلثى مائتى . وورث بابسنقر والبع بك عن والديهما حب الفن وأهله ، فأولهما كان يجمع

حولته الرسامين وأهل الطرب والخطاطين والمذهبيين والكتبة من كل ولاية وكان بايسنقر نفسه غنائنا موهوبا في الخط إذ أثر عنه مصحف شريف كتبه بخط الثلث وكذا نقشه بهذا الخط في مسجد والدته في مشهد . وألغ بيك غنى عن التعريف ومن منشأته خاتناه ومدرسة ومسجد مقطوع وقصر جهل ستون أو قصر الأريعيين عمودا . ويعتبر عهد بايقرا العصر الذهبي لارتقاء الفنون والتعمير والآداب والعلوم جميعا . وحسبنا دليلا قول بابر في غنون هذا العصر ( وكان بيلاط بايقرا كذلك طائفة من الخطاطين كان سلطان على شهيد ييزهم جميعا . أما الرسامون فقد كان بهزاد أرفعهم قدرا وكان يتقن رسوم الوجوه الملتحية ، ثم شاه مظفر وكان يتقن إبراز الملامح . أما الموسيقيون فلم يكن منهم بجيد العزف مثل خواجه عبد الله مزوايد ومنهم كذلك محمد العودى وشيخى الثاني وشاه قلى العجلى ثم حسين العودى الذى كان يؤدى لحنا كاهلا على وتر واحد . أما مير غزو فكان ملحنا مهتازا لا عازفا ومثله البنائى . وكان البهلوان محمد أبو سعيد فردا في غنه نبيغ في مختلف ألعاب القوى ) .

وفي باب التعمير في عهد بايقرا ، أنشأ وزيره على شير سبعين وثلاثمائة بناء من مساجد ومدارس وخانات وأما بقى منها حتى اليوم سبعة أبنية في إيران خلاف ما هو موجود في أفغانستان وجنوب روسيا . وبلغت هراة في عهد بايقرا أقصى درجة اتساعها إلى حد تعمير السير في طرقاتها وأسواقها لكثرة الخلق وتعدد الخروج والدخول في طرقها . ويحمد خواندمير داب بايقرا على تعمير البلاد فكان يبتاع من ماله الخاص مناطق يوقفها لأعمال الخير كما كان يشارك بنفسه في زرع الحدائق والأشجار . وقد أصبحت العماير السلطانية وشوامخ البنين موضوعات لشعر الشعراء وأشهرهم الجامى . ويشفيض الاسفزارى في وصف مسجد هراة الجامع وقلاعها ولواحقها ودروبها وأبوابها الخمسة وأسواقها الأربع وبروجها المائة والأربعين وخندقها وقاس محيطها وقطرها وسمى نهرين يجريان بها . ولم يصب هذا السلطان اهتمامه على هراة وحدها وإنما عبر في طول البلاد وعرضها البوادي والأماكن المهجورة حتى اتصلت المسافة المهجورة بين مرغاب ومروشا جهان وكان طولها ثلاثين فرسخا وكذلك بين سرخس ومرو وكانت تقرب من خمسة وعشرين فرسخا .

راجع في ذلك المصادر الفارسية الآتية : (١) مجالس النفائس لملى شير النوائى ترجمة غفرى هراتى . تحقيق على أصغر حكمت . تهران (١٣٢٨) ص ١٠٨ - ١٣٠ ، ١٧٢ ، ٩٩ (٢) حبيب الير لخواندمير ص ٢٠٢ ، ٣٤٤ - ٣٥١ (٣) سيكتشفاى يا تاريخ تطور نثر فارسى : محمد تقى بهار ( تهران / ١٣٣٧ ش ) ج ٣ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٢ (٤) اثر سعدى تاجامى . ادوارد براون . ترجمة على أصغر حكمت ( تهران / ٢٥٣٥ شاهنشاهى ) ص ٥٣٢ - ٥٣٦ ، حاشية ٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٦٧٣ ، ٦٧٧ ، ٥٥٧ - ٥٥٨ (٥) جامى : على أصغر حكمت ( تهران / ١٣٢٠ ش ) ص ١٣٢ ،



## اسماء الأمراء التيموريين وزمان لكل منهم

- ١ — الأمير صاحب القران تيمور ( ٧٧١ — ٨٠٧ هـ )
- ٢ — ميرزا خليك سلطان بن ميرانشاه بن تيمور ( ٨٠٧ — ٨١٢ هـ )
- ٣ — ميرزا شاهرخ بن تيمور ( ٨٠٧ — ٨٥٠ هـ )
- ٤ — ميرزا ألغ بيك بن شاهرخ ( ٨٥٠ — ٨٥٣ هـ )
- ٥ — ميرزا عبد اللطيف بن ألغ بيك ( ٨٥٣ — ٨٥٤ هـ )
- ٦ — ميرزا عبد الله بن ابراهيم بن شاهرخ ( ٨٥٤ — ٨٥٤ هـ )
- ٧ — ميرزا بابر بن ميرزا بایسنقر بن شاهرخ ( ٨٥٢ — ٨٦١ هـ )
- ٨ — أبو سعيد بن سلطان محمد بن ميرانشاه ( ٨٥٥ — ٨٧٣ هـ )
- ٩ — سلطان احمد بن أبي سعيد ( ٨٧٣ — ٨٩٩ هـ )
- ١٠ — سلطان محمود بن أبي سعيد ( ٨٠٩ — ٨٩٠ هـ )
- ١١ — سلطان حسين بن بایقرا ( ٨٧٥ — ٨٩١ هـ )

---

١٣٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢ (٦) روضات الجنات للأسفزاری ص ٢٢٠٣٠٣٠٧٧-٨٠٠  
 والمقدمة ص (بج) . فضلا عن ( تاريخ بخارى ) ص ٢٤٩ — ٢٩٤ وحواشيها .  
 ومن رحلة الطالب العملية من الكتاب حتى الانتهاء من التعلم والإجازه  
 بالتدريس انظر رسالة المترجم للماجستير ( الكاشفي وكتابه اخلاص  
 بحسنى ) بكتبة جامعة القاهرة من ص ١٤ حتى ص ١٨

## الفصل الحادي عشر

### التركمان القراقويونلو

( ٨١٠ — ٨٧٣ هـ )

و

### الآق قويونلو

( ٨٧٣ هـ — ٩٢٠ هـ )

منذ أواخر عهد سلطنة الايلخانات بلغ في ايران القوة بالتحريض جماعة من التركمان الذين هاجروا أثناء غزواته المغول من خسارزم وأطراف بحيرة آرال وشرقي بحر الخزر الى آسيا الغربية والقوا برحالهم في شمالها الغربي وشمال الجزيرة ، واستفادوا من الضعف الذي حدث بعد موت أبي سعيد بهادر خان فأخذوا يغيرون على الأطراف ويستصفون البلاد . وأشهر هذه الطوائف البدوية للتركمان اثنتان أولاهما جماعة القراقويونلو أي أصحاب الخراف السوداء التي سكنت شمال بحيرة ( وان ) وثانيتهما جماعة الآق قويونلو أي أصحاب الخراف البيضاء الساكنة ديار بكر . وسبب تسمية هاتين الجماعتين بهذين الاسمين بقول البعض هو لون أعلامهم وبقول بعض آخر لون خرافهم . وقد ظهر التركمان القراقويونلو قبل الآق قويونلو بنحو نصف قرن وظلوا في صراع دائم مع تيمور قبل نجاحهم في تأليف سلطنة لاعتقادهم المذهب الشيعي بينما كان الآق قويونلو خلافا لهم اتبعوا للمذهب السني وكانوا يمدون تيمور في غزواته .

## ١ - أمراء القرا قوينلو

### ١ - قرا يوسف بن قرا محمد

( ٨١٠ - ٨٢٣ هـ )

أمراء القرا قوينلو هم أبناء من يسمى قرا يوسف بن قرا محمد وكان قرا محمد من أمراء السلطان أحمد الجلايري وأبا زوجته وقد سبق ذكره وذكر ابنه قرا يوسف ضمن تاريخ السلطان أحمد الجلايري والأمير تيمور وأولاده في الفصول السابقة .

استولى قرا يوسف كما سبق القول أثناء هجوم تيمور على الأناضول على عراق العرب وطرد منها السلطان أحمد الجلايري فأرسل الأمير تيمور بهميرزا أبي بكر بن ميرانشاه وميرزا رستم ابن عمر شيخ حفيديّة لصد قرا يوسف هذا فهزمه فولّى فارا إلى مصر وألقى السلطان المصري الملك الناصر نرح به وبالسلطان أحمد الجلايزي الذي كان كان النجاء إليه قتل ذلك في نحته خوفا من الأمير تيمور .

وبعد ذبوع نبأ موت تيمور أتى قرا يوسف آذربايجان وفي جمادى الأولى ( ٨٠٩ هـ ) في ما حول نخجوان هزم الأمير أبا بكر ميرزا وأخذ منه تبريز . وفي الحرب التالية التي جرت في الرابع والعشرين من ذي القعدة ( ٨١٠ هـ ) بينه وبين أبي بكر وابن ميرانشاه قتل الأخير ومجد قرا يوسف سيطرته على كامل آذربايجان ورقى ابنه ( بير بداق ) في نفس العام السلطنة وقام باسم أبيه بالقتال وفتح البلاد ، فبدأ بهزيمة قرا عثمان البائبري رئيس الآق قوينلو في ديار بكر ثم أصاب بالقرب من تبريز السلطان أحمد الجلايري بالهزيمة والقتل وضم إليه العراق العربي ، وفي ( ٨١٥ هـ ) أنزل بأمير شروان ومالك الكرج الهزيمة ، وفي ( ٨١٦ هـ ) استخلص السلطانية وسادة وقزوین وطارم وتقدم من

ناحية الغرب أيضا حتى حلب . لكنه في ( ٨٢٣ هـ ) حين أتى لصد شاهرخ مات في أوجان بأذربايجان موت الفجاءة ففتفرق جنوده . ومع أن قرا يوسف أعلن في البداية سلطنة ابنه بيرمداق لكن ابنه بما أنه مات حول اليه وباسمه السلطة . ومجموع امارة الابن والأب أربعة عشر عاما .

## ٢ - اسكندر بن قرا يوسف

( ٨٢٣ - ٨٣٩ هـ )

بعد موت قرا يوسف رفع القرا قويونلو الأمير اسكندر ابنه الى الامارة وتقاتل في السابع والعشرين من رجب ( ٨٢٤ هـ ) مع شاهرخ وغلب على أمره الا انه لما عاد شاهرخ الى خراسان أعاد آذربايجان الى امرته وحاز انتصارات في أرمنية وأران وبلاد الأكراد كذلك . وفي ( ٨٣٣ هـ ) استصفى السلطانية من أيدي أتباع شاهرخ ولهذا جرد شاهرخ جيوشه ثانية على آذربايجان قاصدا القرا قويونلو وفي ذي الحجة ( ٨٣٣ هـ ) تقاتل في ( سلماس ) مع الاسكندر وأخيه جهانشاه . ومع ان الاسكندر أظهر في الحرب مقاومة مستبسلة لكنه لم يصبر على المقتال فهرب الى الأناضول وعاد شاهرخ الى خراسان ، وفي السنة التالية استخلص الاسكندر آذربايجان اليه فأجبر شاهرخ على أن يعود لصدده . وفي هذه المرة أخذ جهانشاه وجماعة اخرى من رؤوس القرا قويونلو جانب شاهرخ فاضطر اسكندر الى الهروب ، وأثناء هروبه قطع قرا عثمان البايندرئ عليه الطريق فأرداه اسكندر قتيلا في أرزنة الروم ( ٨٣٩ هـ ) . وبعد قليل عاد الى آذربايجان لكنه هذه المرة لقي الهزيمة من أخيه جهانشاه المتابع لشاهرخ وهر الى نخجوان وبها قتل بيد ابنه في الخامس والعشرين من شوال ( ٨٤١ هـ ) .

### ٣ - جهانشاه بن قرا يوسف

( ٨٣٩ - ٨٧٢ هـ )

نصب جهانشاه أميرا في ( ٨٣٩ هـ ) أي حينما أتى شاهرخ للمرة الثالثة الى آذربايجان وفر الاسكندر وهو أشهر أمراء القرا قويونلو من كل ناحية وأفضلهم لانه كان شاعرا محبا للفضل والأدب ذواقالهما وبلغت دولته في عهده أوج عظمتها واتساعها فقد غلب في ( ٨٤٤ هـ ) الكرجيين واستولى على العراق من يد أحد اخوته وألحق به ( ٨٥٠ هـ ) العراق العجمي وفارس وكرمان ، وفي ( ٨٦٢ هـ ) هاجم هراة لضمها واستولى عليها بعد هزيمة لميرزا علاء الدولة التيموري . وفي النهاية لما علم بثورة ابنه في آذربايجان صالح غريمه ميرزا سلطان أبا سعيد وترك له خراسان وعاد الى تبريز وأحمد نيران الفتنة التي اشتعلت في آذربايجان وبغداد وفارس قبل ، وبقيت أجزاء كبرى من ايران والعراق فترة تحت ادارته فشاخ الأمن والهدوء فيها . الا أن هذا المصلح لم يدم لأن رجلا أقوى منه ظهر بين قبيلة الآق قويونلو واسمه حسن بيك كان يضمم الشنشان له للانحسار القديمة بين القبيلتين . ولما توجه في ( ٨٧٢ هـ ) جهانشاه اليه لقتاله بديار بكر بوغت بالهجوم وهزم وقتل بين فبراره .

ومن آثار جهانشاه القرا قويونلو الخيرية مسجد في غاية الابداع اسمه المسجد الأزرق أو ( كوى مسجد ) والذي لا يزال بعضه باقيا الى الآن مع اصابته بزلزال حدث بتبريز يعد من أفضل أعمال القاشاني والمعمار الاسلامي .

### ٤ - حسنعلی میرزا

( ٨٧٢ - ٨٧٣ هـ )

آخر أمراء هذه الأسرة هو حسنعلی میرزا ولد جهانشاه الذي ظل حبيسا في قلعة ( باکويه ) أو ( باکو ) في عهد والده مدة خمس وعشرين

سنة ولهذا لما أخرج من حبسه وجلس محل أبيه لم يكن فيه بقية عقول ،  
فأثلف خرائن أبيه وقتل كثره من أمرائه وأتباعه ولقى هزيمة من حسن  
بيك الآق قويونلو وأخسرى في (٨٧٣هـ) من ابنه وانتهت أسرة الأمراء  
القرأ قويونلو في نفس هذا العام (٨٧٣هـ) .

#### اسماء امراء القراقويونلو وزمان كل منهم

- ١ - قرأ يوسف بن قرأ محمد (٨١٠ - ٨٢٣هـ)
- ٢ - اسكندر بن قرأ يوسف (٨٢٣ - ٨٣٩هـ)
- ٣ - جهانشاه بن قرأ يوسف (٨٣٩ - ٨٧٢هـ)
- ٤ - حسنعلی میرزا بن جهانشاه (٨٧٢ - ٨٧٣هـ)

#### ب - أمراء الآق قويونلو

- ١ - الأمير حسن بيك بن علي بن قرأ عثمان  
(٨٧٢ - ٨٨٢هـ)

مؤسس أسرة أمراء الآق قويونلو هو أبو النصر حسن بيك الذي  
سمى بسبب طول قامته بالتركية (أوزون حسن) أي حسن الطويل وهو  
حفيد قرأ عثمان الباييندری الذي سبق ذكره . وكان قرأ عثمان هذا كماً  
رائياً دائماً الانجيز للأمير تيمور وكان يركبه في غزوة الأناضول .  
وبعد أن أخذ الأمير حسن بالعلبة رئاسة القبيلة من يد أخيه الأكبر  
تسلط على أرمينية الغربية والوادی الأعلى لنهر دجلة وأدخل طاعته  
الأكراد في هذه المنطقة . وكانت أمه إحدى الأميرات المسيحية من أسرة  
الحاكم الميوناني لطرابزون ولهذا دخل في اتحاد مع آخر حاكم لهذه  
التاحية ، وتزوج أيضاً ابنة أخ هذا الحاكم ، وأولم هذه المرأة واسمها .

كاترينا ولدا وبنتين ، وتزوج الشيخ حيدر الصفوى احدى هاتين البنيتين  
والتي سميت (مارتا) أو (علمشاه خاتون) ومارتا هذه هى أم الشاه  
اسماعيل وجدة السلاطين الصفويين . وفى نفس هذه الأيام أى فى  
(١٨٥٧م) فتح السلطان محمد الثانى العثمانى مدينة استانبول  
(القسطنطينية) وأدال دولة الروم الشرقية وبسبب قرابة أسرة  
إمبراطور طرابزون لأباطرة الروم الشرقية ومجاورة طرابزون لحدود  
أملاك محمد العثمانى أراد هذا السلطان الفاتح ضم هذا البلد كذلك  
فراسل حسن بيك السلطان لكى يمتنع عن الاستيلاء على هذه المنطقة  
لأنها تحت حمايته . فلم يأبه السلطان لطلبه وضم طرابزون الى  
أملاكه ، فأخذوا أزودون حسن يغير على الأناضول مدة الى ان قر بينه  
وبين السلطان شبه الصلح .

وبعد استقرار الأوضاع فى الغرب اتجه الأمير حسن الى الحدود  
الشرقية لبلاده أى بلاد جهانشاه القراقويونلو ، ووقع فى مخالاب هذا  
الغريم القوى جهانشاه الذى كانت كل حواسه هذه الأوقات منصرفة  
الى عراق العجم وفارس وخراسان وقد غفل عن حدوده الغربية ،  
ونتيجة لهذا الفتح الذى تيسر له فى (٨٧٢م) والنصر الثانى الذى  
حازه أمام السلطان أبى سعيد التيمورى فى (قراياغ) بأران وأزال  
عدويه الكبيرين بيسر بلغ الأمير حسن شوكة كبرى واعتبارا عظيما ،  
وانضمت اليه بمحو هذين الخصمين جميع العراق العربى والعجمى  
وفارس وكرمان حتى سواحل الخليج ونجح أبو النصر حسن بيك فى  
تأسيس مملكة واسعة الأرجاء امتدت من حدود الأناضول حتى عمان .

ولم يبق حسن على علاقاته مع السلطان محمد الثانى مدة طويلة ،  
لأنه كان يرنو الى توجيه ضربة انتقامية له لقاء فتح السلطان لطرابزون  
وقد عده حسن انتهاكا لاعتباره هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان  
الأمرء المسيحيون الغربيون خاصة دولة البندقية يدفعونه دوما لمهاجمة

الأناضول بسبب خوفهم من السلطان العثماني الذي أخذ يهاجم الجزر المتعلقة بأهل البندقية في شرق البحر المتوسط وكانوا يغرونه بالهجوم بالملك والسلاح وعقد المعاهدات ، من أجل هذا لم يعد أوزون حسن يلقي بالال للسلطان بل أخذ يحط من شأنه باللقاب دون قدره ينبذ بها في مراسلاته معه . وفي النهاية أرسل السلطان محمد أواخر (٨٧٦هـ) جيشا لجبا إلى الأناضول شنت التركمان الذين كانوا أتوا إليه في معركة جنوب قونية . وبعد أشهر عدة أي في ربيع الأول (٨٧٧هـ) تقدم السلطان بنحو مائة ألف جندي حتى أرزنجان وتواجه مع جيش أوزون حسن غرب هذه المدينة . ومع أن النصر كان في بداية القتال مع أوزون حسن وقتل على يديه وإلى الأناضول ونحو اثني عشر ألف جندي من الجيش التركي ، إلا أن السلطان محمدا تدارك الأمر فأعاد في نفس هزيمته ترتيب جنده المتشعثين بتدابيره العسكرية وهاجم الجيش الآق قويونلو من جديد فأنزل بهم هزيمة مرة وقتل أحد أبناء حسن بيك في المعركة وهرب هو إلى تبريز ، ولم يقدم بعد هذا حتى آخر عمره على مهاجمة الأناضول مع أنه لم يتخل عن فكرة غزوه .

وآخر واقعة هامة في حكم الأمير حسن بيك غزوه قفليس في (٨٨١هـ) وفتح لها واغتنامه منها أسرى كثيرين وغنائم ضخمة ، ولما فرغ من هذا الأمر وعاد إلى تبريز وافته المنية في آخر رمضان (٨٨٢هـ) بها .

## ٢ و ٣ - سلطان خليل ويعقوب بيك

(٨٨٢ - ٨٩٦هـ)

بعد موت أمير حسن بيك خلفه ابنه سلطان خليل وأنساب أخفاء يعقوب بك في إمارة ديار بكر . وبعد ستة أشهر عمى يعقوب بك أخفاء الذي كان لا هيا عابثا بغير كفاءة وفي الحرب التي جرت بينهما بالقرب



من خوى قتل خليل في الرابع عشر من ربيع الآخر (٨٨٣ هـ) وغدا يعقوب ملكا . . . . .

حكم يعقوب اثنتي عشر عاما وشهرين ومضى أغلب وقته في هذه المدة في انبساط ومعاشرة لأهل الأدب والشعر . والواقعة الهامة لحكمه هي حربه السلطان حيدر الصفوي والد الشاه اسماعيل ممدا ومساعد فرخ يسار أمير شروان في (٨٩٣ هـ) . وفي هذه الواقعة كما سنرى قتل حيدر وحبس يعقوب أولاده في قلعة اصطخر بفارس . والسلطان حيدر كان ابن خال يعقوب بك وزوج أخته لأبيه . . . . .

### أمراء الآق قويونلو الباقون

بعد موت يعقوب بك في الحادي عشر من صفر (٨٩٦ هـ) رقى ابنه ذو العشرة أعوام بایسنقر بمساعي (صوفي خليل موصول) أحد الأمراء الأقوياء للآق قويونلو ورفض الأمراء الباقون هذا الترتيب ونادوا بأخي يعقوب (مسيح) سلطانا . ودارت الحرب بين الجانبين وقتل مسيح وبعض أمراء الآق قويونلو ولم يرجعوا غير رستم حفيد الأمير حسن فاقتادوه ليحبس بأجدي القلاع . وقتل صوفي خليل في آخر (٨٩٦ هـ) في حرب مع أحد الأمراء المخالفين فصار بایسنقر فريسة المشايخين حكم رستم ولما لم يكن يستطيع مقاومتهم هرب إلى فرخ يسار في شروان . دامت سلطنة رستم (٨٩٧ - ٩٠٣ هـ) خمس سنوات ونصف سنة وأطلق في بداية حكمه سراج أولاد الشيخ حيدر الصفوي وهم (سلطان على) واسماعيل وابراهيم الذين كان يعقوب بيك حبسهم بقلعة اصطخر وأبقاهم معه . وقد تمكن يعون أخيهما الأكبر سلطانا على من قتل بایسنقر في (٨٩٧ هـ) الذي استمد ثروا نشاء يسار لكنه أساء الظن بعد قتل خليل بميلطا نعلي ففر هذا وأخوه ومريدوهم إلى أردبيل وأرسيل . رستم جيشا يتبعهم قتل سلطانا على في حربهم لهم في أردبيل . . . . .

وفي ذي القعدة (٩٠٢هـ) قبض على رستم ابن عمه (أحمد بيك) الذي تمرد عليه قبل ذلك وقتله وجعل من نفسه الأمير الحاكم . ولم يطل حكم أحمد بيك الذي اتصف بالعدل والتدين وحب العلم لأنه في ربيع الثاني (٩٠٣هـ) أهلك على يد والي كرمان العاصي ، فانقسم بعد قتله أمراء الآق قويونلو الى ثلاث عشائر رفع كل منها أحد الأمراء للحكم ودخلوا في منازعات بينهم فصارت سائر إيران بسبب هذه المنازعات في اضطراب وخراب وكانت هذه الحوادث حينما قام الشاه اسماعيل الصفوي ليأخذ بثأر أبيه وأخيه وتجمع حوله أتباع وأتسياع في جيلان وأردبيل . وأشهر الأمراء الأخيرين للآق قويونلو (سلطان مراد) ولد يعقوب بيك بن أوزون حسن و (الوند بيك) ولد يوسف بن أوزون حسن . وغلب الشاه اسماعيل الوند بيك في أوائل (٩٠٧هـ) في حوالى نخجوان ، واستخلص من يده آذربايجان ، وهزم اسماعيل أيضا سلطان مراد في السنة بعدها بالقرب من همدان وهرب مراد الى بغداد ومنها الى الأناضول الى أن قتل بيد جنود مؤسس الدولة الصفوية في (٩٢٠هـ) في ديار بكر .

### أسماء الأمراء الآق قويونلو وأيام كل منهم

- ١ — أمير حسن بيك (٨٧٢ — ٨٨٢هـ)
- ٢ — سلطان خليل بن أمير حسن (٨٨٢ — ٨٨٣هـ)
- ٣ — يعقوب بيك بن حسن بيك (٨٨٣ — ٨٨٩هـ)
- ٤ — بايسنقر بن يعقوب (٨٩٦ — ٨٩٧هـ)
- ٥ — رستم بن مقصود بن حسن بيك (٨٩٧ — ٩٠٢هـ)
- ٦ — أحمد بن أغورلو محمد بن حسن بيك (٩٠٢ — ٩٠٣هـ)
- ٧ — الوند بيك بن يوسف بن حسن بيك (٩٠٣ — ٩٠٧هـ)
- ٨ — سلطان مراد بن يعقوب بن حسن بيك (٩٠٣ — ٩٠٨هـ)

## الفصل الثاني عشر

### أصل الصفيين ونسبهم وأبداؤ أمرهم

ترجع نسبة (الصفوي) في أسماء سلاطين الأسرة التي تشكلت بهمة  
الشاه اسماعيل في عام (٩٥٥هـ) كما نعلم من اسم جد ملوك هذه الأسرة .  
وهو الشيخ صفى الدين أبو اسحاق الأردبيلي الذي ولد عام (٦٥٠هـ)  
وتوفي عام (٧٣٥هـ) ودفن في مدينة أردبيل حيث تقوم مقبرته اليوم .

كان الشيخ صفى الدين من عارفي عهده المشاهير راده كثير من  
المريدين والأتباع . وكان في بداية أمره مريدا للشيخ تاج الدين الزاهد  
الجيلاني وتزوج ابنته ، فلما مات شيخه وحموه عام (٧٠٠هـ) خلفه في  
مقام الإرشاد والتف جميع مريدي الشيخ زاهد حول صفى الدين وأزجى  
كبار العهد الاحترام اليه وكان من ضمنهم الوزير رشيد الدين فضل الله  
وابنسه الوزير غياث الدين محمد .

وبعد أن مات الشيخ صفى الدين خلفه ابنه الشيخ صدر الدين  
موسى (٧٠٤ - ٧٩٤هـ) في مقام الإرشاد ومكث فترة في حبس الملك  
الأشرف التتوباني ، وبعد أن نجا منه هاجر من أردبيل الى جيلان . ولما  
قتل الملك الأشرف بيد جاني بيك في (٧٥٨هـ) عاد الشيخ صدر الدين الى  
آذربايجان بدعوة هذا الملك وأقام مرة أخرى في أردبيل .

وبعد موت الشيخ صدر الدين خلفه أحد أبنائه بناء على وصيته منه  
وهو سلطان خواجه على وظل في مقام الإرشاد حتى عام (٨٣٠هـ) وقد  
لاقاه الأمير تيمور الجورجاني ثلاث مرات خلال خلافته لوالده .

والشاه اسماعيل مؤسس الأسرة الصفوية هو ابن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم ، وصدر الدين ابراهيم المتوفى عام (٨٥١هـ) هو ولد سلطان خواجه على السابق الذكر .

كان سلطان جنيد معاصرا لأوزون حسن وقد لاقاه في ديار بكر ، وقد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكم سلطان جنيد فأولدها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل . أما حيدر فقد بنى كما مر في سيرة أمراء الآق قويونلو بابنة خاله أوزون حسن وكانت من أسرة أمراء يونان واسمها مارتا أو غلمشاه خاتون أو ( بكى آغا ) ، فولد الشاه اسماعيل من هذه المرأة اليونانية وعلى هذا فنسب السلاطين الصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطر ايزون وبأمراء التركمان الآق قويونلو من ناحية الجدة .

وقد نسب مؤرخو العصر الصفوي هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم وأنشأوا لهم شجرة هذا النسب ، الا أن هذه النسبة كاذبة ولم ترد في المؤلفات التي ألفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول وفي أيام الشاه اسماعيل وأجداده .

وقتل الجنيد في (٨٦٠هـ) في حربه أمير شروان فخلفه سلطان حيدر وتقدم الى شروان كما سبق يطلب ثأر أبيه وعلا في أول الأمر على أمير شروان لكن الأمير استمد الأمير يعقوب التركمانى فأمدّه يعقوب برغم نسبته لسلطان حيدر ، وقتل حيدر في تلك الواقعة في عام (٨٩٣هـ) .

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم على و ابراهيم واسماعيل وأرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لحبسهم بقلعة اصطخر بفارس فخللوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك في عام (٨٩٨هـ) باحضارهم . وقتل على في حوالى أردبيل وهاجر ابراهيم واسماعيل الى جيلان وأصاب القتل ابراهيم أيضا في هذا الأوان وبقي اسماعيل وأمضى نحو ستة أعوام بين السادات القواميين بجيلان .

وفي أوائل (٩٠٥هـ) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آستان اربعون  
 مرديدن كثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه وقد انبثت جماعاتهم باسم  
 (الصوفية) في جميع بلاد آذربايجان وأران وأرمينية والجزيرة ، وبعد  
 ستة شهور قصد آرزنجان وفيها التفت حوله نحو سبعة آلاف منهم وكانوا  
 من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو والأستاجلو والتاجار والتكلو  
 وذى القدر والأفشار . وكان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من  
 (السقرلاط) وهو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القلرباش أي ذوو  
 الرؤوس الحمراء ولهذا السبب أيضا سموا من هذا الوقت بالقلرباش  
 والقلرباشية وشملت التسمية أتباعهم وجنودهم حتى ملوك الصفويين .

لم يزد الشاه اسماعيل الذي ولد في الخامس والعشرين من رجب  
 (٨٩٢هـ) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبثت للثأر لوالده وتأسس أسرة  
 حاكمة ، ولما اتصل به القلرباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده  
 ورؤية أمه . ثم سلك منها طريقه الى شروان ، وغلب في ولاية شماخي في  
 قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على مدينته (باكو)  
 أيضا . وسمع اذ ذاك أن ألوند بيك التركماني قد جرد جيوشه لقصده  
 فتقدم اليه واحتاز فتحا باهرا في المعركة التي جرت بينهما في (شور)  
 قرب نخجوان أوائل (٩٠٧هـ) وقتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق  
 قويونلو في هذا الواقعة ولذا ألوند بالفرار الى ديار بكر . ودخل الشاه  
 اسماعيل تبريز مظفرا موقفا وآثر هذه المدينة عاصمة له واعتلّى عرش  
 السلطنة رسما وسك العملة باسمه وأقر مذهب الشيعة الاثني عشرية  
 مذهبا رسميا لحولته وارتدى علامة هذا الرسم تاجا من السقرلاط  
 الأحمر .

وبعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيوشه على غزاق العجم  
 وقاتل مراد بيك الآق قويونلو خلف ألوند بيك على مقربة من همدان والحق  
 به الهزيمة فلما فر مراد الى شيراز أتاها الشاه اسماعيل يتعقبه وفي ربيع  
 الأول (٩٠٩هـ) دخل هذه المدينة ، وسقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق

قوينلو تماما من ايران وضمت عراق العجم وفارس وكرمان الى بلاد  
الشاه اسماعيل +

ومع أن التراكمات الآتية قوينلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا  
يدعون السلطة في عراق العرب ، وفر مراد بيك من فارس وأتى بغداد  
وتمكن من الأمور بها . فقصده الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران  
في طاعته وفتح ديار بكر وقضى على من بقى من الآتية قوينلو فيها وفي  
(٩١٤هـ) سيطر على جميع العراق العربي بلا قتال أو إراقة دماء تذكر  
وتقدم بعد ذلك لفتح قلاع شوشتر والحويزة وسخر أيضا خوزستان  
وعاد الى آذربايجان عن طريق أصفهان وأمضى الشتاء في قراباغ والدر بند  
وبأكو وبعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز .

#### فتح خراسان في (٩١٦هـ) : —

كانت خراسان هي البلد الوحيدة التي لم تدخل حتى ذلك الوقت  
طاعة الشاه اسماعيل وكانت تحت سيطرة أولاد تيمور أولا ثم استولى  
عليها الأوزبك أثناء نهضة الشاه اسماعيل + ونقصد بالأوزبك الذين سوف  
يأتى ذكرهم خلال كل عهد سيطرة الصفويين أنهم جماعة من أخلاف المغول  
أخرجوا في حدود عام (٩٠٤هـ) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف  
تيمور ووقفوا في انشاء دولة بها ويسمون بالأمرء الشيبانيين نسبة الى  
شيبان أو شيبان أحد أولاد جوجى بن جنكيز وكانوا من نسله ، وشيبان  
بكسر الشين وسكون النون لا تتصل قط بقبيلة بنى شيبان العرب (١) .

(١) : تعنى كلمة أوزبك سيد نفسه والمستقل وكانت نفس هذه الكلمة  
شائعة بين المجريين بوصفها من الغاب الشرف وهي ترى في الوثائق التي يرجع  
الى عام (١٥٠٠م) . وكان أوزبك هو تاسع الحكام من بيت جوجى حمل قومه  
على الغزو في الاسلام وليس اسمه شيبان كما يدعى المؤلف . فاصل  
الأوزبك الذين تركى مغولى وعاشت قبائلهم ما بين الفولجا وبحر آرال . وكان  
اسم الجغتايين يطلق فيما سلف من الأيام على الترك المستقرين المتحضرين :  
في حين كان لفظ الأوزبك آنذاك مدلولاً على البرابرة الذين يقطنون منطقة  
السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم واتصالهم بالحضارة  
الاسلامية ببلاد ما وراء النهر فاصبح للفظ الأوزبك المدلول الذى كان للفظ  
جغتاي من قبل ، وبات الترك البرابرة غير المتحضرين يعرفون باسم القرغيز  
أو القاراقي ( ومعناها الرجل البرابرة ) .

( انظر تاريخ بختارى ٢٩٥ — ٢٩٨ وحواسيها )

وكان مؤسس أسرة الأوزبك هو (محمد شاهى بيك) أو (شيكخان) الذى استنصفى فى (٩١٣هـ) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا بايقرا ، وكان شديد التعصب للمذهب السنى لذا فقد أذى الشيعة (١) ، فضلا عن أنه أرسل الى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها الى ترك التشيع وهدده أنه اذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم الى آذربايجان ويدخله المذهب السنى بقوة السيف ، ولم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ الأوزبك يهاجمون حدود كرمان فقصده اسماعيل هذه المرة فى أواسط عام (٩١٦هـ) الى خراسان وبعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبك للذين لاذوا بمرو ، وهاجم اسماعيل فى السادس والعشرين من شعبان (٩١٦هـ) قلعة مرو وعلى أثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة آلاف من الأوزبك ففتح على اسماعيل فتح مبين ولفظ شيك خان آخر أنفاسه فى المعركة .

وبعد فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت فما بعده أمحت فتنة عظمى كانت تتهدد ايران والهند من جانب الأتراك ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق فى ايران بعد وكان شيك خان لا يألو جهدا فى محوه ، كما نجا الشاه اسماعيل وظهير الدين بابر الذى كان أسس فى نفس الوقت دولة كبرى فى الهند من شر خصم قوى ولهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين الصفويين بايران والملوك الجورجانيين بالهند المودة والألفة ، ولكي يحكم

(١) سعى الأوزبك بالشييعيين نسبة الى شيكافى تحريف شاهى بك والنسب حُرِفَتْ أيضا الى شاييك وهو الأمير محمد شاهى بك حفيد الأمير أبى الخى الذى استقل بالأوزبك وبلغ شأوا كبيرا ، وكان الأمير محمد شاهى بيك قد نجح فى لم شمت قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين ببلاد ما وراء النهر كما سبق لذلك نسب اليه الأوزبك ، ولم يكن الشييعيون شديدي التعصب للمذهب السنى عن علم وتحريف وإنما اعتنقوا الاسلام أسما وبقيت رسومهم وعاداتهم مثلهم مزيجا من رسوم الترك والمغول ، وكان المظهر الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تسجيلهم لوليهم القومى الزاهد خواجه أحمد اليسوى الولي الأثرى عند بدو سهوب آسيا الوسطى وكان الأوزبك والقرغيز يقدسون أشعاره ومواظبه تقديسهم للقرآن الكريم (راجع تاريخ بخارى ٢٩٧ - ٨)

الشاء اسماعيل أوامر هذه الصداقة أرسل أخت بابر باحترام عظيم الى أخيهما بالهند وكانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبك وأطلق سراحها نتيجة لفتح مرو \*

وبعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هراة وأمضى الشتاء بها هائثا ثم أعد جيوشه لضم ما وراء النهر وفي ربيع عام ( ٩١٧ هـ ) وجه عنان عزمه اليها فتقدم حتى حدود جيحون لكنه لم يتجاوزها وكرر زاجعا الى أذربايجان \*

### غزو ما وراء النهر في ( ٩١٨ هـ ) : —

ونتيجة للمودة التي قوت بين ظهير الدين بابر والشاء اسماعيل قرر الطرفان مهاجمة ما وراء النهر يعاون أحدهما الآخر فيجتثا جرثومة تسلط الأوزبك كلية من هذه الاصقاع فأنفذ الشاء اسماعيل أمير أمراة المسمى احمد يار احمد الاصفهاني والملقب بالنجم الثاني بجيش اليها وقدم بابر معينا بدوره الا أنه بعد عبورهما جيحون وبخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان وقتل النجم الثاني وعاد الاثنان من هذه الغزوة بخفي حنين ( ١ ) \*

وتساقط الأوزبك بعد هذا الفتح على خراسان وهراة وسببوا

---

( ١ ) هذا يخالف ما ذكره ناهيري في تاريخ بخارى ، اذ ذكر ان بابر التقى قزينة مؤت شيباني ليستخلص وطنه القديم ما وراء النهر من ايدي القيرانيين واستولى على سمرقند عام ٩١٧ ساعده على ذلك انقسام أعدائه ، بيد أنهم لما وحدوا كلمتهم هزموا بابر فترك سمرقند بعد حكم نصف عام . فلما بلغ الشاء اسماعيل هزيمة بابر بعث الى نجم ثاني حاكم خراسان لانجاده ضمن إجراءات حماية خراسان من الأوزبك فلحق الجيش الفارسي ببابر عند ترمذ وهاجم الاثنان قارشي واستوليا عليها وأدى بنجم ثاني تعصبه الشديد للذهب الشيعي الى قتله كل حامية المكان . فثار هذا ثائرة بابر حتى أثر أن يضحي باسترداد ما وراء النهر ، فقطع علاقه بفارس وترك نجم ثاني يتجه الى بخارى متزدا ليلقي الأوزبك وجزاء ما اقترفت يده ( تاريخ بخارى ٢٢٧ — ٢٢١ ) .



انشقاقات بالغة في الحقيقة لاسماعيل ولم يعد فتح مرو بعد هزيمته .  
شيئا الا ان اسماعيل وصل معجلا الى خراسان ، وكان أن اطلع الأوزبك  
بتحرك اسماعيل فأخذوا هراة وخراسان وهربوا الى ما وراء النهر .  
فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيحون وعادت الى ملكية اسماعيل .

### حرب تشالدران في ( ٩٢٠ هـ ) :-

وفي حين تأسس الدولة الصفوية في ايران بلغت دولة الأتراك  
العثمانيين في الأناضول والبلقان ذروة القوة والعظمة ، وكان  
هؤلاء الأتراك الذين اعتنقوا المذهب السني خلافا لمؤسس الاسرة  
الصفوية ويجالدون بسيوفهم لنشر الاسلام كانوا يرقمون تشكل دولة  
كبرى في شرق ممتلكاتهم بعين العداء خاصة أن الصفويين كانوا على عداه  
معهم من الناحية الدينية وكان الشاه اسماعيل لا يألو أدنى جهده لاجتثاث  
شأفة المذهب السني من ايران .

وفي ( ٩١٨ هـ ) صارت السلطنة العثمانية من نصيب السلطان سليم  
خان الأول ( ٩١٨ - ٩٢٦ هـ ) أحد أقوى السلاطين العثمانيين وأكثرهم  
فتحا . وبدأ هذا السلطان فأظهر بغضه للشيعة بأن أمر بقتل كل شيعي  
يسكن الأناضول فقتل نتيجة تنفيذ هذه النية القبيحة نحو أربعين ألفا  
من شيعة الأناضول ، ثم لما سمع أن الشاه اسماعيل دخل في علاقات مع  
أعداء السلاطين العثمانيين أي ملوك الجرج وممالك مصر الذين  
كانوا يألون شاه ايران على العثمانيين أنفذ جيشا الى الجزيرة  
وأذربايجان ، فخف الشاه اسماعيل في أوائل شهر رجب ( ٩٢٠ هـ ) من  
اصفهان الى آذربايجان وتقدم محمد خان استاجلو حاكم ديار بكر أيضا  
بجيش لعون الملك الصفوي واصطف جنود الفريقين في صحراء تشالدران  
في مشرق بحيرة أورمية ( الرضائية ) .

وكان جيش الشاه اسماعيل يتألف من ستين ألف فارس في حين أن  
السلطان سليم بلغ جيشه مائة وعشرين ألف جندي مسلح ببنادق جديدة

ومدافع قوية . ومع أن الشاه اسماعيل والقواد الايرانيين قد أبلغوا في هذه الحرب بلاء حسنا وضارب الملك الشاب الصفوى بسيفه مدافع الإعداء الا انه بسبب كثرة جيش الخصم وقوة أسلحتهم النارية حاقت به الهزيمة وقتل محمد خان استاجلو وجماعة كبيرة من قواد ايران في هذه الواقعة وتقهقر الشاه اسماعيل الى تبريز .

وبعد فترة قدم الشاه اسماعيل الى همدان واستولى السلطان سليم على تبريز لكنه لم يستطع المكث بها لمقاومة أهلها وكفاح جنود ايران فأخضاها بعد أسبوعين وعاد اليها الشاه اسماعيل .

ومع أن موقعة تشالدران كانت ضربة شديدة لقوة الشاه اسماعيل العسكرية وكان من نتائجها ضم السلطان سليم له ديار بكر وبلاد الأكراد الا أن أثرا آخر لها لم يبد على ترلزل أساس الدولة الصفوية ووفق اسماعيل بعد قليل في احكام أساس أمره . وكان يبدى اهتمامه الخاص بخراسان بسبب خطر الأوزبك عليها لذلك عين لحكمها ابنه الصغير طهماسب الذي لم يكن يبلغ وقتها الثلاثة أعوام يعاونه أحد أمراءه وقضى بقية أيام ملكه جائلا في ولايات ايران المختلفة ولم يقم بعد ذلك بنزول أو قتال هام .

### وفاة الشاه اسماعيل في التاسع عشر من رجب ( ٩٣٠ هـ ) : —

مرض الشاه اسماعيل في شهر رجب ( ٩٣٠ هـ ) حينما كان في قمعه بإحدى الولايات ومات في التاسع عشر من هذا الشهر على مقربة من ( سراب ) ولم يتجاوز الخامسة والثلاثين ولم يحكم أكثر من أربعة وعشرين عاما فحكم نحسه الى أردبيل ودفن بمقبره الشيخ صفى الدين .

يعد الشاه اسماعيل بلا شبهة أحد أرشدو أكبر ملوك ايران ومع أنه تخطى جادة الانصاف والمروءة في تحميل مذهب التشيع على شعب ايران وكان أغلبهم حتى ذاك الوقت من السنة ، سفك دماء كثير من

الأبرياء بقسوة إلا أن سياسته في هذا السبيل أى إيجاد الوحدة المذهبية في إيران وجعل المذهب الشيعي رسميا واختيار السيرة التي سار عليها خلفاؤه قد أفضت الى نتيجة هامة جدا هي حفظ المجتمع الايراني من شر هجمات السلاطين العثمانيين المتعصبين الذين كانوا يسمون أنفسهم من أواخر عهد السلطان سليم أمراء المؤمنين وخلفاء جميع المسلمين وادعوا أن كافة المسلمين لابد أن يطيعوهم بحافز الايمان كعهد الناس في زمن العباسيين وأن يعترفوا بأن اجراء أوامر السلطان فيهم فريضة دينية بعد حكم الله ورسوله . وقد حالت سياسة الملوك الصفويين بعداوتهم الدينية للسلاطين العثمانيين دون انخداع أهل إيران بهذه الدعوة وانخراطهم بفقد استقلالهم في المجتمع السنن بل انهم خلافا لذلك كانوا دائما يتوددون ويرتبطون ببلاد المسيحيين الأوروبيين وهم أعداء السلاطين العثمانيين في دفاع عن أنفسهم ، وكانوا يستقبلون سفراءهم ويبعثون اليهم بمبعوثيهم ، وقد تعرفت إيران الى حد ما بهذه الطريقة كما سوف نشير الى أحوال أوروبا التي كانت في حالة من الرقى ، كما صارت مقدمات لانتقال بعض وسائل الحضارة الجديدة الى إيران (١) .

---

(١) هكذا بين المؤلف عن عقيدته وعقيدة اسلامه الصفويين ، فهم يزعمون موالاته الذين كفروا من النصارى أهل من موالاته المؤمنين من الاثراك العثمانيين المحاربين لنشر الاسلام في أوروبا . والصفويون بذلك وبحكم الله تعالى خارجون عن الاسلام يقول تعالى في سورة المائدة ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يقولهم بنكم غايه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ) الآية (٥١) ، ويقول تعالى في نفس السورة الآية (٥٥) ( انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكمون ) .

## سلطنة الشاه طهما سب الاول

( ٩٣٠ - ٩٨٤هـ )

بقى عن الشاه اسماعيل مؤسس الاسرة الصفوية أربعة ابناء :  
اولهم طهما سب الذى ولد فى الرابع والعشرين من رجب ( ٩١٩هـ ) وكان  
عمره حين توفي أبوه أحد عشر عاما وكان يحكم أولا خراسان ثم استدعى  
الى مقر أبيه وقت وفاته ، وثانيهم القاص ميرزا الذى صغر طهما سب  
بنحو ثلاثة أعوام وثالثهم سام ميرزا الذى صنف كتابا اسمه ( تحفه  
سامى ) عام ( ٩٥٧هـ ) فى تراجم الشعراء وبلغ حكومة خراسان بعد  
طهما سب ، ورابعهم بهرام ميرزا .

ورفع الأمراء والاعيان بالدولة طهما سب الى السلطة بعد وفاة  
الشاه اسماعيل ، ولما كان الشاه الجديد لا يزال طفلا استقرت مهام  
الأمر فى حقيقتها فى أيدي الأمراء الأقوياء فجنحت الأمور الى الفساد  
بسبب تنافسهم واستبدادهم خاصة وأحد عدوى الصفويين الدينيين أى  
الأوزبك فى الشمال الشرقى والأتراك العثمانيين فى الشمال الغربى لآيران  
كان كلاهما قويا ويتحسسون فرصة مواتية للعصف بما بناء الشاه  
اسماعيل .

### الحرب مع الأوزبك : -

استحوذ عبيد الله خان الأوزبك فى عام ( ٩٣٢هـ ) على خراسان  
ولقى أمراء الشاه طهما سب الذين تقدموا لصدده الهزيمة منه فى فيروز كوه  
بهرة فى ( ٩٣٣هـ ) فتحرك الشاه طهما سب فى العام التالى بنفسه الى  
خراسان وفى المحرم من ( ٩٣٥هـ ) ألحق هزيمة فادحة بعبيد الله خان  
وأمرأه الأوزبك الآخرين فى ( زور آباد ) على كتب من مدينة ( جيام )  
ولاذ الأوزبك بالفرار الى ما وراء النهر وخلصت خراسان وهرة من  
أيديهم مؤقتا ونصب حسين خان شاملوى على حكومتها من جانب

طهماسب . وفي نفس العام عاود الأوزبك هجومهم على خراسان فتولى الأمر طهما سب لصددهم ، وأتاب هذه المرة في حكم خراسان بعد دفع الأوزبك عنها أخاه الأصغر بهرام ميرزا .

وفي عام ( ٨٩٣٧هـ ) أتى عبيد الله خان خراسان ثالثة وحاصر هذه المرة هراة ودام حصاره عاما ونصف العام الى أن ذاع خبر قدوم طهما سب الى خراسان ففر عبيد الله خان . وترك طهما سب حكم خراسان بعد استتباب الأمن بها الى سام ميرزا أخ له آخر مزعما مهاجمة ما وراء النهر لكنه عندما علم بهجوم السلطان سليمان خان العثماني على غرب ايران تغلى عن ارادته .

بلغ سليمان خان السلطنة العثمانية في عام ( ٨٩٢٦هـ ) بعد موت السلطان سليم الأول وحاز فتوحات عظيمة في أوروبا وحصل لهذا شهرة واسعة وفي عام ( ٨٩٣٩هـ ) حينما كان طهما سب بخراسان هاجم آذربايجان بتأليب بعض من أمراء ايران ، لكنه قفل عائدا الى العراق العربي قبل وصول طهما سب لما حل بجيشه من خسائر كبيرة بسبب البرد والثلوج ، واستولى على بغداد وعاد في السنة التالية الى آذربايجان لكنه لم يطل إذ عاد الى بلده الاصلى فأدخل طهما سب آذربايجان طاعته وعاقب الأمراء المتمردين المعاوين للسلطان سليمان خان .

وفي عام ( ٨٩٤٠هـ ) عصى سام ميرزا طهماسب وهاجم قندهار فلما سمع عبيد الله خان الأوزبك أن هراة خالية تقدم اليها بجيشه ، فقدم طهماسب من تبريز الى خراسان وسمع عبيد الله خان بقدومه فذهب في ( ٨٩٤٢هـ ) هراة وعاد الى ما وراء النهر . وأقر طهماسب الأحوال بخراسان واستولى على هراة وعاد في ( ٨٩٤٣هـ ) الى آذربايجان (١) .

( ١ ) يختلف قاضي مع اقبال في تساريخ غزوات الشيباتيين الخمس لايران: انتقائيا مما حل بزعمهم شيعة فيذكر أن غزوات عبيد الله سبع لاخمس ، الاوليان حدثتا آخر عهد الشاه اسماعيل ، أما الثالثة فقد حدثت عام ( ١٥٢٤/٩٢١ ) ولم يحز الشيباتيون في الغزوات الثلاثة انتصارات حاسمة .

## شهوة القاص ميزا :-

وفي عام (٩٤٤هـ) علم الشاه طهماسب بثورة والى شروان فأرسل أخاه القاص ميزا للاستيلاء على شروان لكن أهلها أبوا أن يسلموا. قلعتهما الا الى الشاه نفسه فشحى اليها بنفسه وبعد أن فتح تلك الديار أناب أخاه القاص في حكمها . وظل القاص ميزا حتى عام (٩٥١هـ) مطيعا لأخيه في حكمه لشروان لكنه رفع علم الثورة في هذه السنة عليه . ولم يقد الشاه طهماسب كثرة نصحه أخاه بترك عصيانه فأرغم على التحرك اليه لصدده . وفي النهاية خاف القاص ميزا فأرسل أمه وابنه الى طهماسب حتى استرضياه فعفا عنه . لكن القاص اتجه عام (٩٥٣هـ) الى استانبول قارا ولاذ بالسلطان سليمان خان وحرّضه على مهاجمة آذربايجان . فدخل سليمان خان تبريز وتقدم القاص ميزا بستة آلاف فارس الى همدان وتوجه منها قاصدا دخول أصفهان . لكن أهل أصفهان لم يمتكنوها فعاد عن طريق فارس الى بغداد . وفي النهاية ساء ما بينه وبين السلطان سليمان ، وأسره في بلاد الأكراد قادة جيش طهماسب ، وبعد عام وإفشاء أجله في حبس أخيه .

## علاقات الشاه طهماسب بالعثمانيين :-

دانت للشاه طهماسب بلاد الكرج في (٩٥٦هـ) وشروان في (٩٥٧هـ)

وقام عبيد الله بغزو خراسان للمرة الرابعة عام ٩٣٥ (١٥٢٨) ولم يتمكن الأوزبك من الغرس لأن الآخرين استخدموا البنادق في حربهم للترك الذين كانوا يقاتلون بالسهم وسقط في هذه الغزوة خمسون ألفا من الأوزبك وعشرون ألفا من الإيرانيين . والغزوة الخامسة وقعت عام (١٥٣١/٩٣٨) حينما كان طهماسب متهكما في القتال مع السلطان العثماني وظل الأوزبك ينفخون حتى عاد الشاه بعد حربه اليه . ولما رقى عبيد الله عرش الأوزبك عام (٩٤٠) حاول غزوه لابران فغزاها عام (١٥٣٥/٩٤٢) وعام (٩٤٦/١٥٣٩) غزوته السادسة والسابعة وانتزع حصن هراة من سام ميرزا لكنه لم يستطع الاحتفاظ به (تاريخ بخارى ٣٣٢ - ٣٣٦) .

بالطاعة وكانتا قد خلعنا طاعته قبل وأخذ طهماسب في (٩٥٨هـ) يهاجم بلاد الروم فبعث بابنه اسماعيل ميرزا لفتح أرزنة الروم وأدخل تحت امرته من بلاد الأكراد وأرمينية جميع ما كان السلطان سليمان قد استولى عليه . وقد دفع وصول هذه الأخبار للسلطان سليمان خان للتصحر الى إيران فبلغ في ربيع (٩٦٠هـ) نخجوان ، لكنه عاد بعد يومين ، فأعاد طهماسب أمراء شروان والكرج الذين انبعثوا يساعدون السلطان الى طاعته ثم آب الى قزوین .

وفي عام (٩٦٦هـ) لاذ أحد أبناء السلطان سليمان وهو بايزيد بطهماسب بسبب الخلاف الذي نشب بين السلطان وأولاده ، فأمر طهماسب بأن يقام له الاستقبال الملكي حيثما حل ، ودخل قزوین مجللا بالاحترام التام وعاش فترة معززا في دار السلطنة الصفوية . لكن الشاء طهماسب حقق عليه في عاقبة الأمر بسبب ما ارتكبه وأصحابه من أمور غير مرضية فألقي به في حبسه وقتل جماعة من أصحابه .

وأرسل السلطان سليمان في عام (٩٦٧هـ) بضعة نفر من السفراء محملين بالتحف والهدايا القيمة الى مقر طهماسب يطلب الصلح . وتصلح الطرفان في عام (٩٦٨هـ) بعد تبادل السفراء وأعاد طهماسب بايزيد الى أبيه واستمر هذا الصلح حتى آخر سلطنة السلطان سليمان أي حتى عام (٩٧٤هـ) ولما تولى سليم خان الثاني السلطنة العثمانية سلك كذلك طريق المودة مع طهماسب وأرسل سفيرا الى قزوین لهذا الأمر .

### وفاة الشاء طهماسب في (٩٨٤هـ) :-

واقعات السنين الأخيرة لسلطنة الشاء طهماسب الأول هي وقائع داخلية عامة من قبيل ضرب العصاة ودفع الأوزبك . وأصاب المرض والعلل الشاء طهماسب من حدود عام (٩٨١هـ) ومع أنه تحسن لكنه في النهاية توفي في الخامس عشر من صفر (٩٨٤هـ) بعد حكم أربعة وخمسين عاما .

وقد حكم مدة أطول من أى حاكم صفوى ومع أنه لا يمكن أن يقاس من ناحية كفايته وإدارته وفتوحاته بمثل الشاه اسماعيل والشاه عباس الكبير بحال قط الا أنه على أية حال لم ينقص في عهده شىء من أرض إيران وأبقى الشاه طهماسب واخوته وقواده أعداء إيران الخارجيين على حدودهم بأى نحو كان وصدوا هجماتهم .

وقد ظلت علاقات إيران بالدول الأجنبية الغربية التى بدأت على عهد الشاه اسماعيل الأول بسبب استيلاء البرتغاليين على جزاير خليج فارس وبسواحلها ، ظلت على حالها على عهد الشاه طهماسب ، خاصة وأن أحد الرحالة الانجليز واسمه ( أنتونى جنكنسن ) ( Anthony Jenkinson ) قدم الى روسيا من طرف الشركة التجارية التى أسست في لندن باسم شركة التجارة مع دولة موسكو ( روسيا الأصلية ) بهدف فتح طريق التجارة مع الشرق ، فأرسله قيصر موسكو ( ايفان مخوف ) سفيرا الى بخارى ، ثم أتى في سفر ثان عام ( ٩٦٧هـ ) الى بحر الخرز عن طريق شاطئ الفولجا ونزل ميناء باكو ووصل مقر طهماسب بقزوين عن طريق أردبيل وقدم الى الشاه ما بعثته الملكة اليزابيث الكبرى اليه من هدايا ، لكن الشاه طهماسب لم يهتم كثيرا بشأن الرحالة الانجليز الذين كانوا مبعوثين من ملكة مسيحية ، وعاد الانجليز بقدر من الحرير والقماش النفيس الايرانى الى بلادهم ، فجذبت هذه البضائع اهتمام أولياء شركة تجارة موسكو تجاه إيران ، وتجلت أهمية الحرير الخام الايرانى لدى تجار المغرب فقدم بضعة نفر من مبعوثى الشركة المذكورة من نفس طريق موسكو — إيران على رحلات ست . لكنه اتضح بعد ذلك أن طريق موسكو بسبب طولته وأخطاره طريق بغير فائدة ، ولهذا فقد تركته شركة موسكو ، وبعد هذا كما سوف نقول اتجه الانجليز الى طرق أخرى للتجارة مع إيران .



## سلطنة الشاه اسماعيل الثاني

( ٩٨٤ — ٩٨٥ هـ )

كان للشاه طهماسب أولاد عديدون لهذا دبه النزاع بين القواد والأمراء بعد موته في اختيارهم خليفة الشاه ، فنادت جماعة من الأمراء الاستاجلو بحيدر ميرزا ملكا ورفضت سائر القزلباشية هذا الاختيار ونهضت ثائرة وقتلت حيدر ميرزا وأتوا باسماعيل ميرزا وكان أبوه قد حبسه في قزلباغ وجعلوه ملكا باسم الشاه اسماعيل الثاني .

كان اسماعيل ميرزا رجلا قاسقا سفاكا سفيها وكان قد تربى في شبابه على يد معلم به ني في هراة فصمم على طرح المذهب الشيعي واجراء الخطبة والسكة باسم الخلفاء الراشدين ، فضلا عن أنه انبعث لقتل أولاد عمه وأعمامه فقتل أكثرهم ، ولم ينج غير أخيه (سلطان محمد ميرزا) الذي كان بشيراز وأولاده ومن بينهم عباس ميرزا وكان يعيش بهراة فقبل أن يتم تنفيذ أمر الشاه اسماعيل بقتلهم وجد الشاه مقتولا في قزوین ليلا في أحد المنازل فنجا سلطان محمد ميرزا وأولاده من القتل . وقد حدثت وفاة الشاه اسماعيل الثاني في الثالث عشر من رمضان (٩٨٥ هـ) ودام حكمه سنة وثلاثة شهور وتسعة عشر يوما .

## سلطان محمد خدا بنده

( ٩٨٥ — ٩٩٦ هـ )

بعد أن ناع خبر موت الشاه اسماعيل الثاني جلس سلطان محمد ميرزا الذي كان بشيراز مكان أخيه بها بقاريخ الخيامس والعشرين من رمضان وفي الثاني من شوال دخل قزوین ولقب خدا بنده أي عبد الله .

أرسل السلطان العثماني مراد خان الثالث ( ٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ ) بعد علمه بوفاة الشاه اسماعيل الثاني عثمان باشا أحد قادته المشهورين عام

(٩٨٦هـ) الى شروان وقربا باغ ففتتح هذا القائد تلك النواحي مما جعل محمدا خدا بنده يسير ابنه الأكبر حمزه ميرزا بجيش لجب لدفع العثمانيين فاستعاد حمزة البلاد المسيطر عليها وانهزم الجيش العثماني .

وفي عام (٩٨٩هـ) تمردت عن طاعة الشاه قادة جماعة الشاملو التي كانت تعيش في خراسان تحت امرة عباس ميرزا ولد الشاه وانبعث منهم ( علي قلى خان ) لكى يجرى الخطبة والسكة باسم عباس ميرزا . فسير سلطان محمد حمزة ميرزا الى خراسان فعلم العثمانيون نبأ تحركه فعاودوا هجومهم على شروان وأعاد عثمان باشا سيطرته عليها .

ولم تخمد فتنة خراسان برغم مهاجمة حمزة ميرزا لها ، ولكى تدفع فتنة علي قلى خان الشاملو الذى كان يتولى رئاسة خراسان أمر وزير خدا بنده ( سلمان اعتماد الدولة ) بعزله عن منصبه هذا واضطر خدا بنده فى النهاية أن يشخص بنفسه فى عام (٩٩١هـ) الى هراة لاستخلاصها من يد ابنه عباس ميرزا . ولم يسلم له أهل هراة بل هددوه بالأى يمكنوا عباس ميرزا من حكمهم اذا لم يسلمهم الوزير ميرزا سلمان . وأبى عجز خدا بنده أن يترك الوزير المسكين الى قزلباشية هراة فقتلوه وعاد الشاه الى آذربايجان لصد عثمان باشا دون أن يتمكن من استعادة هراة . وشدد حمزة ميرزا ضغطه فى حصاره لهراة ولما أدرك عباس ميرزا أنه لن يتخلص من حصار أخيه جنح الى المودعة والصلح وقرر الأخوان أن يتجنبوا كل ادعاء للسلطنة ما بقى أبوهما حيا وأن تكون خراسان وهراة تحت حكم عباس ميرزا وأن تبقى العراق فى يد حمزة ميرزا . وسكنت فتنة خراسان بهذا الترتيب مؤقتا وقفل حمزة ميرزا عائدا الى قزوین لكى يمد أباه فى صده عثمان باشا .

ودارت رحى المعركة بين حمزة ميرزا وعثمان باشا فى (٩٩٣هـ) فى تبريز وانهزم عثمان باشا وتقهقر الى بلاد الأكراد .

وكان حمزة ميرزا ابن خدا بنده الأكبر وفى عام (٩٩٤هـ) قتل اثر

مؤامرة في الثامن من ذي الحجة من هذا العام على بعد منزل من كتجة بيد جماعة من أمراء التركمان والأفشار فلما بلغ خراسان هذا الخبر تصرف أمراء خراسان بصحبة عباس ميرزا من مشهد الى قزوین لكي يؤدبوا الأمراء المتمردين وينفذوا ارادتهم التي كانوا يفتقونها من قديم وهي أن يجلسوا رئيسهم عباس ميرزا على كرسی السلطنة .

وانتخب الأمراء قتلة حمزة ميرزا بعد قتل هذا الأمير الکباء أخاه أباً طالب ميرزا للسلطنة وقدموا من كتجة يحملون جثة حمزة الى أردبيل ثم ساروا على عجل من قزوین ومنها الى أصفهان ولما سمعوا أن عباس ميرزا يصحبه على قلی خان التاملو ومرشد قلی خان الاستاجلو الحاكم السابق لخواف وباخرز قد تحركوا الى قزوین عادوا اليها لمنعهم عنها .

ودخل عباس ميرزا في ذي الحجة (٩٩٦هـ) قزوین وكان محمد خدا بنده في هذا الوقت في شیراز ورفع مرشد قلی خان وعلى قلی خان عباس ميرزا رسماً الى سلطنة ایران بلقب الشاه عباس وبهادر خان وصدق خدا بنده على سلطنة ابنه أيضاً وظل حياً حتى عام (١٠٠٣هـ) .

## الفصل الثالث عشر

### سلطنة الشاه عباس الكبير

(٩٩٦ - ١٠٣٨ هـ)

ولد الشاه عباس الكبير في غرة رمضان (٩٧٨ هـ) بمدينة هراة حينما كان أبوه محمد خدا بنده واليا لها من طرف الشاه طهماسب ، ولم تتجاوز سن عباس الثامنة عشرة حينما خلف أباه في السلطنة في قزوین .

ومع أن عباس ميرزا طالب بالسلطنة في خراسان من حدود عام (٩٨٣ هـ) يسانده مرشد قلى خان الاستاجلو وعلى قلى خان الشاملو إلا أنه تخلى عن ادعائه هذا بعد مصالحته لحمزة ميرزا في هراة مؤقتا الى أن قتل حمزة فأتى كما رأينا الى قزوین واعتلى رسما سلطنة الصفويين . وقد دفعت القلاقل التي حدثت آخر عهد سلطان محمد خدا بنده في جميع نقاط ايران خاصة في طرفي البلاد الشرقي والغربي بجسارتى ايران العدوتين اللتين كانتا تحفظان على الصفويين الحقد الدينى وهما الأوزبك والعثمانيون بالتطاول على حدودهم حتى أن مشاكل عظمى واجهت الشاه عباس بسبب هذين الخصمين .

### دفع الأوزبك :-

بعد أن تحرك الشاه عباس من هراة الى قزوین هاجم ملك الأوزبك عبد الله خان الثانى (٩٩١ - ١٠٠٦ هـ) — وهو أحد أشهر خانات الأوزبك ومن ملوكهم الغزاة الفاتحين — مدينة هراة وبعد ستة شهور قتلها حاكمها القزلباشى واستحوذ عليها . ولم يجد الشاه عباس الذى كان مصمما على

قتال العثمانيين مناصبا غير أن يصلح عدوا ويدفع الآخر فصالح لهذا  
العثمانيين وأرسل حيدر ميرزا ابن أخيه حمزة ميرزا إلى السلطان وصالحه  
على أن يتخلى له عن تبريز وشروان والكرج ولرستان أي القسم  
الأساسي لغرب وشمال غرب إيران ، وسلك طريقه إلى مشهد لصعد  
عبد المؤمن خان بن عبد الله خان الذي أتاها وألقى بحصاره عليها .

ومرض الشاه عباس في طهران ودام مرضه نحو خمسين يوما  
واستولى عبد المؤمن خان على مشهد في أثناء هذه الفترة وأردى جماعة  
كثيرة من أهلها جرعى ونهب نفائس عتبة القدس ( ضريح الامام الرضا )  
ومن بينها مكتبتها القيمة ثم استولى على نيشابور والدامغان وولى من  
جانبه واليا على كل مدينة .

ولما تحسنت صحة الشاه أخلى عبد المؤمن خان خراسان وبادر  
الشاه عباس إلى مدافعة المتمردين بالداخل الذين أفادوا من مرضه  
وأعلنوا تمردهم فأدخل يزد وكرمان وجيلان طاعته وقضى فترة أيضا في  
أصفهان وقراباغ يتفقد أحوالها وينظم أمورها . ولم يصدر عن الشاه  
عباس حتى عام ( ١٠٠٦ هـ ) حركة هامة لدفع الأوزبك الذين كانوا دائمي  
الاغارة على بلاد خراسان والعراق العجمي ثم يعودون إلى التركستان  
بالأسلاب وانصرف وقته إلى الاستيلاء على بعض ولايات إيران التي لم  
تكن قد أطاعته وقتها مثل لرستان التي كانت حتى ذلك الوقت في يدي  
أتابكة اللور الصغار وكولايتي رستمدرار وكجور اللتين كانتا تحت إمرة  
الأمراء المحليين .

وفي أواخر عام ( ١٠٠٥ هـ ) قصد الشاه عباس مشهد وفي السادس من  
الحرم ( ١٠٠٦ هـ ) غلب في هراة ابن أخت عبد الله خان وهزم الأوزبك  
هزيمة شديدة حتى أن هذه النواحي اتقت شرهم لفترة لا سيما وأن  
عبد الله خان توفي في هذه الآونة وأن ابنه عبد المؤمن خان قتل بيد أمرائه

بعد أبيه ستة شهور (١) .

### فتح اللار والبحرين في (١٠٠٩هـ) :-

أناب الشاه عباس وردى خان زركر باشى (٢) في حكومة فارس عام (١٠٠٣هـ) وكان ولاية اللار اذ ذاك تحت حكم مجموعة من الخوانين المحليين الذين كانوا يصلون بنسبهم ادعاء الى جرجين ميلاد بطل الشاهنامه المشهور وكانت موانئ هذه الولايات من قبيل ميناب وجرون ( المكان القديم لبندر عباس الحالية ) اسما تحت أمر أمراء هرموز ورسمها تحت طاعة الحاكم البرتغالى للهند .

كان البرتغاليون قد استولوا عام ( ٩١٢هـ ) على جزيرة هرموز وأدخلوا أمراءها الذين كانوا يؤدون الجزية لسلطين ايران تحت طاعتهم وسيطروا أيضا على عمان ومسقط وجزر الخليج الأخرى . وفي عام (٩٢٠هـ) أرسل الشاه اسماعيل سفيرا الى ألبوكرك الحاكم البرتغالى للهند حين كان في الخليج واحتفى بمقدمة ألبوكرك كما كانت تقتضى الظروف وقتها ، لكنه بعد قليل حينما سمع أن أمير هرموز قبل تبعيته للشاه الصفوى تحرك لتأديب هذا الأمير وفي نهاية الأمر عقد في ميناب مع مبعوث الشاه اسماعيل معاهدة وقبل أن يمد ايران في اخمادها فتن بلوجستان وغزوها للبحرين ازاء صرف الشاه الصفوى نظره عن مطالبة طاعة أمير هرموز اليه وأن تتحد ايران والبرتغال ضد العثمانيين وبالرغم من وجود هذه المعاهدة فقد أخرج البرتغاليون عام (٩٢٦هـ) البحرين أى

---

(١) راجع للتفضيلات وللوقوف على الجدل السدينى حول التسنين والتشيع والذي أثاره علماء مشهد مع علماء الأوزبك بقصد تحويل هجمات عبد الله خان عنهم تاريخ بخارى ( ٢٤١ - ٣٤٦ ، ٣٥٤ ) .

(٢) اسمه في الأصل ( الله وردى خان ) ولا يصح اسلاما ان يسمى عبد من عباد الله باسم الله ، لهذا فقد سميناه وردى خان وحسب ، أما زركر باشى فتعنى رئيس الصائغين ( زركر فارسية تعنى صائغ وباشى تركية تعنى رأس ورئيس ) .

ساحل الأحساء والجزر المجاورة لها عن سيطرة الشاه اسماعيل ولم يتمكن الشاه اسماعيل من أن يحول دون تحقيق أهداف البرتغاليين بسبب عدم توفر أسطول لديه ثم لمشاكله الداخلية ، حتى أنه لم يقدم على أى تحرك فى الثورة العظمى التى شبت فى جميع جزر وسواحل الخليج ضد البرتغاليين من قبل الايرانيين من عام (٩٣٥هـ) حتى (٩٣٨هـ) وكان البرتغاليون على وشك أن ينتهى أمرهم فيها تماما اثر هذه الثورة .

وفى عام (١٠٠٩هـ) بدأ وردى خان بخانات اللار فأزالهم لأنهم كانوا حائلا دون ارتباط فارس المباشر من ناحية الجنوب الشرقى بسواحل الخليج كما كانوا يساعدون البرتغاليين ثم أنفد جيشا الى البحرين للسيطرة عليها لأنها كانت دائما تتبع فارس (١) . وهاجم البرتغاليون البحرين ، فجعل وردى خان من ميناء جرون مصب هجماته لكى يخفف من ضغط البرتغاليين عليها فمنع بهذا من إعادة استيلائهم عليها ، وقد ظلت البحرين تحت سيطرة الصفويين وكانت أول ولاية من ولايات سواحل الخليج تخرج عن قبضة البرتغال اذ ظلت هذه الولايات لمدة قرن تحت سيطرتهم .

### الحروب مع العثمانيين :

استقدم الشاه عباس فى عام (١٠١١هـ) جنود ولاياته وأذاع أنه ينوى التحرك الى شيراز ثم قدم قزوين من أصفهان وهناك علم صحبه أن الشاه ينتوى فى الحقيقة مهاجمة آذربايجان واستخلاص ولايات شمال غرب ايران وغربها التى اضطرت الى اخلائها للعثمانيين فى بداية حكمه وبدأ الشاه عباس بحملته بجيشه المتأهب على تبريز ففتحها فى الخامس عشر من جمادى الأولى (١٠١١هـ) ثم سقط منها على ايروان وأمر ضمن ذلك

(١) فى قول اقبال أن البحرين كانت دائما تاريخها تبعا لفارس والفرس تجانب كبير ، فالعرب سكنوها وعمروها قبل ظهور الجنس الأرى على مسرح الحياة وهذه بدهية لا تحتاج الى اثبات .

وردى خان أن يهاجم بغداد من ناحية خوزستان . فاتجه وردى خان الى بغداد وألقى حصاره عليها لكنه استقدم قبل فتحها بأمر الشاه الى ايروان وفتح الشاه ايروان في أوائل عام (١٠١٣هـ) .

وقد تجاسر قائد الجيش العثماني في بغداد وهو أوزون احمد بعد أن فصل وردى خان عنها فظهر أمام همدان لكن قادة الجيش الصفوي استأسروه هناك ولكي يتم ما أنجزه الجنود سير الشاه عباس وردى خان لفتح وان ( فان ) وآخر لقارص محاصراهما . ووجه السلطان العثماني قائده المشهور جغال أوغلي بجيش ضخم لاستخلاص وان وقارص فأسرع الشاه لمواجهة وكان في تبريز ولم يكن معه أكثر من اثنين وستين ألفا بينما تجاوز جنود جغال أوغلي المائة ألف .

وقد استعمل الشاه عباس الحيلة في هذه الحرب فقسم جنده فئتين وبدأ بدفع قسم من فرسانه لتكثيف حملاتهم على جيش جغال أوغلي ، فأنعطف الترك بقوتهم الرئيسية اليهم على ظن انهم الجزء الهام من جيش ايران فلما اشتعلت الحرب على هذه الحال سقط الجيش الاساسي على الترك وكانوا يتوقفون لهذه الفرصة فقتل في هذه الحرب نحو عشرين ألف تركي من الجيش العثماني ولأذ جغال أوغلي بالفرار ثم مات بعد قليل حزنا وحاز الشاه الصفوي هذا الفتح الكبير في الرابع والعشرين من جمادى الثانية ( ١٠١٣هـ ) وفتح الشاه عباس في السنة التالية كنجسه وتقليس وبلكو والدر بند وشروان وشماخي وديار بكر والموصل ، وعاد الى قزوين أوائل عام ( ١٠١٠هـ ) بعد أن استعاد سنائر الولايات التي استولى عليها العثمانيون ونال شوكة واعتبار يفوقان العادة .

وفي عام ( ١٠١٧هـ ) أرسل السلطان احمد خان رئيس وزرائه ( الصدر الاعظم ) مراد باشا بجيش ثان لقتال ايران واستولى مراد باشا على تبريز بسهولة لكنه لقي هزيمة مرة فيها وعاد الى الأرض العثمانية منهزما وفي النهاية استقر الصلح بين ايران والعثمانيين في عام ( ١٠٢٠هـ )



واعترفت الدولة العثمانية رسماً بإعادة الولايات السابقة الإيرانية إلى الشاه عباس وقبل شاه إيران أيضاً أن يرسل سنوياً مائتي حمل من الحرير الخام إلى استانبول .

وأنبيء الشاه عباس في عام ( ١٠٣١ هـ ) أن طهمورث خان الكرجي هاجم حاكم قراباغ بلعة من أتباعه النصاري وأردوه صريعاً فتحرك الشاه من أصفهان متجهاً إلى بلاد الكرج فوصلها آخر العام وغر طهمورث ولهم يفد الشاه كثرة استماله له لكي يدخل طاعته بل أن طهمورث توسل بالسلطان العثماني فحطم هذا الصلح الذي قام بين إيران وتركيا منذ فترة قليلة .

وفي أوائل عام ( ١٠٣٤ هـ ) لما سمع الشاه عباس بعودة طهمورث إلى الكرج وهزيمته للحاكم الإيراني اتجه إليها ونزل ذبحاً في أهلها حتى أنه أهلك منهم نحو سبعين ألفاً خلال عشرين يوماً واستأثر مائة وثلاثين ألفاً ثم دخل تفليس في منتصف جمادى الآخرة ، وسلك طريقه منها إلى بحيرة كوكجة لصعد محمد باشا قائد السلطان أحمد خان وصدّره الأعظم الذي قدم يعين طهمورث ، فحاصر محمد باشا إيران لكنه صار تحت حصار جنود الشاه فصالح الشاه بعد أن فقد أربعة آلاف جندي وتعهد أن يتوسط بين الدولتين عند وصوله استانبول .

وتوفي السلطان أحمد خان في عام ( ١٠٣٧ هـ ) وخلفه مصطفى خان الأول ولم يمكث على العرش غير عام فخلفه عثمان خان الثاني الذي بعث الصدر الأعظم خليل باشا بجيش كبير إلى تبريز فلقى الهزيمة الكبيرة وبصحبته ستون ألفاً على بعد ثلاثة فراسخ من كدوك شبلي من القائد الإيراني ( قرتشغاي خان ) في نفس عام ( ١٠٣٧ هـ ) وبلغ قرتشغاي خان بالأسرى قزوين حيث الشاه فعينه على حكومة آذربايجان .

وبعد هزيمة خليل باشا عقدت في عام ( ١٠٣٨ هـ ) معاهدة صلح ثانية

بين الطرفين وتقرر ان تكون حدود البلدين هى نفس حدود عهد  
الشاه طهما سب وأن يرسل ملك ايران سنويا مائة حمل من الحرير الخام  
الى السلطان العثمانى .

وجرت آخر حرب للشاه عباس مع العثمانيين بين سنتى ( ١٠٣٣هـ )  
و ( ١٠٣٤هـ ) وكانت بسبب الاستيلاء على بغداد لان بغداد مع أنها  
كانت تبعا لايران فى عهد الشاه اسماعيل الا أن السلطان سليمان خان  
أخذها من ايران ، وعاد وردى خان بأمر الشاه عباس قبل فتحها كما  
سبق الى ايروان فظلت تتبع السلاطين العثمانيين .

وفى عام ( ١٠٣٢هـ ) هاجم الشاه عباس العراق العربى من أصفهان  
ففتحه فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ثم ضم الى ايران ( العتبات  
العاليات ) وشخص هو بنفسه لزيارة هذه الاماكن المشرفة وقام بتعمير  
أبنيتها .

وفى أوائل عام ( ١٠٣٣هـ ) قدم حافظ أحمد باشا من طرف السلطان  
مراد خان الرابع لاسترداد بغداد وحاصرها فى التاسع من صفر فبعث  
الشاه عباس اليها زينل بيك الشاملو فغلب زينل حافظا وبعد حصار سبعة  
أشهر أنقذ بغداد وأتى الشاه بنفسه اليها فى ( ١٠٣٤هـ ) وعلى اثر بضع  
حروب انهزم جنود حافظ أحمد باشا تماما ولم تقع من هذا الوقت حتى  
نهاية حكم الشاه عباس حرب أخرى ذات أهمية اللهم الا أن هجمات  
الولاة العثمانيين للحدود على بلاد الكرج وأرمينية لم تنقطع وقتا .

### الاستيلاء على قشمر وهرموز فى ( ١٠٤١هـ ) :-

بعد فتح البحرين على يد جنود ايران وحصار ميناء جرون أرسل  
ملك أسبانيا فيلب الثالث الذى استولى فى هذه الآونة على البرتغال  
وحكمها أيضا سفيرا بتحف وهدايا كثيرة الى مقر الشاه عباس والتمس  
منه أن يعطيه البحرين ليستولى عليها عمال شركة الهند البرتغالية وأن

يرفع حصاره عن جرون . واستقبل الشاه الصفوي رسلا فيليب في ( ١٠١١ هـ ) فاحتفى الشاه لمقدمهم اجتهاء عظيما لأنه كان يود محاربة البلاد المسيحية ضد العثمانيين وأمر وردى خان أن يرفع الحصار عن جرون ويضع البحريين تحت تصرف البرتغاليين لكنه لم يصبر كثيرا على الأمر الثاني كما لم يمكن حاكم البحريين البرتغاليين منها .

وفي ( ١٠١٧ هـ ) أعاد فيليب الثالث سفيره السابق الى ايران وشكا من أن نواب الشاه رفضوا تمكين البرتغاليين من البحريين وهنأ شاه ايران وهو يتملقه على فتوحاته في حروبه مع العثمانيين ، فأرسل الشاه عباس رسالة ودية للملك اسبانيا مع مخصص من قبله وسفير اسبانيا لكنه لم يذكر حرفا عن البحريين . وفي عام ( ١٠٠٩ هـ ) حين كانت البحريين يبيد الايرانيين وحين كان وردى خان مدركا ان البرتغاليين لم يتخلوا عن استعادتها طلق يتعرض الى ميناء جرون والقلاع والموانئ الأخرى على أطراف باب هرموز وكانت جميعا في قبضة البرتغاليين وذلك لكي يصرف اهتمامهم اليها ولكي يكون مركزا لجنوده بجوار قلعة جرون المحكمة ، فيهيء بهذا أسبابا لمضايقة البرتغاليين على الدوام وابتنى قلعة باسم ( قلعه عباسي ) على مقربة من جرون .

وفي ( ١٠٢١ هـ ) أرسل وردى خان ابنه امام قلى خان للسيطرة على جرون لكنه فشل في أخذها في ذلك الوقت وكان أن مات وردى خان أيضا في نفس العام فصار امام قلى خان خلفا لأبيه في رئاسة فارس . الا أن امام قلى خان فتح جرون في عام ( ١٠٢٣ هـ ) وخرّب قلعتها البرتغالية وأنشأ مكانها بندر عباس الحالية على مقربة من قلعة عباس السابقة .

اتجه سفير فيليب الثالث المسمى أنطونيو دي كوفيا Antonio de Gouvea : ودنكيز بيك الرومالي سفير الشاه عباس الى أوربا لجلب مساعدة اسبانيا الى ايران في حربها مع العثمانيين في ( ١٠١٧ هـ ) وعادا الى ايران في ( ١٠٢١ هـ ) ولم ينتج عن هذه

المسفارة ما كان ينتظره شاه إيران لذا عامل أنطونيو بخشونة وقتل دنكير بيك أيضا لأرتكابه أيام سفره حركات بذيئة وصمم بجدية على أن يقطع أيدي البرتغاليين عن جزر الخليج وسواحلهم وكانت حملة أمام قلتي خبان على جبرون على أثر هذا التصميم .

وفي أوائل عام (١٠٢٣هـ) أرسل فيليب الثالث سفيره مرة أخرى إلى إيران يطلب من الشاه ضم البحرين إلى جبرون على وعد بمساعدته في حملته على العثمانيين في الغرب ، فرد الشاه عليه وقد آيس من تحقيق وعوده أن جبرون جزء من أرض إيران وأن البحرين قد استولى عليها جنوده من أمير هرموز . وكان الشاه عباس في هذا الأوان منشغلا بمفاوضات مع مبعوث شركة التجارة الانجليزية في الهند لاعطائهم امتيازات تجارية نظير حصوله على عونها البحري لهذا أعاد سفير فيليب صفر اليديين وكان هذا في حكم قطع العلاقة ما بين إيران وإسبانيا .

وأنزل أسطول شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام (١٠٣٠هـ) بالبرتغاليين في ميناء جاسك هزيمة عظيمة وقد أجلت هذه الهزيمة وهنا كبيرا بمعظمة البرتغال البحرية في الخليج .

وفي هذه الأيام دخل أمام قلتي خبان بأمر الشاه في مفاوضات مع ممثلي الشركة الانجليزية لكي يستمد بأسطولهم في حملاته على جزيرتي قشم وهرموز وأبى ممثلو الشركة المطلب لمدة عام إذ أنهم كانوا يخشون ألا يكونوا أندادا للبرتغاليين في هرموز من ناحية ومن ناحية أخرى لم يحبوا أن يقدموا على هذه الخطوة بغير اجازة من بلاط لندن لأن فيليب الثالث كانت علاقاته بملك إنجلترا ودية . وفي النهاية هددهم أمام قلتي في حالة عدم استجابتهم لطلبه بالاستيلاء على جميع السلع التي تتبصع الشركة في سواحل الخليج ، وأخيرا عقد ممثلو الشركة في ميناب معه معاهدة قرر بمقتضاها أن يحمل الإيرانيون على قشم وهرمز من ناحية البر ويهاجمها الانجليز من البحر ويقتسم الطرفان الغنائم بالتساوي بعد

المفتوح ويتحمل الطرفان أيضا نفقات الأسطول والذخيرة وأن يعسود  
الأسرى المسلمون إلى الإيرانيين والمسيحيون إلى الانجليز ( باستثناء  
حاكم هرمز البرتغالي الذي قرر أن يترك إلى إيران ) كما يصير دخل  
جمرك هرمز قسمة بين الجانبين وأن تعفى البضائع التي يصدرها الانجليز  
للشاه وإلى فارس من دفع الرسوم الجمركية .

وبعد عقد هذه المعاهدة بدأ امام قلى بحملته على قشم وباستيلايه  
عليها قطع طريق مياه الشرب عن برتغاليين هرمز ثم أثار عمان عاملها على  
البرتغاليين .

ولما فتحت قشم القوت المتحدة الايرانية والانجليزية في  
السابع والعشرين من ربيع الثاني عام ( ١٠٣١ هـ ) بحصارها على قلعة  
هرمز وفتحتها في النهاية في العاشر من جمادى الآخرة وسقط ثلاثة آلاف  
أسير برتغالي في أيدي الانجليز وعدد من العرب بقبضة الإيرانيين ،  
وقتل الأسرى العرب بأمر امام قلى وأرسلت رؤوسهم إلى بندر عباس .

وبفتح هرمز فقد البرتغاليون أكبر معاقلهم وأشدّها تحصينا في  
الخليج بعد قرن وبعض قرن كما زالت اسرة أمراء هرمز القديمة في عام  
( ١٠٣١ هـ ) التي حكمت من بضعة قرون في هرمز القديمة ( ميناب  
الحالية ) وهرمز الجديدة ( جزيرة هرمز الحالية ) وسواحل موغستان  
وعمان مستقلين حينما وقعت أمر أمراء إيران وأخيرا تحت حكم ملوك  
البرتغال وأسبانيا أحيانا أخرى .

وبعد فتح قشم وهرمز كان امام قلى يود اخراج عمان ومسقط  
أيضا عن قبضة البرتغاليين وتخليص مسلميهما من شرور اعتداءاتهم  
العاشمة ولهذا النية دخل في مفاوضات مع نواب شركة الهند الشرقية  
لجلب مساعدة الانجليز . لكن الانجليز ولما يستفيدوا بشيء من فتح  
هرمز وكانوا يودون أن يتلافوا ما خسروه هذه المرة اقترحوا لامام  
قلى أن يترك لهم جميع جزيرة هرمز ونصف العائدات الجمركية لها وان

يكون لهم الحق في الاحتفاظ بأربعة سفن حربية في الخليج + ورفض امام قلى هذا الاقتراح لانه لم يكن يقبل أن تسقط هرمز في أيد مسيحية مرة أخرى ، ولم يصادف تنفيذ خطة الاستيلاء على مسقط وعضان برغم مهاجمة امام قلى لهما بسبب ضعف قوة ايران البحرية توفيقا كما فشل البرتغاليون في استعادة هرمز برغم محاولاتهم الى ان تصالحوا مع الشاه عباس في ( ١٠٣٤هـ ) وتنازلوا عن جميع ما كان لهم فيها سبق . وكان الشاه لا يريد أن يفقد صداقة ملك أسبانيا والبرتغال لكيلا يبقى وحيدا في حالة حدوث حرب له مع الانجليز لهذا سمح للبرتغاليين أن يقوموا بصيد اللؤلؤ في البحرين ويؤسسوا لهم في ميناء ككك شمال شرقي لشكة قلعة ودار للتجارة

### موت الشاه عباس في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ( ١٠٣٨هـ )

أصدر الشاه عباس في العام الأخير من سلطنته أوامره لامام قلى خان والى فارس أن يهاجم ومعه أمراء خوزستان البصرة فيستولوا على هذا الميناء عن طريق دجلة وجزيرة العرب وقصد الشاه نفسه أيضا مازندران + وفيها زاد المرض على الشاه الى أن وافاه أجله ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام ( ١٠٣٨هـ ) في بلدة أشرف ( بهشهر الحالية ) وقد عمر تسعة وخمسين عاما وثمانية شهور وثلاثة وعشرين يوما وحمل جسده من مازندران الى كاشان ثم دفن بعد فترة في قم .

وقد حال وصول خبر موت الشاه عباس دون يستولى امام قلى على البصرة وكان يحاصرها فأتى أصفهان ليقابل الشاه الجديد +

يعد الشاه عباس الكبير الذى حكم ايران تسعة وأربعين عاما من بداية اعلانه السلطة وثلاثة وأربعين عاما من خلع أبيه أعظم ملوك ايران بعد الاسلام - بلاشبهة - نظرا لأعماله الكبيرة التى تبعت في فتوحاته والآثار الخيرية التى ظهرت في ادارته الملك ويجوز أن أحدا من ملوكنا

ليس في نظر الغنوام الايرانيين في شهرته وطيب ذكره ، وتشهد الحكايات والأساطير الجارية عنه على السنة الناس بهذا ولم يكن اطلاق لقب (الكبير) الذي أطلقه عليه الفرنج عبثا .

وللأسف فان اعمالا ارتكبها الشاه عباس في مجال حياته الخاصة تبلغه الى الدرجة النهائية لقسوة القلب والفظاظة والتعصب من قبيل قتله لابنه الأرشد (صفى ميرزا) عام ( ١٠٢٢هـ ) بتهمة التفكير في عصيانه وسمل ولدين آخرين وانزال الذبح العام للكرجيين وقتل التابعين والمتهمين بأدنى مظنة أو ذنب . أما غير هذا فان الشاه عباس فضلا عن غلبته لأعداء ايران السابقين وكسب المآثر الكثيرة في فتوحاته فقد جاهد أكثر من أى ملك في مضمار رفاهية الشعب وتعمير البلاد وشنق الطرق وتشبيد الأبنية والمعائر ولا يزال الى اليوم آثار عديدة من آثاره الخيرية في كل ايران .

نقل الشاه عباس في حدود العام الألف الهجرى عاصمة الدولة الصفوية من قزوین الى اصفهان فولت هذه المدينة وجهها مرة اخرى الى العمران والعظمة بفضل اهتمام هذا الشاه وكانت قد نزلت من عهد السلاجقة عن اعتبارها وعمارها ، وطفق الشاه وأعيان دولته يشيدون بها المعائر والمساجد والطرق والحدائق . وبدأ الشاه عباس في عام ( ١٠١١هـ ) بتأسيس سوق ( تشهار بازار ) وميدان ( نقش جهان ) وفي عام ( ١٠١٩هـ ) ابنتى مسجد شاه واختط لأقامته قصر ( عالى قابو ) والجنان على حافتى نهر زاینده رود والمنازل الملحقة بها .

وخلالما لاصفهان أقام الشاه عباس أبنية عدة في ولايات ايران الأخرى خاصة مازندران التى كانت من أماكن سياحة الشاه وصيده الدائمة ، ومن بين ذلك اقامته لميناء فرح آباد في ( ١٠٢٠هـ ) وأشرف في ( ١٠٢١هـ ) وجادة سنكفرش في ( ١٠٣١هـ ) لمسازندران بطول خمسة وأربعين فرسخا من فرح آباد حتى خوار الرى وطريق أخرى من نفس

الولاية بين جاجرم في خراسان حتى صحراء موغان .

وفي عراق العرب عمر كما أثر الشاه عباس مدينة النجف ومقابر الأئمة — ثم أوقف عام (١٠١٧هـ) جميع أملاكه الخاصة للأئمة الأربعة عشر المعصومين وأمر أن يعود ريعها إلى السادات (١) .

وفي عام (١٠٣٨هـ) أمر امام قزلي أن يزيل جزءا من جبل (زرد كوه بختيارى) الذى ينبع من سفوحه نهرا قارون وزاينده رود أى الجزءسمى كوه رنك الذى أقدم الشاه طهما سب على حفره قبل ذلك ، لكي يدخل قسما من ماء نهر قارون في نهر زاينده رود بهدف تعمير أصفهان ، فبادر امام قزلي لتنفيذ الأمر لكنه لم يستطع تحقيقه بسبب صعوبته .

وكان الشاه عباس رجلا يحب السياحة والتطواف وكثرت زياراته أغلب سنييه لمشهد أو مقبرة جده الشيخ صفى الدين بأردبيل لذا فإنه يرى عنه منازل للقوافل ابتناها من الحجر لا حصر لها على كل الطرق

---

(١) المعروف أن الأئمة اثنا عشر اماما في المذهب الاثنى عشر الامامى وليسوا أربعة عشر اللهم الا اذا ادخل غرضا الشاه عباس اسماعيل بن جعفر الصادق امام الاسماعيليه وأخت الرضا ( المعصومة ) التى لازال قبرها بقم الى اليوم مزارا يحج اليه الشيعة فصار عدد الأئمة أربعة عشر . وليس عنيينا في هذه المسألة عدتهم فان كانوا يقتلون أو يزيدون لا يتقص الأمر أو يزيد بقدر ما نعى به من وصفهم بالعصمة التى لا يتصف بها الا الله تعالى . فالمعصمة باطلاق لله وحده ، والرسول صلوات الله عليه ليس معصوما من الخطأ وحده الا في حالة نزول الوحي عليه وتبليغه للناس اما غير ذلك فهو كسائر البشر يجرى عليه ما يجرى عليهم من النسيان والخطأ ، وهذا واضح من قوله تعالى للرسول ( يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ) المائدة / ٦٧ . اما دون الوحي وتبليغه فالرسول مغرض للخطأ كما حدث منه وحدث به القرآن الكريم في أكثر من حادثة كإعراضه عن الأعمى لشغله بكبار قريش وتحريره ما أحل الله له ابتغاء مرضاة أزواجه وغير ذلك وكان الوحي يرشد الرسول دائما فيقره على اجتهاده بغير وحي أو يعطله أو يعلمه بشيء جديد . وإذا كان الرسول الموحى اليه تتلقى عنه العصمة الا حين الوحي وتبليغه فمن الضلال البين اعتقاد العصمة على اطلاقها أو جزء منها على بشر قط والله تعالى اعلم .



الرئيسية في ايران وتقول العامة أن تسعة وتسعين وتسعمائة منزل  
للقوافل أنشأها الشاه عباس الكبير ويوضح هذا العدد كثرة ما بناه من  
هذه المنازل (١) .

وفي عام (١٠٠٨ هـ) قصد الشاه زيارة مشهد من اصفهان راجلا فأمر  
بقياس المسافة ما بين اصفهان ومشهد عن طريق صحراء باطناب فبلغ  
مائتي فرسخ الا واحدا .

وفي عام (١٠١٧ هـ) حين أتى الشاه عباس مراغة ورأى بها مرصد  
هولاء صمم أن يعمره وأرسل لأعداء مشروع تعميره الشيخ بهاء الدين  
محمد العاملي والملا جلال المنجم وعلى رضا الخطاط فعرضوا تقريرهم  
لتجديد المرصد ، لكنه لا يعلم لأي سبب لم تطبق هذه النية عملا واقعا .

#### سياسة الشاه عباس الادارية :

سعى الشاه عباس قدر استطاعته والى الحد الذي كان يسمح به  
عصره في تعمير البلاد واصلاح ما يتعلق بالتجارة والجيش والزراعة من  
أمر ولم يغفل كذلك عن استجلاب الأجانب والأفادة بهم في هذه الميادين .

ولم يكن الشاه عباس فظا على غير أهل السنة من دون أتباع سائر  
المذاهب لذا فقد جلب أثناء غزواته لأرمينية والكرج نحو ثلاثين ألف اسيرة  
من مسيحيي هذه الولايات الى مازندران وأسكنهم بها كما رحل الى

---

( ١ ) ليس من الدقة الاعتماد على ماثور العامة والجفلي فيما ينسبونهم  
الى سلطان أو غيره من فعل خاصة اذا كان البطل سلطانا عندهم ، ولعل  
نفس العدد المذكور ( ٩٩٩ ) يوضح كذب الخبر لضخامته أولا ولا يثاره دون  
غيره ثانيا لان من يبنى ألف منزل الا واحدا يستطيع اقامتها الى الالف اذا  
فرض استطاعته بناء مثل العدد الضخم . ويبدو ان العامة اختاروا هذا العدد  
دون غيره في رواياتهم لقربه في اذهانهم من الالف ليلة وليلة وحكاياتها  
وابطالها الخالدين عند العوام وربما هدفوا الى أن يعملوا منزلة بطلم الصقوى  
على بطل ألف ليلة وليلة الاسطوري ، فواحد أمضى عمره يشيد ألف بنساء  
وآخر قضاه يسمح ألف حكاية فشتان اذن بين البطلين . .

أصفهان خمسين ألف أسرة من أرامنة جلغا وإيروان وبنى لهم مدينة  
جلغا على شاطئ نهر زاينده رود وأنشأ لهم فيها الكنائس ووجعهم على  
التجارة مع الهند والبلاد الخارجية بأن أعطاهم الحرية الكاملة •  
وفي عام ( ١٠٠٦ هـ ) حينما كان الشاه عباس في خراسان يدفع  
الأوزبك قدم أحد النجباء الانجليز كان متمصفا بالحنكة والخبرة بالحرب  
يصحبه أخوه وستة وعشرون رجلا من بلاد الانجليز ليقابل الملك الصفوي  
بايران وكان يعرض الى اكتساب امتيازات تجارية من ناحية وإلى ادخال  
الشاه عباس في تحالف مع السلاطين المسيحيين في أوروبا ضد الأتراك  
العثمانيين من ناحية أخرى •

( Antony Sherly )

وبلغ هذا للرجل واسمه أنتسوني شرلي  
ومعه أخوه روبرت ( Robert Sherly ) والبعثة المرافقة لهما  
مقر الشاه عباس بقزوین وقدموا التحف والهدايا التي اصطحابها ، فلقبهم  
الشاه بحفاوة واصطحبهم الى أصفهان •

وفي أصفهان أدرك الشاه ووردى خان أن من بين رفقة شرلي من  
يعرف بفنون المدافع والأمور الأخرى العسكرية ، وكان الشاه وقائد  
جيشه يفكران في تنظيم جيش جديد على نظير الجيوش المنظمة  
لبلاد أوروبا لاجراج الأتراك العثمانيين ودفعهم وكان الجيش الصفوي  
حتى هذا الوقت مؤلفا من فرسان جماعات القزلباش التي كانت تدين  
بالولاء في الحقيقة الى رؤسائها أكثر من الشاه حتى أنهم كما رأينا كانوا  
يتدخلون في عزل الملوك وتنصيبهم حسب أهوائهم ، وقد ثار الشاه عباس  
نفسه على أبيه عن طريقهم فوصل الى السلطة •

وكان الشاه الصفوي يعلم بما لديه من معرفة بأحوال الجيش  
العثماني أن جنده القزلباش ليس بمكنتهم مجابهة العثمانيين وأنه يلزم  
جيش متدرب مطيع للشاه اطاعة مباشرة لهذا بدأ بتخفيض عدد الفرسان  
القزلباشية الى ثلاثين ألفا وأحل محل المبعدين عشرة آلاف فارس وعشرين

ألفا من المشاء لقوا جظا من التدريب والتعليم بعون أصحاب شرلى واخوته وكانوا يثقلون من الدولة الجراية والرواتب وجهزت لهم مدفعية حديثة وأنيطت قيادتهم العامة بوردى خان \*

وقد ألف الشاه عباس طائفة جديدة من الطوائف المختلفة لحراسته الخاصة لتوقعه الأخطار المحتملة من القزلباشية وسماها ( شاهينسون ) أى أحباب الشاه وأدخلت هذه الطائفة فضلا عن حراستها للشاه بين فرق جيشه \*

وفى أواخر عام ( ١٠٠٧هـ ) حين نجح الشاه عباس فى تأليف هذا الجيش وقرر مهاجمة العثمانيين أرسل أنتونى شرلى ومعه حسين على بيك بيات الى ملوك أوروبا لكى يعقد معهم صفقات رابحة فيما يتعلق ببيع حرير ايران وكان فى هذا الوقت من نفائس البضائع المطلوبة عند الأوروبيين كما يبنى معهم أساس تحالف ضد العثمانيين قائم على مقام محكم \*

وأثناء السفر وقع الخلاف بين شرلى وحسين على بيك فخلاه شرلى وقدم الى اسبانيا لدى فيليب الثالث ولم يعد الى ايران ثانية \* ووصل حسين على بعد سفر طويل الى بلاط اسبانيا وعاد الى ايران بسفينة كان فيليب وضعها تحت تصرفه وقد استغرقت عودته نحو أربعة أعوام \* وسير ملك اسبانيا فى نفس ذلك الوقت ديكوفيا بسفارة الى ايران وكان الشاه عباس كما رأينا على أهبة أن يرفع حصاره عن جرون لكى يكتسب مودة فيليب وان يعيد البحرين أيضا الى البرتغاليين \*

وعاود ديكوفيا زيارة ايران ( ١٠١٧هـ ) وعاد هذه المرة يصحبه زنجير بيك سفير ايران باسبانيا الى بلده ثم أب ثالثة الى ايسران فى عام ( ١٠٢١هـ ) \* لكن هذه السفارات لم تسفر عن نتيجة هامة كما سبق لأن الشاه لم يكن مستعدا أن يعيد البحرين ولم يساعد فيليب شاه ايران فى هجومه على العثمانيين من الغرب \* وقطع الهجوم على هرمز سلسلة هذه

المفلوؤضلت، الودية وقصرت البرتغاليين رعايا فيليب الثالث تماما عن جزر الخليج وسواحلها .

وفي ( ١٦٠١ هـ ) حين لم يعد أنتوني شرلي من أوروبا ولم تؤد سفارة حسين علي بيك الى نتيجتها المطلوبة أرسل الشاه عباس روبرت أخنا أنتوني شرلي - وكان أسدى خدمات جليلة في الصروب مع العثمانيين وأصبح محط نظر الشاه - بسفارة الى أوروبا ، فتفاوض باسم الشاه من عام ( ١٦٠١ هـ ) حتى ( ١٠٢٤ ) في الهند وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وانجلترا وروما مع ملوك هذه الدول والبابا ، وكان من ضمن ذلك وصوله عام ( ١٦٠٩ هـ ) لقصر فيليب الثالث لكنه وقع فيه غريسة دسائس أخيه أنتوني الذي كان ينفس عليه مكانته فاتهم روبرت باساءة العلاقات بين ملك الانجليز والسلطان العثماني وتوليد الحروب .

وعاقبة الأمر قابل روبرت ملك انجلترا في ( ١٦٠٢ هـ ) وأطلعته على اقتراحات الشاه عباس وفحواها ترك مينائين من موانئ ايران للانجليز واعطاؤهم حرية التجارة مع ايران ومنح عمال شركة الهند الشرقية الانجليزية الحرية أيضا لقاء قطع التجارة مع العثمانيين لكن الملك رفض هذه المقترحات بسبب رفض جماعة من تجار الانجليز كانت لهم تجارة هامة في موانئ الشام والعمانيين وكانت ترى منافعها في اثاره المشاكل ، لكنه سمح لروبرت ان يعقد في عودته لاصفهان معاهدة مع ايران ودخل روبرت أصفهان أخيرا بعد تحمل مشقات بالغة في سفره في عام ( ١٦٠٢ هـ ) .

أرسلت شركة الهند الشرقية الانجليزية نفسها في نفس الوقت مبعوثا الى ايران لكي يحصل على اذن الشاه ببيع بعض بضائعها التي لم تباع في الهند ولها مشتررون في ايران . وقد كسب المبعوث اذن الشاه بالرغم من ممانعة روبرت شرلي ووضع الشاه عباس ميناء جاسك تحت تصرف الشركة لاقامة تجارها ولتسويق تجارتهم وفتح بهذا العمل الباب لمنافس قوى للتجار البرتغاليين في الخليج .

وقدم روبرت شرلي مرة أخرى في ( ١٠٢٤هـ ) الى فيليب الثالث  
بمفارة له فرد فيليب بسفير في ( ١٠٢٣هـ ) الى ايران • وبقى شرلي  
حتى ( ١٠٣١هـ ) في البرتغال وظل سفير فيليب أيضا بايران حتى  
( ١٠٢٨هـ ) لكن أحدا منهم لم يحصل نتيجة من مهمته بسبب ما ذكرناه  
سابقا من أسباب •

## الفصل الرابع عشر

### سلاطين الصفويين المتأخرون

لسوء حظ ايران أن الشاه عباس كان يسيء معاملة أولاده ولم يهتم بتربية وتنشئة خلف جدير له فلا جرم أن وقع بعد موت هذا الشاه الكبير مباشرة التاج والتخت الصفويان في أيدي ملوك بغير أهبة أو ضعف فأخذت عظمة الدولة واحترامها يقلان يوما بعد يوم وخطا ثانية أعداء ايران الخارجيون في طريق هجومهم عليها .

ولد للشاه عباس أربعة أبناء أولهم صفى ميرزا الذى قتل كما قلنا بأمر الشاه ، وثانيهم طهما سب ميرزا الذى مات في حياة أبيه ، وثالثهم ورابعهم سلطان محمد ميرزا وامام قلى ميرزا اللذان سمل الشاه عينيهما .

وحينما كان الشاه عباس يحتضر في مازندران أوصى أن يخلفه سام ميرزا ولد صفى ميرزا وكان مقيما بأصفهان ، وجلس سام ميرزا في أصفهان بعد سماعه خبر موت جده باسم الشاه صفى ليلة الاثنين الموافق العشرين من جمادى الثانية (١٠٣٨هـ) على عرش السلطة ولم تتجاوز سنه في هذا الوقت السبعة عشر عاما .

### سلطنة الشاه صفى

(١٠٣٨ - ١٠٥٢هـ)

فتح موت الشاه عباس وجلوس ملك شاب غر مكانه الميدان ثانية لهجوم الاوزبك والأتراك العثمانيين فهاجم الاوزبك في شوال عام

( ١٠٣٨ هـ ) مشهد لكنهم هزموا على يد حاكمها منووشهر خان فهربوا الى التركستان وخوارزم .

لكن الواقعات الهامة التى جرت على الحدود الشمالية الغربية لایران لم تدفع بهذه السهولة بل ظل الشاه صفى فريسة لها طوال مدة سلطنته الأربعة عشر عاما وكان أن ظهر أثناء هذه الحروب عجز الشاه كاملا . وما أن سمع السلطان مراد الرابع ( ١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ ) أحد آخر سلاطين تركيا الأتقاء الفاتحين بخبر موت الشاه عباس حتى قرر أن يعوض هزائم عهد هذا الشاه فجعل من إعادة السيطرة على بغداد منظور نظره .

وكان أحد أبناء أسرة كرجية يعيش فى خدمة الشاه عباس وأسدی خدمات كبيرة فى حروبه معه ويدعى جورجى سكذيه ( Giorgi Sakadzé ) ويلقب بمورافى ( Mouravi ) لكنه أعلن عصيان الشاه فى عام ( ١٠٣٢ هـ ) وأخذ يؤلب الكرجيين عليه وبعد مدة من الكر والفر لم يطق المقاومة فلاذ بالسلطان مراد خان وأخذ يكرر دعوته له بمهاجمة ایران .

ولم يجرؤ السلطان مراد على الاقدام على هذا الهجوم ما بقى الشاه عباس حيا وفى السنة الأولى من حكم الشاه صفى أرسل المصدر الأعظم خسرو باشا بجيش الى بغداد وسير مورافى الكرجى الى الموصل وفان وأذربايجان ، فحفظ رستم بيك آذربايجان عن الهجوم وقتل خسرو باشا مورافى الا ان أمير عراق العرب وبغداد لم يدفع ببسر لأن خسرو باشا هاجم هذه النواحي بجيش كبير فأنفذ الشاه زينل خان الشاملو قائد الجيش لدفعه وتحرك هو بنفسه من أصفهان تجاه العراق ، وحاصر خسرو بغداد وسير بعضا من جيشه لفتح بلاد الأكراد . ووصل زينل خان على عجل الى قلعة مريفان لكنه أصيب بالهزيمة المرة بها فى الثانى والعشرين من رمضان عام ( ١٠٣٨ هـ ) فتقدم الترك عن هذا الطريق الى همدان بينما كان صفى قلى خان الحاكم الیرانى لبغداد مستتبلا فى

الدفاع عنها وتقدم ولاية آذربايجان في كل مكان منها لمواجهة الترك .

فتحت هزيمة مريفان طريق ايران الغربية أمام عساكر خسرو باشا ولاذ الشاه صفى باللهرب عنها . لما سمع بقدومهم وتقدم الأتراك حتى جزين لكنهم عادوا عنها . الى بغداد . وأورد الشاه زينل خان مورد الهلكة من شدة غضبه وتوجه في بداية عام ( ١٠٣٩ هـ ) الانتاذ بغداد . وقد تمكن صفى في دفاعه عن بغداد من قتل اثني عشر ألفا من الترك ولما سمع خسرو باشا وصحبه بتحريك الشاه الى بغداد رفعوا حصارهم عنها ، وعاد الشاه الى أصفهان بعد زيارة النجف .

وفي عام ( ١٠٤١ هـ ) سمع الشاه صفى أن طهمورث خان ملك الكرج سلك سبيل العصيان وتحالف مع داود خان والى قرا باغ وأخى امام قلئ خان فاتح هرمز . فأرسل الشاه صفى رستم خان القائد لدفع طهمورث وتحرك بنفسه في عقبه ، وهزم رسم طهمورث وداود وأجبرهما على الفرار . وأمر الشاه بتنصيب خسرو ميرزا أحد الأمراء الكرجيين على سلطنة بلاد الكرج وكان قبل رئيس الحرس بأصفهان وصار خسرو ميرزا ملكا لهم تلبعا للشاه صفى باسم رستم الأول .

وفي عام ( ١٠٤٣ هـ ) اشتعلت الحرب مرة أخرى بين ايران والعثمانيين واتجه السلطان مراد بنفسه الى ايران لكنه عاد بسبب اللقلاقل التي ثارت في الشام بينما كان الشاه صفى قد توجه بعساكره الى بلاد الأكراد لمواجهة الترك . وفي ( ١٠٤٥ ) أعمل السلطان مراد نيته بمهاجمة ايران فبلغ في بداية هذا العام أرزنة الروم وبعد أهتته هاجم آذربايجان وحاصر في صفر من نفس العام ايروان فاستولى عليها نتيجة خيانة الأمير كونه خان قاجار حاكمها وأرسل السلطان هذا الأمير الخائن لحكومة حلب . وبعد ذلك استولى السلطان على تبريز وخرب كثيرا من عمائرها ومبانيها وحرقها لكنه خلاها بسبب البرودة الشديدة فاتجه الى ديار بكر . ولم يحرك الشاه صفى حتى ذلك الوقت ساكننا قلما عاد



السلطان استعاد ايروان وعاد الى اصفهان \*

وفي عام (١٠٤٨ هـ) أتى السلطان مراد مرة أخرى مهاجما ايران وحاصر هذه المرة بغداد يصحبه محمد باثا الصدر الأعظم ، ومع أن الايرانيين المدافعين ظلوا يقاومون مدة خمسين يوما ، وقتل محمد باثا أثناء هذه الحروب الا أنهم سلموا المدينة بسبب قلة المؤن فأغار عليها الاتراك . وسمع الشاه صفى بهمدان بأخبار استسلام المدينة وكان قد تحرك من اصفهان لانتقاها فأرغم على طلب الصلح وترك بغداد للعثمانيين وقنع بالاحتفاظ بايروان \*

موت الشاه صفى في الثاني عشر من صفر (١٠٥٢ هـ)

مات الشاه صفى في عودته من مشهد في كاشان في الثاني عشر من صفر (١٠٥٢ هـ) على اثر الافراط في الشرب وحمل جسده منها الى قم حيث دفن \*

لم تمر سنة في مدة حكم هذا الملك اللاهى العاجز القاسى ، وكانت قصيرة الى حد ما ، من دون أن يقتل جماعة أو يجرمها من حلية البصر ولم يكف في فعله هذا حتى عن قتل المظالم والنساء وكان سادرا في هذا الفعل القبيح الى حد أن اكثر كبار البلاد من القواعد والوزراء والمستوفين وأمراء الاسرة الحاكمة قد قتلوا على يده \*

وفي العام الأول من حكمه قتل عمه الأعمى امام قلى ميرزا بحجة أن جماعة كانت تفكر في جعله سلطانا ، وحينما كان خسرو باثا مستحوذا على همدان والخطر الكبير متجها الى المملكة أهلك زينل خان الشاملو قائد الجيوش ، واستدعى اليه امام قلى خان فاتح هرمز الذى اتحد أخوه داود خان حاكم قرا باغ مع ظههورث خان الكرجى متهما امام قلى أنه يفكر مثل أخيه بالاستقلال بفارس ، فقتله وأولاده الثلاثة في قزوين في عام (١٠٤٢ هـ) ووصم بقتله هذا الأمير الكفء المحب للادب جبينه بعار كبير \*

## سلطنة الشاه عباس الثانى

( ١٠٥٢هـ - ١٠٧٧هـ )

وبعد موت الشاه صفى جلس ابنه ذو التسع سنوات عباس ميرزا على عرش سلطنة ايران باسم الشاه عباس الثانى عشر من صفى ( ١٠٥٢هـ ) ، وبما أنه كان طفلا فى ذلك الوقت فقد وقعت مقاليد الأمور فى أيدي الأمراء وجمع ميرزا تلقى اعتماد الدولة الوزير السابق للازندران وكان المصدر الاعظم زمام جميع الأمور فى يده ككائب للسلطة ، الا أن الامراء الآخرين وقعوا فى خلاف معه وفى النهاية فى ( ١٠٥٥هـ ) دفعوا الشاه الشاب الى قتله .

وفى بداية سلطنة الشاه عباس الثانى اعتزل ملك الأوزبك امام قلى خان الحكم لضعف بصره وأخلف أخاه ندر محمد خان ورحل من التركستان عازما زيارة مكة مارا بخراسان . فأمر الشاه ان يحتفى به فى كل مكان وقدم هو نفسه لاستقباله حتى فرسخين من قزوین وأرسله الى مكة باحترام تام .

ومن أعمال الشاه عباس الثانى الخسنة فى بداية ملكة تحفيضه ضرائب الشعب نحو خمسمائة ألف فجعل هذا العمل هذا الشاه الشاب بعد مظالم عهد الشاه صفى أثيرا لدى العامة . وعمل آخر هو اصداره أمرا بمنع شرب الخمر والشدة فيه الا أن هذا المنع لم يدم لأن الشاه نفسه قطع توبته أسرع من غيره وسقط فى شراب المدام الى حد أنه غفل أغلب وقته بسبب ذلك عن الاهتمام بأمور الملك وأخذ يجانس فى معاقرة الخمر كل من هب ودب .

وكانت علاقات السلاطين الصفويين والملوك الكوركانيين للهند حتى عهد هذا الشاه قائمة دائما على أساس المودة والصفاء ، وكانت هاتان الجماعتان من الملوك يتحد احدهما مع الأخرى غالب الوقت ضد المعتدين

من الأوزبك ولم يكن يفضل بين إيران والهند غير ولاية قندهار ، كما سبق أن أشرنا الى العلاقات الطيبة في عهد الشاه اسماعيل الأول بين هذا الملك وظهير الدين محمد بابر مؤسس أسرة الكوركانيين في الهند . وفي عهد خلف هذا الشاه أى الشاه طهما سب الأول ، لاذ همانيون ولد بابر الى إيران عام ( ٩٥١هـ ) نتيجة للهزيمة التي منى بها من شيرخان أفغان ، وحرم لذلك من التاج والعرش . وأصدر الشاه طهما سب الى عامة الحكم على طول الطريق أوامره بأن يستقبل همانيون الاستقبال الملوك وأن يعاملوه معاملة تتسبب الهزيمة المرة التي ذاقها من الأفغان . وكسان الشاه طهما سب يتلقاه بكل اعزاز واجلال طوال المسدة التي قضى فيها في إيران ، ثم أمده الشاه وأعاده الى الحكم . وفي عهد الشاه عباس الكبير كانت علاقة المودة والصداقة قائمة بينه وبين أكبر شاه وابنه جهانكير .

وفي السنة الأولى من حكم الشاه عباس الثاني قرر شاه جهان خلف جهانكير الذي تملك في ( ١٠٣٧هـ ) أن يضم الى الهند ولاية قندهار التي تفصلها عن إيران والتي كانت من عهد الشاه عباس الكبير في يد الصفويين دائما ، وأرسل شاه جهان ابنه لها لهذا الغرض . وأمر الشاه عباس قائد الجيوش رستم خان بجمع جيوشه وصد جنود شاه جهان الا أن رستم خان لم يهتم بالأمر لعل سبب ذلك أن الشاه كان لا يزال وقتها صغير السن ففقد الشاه قندهار ، وكان أن أمر الشاه قريش شاى خسلان والى خراسان بقتل رستم خان فقتله وأخوته أيضا .

ويعد أن هاز شاه شاه جهان هذا النصر توجه الى التركستان ، وهاجم بلخ بحجة مد ندر محمد خان الذي أصيب بالهزيمة بيد ابنه وأمرائه بينما كان يخطط في الحقيقة للاستيلاء على التركستان . فبلغ ندر محمد خان خراسان واستمد الشاه عباس الثاني . فاستدعاه الشاه للاقبلته وعاجل الى لقائه فيما بعد اصفهان بفرسخين ، ثم أرسل في ( ١٠٥٥هـ ) جيشا الى التركستان لمعاونته وبرفقته . وسمع شاه جهان

بهذا الخبر فترجع عن التركستان واستعاد نادر محمد خان سلطانه السابق ، وبعث شاه جهان في السنة التالية سفيرا الى العاصمة الصفوية ومالك الشاه عباس .

وفي عام ( ١٠٥٧ هـ ) نصب للشاه عباس ( مرئضى قلى خان قلعجار ) قائدا عاما على جيش ايران وامره بجمع جنوده لاستعادة قندهار ، ثم تحرك هو بنفسه في العام التالي قاصدا زيارة مشهد والحقوق بمرئضى قلى خان من لصفهان الى مشهد وقندهار وألقى بحصاره على المدينة الأخيرة .

وعجز في النهاية جنود شاه جهان عن المقاومة فسلموا في ( ١٠٥٩ هـ ) قندهار لشاه ايران . فأنفذ شاه جهان ابنه ( اورنگ زيب ) لاستعادة المدينة وقدم هو الى كابل الا أن الأب والابن لم يستطيعا التخلب على جنود ايران ، فبقيت قندهار تحت سيطرة ايران حتى أيام فتحته الأفغان ، ومع أن شاه جهان هاجم المدينة بجنوده في أعوام ( ١٠٦٢ هـ ) و ( ١٠٦٣ هـ ) و ( ١٠٦٤ هـ ) إلا أن جنود الشاه عباس حافظوا عليها والحقوا بالكوركانيين الهزيمة في كل مرة .

وفي عهد الشاه عباس الثاني كانت غرجستان دائما في طاعة ايران ، ويرغم شروع الروس في مهاجمتها على نحو ما سوف تشير اليه فقد كان خسرو ميرزا أو رستم خان الأول بمصد هجماتهم باسم شاه ايران ، كما أن طهمورث خان أتى غرجستان في بداية حكم الشاه عباس الثاني تاتية قاصدا اخراج رستم خان عنها غير أن رستم خان عليه قبل وصول محمد الشاه ثلاث طهمورث بالفرار الى روسيا وأثار الروس وحركهم للاستيلاء على غرجستان فقدموا في ( ١٠٦٣ هـ ) الى منطقة داغستان وبنوا لهم فيها بضع قلاع ، فقام ولاية غرجستان وداغستان وشروان بتخريبها فبقى طهمورث طريدا في روسيا الى أن عاد في ( ١٠٧١ هـ ) الى ايران يخطب عفو الشاه فعفا عنه .

وفاة الشاه عباس الثانى فى الرابع والعشرين من ربيع الاول ( ١٠٧٧ هـ )

مرض الشاه عام ( ١٠٧٦ هـ ) فنصحته الأطباء بالاقامة فى مازندران فأتى الشاه الى أشرف وأقام بها نحو العام ثم رحل عنها الى مشهد لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الثالث والعشرين من ربيع الأول على مقربة من الدامغان ونقل جسده الى قم وكان عمره أربعة وثلاثين عاما وتسعة شهور ونصف ، ودامت سلطنته خمسة وعشرين عاما وخمسة عشر يوما .

والشاه عباس الثانى عامة من ملوك الصفويين الأخيار فقد كان عادلا ، الى حد ما ، محسنا للرعاية رحيفا بهم بناء ، وخلف كجده آثارا خيرية كثيرة ، كما قام بتشييد قصر ( على قابو ) ( ١ ) عام ( ١٠٥٤ هـ ) و ( باغ سعادت ) أى جنة السعادة عام ( ١٠٥٦ هـ ) على ضفاف زاینده رود ، وبنى قصر ( تشهل ستون ) أى ذى الأربعين عمودا فى ( ١٠٥٧ هـ ) فى أصفهان ، كما أنشأ قنطرة نهر زاینده رود فى ( ١٠٣٨ هـ ) والمسجد الجامع بأصفهان فى ( ١٠٧١ هـ ) . ومن العلماء المشهورين عهد هذا الشاه الشاه لآبد أن نذكر ( الملا محمد تقى المجلس الأول ) ( ١ ) ( والملا محمد فيض ) ( ٣ ) و ( آغا حسين الخوانسارى ) و ( الملا خليل القزوينى ) .

( ١ ) تعنى فى التركية ( القصر العالى ) .

( ٢ ) كان من متعصبى المذهب الشيعى ويعرف بالمجلس الاول تميزا له من ابنه المجلس الثانى الذى الذى ناقته تعصبا وهو من كبار علماء الشيعة فى العهد الصفوى . وكان الابن يدمو للمذهب فى العامة ويسمى معاملة أهل التصوف . من آثار الابن بالعربية بحار الانوار فى الحديث ، وبالفارسية عين الحياة كتاب فى النصيح والوعظ ومشكاة الأنوار ، حلية المتقين ، حياة القلوب ، جلاء العيون ثم حق اليقين .

( ٣ ) وهو المعروف بفيض الكاشانى من فقهاء العهد الصفوى وينسب اليه تأليف كثيرة فى المذهب الشيعى منها اصول المعارف والكلمات المكتوبة فى الحكمة والتفسير والصافي والوافى فى الحديث والتفسير وكلها بالعربية ، ومن آثاره الفارسية أبواب الجنان فى آداب صلاة الجمعة . وله ديوان يبلغ نحو ستة آلاف أو سبعة آلاف بيت ، توفى ( ١٠٩١ هـ ) .

## سلطنة الشاه سليمان

(١٠٧٧ - ١١٠٦ هـ)

كان للشاه عباس الثاني ولدان أولهما صفى ميرزا من أم شركسية وثانيهما حمزه ميرزا ابن زوجته كرجى شاه . وكان الشاه عباس لا يميل إلى صفى ميرزا مع انه كان ابنه الأكبر وأمر في أواخر عمره بأن يحبس في أحد القصور الملكية .

وبعد موت الشاه اجتمع امراؤه في الدامغان ، وقرورا طالبا أن الشاه لم يبد رأيا في تحديد خلفه أن يخلفه حمزة ميرزا ابن الثمانية أعوام ، ولكن ينجح اختيارهم أشاعوا أن الشاه قد سفل عيني صفى ميرزا فلا يمكنه النهوض بالحكم . فأنبعث رئيس خصيان حريم الشاه وهو ( آغا مبارك ) مخالفا هذا الاختيار وقال أن صفى ميرزا صحيح وسالم وهددهم انهم اذا لم ينصرفوا عن فكرتهم فليسوف يقدم على قتل حمزه ميرزا . ولم ير الأمراء أمام هذا قوتا من أن ينصبوا صفى ميرزا وعمره عشرون عاما سلطانا وسمى الشاه صفى الثاني ثم الشاه سليمان بعد ذلك .

وبعد صفى ميرزا من أسوأ السلاطين الصفويين فقد كان قضى عمره مع النساء في دار الحريم والخصيان ورقى السلطة بغير تربية أو تعليم وبأخلاق النساء ، فكان من ناحية ضعيف النفس فانساقا وكان يؤثر من ناحية أخرى صحة النساء والخصيان ومشاورتهم على إدارة أمور الملك والاستماع لنصح الرجال المضحكين . بيد أن صارت وزارته من نصيب شيخ على خان زنكنه الذي كان يدير أمور كرماتشاه على عهد أبيه وكان أمير الأصطبل الملكي في آخره . وكان الشاه يشكو من عدم اعتناء الوزير الاعظم لأبيه فأرداه قتيلا في ( ١٠٧٩ هـ ) بيد شيخ على خان ورفع القاتل مكان المقتول الى رئاسة الوزارة فظل بها شيخ على حتى عام ( ١١٠١ هـ )

وهو يدير بكفاءة ورعاية للناس وعدل وببذل أمور الملك ، ولم يكن الشاه الذى وقع نهب آلام القدمين والنقرس ويعيش فى دار الحريم غالبا يهتم كثيرا بأمور السلطنة بسبب يقظة شيخ على وحنكة .

ومن الوثائق الشعبية الهامة فى حكم الشاه سليمان هجوم التركمان علم ( ١٠٨٢ هـ ) بقيادة ( آدينه سلطان ) على استرأباد والدمغان وسمنان وقتلهم ونهبهم بها . وقد هزم ( كلب على خان الشاملو ) هذه الجماعة فى السنة التالية وقتل آدينه سلطان وان كلب قلب على بجرح فى الحرب ومات متأثرا بجراحه بعد انتهاء هذه الفتنة .

من احسن حظوظ الشاه سليمان أنه لم يكن فى عصره لأحد من جيران ايران الخارجيين قدرة أو قوة تجعلهم يقصدون مهاجمة البلاد والتسلل على سكانهم اما بضعفه أو بأمور أخرى ، ولهذا فلم تحدث طوال فترة حكم هذا الشاه وهى طويلة الى حد ما ( ثمانية وعشرون عاما وبعض علم ) واقعة خارجية هامة ضد ايران ، فانصرفت فترة حكمه مطمئنة بالنسبة له .

وفى عهد الشاه سليمان بسبب الامن والراحة راجت تجارة ايران مع البلاد الأجنبية وأنشأت فى بلاد ايران المختلفة خاصة اصفهان منشآت كثيرة عن طريق الشاه وأعيان بلاطه من بينها قصر ( هشت بهشت ) أو الجنان الثمانية الذى أنهى الشاه بناءه فى ( ١١٠٢ هـ ) بأصفهان .

ومن الرحلة المشهورين الذين أتوا فى عهد هذا الشاه ايران وألفوا كتب رحلات معتبرة حاوية لمعلومات قيمة عن تلك الأيام ، ( شاردان الفرنسى : Chardin ) الذى خلف أفضل وصف لاصفهان ، ثم تافرنيه ( Tavernier ) الفرنسى أيضا الذى قام بست رحلات الى ايران من عهد الشاه صفى الى عهد الشاه سليمان ، ويعد كتاب أسفاره وكتاب شرح تقويم الشاه سليمان من الوثائق الهامة لتاريخ ايران فى هذا العهد .

## سلطنة الشاه سلطان حسين

( ١١٠٦ - ١١٢٥ هـ )

كان للشاه سليمان سبعة أولاد أكبرهم سلطان حسين ميرزا ، فرفع  
الأمرأ بعد موت الشاه ذلك الأمير بسبب ضعف نفسه وورقته وميله  
للاحتجاب لكي يركبوا كل مركب حسب أهوائهم في ظل عدم كفاءته ، ولم  
ينصاعوا لوحيه الشاه سليمان بخلافة ولده الثاني مرتضى ميرزا السدي  
كان شابا عاقلا قادرا .

واعلى سلطان حسين ميرزا باسم الشاه سلطان حسين عرش أبيه  
عام ( ١١٠٦ هـ ) وكان أول فعل قبيح ارتكبه تنصيبه لشاهنواز خان العرجي  
على حكم قندهار وهذا الحاكم السيء السيرة هو من عرف بلقب كركين  
خان أو الذئبي والذي كان سبب عصيان الأفغاننة وانقراض الأسرة  
الصفوية .

### علاقات إيران بروسيا : -

في أواسط حكم الشاه طهما سب الأول شرع قيصر موسكو أيخان  
الرابع بعد فتحه لمدينة هشتار خان وبلوغة سواحل بحر الخزر وحدود  
الداعستان في مهاجمة شمال القفقاز ، ووقسم الجزء الشرقي لغرجستان  
تحت تهديد الروس والقالزاق ، وهزم حكام داعستان المعتدين الروس  
مرارا ومنعوا تقدمهم من هذه الناحية .

وبعد موت الشاه طهما سب أي في أيام حكم الشاه اسماعيل الثاني  
والسلطان محمد خدا بنده أخذ الروس يتدخلون في أمور غرجستان  
الشرقية بسبب ضعف إيران فأرسل خدا بنده سفيرا الى موسكو للاحتجاج  
على هذا التدخل . ولما أدخل الشاه عباس الكبير غرجستان تماما تحت  
طاغته ، لم يقدم الروس على حركة للهجوم عليها ما بقي هذا الشاه على  
قيد الحياة .



وفي عهد الشاه عباس أى حينما كان أبو بطرس الكبير قيصرًا لموسكو ، وصلت بعثة مؤلفة من ثمانمائة شخص الى قزوين بهدف فتح طريق التجارة مع ايران ، ولكن بعد أن فهم الشاه أنهم اعتبروا اعفاءهم من دفع الرسوم الجمركية انضواء سياسيًا لهم أقدم على طردهم من ايران وأعادهم الى الدربند . فغضب قيصر روسيا لهذا وأرسل سفنا الى مازندران ، فأحرق جنودهم فرح آباد ونزلوا على ضفاف ( مرداب ) باستراباد فحصرهم الايرانيون في شبه جزيرة ميانكالة وقبضوا على أكثرهم ولم يجد عمل القيصر شيئًا .

وبدأ بطرس الكبير بالسلام لأنه كان يرنو الى ان ينفذ عن طريق ايران الى الخليج الفارسي والهند فأرسل أرمينيا اسمه افرى الى اصفهان في عهد الشاه سلطان حسين . فاستقبله الشاه ومن معه بحفاوة وقبل منح التجار الروس امتيازات تجارية . وبعد سبع سنوات أرسل بطرس سفيرا آخر الى ايران شكيا من الاعتداءات على التجار الروس في بخارى وطلب لذلك تعريفا . وكان مسلك هذا السفير جائرا مغترا كما كانت أحوال ايران سيئة لهذا لم تثمر المفاوضات بينهما وعاد سفير بطرس معتديا عليه ، فأوجد هذا ذريعة لبطرس للتدخل في أمور ايران ، فبدأ بحرب الشاه سلطان حسين ثم تذرع بعونه ثم شرع من حدود عام ( ١١٣٤ هـ ) يهاجم القفقاز محتجا بانخيازه للشاه طهما سب الثاني ، واستولى كما سوف نشير على جميع سواحل بحر الخزر من دربند حتى استراباد لنفس تلك الذرائع ، وعقد الشاه طهما سب الثاني في عام ( ١١٣٥ هـ ) مع بطرس معاهدة تخطى فيها رسميا عن دربند وباكو والسواحل الجنوبية لبحر مازندران حتى آخر استراباد لقاء المعاونة التي تمده روسيا بها وذلك بسبب أن الشاه كان يتلمس أى عون من أى شخص لطرده الافغان وحصوله على التاج والعرش وبهذا العمل وضعت روسيا قدمها في هذه المناطق وظل هذا الحال قائما حتى أوان بزوغ نجم نادر شاه الأفشاري .

## ثورة الأفغان الفلجيين :

بعد أن ولي كوركين خان هراة ضاق أهلها الأفغان الفلجائيون أو الفلجيون الساكنون في حدود قندهار ذرعا به مع أن كان خلوا من كل كهافة بسبب ظلمه لهم ، وتعاقبت شكاياتهم لتعديده وأتباعه الفرجيين للشاه سلطان حسين ، لكنهم عجزوا عن أن يصلوا الى الشاه الذي يمضى كل وقته داخل دور الحريم معاشرنا لهم وللخصيان ولم يكن الخواص الفرجيون أيضا يسمحون ببلوغ تظلم أهل قندهار له لهذا أخذ غضب أهل قندهار يمتزأيد يوما بعد يوم وظل نطاق اعتداءات كركين خان وجوره يتسع أيضا . وفي النهاية أتى ميرويس أو الأمير أوييس الفلجخي رئيس شرطة قندهار أصفهان لكي يطلع الشاه على حقائق الأمر لكنه عجز بايعاز كركين خان وأعوانه الفرجيين عن مقابلة الشاه واحتجزوا مدة أيضا في أصفهان الى أن سمح له بالسفر الى مكة فخرج من أصفهان بعزم الزيارة .

وبعد أن عاد ميرويس من مكة الى أصفهان رأى أن أوضاع البلاط الصفوي قد زادت اضطرابا ، ولما كان عدد من تجار بطرس الكبير ومبعوثيه يقيمون في هذه الآونة في أصفهان دخل ميرويس في مفاوضات معهم فحرضته هذه الجماعة على إثارة أفغان قندهار ضد إيران . وأشاع ميرويس أيضا في أصفهان أن بطرس الكبير عازم الاستيلاء على غرجستان وأرمينية وأن كركين خان متآلب معه ، ونجح بهذه الحيلة بأن يعود الى رئاسة شرطة قندهار ويراقب أفعال كركين خان .

---

(١) يبدو أن هؤلاء الأفغان الفلجيين هم اصلا ترك من قبيلة خلع أو خلع أو قلع التي سكنت في ازمان متقدمة على شواطئ هلمند . ولعلهم كانوا من بقايا السك أو السيث الذي أطلق اسمهم على سكستان او سكتان وهي سيستان الحالية . وينسب اليهم بعض المؤرخين بيت الفلجيين الذي حكم بالهند في القرنين السابع والثامن الهجريين وكان لهم فتوحات عظيمة بها . ( راجع : تاريخ بخارى ص ٤٨ وحاشية ٢ بها ) .

وفي عودة ميرويس الى قندهار أراد كركين خان ايذاه واضعاف أمره فخطب منه ابنته فأرسل اليه بنتا أخرى على أنها ابنته ، فأرضاه بهذا بعض الشيء ، وفي ( ١١١٣ هـ ) دعاه الى وليمة بلحدى الحدائق ثم قتله بها ، وأثار الغلجيين على شاه ايران عن طريق فتاوى استصدرها أثناء حجه من العلماء السنة مفادها وجوب الثورة على الشيعة وقتلهم ، وكان اورنگ زيب سلطان الهند يحرضه على هذا أيضا .

وبعد وصول مقتل كركين الى الشاه سلطان حسين أرسل ابن أخيه كيخسرو خان لدفع ميرويس فألقى بحصاره على قندهار وظل محاصرا لها عاما ومع أن المحاصرين كانوا على استعداد للتسليم فرد عليهم لسفاهة رأيه ردا غير مناسب حتى غلب على أمره ثم قتل مع وجود خمسة وعشرين ألف جندي تحت امرته فزادت هذه الواقعة ميرويس والغلجيين شجاعة حتى أنهم هزموا القواد الصفويين الآخرين الذين أتوا الى قندهار للاستيلاء عليها ، واستقل ميرويس بهذه المدينة .

### ثورة الأفغان الأبداليين :

حينما كان كيخسرو خان الفرجي ابن أخى كركين قاصدا قندهار نصب عبد الله خان الأبدالى الذى كانت قبيلته على عداوة مع الأفغان الغلجيين حاكما لهراة فلما قتل كيخسرو خان وانهزم الجنود الايرانيون من الغلجيين ثار الأفغان الأبداليون بدورهم فى عام ( ١١١٨ هـ ) واجتروا هراة من ايران .

وتحرك الشاه من اصفهان لدفعهم لكنه لم يتقدم عن طهران وأرسل قائدا ليتم الأمر ، فقتله الأبداليون فى ( ١١١٩ هـ ) وأعلنوا الثورة .

وفى ( ١١٢٠ هـ ) هزم الأفغان الأبداليون بيد محمود ولد ميرويس وقد رأس الغلجيين بعد موت أبيه وقتل عمه عبد الله ، وصرع أسد الله خان ولدا لعبد الله خان الأبدالى قائدهم وأظهر محمود هذا العمل أمام رجال البلاط بأصفهان على أنه خدمة مسداة لهم ، فلقب رجال البلاط

الحمقى محمودا بلقب ( حسين قلى خان ) ونصبوه على قندهار بارسال  
سيف مرصع له .

وفوق قندهار و هراة اتسعت بالتدريج شقة الثورات في سائر ولايات  
ايران فمن ناحية أخرج عمان عن تبعية ايران عربها الخوارج ، ومن ناحية  
اخرى هاجم مشهد في ( ١١٢٢ هـ ) الحاكم السابق لمدينة تون ( ملك محمود  
السيستاني ) الذي عد نفسه من أعقاب الصفاريين وحكم خراسان  
مستقبلا .

### استيلاء الأفغان ( ١١٢٥ - ١١٤٢ هـ ) :

وفي عام ( ١١٢٢ هـ ) وصل محمود عن طريق سيستان ليستولى على  
ايران الى كرمان ففتحها بمساعدة الزردشتيين بها ، لكنه منى بهزيمة  
شديدة فيها على يد لطف على خان والى هارس وعم فتح على خان الوزير  
الأعظم فهرب الى هندهار .

وكان أعيان البلاد يخشون رقى أمر لطف على خان فانبعثوا يتآمرون  
على الوزير الأعظم فتح على خان حينما كان يعمل على تسيير لطف على  
الى قندهار وحرصوا الشاه الجاهل على سلكه واقصاء لطف على فأعاق  
هذا الفعل النهوض الى قندهار وأتاح الفرصة لمحمود لكي يقوم بهجوم  
آخر .

وفي ( ١١٢٤ هـ ) هاجم محمود كرمان عن طريق سيستان مرة ثانية  
ومعه محبة قلة من الأفغان ، وبعد أن استولوا عليها تقدم عن طريق يزد  
الى اصفهان وتغلب على جيش ايران في ( كلون آباد ) على بعد أربعة  
فراسخ شرق اصفهان واغتتم مدفعيتهم واستحوذ على جلفا وفرح آباد .  
وانحصر الشاه وجنوده في اصفهان ومع أن الدفاع عن اصفهان لم  
يكن أمرا شاقا بسبب كثرة الجند ووفرة ماء نهر زاینده رود في هذا الوقت  
وكان ربيعا وسهولة منع الأفغان من عبور قناطر النهر الا أن الخوف

والضعف قد استوليا على الشاه ورجال بلاطه البلهاء الى حد أنهم لم يكونوا يفكرون في غير التسليم بالقضاء والقدر واطهار ايمانهم بأن نجم اقبال محمود في تصاعد وأن زوال السرة الصفوية أمر محتتم . وبين ذلك استولى الأفغان على أحد معابر نهر زابنده رود فحاصروا العاصمة ولما كان سبق لهم قطع طريق المؤونة عنها فسرعان ما بدا القحط في المدينة ولم ير الشاه سلطان حسين مناصا من الشيوخ الى محمود في فرح آباد يوم الجمعة الثاني عشر من محرم عام ( ١١٣٥ هـ ) ويسلم له التاج والعرش . ودخل محمود اصفهان في الرابع عشر من هذا الشهر ، وجلس في قصر ( تشهل ستون ) على عرش ايران مكان الشاه سلطان حسين .

والشاه سلطان حسين أحد أسوأ ملوك ايران مسلكا وذكرا فقد كان رجلا شديد العجز وضعف النفس خلوا من كل رأى وتدبير ، ومثل أبيه مغلوبا لرأى النساء والخصيان معاشرهما وكان يتبع الشعوذة والسحر والخزعات أكثر من اتباعه نصيح العقلاء الجريين وعزمهم . وفترة حكمه هي فترة ذروة تحكم رجال الدين الجهلاء بأمور الملك ورواج سوق الخرافات والعقائد الباطلة . من أبنية عهد هذا الشاه الهامة مدرسة تشهار باغ أو مدرسة الأربع جنان من بين ما بنته أم هذا الشاه والتي تعد من سوامق آثار العهد الصفوي .

### سلطنة الشاه طهما سب الثاني

( ١١٣٥ - ١١٤٥ هـ )

في عام ( ١١٣٤ هـ ) حين اقترب محمود الأفغانى الى اصفهان أرسلت جماعة من أركان الدولة طهما سب ميرزا ولى عهد الدولة الى قزوین لكي يجمع جنودا لعون أبيه وانقاذ اصفهان ويقوم بحرب الأفغان .

وبعد أن استولى محمود على اصفهان دفع بعدد من الأفغان لقتال طهما سب ميرزا بقزوین فتركها طهما سب وسلك طريقه الى تبريز املا في

ان يجد معينا ورفيقا وبعد ان سلم اهل قزوین أولا لخموشي محمود ، قاموا بقتل أغلبهم بعد فترة وجيزة ولم ينجح غير قليل منهم بالفرار الى أصفهان .

وكان محمود حتى هذا الوقت يعامل أهل أصفهان بالحسنى وأبقى كثيرا من العمال السابقين في أعمالهم فغضب لما بلغه خبر تمرد اهل قزوین وعلم أن الايرانيين غير راضين باستيلائه فغير من مسلكه معهم من هذا الوقت وأنزل سفكه برؤساء القزلباش وبقية الاسرة الصفوية وقتل في يوم واحد أربعة عشر ومائة أمير إيراني وواحدا وثلاثين رجلا من الصفويين وأهلك كل من كان له عمل في خدمة الشاه سلطان حسين ، وتفرق أهل أصفهان الى أطراف البلاد لظلمه وظلم صحبه السنة ، وخربت هذه المدينة التي كانت أشد البلاد في عصر الصفويين ازدهاما بالسلطان واحدى أبهى مدن العالم .

ولما ان الولايات الأخرى قد سلكت سبيل الثورة بعد قيام اهل قزوین أرسل محمود جنوده لاختماد هذه الثورات فاستعاد كاشان وشيراز بعد مدة من الحصار لكنه عجز عن فتح بختياري وبندر عباس فأثر كل ذلك عليه وفي ( ١١٣٦ هـ ) أصيب بورم في مخه أو بمرض « الرسام » وزاد الأمر عليه حتى انتهى به الى الجنون فارتكب أمورا نفرت منه أتباعه الأفغان ، وفي نهاية الأمر قتله ابن عمه أشرف في اصفهان انتقاما لقتله أباه عبد الله وخلفه على عرش ايران .

### هجوم الروس والعثمانيين على ايران :

كان بطرس الكبير كما سبق القول مهتما من عهد الشاه سلطان حسين بالاستيلاء على البلاد في شمالي ايران ، وبعد سفارتين أرسلهما الى ايران قدم بنفسه في صيف عام ( ١١٣٤ هـ ) بجيش عن طريق وادي الفولجا الى دربند فاستولى عليها وتقدم حتى داغستان لكنه اصطدم فيها بمعاودة العثمانيين ، ولم يكن يود أن يدخل معهم في حرب بسبب الاستيلاء على

داغستان فعاد الى روسيا +

وبعد فترة أرسل الأفغان جنودهم لضم رشت فاستمد حاكمها لعدم استطاعته مقاومتهم بطرس بروسيا ، فانتهاز القيصر الفرصة للتدخل فاستولى في السنة التالية على باكو أيضا +

وكان طهما سب يدق الأبواب لاستجلاب العون فقبل لكسب عون بطرس أن يترك له الايالات الشمالية لايران على شريطة أن يمده بطرس بجيش ، لكن بطرس لم يصدر عنه تحرك لمساعدته حتى فترة ، فظل طهما سب على حاله من التجوال حتى سمع أن أشرف قتل محمودا الأفغاني ، فدخل قزوین وأعلن نفسه فيها شاها خلفا لأبيه +

وكان بطرس يتظاهر بمؤازرة طهما سب وهو في الحق لا يسعى الا الى الاستيلاء على الولايات التي تركها له ، فتمكن من سواهل بحر الخزر من دربند حتى مازندران وانتظر يرقب فرصا لهجمات أخرى + وأقدمت الدولة العثمانية هي الأخرى على مهاجمة بلاد الكرج أملا في الاستفادة باختلال أمور ايران ، وحاصرت تفليس ، وأصبحت الفقفاز مرة أخرى ميدانا للمنافسة بين العثمانيين والروس + وفي النهاية قسمت الدولتان شمال ايران وغربها بينهما مقررتين أن الولايات الساحلية لبحر الخزر تكون نصيب روسيا وأن آذربايجان وكرمانشاه وهمدان تبعا للعثمانيين ، ونتيجة لهذا التقسيم حاصر العثمانيون تبريز غير أن أهلها استبسلوا في الدفاع عنها فعجز الأتراك عن الاستيلاء عليها +

### قتال أشرف للدولة العثمانية :

مع أن الدولة العثمانية وفق معاهدتها مع بطرس كان يتبعها الكرج وايلات ايران الغربية ان أن ضم هذه المناطق كان لابد أن يتم بالحروب ، ولم يكن هذا الأمر ميسورا بسبب مقاومة ولاية هذه الولايات واهل ايران ووجود أشرف خاصة أن أشرف كان كالسلطان العثماني تابعا للمذهب

السني وإن أقدم السلطان العثماني على مثل هذا باتحاده مع ملك مسيحي ضد قائد سني قضى على أعداء السنة وهم الشيعة بإيران كان يبدو في عين رعية السلطان أمرا قبيحا ، وبهذا كان تحقيق مقصد السلطان أمرا مشكلا .

ولكى يقضى السلطان على هذه المشكلة استفتى علماء فائقته بضع فتاوى مفادها أن ليس لامام ومك آخر في وجوده حق ادعاء الامانة والسلطة في بلاد المسلمين ، وهاجم إيران مستظهرا بهذه الفتاوى وتقدمت عساكره حتى أصفهان ، لكنه في حربه مع أشرف أبت أغلب جنوده قتال السنة الأفغان فانهزم السترك . وصالح أشرف في عام ( ١١٣٩ هـ ) السلطان ، وغض طرفه عن جميع ولايات إيران الغربية بالرغم من النصر العظيم الذي صار له ، واعترف بالسلطان العثماني أميرا له وللمؤمنين وقنع بأن يعترف السلطان به ملكا لإيران .

أما الشاه طما سب الثاني فبعد جلوسه مكان أبيه وجمعه جنودا في القفقاز فقد بدأ بتهران فدخلها واستدعى بها رئيس قبيلة قاجار قوانلو وهو فتح على خان من استرياد لمساعدته ، ولما سمع بقدوم أشرف لحصار طهران رحل عنها الى مازندران وبعد أن لحق بجيشه رئيس القاجارية اختاره الشاه نائبا للسلطنة وأميرا للأمرء ، ثم اتجه الى مشهد قاصدا الاستيلاء على خراسان . وسوف نذكر بقية سلطنة الشاه طهما سب الثاني ضمن الفصل التالي .

### اسماء الملوك الصفويين وأيام كل منهم

- ١ — الشاه اسماعيل الأول ( ٩٠٥ — ٩٣٠ هـ )
- ٢ — الشاه طهما سب الأول ابن الشاه اسماعيل الأول ( ٩٣٠ — ٩٨٤ هـ )
- ٣ — الشاه اسماعيل الثاني ابن الشاه طهما سب الأول ( ٩٨٤ — ٩٨٥ هـ )
- ٤ — سلطان محمد خدا بنده ولد الشاه اسماعيل الثاني ( ٩٨٥ — ٩٨٦ هـ )



- ٥ — الشاه عباس الأول بن سلطان محمد خدا بنده (٩٨٦ — ١٠٣٨ هـ)
- ٦ — الشاه صفى بن صفى ميرزا بن الشاه عباس الكبير  
الكبير (١٠٣٨ — ١٠٥٢ هـ)
- ٧ — الشاه عباس الثانى بن الشاه صفى  
(١٠٥٢ — ١٠٧٧ هـ)
- ٨ — الشاه سليمان بن الشاه عباس الثانى  
(١٠٧٧ — ١١٠٥ هـ)
- ٩ — الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان  
(١١٠٥ — ١١٣٥ هـ)
- ١٠ — الشاه مهما سب الثانى بن الشاه سلطان حسين  
(١١٣٥ — ١١٤٤ هـ)
- ١١ — الشاه عباس الثالث بن الشاه طهما سب الثانى  
(١١٤٤ — ١١٤٨ هـ)

## الفصل الخامس عشر

### سلسلة الأفشاريين

(١١٤٨ — ١٢١٨ هـ)

#### ظهور نادر : —

نادر من طائفة ( القرخلو ) الصغيرة من قبيلة أفشار ، والأفشاريون جماعة من التركمان هاجروا من التركستان أو أن استيلاء المغول عليها واستوطنوا آذربايجان وظلوا بها الى أن رحلهم الشاه اسماعيل الأول عنها وأسكنهم في أبيورد بخراسان . وكانت قبيلة الأفشار تقضى الصيف في أبيورد والشتاء في دستجرد من أماكن وادى الكر حيث ولد نادر في المحرم من عام ( ١١٠٠ هـ ) ولهذا شيد بها بعد ذلك قصورا وسميت دستجرد ( مولودخانه ) أى مسقط رأس المولود .

وكان اسم والد نادر ( أمام قلى ) مات في طفولة ابنه ، واسم نادر الأصلي هو ندر قلى ، وكان يعيش في بداية أمره مع أمه وهبط قبيلته حياة بائسة ، فلما بلغ سن الثامنة عشرة دخل في خدمة أحد رؤساء الأفشارية وكان في حكومة أبيورد وتزوج من ابنته ، ومن هذا الوقت أخذ يخطو مرحلة الارتقاء ، لأن نادرا بعد موت رئيسه بلغ حكومة أبيورد ورئاسة قبيلته ، ولما توفيت زوجته الأولى وهى أم رضا ميرزا أكبر أولاد نادر تزوج باختها التى ولت له نصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا .

وبداية اهمية نادر تقترب بالوقت الذى استولى فيه ملك محمود السيستانى على خراسان كما سبق القول ، فقد أمر نادر بدفع الأوزبك من

قبل ملك محمود ، لكنه بعد قليل ترك خدمة مخدومه الجديد تمردا واستبدادا بالأمر وأخذ في السلب والنهب بخراسان .

وأوان ظهور هذه الوقائع أرسل الشاه طهما سب الثاني الذي كان يقيم في فرح آباد بمازندان أحد قادته وهو رضا قلى خان لفتح مشهد وصد ملك محمود السيستاني فاستمد نادرا . ومع أن نادرا أجاب دعوته لكن هذين الرفيقيين لم يتوافقا اذ لم يكن أحدهما راضيا بانتصار الآخر وكان كلاهما يحارب ملك محمود لحسابه الخاص ولهذا فقد هربا كلاهما واستولى ملك محمود على نيشابور أيضا وأعلن نفسه ملكا وسك باسمه العملة .

وأخذ نادر يعد جيشا آخر بعد هزيمته من ملك محمود وانقصر عليه في النهاية على بعد فرسخين من مشهد ، ولاذ محمود بالفرار بعد أن تكبد كثيرا من القتلى والأسرى .

وبعد أن سار بذكر هذا الفتح الركبان أرسل الشاه طهما سب رسولا لنادر وهو بخراسان يستدعيه لخدمته ، فأحتفى نادر بقدوم سفير الملك الصفوى ودعا الشاه الى موافاته بخراسان بعد أن تعهد بخدمته .

وسلك الشاه طهما سب من مازندران طريق خراسان يصحبه قائد جيشه فتح على خان قاجار القوانلو ، ولما فشل اتحادهم مع نادر لحقت جماعات كثيرة من عشائر خراسان وقبائلها لعون الشاه طهما سب بجيش نادر وكان من ضمن هذه الجماعات عدد من أكراد خبوشان .

وغضب فتح على قاجار الذي كان يريد أن يكون الشاه مطيعا له وتحمت حمايته لزيادة أتباعه من غير القاجاريين الذين كانوا سبب قلة أهمية الدور القاجارى ، فأخذ يعمل على تشتيت اجتماع الأكراد الخبوشانيين ، ولما ضرب عنق أحد رؤسائهم باحدى الحجج ثار الأكراد واشتعلت الحرب بينهم وبين القاجاريين وقتل أتباع فتح على كثيرا منهم ، فلجأت هذه الطائفة الى الاستنجاد بنادر ، فتوسط للصلح بين الفريقين

وطلب من الشاه العفو عنهم لأنهم اعتبروا متمردين بسبب اغواء فتح على خان لهم . فعفا الشاه عنهم ولقب نادرا طهما سب قلى أى تابع طهما سب .

وتحرك طهما سب قلى خان فى الثانى والعشرين من المحرم عام ( ١١٣٩ هـ ) من خبوشان الى مشهد بعد أن رفض ملك محمود قبول طاعة الشاه طهما سب وحاصر فى الثانى من صفر مشهدا . وفى أثناء حصار مشهد طلب فتح على خان ، وكان قلقا لزيادة قوة نادر مشفقا على حياته ، اجازة الشاه لكى يعود الى استراياد محتجا بجمع جيش له ، فلم يرض الشاه بذلك بل وحرص هو وطهما سب قلى خان أحد القاجارية كان موتورا من فتح على بقتله سرا ، وقتل فتح على خان رئيس قبيلة القاجاريين بهذا فى الرابع عشر من صفر عام ( ١١٣٩ هـ ) ، فخلفه طهما سب قلى خان فى القيادة العامة للجيش الصفوى .

واستغرق حصار مشهد شهرين ونصف شهر ، وكان ملك محمود مستبсла فى المدفاع عنها بأسلحته ومدفعيته القوية ، وفى النهاية خانه أحد قواده فى السادس عشر من ربيع الثانى ( ١١٣٩ هـ ) وفتح آخر أبواب المدينة أمام جيش الشاه طهما سب واشتعلت الحرب بين الطرفين فى مشهد . ولما ضاقت الأرض على ملك محمود بما رحبت سلم تاجه وعرشه الى الشاه طهما سب وأقام زاهدا باحدى زوايا المدينة . وبعد أن فتح طهما سب قلى خان مشهدا شغل نفسه لاستمالة الشيعة بتذهيب صفة ( العتبة الرضوية ) ومنارتها وبناء منارة أخرى معها وأبقى ابنه رضا قلى ميرزا فيها ، وتوجه هو الى خبوشان ليتزوج بابنة أحد رؤساء الأكراد . وكانت مخطوبة له ، وكان الشاه طهما سب قد خطب هذه الفتاة قبل هذا فأوجد بهذا حائلا دون تحقيق مقصد طهما سب قلى خان .

وقد ولد هذا الأمر الخصومة بين الشاه وقائد جيشه وأسرع كل

منهما الى خبوشان لكي يسبق الى طلب يد هذه الفتاة ، فامتنع الأكراد عن تزويج ابنتهم لكل منهما فحاصرا قلعتهم ولما استشكل الاستيلاء على القلعة عاد طهماسب قلى خان الى مشهد ورفع الشاه طهماسب حصاره بسبب نهب بعض خزائن السلطنة في جاجرم . واستعاد طهماسب قلى خان من المغيرين ما نهبوه وأرسله الى الشاه فتقرب ثانية اليه ، ثم انتهر فرصة وتغلب على أكراد خبوشان العصاة ونال أخيرا هدفه في المتزوج بابنة أحد رؤسائهم . وعثر أثناء ذلك بمراسلات كتبها ملك محمود لاثارة الأكراد عليهم فاستصدر من الشاه حكما بقتله ففقطه في مشهد .

وبعد أن قضى طهماسب قلى خان على منافسيه القويين فتح على خان وملك محمود السيستاني عزم على القضاء على الأفاغنة الأبداليين الذين كانوا قد استولوا على هراة من عام ( ١١٢٩ هـ ) خاصة وأنهم مدوا نطاق هجومهم حتى حدود قائنات ومشهد أيضا . وبدأ طهما سبب قلى خان فاستصفي قائنات منهم في ( ١١٣٩ هـ ) ثم دخل في حرب مع ( الله يارخان ) (١) الحاكم الأبدالي لهراة في ( ١١٤١ هـ ) في ( كافرقلعة ) من محال جام . ولأذ ( الله يار ) بالفرار وبعد بضعة هزائم من طهماسب قلى خان استأمنه فعفا خان الأفشار عنه وأبقاه كما كان على حكومة هراة .

### صد أشرف الأفغانى :

كان الشاه طهما سب يصير خلافا لرأى طهما سب قلى خان على أن تفتح أصفهان قبل أى خطوة وتقتصر أيدي الأفغان الغلجائيين عن أهلها وقبل أن يتوجه طهما سب قلى الى دفع الأفغان الأبداليين اختار الشاه طهما سب أحد أمرائه واسمه محمد على خان نائبا للسلطة وقائدا للعراق وآذربايجان ، فثقل هذا الأمر على طهما سب قلى واشتعل النزاع ثانية

---

(١) الله يار ، وان كتبها الفرس ( اللهيار ) ، تعنى حبيب الله .

بينه وبين الشاه \* وأزال طهما سب قلى مجمدا على خان وأتى بالشاه الى مازندران وكان ينوى أن يطهر المناطق الساحلية لبحر الخزر من الروس والعراق العجمي من الأفغان الغلجيين ، لكنه بما أن فتنة الأفغان الأبداليين قد تأججت كما رأينا اعتبر أن التحرك الى هراة أهم فتوجه اليها .

وحينما كان طهما سب قلى منشغلا بالحرب مع ( الله يارخيان ) الأبدالي ، بادر أشرف الغلجي وكان يقف على ما ينتويه طهما سب قلى ازاءه ، فتحرك الى خراسان بجيش متاهب ولما اقترب من سمنان كان طهما سب قلى قد رجع من هراة واسرع لصدده ، ووقعت الحرب بين الطرفين على ضفاف نهر ( مهمان دوست ) الصغير في منطقة الدامغان في السادس من ربيع الأول ( ١١٤٢ هـ ) ، وكان أشرف واثقا من جيشه الذي هزم الجيش العثماني قبل ذلك بأربع سنوات ، لكنه مني بهزيمة فادحة فتقهقر الى طهران \* وقدم طهما سب قلى خان الى طهران في عقب الأفغان ، ولقى أشرف هزيمة أخرى في وادي خوار ولما لم يأنس في نفسه ثباتا عاد معجلا الى أصفهان وأنزل نقمته بكبار القزلباس وأعيان الصفويين فقتل منهم فيها نحو ثلاثة آلاف ، ولم يطل الأمر بطهما سب قلى فاقرب بجيوشه من اصفهان ، وفي الحرب الثانية التي وقعت في سهل ( مورتشه خورت ) في العشرين من ربيع الثاني ( ١١٤٢ هـ ) انتصر طهما سب قلى مرة أخرى ودخل اصفهان بعد ثلاثة أيام فتقهقر الأفغان بسرعة عظيمة الى فارس واشترك في حرب مورتشه خورت عدد من الجنود العثمانيين بمدفعيتهم كانوا أثوا لعون أشرف ، فلما انتصر طهما سب قلى تلتف بالأسرى العثمانيين وأعادهم الى أوطانهم \*

وبعد دخول طهما سب قلى أصفهان أسرع طهما سب الثاني الشاه الصفوي وكان بطهران الى عاصمة أجداده فوصلها في الثامن من جمادى الأولى ورأى أمه العجوز وقد ظلت تتخفى لمدة سبع سنوات في ثياب الجوارى \*

وكان طهماسب قلقى بعد فتحه لأصفهان يود العودة الى خراسان ليعمل على الدفاع عنها. الا أن الشاه طهما سبب لم يرض بهذا ، وفى النهاية لاصرار الشاه مكث أربعين يوما بأصفهان للمراحة متمتعا بكافة الامتيازات ثم قصد فارس متعبا. أشرف فوصله الى صحراء زرقان على بعد خمسة فراسخ من شیراز .

وتقهقر أشرف من شیراز أمام طهماسب قلقى لكنه أصيب بهزيمة ثالثة فى هذه المنطقة. ففر الى اللاروقسا ، وكان معجلا فى قراره الى حد أن كثرة من الأفغان ماتوا فى الطريق أو تخطفهم الناس . وأرسل أشرف من اللار أخاه وجواهره ونفائسه التى سلبها الى العثمانيين بطريق اللجوء وعمل هو على احكام قلعة اللار ، الا أن الناس قبضوا على أخيه وقتلوه ، فلما سمع بمجىء طهماسب قلقى ورأى قلعة عندد أتباعه ، قصد بعد مكث تسعة أيام فى اللار قنندهار ، الا انه لقى حتفه على يد واحد من أسر البلوج فى بلوجستان ، وارسل القاتل رأس أشرف ومعها قطعة من الألباس الثمين كان يعلقها على ساعده الى الشاه طهماسب بأصفهان فمنح الشاه الألباس الى الرسول وأرسل اليه خلعة قيمة أيضا ، وبهذا انتهت فتنة الأفغان الخليجيين تماما من ايران .

### دفع الروس والعثمانيين : —

قبل أن يبادر طهما سب قلقى بالقضاء على الأفغان طلب الى روسيا تخلية ولايات بحر الخزر الساحلية اذ كانت استولت عليها كما سبق ، وكانت روسيا مائلة الى ترك هذه الولايات فى ذلك الوقت بسبب الخسائر التى تكبدتها فى الجنود الروس بسبب سوء طقس سواحل بحر الخزر وبلغ عدد قتلى الطقس طوال اثنى عشر عاما من السيطرة الروسية من مائة وثلاثين ألفا الى مائتى ألف ، لكنها لم تكن ترغب فى أن يستولى العثمانيون على هذه النواحي فأرسلت الى الشاه طهما سب أن يقدم لاستعادتها .

وفي عام ( ١١٤٥ هـ ) .تعاهد مبعوثو ايران وروسيا في الصحراء على أن تعيد روسيا فوراً كل أراضي ايران اليها التي كانت جنوب مدينة ( سليان ) ونهر كورا لكن تخلية دربند دوباكو جعلت موكولة الى حين أن تسترد ايران ايروان والقفقاز من العثمانيين ويقفل طريق سيطرتهم على سواحل بحر الخزر ، واستعادت ايران هاتين الولايتين أيضا عام ( ١١٤٧ هـ ) بعد أن فتح طهما سب قلى شماخي وداغستان نتيجة لمعاهدة أخرى .

أما فيما يتعلق بالعثمانيين ، فبعد أن اطمأن طهما سب قلى من ناحية اجتثاث شأفة الأفغان الغلجيين أتى رامهرمز عن طريق كوه كيلويه ، وبها وافاه حسين على بيك معير الممالك من طرف الشاه طهماسب بتاج من الجواهر وثلاثمائة مئمة خلعه لقواد الجيش مكافأة له لفتحته شيراز . فأرسل طهما سب قلى ابنه رضا قلى ميرزا الى الشاه طهماسب باصفهان ليزجي امتنانه وليطلب منه أن يزوجه احدى بنات الشاه سلطان حسين ويجعل نيابة سلطنة خراسان لرضا قلى ابنه .

وفي دزفول وافى طهما سب قلى محمد خان بلوج الذي أرسله أشرف قبل ذلك الى العثمانيين فعرض عليه رسائلهم ومكاتباتهم لأشرف فنصبه بسبب هذه الخدمة حاكما على كوه كيلويه .

وفي خرم آباد قدم معير الممالك من جانب الشاه طهماسب بفرمان سلطنة خراسان لهما سب قلى خان وأمر أن تسك العملة باسمه في هذه المنطقة .

وفي بروجرد أنبىء طهما سب قلى الذي كان قد أنفذ رضا قلى خان الشاملو الى استانبول ليطالب العثمانيين باخلاء بلاد ايران الا أن الاتراك لم يحسنوا اجابته فهاجم الجنود العثمانيين على الفور واستعاد منهم نهاوند وهمدان واستصفى بهذا الولايات الغربية منهم إذ أن بقية الجيش



العثماني ولت هاربة من لرستان وبلاد الأكراد الى بغداد \* ولم يصب بالهزيمة من قواد طهما سب قلى غير قائده الذى كان بكرمانشاه ، لكنه بعد وصوله اليها استعادها بسهولة \*

وفي غرة المحرم (١١٤٣ هـ) قصد طهما سب قلى آذربايجان ، وبعد فتحه ساو جبلاغ ومراغه ودهقوارقان وهزيمة الجيش العثماني دخل تبريز في السابع والعشرين من المحرم وتقدم لحصار ايروان لكنه سمع بها أن الأفغان الأبداليين هاجموا مشهدا ، لهذا ترك مشكلة العثمانيين وهي شبه منتهية وخف لعون ابنه ذى الاثنى عشر عاما رضا قلى ميرزا حاكم مشهد \*

وبعد تحرك طهما سب قلى الى الشرق أتى الشاه طهما سب في جمادى الأولى (١١٤٣ هـ) من أصفهان الى تبريز وبرفقته ثمانية عشر ألف جندي على أساس أنه مستقل تماما بأمور ايران الغربية بعد أن ترك الشرق لطهما سب قلى وأنزل بالعثمانيين هزيمة شديدة على مقربة من ايروان وصرع منهم في هذه الحرب نحو تسعة آلاف وألقى بحصاره على ايروان \*

ولكى يصرف العثمانيون الشاه أرسلوا بعلى باشا رئيس عساكر ايروان وأحمد باشا حاكم بغداد للسيطرة على عراق العجم وكان في هذا الوقت بغيروال ، فوصل الشاه طهما سب على عجل الى همدان وتواجه في قرية كردخان والجيش التركي ، وشغل أحمد باشا الشاه فترة بمفاوضات الصلح ثم باغت الجيش الايراني بالهجوم فلقى الشاه وقائده محمد خان بلوج هزيمة مرة ، واستولى أحمد باشا على كرمانشاه وهمدان وعلى باشا على مراغة وتبريز ولاذ الشاه طهما سب بالهرب الى اصفهان \*

وكان أحمد باشا يخشى طهما سب قلى لهذا دخل على الفور في صلح معه ، ونتيجة لهذا عقدت بينه وبين الشاه طهما سب معاهدة في بغداد ، وقبل الشاه أن يترك للعثمانيين الولايات الواقعة على الضفة الشمالية

لنهر أرس وهي كنجه وتقليس وايروان ونخجوان وداغستان مع احتفاظه  
بتبريز وأردلان ولرستان وهمدان وكروان شاه لكنه لم يتحدث قط عن  
استعادة الأسرى الإيرانيين فظلوا في أسر العثمانيين .

#### عزل الشاه طهما سب في (١١٤٥هـ) : —

وبعد أن دخل طهما سب قلى مشهد بدأ فسير ( الله يارخان )  
الأبدالى من مشهد للسيطرة على هراة بعد أن فر هاربا أمام ثوار هراة .  
وبعد أن فرغ من اقامة احتفالات عرس رضا قلى ابنه بفاطمة سلطان  
بيكم أخت الشاه طهما سب توجه لنصرة أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة  
حيث كان قائما على دفع تركمان التجن ولما انتصر عليهم عاد الى  
مشهد .

وفي غياب طهما سب قلى عن خراسان طرد حسين الغلجى أخو  
محمود الأفغانى بعون حاكم فراه الله يار خان من هراة وتقدم حتى  
مشهد وهزم ابراهيم خان ظهير الدولة . وقضى طهما سب قلى من  
رمضان ( ١١٤٣هـ ) حتى رمضان من العام تاليه يقر الأمور بأفغانستان  
الغربية وترك هراة الى الله يار خان أول الأمر ثم الى شخص آخر بعد  
عصيانه . وفي نفس هذه الحرب أتى معير الممالك نص معاهدة الشاه  
طما سب مع أحمد باشا الى طهما سب قلى فلم يوقع عليها حانقا وأرسل  
الى الباب العالي عن طريق السفير العثمانى الذى كان بمعسكره رسالة  
يخبره فيها رد جميع ولايات ايران والحرب ، وبعد فتح هراة سلك طريقه  
الى بغداد .

وبعد أن أطلع طهما سب قلى جميع ولاية ايران بالغاء معاهدة  
الشاه مع العثمانيين وقبح مشكلة عدم استرداد الأسرى الإيرانيين بكل  
ما لديه من وسيلة توجه الى بغداد مع اصرار الشاه على تحركه المباشر  
اليها ، فبدأ بدخول اصفهان وطمان الشاه وحينما كان الشاه عازما قصد

العراق العربي وجه دعوته اليه في معسكره حيث استقبل الشاه استقبالا فائرا وخلق على أركان دولته خلعا نفيسة \* وأمضى الشاه الليل في المعسكر بناء على رغبة طهما سب قلى وانشغل بشرب الخمر والسكر وارتكب في حاله هذه أمورا قبيحة فكشف طهما سب قلى هذه القبائح لهؤلاء الأركان الذين رأوا منه قبل ذلك الخلع والاكرام ، وبحجة أن مثل هذا الشاه لا يليق بالسلطنة أعلن عزل الشاه طهما سب الثاني عن العرش في الخامس من ربيع الأول ( ١١٤٥ هـ ) واختار طفله الرضيع عباس ميرزا أو الشاه عباس الثالث للسلطة \* وأرسل طهما سب قلى بالشاه الى مشهد لكي يحبس بها والشاه عباس الثالث أيضا الى قزوین ، وتوجه هو لصد البختياريين كنائب عام لسلطنة ايران ولما تخلص من مشكلتهم عاد الى كرمانشاه \*

#### حصار بغداد وهزيمة جيش ايران ( ١١٤٥ - ١١٤٦ هـ ) : —

وبعد أن ترك طهما سب قلى كرمانشاه توجه أولا الى كركوك فانضم اليه فيها جيش آذربايجان \* وكانت خطة طهما سب قلى هي أن يستدرج احمد باشا للقائه في الصحراء فلا يضطر الى حصار قلعة بغداد المحكمة ، لكن خطته لم تتم فأجبر بعد فتحه للنجف على أن يحاصر بغداد \*

وحاصر طهما سب قلى بغداد نحو عام ومع أن القحط عم اهلها الا أن احمد باشا ظل يقاوم بشجاعة ولم تنجح محاولاته المتكررة لارضاء طهما سب قلى للصلح \* وفي النهاية أرسل السلطان العثماني قائده الشهير توبال عثمان الذي خبر الحروب لقتاله المسيحيين فترات في أوروبا وحيازته انتصارات بها وبرفقته مائة ألف جندي لحدد احمد باشا \* وترك طهما سب قلى نحو اثني عشر ألف جندي لحصار بغداد وتوجه

بالباقى ليقطع الطريق أمام عثمان باشا الى كركوك ، ومع أن النصر كان له في البداية وفر الأتراك أمام الايرانيين الا أن المشاء الايرانيين عجزوا عن القتال بسبب شدة حرارة الصيف والعطش الشديد ، ولم يستطع الفرسان أيضا أن يستمروا في القتال لاصابة أغلب خيولهم بالجروح ، خاصة وأن جواد طهما سب قلى سقط صريعا لنفس السبب وظن الايرانيون أن قائدهم لقي حتفه ، فانفرط بهذا عقد انتظام الجيش النادرى فتقهقروا منهزمين الى كرمانشاه ، ووفق احمد باشا أيضا في تخليص بغداد في عام ( ١١٤٦ هـ ) ولم يفقد طهما سب قلى مع هذه الهزيمة عزمه وارادته ، فلما بلغ مندليج كتب الى الولايات فرمانات وطلب منهم العون وجعل من همدان محل اجتماع الجيوش ثم استرضى قواد جيشه المنهزمين وبكل هذه التدابير تجمع له في همدان جيش متأهب بعد ثلاثة شهور من تاريخ هزيمة كركوك وتأهب طهما سب قلى لخوض حرب مع العثمانيين .

#### قتل عثمان باشا وانتصار جيش إيران في ( ١١٤٦ هـ ) :-

توجه طهما سب قلى في الثانى والعشرين من ربيع الثانى ( ١١٤٦ هـ ) من همدان الى العراق العربى وهزم على ضفة نهر دياره عشرين ألف جندى عثمانى كانوا مقيمين هناك وفرقهم أشتاتا ومع أنه سمع هناك أن محمد خان بلوچ حاكم كوه كيلويه وخوزستان ركن الى العصيان فلم يأبه بذلك وأخذ طريقه الى كركوك وفي قرية ليلان على بعد ثلاثة فراسخ من كركوك الحق الهزيمة بجيش توپال عثمان باشا ثم عاد الى نهر دياره لكى يجتمع به جيوش خراسان وكرمان وأردلان وكرمانشاه فيتحرك بهم لأخذ بغداد .

وقد أوهم عودة طهما سب قلى الى دياره توپال عثمان باشا بأن القائد الايرانى تقهقر بسبب ضعف قواته ، فاقنتى أثره بهذا الوهم الا أنه هزم حين لقي الجيش الايرانى وعرف أحد الجنود الايرانيين

توبال عثمان باشا الذي كان يتحرك على محفة ، وحينما كان يعتلى جوادا للهروب اغتاله وأتى برأسه طهما سب قلى .

ونتيجة لهذا الفتح المبين الذي كان من نصيب جيش ايران في أوائل جمادى الثانية ( ١١٤٦ هـ ) جنح أحمد باشا والى بغداد الى مسالمة طهما سب قلى باسم الدولة العثمانية وتقرر أن يحرر الطرفان الأسرى وأن تكون حدود الدولتين نفس حدودهما زمن سلطة الشاه حسين . ورضى طهما سب قلى بهذا الصلح مع أن فتح بغداد كان موشكا لتعجله لصد محمد خان البلوجى ، فقصد مسرعا شوشتر .

وقد أذاع محمد خان أن طهما سب قلى فى غزوته الثانية للعراق العربى قد أصيب مرة ثانية بالهزيمة من الترك وأن أثره مفقود ولما كان اهل الجنوب ساخطين أيضا لمسلك موظفى المالية النادرية الظالم فقصد انحازوا اليه ، وقامت فى شوشتر على وجه الخصوص ثورة ضد طهما سب قلى ، وشارك فى الثورة أتباع الصفويين تصديقا منهم بادعاء محمد خان المشار اليه .

وأثنى طهما سب قلى شوشتر وهو يتأجج غضبا وأطلق لجنوده الذين لا يخافون الله الحرية فى نهب المدينة وانتهاك حرمة أهلها فارتكبوا بها فجائع لم تقل عما فعله المغول ببلاد المسلمين المهزومين .

ومع أن محمد خان البلوجى قد أحكم فى كوه كيلويه سد الطريق أمام جنود طهما سب قلى إلا أنه هابه وخلفه ففر الى السار ، فأثنى طهما سب قلى بنفسه الى شيراز وأرسل طهما سب قلى خان الجلايرى من جانبه الى اللارفقبص على محمد خان البلوجى فى ( ١١٤٧ هـ ) وأرسله الى رئيسه فى أصفهان وسلم بأمره ولم يستطع محمد خان تحمل هذه الحالة فقتل نفسه فى محبسه .

## مهاجمة القفقاز وداغستان (١١٤٦ - ١١٤٨ هـ):

ولما اطمأن بال طهما سب قلى من ناحية محمد خان البلوجى ترك اصفهان الى آذربايجان وعلم في اردبيل أن الباشوات العثمانيين يستكفون عن قبول الصلح الذى عقده مع احمد باشا وأن الدولة العثمانية سيرت عبد الله باشا كوبر يلى زاده والى مصر بجيش جديد الى ايسران وتركزت له الخيار بين الحرب والصلح .

وكان عبد الله باشا قد طلب من طهما سب قلى مهلة عامين لاخلأ ولايات ايران الغربية فكر طهما سب قلى بغير ترو من أردبيل على شروان وكانت تحت سيطرة سرخاى خان لكزى التابع للسلطان العثمانى وفي الخامس والعشرين من ربيع الأول (١١٤٧ هـ) عبر نهر كورا ودخل شماخى وهرب سرخاى واستمد الباشوات المقيمين بتفليس وكنجه . وأرسل طهما سب قلى قائده المعروف طهما سب قلى خان جلاير الذى كان قد فرغ من مشكلة فارس والقضاء على محمد خان البلوجى ليتعقب سرخاى ، وهرب سرخاى بعد بضع هزائم من يد الجند الايرانيين الى بلاد الشركس ، فاستولى خان الافشارى أو طهما سب قلى على داغستان وبعث منها الجلايرى لحكم قندهار وتوجه هو الى فتح كنجه وأرسل مصطفى خان البغايرى لحصار تفليس .

وأتعب جنود على باشا المقيمين بكنجه في دفاعهم الايرانيين كثيرا فشدد طهما سب قلى خان الحصار مستعينًا بنصائح سفين الروس وعون مهندسيهم الذين أتوا من باكو بدعوة منه ، ولما أقدم العثمانيون على تحريض سلطان شبه جزيرة القرم (كريمة) على مهاجمة داغستان واستلزم هذا عبور جنود القرم أرض روسية ، ثارت الحرب بسبب هذا الأمر بين الروس والعثمانيين ، ولكيلا يحرم الروس من عون طهما سب قلى في حربهم مع العثمانيين عقدوا مع ايران في ربيع عام (١١٤٨ هـ) بكنجه معاهدة تحالف ضد الأتراك .

ومن بلاد ايران التي استولى عليها العثمانيون في الفترة ما بين  
استيلاء الأفغان وظهور نادر الأفشاري قلاع ايروان الأربع وكنجه  
وقارص وتقليس حيث يربط العثمانيون ولم يكن بوسع طهما سب قلى  
بدون ضمه هذه النواحي الأربع المحكمة أن يطرد جنود العدو من هذا  
الجزء من ايران \*

وحينما كان طهما سب قلى وقواده في شغل بحصار قلاع ايسروان  
الأربع قدم اليها عبد الله باشا بسبعة آلاف فارس وخمسين ألفا من  
المشاة لمهاجمة جيش نادر وتواجه الفريقان في سهول باغاورد أو  
(مراد تبه) ، وفي هذا المكان ألحق طهما سب قلى بالجيش العثماني  
هزيمة شديدة في السادس والعشرين من المحرم عام (١١٤٨ هـ) وقتل  
منهم خمسون ألفا ومعهم عبد الله باشا وباشوات آخرون ، واستسلمت  
نتيجة لهذا النصر كنجة وتقليس غير أن ايروان وقارص ظلتا تقاومان \*  
وأمر ولاية الأمر العثمانيون أحمد باشا والى بغداد بأن يعقد صلحا مع  
طهما سب قلى خان ، وقبلوا أن يسلموا ايسروان بشرط أن تبقى قارص  
لهم ، وبهذا صوب الباب العالي في أوائل عام (١١٤٨ هـ) الصلح السابق  
بينه وبين طهما سب خان وعادت ولايات ايران الغربية \*

وبعد القضاء على هذه الغائلة بادر نادر بضرب ملك الكرج العاصي  
وثوار داغستان ولزك ، وبعد أن فوض من جانبه في هذه البلاد ولاية قدم  
في الثامن من رمضان (١١٤٨ هـ) الى ساحل نهر أرس وعسكر بجيشه في  
صحراء موغان \*

### نتويج نادر وانقراض الأسرة الصفوية :

وبعد أن وصل طهما سب في هذا المكان استدعى اليه من كافة بلاد  
ايران أعيانها ورؤساء القري والقضاء والمشايخ وسير نوابا خاصين  
للاتيان بهم الى معسكره اجبارا وأمر بأن يجتمعوا في صحراء موغان في

منتصف شهر بهمن وكان هدفه من جمعه لهم تصويبهم لرقية السلطة .  
وأقام طهما سب قلى مجلس اجتماع مع قواده وجميع أفراد الجيش  
وعلى باشا المدافع السابق لكجة ومبعوث الدولة العثمانية والممثلين الذين  
أتوا عن بلاد ايران وبدأ بقتل بعض أتباعه لسبب ما لى يرى قوته  
ويطشه ، ثم أخذ يتحدث فى أمر السلطة وقال قد قمت بما لزمه الكفاح  
وأنقذت ايران من قبضة الأفغان والأترار والروس ، والشاء طهما سب  
وابنه عباس ميرزا كلاهما فى سلام ، وولوا السلطة من تحبون منهما ،  
وانى أفكر أن اعتزل فترة للراحة وأجلس فى زاوية بخراسان مطمئنا .  
فقال الحاضرون وكانوا على علم بسبب كلاهما وفهم لقتضى حاله : لا يليق  
بالسلطة غير خان الأفشار .

فرفض طهما سب قلى خان أولا الى أن قبل فى النهاية السلطة بشرط  
قبول الحاضرين بشروطه . وكانت شروط طهما سب قلى خان الخمسة  
هكذا :

١ — أن يكف الايرانيون عن عقيدتهم السابقة بالنسبة لأهل السنة  
طالباً أن أهل السنة عدوا المذهب الجعفرى كمذاهب أهل السنة الأربعة  
وعدوه خامسهم .

٢ — أن يشرك الايرانيون أهل السنة فى أحد أركان الكعبة الأربعة  
التي تتعلق بمذاهبهم الأربعة السنية وأن يصلوا بها بالمذهب الجعفرى .  
٣ — يعين كل عام أمير للحجاج من طرف ايران يحمل حجاج ايران  
الى الكعبة مثل أمراء حج الشام ومصر وأن تعامله الدولة العثمانية بنفس  
معاملة الحجاج الآخرين .

٤ — يطلق سراح أسرى الطرفين ويتفق ببيعهم وشراؤهم .  
٥ — يقيم وكيل عن كلتا الدولتين فى عاصمة كل منهما وينصان  
أمور الملكتين وفق الصالح .



وبعد أن حصل على موافقة لهذه الشروط من جميع الحاضرين لبس تاج السلطة في الرابع والعشرين من شوال (١١٤٨هـ) أي لائنسى عشر يوما بقيت على أول العام الفارسي (النوروز) وسمى نادر شاه وانتهت الأسرة الصفوية تماما بعزل الشاه عباس الثالث وإن كان انقراضها الحقيقي في عام (١١٤٥هـ) حينما خلع طهما سب الثاني \*

وعين نادر شاه بعد جلوسه ابنه رضا قلي ميرزا حاكما على خراسان يعاونه طهما سب قلي خان الجلايري وأخاه ابراهيم خان ظهير الدولة على حكومة آذربايجان وفوض كلا من الولايات الأخرى إلى قائد وأنفذ سفراء إلى قيصر روسيا والخليفة العثماني ليعلنهما بجلوسه على العرش ومنهم عبد الباقي خان زنكنه الذي توجه إلى استانبول لهذا الأمر ولحمل شروط نادر الخمسة \*

### فتح البحرين وتأديب البختيارين في (١١٤٨هـ) :

كان من بين من عاد إلى عمله السابق بعد انتهاء اجتماع موغان مخفد تقى خان وإلى فارس الذي حصل على موافقة بفتح البحرين وكانت وقعت في يد جماعة من العرب منذ عهد الشاه سلطان حسين ، وقد تمكن محمد تقى خان من البحرين بيسر بسبب الخلاف الذي كان فاشيا في سكانها من العرب \*

وتقدم نادر شاه إلى أصفهان بعد فسخ اجتماع موغان لتأديب قبيلة بختياري التي كانت دائمة التمرد ، وتغلب بعون جنود أصفهان وكوه كيلويه على مراد خان تشهارلنك رئيس هذه القبيلة واستأسره وقطع يديه وقدميه وفقاً عينيه ، وعاد إلى أصفهان بعد شهر من القتال في جبال بختياري الصعبة في جمادى الآخرة (١١٤٨هـ) ، وأرسل عدداً من قواده بمدفعية واستعداد كامل إلى بلوچستان وشغل نفسه بالاستعداد والسير إلى قندهار \*

### حصار قندهار وفتحها (١١٤٩ - ١١٥٠) :

وتعد أن اطمأن خاطر نادر شاه من ناحية شمال إيران وغربها اتجه إلى الشرق وكان أول ما فكر فيه هو القضاء على زكر الأفغان الغلجيين أي قندهار والتي كان يتحرك منها أيضا إلى أراضي إيران كوركانيو الهند على الدوام ، وكانت هذه المدينة في هذا الوقت بيد حسين الغلجي أخى محمود الأفغانى .

ولما وصل نادر إلى قلعة قندهار لما علم أن فتحها ليس أمرا ميسورا فقرر أن يقضى على المحاصرين باطالة الحصار لهذا بنى مقابل قندهار مدينة جديدة سماها نادر آباد ، وقطع اتصالات قندهار مع الخارج وحاصرها عاما كاملا وفي النهاية رأى أن الأفغان لا يزال باستطاعتهم المقاومة فترة أخرى بسبب وفرة المؤن لديهم ، فكان أن أمر بالهجوم على القلعة وحمل البختياريون المرافقون لنادر على أحد أبراجها فسقطت قندهار في الثالث والعشرين من ذى الحجة ( ١١٥٠ هـ )

وبعد فتح قندهار عامل نادر الأفغان برأفة وأرسل ( حسين ) لى يجلس بـمازندران ورحل جماعة منهم إلى نيشابور وأتى بأكثر سكان قندهار القديمة إلى نادر آباد فحالت هذه المدينة بالتدريج محل قندهار القديمة .

وأثناء حصار قندهار فتح رضا قلى ميرزا بلخ وغندوز وبدخشان أيضا وتغلب على أبى الفيض خان أمير بخارى وإيلبارس خان أمير خوارزم لكنه لم يتعرض لأسرة أمراء بخارى لأمر من نادر وعاد إلى مقر أبيه . وترك نادر سلطنة إيران إلى رضا قلى ميرزا وتوجه بنفسه لفتح الهند .

### غزو الهند : —

وفي وقت تحرك نادر قاصدا فتح الهند كان حكم الهند الشمالية

الغربية ودهلى بيد محمد شاه من سلاطين الهند الكوركانيين ، وكان رجلا لاهيا فاسقا وخلف في ( ١١٣١هـ ) « فرخ سير » على السلطنة ، ويصدق عليه قولهم ( لم تكن يداه قط بغير كاس ولا صدره بغير حسناء » (١) . وكان جنوده على نفيس سيرته من الانغماس في اللذائذ وامتلاء بلاطه بالخائنين والفاسقين .

وكان نادر قد أرسل من حين فتحه لاصفهان حتى ذاك التاريخ سفراء مرارا الى دهلى يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات الجسنة السابقة ومنعه دخول الأفغان الغلجيين أرض ايران وكان يسمع منه كل مره اجابة غير المطلوب حتى انه في المرة الأخيرة أي في ( ١١٥٠هـ ) لم يسمح لسفير نادر بالعودة وعطله نحو عام عبثا بدهلى .

وفي أوائل عام ( ١١٥١هـ ) أرسل نادر أمرا مؤكدا الى دهلى يطلب عودة السفير بمجلة الى ايران فقد كان غاضبا لعدم ارسال سفيره ، وتحرك لفتح غزنة وكابل وابنه نصر الله ميرزا للاستيلاء على شمال افغانستان . وبعد سيطرة نادر على هذه البلاد واقامة سبعة شهور في كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه في جوابه على رسائله تحرك الى جلال آباد ، وتمكن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل في رمضان سهول البنجاب ، وكان أن بلغه في بيشاور خبر مقتل أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة بيد لركيى داغستان ، فسير نادر اصلا ن خان قر خلو مكانه وصفى خان البغايرى لقيادة داغستان وتقدم هو الى دهلى .

### معركة كرنال في الخامس عشر من ذى القعدة ( ١١٥١هـ ) :

بعد عبور السند وفتح لاهور راسل نادر محمد شاه وذكره بالاصل المشترك لأسرة أفشار وأسرة بابر ولامه على تعطيل سفرائه

(١) الملل بالمعربية : ( هرکى دستش بى جسام وکارش بى دلارام  
میسوزد )

وقال ان سفره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالثبأ الى هذا التصرف .

وفي ( سرهند ) سمع نادر أن محمد شاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل وألفى عربية مدفع من دهلى وأتى ( كرنال ) الواقعة على ساحل نهر جمنا وعلى بعد عشرين فرسخا شمال دهلى .

وكان تصريف امور محمد شاه في هذه الأيام بيد ثلاثة أولهم نواب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذي لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بينه وبين الشاه وكان حليفا لنادر في الخفاء بعقيدة البغض ، وثانيهم خان دوران صمصام الدولة أمير الأمراء والقائد العام لجيش محمد شاه والثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر المملكة الأعظم ولم يكن أحد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر ويسمى كل منهم لتعطيم الآخر في النزاع واستطاع نادر بسهولة في منتصف ذي القعدة أن يوقع بجنود محمد الذين لا حصر لهم في سهول كرنال مستعينا بقوة حاملي البنادق الماهرين في جيشه ، وقتل خان دوران وأخوه ، وذكر أن عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفا بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين وأربعين وجرحاه مائتين وكن أغلب أسباب هذا الأمر أن الهنود كانوا يحاربون بالأقواس والسهم بينما كان الايرانيون يقاتلون بالبنادق .

بعد هذا الفتح العظيم قدم نظام الملك الى معسكر نادر معتذرا وقرر أن لا يتعرض نادر الى روح محمد شاه وأمواله وحريمه ويسرح محمد شاه جيشه وأن يأتي الى مقر نادر بألف من أتباعه ، وبعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلى ويمكث أربعين يوما ضيفا على محمد ، وبعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند الى محمد شاه ويعود الى ايران .

وفي دخول محمد شاه خيمة نادر أرسل نصر الله ميرزا لاستقباله وأتى هو أيضا ليلاقيه وأجلسه على مسنده وأدى شروط احترام والاستقبال بما يليق .

وتحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرناال الى دهلى فدخلها فى التاسع من ذى الحجة (١١٥١هـ) واستقبله الملك الكوركانى بعد أن سبقه الى دهلى لاستقباله باجلال عظيم • وترك نادر فى مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه ، ونثر محمد شاه جميع نفائس أجداده وخزائنها احتفاء بمقدم ملك ايران •

ولم يصدر عن هندی حركة عدااء لمدة ثلاثة أيام من دخول جنود نادر دهلى بسبب الأحكام القاسية التى أصدرها الا أن فى الحادى عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالى المدينة وبضعة جنود من جيش نادر ، وسرت فى الأهالى شائعة أن محمد شاه دس السم لنادر فى طعامه ، فمدفع انتشار هذا الخبر أهالى دهلى الى الثورة وقتل فيها جمع من جنود نادر •

.. وفى صباح اليوم التالى لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم ولم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمره بقتل عامة أهل دهلى فشغل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضى هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالى بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحترق القسم الأهم من المدينة وقتل نحو عشرين ألفا ، وفى النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعه محمد شاه ونظام الملك وقمر الدين خان وعفا عن بقية الشعب •

وبعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر احدى حفيدات اورنگ زيب بنصر الله ميرزا وأمر محمد شاه بأن يخطب لنادر فى جميع بلاده وتسبك باسمه العملة وأن يقدم الأمراء والأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجواهر والنقد فأطاعوا طوعا أو كرها فنال نادرا من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين ونصف مليون • وقدرت قيمة النفائس التى غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية الى سبعة وثمانين مليون ونصف مليون وكان من ضمنها (تخت الطاووس) والألماسة المعروفة

(كوه نور) (١) \*

وأنعم نادر على كافة قواد جيشه وأمراء الهند بهدايا لا تحصى وتجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات ( وان كان استبعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك ) ووضع بيده تاج السلطنة على رأس محمد شاه ، وأخلى محمد شاه البلاد في غرب السند وهي غزنة وكابل وقسم من البنجاب لنادر ، وتحرك ملك ايران في السابع من صفر (١١٥٢هـ) من دهلې الى السند وقد مكث بها سبعة وخمسين يوما .

وحينما شاع خبر قتل نادر حرص رضا قلى ميرزا محمدا حسين خان قاجار على قتل الشاه طهماسب الثانى الذى كان بسبب زوار خشية أن ينجاز الناس الى الصفويين وقتل كذلك ولديه الشاه عباس الثالث وسليمان ميرزا فلم يبق حيا من الأسرة الصفوية من يدعى السلطنة ، ولم يستقبح نادر فعلة رضا قلى بعد اطلاعه بها بل أن هذا الأمر تم كما يعتقد البعض بإشارة من نادر .

#### سفر نادر الى بخارى وخيوة وداغستان : —

حين عاد نادر الى كابل سمع أن خدا يار خان (٢) عباسى حاكم السند حانق لضم بلده الى ايران وأن عاصى للأوامر ، فتوجه نادر من كابل الى صحراء ( تار ) في عقب خدايار فلم ير خدايار بدا من الاستسلام ، فغفا عنه نادر وأقره على حكمه السابق وأرسل من السند جماعة الى بلخ تعد له على ساحل نهر جيحون أسطولا لمهاجمة بخارى .

ووافى نادر ارضا قلى ميرزا في هراة وعلى قلى خان ولد ابراهيم خان ظهير الدولة بالجيش الذى كان نادر طلبه ، ففوض حكم هراة الى شاهرخ ولد رضا قلى وتوجه الى بلخ قبلتها في الثانى عشر من جمادى

(١) اى جبل النور (فارسية) .

(٢) اى حبيب الله (فارسية) .

الأولى (١١٥٢هـ) فتقدم أبو الفيض خان أمير بخارى لمقر نادر فاستقبله بحفاوة وزوجه إحدى بناته وشاهرخ حفيده بواحدة أخرى وجعل جيحون حدا بين إيران وبخارى واتجه إلى خيوه بألف ومائة سفينة لكي يؤدب ايلبارس خان الذي تخطى إلى (تجن) أيام مقامه بالهند .

واستأثر نادر في هجومه على خيوه ايلبارس خان وحكم بقتله واستحوذ في شعبان (١١٥٣هـ) على خيوه وأتاب عليها أحد أحفاد جتكيذ ، ثم أتى مشهد وأخذ يهبي جيشه لضرب اللزك الذين قتلوا أخاه ظهير الدولة .

وتحرك نادر في الثاني من المحرم (١١٥٤هـ) من مشهد إلى داغستان وبينما كان يمر من طريق بين أدغال سواد كوه ، رمى بسهم في الثامن والعشرين من صفر من خلف شجرة فانطلق السهم يحف به أسفل ساعده الأيمن فصادف أبهام يده اليسرى واستقر بعنق جواده فانقلب به .

وأصابته هذه الضربة القاسية عقل نادر بالتشتت فترك رضا قلي الذي كان بركبه في طهران واتجه بنفسه إلى داغستان . وفي سفره هذا مع أن بعض رؤساء قبائل اللزك دخلوا طاعته إلا أن سكان داغستان كانوا يتحصنون بقلل الجبال الشاهقة ويشنون الغارات من كل ناحية على جيش نادر وأنزلوا به ضربات شديدة حتى أن نادرا تعرض لهجومهم وهو بخيمته .

وكانت روسيا على علم بغزو نادر لداغستان وخططه لاعداد أسطول في بحر الخزر ومهاجمة شبه جزيرة القرم لهذا جمعت قوات في هسترخان وصار هذا سبب مقاومة اللزك القوية . وأجبر نادر على العودة إلى الدربند واشتعل غضبا لفشله في هذا السفر الذي استمر عاما ونصف عام خاصة أن أخبار الثورات كانت تصله من ولايات إيران ، ولم تجبه الدولة العثمانية إجابات شافية على طلباته ، فلنحرف في هذه الأبحاث ييه عن الاعتدال وأفضت به إلى اختلال حواسه .

وفي رمضان (١١٥٤هـ) حينما كان نادر لا يزال بداغستان أتى بالغلام الذي رماه بالسهم في أدغال سوادكوه ، غسمل نادر عينيه ولما كان يعتبر هذه الحادثة بتحريض من رضا قلى ميرزا استدعاه من طهران وأمر أن يخرجوا عينيه من حدقتيهما بالخنجر .

### علاقات نادر بالعثمانيين :-

وافق العثمانيون بعد اطلاعهم على شروط نادر على شروط أربعة ورفضوا قبول المذهب الجعفرى على أنه خامس المذاهب واعتبروه بدعة في الدين ، وتبدلت الرسائل والسفراء بين نادر والباب العالي بهذا الخصوص وكان الباب العالي مصرا على رأيه في إجابته لنادر في كل مرة . فغضب نادر لهذا ولما كان يظهر نفسه المعين على الاتصاف بين المسلمين فقد أمر ألا يسب الخلفاء الثلاثة في أى مكان من إيران وكتب في رسالة مهذبة الى السلطان العثماني يذكره بهذا الأمر وأفهمه ضمنها انه اذا تعطل أكثر من هذا في قبول شروطه جميعا فلسوف يهاجم البلاد العثمانية ويجعله يقبل شروطه بالقوة . أما الثورات التى شبت بآيران في هذا الوقت فقد كان أولها ثورة محمد تقى خان حاكم فارس في (١١٥٦هـ) حين اختلف مع القاد المرافقين له في حملته على عمان فأعلن استقلاله ، فأرسل نادر محمد حسين خان القرخلو لتأديبه فسيطر هذا القائد على شیراز وقبض على محمد تقى فأعمى بصره وقطع احليله .

والثانية ثورة شروان في نفس العام أشعلها من يسمى سام ميرزا طالبا السلطة مدعيا أنه ابن للشاه سلطان حسين ونهض في آذربايجان ثائرا وضم اليه محمد خان ولد سرخاى خان الزكى وخانات الدربند وداغستان ، وأحمد نادر عن طريق نصر الله ميرزا وبضعة نفر من قواده هذه الثورة في النهاية وقبض على سام ميرزا في ذى القعدة (١١٥٦هـ) .

والثالثة ثورة القاجاريين باسترآباد بيد محمد حسن خان القاجار



ولد فتح على خان نائب سلطنة الشاه طهماسب الثانى \* وهزم نادر محمد حسن خان فى أواخر (١١٥٦هـ) فى صحراء التركمن عن طريق الشعبة الأخرى من القاجاريين التى كانت على عداء مع قبيلة فتح على خان ، وخرب استرآباد وقتل جماعة كثيرة بذنوب وبغير ذنب \*

وقدم نادر فى أوائل عام (١١٥٦هـ) إلى صحراء موغان وأرسل منها مدفعيته إلى كرمانشاه لمهاجمة العثمانيين ، فتقدم أحمد باشا وإلى بغداد إليه بالصلح لكن نادرا وكان ينتوى فرض شروطه على الباب المعالى استولى على النجف وكركوك والموصل ، فطلبت الدولة العثمانية فى أواخر عام (١١٥٦هـ) من نادر أن يكف عن الحرب لكى يدخل الطرفان فى تفاوض مرة أخرى لحل المشاكل المذهبية فعاد نادر إلى مدينة وان وتقرر أن تحل الخلافات بالطريق السياسى \*

وفى أوائل عام (١١٥٧هـ) أعلن رئيس عسكر قارص أحمد باشا حمال أوغلى عن رجل من أهل رفسنجان بكرمان أنه هو صفى ميرزا وأنه وارث سلطنة ايران وأرسل إلى نادر أنه مأمور بأن يبلغ صفى ميرزا السلطة ، فأخرج نادر سام ميرزا المدعى السابق الذكر من معسكر وأتلف له عينا وأرسله إلى أحمد باشا وأرسل يقول له ( أرسلت لك سام ميرزا لرؤية أخيه المجهول ) وقصد هو إلى قارص \*

وتقدم نادر فى جمادى الآخرة (١١٥٧هـ) ومعه نصر الله ميرزا إلى قارص فحاصرها ولما كان أحمد باشا مستعدا أن يجعل سلطانه يقبل شروط نادر ترك قارص إلى داغستان فأحاط باللذك من كافة الجهات وبعد تأديبهم وادخال رؤسائهم طاعته عاد إلى ضفاف نهر أرس \*

وفى أوائل (١١٥٨هـ) أنبىء نادر أن محمد يكن باشا يقصد مهاجمة ايران ومعه بضعة قواد وجيش كبير من ناحية ارزنة الروم وقارص ودياربكر والموصل فأنفذ نادر نصر الله ميرزا إلى دياربكر والموصل وتوجه هو إلى ايروان وكان يقصد إلى أن يجرى الحرب فى ( مراد تبه )

بالقرب من ذاك المكان الذى هزم فيه منذ عشرة أعوام من قبل عبد الله باشا . وبلغ يكن باشا مراد تبه بمائة وخمسين ألف فارس وأرذعين ألفا من المشاة وبدأت الحرب فى الحادى عشر من رجب (١١٥٨هـ) وحصر نادر يكن باشا وجنوده وقطع عليهم طريق المؤونة وبلغه فى هذه الأثناء خبر نيل نصر الله ميرزا فتحا عظيما أيضا بالقرب من الموصل ، فمات يكن باشا فى الحصار وانفرط عقد جنوده وقتل منهم فى المعركة اثنا عشر ألفا ووقع فى يد جيش نادر مدفعية الجيش وخمسة آلاف أسير منه .

وبعد هذا الفتح اقترح نادر نفسه الصلح على السلطان العثمانى وترك آذربايجان الى أصفهان وبقي بها حتى العاشر من المحرم (١١٥٩هـ) ولما كانت حالته المعنوية قد ساءت كثيرا أنزل وجنوده ضربات بأهل هذه المدينة المظلومة ، ثم سلك طريقه منها الى مشهد وأرسل من طرفه ميرزا مهدي خان منشى الممالك الاسترابادى مؤلف (جهانكشاي نادري) (١) ومصطفى خان التاملو الى استانبول فعقدا فى العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) بين الدولتين معاهدة بالشروط الآتية : —

١ — حدود المملكتين هى نفس الحدود التى قررت فى (١٠٤٩هـ) بين السلطان مراد الرابع وشاه صفى .  
٢ — يتجنب الطرفان من هذا الوقت فصاعدا العداء والاقدام على أمور تنافى الصلح .  
٣ — يصل الولاة العثمانيون بالحجاج الايرانيين سالمين من مكان الى آخر .

٤ — يرسل الطرفان سفراء لمدة ثلاثة أعوام الى عاصمتيهما على نفقة الطرف الآخر .

٥ — يكف الحكام فى الولايات التى على الحدود عن الأفعال

---

( ١ ) هذا الكتاب لوثق الكتب تاريخا لمهد نادر لأن المؤلف كان منشىء نادر وصاحبه فى أسفاره . حوى أحداث نادر وحروبه حتى عام موته وأهتم المؤلف فى هذا الكتاب بالمعنى والمادة التاريخية أكثر من اهتمامه باللفظ ، وإن يرى فيه كلمات تركية .

المنافية للمودة وأن يتجنب الإيرانيون سب الخلفاء وألا يطالب ولاية  
الطرفين من تجارهما جزية أو خراجا خلاف القاعدة .

### تفسير حال نادر وقتله : -

مع كل ما أسداه نادر لشعب ايران من خدمات وما وفر لهذا  
الشعب من اسم واعتبار فان الإيرانيين لم يكونوا من أول الأمر على  
صفاء معه بسبب اصرار نادر على القضاء على المذهب الشيعي ونشر  
المذهب السني والغاء الآداب الدينية الخاصة بالشيعية وحجز الأوقاف  
ثم بسبب سعيه لمحو اسم الصفويين وأثرهم وحث الناس على نسيان  
هذه الأسرة وآثارهم الخيرية .

ولما كان نادر يسعى الى أن يجعل سلطنة ايران وراثيه في أسرته  
ويقضى على المذهب الشيعي فقد كان على عناد خاص للصفويين لأن  
السلطنة الحققة ارثهم ويدين رواج المذهب الشيعي لهم بالفضل ، الا أن  
الإيرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطنا ولهذا كانوا يخفون  
عداوتهم لنادر لا سيما وقد اتصف بالقسوة والفظاظة وارتكب عماله  
ومحصلو الضرائب الظلم والتعدي فوق المعتاد ، فلم يطلب أحد منهم  
دوام دولته نكره في نفسه .

وقد انحرف غزوه لداغستان ودفاع أهلها المستبسل واعماء رضا  
قلی میرزا والثورات التي شبت وقتها في ايران بخلقه الذي لم يكن يعاب  
في البداية بغير قسوته وشدته واصراره على اقامة المذهب السني انحرف  
به عن حالة الاستقامة ولما رفضت الدولة العثمانية شروطه زاد قسوة  
ووحشية وكان الأمر الذي يزيد غيظا تألمه لاعماء رضا قلی خان ، ولما  
شعر بالندم مما فعل ، قتل خمسين من أمرائه بحجة أنهم لم يشفعوا له  
يوم الحادثة .

وكان هذا الملك أول أمره كريما معطاء لكنه بعد غارته لدهلي

وهصوله على غنائم الهند صار أداة للؤم الطبع وحب المال والحرص ، فطاللب بضرائب الثلاث سنوات بقسوة والتي سبق أن ضرب صفحا عنها ، وكان كل ما يحصل عليه يرسله الى قلعة كلات . خاصة في الثلاث أو الأربع سنوات الأخيرة من حكمه أنزل بشعب ايران ضربات كثيرة في جمعه الضرائب من غير وجه حق وارتكابه الجرائم في حقهم هو وعماله .

وكانت قسوته وغيظه وغضبه بالنسبة الى الأقاليم والرعية بها بلا حد ، فمسلطه مع أهل شوشتر وشيراز والار عقب ثورة محمد خان البلوحي ومحمد تقى خان والى فارس واقامته منارات من الجماجم فى فارس وكرمان أمر مشهور خاصة وأن عادة الاعماء القبيحة كانت من بين معاقباته الرائجة وكان فى الغالب يرافقه فى معسكره عدد كبير من هؤلاء المكفوفين . وقد ولدت هذه الأسباب سوء الظن الشديد بين رؤساء القزلباش ونادر حتى أن الأمر أفضى شيئا فشيئا الى أن نادرا أما أن يزيل رؤساء القزلباشية أو هم يزيلوه .

وتحرك نادر فى العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) من أصفهان الى مشهد ووصل فى الثالث والعشرين من صفر الى عاصمته ولما أن شعب سيستان قد أعلنوا ثورتهم لجور عماله فقد أرسل على قلى خان ابن أخيه وطهماسب قلى خان جلاير قائد كابل لتأديبهم . وتحالف على قلى خان وكان محكوما بأمر نادر بتنفيذ جريمة فظيعة مع ثوار سيستان فزادت الثورة اشتعالا . وبدأ نادر بالقوجه الى ضرب أكراد خبوشان الذين ثاروا هم أيضا ، وزاد فى هذه الآونة جنونه فصمم على ارسال نصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا والأمراء الباقين الى كلات وعلى أن يقضى على رؤساء القزلباش وقر مع رؤساء الأفغان وكانوا أعداء ايران أن يهلك القزلباشية بعمونهم اليوم التالى وقتذاك . وعلم رؤساء القزلباشية بهذه النية فدخلوا ليلة الأحد الحادى عشر من جمادى الآخرة (١١٦٠هـ) مخيم نادر بفتح آباد بخبوشان واغتنالوه ونجوا من شر أفكاره السوء .

وظالت مدة سلطنة نادر ما يقرب من اثني عشر عاما من عام (١١٤٨هـ) حتى (١١٦٠هـ) وكانت عاصمته مشهد وان قل أن أقام في مكان واحد .

ومما شيده نادر غير ( مولود خانه ) في دستجرد ومقبرته بمشهد ونادر آباد بقندهار تلك التي قام بها في حرم الرضا في مشهد والحديقة والقصر اللذين بناهما بقزوين . وما يجدر بالاهتمام في حكم نادر بناؤه بحرية حربية في بحر مازندران للهجوم على داغستان وفي الخليج الفارسي للاستيلاء على عمان وجزر الخليج .

قدم في عام (١١٥١هـ) أحد الرحالة الانجليز واسمه ( جان التون ) ( John Elton ) كان سابقا يخدم روسيا ، الى رشت ومعه بعض البضائع وحاز فرمانا من رضا قلى ميرزا يسمح له بالتجارة مع ايران وعاد الى انجلترا وشجع الناس بها على تجارة ايران ، وبعد عودته وحصوله على سماح من روسيا بنى سفينتين في مدينة غازان قدم بهما الى شاطئ جيلان ، فأفاد نادر بوجود التون وأعلن هذا اسلامه فنال منصب الرئاسة البحرية وأمر أن يبنى لايران سفنا في عام (١١٥٦هـ) في مشهد على نهر ولنكروود .

وأقدم التون على عمله بهمة مع مخالفته لروسيا ولابناء وطنه الذين كانوا يخشون عدا روسيا للتجار الانجليز ونجح بعزمه المراسخ وعون بضعة نفر من الروس والهنود في أن يطرح سفينة في الماء ، واستمر في عمله حتى بعد قتل نادر لكنه قتل عام (١١٦٥هـ) في إحدى ثورات جيلان المحلية فوقف موضوع ملاحمة بحر الخزر .

وفي عام (١١٤٩هـ) حينما كان محمد تقى خان والى فارس يهاجم عمان والبحرين ولم يكن لديه سفن فضغط على الهولنديين لنقل جنوده وبهذا استولى على عمان ومسقط ، ولما أن الانجليز لم يقدموا عوناً في هذه الحرب لاير ان بل على النقيض أمدوا العثمانيين في دفاعهم عن

البصرة استاء منهم وعمل على بناء سفن في الخليج وأمر أن تعد هذه السفن في بوشهر ، لكنه بسبب أن الخشب كان يحمل من غابات مازندران الى سواحل الخليج وعلى الأهالي في البلاد الواقعة في الطريق أن يحملوا هذه الأخشاب بلا أجر من بلد الى أخرى فلم يسفر هذا الأمر عن النتيجة المتوقعة فظلت ايران بغير سفن في ساحل الخليج .

### سلطنة على شاه و ابراهيم شاه وشاهرخ

( ١١٦٠ - ١٢٦٠ هـ )

لا شاع خبر قتل نادر نهب الأفغان والاوزبك الذين كان اعتمادهم على خان الأفشار ويخشون الايرانيين معسكر نادر بقيادة أحمد خان الأبدالي وهربوا الى قندهار وأعلنت الأفشارية بالواقعة على قلى خان ابن أخى نادر وكان في هذا الوقت موجودا بهراة ، فأتى على قلى على عجل الى مشهد وأرسل أحد غلمانه للاستيلاء على كلات وضبط خزائن نادر ثم قبض على جميع أمراء أسرته وقتل رضا قلى ميرزا الأعمى ونصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا وسائر الأمراء ما عدا شاهرخ وولد رضا قلى الذى أخفاه وأذاع خبر قتله بهدف أن يجعله نسلطانا اذا عجز عن الوصول الى السلطنة فيقبض على أزمة الأمور باسمه ، واذا أصاب التوفيق يجهز عليه .

وجلس على قلى خان في السابع والعشرين من جمادى الآخرة (١١٦٠ هـ) في مشهد بلقب على شاه وعادل شاه مكان عمه وفتح يد البذل والاسراف والبذخ في المذاذات وأمر أخاه الأصغر ابراهيم خان بقيادة العراق وأصفهان واختار مير سيد محمد حفيد المشاه سليمان الصفوى لأمه للوزارة ورئاسة مشهد (عتبة القدس) .

وأعلن ابراهيم خان في السنة التالية أنه ابراهيم شاه في أصفهان وطالب بالسلطة من أخيه وغلب على شاه وأسر في الحرب التي جرت بين

هذين المتنافسين في زنجان وسمل بأمر أخيه \*

واستدعى ابراهيم شاه الذي كان يدين انتصاره بالفضل الى الأمير أصلان خان القرخلو الأفشاري قائد آذربايجان شاهرخ من مشهد لكي يجعل السلطنة له ، فظن أهل مشهد هذه الدعوة حيلة منه فأعلنوا سلطنة شاهرخ في التاسع من شوال (١٠٦١هـ) في مشهد ، وجعل ابراهيم شاه بدوره من نفسه سلطانا في السابع عشر من ذي الحجة من نفس العام في العراق وتأهب لصد شاهرخ \*

وفي عام (١١٦٢هـ) قام أشياخ شاهرخ شاه بسمل عيني ابراهيم شاه واستدعى على شاه الأعمى الذي كان بمعسكر ابراهيم الى شاهرخ بمشهد لكي يقتله ، فلم يبق واحد من الأمراء النادرين منافسا لشاهرخ ، بيد أن الأمير سيد محمد والي مشهد الذي كان يعد حكم ايران من حق الصفويين وحدهم قبض على شاهرخ وأعماه وجلس بمشهد ملكا باسم الشاه سليمان الثاني \* فقام أهل مشهد على الشاه سليمان بعد أربعين يوما وأعموه هو الآخر واعترفوا بسلطنة شاهرخ الأعمى عليهم ، فلم يكن له من السلطنة على حاله هذه غير اسمها في مشهد الى أن وافاه أجله في (١٢١٠هـ) وخلفه ابنه نادر ميرزا وقضى على نادر ميرزا هذا عام (١٢١٨هـ) فتح على شاه وأزاله من خراسان فزالَت الأسرة الأفشارية بهذا النحو تماما \*

### أسماء السلاطين الأفشارية ومدة حكم كل منهم

- ١ — نادر شاه (١١٤٤٨ — ١١٦٠هـ)
- ٢ — عادل شاه و ابراهيم شاه ولدا أخى نادر (١١٦٠ — ١١٦١هـ)
- ٣ — شاهرخ شاه (١١٦١ — ١٢١٠هـ)
- ٤ — نادر ميرزا (١٢١٠ — ١٢١٨هـ)

## الفصل السادس عشر

### الزنديون

(١١٦٣ - ١٢٠٩ هـ)

#### أوضاع إيران حال ظهور كريم خان :-

حينما توافق قواد النجفود القزلباشي على قتل نادر عزموا، أيضا مهاجمة الأفغان والأربك، حالما يتم قتله فينفذونهم عن بكرة أبيهم \* وعظم الأفغان بهذا الأمر فجمع أحد رؤسائهم وكان أحد قادة نادر وهو أحمد خان الأبدالي الأفغان برفقته واتجه الجميع إلى قندهار وسرعان من تمكنوا من هراة ومشهد وجزء من الهند والبنجاب وكشمير \* وأحمد خان الأبدالي الذي يسمى أيضا باسمه القسطنطيني أحمد خسان الخزافي هو مؤسس استقلال أفغانستان كما سغرى بعد \* وأحد القادة الأفغان الآخرين لنادر من طائفة الغلجيين واسمه آزادخان أعلن عصيانه في بلاد الكرد \* وبعد زوال دولة أبواهيم شاه استحوذ على قلعة أورمية وهاجم الكرج وبعد مصادمته لملك هذه البلاد تقرر أن يكون نهر أرس بين أملاك ملك الكرج والحد الفاصل بينه وبين آزادخان الأفغاني \*

وهنح شاه رخ عهد سلطنته حكم أصفهان لأحد الخانات البختياريين وهو أبو الفتح خان فنفذ خن آخر من نفس الطائفة اسمه علي مردان خان على أبي الفتح خان حكمه لكنه لقي منه الهزيمة وفر أمانه وانهمك في جمع قوات لمهاجمة أصفهان للانتقام منه \*

وكان تأثير آخر أعلن عصيانه وقت ضعف الأفشارية طالبها الملك



والسلطنة وهو محمد حسن خان قاجار ولد فتح على خان الذى قتل  
طهماسب الثانى والده بالتواطؤ مع نادر شاه . وأتى محمد حسن خان  
الى سواحل بحر الخزر بعد قتل نادر وكان يعيش طوال مدة تسلط نادر  
فى صحراء التركستان وهاجم استراياد مرارا بعون التركمان ، ومد  
قوته فى مناطق بحر الخزر وقام بجمع أعوان له فاجتمع عليه عدد لا حصر  
له من التركمان والقاجار .

### ظهور كريم خان زند :-

كانت قبيلة الزند احدى طوائف اللور ولم يكن لها قبل ظهور  
كريم خان اسم أو صفة يعتد بهما فى التاريخ . وكانت قبيلة الزند فى  
الأصل تقيم فى أحد مضافات ملاير وكانوا يقومون بالاغارة أيام تسلط  
العثمانيين على غرب ايران فى عهد حكم الأفغان حينما على الأتراك وحينما  
آخر على الأفغان . وبعد طرد نادر للترك والأفغان من ايران أدب  
الزنديين وهجر جماعة كبيرة منهم الى الدرر بخراسان وأسكنهم جوالى  
ابيبورد ازاء مساكن التركمان .

وفى عهد عادل شاه صرف الزنديون أحد قواد نادر القندامى وكان  
يدعى كريم توشمال فى شئونهم لكى يعود بهم الى أوطانهم الأصلية ،  
فأعادهم كريم يعلونه أخوه صادق الى منطقة ملاير برغم هجمات جيش  
على إسنه ، ومن هذا الوقت عهد الى كريم برئاسة قبيلة الزنديين .

وفى الوقت الذى عمى فيه ابراهيم شاه أخاه عادل شاه دعا كريم  
خان لتأديب بعض القبائل المتمردة بالعراق ، ولقاء هذه الخدمة نال من  
ابراهيم شاه التحف والهدايا وزاد شهرة عن ذى قبل .

وتوسل على مردان خان الذى أشرنا الى هزيمته من أبى الفتح خان  
بكريم خان للقضاء على منافسه ، فطرد كريم خان وعلى مردان أبى الفتح  
خان عن أصفهان ودخلا المدينة فلم ير أبو الفتح خان مناصبا من

الاستسلام لطاعة منافسيه المنتصرين ، وتشاور الخانات الثلاثة اللوريون عام (١١٦٣هـ) بشأن سلطنة ايران واستقر قرارهم أخيراً على أن يرفعوا الى السلطنة أحد أحفاد الشاه السلطان حسين من بفته واسمه اسماعيل الثالث وينوب على مردان خان عنه ، ويقود كريم خان الجيش ويتولى أبو الفتح خان أصفهان . وأقسم هؤلاء الثلاثة على الحفاظ معاً على سلطنة الشاه اسماعيل الثالث وإذا نقض أحدهم عهده قسام الآخران بمقتاله .

والذي نقض عهده وميثاقه منهم كان على مردان خان لأنه كان يحقد على كريم خان حين توجه الناس اليه وكان يود أن يكون تصريف جميع الأمر بيده ، فقتل أبا الفتح في غياب كريم خان وصب آذاه على نصارى جالفا ، فعاد كريم خان الى أصفهان وكان قد رحل هذا الوقت لوضع حد لفتنة في الكرد فاستولى على أصفهان ولاذ على مردان بالبختياريين .

وبعد أن غلب كريم خان على مردان تقدم للاجهاز على المدعي الكبير لسلطنة ايران وهو محمد حسن خان القاجار ، وأخرج في المرحلة الأولى جيلان عن سيطرته ثم أسرع منها لحصار قلعة استراباد وشغل بهذا الأمر بعون شيخ على خان الزندي .

وفي هذه الحملة لم يستطع شيخ على خان الثبات فهرب ، ولما سمع كريم خان بدوره أن الشاه اسماعيل الثالث قد لجأ الى محمد حسن خان لم يتمكن من فتح استراباد وعاد مهزوما الى طهران ، وعلم أن على مردان تحالف مع آزاد خان الأفغاني ضده فوجدت له مشكلة أخرى عن طريقهما .

وقدم كريم خان الى كرمانشاه وأنزل بعلى مردان الذي كان بها هزيمة عظيمة وطلب آزاد خان منه الأمان فلم يجب كريم سؤله وعجل

الى جريه لكنه غلب على أمره ولاذ بالفرار واستأثر آزاد خيلان والختى  
كريم وشيخ على وأتى بهما الى أصفهان ، وهزم في قمشه كريم. ثانيمة  
فعاد خان الزند مهزوما الى لورستان لكن الأمر لم يترك حتى رحل عنها  
الى فارس بعد جمع جتود آخرين ، وحدث في هذه الأيام أن قتل على  
مردان بيد أحد أتباعه .

ولكى يدفع آزاد خان كريم خان ترك أصفهان الى فارس ولقاءه في  
كتل كمارج على رأس طريق بوشهر ، ودارت الدائرة على آزاد خان  
وغلبه كريم فعاد آزاد بهزيمته الى أصفهان عام (١١٦٦هـ) ولما علم أن  
محمد حسن القاجاري قاصد من الشمال أصفهان أجبر على تركها الى  
آذربايجان .

ولما حاز كريم هذا الفتح دخلت طابعته اللار ومنطق فارس الحلة  
وحينما سمع خبر تحرك محمد حسن أرسل شيخ على الى أصفهان  
لواجهته وعمل هو على تنظيم أمور فارس ولقى شيخ على من محمد  
حسن الهزيمة فاضطر كريم أن يتوجه بنفسه الى أصفهان لكنه غلب هذه  
المرّة من خان القاجار فلاذ بالفرار من أصفهان الى فارس .

وبعد فتح محمد حسن لأصفهان انتوى الاستيلاء على فارس  
وتعقب كريم لكنه أذ سمع أن آزاد خان متوجه اليه من آذربايجان تقهقر  
الى جيلان حيث هاجم جنود آزاد خان مرارا وفي آذربايجان فاستأصل  
جنده وأجبره على اللجوء الى كريم ، وسقط آزاد من هذا الوقت من كل  
أهمية واعتبار .

وفي تقهقر محمد حسن سيطر شيخ على الزندي على أصفهان بيد  
أن محمد حسن بعد قهره لآزاد طرد ثانية الزنديين عنها واستعادها .

### هزيمة محمد حسن خان القاجاري في (١١٧١هـ) :

ولما زال على مردان و آزاد خان لم يعد لتاج ايران وعرشها أكثر

من طالبين قويين أولهما محمد حسن القاجارى الذى كان مسيطرا على سواحل بحر الخزر وشمال ايران حتى أصفهان وثانيهما خان الزند الذى حكم على فارس وجزء من ايران الغربية .

وفى عام (١١٧١هـ) هاجم محمد حسن خان شيراز للقضاء على منافسه وألقى بحصاره عليها ، وتمكن كريم فى نهلية الأمر من هزيمة الجند القاجاريين بسبب مساعدة الشعب وبلاء شيخ على التخصن فعاد محمد حسن مغلوبا الى أصفهان ، ولما استشكل عليه المقام بها بسبب سوء مسلك أتباعه مع أهلها تركها الى مازندران فدخل كريم أصفهان بانتصار تام ، وكان يود أنهاء سيطرة محمد حسن تماما لئلا تترك فارس لأخيه صادق وتحرك عن أصفهان لطهران وسير منهلة شيخ على الى مازندران .

ولما دخل شيخ على مازندران تحالف مع طائفة أخرى من القاجار كانت على عدااء قديم مع قبيلة محمد حسن وألحق منهم حسين خان.دولو حاكم أصفهان السابق من قبل محمد حسن بخدمته ولاقى بعونهم محمد حسن بالقرب من أشرف لكنه لم يحز بنتيجة من هذه الحرب فتوجه منها لفتح استراباد .

ووصل محمد حسن على عجل الى استراباد لكنه هزم بها وهرب الى مازندران وحينما كان يريد عبور أحد المعابر عثر به جواده فحمل عليه أخو حسين خان الدولو وكان خلفه من القاجار المخالفين له فاجتر عنقه وأرسلها الى شيخ على فبعث بها بدوره الى كريم بطهران .

وبعد قتل محمد حسن خان لاذ أتباعه من القاجاريين وابنه الأكبر آغا محمد خوفا من أعداء قبيلتهم بصحراء (ميموت) عند التركمان ، لكنهم عادوا بعد أربعة شهور لاجئين بكريم خان فسلمهم خان الزند فى كنفه حمايته .

## سطنة كريم خان

(١١٦٣ - ١١٩٣ هـ)

بعد قتل محمد حسن قاجار استقل تقريبا كريم خان الذي ظهر عام (١١٦٣ هـ) بجميع بلاد ايران ما عدا خراسان وظل حتى سنة موته حاله على هذا ، اذ لم يتعرض كريم خان لخراسان قط مراعاة لحقوق النعمة وظلت بيد شاهرخ ميرزا الأعمى وكان شاهرخ يحكمها حتى آخر حياته اسما .

ومن انبعث أثرا بعد محمد حسن خان القاجارى على كريم خان كان فتح على خان الأفشارى من أتباع آزاد خان ، فتوجه كريم وشيخ على الى أورمية لصدده وان هرب الأخير من المعركة الا أن كريما ظل يقاوم حتى تقدم فتح على يعتذر اليه فعفا عنه ، ثم قتل بعد فترة قليلة بيد أحد أتباع كريم لسوء مسلكه . ولا يعرف بالضبط لماذا أغمى كريم خان في هذا الوقت شيخ على ويبدو أن سبب ذلك هو غرور هذا القائد بانتصاراته فتدخل في مؤامرة لقتل كريم حين كان يحاضر أورمية .

وبعد القضاء على فتح على الأفشارى واستسلام آذربايجان تأمر الزنديون أيضا على کرمان ويزد وجنوب خراسان ، ولم يقدم كريم من هذا الوقت حتى آخر عمره على غزو هام وانما قضى أغلب أوقاته في شیراز حيث اختار مقر عرشه في هناء وترفيه أحوال الرعية والتعمير ، وقد جعلت تهيئة أسباب العيش والراحة للناس ودفع الظلم والتعدي عنهم من كريم خان أكثر من كل شيء محبوبا لرعيته أثرا طيب الذكر عند كل منهم .

### أوضاع سواحل الخليج وجزره في عهد الزنديين : —

استولى كما رأينا في أحوال الأفشاريين نادر شاه على عمان ومسقط عام (١١٥٦ هـ) تماما بيد محمد تقى خان والى فارس وکلب على خان أخى

زوجه ، لكن ساء ما بين هذين القائدين مبكرا فقتل الأول الثاني وعصى نادرا وقام نادر بصدده .

وقد أغفلت هذه الأوضاع التي صايفت اختلال حال نادر ومشاكله في حروبه الأخيرة مع العثمانيين وأفضت الى قتله ايران عن الاهتمام بأمور جزر الخليج وسواحله وأقر شيخ عمان بالتدريج قوته على القسم الأعظم من سواحل الخليج الجنوبية .

ولم يبد كريم خان اهتماما كبيرا بجزر الخليج وسواحله مع قرب عاصمته اليه بسبب انشغاله بمقاتلة الثوار عليه وظلوه من دوافع الفيتنج والغزو فيما عدا مرة أو مرتين حين صد هجمات القراصنة .

وكانت تجارة الخليج البحرية اذ ذاك يتداولها الانجليز والهولنديون وكان الفرنسيون يزاجمون أعداءهم الانجليز فقد كانوا وقتذاك في حرب معهم في الخليج ، كما حدث في المحرم (١١٧٣هـ) حين قدموا الى بندر عباس بسفن أربع وقصفوا دور تجارة الانجليز بها ورحلوا عنها بعد حرق مبانيهم ونهب ما فيها من بضائع بعد خمسة عشر يوما .

وبعد هذه الواقعة بسنوات أربع نقل الانجليز مركز تجارتهم من بندر عباس الى البصرة وسبب هذا العمل الذي تم بعد أن فشل الهولنديون دور تجارتهم أيضا من ايران الى الأرض العثمانية صدمة قوية لتجارة ايران الخارجية . ولكي يتلافى كريم خان هذه الخسارة أعاد الانجليز في عام (١١٧٧هـ) الى بوشهر وحث بفرمان منه ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية على افتتاح دار للتجارة في هذا الميناء ومنحهم حق احتكار تجارة بوشهر ، فتمسك الانجليز لهذا الفرمان ففتحو تجارتهم في بوشهر وظلوا بها حتى (١١٨٣هـ) اذ رحلوا عنها بسبب انعدام الأمن الداخلي واعتداء شيوخ الأطراف عليهم الى البصرة .

كنيبهاوزن ( Kniphausen ) على جزيرة ( خرج ) الصغيرة .  
وفي عام (١١٦٧هـ) استولى رئيس المركز التجارى الهولندى بالبصرة

وجعلها مركزا للصيد والتجارة باللؤلؤ ويبنى فيها قلعة حربية .

ومع أن شيخ ميناء (ريك) وهو الأمير مهتا من العرب رعية ايران عصى مرارا كريم خان وعفا خان الزنند عن قتله مراعاة لصوره الذي كان يعيش في سلك العمال الزنديين الا انه قام ثلثا في تلك الايام على صادق خان والى فارس. وأخى كريم خان فأرسل صادق خان جماعة للقبض على الأمير مهتا الى ميناء ريك فهرب مهتا الى جزيرة (خارجو) ثم هاجم خرج بسبب خلو الجزيرة من ماء الشرب وبعد قتله أو أسره الجنود الهولنديين بها ضمها اليه في (١٦٧٩هـ) وهذا العام هو نهاية عهد سيطرة الهولنديين في خليج فارس وسواحله وجزره .

وأصاب هذا النصر مهتا بالخروج والاعتداء فأخذ في القوصنة والتعب في البحر وأرسل كريم زكى خان وهو أخ له من أمه لدفعه فهرب مهتا أمامه الى البصرة حيث قتل وضمته جنيرقا خرج وخارجو الى كريم .

وفي عام (١١٨٠هـ) قرر كريم أن يهاجم عمان وصقظ وأرسل لهذا زكى خان الى بندر عباس وحرك والى هرمز لعون أخيه ، فركل زكى خان من بندر عباس الى هرمز واركب بها اعتداء خلقيا في حق واليها فألقى به في السجن وأطلع أخاه كريما بما حدث فلم يتم غزو عمان لهذا السبب ولما انتقل مركز الانجليز القلزي مرة ثانية الى البصرة صمم كريم أن يستولى عليها لكي ينتقم من الانجليز ويسقط البصرة من اژدهاها ومكانتها التجازيين ، وتخرج لهذا بسوء معاملة العثمانيين للحجاج الايرانيين وبعض الأمور ثانوية أخرى لكي يتدخل في الأملاك العثمانية . وكان بداية الصراع بين ايران والعثمانيين في أواخر عهد كريم خان بسبب الحماية التي كان يسبغها خان الزند على ولاية البلاد الكردية التابعة للعثمانيين ، ولما عزل عمر باشا والى بغداد باشا بلاد الكرد الذي تحميه ايران أرسل كريم على مراد خان الزندي ابن أخيه الى بلاد الكره ، وكان النصر أولا مع الزنديين غير أن على مراد لما وقع في يد

الترك أثناء المعركة وهو في حال من السكر انهزم الجنود بغير قتلتهم .  
وأنفذ عمر باشا على مراد آلي ايران خشية من كريم ، وأرلاد كريم قتله  
لكنه عفا عنه أخيرا بشفاعة صادق خان .

ولكى يتلافى ومن هذه الهزيمة بعث كريم قائدا آخر من الزندين  
لبلاد الأكراد فغلب العثمانيين في تلك المنطقة وطلب أولياء الدولة  
العثمانية برأس عمر باشا والى بغداد وقتل أن يصل جواب طلبه أرسل  
أواخر عام (١١٨٨هـ) أخاه صادقا بثلاثين ألفا لتأديب سليمان آغا حاكم  
البصرة الذي كان يؤازر شيخ عمان ضد إيران ، وكان ناصر خان بن  
مذكور حاكم بوشهر والبحرين يعاون صادقا من البحر في حملته هذه .

وحاصر جيش ايران البصرة في شهر صفر (١١٨٩هـ) برا وبحرا ،  
وكان الانجليز على علم بأن الغرض الأساسي لكريم من غزوه البصرة  
هو معاداتهم فوضعوا سفينتين حربييتين تحت تصرف سليمان آغا ،  
وانحاز بعض عرب خوزستان للعثمانيين وسعى الأعداء في البر والبحر  
ألا يدعوا قوات صادق تتصل بقوات ناصر ، غير أن هذه المحاولات لم  
تسفر عن شيء فعبر جنود صادق بعد نصر هلم شط العرب وحاصروا  
البصرة . واستمرت محاصرة البصرة ثلاثة عشر شهرا وضاق الأمر في  
هذه الفترة على سليمان آغا وعمر باشا والدولة العثمانية وقتل الباب  
العالى أن ينقذ البصرة من حصارها سواء من البر أو البحر مع سعيه  
لإرساله لباشوات ديار بكر ووان والموصل ودعوته لشيخ عمان ، وفي  
النهاية أرسل السلطان العثماني رأس عمر باشا كما طلب كريم الى  
شيراز حيث خان الزند وطلب الصلح .

وأخذ كريم في تعطيل سفير السلطان في شيراز فلربما يفتح صادق  
أثناء ذلك البصرة الى أن استسلم أخيرا سليمان آغا في ربيع عام  
(١١٩٠هـ) وفتحت البصرة بيد صادق خان ، وناصر خان كل مذكور . وترك  
صادق بعد مقام أربعة شهور بالبصرة على محمد خان الزندي بها وعاد  
الى أخيه بشيراز مع سليمان آغا .



وفي غياب صادق ثار بعض من عرب خوزستان على محمد خان حاكم  
البصرة وقتلوا جماعة من جنود ايران عن طريق اغراق طريقهم بالماء  
وقتل الحاكم الزندي أيضا بيد غلام له . فأرسل كريم خان مرة أخرى  
صادق خان في (١١٩٣هـ) لتأديب العرب المتمردين وضبط أمور البصرة .  
وضرب صادق الثوار وأتى البصرة وظل بها حتى صفر (١١٩٣هـ) وفي  
هذا التاريخ بلغه خبر موت كريم عاد الى شيراز ولما خلت البصرة  
سهل على الأتراك العثمانيين استعادتها .

### موت كريم خان في الثالث عشر من صفر (١١٩٣هـ) :-

أصيب كريم خان أواخر عمره بالسل ولما كان سنة آنذاك نحو  
الثمانين أخذ في الضعف والاعتلال يوما بعد يوم ، وقد زادت حادثة قتل  
على محمد خان وثورة العرب وبعض ثورات أخرى شبت في بعض  
الولايات اثر انتشار خبر موته الكاذب نحالة ووهنا الى أن وقع فريسة  
لقولنج حاد في الثالث عشر من صفر فمات هذا الملك البعيد النظر  
بنفس المرض في نفس التاريخ السابق بشيراز . وتبلغ مدة كر كريم خان  
وفره وحكمه ثلاثين عاما وثمانية شهور .

وكريم خان عامة أحد ملوك ايران المحمودين الطيبين الذكر فكان  
رجلا محبا لرعيته طيب المسلك خلوا من الحقد والقسوة يعيش في  
بساطة شديدة لا يكلف كثيرا ببهارج الحياة والبلاط وجمال الحكم  
ورعيته حتى كان يتجنب قبول لقب الملك والسلطان فسمى نفسه في كل  
حياته بوكيل الرعايا . ومن أبنيته في طهران بناء اسمه ( خلوت كريم  
خاني ) أو مختلى كريم خان ، وفي شيراز سوق ومسجد و «حمام الوكيل»  
وبعض القصور الحكومية والتي تعد من ناحية العظمة واستحكام البنين  
هامة لكنها ليست بذات قيمة فنية وتمثل عهد انحدار فن أعمال الكاشاني  
والمعمار في ذلك العصر . ولا يزال جاريا على ألسنة الناس حكايات  
وأساطير كثيرة تحكى بساطة حياة كريم وحسن معاملته وسعيه لتحسين  
أحوال الشعب .

## اعقاب كريم خان

لم يودع كريم خان الثرى وقد ثار نزاغ عائلى بين اقاربه بسبب خلافته بمعنى أن زكى خان أخا كريم لأمه المعروف بالقسوة والفظاظة لما كان يدرك أن كبار الاسرة الزندية لن ينصاعوا لحكمه مع وجود صادق خان وأولاد كريم ، فلكى يجبرهم على اختياره حاصر مقر أولئك الناس ومنزلهم وهو القصر الملكى والحزم الخانى ، وقاوم المحصورون ثلاثة أيام حتى استقرت الأمور على الصلح . وأوقع زكى خان بهذه الحيلة خمسة عشر من كبار الزنديين فى شركه فأجهز عليهم وكان جسد كريم طوال هذه المدة لا يزال خارج قبره وأخيرا دفن زكى خان وأطلق اسم السلطنة على أبى الفتح خان ابن كريم الأكبر وبعد بضعة أيام أشرك أخاه محمدا على خان فى الحكم وكان صهر زكى وكان هو فى الحقيقة مالكا لأزمة الأمور وأخذ ينهب أموال قتلاه ويقسمها على جنوده .

وممن لم يقع فى أسر زكى خان من كبار الزندية صادق خان أخو كريم الشقيق الملقب باستظهار الدولة وكان يعيش بالبصرة مع ابنه جعفر خان ، ثم على مراد خان الزندى قائد كريم خان الذى ولاه الخان قبل موته أصفهان .

ولما علم زكى خان بتحرك صادق الى شیراز أرسل اليه بموافاة العاصمة على عجل لينظم أمور السلطنة على نحو ما يريد وكان غرضه أن يوقع بصادق أيضا فى شركه بأى طريقة . وما أن اقترب الى شیراز وعلم بحقيقة نية زكى ، ولأن أتباعه تفرقوا على أثر مشقات الطريق وتهديدات زكى ، لم يجد فوتا من الفرار الى كرمان .

ورفع على مراد راية الثورة فى أصفهان فقصد زكى بأربعين ألفا لصدده . وفى منزل ايزدخواست قامت جماعة من جنوده بقتله لفسقه وحركاته السيئة التى ضاقوا بها ذرعا فاعلم أبو الفتح خان على مراد بالقضية

وعاد هو الى شيراز وجلس مستقلا على عرش الملكية .

وبمجرد وصول خبر قتل زكى لصادق وابنه جعفر ترك رفسنجان  
كرمان الى شيراز وقبل طاعة أبى الفتح خان . بيد أن أبا الفتح الذى  
تعود معاقره الخمر ولم يقلع عن هذه العادة برغم نصائح أبيه ومعاقباته  
لما رأى نفسه مطمئنا مستريحا سار فى طريق اللذات وعجز صادق عن  
إعادته الى الطريق المستقيم رغم محاولاته . وفى النهاية ألزم صادق  
أبا الفتح بيته وعمل هو فى تسيير أمور الملك .

ولما سمع على مراد خان خبر عزل أبى الفتح وكان لا يزال حتى  
ذاك الوقت على طاعته وقام تحت خدمته بقتل ذى الفقار خان الأفشارى  
والى « خمسة » العاصى واسماعيل خان القشقائى من العصاة المخالفين  
وأرسل برأسيهما الى شيراز ، ثار على صادق وأعلن نفسه ملكا  
بأصفهان . ولكى يفرق صادق قواد الجيش للذين اجتمعوا حول على  
مراد أقدم على زجر أتباعهم وإيذائهم فأثار بعمله هذا معاداة قيادة  
الجيش المقيم بأصفهان له وظل هذا الحال عامين . وفى عاقبة الأمر  
أرسل على مراد عام ( ١١٩٥ هـ ) أحد قادته لمقاتلة صادق بشيراز .

وتمكن على نقى خان ولد صادق من دحر هذا الجيش خارج شيراز  
وأمسك بكثير من قادة جيش على مراد فولى هذا وجهه شطر  
كرمانشاهان وحمل على شيراز بعد جمعه جندا آخرين فخان جعفر خان  
هذه المرة أباه صادقا وكان أخا لعلى مراد من أمه وانحاز مع أكبر خان  
ولد زكى خان الى على مراد وانحصر صادق وابنه الآخر على نقى فى  
شيراز .

وبعد تسعة شهور من الحصار استولى على مراد فى المحرم عام  
( ١٢٩٦ هـ ) على شيراز وأهلك صادقا وابنه عليا وأعمى أبا الفتح وأبناء  
كريم خان الباقين وجلس على عرش السلطنة وترك لجعفر خان جزاء  
الخدمة التى أسداها له حكم بلاد الأكراد .

ولما اطمأن خاطر علي مراد من ناحية الزنديين أعد بأصفهان نحو أربعين ألفا بقصد السيطرة على مازندران واستراياد ودفع القاجاريين فتحرك الى طهران ومنها أرسل ابنه لفتح مازندران عن طريق اللار . وفتح شيخ ويس خان ولد علي مراد — الذي لحق به والده بعد فترة قصيرة والقواد الزنديون الباقون — في عام ( ١١٩٨ هـ ) ساري وطرد منها آغا محمد خان القاجاري فركن الى الفرار من مازندران الى استراياد .

فأرسل في عقبه شيخ ويس أحد قادته لحصار استراياد لكن هذا القائد لم يحقق شيئا بسبب معونة التركمان لآغا محمد خان وحدث القحط بين جنوده ، بل وقع في الأسر وقتل . فترك شيخ ويس بعد سماعه هذا ساري ولاقى أباه بطهران ونال غضبه . وسير علي مراد جيشا آخر الى مازندران لكنه سرعان ما تشتت ، وعاد علي مراد الى اصفهان وقد صار وقتها فريسة ثورة جعفر خان وبعض المتمردين غيره ، وما أن بلغ ( مورتشه خورت ) حتى وافته منيته عام ( ١١٩٩ هـ ) .

ولما مات علي مراد قدم الى اصفهان جعفر ابن صادق وأخو علي مراد الأمة والذي كوفئ لخيانته آياه بحكم بلاد الأكراد و « خمسة » من طرف علي مراد ، وكان قد ثار علي علي مراد في غزوه لـ مازندران ، وأمسك في خطوته الأولى بشيخ ويس وأعماه ، ثم أنفذ نجف خان الزندي بجيش الى طهران للقضاء على القاجاريين . وتغلب آغا محمد خان على جند جعفر خان مرة بقم وأخرى بكاشان فأضاع جعفر اصفهان اشفاقا منه ، وهرب الى شيراز ، وأدخل آغا محمد خان طهران وقسم وكاشان و اصفهان وبلاد الأكراد تحت طاعته .

واستعاد جعفر خان بعد عودة آغا محمد خان اصفهان من القاجارية ، لكنه أضاع المدينة في السنة التالية ( ١٢٠٠ هـ ) ثانية وعاد مهزوما الى فارس ، وظل النزاع من هذا العام حتى عام ( ١٢٠٢ هـ )

مستمرا بين أتباع القاجاريين والزنديين الى أن دس السم في العمام  
الأخير لجعفر خان بمؤامرة احد امراء الزنديين فمات به وخلفه صيد  
مراد خان .

ولما سمع ابن جعفر الرشيدى لطف على خان بقتل والده وكان  
يجالد بسيفه في ركاب والده وهو شاب وكان وقتها واليا لموانىء الخليج  
وسواحه وصل معجلا الى شيراز واستخلص العاصمة من صيد مراد  
وقتل المتواطئين في مقتل أبيه وجلس على عرش المملكة عام ( ١٢٠٣ هـ )

### سلطنة لطف على خان ( ١٢٠٣ - ١٢٠٩ هـ ) :-

حاز لطف على خان آخر ملك في أسرة الزند وولد لجعفر خان  
وحفيد أخى كريم خان في المدة القصيرة التى تملك فيها مع صغر سنه  
فتوحات هامة وأبدى ضروبا من الشجاعة والتجلبد ، ولم يطمئن اغا  
محمد خان القاجارى على حياته ودولته ما بقى حيا ، لكن لسوء حظ  
لطف على أنه بسبب حداثة سنه وعدم تجربته كان خلوا من السياسة  
وقيادة الشعب وتدبير أمور الملك وكان يشيح عن نصيحة الصادقين  
بسبب غروره وجهله ، فلم تدعه معاييه من أن يحصل نتيجة دائمة من  
فتوحاته وسرعان ما زال وانقرضت الدولة الزندية .

في عام ( ١٢٠٤ هـ ) تقدم آغا محمد القاجارى الى شيراز لازالة  
لطف على فلم يأنس هذا من نفسه الثبات فأخلى شيراز ويمم صوب  
دشتى ودشتستان فسقطت شيراز بيد القاجاريين وعاد اغا محمد خان  
الى طهران ، وفي السنة بعدها أتى لطف على بما جمعه من اعدادات  
الى شيراز فاستولى عليها بعون حاجى ابراهيم رئيس شرطتها ، وقرر  
فتح أصفهان لكنه لقي الهزيمة ولما أراد العودة الى شيراز أقفل حاجى  
ابراهيم أبوابها أمامه لأنه كان قد اتحاز الى القاجاريين أثناء غياب  
الخان الزندى وفشلت مساعى لطف على فى الاستيلاء على العاصمة  
فانهزم الى زرقان ، وحفظ حاجى ابراهيم المدينة بعون قيادة الجيش

## القاجارى من استيلاء الزنديين •

ومكث لطف على شهاب الزندى الشجاع فى جلاّد وصراع مع خان القاجار من عام ( ١٢٠٦ هـ ) حتى ( ١٢٠٩ هـ ) حين أسره محمد خان وقتله فى قلعة ( بـم ) بكرمان ، وكان الغالب أغلب مواقعه ، الا انه فى النهاية على نحو ما سوف نرى ضمن تاريخ آغا محمد خان انقطعت على يد هذا القاجارى سلسلة حياته وانتهت بموته سلطنة الزنديين التى دامت ستة وأربعين عاما من عام ( ١١٦٣ هـ ) حتى ( ١٢٠٩ هـ ) •

## اسماء ملوك الزند ومدة كل منهم

- ١ — كريم خان ( ١١٦٣ — ١١٩٣ هـ )
- ٢ — أبو الفتح خان بن كريم خان ( ١١٩٣ هـ )
- ٣ — على مراد خان ( ١١٩٣ هـ — المرة الأولى )
- ٤ — محمد على خان ولد كريم خان ( ١١٩٣ هـ )
- ٥ — صادق خان أخو كريم خان ( ١١٩٣ — ١١٩٦ هـ )
- ٦ — على مراد خان ( ١١٩٦ — ١١٩٩ هـ — المرة الثانية )
- ٧ — جعفر خان بن صادق خان ( ١١٩٩ — ١٢٠٢ هـ )
- ٨ — صيد مراد خان ( ١٢٠٢ — ١٢٠٣ هـ )
- ٩ — لطف على خان بن جعفر خان ( ١٢٠٣ — ١٢٠٩ هـ )

## الفصل السابع عشر

### الأسرة القاجارية

#### بداية أمر القاجاريين :-

القاجاريون أصلا طائفة من الجنس المغولي وظاهرا من القبائل التي انتشرت من بلاد المغول مع الغزاة التتار والمغول في عهد جنكيز وأخلافه إلى البلاد الإسلامية ، وكان مقامهم اذ ذاك في المجرى ما بين الشام وإيران خاصة في أرمينية .

ولا يذكر كثيرا حتى تأسيس الدولة الصفوية شيء في التاريخ عن قبيلة القاجاريين وفي هذا العصر أى في قيام الشاه اسماعيل الأول كان القاجاريون المقيمون بأرمينية بدورهم من الجماعات التي اتجهت لمعون الصفويين ، وبلغ بعض رؤسائهم من هذا الوقت الامارة حيفا والسفارة والمناصب الحكومية الأخرى ، وقام الشاه عباس الكبير بتجهيز قبيلة القاجاريين عن مقامهم الأصلي إلى مكان مختلف لكي يؤلف منهم لواء القبائل المهاجرة سدا ، فأسكن جماعة منهم في قرا باغ في مواجهة التركيين وأقر جماعة أخرى في جرجان واستراباد لمواجهة التركمان وثبتت جماعة ثالثة بمرولصد الأوزبك .

وفي هذه الأثناء أصاب قاجاريو جرجان واستراباد من أواخر العهد الصفوي أهمية وشوكة مخصوصين وان كان النزاع قائما بين طائفتي جرجان والقارجاريين أى سكان ساحل نهر جرجمان الأيسر والمقيمين على ساحله الأيمن ، كأي نزاع يدور بين أغلب القبائل بسبب المراعى والمياه وغيرهما فلا ينقطع ، فكانت الطائفتان تقضيان غالب الوقت تهاجم أحدهما الأخرى .

وكانت الطائفة القاجارية الساكنة على ساحل نهر جرجان الأيمن تدعى ( يوخارى باش ) أى سكنة رأس النهر الأقصى بينما كانت الطائفة المقيمة على الساحل الأيسر من النهر يطلق عليها ( اشاقه باش ) أى سكان رأس النهر الأدنى وانشعبت الجماعتان الى عشائر مختلفة فيما بينهما \*

وفي حين سيطرة الأفغان على ايران ، توجه رئيس عشيرة القوانلو من قبيلة الاشاقه باش وهو فتح على خان القاجارى لمعاونة الشاه سلطان جسين بأصفهان ، لكنه لما رأى أوضاع البلاط يسودها التششت الكبير وأن الشاه عاجز عاد الى استرآباد وظل بها كما مضى الشرح الى أن انضم الى جيش طهما سب ميرزا ولد الشاه سلطان حسين ، ولم يطل الأمر — كما مر — حتى لقي حتفه فى الرابع عشر من صفر ( ١١٣٩ هـ ) بتحريض من نادر على يد أحد القاجاريين اليوخارى باش \*

وكان لفتح على خان القوانلو ولدان هما محمد حسين خان الذى مات فى طفولته ومحمد حسن خان الذى ولد عام ( ١١٢٧ هـ ) وكان فى نحو الثانية عشرة من عمره وقت قتل أبيه \*

وكان نادر كما قلنا هو السبب فى الحقيقة فى قتل فتح على خان الاشاقه باش والذى استولى على منصبه فى بلاط الشاه طهما سب الثانى ولذا أنزل معاداة للاشاق باش القبيلة الثانية القاجارية اليوخارى باش باش مورد عنايته فأرسل منهم محمد حسين خان لحكومة جرجان واسترآباد ، ومحمد حسين خان هو الذى اغتال بأمر من رضا قلى ميرزا الشاه طهما سب الثانى وولديه الصغيرين عباس ميرزا ( الشاه عباس الثالث ) وسليمان ميرزا \*

وفي عهد حكم محمد حسين خان اليوخارى باش لاسترآباد وعهد قوة نادر كان محمد حسن خان ولد فتح على خان يعيش متخفيا بين التركمان طوال هذه الفترة \*

وفي عام ( ١١٥٦ هـ ) حين كان نادر مشغولا بالحرب مع العثمانيين



هاجم محمد حسن خان بعون بعض تركمان « يموت » استراباد واستولى عليها فسير نادر محمد حسين خان اليوخارى باش لصدده ففر محمد حسن ثانية الى صحراء التركمان ولم يتمكن نادر من القبض عليه طوال حياته .

وبعد قتل نادر عاد محمد حسن خان الى استراباد فاستولى عليها وأقام بها وطفق يجمع الجنود ، ولما كانت ايران فى هذه الايام فريسة الهرج والمرج وكان بمكنة كل دعى أن يدعى سلطنتها ، انبعث محمد حسن خان هو الآخر يدعو لنفسه بالسلطة فى استراباد لكنه واجه من الخطوة الأولى ندين قويين هما أحمد خان الأبدالى وكريم خان الزندى . واستطاع محمد حسن أن يهزم أحمد خان فى النهاية بعد أن توجه — هذا الأخير — مهاجما خراسان واستراباد بقصد السيطرة عليهما ، لكنه فى صراعه مع الزنديين مع أنه كان المنتصر فى الأغلب ، لقى القتل فى جمادى الآخرة ( ١١٧٢ هـ ) فى مازندران ووقع أولاده أسرى قبضته الزنديين .

وكان كريم خان رجلا رحيما كريما فحمل معه الى شيراز من بين أولاد محمد حسن التسعة آغا محمد خان وحسين قلى خان جهانسوز وأحلهم بلاطه وأرسل بقيتهم الى قزوين ولم يقصر فى حسن معاملته بهم أدنى تقصير ، الى أن نصب حسين قلى خان فى عام ( ١١٨٤ هـ ) على حكم الدامغان ، لكن حسينا هذا وقد سمي جهانسوز أى ( مرق الدنيا ) بسبب قسوته وظلمه وفظاظته سرعان ما عصى ولى نعمته وظل بعصيانه حتى قتلته التركمان فى ( ١١٨٨ هـ ) فى استراباد .

أما آغا محمد خان فقد كان يعيش حتى موت كريم خان أى حتى ( ١١٩٣ هـ ) فى شيراز فى بلاط الزنديين ولما كانت احدى أقارب زوجته بعصمة كريم خان كان معزز الجانب محترما لديهم وله الحرية فى التردد على حرم خان الزنديين .

وأدرك آغا محمد خان عن طريق هذا التردد أن ساعات عمر خان الزندى معدودة فتذرع بذريعة ما وغادر مدينة شيراز ووصل معجلا الى

طهران ومعه عدد من القاجارية وأتباع آخر .

وفي طهران وقف علم آغا محمد خان على أن من بين أخوته السبعة من لا يميل إلى تربيته لقبيلة الشاقة باش وسطنته للدولة خاصة مرتضى قلى خان ورضا قلى خان ومصطفى قلى خان الذين وقفوا في مازندران لصدده . وأرسل الآغا محمد خان أخاه آخر هو جعفر قلى خان لازالهم فغلبهم ومن هنا وضع آغا محمد قدمه بمازندران وفيها انضم إلى عسكريه باباخان ولد حسين قلى خان جهانسوز أخيه ومعه أمه ودخل أيضا مصطفى قلى خان في طاعته .

وكان حكم جيلان اذ ذاك بيد رجل اسمه هدايت خان بن حاجي جمال فومنى الذى أسدى وأبوه إلى محمد حسين خان خدمات فوقها منه موقع القبول . وفي نحو ( ١١٧٢٥ هـ ) دخل هدايت خان تبعية كريم خان الزندى ، وكان — هدايت خان — يتصف بتذوق الأدب وحبه وبالشهامة ولذا مدحه بعض شعراء العهد الزندى وأوائل القاجارى — وأقبل فأقصر أمور جيلان وروج من تجارتها مستعينا بالتجار الأجانب . فلما توفى كريم خان ساءت علاقة هدايت خان بالزنديين فدفع على مراد خان بجيش لتأديبه وألجأه إلى الفرار وان عاد بعد مدة وجيزة وصالح على مراد . وعندما أفل نجم على مراد وبزغ نجم آغا محمد ، قبل هدايت تسيير أموال جيلان إلى خان القاجاريين .

وفي ( ١١٩٥ هـ ) استنكف هدايت خان ان يرسل بمال جيلان إلى آغا خان فأرغم هذا على توجيه أخويه جعفر قلى خان ومصطفى قلى خان لضربه بجيلان . وحينما كان آغا محمد مقبلا إلى تأديب هدايت خان ثار عليه أخوه رضا قلى خان وهاجم ( بار فروش ) فأسر آغا محمد وكان مقيما بها مع بابا خان وأخيه الأصغر المسمى باسم أبيهما ( حسين قلى خان ) ، وأم الجميع ، وبعث وصول هذه الأنباء إلى جيلان على أوبة جعفر ومصطفى ، فظل أمر دفع هدايت خان بعد فراره إلى شروان منقوصا .

ونجح آغا محمد في النجاة سريعا من قيد رضا قلى الذى كان يخشى  
بأس اخوته لا سيما جعفر مما جعله يتجه الى اصفهان ثم يتركها الى  
مشهد ثم يوافيه أجله بعد قليل .

وبعد فرار الرضا قام المرتضى قلى أخو محمد الذى كان يتظاهر مرة  
بطاعته وأخرى بخلافه بالاستيلاء على مدينة سارى ومن ثم رفض  
سلطنة أخيه . وقابله أخوه محمد فهزمه ثم رضاه بحكومة جرجان  
واستراباد وهزارجريب .

وقدم هدايت خان بعد مقام أربعة أعوام خارج جيلان الى رشت  
يعاونه بعض اللزكيين فاستعادها ، فسير آغا محمد مصطفى خان قاجار  
دولو قائده لطرده عنها ، وقبل هدايت خان هذه المرة أثناء فراره على  
شاطئ نهرها ودخلت جيلان كلها تحت طوع القاجاريين .

وفي عام ( ١١٩٨ هـ ) حين سير على مراد النخان الزندى ابنه شيخ  
ويس خان الى مازندران لقتل القاجارية تألب مرتضى قلى مع الزنديين  
معاديا لأخيه ، فلما انتصر القاجاريون وفر عسكر الزنديين فر مرتضى الى  
شروان واستمد بها خانات باكو وشروان وقرا باغ وطالش فاستمروا  
على جيلان .

وفي عام ( ١٢٠٣ هـ ) تغلب آغا محمد بعون جعفر قلى وقواده  
الآخرين على مرتضى قلى فتوجه هاربا الى طالش ثم عاد بعد قليل .  
وأمر أخوه مصطفى هذه المرة بفتح جيلان فهزم مرتضى ودفعه هاربا  
الى باكو ، فتركها مرتضى الى روسيا ولم يعد ثانية الى ايران .

### جلوس آغا محمد خان في ( ١٢٠٠ هـ ) :-

بعد زوال خطر الاخوة الثائرين والتغلب على الزنديين وادخال  
شمال ايران ووسطها الطاعة توج آغا محمد خان في النيروز من عام  
( ١٢٠٠ هـ ) أى في الحادى عشر من جمادى الآخرة من هذا العام في طهران ،

ولما لم يكن ولد له بسبب انقطاع نسله بيد عادل شاه آخر بابا خان الأبن الأكبر لجيش قلى جهانسوز أخاه لولاية عهده ونياية سلطنته ، كما فضل طهران عاصمة له بسبب قربها الى استراياد مقر قبيلة القاجاريين وهيمنتها على الولايات الجنوبية التي كانت لا تزال بيد الزنديين ، وقسم حكم ولاية على رؤساء القاجاريين وكبارهم ، وتأهب لاستئصال جعفر خان .

وفي عام ( ١٢٠٢ هـ ) قصد آغا محمد فارس بهدف القضاء على جعفر خان لكنه لما سمع أن جعفر لن يبرح قلعة شيراز للمقاتلة وأن ليس أمس في التراجع وراء مهاجمة شيراز عاد الى العراق ، وحدث أن توفي جعفر في نفس العام فخلفه على عرش الزنديين ابنه الشاب الرشيد لطف على خان وقرر مصارعة آغا محمد .

وفي العام التالي ( ١٢٠٣ هـ ) سير آغا محمد أخاه جعفر وقائده مصطفى دولو الى شيراز وشخص بنفسه في عقبهم وحاصروا المدينة ، فلما أبدى لطف على شديد المقاومة عاد آغا محمد الى طهران . وفي ل ( ١٢٠٤ هـ ) سار لطف على الى دشتي ودشتستان لاستجماع قواه ن رأى عجز جنده عن المقاومة ، فدعا أعيان شيراز آغا محمد حتىلاء على مدينتهم . ولما عاد لطف على من دشتستان سلمت له شيراز بية فتركها الى اصفهان لمقاتلة الخان القاجاري وأتاب في شيراز رئيس شرطتها حاجي ابراهيم ، واستصحب ابنه رهينة معه حتى لا يصدر عنه أثناء غيابه حركة عدائية .

وما أن آلت أمور شيراز الى حاجي ابراهيم ولأنه كان يعلم أن لطف على مطلع على نيته الباطنة ألقى القبض على كبار الأسرة الزندية بالمدينة من ناحية وحرّض أخاه عبد الرحيم خان وكان بعسكر لطف على على اثاره الجنود من ناحية أخرى ، وبهذا تفرق أكثر جنود لطف على ليلا عن المعسكر بقمشة بسبب أن أسرهم وقعوا تحت تهديد رئيس الشرطة

بشيراز وهجومه ، فانهزم لهذا السبب لطف على أمام آغا محمد وعاد الى شيراز . بيد أن رئيس الشرطة وأتباعه أقفلوا عليه أبوابها فلم يجد مناصا من أن يتوجه الى بوشهر . ووافى مصطفى قاجار دولو شيراز وترك حكمها الى رئيس شرطتها نائبا عن آغا محمد .

وقبل واقعة قمشة طالب جعفر قلى أخو آغا محمد الشجاع الذى أكسب أخاه بعض انتصاراته بحكم أصفهان فأمتنع أخوه آغا محمد عن تحقيق مطلبه فارتحل جعفر مغاضبا الى بسطام . واحتال آغا محمد عليه حتى استدعاه اليه وقتله وتكر بهذا اليه وهو صاحب حق عظيم فى عنقه .

ومكث لطف على طوال عام ( ١٢٠٥ هـ ) ومعه قواته الضئيلة التى جمعها فى نزاع وصراع على حدود كازرون وشيراز مع مصطفى قاجار وحاجى ابراهيم رئيس الشرطة لكنه لم يصب توفيقا لقلّة استعداد جنوده . وفى ربيع عام ( ١٢٠٦ هـ ) قرر آغا محمد أن يقصد بنفسه فارس لانهاء أمر لطف على ، فأتى لهذه النية بجيش متأهب أصفهان ، فترك حكمها الى حسين قلى الابن الآخر لحسن قلى جهانسوز وسلك طريقه الى زرقان حيث كان لطف على وهو فى حيلة شديدة . وكان لطف على على علم بتحرك آغا محمد عن أصفهان فسابق الى مجابهته وهجم بجراءة على جيشه على مقربة من ( أبرج ) على بعد خمسة عشر فرسخا شمال شيراز ، ففرق جمعهم وتقدم حتى مخيم آغا محمد وكان على وشك افناؤه لولا أن أحد الموجودين أفهمه أن آغا محمد قدولى دبره فارا . والفتح صار يسيرا فمن الافضل أن يتصبر على اغتنام مخيمه حتى الصباح فيحترق من وقوع نفائسه بيد جنده . فلما أسفر الصباح وعلم لطف على أن آغامحمد لايزال بمخيمه وأن انتظام جنوده الكثيرين لايزال قائما أدرك أنه لن يستطيع الثبات مع جنوده القلة فاضطر أن يفر الى خراسان . ودخل آغا محمد شيراز ببسر فأعمى عددا من كبار الزنديين واستولى على اموالهم ثم استدعى حسين قلى من أصفهان اليه وأختاره

لحكم عارس مع نيابه رئيس الشرطة السابق الذكر وخرب قلعة شيراز .  
وبعد أن فر لطف على من ابرج ظل في أخذ وجذب مع أتباع  
القاجاريين يعون بعض الفرسان الذين أمده حاكم طبس بهم مدة من  
الزمن في يزد وابرغو ونيريز الى أن رحل الى كرمان في ( ١٢٠٨ هـ ) بدعوة  
اهلها فجعل منها مركز اقامته وعاصمته .

وحدث وصول خبر استيلاء لطف على على كرمان الى آغا محمد على  
أن ينصرف عن عزمه للسيطرة على خراسان ويسلك طريقه الى كرمان .  
ولما وصل الى كتب منها تحصن لطف على بعد مناوشات وهزيمة بالمدينة  
فحاصرها خان القاجاريين وأدام حصاره أربعة أشهر . وفي نهاية الأمر  
لم يتيقن أنه لن يدخل المدينة كما أن البرودة انهكت قوى جنوده قرر  
أن يرفع الحصار . وفي هذه الأثناء أبدى حراس بعض بوابات المدينة  
خيانة للطف على وفتحوها أمام القاجاريين . وتدارك لطف على الأمر  
فهزم المهاجمين وسد البوابة المفتوحة ، لكنه وقع فريسة خيانة أخرى  
كالأولى ، وفاضت المدينة في هذه المرة باثنى عشر ألفاً من جنود آغا  
محمد . وظل لطف على يقاتله مادامت فيه قوة لكنه ما ان رأى انه لم  
يتبقى معه مدافع آخر حتى تسلك بجواده من أحد خنادى المدينة من بين  
المحاصرين وتحصن بمدينة ( بسم ) .

ولما ضبط آغا محمد كرمان أصدر أمره بتخريبها وقتل من فيها  
وتأديبهم وأمر بأن يؤتى اليه من أهلها بأعين عشرين ألفاً ، وأصاب وجنوده  
هذه المدينة بفظائع تجل عن الوصف .

ولما رأى حاكم بم أن لطف على لا يصاحبه أخوه وكان من أتباعه  
ظن أن أخاه وقع أسيراً لآغا محمد فصمم على القبض على لطف على لكي  
يفتدى أخاه من آغا محمد به . وعلم لطف على بنيته فأراد الفرار لكنه  
جرح حين فراره بفعل أتباع حاكم بم فسلم أسيراً الى خان القاجار .  
وبدأ آغا محمد بأن اقتلع بيده عيني هذا الشاب الجميل الرشيد

الزندی ، ثم استولى على ألماتى ( درياى نور ) أو بحر النور و ( تاج مساه ) أو تاج القمر وكانتا مملكتين على ساعد لطف على وأرسل فى ربيع الآخر ( ١٢٠٩ ) بهذا الوضع المؤلم الى طهران واتجه هو الى شيراز ، ثم أصدر أمره من شيراز الى حاكم طهران بقتل لطف على ويبدو أن هذا الأمر تم باغواء حاجى ابراهيم رئيس الشرطة • وبعد انتهاء أمر لطف على وسائر الزنديين ضم آغا محمد حكومة فارس وكرمان ويزد الى بابا خان ولى عهده ونصب حاجى ابراهيم وزيرا له بلقب اعتماد الدولة •

### غزو الكرج فى ( ١٢٠٩ - ١٢١٠ هـ ) :-

ولما بدأ بال آغا محمد من ناحية جنوب ايران اهتم بشمالها وفكر فى أن يدخل طاعته ثانية شروان والكرج اللتين أطاعتا ايران طوال العهد الصفوى وخرجتا عنها فى حكم الزنديين • وكان حكم الكرج فى هذا الوقت لأركلى جان أو هرقل الثانى وكان فى معاهدة منذ ( ١١٩٧ هـ ) مع كاترين الثانية امبراطورة روسيا ، وقد وضع من نفسه وبلاده تحت حمايتها بعد الانتصارات التى صارت من نصيب قواد روسيا فى شبه جزيرة كريمة ( القرم ) وشمال القفقاز •

وفى عام ( ١٢٠٧ هـ ) قام أركلى ليسيتر على كنجة فاقترح آغا محمد فى هذا الوقت عليه أن يترك له ايروان وقرا باغ وشكى وشروان وحكومة آذربايجان بشرط أن يخرج عن تبعية روسيا ويعلن تبعية الكرج لايران كما كان حالها أيام الصفوية • فرفض أركلى لعجزه أو عدم قبوله التخلي عن حماية روسيا •

وتحرك آغا محمد فى ربيع عام ( ١٢٠٩ هـ ) صوب آذربايجان ، وعبر فى غرة ذى الحجة من هذا العام جسر ( خدا آفرين ) على نهر أرس على رأس طريق أردبيل متوجها الى شوشى فحصرها ومعه ستون ألفا وثبت ابراهيم خليل خان جوان شير والى شوشى يقاوم بشدة ، فلما طال ثباته ، ترك آغا محمد بغتة حصار المدينة وهاجم تفليس ، وكان أركلى

خان عجوزا وغافلا معا فلم ير غير الفرار فوثا فانصب آغا محمد وجنوده المنتصرون في تفليس في السابع والعشرين من صفر (١٢١٠هـ) ونهبوا المدينة ولم يألوا جهدا في ذبح أهلها وانتهاك حرمتهم وارتكاب الفظائع الأخرى وكرروا في أفعالهم القبيحة هذه ما فعله السلطان جلال الدين المنكبرني بتفليس +

وكان آغا محمد بعد فتحه لتفليس على يقين من أن روسيا سوف تنهض لحماية أركلى خان فاقترح عليه الصلح ، لكن أركلى رفضه مع اصرار حاشيته على قبوله ، حتى أتى جنود روسيا الى القفقاز في أواخر عام (١٢١٠هـ) لحمايته ، وبعد أن استولوا على الدربند وباكو وشكى وصلوا الى قرا باغ واستولوا على كنجة أيضا + وكان من حسن حظ آغا محمد إذ ذلك أن توفيت كاترين الثانية وأمر خليفتها بعودة الجنود الروس ، وكان آغا محمد في ذلك الوقت أسير السيطرة على خراسان +

ولما انتهى أمر خراسان ، توجه آغا محمد في الربيع أى أواخر عام (١٢١١هـ) مرة ثانية الى شوشى لاستعادة البلاد التى استولى عليها الروس في القفقاز في السنة الماضية لكى يؤدب ابراهيم خليل خان الذى كان يعلن طاعته حيناً وعصيانه حيناً آخر ، لكنه أصيب بالقتل حين الحصار كما سنرى بعد قليل +

### الاستيلاء على خراسان في (١٢١٥هـ) :-

بعد عودة آغا محمد من سفره الأول الى القفقاز تحرك متذرعاً بزيارة مشهد بينما كان ييطن استيلاءه على باقى جواهر نادر التى كانت بحوزة حفيده شاه رخ شاه الأعمى ، وكان شاه رخ كما أسلفنا يحكم على خراسان فيما يشبه السلطان طوال الحكم الزندى بالرغم من كف بصره ولم يرض الزنديون بالهجوم عليه +

ولما ورد آغا محمد مشهد استقبله شاه رخ وابنه نادر ميرزا وجماعة من العلماء والأعيان المشهدين فاحتفى بالجميع خان القاجار ،



لكنه بعد قليل أخذ الجواهر النادرية من شاهرخ بحجة أنها تتعمق  
بسلطان الوقت . وكان يظن أن شاهرخ لا يزال يحتفظ بجزء منها  
ويرفض تسليمها لذلك كان يقوم بتعذيبه في كل يوم تعذيباً خاصاً من بين  
ذلك أنه أمر بصب الرصاص المذاب عليه ثم سيره إلى مازندران وكان  
عمره ثلاثة وستين عاماً فمات هذا المسكين بعد أن وسعته تلك المصائب  
أثناء السفر .

### قتل آغا محمد خان في الحادي والعشرين من ذي الحجة (١٢١١هـ)

حينما استولى آغا محمد على إحدى قلاع شوئى وهرب إبراهيم  
خليل إلى داغستان صب جام غضبه على ثلاثة من خدم محرمه لأسباب  
واهية وتهددهم بالقتل ، فاتفق الثلاثة سرا على قتله لأنهم كانوا على  
علم بطبعه ومن أنه لابد أن ينفذ تهديده فينجون من شرور عذابه .  
وبينما كان آغا محمد يغط في نومه وقت السحر ليلة الحادي والعشرين  
من ذي الحجة (١٢١١هـ) سقطوا عليه فقتلوه وحملوا تاجه وحزامه  
وصندوق الجواهر النفيسة الذي كان يحتفظ به معه إلى صادق خان  
الشقاقى من قواده وكان معنى هذه الحركة أنه يجب أن يقوم بالثورة  
على القاجارين وطلب السلطنة .

كان آغا محمد خان الذى استغرقت مدة جلاده من عام (١١٩٣هـ)  
حتى (١٢١١هـ) أى نحو ثمانية عشر عاماً ملكاً ذا تدبير ورشادة وشجاعة  
لكنه ، ازاء ذلك ، كان يغلب على طبيعه الشدة والقسوة وعبادة المال  
والحرص الشديد ، وارتكب أفعالا قبيحة تنم عن نكرانه الجميل ، كسوء  
فعلته بلطف على وسائر الزنديين مع تلك الرأفة والرحمة التى عامله  
بها كريم خان ، واصطدامه المتكرر مع اخوته وقتله أخاه جعفر قلى .  
كل أولئك من الأعمال التى تجعله يقع موضع لوم كل رجل منصف .

## سلطنة فتح على شاه

(١٢١٢ - ١٢٥٠هـ)

بعد أن أسفر صباح يوم الحادى والعشرين من ذى الحجة (١٢١١هـ) عن انتشار خبر مقتل آغا محمد فى المعسكر ثارت الثائرة فى الجيش حدا جعل كل واحد يغفل تماما عن دفنه وسطك كل قائد جماعة طريقا ، فقد ارتحل حاجى ابراهيم اعتماد الدولة مثلا الذى كان بالمعسكر الى طهران على عجل واتجه صادق خان الشقاقى الى آذربايجان وأعلن بها سلطنته .

وبعد أن سمع ولى العهد وهو بابا خان بن حسن قلى خان جهانسوز ابن أخى آغا محمد وكان مقيما يومذاك فى شيراز بخبر قتل عمه وافى طهران متعجلا وأتى العاصمة فى العشرين من صفر (١٢١٢هـ) ، وأبدى اعتماد الدولة كفاءة ممتازة فى ابلاغه العاصمة وقبضه على أزمة السلطنة بالرغم من وجود أعداء متعددين للشاه الشاب ولهذا نصب وزيرا .

وأمسك بابا خان الذى توج رسميا يوم عيد الفطر (١٢١٢هـ) باسم فتح على شاه فى طهران بأحد أعمامه فى بداية حكمه وكان يدعى الملك وسمه ثم خف للقضاء على صادق خان الشقاقى الذى أتى قزوين فهزمه فى ربيع الأول بآذربايجان . وبعد قليل غلا عن صادق بعد أن سلم الجواهر السلطانية وولاه حكم سراب . كما أتر ابراهيم خليل خان الطاعة بدوره . ثم أمر فتح على بنقل جثمان آغا محمد من شوشى ودفنه بالنجف الأشرف .

## الثورات الداخلية :-

لما كان آغا محمد طوال حكمه منصرفا بكليته الى الغزو لم يهتم بإدارة البلاد كبير اهتمام ولم يرعنه عناية بتأسيس بناء يدوم من بعده فما أن مات حتى رفع من كل جانب واحد رأسه بالعصيان بسبب تزلزل بنيان

حكمه الذى أسسه خاصة وأنه قل من كان سعيداً بآغا محمد وبأعماله .  
وبمجرد زوال قوته وهيبته حتى تنفست الجسارة والجسارة فى أبدان  
العصاة ، ونتج عن هذا أن صار فتح على شاه نرينة لثوار كثيرين .  
وكان هؤلاء الثوار ضريين ، أعقاب الأسرة الصفوية والأفشارية  
والزندية الذين كانوا يفكرون فى استعادة السلطة السالفة ، ثم بضعة من  
قواد آغا محمد أو قرابته .

وقد ذكرنا انتصار فتح على شاه فى بداية دخوله طهران على عمه  
على قلى وصادق الشقاقى ونذكر هنا أنه بعد قليل من جلوسه الرسمى  
جمع محمد خان الزندى ابن زكى خان حوله جمعا استولى بهم على  
أصفهان ، فأرسل فتح على شاه بمجلة بعض خانات القاجار لصدده مغلوبه  
والجأوه الى الفرار وأدخلوا أصفهان مرة أخرى طاعتهم .

وبعد فرار محمد خان عاود صادق خان الشقاقى العصيان  
واستقطب بضعة نفر من رؤساء القبائل وكبار آذربايجان لكنه لم يفعل  
شيئاً بل أنهزم وطلب العفو من فتح على شاه حتى لا يقتل فعفا عنه .

ومدع آخر تار فى ( ١٢١٣ هـ ) هو أخو الشاه حسين قلى خان الثانى  
الذى كان والى أصفهان من طرف فتح على ثم ولى فارس بعد ذلك . بدأ  
حسين قلى فى ثورته على أخيه بأسر أتباع الشاه بفارس وهم الوزير  
ورئيس حراس قلعة فارس ورئيس شرطتها ( وهو أخى حاجى ابراهيم  
اعتماد الدولة ) ثم سملهم وهاجم أصفهان فأدخلها طاعته .

وكان فتح على شاه يومئذ بآذربايجان يخطط لهاجمة شروان  
وقراباغ ، فلما علم بثورة أخيه عاد الى طهران وأتى له أثناء الطريق  
بمحمد خان الزندى الذى وقع أسيراً فى يد قواده فسمل بأمره بالقرب  
من تبريز .

ولكى يتيهأ حسين قلى للقاء أخيه فتح على أتى الى غراهان عن  
طريق كراز لكن قبل أن تجرى بينهما الحرب تصالح الأخوان بناء على  
رغبة أمهما ووساطتها .

وفي نفس عام (١٢١٣هـ) اختار فتح علي بناء عن وصية آغا محمد خان ابنه الرابع عباس ميرزا الذي ولد في ذي الحجة (١٢٠٣هـ) وليا لعهده رسميا وعينه حاكما لأذربايجان وجعل من سليمان خان اعتضاد الدولة قاجار أخى احدى نسائه أتابكه ونصب ميرزا عيسى الفراهانى أو (ميرزا بزرگ القائم مقام الأول) وزيرا له .

وأحد من ثاروا على فتح علي نادر ميرزا ولد شاهرخ شاه الأفشارى الذى تمرد في خراسان . ولما وصل فتح علي الى مشهد ولم يكن نادر ميرزا يقوى على الثبات ولج باب الاعتذار فعفا عنه الشاه وزوج نادر ابنته بأحد أمراء القاجاريين وبهذا زال آخر دعى باقى من أسرة الأفشار .

#### قتل اعتماد الدولة في (١٢١٥هـ) :-

في أواخر عام (١٢١٥هـ) ساء ظن فتح علي شاه بجاجى ابراهيم الذى تقلد الأمور نحو أربعة عشر عاما في بلاط جعفر خان ولطف على خان وآغا محمد خان وفتح علي شاه بقوة تامة وأقر في هذه المدة أخوته والمتعلقين به في حكم الولايات وأعمال الديوان . فمن ناحية خوفت جماعة من أقارب الشاه الشاب هذا الشاه من نفوذ الصدر الأعظم وأتباعه ومن ناحية أخرى بعثت مظالم أتباع هذا الصدر واجهاقهم الذى حل بالناس في الولايات على كثرة شكواهم .

ولكى يقطع الشاه يد تسلط اعتماد الدولة وأشياعه أصدر أوامره بالقبض على الوزير وكافة من يتعلق به في يوم واحد وقتل بعضهم وسمل آخرون ، وأعمى اعتماد الدولة أيضا بأمر الشاه مع كفايته البالغة التى أبداهها ابلاغ فتح علي شاه للسلطة ، ثم قطع لسانه وأرسل بهذا الوضع المزرى الى قزوین فظل بها حتى وفاته .

وبعد عزل اعتماد الدولة عهد فتح علي الى ميرزا محمد شفيع المازندراني بوزارته وكان من المستوفين بالبلاط قبل . وفي عام (١٢١٦)

أى فى بداية وزارة ميرزا شفيح تمرد اثنان من العصاة السابقين هما حسين قلى أخو فتح على الذى كان له يومذاك حكم كاشان ، مهاجم منها أصفهان وسك عملتها باسمه وأعلن نفسه سلطاناً ، فقدم فتح على نفسه لصدده وهرب حسين الى لرستان وقبض عليه أثناء فراره الى العراق وأتى به الى قم عند الشاه . وعفا فتح على عنه لاصرار والدته وأقامه فى قم ، لكنه لم يكن مطمئناً اليه لذلك استدعاه الى طهران بعد قليل وسلمه وأسكنه فى شميران فيها . والثانى هو نادر ميرزا ولد شاهرخ شياه الأفشارى الذى لم يرتدع بوجود أخيه رهينة عند فتح على فعصى فى خراسان وادعى السلطنة أواخر عام ( ١٢١٦ هـ ) فى مشهد ثانية .

وفى المحرم ( ١٢١٧ هـ ) ترك فتح على طهران الى مشهد لاستئصاله وحاصرها فى التاسع من ربيع الأول ، فلما طال الحصار وفشا القحط بالمدينة طلب كبارها الى الشاه التخلّى عن حصارها على أن يقبض أهلها على نادر ميرزا ويسلموه اليه . وترك فتح على اتمام أمر مشهد الى أحد قادته وانصرف هو الى طهران . وتمكن جنود الشاه أخيراً فى الليلة الأولى من رمضان ( ١٢١٨ هـ ) من مشهد وهرب نادر ميرزا لكنه سقط سريعاً أسيراً فأرسل الى طهران وقتل فيها وسمل أولاده وأتباعه أو نفوا الى مازندران .

### علاقة ايران بالهند وأفغانستان : —

دخلت ايران أيام سلطنة فتح على شاه طوعاً أو كرها فى السياسة الدولية بسبب اشتداد التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية واتساع نطاقه الى حدود ايران ، وصار للعلاقات الايرانية ببعض دول أوروبا أهمية خاصة .

ففى العام الثانى لسلطنة فتح على شاه أى فى ( ١٢١٣ هـ ) فكر أمير أفغانستان زمان شاه ( ١٢٠٧ - ١٢١٦ ) حفيد أحمد خان الدراني الذى

كان على علاقة مودة دائمة مع شاه ايران أن يهاجم من كابل المسند والبنجاب ويقاثل قبائل المهرطة القوية التي كانت حائلا في الهند المركزية وشمال الدكن دون تقدم سياسة الانجليز وكانت في حرب مع حاكم الهند اللورد ولسلى ( Lord Wellesly ) أخى ولنجتون القائد الانجليزى الأشهر ، وأطلع اللورد ولسلى على مقصده هذا • وكان اللورد اذ ذاك نهب ضائفة أخرى في الهند اذ أن تيبو صاحب سلطان ميسور قد قام ضد قوة الانجليز ودخل في حرب شجاعة مع جنود ولسلى •

وكان ولسلى يخشى قدرة زمان شاه واستيلاء الأفغان على الهند ولهذا رفض اقتراحه ولكى يمنعه من تنفيذ فكرته فكر في تحريض فتح على شاه عليه ، لهذا أنفذ في عام ( ١٢١٤ هـ ) مهدي على خان ممثل شركة الانجليز التجارية والمقيم ببوشهر الى بلاط ايران ، وأرسل تيمور صاحب بدوره سفيرا الى فتح على لأنه كان يميل الى صداقة ايران ضد الانجليز ، ولكن لحسن حظ ولسلى أن تيبو لقي حتفه في تلك الأيام في احدى الحروب فقرت بلابل الانجليز من ناحية هذا الغريم القوى •

وكانت مهمة مهدي على أن يحرض ايران بدون اجبارها على دخول حرب مع زمان شاه على توليد مشقات لأمر كابل حتى لا يستطيع الإقدام على غزو الهند مطمئن البال • وأرسل زمان شاه الواقع في مثل هذا الخطر رسولا الى فتح على يطلب اليه عن سفاهة رأى أن يخلى له خراسان لتضم لأفغانستان • فغضب فتح على لهذه الجراءة وأرسل اليه يقول ان جنود ايران سوف يسيطرون على كل أفغانستان قريبا قريبا ويصلون بحدود ايران ايران الشرقية الى نفس حدودها أيام الصفويين •

وأصبحت هذه الحادثة لصالح الانجليز التام ووفق مهدي على بانفاق الأموال الباهظة في بلاط طهران أن يجعل خطة ولسلى عملية وأن يشعل نار الحرب بين ايران وأفغانستان • فضلا عن أن الفرصة قد سنحت للانجليز من هذا الوقت لاقامة سفير لهم في طهران لأن ايران لم

تسمح لهم حتى ذاك الوقت بتعيين ممثل لهم فيها •

وبعد دخول مهدي على طهران بعثت ايران بسفير أيضا هو حاجي خليل خان القزويني الى الهند فأقام في بمباي ، وفي نزاع اشتعل في ( ١٩١٩هـ ) بين الحراس الهنود والاييرانيين خرقتيلا ، فكتب ولسلي الى فتح علي رسالة يعترض فيها عن هذه الحادثة ، فنصب الشاه ابن أخت حاجي خليل خان مكان خاله في سفارة ايران بالهند ولم يقطع علاقة المودة مع حكومة الهند •

أما فيما يختص أفغانستان ، فقد أحل فتح علي بعد عقد معاهدة مع حكومة الهند أخوي زمان شاه محمود! وفيروزا على رغم أنه محمل الاحترام وكانا لجئا الى ايران خوفا من أخيهما فأفاد بهما في توليد ضيق لزمان شاه بمعنى أن شاه ايران أمد محمودا بجنود فأخرج في ( ١٣١٦هـ ) قندهار وكابل عن أخيه وقبض عليه وأعماه وصار أميرا لأفغانستان •

وفي الفترة التي كان الانجليز في الهند نهب أتباع تيبو صاحب والمهرطة من ناحية وكانوا في خوف من استيلاء الأفغان على شمال غرب الهند من ناحية أخرى ، لآح لهم خطر عظيم ثالث في آسيا صار سبب اضطراب فكرهم ، بمعنى أن نابليون بونابرت بعد أن رأى أنه ليس الهند للانجليز في أوروبا وأنه عاجز عن انزال جنوده بجزر بريطانيا الكبرى عطف اهتمامه الى الهند وحدودها الغربية وكانت خطته أن يهاجم الهند واستجلاب مساعدة العثمانيين وايران عن طريق هذين البلدين وباستيلائه على هذا البلد الغني الذي كان في ذلك الوقت منبع عظمة انجلترا وتجارها وصناعتها يقضى على بريطانيا •

وبدا نابليون بتحريض وعون تيبو صاحب في ميسور لكنه اذ لم يستطع معارنته بالمقدر المطلوب وقتل تيبو كذلك لم يحصل على فائدة عن هذا الطريق لهذا أقدم أولا على تكوين صداقة مع الدولة العثمانية ثم توجه بعد ذلك الى ايران •

وفي المدة التي كان بونابرت منشغلا بالحروب مع الانجليز وحلفائهم في أوروبا والبحر المتوسط كما سنرى قريبا بدأ الدور الأول من حروب ايران وروسيا عام ( ١٢١٨ هـ ) الموافق ( ١٨٠٤ م ) وصارت ايران بدون صديق أو معين يمكنه مساعدتها في صراعها مع احدى كبريات دول أوروبا فريسة لسلسلة من الحروب المشثومة .

وقد التمس فتح على بعد شروع حروب الروس وايران توسط مبعوث الانجليز في بغداد أولا لاستجلاب عونهم وكان هذا وقت أن قدم مبعوثون إلى ايران من جانب نابليون بونابرت يقترحون على الشاه عقد حلف ضد روسيا .

وكان فتح على على جهل تام بأحوال فرنسا ونابليون فحاز اثناء حصاره لايران من خليفة الأرمن بها معلومات عن فرنسا ونابليون وعمل على افتتاح علاقات المودة بفرنسا بإرسال رسالة إلى سفيرها في استانبول .

ولم يكن يدور في خلد نابليون وقتذاك غير استئصال الانجليز عن طريق مهاجمة الهند ففكر في مهاجمتها عن طريق ايران بجلب صداقة فتح على ، فسير لتنفيذ نيته أحد كتابه وهو جوبرت ( Jaubert ) إلى ايران قبل أن تصله رسالة الشاه ، إلا أن جوبرت عطله عمال الدولة العثمانية ، فوصل طهران الرسول الثاني لنابليون وهو « روميو » ( Romieu ) في اكتوبر ( ١٨٠٥ هـ ) ( رجب ١٢٢٠ هـ ) وأبلغ رسالة نابليون ومفادها الدعوة إلى الصداقة والتحالف مع ايران ، لكنه مات بعد فترة فتابع مأموريته جوبرت الذي نجا وقتئذ من العثمانيين وبلغ طهران .

ومرض جوبرت في طهران وخوفا من أن يلقي نفس مصير روميو أذن له فتح على سريعا في الرحيل . وبعد ذلك سير الشاه ميرزا رضا خان القزويني حاكم قزوین سفيرا إلى معسكر نابليون وكان بفينكتشتاين



في بولندا ( Fin Keustein ) لكي يعقد بين الدولتين معاهدة بناء  
على مقترحات نابليون .

وعقد ميرزا رضا خان عن فتح علي شاه في الخامس والعشرين من  
صفر ( ١٢٢٢هـ ) في فينكنشتاين معاهدة مع نابليون شملت ست عشرة مادة  
تعهد نابليون بموجب هذه المعاهدة بأن يسعى الى استرجاع الكرج الى  
ايران واجبار روسيا على تخليتها وارسال الأسلحة والمدافع والبنادق  
والمهندسين والمعلمين لاصلاح الجيش الايراني وتقويته، وقبلت اراء ذلك  
ايران أن تحالف فرنسا في حربها ضد الانجليز وروسيا وأن تعلن فوراً  
الحرب على انجلترا وأن تحرص رعاياها الأفغان على مهاجمة الهندو أن  
يسمح للشاه لنابليون بعبور ايران اذا أراد غزو الهند عن طريقها ويضع  
موانئ الخليج الفارسي وسواحلها تحت اختيار البحرية الفرنسية اذا  
اقتضى الأمر .

وأرسل الانجليز ستة مبعوثين عن شركة الهند الشرقية التجارية  
برئاسة جون ملكم ( John Malcolm ) الى ايران قبل عقد معاهدة  
فينكنشتاين لأنهم كانوا يرقبون خطوات نابليون من بداية توجهه الى  
الشرق . ونجح جون ملكم وكان ماهراً ذكياً في عقد معاهدة تجارية  
وسياسية مع ايران بازاء هدايا قيمة الى فتح علي شاه والمرشاهي  
الجزيلة لرجال البلاد ، وتعهد فتح علي أن لا يصالح زمان شاه مادام  
لم يرفع يد المتعدي عن الهند الانجليزية وأن لا يسمح الفرنسيين بدخول  
ايران ، ويمد الانجليز مقابل ذلك ايران بالأسلحة في حالة وقوعها تحت  
تهديد الروس أو الأفغان .

والسبب الأساسي لاهتمام الشاه بفرنسا مع وجود معاهدته مع  
الانجليز هو عدم مساعدة الانجليز ، كما سبق الشرح ، لايران في حربها  
مع روسيا لأن الانجليز كانوا يقاتلون في هذا الوقت مع الروس في حلف  
واحد ضد نابليون في أوروبا وكانت مساعدتهم لايران خطورة تحالف صالح  
حلفائهم الروس .

وبعد عقد معاهدة فينكنشتاين قدم بأمر نابليون الى ايران الجنرال جاردان ( Gardanne ) بعدد من المهندسين والخبراء العسكريين والمعلمين فقاموا بنصب المدافع في أصفهان وتعليم الجنود الإيرانيين ورسم الخرائط وتمهيد الطرق ، فنشأت ردود فعل لهذا الأمر في ايران مدة من الوقت ، وكان فتح على يأمل بكل سذاجة في أنه سوف يلحق الهزيمة بالروس في نهاية الأمر بعون الفرنسيين وينجح في الاستيلاء على الكرج .

ولكى يحطم الانجليز خطة نابليون ويرجعوا فتح على عن تحالفه معه أرسلوا ثانية بملكهم في صيف عام ( ١٨٠٨ هـ ) ( ١٢٢٣ هـ ) بابيه وجلال تامين الى بوشهر ، فامتنع الشاه عن استقباله بطهران وأرسل اليه أن يتحدث الى حاكم فارس بشأن طلباته .

وتلقى ملكهم هذا الأمر احتقارا لشأنه فاضطر الى الرجوع الى الهند وحث حاكم الهند ردا على ذلك على الاستيلاء على جزيرة خرج ومهاجمة سواحل ايران ، لكن في ذلك الوقت خطر الأفغان على الهند قد زال وخان نابليون ايران وصالح روسيا بدون علم الشاه واستدعى هيئة الموظفين الفرنسيين من ايران لذا رأى الانجليز خلافا لذلك أن الصلاح لهم في تجديد علاقتهم الودية بفتح على فتقدموا بالصلح والتصافي .

وفي عام ١٨٠٧ ( ١٢٢٢ هـ ) التقى الكساندر الأول امبراطور روسيا بعد هزائمه في أوروبا على يد نابليون به في مدينة تيلسيت ( Tilsit )

من بلاد بروسيا الشرقية وتحالف الامبراطوران ضد انجلترا ولم يذكر نابليون شيئا عن ايران ومشكلة الكرج بالرغم من وجود معاهدة فينكنشتاين ، وتخلّى عن حليفه السابق فتح على شاه الذي ادخله في اتحاد معه بكل نفاق وتملق فيما سبق وتركه وحيدا أمام روسيا ، بل انه اصر على تصالح ايران روسيا عدوها مع قبول شروطها من أجل صالح فرنسا .

وبعد أن علم فتح على بمعاهدة تيلسيت أرسل الى نابليون عن

طريق سفير ايران عسكر خان أفشار رسائل عدة يذكره فيها بتعهداته التي قطعها على نفسه ، فلم يسمع منه غير اجابات واهية مما جعله يميل الى تجديد صداقته مع الانجليز .

وفي خريف عام ( ١٨٠٨م / ١٢٢٣هـ ) قصد ممثل الانجليز في البصرة السير هارفورد جونز ( Sir Harford Jones ) من طرف بلاط لندن الى ايران فلما بلغ شيراز غادر جاردان طهران لجيء السفير الانجليز وكان لا يزال بايران ويسعى الى عقد صلح بين روسيا وايران ، فانقطعت بهذا العلاقات بين فرنسا وايران .

وفي الثالث من المحرم ( ١٢٢٤هـ ) استقبل فتح علي هارفورد جونز وقدم اليه الاخير قطعة من الالماس القيم هدية من جورج الثالث ملك انجلترا ثم ذهب الى معسكر عباس ميرزا وتوسط في عقد معاهدة بين ايران وانجلترا . وتعمدت انجلترا بموجب هذه المعاهدة أن تمنح ايران سنويا مدامت الحرب بينها وبين روسيا مشتتة مائة وعشرين ألف ليرة انجليزية وأن تتحد البلدان ضد روسيا .

ولما أن هارفورد قد أتى ايران مبعوثا عن ملك انجلترا وليس من طرف شركة الهند الشرقية والحاكم العام للهند ، لهذا لم يذكر خيرا عن حاكم الهند والشركة الشرقية ، فاستاء حاكم الهند وبرز عداؤه بينه وبين هذا المبعوث . وقرر في النهاية أن يؤمر هارفورد بحفظ العلاقات السياسية في بلاط ايران وان يأتي جون ملكم لمعقده معاهدة تجارية وانهاء المفاوضات التي بدأها هارفورد في هذا الشأن . فأتى السير جون ملكم في نفس هذا العام ( ١٢٢٤هـ / ١٨١٠م ) لثالث مرة ومعه عدد من الخبراء العسكريين ، وكان من ضمن هؤلاء العسكريين ليفد ساي ( Lindsay ) كانت قامته تريد عن المترين فلقبه الايرانيون لهذا بزستم ، وبونينجر ( Pottinger ) وكريستي ( Christie ) فقد مهم ملكم الى عباس وانخرطت هذه الجماعة في اصلاح أمر الجيش

الايرائى والحرب فى عداد جنود عباس ميرزا ، ورقى ليندساي الى منصب قيادة الجيش .

وبعد مجىء هارفورد بعث فتح على شاه ابن أخت اعتماد الدولة حاجى ابراهيم وهو ميرزا أبو الحسن خان الايلتشى يصحبه جيمس موررييه ( James Morrier ) سكرتير السفير الانجليزى الى لندن لكى ينفذ ما توجهه البروتوكولات السياسية كما يطمئن على وعد السفير الانجليزى باعطاء ايران مائة وعشرين ألف ليرة سنويا .

ولا يخلو شرح سفر ميرزا أبى الحسن خان الايلتشى ومسلكه المضحك وما بدر منه من نواذر أثناء سفره من العجائب والمضحكات ، وقد حث هذا جيمس موررييه على تأليف رواية باسم ( حاجى بابا ) ، ومع أن هذا الكتاب ألف بعذوبة شديدة غير أنه عامة لم يخل من الأغراض والتعريض (١) .

(١) كان أول ظهور رواية ( مغامرات حاجى بابا اصفهانى :

( The adventure of Haji Baba of Isphan )

بالانجليزية عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٤م تأليف جيمس موررييه ( J. Morrier ) السكرتير الاول للسفارة البريطانية فى عهد فتح على . وكان المؤلف فرنسى الأصل تنس بالجنسية الانجليزية وولد بأزمير فتمتع الى التقاليد الشرقية وتعلم التركية والفارسية والحقه أبوه فنصل انجلترا باستانبول بوزارة الخارجية البريطانية غاتى ايران عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م سكرتيرا أولا للسفارة البريطانية . وقد وقف موررييه خلال اقامته بايران على طبائع الفرس وتقاليدهم من خلال علاقاته بكبار رجال الدولة فانتقدهم وأبرز الجوانب السيئة فى عاداتهم . وتضاربت الآراء حين نشرت هذه الرواية بسبب ما رسمه المؤلف الاجنبى للشخصية الايرانية ووصفه دقائق حياته ، كما دار الجدل حول ما اذا كان حاجى بابا بطل الرواية شخصية حقيقية أم بطلا خياليا من ابتداء المؤلف ، وهل كتب موررييه الرواية بنفسه أم عاونه بعض اصديقه الايرانيين . وكما ثار الجدل حول البطل والمؤلف ثار أيضا حول ترجمة الرواية للفارسية فيمن يكون المترجم أهو الشيخ أحمد روحى كرماتى المعارض لناصر الدين شاه أم هو ميرزا حبيب الاصفهانى الكاتب المعروف اذ ذاك وقد اخرج ( غيلوت ) ( Phillott ) هذه الترجمة الفارسية وعليها اسم روحى كرماتى عام (١٩٢٤) طبع كلكتا . وقد سلطت الرواية الضوء على الفساد الذى انتشر فى ايران عهد القاجاريين وأبرزت المساوىء

وفي سنة عودة حاجي ميرزا أبي الحسن خان الايلتشي الى طهران  
أن ( ١٢٢٥ / ١٨١١ ) أرسلت انجلترا السفير السير جور أوزلي  
( Sir Gore Ouseley ) لعقد معاهدة جديدة مع ايران فدخل هذا  
المبعوث الجديد في مفاوضات مع البلاط منطلقا من الأساس الذي وضعه  
هارفورد جونز وملكم لعقد معاهدة حاسمة ، واستمرت هذه المفاوضات  
ثلاثة أعوام .

وفي النهاية عام ( ١٢٢٨ هـ ) عقد السير جود أوزلي معاهدة مع ايران  
وذهب الى لندن بصورة منها ، وأتى بها في السنة التالية جيمس موربيه  
مؤلف كتاب ( حاجي بابا ) ومعه السفير الجديد الانجليزي وهو  
( اليس ) ( Ellis ) بعد الموافقة عليها لكي يوقع الشاه عليها  
أيضا ، فوقع عليها في ذي الحجة ( ١٢٢٩ هـ ) وهي من أكثر المعاهدات  
سوءا لـ ايران .

تعهدت ايران وفق هذه المعاهدة بالغاء كافة المعاهدات والقسرات  
التي عقدتها مع الدول الأوروبية المعادية لانجلترا وألا تسمح للدول  
التي في حرب مع انجلترا بأن يعبر جنودها أرض ايران الى الهند ويحث  
كذلك عمال ايران بمنع عبور جيش عدو انجلترا من خوارزم وبلاد التتار  
وبخارى وسمرقند وغيرهما . وقبلت انجلترا أن تسعى لازالة الخلاف  
بين ايران والدول الأوروبية اذا وقع عداء بينهما وأن لم ينته الأمر  
بالسلام فاما أن يمد ايران من الهند بعون عسكري أو تساعد طول مدة

---

الاخلاقية والاجتماعية من استبداد ورشوة وجهل وتلق وكأن مترجمها كان  
يوجهها الى المستفيدين الايرانيين المشوقين الى تبديل الأوضاع الفاسدة .  
وأضلى المترجم على الترجمة مسحة محلية ايرانية غببت وكأنها مهمل اصلى  
متميز مما أعد الانهان الى الثورة التي تحققت أو اخر حكم ناصر الدين  
شاه كما سعى . للتفضيل انظر رسالة المايجستر للزيل الأستاذ عبد  
عبد الوهاب ملوب بـ مكتبة جامعة القاهرة : التيار القومي في النثر الفارسي من  
منتصف القرن التاسع عشر حتى الثورة الدستورية ص ١٢٢ وما بعدها .

الحرب بمائتي ألف تومان سنويا (مائة وخمسين ألف ليرة) • وإذا حدث خلاف بين إيران وأفغانستان تتعهد انجلترا بالخياد وإذا هاجم أمير أفغانستان الهند يجب على إيران أن تثن الحرب عليه •

وقد وقع هذه المعاهدة من جانب انجلترا جيمس موريه وعن إيران ميرزا محمد شفيع الصدر الأعظم المازندراني وميرزا بزرگ القائم مقام الأول الوزير عباس ميرزا وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة فنشاط الاصفهاني منشيء ممالك فتح على شاه •

وقد وضعت معاهدة عام (١٢٣٩ هـ) وهي احدى أسوأ معاهدات تاريخ إيران هذا البلد من ناحية العلاقات السياسية نصت رقابة انجلترا تماما ، ومع توقيعها سلمت إيران استقلالها السياسي للانجليز في حقيقة الأمر •

## الدور الاول لحروب روسيا وإيران

(١٢١٩ - ١٢٢٨ هـ)

الحاق الكرج بروسيا في عام (١٢١٥ هـ) :

مات هرقل ملك الكرج المعجوز بعد قتل آغا محمد خان في شوشي بستة شهور وخلفه ابنه جورجى الثانى عشر ( جرجين خان ) ملكا ولكى يأمن جانب أعدائه وضع نفسه تماما تحت تبعية روسيا وعقد معها بهذا الصدد ، وفشل فتح على شاه رغم محاولاته الدائبة أن يحول دون جورجى وهذه المعاهدة أو أن يجعله تحت حماية إيران •

وشار اخوه جورجى عليه لقصر يده عن السلطة فهيات هذه الفعلة ذريعة للروس ، فقدم جنودهم الى تفليس لحماية جورجى وهزموا أعداءه • ومات جورجى في شعبان ( ١٢١٥ هـ ) وأعلن الروس رسميا بعد موته بشهرين ضم الكرج الى روسيا وأخذوا يديرونها تحت اشرافهم

وواروا اخوة جورجي ، ولم يكف منهم أرشدهم وهو ألكساندر عن قتالهم وبعد أن رأى انه لن يستطيع غلبة حاكم القفقاز الروسي الجديد أي (سيسيانوف Tzitzianov) — الذي قدم الى تفليس في ذي القعدة (١٢١٧ هـ) — استنجد وأتباعه بفتح على شاه \*

وهم سيسيانوف المشهور عند عامة ايران بلقب (اشبخر) (١) بالاستيلاء على كنجة وشوشى أوائل عام (١٢١٨ هـ) ، ونجح في سؤال نفس العام في السيطرة على كنجة مع استئصال حاكمها الايراني في الدفاع عنها بسبب خيانة الأرمن ، وبعد فتحها ، أدخل طاعته بالتهديد حكام ايروان وقرا باغ بعد أن يأسوا من مساعدة فتح على وانقطعت عنهم المقررات الديوانية لفترات ، وبهذا دخل تحت تبعية روسيا حتى حدود أرس ، وكان هذا العمل بمثابة البداية الرسمية للحرب بين ايران وروسيا \*

#### حرب انشميزين في (١٢١٩ هـ) :

ولما بلغت أنباء الاستيلاء على كنجة واستسلام ايروان وقرا باغ مسامع فتح على أمر هذا الشاه عباس ميرزا ومعه ميرزا شفيق المصدر الأعظم بصد الروس واستعادة قلعة ايروان \* وتحرك عباس ميرزا صوب ايروان بعد تنظيم صفوف جيش آذربايجان لتأديب محمد خان قاجار حاكم ايروان لاستسلامه لسيسيانوف ، فأسرع الأخير لعون محمد خان بجيشه الى حوالى انشميزين مركز خليفة أرمن ايروان فحصب نيرانه على جيش عباس ميرزا لمدة أيام ثلاثة ، لكنه لم يتغلب عليهم فتحاشى الحرب المباشرة معهم وتحرك الى قلعة ايروان \* ولما رأى محمد خان تقسدى سيسيانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من ايروان وطلب العفو من ولي عهد ايران فعفا عنه عباس ميرزا \*

---

(٢١) هذه الكلمة تحريف للكلمة (Inspector) (سجاني) وهى كلمة انجليزية بمعنى المراقب والمفتش ..

وقرر سيسيانوف أخيرا مباغته الجيش الإيراني بالهجوم فبشيع به الاضطراب بالحملة المفاجئة ، فباغت لهذا في صباح السادس من ربيع الثاني ( ١٢١٩ هـ ) في انشيميازين جيش عباس ميرزا ففترق الجنود الإيرانيون عن هذا المكان بددا .

وبعد هذا النصر الأولي الذي كان من نصيب سيسيانوف أرسل فتح على امدادات كثيرة الى عباس ميرزا وقدم هو نفسه الى آذربايجان لتعزيد الجيش الإيراني ، ففجمعت سيسيانوف من كل جانب بمجىء الأمداد الجديدة وبوجود عباس ميرزا أسباب المشقة ففقطع طريق اتصاله بتفليس ، ولما فشل في السيطرة على إيروان وحجزه محمد خان موافقا عباس ميرزا اضطر الى الانسحاب الى تفليس وانتهت حرب انشيميازين بتصر إيران . وترك فتح على إيروان لمحمد خان كما كانت وعاد مع نائب السلطنة الى طهران في رجب ( ١٢١٩ هـ ) .

#### قتل سيسيانوف في ( ١٢٢٠ هـ ) :

ولما قنط سيسيانوف من تقدمه صوب آذربايجان فكر في مهاجمة سواحل جيلان فان استطاع ذلك سيطر على طهران عن طريقها ودفع إيران الى قبول الشروط الروسية . وأثناء هذه الأحوال وصل فتح على أنباء تسليم إبراهيم خليل جوان شير حاكم شوشى وقرا باغ — ولم يكن على صفاء قط مع إيران في أى وقت — لسيسيانوف تسليمها كاملا وبقتليمه دخلت هاتان الولايتان طاعة روسيا ، فبعث الشاه بنائب السلطة باصرار منه الى آذربايجان يرافقه ميرزا بزرگ القائم مقام وأحال اليه تأديب إبراهيم خليل خان وعند وصول عباس ميرزا الى جسر ( خدا آفرين ) على نهر أرس وهو طريق اتصال اردبيل بشوشى لاذ إبراهيم خليل بالفرار لعدم تحمله المقاومة واستمد سيسيانوف فأرسل اليه بعض الجنود وتحرك هو الى جيلان بقصد الاستيلاء عليها .

وبسبب أن جيلان في ذاك الوقت لم تكن ميناء ولا مرسى صالحا ،



ولم يكن بمقدور السفن الكبيرة أن تتقدم حتى ساحلها ، صار سيسيانوف  
فريسة الماشقات البالغة في انزال جيشه بانزلى وبيره زار ، وبعد أن أنزل  
بعضهم اليابسة مع تحمله كل هذه الصعوبات الكبيرة أنزل أهل جيلان  
المختبئون بالأدغال والمروج بهم الأضرار ، فأجبر سيسيانوف بعد خسارة  
وتلف لا حد لهما على أن يتخلى عن جزء من تموين الجيش ولوازمه  
ويضلى جيلان .

وبعد عودة سيسيانوف من جيلان ويأسه من ايروان قرر أن يهاجم  
ايران هذه المرة من ناحية موغان وشاطيء بحر الخزر ، فوصل عباس  
ميزا على عجل الى كنجية فأدخلها طاعته وكان سيسيانوف قد عزم  
الاستيلاء عليها بناء على دعوة الأرمن بها ، وتوجه عباس لفتح شوشى  
والقضاء على ابراهيم خليل وأمر جنوده بقصد باكو وطالش وشروان .

واستمد حاكم باكو حسين قلى خان عباس ميزا وكان حسين  
يصد هجوم الروس على هذه المدينة بشجاعة ، وفى هذه الأثناء وصل  
سيسيانوف ، بعد أن هزمه جيش ايران من كل طرف فضاف أن يحصر ،  
الى باكو لعله يقدح حسين قلى ويدخله حلفه ، فتظاهر حسين بالموافقة  
وطلب هذا الروسى الى قلعة باكو لكي يسلمها له ، وحينما كان فى تفاوض  
معه أطلق ابن عم حسين قلى النار على هذا القائد الروسى فأرداه  
صريعا ونهض أهل باكو يهاجمون جيشه وينهبونه ، وهربت بقيته بعضها  
عن طريق اليابسة وأخرى عن طريق البحر ودخل كل ما وراء القفقاز  
ثانية حتى حدود شاطى كورا تحت أمر ايران .

#### حروب خانة حسين فى (١٢٢٢هـ) :-

وبعد هلكة سيسيانوف تأهب ابراهيم خليل بدعوة ابنته التى كانت  
فى عصمة فتح على شاه وابنه الذى كان يعمل فى جيش نائب السلطنة  
لكى يطلب عفو الأخير وأطلع أمراءه على قراره هذا ، فعفا عنه عباس  
ميزا وتحرك بنفسه الى شوشى لكى يخلص نفسه من شرور هجمات

الروس بها ، لكن قبل أن يبلغ ولي العهد شوشى سبق اعلام القائد الروسى لها عن طريق حفيد ابراهيم خليل بتحركه ، فهاجمه ليلا وقتله وواحدا وثلاثين من قرابته \* وواجه عباس ميرزا قسوات الروس فى ( خانشين ) احدى مجال قرا باغ فهزم هزيمة شديدة ، وبعد وصول امدادات للروس من تفليس تغلب عليهم أيضا وأسفر ذلك عن طاعة شوشى وشروان أيضا لأمر نائب السلطنة .

### حرب أصلاندوز فى ( ١٢٢٨هـ ) :-

بعد مقتل سيسيانوف أنيطت القيادة العامة للجيش الروسى بالقنفار بكودوفيتش ( Goudowitch ) ، ففكر القائد الجديد فى الدخول فى مفاوضات صلح مع عباس ميرزا ، وكان هذا وقت أن قدم المبعوثون الفرنسيون الى طهران ، وسعى جاردان لكى يجعل خطط نابليون عملية فى أن يكون واسطة الصلح بين ايران وروسيا .

ولم تؤثر مساعى جاردان فى الصلح لأن كودوفيتش لم يكن ينتوى غير خداع عباس ميرزا ، وهاجم مرة ايروان فى عام ( ١٢٢٣هـ ) مباغتة لكنهلقى الهزيمة فعاد مهزوما الى تفليس . وتقدم نائب السلطنة لتأديب كودوفيتش من تبريز بنفسه الى نخجوان وهزم فى هذه المدينة وايروان وبحيرة كوكتشه الجنود الروس مرارا ، ومن أهم معارك هذه الأيام المعركة التى دارت رحاها بين حسين خان فاجار فى ( ١٢٢٥هـ ) قائد ايروان والروس وانتصر حسين خان انتصارا مبينا وأسر جماعة كبيرة من الجنود الروس وأرسلهم الى طهران .

وفى نفس الآونة التى كانت الحرب مشتعلة كما سبق الشرح بين ايران والروس غادر جاردان وصحبه الفرنسيون ايران وأتاهم السيرجون ملكم فى سفره الثالث ، وعمل كريس - تى وليندساي من بين الخبراء العسكريين الذين كانوا بخدمته على اسلح مدفعية عباس ميرزا ، فنظم وأعد نائب السلطنة بعونهم جيشه ومدنعيته من ( ١٢٢٥هـ ) حتى ( ١٢٢٨هـ )

وأرسل الروس خلال هذه الفترة مبعوثين لأكثر من مرة لعقد صلح الى  
ولى العهد ، لكن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة بسبب اصرار الروس على  
الاحتفاظ بالولايات التي استولوا عليها حتى ذلك الوقت ورغبتهم عبور  
أرض ايران لمهاجمة العثمانيين .

وبعد زيارة السير أوزلى طهران مع أن كل أمل ايران كان في  
مساعدة الانجليز الا أن السفير الجديد الانجليزي سعى خلافا للسابق  
بسبب الاتفاق الذي حدث حين وصوله ايران بين الروس والانجليز في  
أوربا في أن يتوسط في الصلح بين ايران وروسيا وأمر الموظفين الانجليز  
في جيش عباس ميرزا أن يمتنعوا عن قتال روسيا ، لكن عباس ميرزا لما  
أصر بشدة قبل أوزلى أخيرا أن يستمر كريستى وليندساي وثلاثة عشر  
من العسكريين الأقل رتبة في عملهم مع ولى عهد ايران بمحض ارادتهم  
دون أن يتحمل مسئولية أعمالهم .

وكان جيش ايران مقيما بأمر ولى العهد في أصلاندوز على شاطئ  
نهر أرس ، وهاجم الروس مباغتة جيش عباس ميرزا وكان وقتها قد  
انفصل عنه للصيد . وعلى اثر هذا الهجوم المباغت انفرط عقد انتظام  
الجيش ، فلما بلغ الخبر عباس ميرزا قرر التقهقر لشدة خوفه الا أن  
كريستى قائد جزء من سلاح المشاة وكان على علم بقلّة عدد الروس منعه  
من هذا القرار ، كما صب ليندساي بمدفعيته وابل نيرانه على المهاجمين  
الروس فمنع تقدمهم . وفي الاجتماع الذي عقده عباس ميرزا لتصديق  
قرار الحرب مع قواده العسكريين والمدنيين ، ظهر فيهم اختلاف في الآراء  
الى حد أنه استحال اختيار أى قرار ولم يكن ولى العهد نفسه قادرا  
على أن يحسم شيئا ، ولهذا حينما بادر الروس في اليوم التالى بالهجوم ،  
بلغ الهرج والمرج ذروته في الجيش الى حد أن جماعة منهم أخذت تتبادل  
النيران خطأ مع اخوانها ، وأصيب كريستى الذي كان يقاوم بشجاعة  
هائلة ثم قتل ، وانسحب عباس ميرزا ومن بقى من القتل من جيشه الى  
تبريز . وهاجم القائد الروسى في حرب أصلاندوز بعد هذا النصر ميناء

لنكران وسيطر عليه ، ف وقعت آذربايجان تحت التهديد الروسى من ناحيتين •

وكان فتح على شاه يتأهب للتحرك الى آذربايجان والقيام بخطوة حربية جديدة مع روسيا لولا أن ثورة التركمان فى خراسان صرفته عن عزمه ، فأرسل يطلب الصلح حاجى ميرزا أبا الحسن خان الايلتشى الى سان بطر سبرج وتوسط السير أوزلى أيضا فغادر طهران الى تفليس والعاصمة الروسية •

وسرت روسيا بقدم السفير الايرانى وطلبه الصلح كثيرا لأنها فى هذا الوقت كانت فريسة صراعها مع نابليون بونابرت ، وسيرت لعقد هذا الصلح الجنرال يرمولوف ( Iermoloff ) الى طهران •

#### معاهدة كلستان فى التاسع والعشرين من شوال ( ١٢٢٨ هـ ) : -

وقعت المعاهدة التى انتهت الدور الأول لحروب ايران وروسيا فى قرية كلستان من أعمال قراباغ بتوسط من السير جور أوزلى وبتمثيل حاجى ميرزا أبى الحسن خان من طرف ايران وهى بفصولها الأحد عشر من أسوأ المعاهدات التى أبرمت فى تاريخ ايران الحديث بل أنها ولدت أسبابا لشقاء عظيم لمستقبل ايران بسبب أنها أول معاهدة مضرة عقدها أولياء أمور ايران وقد بلغ بهم الجهل مبلغه مع دولة أوربية ولم يدركوا أنهم استسلموا لقبول كل مطالب هذه الدولة فى وقت كانت فيه فريسة أكبر المصائب فى أوربا •

فقد قبلت ايران وفق هذه المعاهدة أن تكون جميع الولايات التى استولى عليها الروس حتى ذاك الوقت ملكا لهم ، وبهذا انضمت بلاد الكرج والولايات الساحلية على البحر الأسود وبأكو والدر بند وشروان وقراباغ وشكى وكنجة وموغان والجزء الأعلى من طالش الى روسيا فضلا عن أن حق الملاحة فى بحر الخزر قد سلب من ايران • وفى لقاء هذا كله

تعهدت روسيا أن تعترف رسمياً نيابة السلطنة لعباس ميرزا وتتعهد بإبلاغه السلطة .

وقد بلغت هزيمة أصلاندوز وعقد معاهدة كلستان والثورات التي شبت بايران في هذه الفترة بضعف الدولة ذروة درجته ، وتبع هذه الأوضاع طرح السير أوزلى معاهدة سيئة أخرى أشرنا اليها سابقا بين ايران وانجلترا وقمها في السنة التالية أى في (١٢٣٩هـ) فتح على شاه يسمى سفير انجلترا الجديد « أليس » فجعلت هذه المعاهدة من ايران العوبة في يد بلاط لندن من الناحية السياسية .

### ثورات خراسان وأفغانستان : -

أثناء الحروب بين الروس وايران بسبب انشغال أولياء الدولة صار الجزء الشرقى بأكمله لايران من بلوجستان حتى صحراء التركمان نهبت الثورات ، فقد رفع الرؤساء المحليون ورؤساء قبائل التركمان رؤوسهم ثائرين لغضبهم من حكام ولاياتهم ، وأهم هذه الثورات هى التالية :

كان محمد خان الأفغان الغلجيين قد التجأ الى ايران بسبب المنافسة بين أسرته والأفغان الأبداليين وأقام بكرمان فلما نزل بساحة هذه الولاية القحط وحملت اليها الغلال من البلاد الأخرى بأمر فتح على شاه نهض بالاستيلاء عليها واستحوذ في (١٢٣٠هـ) على قلعة بم ، فأنفذ فتح على أحد قواده القاجاريين لدفعه فغلب محمد خان وهزم وقتل في بلوجستان .

وفي عام (١٢٣٢هـ) عصى فيروز ميرزا الذى يحكم هراة والغور تحت حماية ايران محمدا ولى ميرزا ولد الشاه وحاكم خراسان فاستولى محمد ميرزا على هراة وهزم فيروزا فهرب عنها . وفي عام (١٢٣٩هـ) تحرك فيروز ميرزا ثانية الى الغور وكان حكمها أنيط بوالى خراسان محمد خان ولد اسحاق خان القرائى من خانات ( تربت حيدرية ) . فأفساد ابن أخى فيروز وهو كامران ميرزا أمير قندهار من هذه السانحة بقصد استئصال عمه ومهاجمة خراسان فتحرك الى هراة وحاصرها . ورأى فيروز ميرزا

نفسه وقد أهدق به الخطر من كل جانب فلاذ بقائد جيش ففتح على  
بخراسان وهو اسماعيل الدامغانى وقبل أن يكون تحت حماية ايران بأدائه  
خمسین ألف تومان نقدا وخراجا سنويا وأن يجعل الخطبة والسكة باسم  
فتح على . فلما قبل فيروز هذه الشروط تقدم لطرده كامران ، ففر الأخير  
الى قندهار واستقر فيروز ثانية تحت تبعية ايران على امارته .

وفي (١٢٢٨هـ) قدم في نهاية المطاف الى السليمانية وشهرزور أحد  
دراويش التركستان واسمه خواجه محمد الكاشغري الذي كان ينسب  
نفسه الى أمراء الصين واتصف بالرياء وطلب الجاه وجمع في الصين  
والهند ومصر مریدین له وكان يخدع الناس حيثما حل فترة ثم يجبر على  
الفرار في النهاية ، وقد أدخل والى السليمانية ضمن مریدیه وحته كما  
سنرى بعد على الدخول في حرب مع ايران ، ثم هرب منها الى استرabad  
وجمع حوله جماعة من التركمان السذج وأقام في مازندران واسترabad  
فتنة وفسادا عظیمين . فأرسل الشاه محمد ولى ميرزا وحاکم مازندران  
للقضاء على التركمان فأدبوا تلك الجماعة وفر أمامهم خواجه محمد ثم  
قتل بعد قليل وخمدت فتنته .

وفي عام (١٢٣٠هـ) طالب اسحاق خان القرائى صاحب النفوذ العظيم  
بتربت حیدريه والساخط على مسلك محمد ولى ميرزا بخراسان البلاط  
الملكى بعزل الأخير وأظهر أولاده عدم مبالاتهم بالوالى أيضا ، فصرع  
محمد ولى اسحاق خان وأحد أولاده في مشهد انتقاما منهم ، فأفضى عمله  
هذا الى ثورة أبناء اسحاق الباقين ، فلما عجز محمد والى عن هزيمتهم  
عمى خانات خراسان الآخرون الحانقون على محمد ولى وطلبوا عزله من  
الشاه . فاستدعى الشاه محمدا الى طهران وأمر اسماعيل خان الدامغانى  
بإقرار أمور خراسان الى حين أن يتم تعيين حاكم جديد .

وفي العام التالى سير حسين على ميرزا شجاع السلطنة ولد الشاه  
عن طريقه الى حكومة خراسان وأخمد شجاع السلطنة بمعونة اسماعيل  
الدامغانى ثورات خراسان ، وأرسل فيروز ميرزا حاکم هراة اليه بعض

الهدايا في مشهد قابلا طاعته ، لكنه في (١٢٣٣هـ) عاود ثورته . فشخص هذه المرة شجاع السلطنة الى هراة مهاجما فاستصفاها ، وعلى عن فيروز بعد تغريمه خمسين ألف تومان وقرر أن تسك العملة ويخطب باسم شاه ايران كما كان الحال سابقا . وبعد أوبة جيش ايران عن هراة انبعث محمود شاه أخو فيروز ميرزا ، وكان حديث الخلاص من سجنه وتأمر على قندهار وكابل ثانية ، يخرضه وزيره فتح خان الباركزائي ، ويدعوه أمراء خراسان العصاة خاصة محمد خان القرائي ولد اسحاق خان ، انبعث للاغارة على خراسان ، وبلغ فتح خان في (١٢٣٣هـ) بجيش كبير ( كافر قلعه ) وكان يؤازره ويحالفه في هجومه هذا رحيم خان الأوزبكي والى خوارزم وأمير بخارى وكانت خطتهم أن يطبق الاثنان بالهجوم على خراسان من الناحيتين .

وخف شجاع السلطنة الى هراة وقدم الشام بنفسه الى خراسان وأنزل ذو الفقار الدامغاني بفتح خان على كذب من ( كافر قلعه ) هزيمة مرة ووقع نحو لثنى عشر ألف أفغاني أسيرا لجيش ايران . وبعد هذا الفتح قدم والى خوارزم اعتذاره وعاد الى خيوه وبقي خانات خراسان أيضا في مناصبهم كلهم غير محمد خان القرائي ، والذي أصاب منه شجاع السلطنة مقتلا بعد تخريب قلعة تربت حيدرية والامساك به .

وبعد فرار فتح خان الى هراة أرسل معتمد الدولة نشاط الذي أسر في حربه مع الأفغان تصحبه جماعة من مشايخ هراة الى الشاه يطلب العفو ، كما أرسل محمود شاه رسولا الى الشاه وأعرب عن أن حركة وزيره المستبد كانت خلاف ارادته ، فقبل الشاه المذر بشرط أن يعاقب محمود شاه فتح خان .

وسملت عينا فتح خان آخر الأمر في عام (١٢٣٤هـ) بيد كامران ميرزا ولد محمود شاه . فأفضى هذا الفعل الى ثورة اخوته الكثيرين الذين ولاهم فتح حكومات الولايات فأصابوا مبلغا من القوة ، ورفع هؤلاء الاخوة المتمردون كل منهم واحدا من الأمراء الدرانيين على رغم أنف محمود

وكامران ، قسبت فتنة عظمى في أفغانستان •

وكان من بين أخوة فتح خان التسعة عشر من له أهمية واعتبار أكثر هو دويست محمد خان الذي هاجم كابل من بيشاور وهزم كامران ميزا بين بيشاور وغزنة ، ومكث ما بين (١٢٣٤) حتى (١٢٤٢هـ) في صراع وقتال دائمين يعاونه اخوته مع بقية الأسرة الدرانية الى أن قضى على هذه الأسرة وأزالها من كابل وقندهار في السنة الأخيرة ، واستقل بأفغانستان كلها غير هراة التي كانت تبعا لخراسان ، وأسس الأسرة الحالية للأمراء أفغانستان أي السلسلة الباركرائية •

أما محمود شاه وابنه كامران ميزا بعد أن طردا عن كابل وقندهار فقد قنعا بامارة هراة تحت طاعة ايران ، وان كانا لم يتخليا عن فكرة الاستقلال وكانا يتمردان كلما سنحت لهما الفرصة فيهزمان ويعودان الى الطاعة •

وفي عام (١٢٤١هـ) ساء ما بين هذا الأب وابنه فطرد الابن أباه عن هراة وقدم اليها شجاع السلطنة بنفسه فأقر كامران على كرسى امارتها وظل هذا الحال حتى وقت غزو ولي العهد لهراة •

### حرب ايران مع العثمانيين (١٢٣٦ — ١٢٤٨هـ) :-

في بداية حرب ايران مع روسيا في عام (١٢٢١هـ) لجأ باشا حدود شهرزور عبد الرحمن باشا الى ايران فأعاده الشاه حاكما على هذه المدينة ورئيسا لقبيلة بابان تحت حمايته فصارت هذه المسألة سببا لاستياء أولياء الدولة العثمانية •

واختار الشاه ولده الكفاء محمد علي ميزا دولتشاه من أجل الحفاظ على حدود ايران الغربية وحمايتها في نفس تلك الأيام لحكومة كرمانشاه وولاية ولايات العراقيين التي على الحدود ، فدخل عبد الرحمن باشا تحت تبعية دولتشاه •

ولكى يطرد علي باشا والي بغداد عبد الرحمن وجه جيشا من بغداد



الى شهرزور ، فغلبه دولتشاه وأبسر قائده وبعث به الى طهران ، وأرسلت الدولة العثمانية سفيرا الى طهران يعتذر ويطلب خلاص القائد الأسير فأعاده الشاه الى بلاده مكرما وأرسل أيضا الى استنبول سفيرا .

وكان يبرز كل وقت اختلاف بين دولتي ايران والعثمانيين بسبب سكن الأتراك السنة في سائر أقاليم البلدين وتنقلهم من بلد الى آخر وما ينشأ عنه من جدال حول أى قبيلة تكون رعية ايران وأيهما تتبع العثمانيين ، وفضلا عن هذا الموضوع فقد كانت اعتداءات الباشوات السنوية على الحجاج والزوار الايرانيين تثير غالبا القلاقل .

ولم يجد فتح على شاه حتى عام (١٢٣٦هـ) فرصة لكى يهتم بأمور غرب البلاد بسبب مشاكل ايران في حروبها مع الروس وثورات خراسان وأفغانستان ، حتى أن الجنرال يرموف قائد القفقاز أتى عام (١٢٣٢هـ) طهران لكى يحرض ايران على مهاجمة العثمانيين بعون روسيا ولتسمح ايران للجيش الروسى بعبور أراضيها لمهاجمة العثمانيين ، فرفض الشاه قبول هذه الاقتراحات مراعاة للناحية الاسلامية ، خاصة وأن يرموف لم يكن مستعدا بأى حال أن يدخل مفاوضات بشأن استعادة ايران للولايات المفقودة عكس ما كان يود البلاط ، لأن فتح على وولوى العهد كانا يأملان أن تستعيد ايران جزءا من هذه الولايات من روسيا عن طريق المفاوضات الودية ، ولهذا الهدف أرسل حاجى ميرزا أبو الحسن خان الايلتشى عام (١٢٣٢هـ) الى سان بطرسبرج ، ففقع الروس وكانوا اذ ذاك رهينة الحرب مع العثمانيين وفي متاعب شديدة أيضا في خيوه بتعطيل المبعوث الايرانى واستغفاله وأرسلوا يرموف كذلك الى طهران لتبادل الصداقة واستمداد ايران في حروبها مع العثمانيين وخان خيوه ، ومع حاجتهم الملحة الى ايران فانهم لم يقبلوا باعادة جزء من الولايات السابقة الايرانية .

وفي عام (١٢٣٦هـ) وقع جمع من خدم الشاه الايرانى الشخصى وبعض حريمه كان يتجه للحج عن طريق أرزنة الروم من حافظ على باشا

رئيس عسكرها موقع الالهال والتهجم ونهبت أمتعتهم ، فضلا عن أن  
رئيس العسكر هذا رحل جماعة من قبائل حدود ايروان بحجة أنهم رعايا  
عثمانيون الى منطقة نفوذه ، فاعترضت ايران على هذه الأعمال وعزله  
حافظ على باشا ، الا أن خلفه ارتكب مثل هذه الأفعال ، فاضطر فتح على  
أن يأمر عباس ميرزا بمهاجمة العثمانيين .

وفي ذي الحجة (١٢٣٩هـ) دخل عباس ميرزا عن طريق خوى  
وتشالدران كردستان العثمانية وسيطر في الهجوم الأول له على موش  
وأخلاق ووان وبتليس وحاصر أرزنه الروم . وضم قواد ولى العهد  
المجربون للحروب مثل حسين خان قاجار وأخيه حسن خان وعسكر خان  
أفشار وأمير خان القائد على جناح السرعة أرمنية والكردستان العثمانية  
حتى ديار بكر ، لكنهم عادوا جميعا الى تبريز بسبب حلول الشتاء .

وفي عام (١٢٣٧هـ) رفض رئيس قبيلة بابان قبول حماية ايران  
فأرسل على باشا والى بغداد قوات لمساعدته الى السليمانية وشهرزور .  
وتحرك محمد على ميرزا دولتشاه لصد جنود على باشا عن كرمانشاه  
ناحية العراق العربى وبلغ بغداد في هجمة واحدة لكنه آب الى ايران  
بناء عن رغبة علماء النجف ، وسلك طريق الكردستان لذا صادف جيشه  
أضرارا بالغة . وعلى حدود آذربايجان فكر باشوات تلك الحدود في  
الاستيلاء ثانية على الولايات التى فتحتها قواد ايران ظانين  
أنه يمكن الافادة من وجود عباس ميرزا في تبريز ، وحاصر منهم حافظ  
على الباشا السابق الذكر قلعة طويراق الواقعة على رأس طريق بايزيد  
الى ايروان . فوجه عباس ميرزا حسين خان وأخاه حسن خان لمعون  
الحاضرين بالقلعة فأنقذ هذان الأخوان القلعة من حصارها بالرغم من  
قلة ما معهما من جند ، وانهزم حافظ على باشا بعد تكبده للخسائر الكبيرة  
وركن الى الفرار .

وبعد الهزائم التى تلقاها القواد العثمانيون في الكردستان وأرمنية

والعراق العربي من إيران طلب العثمانيون الصلح فوقعتم معاهدة في أرزنه الروم في ذي القعدة (١٢٣٨هـ) بين ممثلي الطرفين وشملت هذه المعاهدة مواد سبعا ردت بموجبها إيران الولايات التي أخذتها من العثمانيين وصارت الحدود بين الدولتين نفس الحدود السابقة ، وتعهد أولياء أمور الدولة العثمانية بعدم التعرض للزوار والحجاج الإيرانيين ولا يطالبوهم وتجار إيران بغير الرسوم الجمركية وأن يرسل الطرفان سفيرا الى عاصمة كل منهما وممثلا .

### الدور الثاني لحروب إيران وروسيا

( ١٢٤١ - ١٢٤٣ هـ )

كانت معاهدة كلستان مبهمة بشأن تحديد خطوط الحدود بين إيران وروسيا بمعنى أن موقعيها كفاهم أن اشترطوا أن كل ما استولى عليه الروس حتى تاريخ توقيع المعاهدة يكون ملكا لهم ، كما لم يتضح أيضا كثير من الأراضي التي على الحدود وكانت مراتع لعشائر قبائل الحدود . وكان بعض الخانات يسمى الى اشغال نار الخلاف بين إيران وروسيا لمنفعتهم الشخصية ، ومن ذلك أن حسين خان قاجار رئيس ايروان الذي لم يكن راغبا في دفع بقايا أموال غلبه الى الموظفين الإيرانيين ولكي لا يقوم عباس ميرزا بتأديبه كان يميل الى اشغال نار الحرب بين البلدين وشغل ولي العهد بذلك .

وكان على مقربة من ايروان وبحيرة كوكتشته قسم من أراضي الحدود يعد مراعى للقبائل رعايا إيران الا أن الروس ادعوا ملكيتها له فأتخذ حسين خان قاجار متذعرا بأن الروس لو تملكوا هذه المنطقة فلن يتمكنوا من الحفاظ على قلعة ايروان يوصى عباس ميرزا بمنع هجمات الروس عن طريق القوة القاهرة وبعدم السماح بأن يظهر خلل بسبب هذا في أركان دفاع ايروان .

وكانت تحدث مثل هذه الخلافات على حدود أذربايجان بين العمال  
الآيرانيين والروس على سبيل الدوام وكان أهمها الخلاف الذي نشب بين  
ابراهيم خليل خان جوان شير المسبب قتل سيسانوف والذي كان يحكم  
يومذاك أردبيل والقائمين على الحدود من الروس في طائش \*

وخرض خانات طالش الحانقين على الاستعمار الروسى ابراهيم  
خليل بعداء الروس العلفى واعتبر ابراهيم خليل اعتداءات الروس دليلا  
على نقض معاهدة كلستان من جانبهم فأطلع فتح على الأمر وشجع  
الشاه على تجديد الحرب مع الروس ، وكان ذلك مقترنا بوصول التماسات  
المسلمين بالقفقاز وتظلماتهم المتعاقبة من ظلم الروس الى البسلاط  
الآيرانى ، وأخذت أذهان الناس وعلماء الدين تنهياً رويدا رويدا الى  
تجديد الجهاد فى الحرب ، لكن عباس ميرزا صاحب التجارب بالحروب فى  
دورها الأول لم يكن ميالا الى هذه الخطوة \*

وكان الروس اتفاقا يتحاشون تهية ذريعة لايران لتجديد الحرب  
بسبب موت الكساندر الأول وما يشاهدونه من جلبة وحماس عند  
الآيرانيين ، لهذا أرسلوا سفيرا الى طهران لنفس النية لحل الخلافات ،  
وسير عباس ميرزا أيضا مبعوثا لنفس الأمر الى تفليس لى يرملوف  
وذهب هو بنفسه الى طالش وقابل بها يرملوف ، وانتهت هذه الخلافات  
حول هذه الحدود بالصلح الى حد ما \*

لكن اقدام عباس ميرزا هذا لم يرض خانات طالش ولا العلماء  
المتحمسين للجهاد ، واتهم عباس ميرزا بمصانعة روسيا وامتناعه عن تنفيذ  
أمر الجهاد ، وتحركت جموع من العراق العربى واصفهان وطهران صوب  
أذربايجان للجهاد ، وكان قيامها مصادفا لقدوم سفير روسيا الى  
السلطانية لانها خلافات حدود طالش وموغان لصالح ايران فى مأمرية  
خاصة \*

ولم يسمح فتح على شاه لهذا السفير بمقابلته متأثرا بتحريض  
أصحاب الاغراض ضد سفير روسيا وكان من أمراء الأسرة الحاكمة

المحترمين ، فعاد الى بلاده بدون أن يسمح له بالكلام ، وكان هذا التصرف بمنزلة اعلان الحرب وبداية الدور الثاني للحروب بين ايران وروسيا .

### فتوحات جيش ايران :-

جعل فتح على من عباس ميزا مع أنه لم يكن مائلا الى الحرب جدا قائدا عاما للجيش المأمور بقتال الروس ، وأصدر كذلك أوامره الى الخانات المحليين ورؤساء المسلمين الذين تستعمر بلادهم روسيا بمعاونة عباس من كل ناحية .

ونجح الجيش الايراني في المرحلة الاولى في تحقيق انتصارات سريعة بسبب أن الروس كانوا في الحقيقة غافلين عن الحرب لم يتأهبوا لها فضلا عن معاونة مسلمي الولايات المضيفة ، بمعنى أن أملاك روسيا من النواحي الثلاثة فيما وراء القفقاز صارت هدفا للهجوم : من ناحية ايروان وبحيرة كوكسته ، ومن ناحية قراباغ والجزء الأوسط ثم من ناحية طالش . وفي جبهة طالش الأخيرة طرد حسن خان الطالشي الروس عن طالش وموغان بمؤازرة الجنود الذين أمده بهم عباس ميزا ، وفي التاسع من المحرم ( ١٢٤٢ هـ ) أخذ ميناء لنكران ثم ساليان . وثار أهل باكو أيضا على اثر هذه الفتوحات على الروس فطردوهم منها وسلك أهل شكي وشروان نفس الطريق أيضا . وفي داغستان بدورها قتل مسلموها عامة الروس بها ، وفي هذه الناحية استعاد جنود ايران كافة الأراضي الضائعة .

وفي جبهة ايروان أصاب حسين خان وأخوه حسن خان أحد قادة الروس المشاهير بهزيمة شديدة ، وأغار حسين خان بعون الكساندر ميزا ابن آخر ملك كرجي على جميع الأراضي الواقعة بين ايروان وتفليس ، واستولى على كنجة أيضا محمد ميزا ولد ولي العهد ومعه أمير خان وهرب الروس منها الى الشمال .

وفي جبهة قرا باغ كانت قيادة الجيش لعباس ميرزا ، ولما أن فتح على أصر على أن يتقدم جيش ايران من هذه الناحية ويصل الى تفليس بعد الاستيلاء على قلعة شوشى الحصينة فقد أرسل الصدر الأعظم الجديد الله يار خان آصف الدولة ولد ميرزا محمد خان قاجار دولو بخمسة عشر ألف فارس عراقي الى قرا باغ لعون عباس ميرزا . وأنزل عباس ميرزا بالقرب من شوشى بمددوف حاكم قرا باغ هزيمة ساحقة وألقى حصاره على قلعة شوشى .

وطال حصار شوشى واغتنم الروس الفرصة ليعززوا جيشهم في تفليس ، وكان من حسن طالعهم هذه الأيام أن انتهت معاركهم مع العثمانيين وعين أحد نقادة الروس المبروفين وهو باسكيفيتش (Paskiewitch) الذي حصل أثناء تلك المعارك تجارب كثيرة وحاز فيها الانتصارات باهرة في منصب القيادة العامة للجيش روسيا في القفقاز .

#### هزيمة شمكور في صفر (١٢٤٢هـ) :

انسحب الجنرال مددوف بعد هزمته في شوشى بما بقي من قواته الى شمال كنجة . وبعد ضمه أمداد من تفليس هاجم كنجة وكانت مدفعيته قوية فدخل في شمكور بالقرب من كنجة في حرب مع أمير خان ومحمد ميرزا . وأبدى أمير خان مقاومة دامت حتى قتله لكن محمد ميرزا أثر الفرار فأسر الا أن أحد رؤساء شاهسون أنقذه وأوصله حتى ضفاف نهر أرس . وأخلى حاكم قلعة كنجة هذه المدينة المحكمة خوفا فتركها مسلموها الشعبان الذين قاتلوا الروس لأجل ايران حتى هذا الحد اشفاقا وعبروا نهر أرس فاستولى مددوف على المدينة .

#### حرب كنجة في الثالث والعشرين من ربيع الأول (١٢٤٢هـ) :

ولما وصل خبر قتل أمير خان وهزيمة محمد ميرزا ترك نائب السلطنة بعض جنوده لحصار شوشى واتجه صوب كنجة على رأس ثلاثين ألفا لكنه

قبل أن يبلغها كان باسكيفتش قد وصلها وحسن جميع المواقع الهامة بها .  
وفي وصول جنود ايران كنجة لم يكن باسكيفتش بأى حال مستعدا  
لبداء الهجوم ، مما حمل عباس ميرزا امطار مواقع الجيش الروسى بوابل  
الرصاص على اصدار الأمر بالهجوم وكان على وشك أن يصير النصر  
نصيب الجيش الايرانى ، الا انه لسوء الحظ لم يتقدم الجزء الأعظم  
من جيش عباس ميرزا خطورة واحدة لا سيما وأن آصف الدولة قاجار  
ماطل في اىصال مدده لولى العهد ، فحدث هرج ومرج فإصفوف  
الجيش ، على نحو أن محمد ميرزا وغيره من الأمراء لم يفهموا جيدا  
رسالة نائب السلطنة لهم ألا يتحولوا عن المعركة الا بناء على أمر ولى  
العهد ولو أصيبوا بالقتل ، فهربوا جميعهم ومعهم جنودهم نحو نهر  
أرس ، وفشل عباس ميرزا رغم محاولاته العديدة أن يصدهم عن تحركهم  
الذى لا أساس ولا سبب له ، فاضطر هو نفسه الى التراجع الى  
أصلاندوز ، ونال باسكيفتش هذا الفتح الهام بتلك السهولة ، ونتج عن  
ذلك أن انتصارات الجيش الايرانى الهامة التى أصابها فى الأسابيع  
الثلاثة الأولى لم تعد بذى بال .

لم يتكبد الجيش الايرانى فى حرب كنجة التى دارت رحاها بالقرب  
من مقبرة الشاعر المشهور نظامى الكنجوى فى الثالث والعشرين من ربيع  
الأول ( ١٢٤٢ هـ ) خسائر جسيمة لأن مجموعها لم يتجاوز الألف  
والخمسائة قتيل ، الا أنها أثرت مقابل ذلك فى معنوياته تأثيرا شديدا  
السوء الى حد أنه لم يتيسر رباطه الجاس وتولد روح الجسارة فيهم ،  
ويمكن استخلاص الأسباب التى بعثت أكثر من غيرها على خراب أمر  
الجيش الايرانى فى هذا الوقت على النحو التالى :

- ١ - عجز عباس ميرزا فى ادارة الجيش وتوحيده القيادة وحفظه  
النظام مع أنه كان رجلا فى نفسه شجاعا جادا .
- ٢ - تنافس الأمراء القاجاريين أحدهم مع الآخر وعصيان غالبهم

لولى العهد واستقلال كل منهم بالقيادة .

٣ — عجز الاستعدادات المادية وقلة مصانع السلاح الى حد أن الرصاص المطلوب لصنع طلقاته لم يكن موجودا في تبريز بأسرها ، ولم تزد ذخيرته عن ألفى رصاصة فضلا عن نقصه للمهام الأخرى .

٤ — عدم وجود المال الكافي لدفع الرواتب والأرزاق للجنود الذين تجمعوا في آذربايجان ولم يكن فتح على المشهور بعبادته للمال مستعدا لأن يرسل من طهران مالا لآذربايجان وكان يقول ان ولى العهد يجب أن يدفع كافة نفقاتهم من أموال آذربايجان .

وضمن هذه المشاكل أن الروس استعادوا كل النواحي السابقة على سواحل بحر الخزر وتقدموا حتى طالش وموغان ، وطلب عباس ميرزا من باسكيفتش الصلح ولكنه كان يعلم أن القائد الروسى اشترط لهذا الأمر التخلي عن ايروان ونخجوان فاضطر الى متابعة الحرب باعداد قوات جديدة وقام بازالة نقط الضعف ما أمكنه ذلك .

وكانت خطة باسكيفتش هذه المرة أن يهاجم عن طريق أردبيل ووسط أرس قلب آذربايجان وبلاستيلاء على تبريز يجبر ايران على قبول شروطه ، لهذا وجه أغلب قواته الى جسر ( خدا آفرين ) عن طريق شوشتى ، وحدث في هذه النقطة الحرب الأولى للصدام بين جنود عباس ميرزا وباسكيفتش هذه المرة .

وأجبر الجيش الايرانى الروس مع عبورهم نهر أرس بقيادة ملادوف نتيجة الهزيمة شديدة على التقهقر الى قراياغ ، وفي ايروان بهم هزيمة أخرى . واضطر باسكيفتش على اثر هاتين الهزيمتين أن يتحرك بنفسه من تفليس الى ايروان ، لكنه فشل رغم مساعيه في الاستيلاء عليها أمام بلاء حسن خان الحسن وأخيه العجوز حسين خان فعاد الى تفليس .



وفي السنة التالية أي في السادس والعشرين من ذي الحجة (١٢٤٣هـ) اتجه باسكيفتش بقوات عظيمة الى نخجوان وللاستيلاء على قلعة عباس آباد على ساحل أرس الشمالى ، فأرسل ولي العهد حسن خان وآصف الدولة اليها ، والحق حسن حسن خان نتيجة هجومه على الروس بهم خسائر كثيرة ، لكن آصف الدولة لم يثبت كما ينبغي فاستولى الروس على عباس آباد ، واتجه باسكيفتش منها الى خوى .

وبعد انتصار باسكيفتش في عباس آباد ، بالغ في شروطه . بشأن الصلح مع ايران حتى أنه اجاب على طلب عباس ميرزا الصلح أنه اذا كانت ايران مستعدة لأن تسلم روسيا سائر ولايات جنوب أرس وسبعمائة ألف تومان غرامة فانه من الممكن قبول الصلح . ولما لم يقبل عباس ميرزا بدأت الحرب من جديد .

وهاجم هذه المرة عباس ميرزا وحسن خان الجيش الروسى في الجزء الواقع بين قرا باغ وطالش وبعد هزيمتهم في هذه المنطقة تقدموا الى ايروان واتشميزين .

## هزيمة ايران :-

في غرة شوال ( ١٢٤٤هـ ) ألقي باسكيفتش حصاره على قلعة سردار آباد من قلاع ايروان ومما بناه حسين خان السردار ، وبعد مدة من اطلاق النار عليها استولى عليها بحملة واحدة وبعد هذا على اثر حرب شديدة استولى كذلك على اتشميزين وايروان ، وقد حطم الاستيلاء على هذه النقاط الثلاثة الحصينة خط مقاومة الجيش الايرانى في الطرف الغربى تماما ، وبعد فتح عباس آباد لم يعد هناك حائل آخر دون ضم آذربايجان من ناحية الشمال الغربى ، ولهذا فقد انقلب الجيش الروسى صوب خوى وميرند وتبريز وانسحب عباس ميرزا الى تبريز لانقاذها . وكان الحفاظ على تبريز في تلك الآونة موكولا من طرف الشاه الى

آصف الدولة ، وبدلاً من أن ييخذ هذا الرجل الجبان الضعيف النفس الذي كان سبب بعض فشل غزو عباس ميرزا مقاومةً اختفى خوفاً في منزل أحد الرعايا فدخل قائد جزء من الجيش الروسي تبريز بدعوة بعض أهلها ، فاستحوذ على كافة الذخائر والمهمات الأميرية . وسمى عباس ميرزا في مرة أخرى أن يسد الطريق أمام تقدم باسكيفتش إلى تركمانشاي ودهخوارقان وديلمقان ، لكنه هزم في هذه النقاط الثلاثة أيضاً . فاضطر إلى إرسال أحد خاصته إلى باسكيفتش يطلب إليه مقابله .

### معاهدات تركمانشاي في الخامس من شعبان ( ١٢٤٣ هـ ) :-

بعد أن أطلع رسول عباس ميرزا باسكيفتش طلب ولي العهد تسرك الحرب ، أوكل القائد الروسي هذا الأمر إلى الشروط الآتية :

- ١ - تتخلى إيران عن أيروان ونخجوان وأردوباد التي تصتولي عليها روسيا إليها ويكون نهر أرس الحدود بين الدولتين .
- ٢ - يخلى الجيش الإيراني طالش وموغان التي تنقل إلى روسيا بموجب معاهدة كلستان .
- ٣ - تدفع أيروان عشرة ملايين تومان ذهباً إلى روسيا غرامة حرب .

٤ - بعد تنفيذ الصلح بيعت بنائب السلطنة وولده محمد ميرزا من طرف إيران إلى عاصمة روسيا لكي يعتذر رسمياً لنقض معاهدة كلستان . وقبل عباس ميرزا هذه الشروط وأوقف الحرب وذهب إلى دهخوارقان للقاء باسكيفتش وكان عباس يصر على فتح على بعقد الصلح وإرسال مبعوث رسمي بسبب أن القائد الروسي كان يهدد في كل يوم بعد أن تقدمت جيوشه حتى قافلان كوه أنه سوف يتوجه إلى طهران إذا رفضت شروطه وبعد تردد كبير أرسل أخيراً الشاه وزير الخارجية حاجي ميرزا آبا الحسن خان إلى آذربايجان ومعه خطاب اعتماد وأرسل إلى

عباس أن يصر ما أمكنه على تخفيض مبلغ غرامة الحرب حتى ينقصها الى مليونين ونصف مليون •

وبعد مفاوضات طويلة بين باسكيفيتش وعباس ميزا خفض في النهاية القائد الروسى مليونين ونصف مليون من المبلغ المقترح وقرر أن يذكر أن معدل الخسارة سبعة ملايين ونصف مليون ، وكان الأمر على وشك أن ينتهى بالصلح لولا ظهور أحداث في طهران تطلبت أسبابها ضرورة تأخيرها ، وتوضيح ذلك أن الشاه طوال مدة حروب الروس وإيران لم يسمح لابنه الرشيد الكفء حسين على ميزا شجاع السلطنة والى خراسان بسبب التنافس القائم بينه وبين عباس ميزا بالتدخل في الأمور ولم يستفد من وجوده بأذربايجان بأى شكل •

وحينما بلغت أنباء هزائم عباس ميزا الى خراسان ، تقدم شجاع السلطنة — ومعه مجموعة من جنوده بأعلام سوداء الى طهران ، وتقدم أذربايجان على أنه مأمور من جانب الامام الرضا بطرد الروس • وكان الشاه ساخطا على دفع الغرامة الى الروس واغتتم حركة شجاع السلطنة وسيره الى قزوین لارهاب الروس كما كان يعتقد •

ولما سمع باسكيفيتش هذا النبأ حنق الى حد أنه قطع مفاوضاته مع عباس ميزا وقال له اذا لم يتحدد أمر الصلح في ظرف خمسة أيام فسوف يأتى تبريز وينتهى بجيشه للمسير الى طهران • فأرسل عباس رسولا الى طهران على جناح السرعة وحذر الشاه وخامة العليقية فأرسل للشاه مجيرا ثلاثة ملايين ذهبا الى عباس قدمها الى باسكيفيتش في مقابلة أخرى معه بقرية تركمانتشاي ، وعقدت معاهدات تركمانتشاي — التي استمرت مفاوضاتها واعداد بنودها من أواسط جمادى الأولى ( ١٢٤٢ هـ ) حتى أوائل شعبان ( ١٢٤٣ هـ ) — في الخامس من شعبان من السنة الأخيرة ووقعها عن ايران حاج ميزا أبو الحسن خان وزير الخارجية والله يار

خان آصف الدولة الذي كان يعيش في معسكر باسكيفتش من حين أن  
فتح الروس تبريز أسيرا .

وتشمل المعاهدات التي أبرمت في تركمانشاي معاهدتين سياسية  
وتجارية ولكل منهما ملحق كذلك . وهذه المعاهدات أهم معاهدات في  
تاريخ إيران بينها وبين دولة خارجية قبل ثورة إيران ونهضتها الأخيرة ،  
لأنها فضلا عن اشتغالها على شروط وحدود صارت أساسا للمعاملات  
السياسية والاقتصادية بين إيران وأكبر جاراتها أضحت نموذجا لكافة  
الدولة الخارجية الأخرى التي عقدت بعد ذلك مع إيران معاهدات مثل  
هذا القبيل ، لا سيما القسم المتعلق منها بحق نفوذ قنصل روسيا في  
إيران ( الامتيازات الأجنبية ) الذي صار بالتدريج موضع التصويب من  
طرف إيران في شأن قنصل كافة الدول الأجنبية أيضا ، وظل لفترة  
الأساس الذي يقوم عليه اجراء النفوذ السياسي للموظفين الأجانب في  
بلادنا .

وكانت الشروط الهامة لمعاهدات تركمانشاي كالتالي :

١ - بموجب المادة ( ٤ ) للمعاهدة السياسية فقدت إيران فضلا  
عن الولايات التي تطلت عنها لروسيا بمعاهدة كاستان ايروان ونخجوان  
واردوباد أيضا وتحددت خطوط الحدود الحالية وهي من قلعة أرارات  
حتى مصب نهر أستارا .

٢ - وبناء على المادة (٦) من نفس المعاهدة تمهدت إيران بدفع  
خمسة ملايين تومان نقدا ذهبا غرامة حربية .

٣ - أكدت المادة (٧) ولاية عهد عباس ميرزا وتمهد روسيا بابلاغه  
العرش .

٤ - بموجب المادة (٨) حرمت إيران من حق الملاحة في بحر الخزر .

٥ - وبناء على المادة (١٠) نالت روسيا اذنا بارسال قنصل أو موظف

تجارى في كل نقطة تراها صالحة لذلك على ألا يتجاوز عدد بعثته عن عشرة أشخاص \*

٦ - وبموجب المادة (١٣) تعهد الطرفان بتبادل الأسرى في ظرف أربعة أشهر وفي حالة عدم حدوث التبادل وانقضت هذه المدة ، يحق لكل طرف أن يطالب بإطلاق سراح أسراه ويضم كل طرف برعاياه الأسرى اليه حيثما وجدهم \*

٧ - وبموجب المادة (١٥) تعهد فتح على شاه بالعفو عن خانات آذربايجان الذين أظهروا عصيان إيران \*

ويتعلق ملحقا معاهدات تركمانشاي بكيفية دفع غرامة الحرب وكافة الحقوق التي كانت للروس في حالة تأخر إيران عن دفع أقساطها في موعدها ، فضلا عن ذكر تفصيلات نظام استقبال السفير فوق العادة الذي تقرر أن يأتي من طرف روسيا الى إيران بعد عقد المعاهدة \*

وأجبرت إيران وفق المعاهدة التجارية لتركمانشاي على أن تعطى التجار الروس نفس الحق الممنوح لرعايا الدول ذات العلاقات الودية الكاملة بإيران وأن تكتفى بتحصيل رسوم جمركية بنسبة خمسة في المائة من قيمتها عن البضائع الروسية ، علاوة على أنه يسمح للرعايا الروس الذين يودون الإقامة بإيران بشراء المنازل والمصلات والمخازن اذا أرادوا التجارة وغير ذلك \*

### قتل كريبايدف في (١٢٤٤هـ) :-

لما اقتضت معاهدة تركمانشاي من الدولتين ارسال سفير فوق العادة كل الى بلاط الأخرى أرسلت روسيا الى تبريز وطهران لهذا المنصب ( كريبايدف ) ( Griebaidev ) ابن أخت باسكيفتش وكان أحد الشعراء والكتاب الشبان الروس وقدم كريبايدف وكان ذا أصل ونسب عاقلين ولذا اتصف بشديد الغرور والأنانية الى تبريز

ومعه زوجته الحبيبة ابنة خان ايروان ، ولما تركها بتبريز اتجه الى طهران .  
ولما أتى طهران ، وكان كل فكره في زوجته بتبريز ويود انتهاء مأموريته  
سريعا ، لم يهتم كثيرا بسبب شدة انشغال عقله بالمفاوضات بشأن  
شرعيات تنفيذ معاهدة الصلح ، والتف حوله أيضا في طهران جماعة من  
الأرمن والكرجيين المغرضين . وكان منهم آغا يعقوب من خصيان  
الشاه الذى جعل نفسه أحد الرعايا الروس لكى يتهرب من دفع بقايا  
ضرائب عليه ولاذ بكرييديدف ، وحرصه على طلب اطلاق سراح جماعة  
من الأسرى القدامى والجند الكرجيين وكانوا في خدمة شاه ايران  
بموجب معاهدة الصلح ، وحدد من بين القابليين الجنسية الروسية احدى  
زوجات الشاه وزوجه الله يارخان آصف الدولة الصدر الأعظم .

وأرسل كرييديدف جماعة من الأرمن والكرجيين بتقديمهم آغا يعقوب  
الى منازل رجال ايران وحقق مع النسوة الكرجيات لكى يعرف من منهن  
تريد الجنسية الروسية وحمل جماعة منهن من بينهن زوجة آصف الدولة  
الى السفارة الروسية . فتظلم آصف الدولة لدى علماء طهران وثارت  
فتنة غريبة . ولما حرص آغا يعقوب الموظفين المسلحين فى السفارة  
الروسية على اطلاق النار على الايرانيين وقتل منهم ثلاثة ، انصب  
الناس أيضا بفتوى من ميرزا مسيح المجتهد على سفارة الروس فقتلوا  
كرييديدف وثمانين من أتباعه .

وقد أصاب حدوث هذه الواقعة الهائلة الشاه بالاضطراب الشديد  
كما طارلب عباس ميرزا لما حدث لأنه لم يأنس في نفسه القدرة على حرب  
روسيا ورأى مقام سلطنته القادمة التى ضمنها روسيا تترزلز ، لهذا مع  
أنه كان المقرر أن يتوجه عباس الى بطرسبرج ليقدم اعتذاره الا أنه سير  
بعجلة ابنه خسرو وميرزا ومعه محمد خان الأمير العسكرى وسكرتيره  
( كاتبه ) ميرزا تقى الفراهانى الذى بلغ رتبة الأمير العسكرى بعد ذلك  
الى العاصمة الروسية ، وفي هذه المأمورية بذل عباس ميرزا الذى لم يكن

يفكر في غير احكام أساس سلطنته القادمة ذروة ضعف النفس وكان غرضه في الحقيقة في الأغلب من ارسال خسرو ميرزا القوسل بباسكيفتش والاستنارة برأيه فيما هو الصالح له ، حتى انه أذاع امام أخوته المطالبين بالسلطنة انهم لو ثاروا عليه فليسوف يلوذ بباسكيفتش ويطلب امداده .

واتفق أن كانت روسيا في تلك الأيام مرتهة بالحرب مع العثمانيين وثورات البلقان وقضية استقلال اليونان وهجوم ابراهيم باشا ابن محمد باشا فلم يكن فيها ولا في القفقاز جيش واحد .

لهذا السبب وأخذوا بشهادة سكرتير السفارة الروسية بطهران الذي كان قد هرب الى تفليس أثناء ثورة الشعب وأقر بخطأ كرييادف ، رأى بباسكيفتش صلاح أمره في المسألة ، لكنه خشية أن تهاجم ايران في هذا الظرف الخطير القفقاز بتشجيع من انجلترا والعثمانيين أفاد من ضعف نفس عباس ميرزا فهدده بالاستيلاء على ولايتي خوى وتبريز وعدم اعادتها ثانية الى ايران لو فكر في مهاجمة القفقاز ، وحدد أن صلاح عباس ميرزا هو أن يتقدم معتذرا على الفور لامبراطور روسيا ويرسل ابنه لهذا الاعتذار الى العاصمة الروسية .

ووافق خسرو ميرزا ورفاقه بناء على أمر عباس ميرزا بطرسبرج ونجحوا في مهمتهم مع أن الخوف على حياتهم كان قائما . وقد شهد سفير انجلترا ببراءة ساحة ايران أيضا ، وقد استقبل امبراطور روسيا خسرو وميرزا باحترام تام بسبب قلقه البالغ على مشاكل البلقان ، حتى أنه تسامح لأجل خسرو في أداء خمسمائة ألف تومان من بين المليون التي كانت ايران لا تزال مدينة بها لروسيا وهي القسط الأخير من الغرامة الحربية ولم يطلب غير أن يبعد الشاه ميرزا مسيح المجتهد عن طهران . وعاد خسرو ميرزا من العاصمة الروسية بعد ثلاثة أشهر الى طهران ، وأرسل الشاه مع عدم قبول شعب طهران ميرزا مسيح الى مشهد وخمدت الفتنة بهذا التحس .

## مأمورية نائب السلطنة الى خراسان ويزد وكرمان :

ولما اطمأن فتح على شاه من جانب روسيا استدعى ولى العهد وخسرو ميرزا وبعد ارضائهم أمر ولى العهد بدفع المتمردين فى خمسة ، وقصد هو نفسه الى فارس لكى يدخل ابنا له آخر هو حسين على ميرزا فرمان فرما ( الأمر ) - الذى انقضت فترة وهو رافض أن يدفع الضرائب الديوانية وطاعة الدولة - طاعته . وسرعان ما أطاع الابن فعاد الشاه عن طريق خوزستان ولرستان وهدان الى طهران .

وفى هذا الوقت وصلت الشاه أنباء أن أحد ذوى النفوذ بيزد واسمه عبد الرضا خان قد رفع علم الثورة وأن حسن على ميرزا شجاع السلطنة والى خراسان والابن الآخر للشاه وطالب ولاية العهد لا يبذل فى القضاء على فتنته ما ينبغى ، فضلا عن أن بلاد خراسان أثناء مشاكل الشاه ولى العهد فى حروب الروس قد صارت بفعل عصيان الخانات المحليين واغارات التركمان والأفغان ميدانا لاستيلاء الثوار من أولها لآخرها .

واستدعى الشاه ولى العهد من آذربايجان لصد المتمردين والقرار الأمور فى القسم الشرقى لإيران وتحرك نائب السلطنة فى عام ( ١٢٤٦ هـ ) وبرفقته ابنائهم محمد ميرزا وخسرو وميرزا وبهم ميرزا ووزيره ميرزا أبو القاسم القائم الثانى من طهران مبتدئا عن طريق قم صوب يزد ، وفى ( ١٢٤٧ هـ ) أخذ يزد من عبد الرضا خان وقبض عليه ، فلما فر شجاع السلطنة أمام أخيه الى كرمان تعقبه نائب السلطنة الى تلك المدينة وأرسله بعد أن أمسك به الى أبيه بطهران فظل حتى آخر سلطنة فتح على شاه تحت المراقبة فى طهران ولم يعهد اليه بمهمة بعد ذلك .

وأبدى غير عبد الرضا خان وشجاع السلطنة مدعون آخرون عصيانهم للدولة فى خراسان وكانوا دائمي التعرض لأموال الناس وأرواحهم وأولهم محمد خان القرائى من خانات تربت حيدرية ثم رضا



قلی خان ایلخان آکراد قوشان وجماعة من رؤساء التركمان رسول سرخس . فأرسل ولی العهد خسرو میرزا بمدفعية عن طريق كوبر احد محمد خان القرائى والاستيلاء على قلاع قهستان وقاينات واتجه هو عن طريق استراباد لضرب رضا قلی خان الى قوشان . وأصر أهل مشهد على الا يدخلوا ولی العهد مدينتهم ، لكنهم لما سمعوا بفتوحات خسرو میرزا فى قائنات وانتصارات ولی العهد فى استيلائه على قلاع رضا قلی خان دخلوا الطاعة فوراً نائب السلطنة بیسر ( الأرض القدسی ) ، ولحق خسرو میرزا بوالده بمشهد بعد استعادة طبرس وترشيز وفرار محمد خان وانتهت فتنة هذين اللئائين على هذا النحو . ومع أن محمد خان أثر الفرار الا أن رضا قلی خان طلب عفو ولی العهد لما لم يرفيه قدرة على الثبات فعفا عنه نائب السلطنة .

ولما كان خطر التركمان لا يزال قائماً ومحمد خان لا يزال هارباً أرسل نائب السلطنة خسرو میرزا الى آذربايجان لكي يأتي بقوات كافية منها الى خراسان ، وكان الذى يدير فى هذه الآونة أمور آذربايجان باسم ولی العهد هو محمد خان زنكنة أمير الشرطة وكبير شيوخ آذربايجان . وأعد خسرو وزنكنة جيشاً جديداً وسيراه الى خراسان ، فهاجم نائب السلطنة بعونهم مدينة سرخس وبعد ذبح عام فى التركمان أمنهم ودفع بهذا فتنتهم .

وكان آخر ثائر لا يزال بثورته فى خراسان هو محمد خان القرائى الذى كان يمد كلما سنحت له الفرصة المتمردين الآخرين فبعث نائب السلطنة بمحمد میرزا لدفعه وأمنه محمد میرزا وأرسله مكرماً الى والده فقال يعيش بنفس هذا الوضع فى خدمة نائب السلطنة .

حصار هراة فى ( ١٢٤٩ هـ ) :

ولما قرت أمور خراسان استدعى الشاه نائب سلطنته الى طهران

وكان الاستدعاء الذي حدث في ربيع عام ( ١٢٤٩ هـ ) لكي يظهر تقديره لخدماته ثم ليدفع به الى الحملة على أفغانستان والاستيلاء على هراة ، وكان هذه الخطوة نتيجة لتحريك الروس لبلاط ايران لأن روسيا قد قام جنودها بالاستيلاء وبسط قوتهم على الأراضي في التركستان وآسيا المركزية ، وبدفع ايران الى غزو أفغانستان كانوا يهدفون الى توليد الخوف في الانجليز منافسيهم في آسيا بتهديد أفغانستان ومعايير الهند التي كانت مدينة هراة مفتاحا لها هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى صرف تفكير ايران عن آذربايجان واستعادة الولايات المفقودة • وكان الانجليز لكي يمنحوا تنفيذ خطة الروس ويسدوا تقدم الجيش الايراني في الشرق يسعون دائما الى توليد الثورات والمشقات في خراسان ، وبتسليح الأفغان وتقويتهم • ولا يدعون يد ايران التي بعد توقيعها معاهدة تركمانشاي دخلت تحت النفوذ الروسي كاملا تتبسط على هذا الجزء الأفغاني •

وكان قرار الشاه بارسال ولي عهده لحصار هراة في الحسب قياما بمعاداة سياسة الانجليز ، فظهر عهد من مشاكل جديدة لايران أفضى في النهاية كما سغرى في أوائل سلطنة ناصر الدين شاه الى الحرب الرسمية بين ايران وانجلترا •

وبعد أن تلقى عباس ميرزا أوامر أبيه بمهاجمة هراة ومع أن صحته أخذت تعتل وتتصرف فقد أرسل خسرو ميرزا ومحمد ميرزا لحصارها من الناجيتين وعاد هو ومعه قائم المقام الى خراسان •

وكانت هراة وقتذاك بيد كامران ميرزا الذي يتبع اسما ايران وباطنا لم يكن لها صفاء بل كان يهاجم سيستان كلما سنحت له الفرصة • وهدد نائب السلطنة عن طريق يار محمد خان وزيره وكان بالجيش كامران ميرزا شديد التهديد ، وكان كامران مستعدا أن يرضى أولياء ايران بأى وسيلة يريدون ، إلا أن الروس المصريين على الحرب دفعوا ولي العهد

التي الحملة على هراة فأناوب محمد ميرزا على حكم خراسان وقام بهذا الأمر بصحبة جماعة من الأمراء القاجاريين ، لكنه استدعى إلى طهران في هذا الوقت عن طريق النساء الذي كان في فترة نقاهة من مرضه ويخشى أن يموت في غياب ولي العهد فتضطرب أوضاع السلطنة . فاضطر ولي العهد إلى إرسال محمد ميرزا مكانه إلى هراة وترك قائم المقام في خراسان على رأس ثمانية آلاف لكي ينطلق بهم لمعاونة محاصري هراة إذا اقتضى الأمر وتوجه هو إلى طهران .

ولما رأى قائم المقام أن حصار هراة أمر صعب بعد تحريك عباس ميرزا توجه إليها وأمر كل أمير بالاستيلاء على القلاع الواقعة على الطريق إلى هراة ، فوقعت المدينة تحت الحصار من أطرافها .

#### موت عباس ميرزا ليلة العاشر من جمادى الثانية ( ١٢٤٩ هـ ) :

ولما وصل نائب السلطنة إلى قصر والده بطهران وكان عليلاً ويشتكي المرض من نحو عشرة أعوام وتحت علاج أحد الأطباء الانجليز طلب إلى والده باصرار أن يسمح له بالعودة إلى مشهد حتى يودع ثراها إذا وافاه الأجل ، فتحرك لهذا من طهران إلى مشهد واشتد عليه المرض أثناء السفر ، وشاء الله أن يموت طبيبه الانجليزي أثناء عودته إلى تبريز لاعداد دوائه فهد هذا الخبر من قوى ولي العهد أكثر من ذي قبل ، حتى وافئته منيته بعد قليل من وصوله إلى مشهد أي ليلة العاشر من جمادى الثانية ( ١٢٤٩ هـ ) ودفن فيها حين كان عمره لم يزد عن السابعة والأربعين .

وكان عباس يعد أعز أولاد فتح على الكثيرين لديه ، وكان عامة من أحسن القاجاريين لأنه ، علاوة على شجاعته ومهارته في الأمور العسكرية ، كان ذا اهتمام يفوق إخوته بالأمور الادارية وتصريف أمور الملك ، وقام أيام حكمه لأذربايجان بتعريف الايرانيين بالحضارة الجديدة والشئون

العسكرية والمدنية الأوروبية ، وفضلا عن ذلك عمل على بناء المدفعية والقلاع وصنع الأسلحة وإنشاء مصانع عدة لنسج البطاطين وإعداد البارود وطبع الكتب في تبريز وخوى على أحدث نظام بعون الأوروبيين ، كما أرسل عددا من الطلبة الى لندن والحرفيين الى روسيا ، وهو أول من أشاع في إيران الطباعة بحروف الرصاص . ولا ينبغي إغفال هذا الأمر عن الانظار وهو أن الشطر الأعظم من الازدهار عهد حكم عباس ميرزا وولايته يعود الى كفاءة ووجود رجال كانوا يعملون تحت امرته من قبيل محمد خان الأمير العسكري ومربي ميرزا تقى خان الأمير الكبير وميرزا بزرگ قائم المقام الأول والده ميرزا أبو القاسم قائم المقام الثانى وميرزا محمد صادق هماى المروزى كاتب ( الوقائع ) وميرزا محمد على المستوفى الآشتيانى وغيرهم .

ولما وصل خبر وفاة ولى العهد رأى قائم المقام الذى كان على وشك الاستيلاء على هراة أن الصلاح فى الصلح مع كامران خان خاصة وأن محمد ميرزا كان يخشى مع وجود أعمامه وأخوته الكثيرين أن يحرم ولاية العهد ، فصالح كامران على عجل بشرط أن يرسل سنويا قدرا من الخراج الى طهران وأتى الجميع مشهدا ومنها الى طهران .

وطالب بعض من أولاد فتح على شاه مثل حسين على ميرزا قائد القواد وعلى ميرزا ظل السلطان وابن دولتشاه محمد حسين ميرزا حشمة الدولة بولاية العهد الى شاه أفشار ، وأسكتهم الشاه بتدابير كثيرة وأصدر فرمان ولاية العهد وحكومة آذربايجان باسم محمد ميرزا وأرسله بمنصب قائم المقام الى تبريز .

وممن اتهم بعدائه لمحمد ميرزا أيضا خسرو ميرزا أخوه الأكبر والأكثر فضلا الذى خلى معسكر آذربايجان خوفا من قائم المقام وركن الى القرار ، ثم أخوه جهانكير ميرزا حاكم أردبيل ، فأمسك محمد ميرزا بهذين الأخوين وحبسهم بأردبيل . وخسرو ميرزا مؤلف كتاب فى

التاريخ هو (نامة خسروان) بالفارسية السهلة ، وجهانكير ميزا بدوره صاحب كتاب آخر تاريخي اسمه (تاريخ نسو) وهو تذييل لكتاب (مآثر سلطانية) تأليف عبد الرزاق الدنبلي المفتون (٢) ويشمل حوادث ما بين سنتي (١٢٤١هـ) و (١٢٦٧هـ) .

### وفاة فتح علي شاه في التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠هـ):

وبعد أن سير فتح علي شاه محمد ميزا إلى آذربايجان تحرك هو من طهران إلى الجنوب لكي يقضي على الشائعات القائلة أن الشاه مات عقب ولي العهد في نفس السنة ولكي يوصل بما بقي من خراج فارس الذي رفض حاكمها دفعه ، ولهذين الأمرين أتى كاشان من العاصمة على رأس ثلاثين ألف فارس وماش ، فوصل حسين علي ميزا الحاكم (الآمر) إلى والده يقيم في كاشان ، لكنه بدلا من أن يسلمه كل ما بقي عليه قدم وحسب ثلاثة عشر ألف تومان فزادت هذه المسألة الشاه الذي كان مريضا مرضا أكثر مما سبق وأمر بحبسه وتوجيه موظفين ومستوفين خاصين لايصال بقية المال إلى فارس ، ومع اشتداد المرض على الشاه فقد فرق جماعة من الخصيان والأعيان بصحبة على الأطراف لجمع الضرائب . وبعد يوم أو اثنين من انفصال هذه الجماعة عن اصفهان أي في التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠هـ) توفي فتح علي شاه في سن الثامنة والمئتين في اصفهان بعد حكم دام سبعة وثلاثين عاما ، وحمل جسده منها ليدفن بقسم .

(١) عبد الرزاق بيك الدنبلي المتوفى في (١٢٤٣هـ) ولد عام ١١٧٦هـ في خوى لكنه رحل إلى شیراز وتردد على محافل العلم والأدب وصار اديبا عالما . وبقي الدنبلي حتى وفاة كريم خان الزندي بشيراز وانتقل إلى اصفهان من بعده وبلغ خيمة فتح علي شاه فقترب إليه وألف تاريخ القاجارية وآثار خاقاني . ومن آثاره الأخرى حقائق الجنان في سير العلماء والفضلاء المعاصرين له وقد أعاد المؤلف تنقيحه وسماه تجربة الاحرار وتسليية الأبرار وتأسى في انشائه بتاريخ وصاف وكلمستان السعدى . وكان الدنبلي شاعرا يتخلص بالغثون غوق انه نائر ومؤرخ .

كان فتح على شاء طوال فترة سلطنته على الدوام في تحريك  
وانشغال بمصارعة الثوار بالداخل والأعداء بالخارج ، ومع أنه لم يكن  
يميل إلى القتال ويفضل عليه الدعة والتلذذ إلا أن أوضاع عهده ألجأته  
إلى الحرب ، لكن شاء قل أن حضر الحرب خاصة حروب الأجانب التي  
لم يأتها قط بشخصه ، اللهم إلا مرة وصل فيها آذربايجان لتشجيع  
الجيش على جهاد الروس وما أن سمع بهزائم جنود ولي عهده حتى آب  
إلى السلطانية .

ويدين أغلب الانتصارات التي صارت نصب فتح على شاء لابنائيه  
الأكفاء وقواده الأقوياء منهم الذين قضوا طوال مدة سلطنته التي دامت  
سبعة وثلاثين عاما على الثوار الكثيرين على الحكم وحفظوا إيران تحت  
أمر وحكم واحد بالرغم من سياسة الأجانب العدائية وهجماتهم عليها .  
وتعود شهرة فتح على شاء الخاصة في الداخل والخارج إلى حبه  
للمتعة والمال وكثرة أولاده وزوجاته وأوضاع بلاطه وبعض أفعاله  
الساذجة البلهاء . فقد ولد لهذا الملك مدة عمره نحو ألفي ولد أبناء وبنات  
وأحفاد . حين مات بقي عنه سبعة وخمسون ولدا وست وأربعون ابنة  
ومائتان وستة وتسعون حفيدا من ابنائه ومائتان واثنان وتسعون حفيدا  
من بناته ومائة وست وخمسون امرأة كن ذات أولاد منه . وكان فتح على  
الشاء يقول الشعر ويتخلص بالقب ( خاقان ) وفترة سلطنته فتح على  
شاء من ناحية ازدهار الأدب الفارسي استمرار للنهضة الأدبية التي بدأت  
في عصر الزنديين ، لا سيما وقد بلغ في هذا العصر تقليد أساليب نظم  
قدماء الشعر الفرس أوجسه ، وقد تزيين في أيامه طبقة من المؤرخين  
والمنشئين الذين أخرجوا النثر الفارسي عن حال الانحطاط عهد الصفويين  
ووضعوه في مساره الصحيح .

## سلطنة محمود شاه

( ١٢٥٠هـ - ١٢٦٤هـ )

لما بلغ خبر وفاة فتح علي محمد ميرزا ابن عباس ميرزا الذي ولى العهد من بعد أبيه جلس على عرش السلطنة في السادس من رجب ( ١٢٥٠هـ ) في تبريز بعون ميرزا أبي القاسم الفراهاني قائم المقام الثاني ، وتوجه في الرابع عشر من هذا الشهر بمحبته سفيراً انجلترا وروسيا والمدفعية وجيش كبير يترأسه لندساي من القادة الانجليز من آذربايجان الى طهران . وقبل بلوغه لها عزم بعض أعمامه مثل علي ميرزا ظل السلطان وحسين علي ميرزا فرمان فرما ( الأمر ) وحسن علي ميرزا شجاع السلطنة خلافة أبيهم ، فاستولى من بينهم ظل السلطان على العاصمة وأعلن نفسه عادلشاه وعلى شاه وسك العملة باسمه وشغل مدة أربعين يوماً حتى قدوم محمد شاه بانفاق أموال الخزانة الملكية والإسراف والتبذير إلى أن وافى محمد شاه طهران في التاسع عشر من شعبان فاستسلم ظل السلطان وعفا عنه الشاه .

وسلك حسين علي ميرزا فرمان فرما ( الأمر ) وأخوه شجاع السلطنة حسن علي ميرزا سبيل الثورة في شيناز وأرسل الأول أخاه للسيطرة على العراق ، ولما كان الشاه يخشى جانب أخويه جهانكير ميرزا وخسرو ميرزا كذلك ويخاف أن ينضموا إلى الثوار غيرهم أمر بسمئهما في أردبيل .

وحين بلغ محمد شاه طهران اختار قائم المقام الثاني لوزارته فأرسل بتدبيره وقيادة لندساي ومنوتشهر خان الكرجي معتمد الدولة قوات متأهبة لدفع شجاع السلطنة لما لحقت به الهزيمة بالقرب من قمشة ، واستعاد معتمد الدولة شيناز من الأخوين الأمر وشجاع السلطنة وتمكن من أسرهما ، فسلم شجاع السلطنة وألقي في السجن ، ولقي الأمر حتفه في وباء عام بطهران .

### قتل قائم المقام في الليلة الأخيرة من صفر ( ١٢٥١ هـ ) :

ولما تغلب محمد شاه مستعينا بقائم المقام وبتدبيره على أكثر طالبي السلطنة واستقر على كرسى الملك هرع على أثر أبيه في قتله اعتماد الدولة حاجي ميرزا ابراهيم فاقتفاه في قتله لميرزا تقى خان الأمير الكبير وهو قائم المقام الثانى مدير الأمور ومؤسس اساس سلطنته ، وكان سبب ذلك فوق الاصلاحات المالية التى أقدم عليها قائم المقام على تنفيذها وكانت على كره من أغلب أعيان البلاط ، أنه كان متصفا بالغرور والاستبداد بالرأى الى حد ما ولم يكن يراعى في تصريف الأمور رأى محمد شاه الضعيف النفس العاجز .

وتألب أعداء قائم المقام مع حاجي ميرزا عباس أو حاجي ميرزا الآغاسى الذى كان يعد نفسه عارفا ومرشدا ولهذا وبسبب سابقة تعظيمه كان اذا نفوذا على الشاه ، وعن طريقه أحنقوا الشاه على من له حقوق مسلم بها عليه وعلى أبيه . وفى الخامس والعشرين من صفر ( ١٢٥١ هـ ) استدعى الشاه قائم المقام من قصر ( باغ لاله زار ) ( ١ ) بجوار شارع لاله زار الحالى بطهران ) وكانت وقتذاك تقع خارج المدينة الى قصر ( باغ نكارستان ) ( ٢ ) ( مكان دار العلوم العالية ) فحبس فيها قائم المقام من غير أن يقابل الشاه حتى الليلة الأخيرة لشهر صفر حين مات فيها خنقا بحكم محمد شاه فى إحدى غرف قصر نكارستان العليا ، ثم دفن جسد هذا الرجل الفاضل الفذ بجوار ضريح ( حضرة عبد العظيم ) .

وقائم المقام الثانى هو ابن ميرزا عيسى أو ميرزا بزرگ شائم المقام الأول — كما أسلفنا — ومن السادات الحسينيين بمهر آباد من فراهان ، وقد نصب بعد وفاة أبيه قائم المقام الأول عام ( ١٢٣٧ هـ ) فى

---

( ١ ) اى حديقة الشقائق

( ٢ ) اى روضة الزينة ( المعرض )



وباء تبريز وزير العباسي ميرزا نائب السلطنة خلفا لوالده ، ومن عام (١٢٤٩هـ) حين مات نائب السلطنة في مشهد احتفظ بهذا المنصب في خدمة محمد ميرزا وتزوج باحدى بنات فتح علي شاه وكانت أخت عباس ميرزا الشقيق ، أو بعبارة أخرى كانت عمه محمد شاه زوجة لقائم المقام .

وكان قائم المقام الثاني فضلا عن كفاءته وخبرته رجلا كبيرا الفضل مشق ونموذج زمانه في حسن الخط وسلاسة الانشاء وجزالة وفن الاستيفاء والسياق ومبتكر لأسلوب جديد في النثر الفارسي ينعدم نظيره في السلاسة والعذوبة والمتانة على وجه الخصوص ، وكان من يعمل تحت امرته فضلا منشئين جميعا . وقد أفضى وجود قائم المقام في تبريز الى تجمع جمع كثير من أهل الفضل والانشاء بها وإلى بعث نهضة جديدة في انشاء النثر الفارسي (٣) .

وبعد قتل قائم المقام غرض محمد شاه وزارته الى حاجي ميرزا الآغاسي وظل هذا الرجل المشهور بالجهل والبلاهة والعجز في المصدرة حتى نهاية سلطنة محمد شاه وكان هذا يبدي عن احترام وحسب خاصين له .

غزو هرات (١٢٥٣ - ١٢٥٤هـ) :

سبق القول ان جنود ايران بعد ولي العهد في (١٢٤٩هـ) وكانوا في

(٣) ولد قائم المقام عام (١١٩٣هـ) ، وكان استادا في علوم الحكمة والادب والنظم والنثر الفارسي والعربي ومنشئاته وتأليفه نموذج فصيح للعصر القاجاري وتنهج نهج الكسنان . أما في الشعر فكان قائم المقام يقتنى الأسلوب الخراساني ومع هذا غله ابتكار فيه وتجديد . ومن آثاره المعروفة المثنوي الفكاهي (جلابر نامه) على لسان أحد خدمه المسمى (جلابر) والذي صار موضع تقليد الشاعر المعروف ابرج ميرزا (متوفى ١٣٠٤ ش) في كتابه (عارف نامه) . وفي جلابر نامه ينتقد قائم المقام أوضاع الجيش والدولة بأسلوب ساخر . وكان لقائم المقام اشعار شكوى حزينة يظهر فيها واضحا آثار الحوادث الدنيوية التي حدثت في حياته .

شغل بحصار هراة بقيادة محمد ميرزا وقائمه المقام الثانى رفعوا أيديهم عن متابعة الحرب فى هذه المرحلة لترتيب خلافة ولى العهد وتعزيز مقام محمد ميرزا وصالحوا كامران محمد وقنع محمد ميرزا أن يؤدى كامران خرجا مسنويا الى ايران ويعد نفسه تبعا لايران \*

وفى أوائل حكم محمد شاه نقض كامران العهد بل هاجم سيستان ، وكان محمد شاه لا تبرح فكره فكرة الاستيلاء على هراة وكسان الروس يودون النفوذ الى هراة بسبب استعمارهم لما حول بخارى وخيوة واقتربهم الى حدود أفغانستان فكانوا يشجعون الشاه على هذا الغزو ، ولذلك لم يبد الشاه كبير الاهتمام بالمستشارين والوظفين العسكريين الانجليز الذى أتوا الى العاصمة طهران وكان من بينهم هنرى راولينسون ( Henry Rawlinson ) العالم المعروف وقارىء نقوش بيستون

المسمارية ، بل سرح القواد العسكريين الانجليز الباقين الفيسن كانوا يعملون فى خدمته وقصد هراة فى التاسع عشر من ربيع الثانى ( ١٢٥٣ هـ ) \*

ولما لم تجد انجلترا التى تعهدت فى معاهدتها مع ايران ألا تتدخل فى خلافات ايران وأفغانستان نتيجة لمساعدتها الى صرف الشاه عن غزو هراة قامت باثارة الأمراء الأفغان على ايران ، ومن ذلك أرسلت رسولا الى دوست محمد خان أمير كابل يدعوهم الى عين كامران ميرزا . وقبل دوست محمد معاونة كامران مقترحا شروطا لذلك فلما رفضها نائب السلطنة الهندى وسعى الروس كذلك سعيا حثيثا فى اجتذاب دوست محمد وأخيه أمير قندهار كهنديل خان اليهم انتهى بهذين الأخوين الى أن انحازوا الى جانب الشاه ولم يفد الانجليز بشئ من وراء مساعدتهم \*

وكان كامران ميرزا معاقرا للأفيون والخمر عاجزا فأقبل وزيره يسار محمد خان على جمع التجند والحكام قلعة هراة وأمدده مهندس المدفعية الانجليزى ( بوتينجر ) ( Pottinger ) خير امداد فى عمله هذا ، ولهذا ظل محمد شاه وقواته عشرة شهور خلف قلعة هراة عاجزين

عن تسخيرها ، أما في شمال أفغانستان فقد نجح الله يار آصف الدولة  
في تحقيق انتصارات هامة .

وأثناء حصار هراة قدم السفير الانجليزي جـون مكنيل  
( John Mcneill ) الى معسكر الشاه وبعد ذهابه الى هراة  
ومقابلته كامران ميرزا ويار محمد نخان قرر أن ينهي الحرب بالصالح ،  
لكن بقدوم السفير الروسي آنذاك سيمونيتش ( Simonitch )  
الى الشاه بدوره وتقويته بعون موظف كبير روسي طلب الشاه من السفير  
الانجليزي دفع غرامة مالية نظير تركه حصار هراة ، ولما استطع السفير  
قبول الطلب أمر الشاه بالاستمرار في الحصار وعاد جـون مكنيل الى  
طهران في أشد الحزن وهدد الشاه أنه لو أقدم على السيطرة على هراة  
فلنسوق تعتبر إنجلترا عمله هذا عملا عدائيا لها ، وبعد فترة قام الأسطول  
الانجليزي بالاستيلاء على جزيرة خرج لكي تمنع الشاه عن قصده .

وفي النهاية حين أدرك الشاه في الثامن من جمادى الآخرة ( ١٢٥٤هـ )  
أنه عاجز عن الاستيلاء على هراة ولن يتحاشى العداء العلني للانجليز  
رفع حصاره عن المدينة بعد تكبد خسائر فادحة وعاد الى طهران دون  
أن يقرر شيئا أو يرتب أمرا مع كامران ميرزا وكان هذه الحادثة لطمة  
قوية لحيشة إيران في الداخل والخارج .

### حكاية آغا خان المصلائي : -

في عام ( ١٣٣٢هـ ) قتل شاه خليل الله من السادات الحسينيين في  
يزد بيد العصاة وكان الرئيس الروحي لبقية الاسماعيلية في إيران والهند  
كما وصل بعد ذلك الى حكم كرمان ، ولكي يسترضي فتح على شاه أنصاره  
زوج ابنه الأكبر آغاخان احدي بناته وجعله حاكما لقم ومصلات .  
وظل آغاخان محترما في بلاط القاجاريين وفسوس اليه مصمد شاه في  
( ١٣٥١هـ ) حكومة كرمان . وفي ( ١٣٥٥هـ ) أثر آغاخان الثورة لاستيائه

من مسلك حاجى ميرزا الآغاسى معه ، فلم يستطع لقاء جنود الدولة فلاذ  
بقلعة بم ، وأقام بعد اتيانته طهران فى ( محلات ) بأمر من الشاه .

وبعد فترة أتى آغاخان الى يزد متذرعاً بالحج فالتف حوله فيها  
المريدون وسلك آغاخان ثانية طريق العصيان . وتوجه لقتاله هذه المرة  
ولد فتح على شاه المحب للفضل بهاء الدولة بهمن ميرزا الذى كان يحكم  
يزد واضطر آغاخان الى التحصن بكرمان ولما غلب على أمره فيها أيضاً  
رحل فى ( ١٢٥٧ هـ ) الى الهند عن طريق قندهار ودخل حماية الانجليز .  
وما تزال أسرته على نفس حاله بالهند تتراأس الاسماعيلية بها وبإيران .

### — خلفاء ايران والعثمانيين : —

التجأ فى عام ( ١٢٥٨ هـ ) محمود باشا والى السليمانية بعد عزله الى  
ايران ، فأرسل محمد شاه رسالة يتوسط فيها له لدى الباب العالى طالباً  
منه اعادته الى عمله الاول ، فلما أغفل الباب العالى قبول طلب الشاه  
أمر الشاه والى كردستان بمهاجمة العثمانيين لمساعدة محمود باشا ،  
فعجز الوالى عن تنفيذ مهمته ولقى الهزيمة فأصدر الشاه أمره بجمع  
قوات همدان لقتال العثمانيين .

وخلاف هذه المسألة فقد كان يحدث دائماً ما بين ايران والعثمانيين  
خلاف حول مشاكل الحدود وهجوم قبائل الطرفين احداها على الأخرى  
وسوء معاملة العثمانيين للحجاج والتجار الايرانيين فى العراق ، من ذلك  
وقت انشغال محمد شاه بحصار هراة أى فى عام ( ١٢٥٣ هـ ) ، جرد والى  
بغداد جيوشه لمهاجمة المحمرة فى مقابل البصرة لحسده ازدهار التجارة  
فيها فخرّب قسماً هاماً منها وأصاب تجارها بأضرار بالغة .

ولازالة هذه الخلافات وتحديد خط الحدود تقرر فى النهاية بواسطة  
سفراء انجلترا وروسيا فى طهران واستانبول تشكيل لجنة من ممثلى  
الدول الأربع ، فتألفت هذه اللجنة ولكن حل مشكلات الدولتين كان صعباً

والمفاوضات طويلة الى حد أنه صعب الوصول الى نتيجة ثابتة .

وفي (١٢٥٨هـ) أرسل والى بغداد الجديد قواته الى كربلاء بحجة أنها ومشاهد الشيعة المقدسة في العراق تعصى أوامره ويتحصن بها كل من يريد عصيان أمره وقام بقتل أهلها فقتل بغلظة نحو ألف من أبرياءها كان كلهم من الشيعة وأكثرهم رعايا لايران .

وحقن الشاه وكان مريضا لما سمع هذا الخبر فأصر على تحريك قواته الى العراق العربى لينتقم لهذا الفعل وحادثة المحمرة من العثمانيين ، لكن ممثلى روسيا وانجلترا تدخلوا ثانية وتقرر تأليف لجنة في أرزنه السروم من مبعوثى الدول الأربع .

وكان يمثل ايران في هذه اللجنة ميرزا تقى خان الفراهانى الذى يخدم في تبريز تحت أمرة ميرزا محمد زنكنة الأمير العسكرى وفي بلاط ولى العهد .

ومكث ميرزا تقى خان نحو ثلاثة أعوام وبضع العام ( من ١٢٥٨ حتى ١٢٦٢هـ ) في أرضروم ( أرزنه الروم ) يتفاوض مع ممثلى الدول المجاورة لازالة الخلافات بين ايران والعثمانيين ، وكان على شفا القتل أثناء هذه المدة أيضا نتيجة لثورة العامة وتحريك الأعداء . وفي النهاية بتاريخ السادس عشر من جمادى الثانية (١٢٦٢هـ) عقدت معاهدة ثانية وتبذلت بين ممثلى ايران والعثمانيين بأرضروم تشمل تسع مواد .

وبموجب المعاهدة الثانية لأرضروم المكتملة للمعاهدة الأولى بها ( المنعقدة في ١٢٣٨هـ ) صرفت ايران نظرا عن مطالبتها بالسليمانية والقسم العربى لولاية زهاب ، واعترفت الدولة العثمانية ازاء هذا بحق تملك ايران لميناء المحمرة وجزيرة الخضر والساحل الأيسر لشط العرب وحق ملاحقتها في هذه الأجزاء ، وقرر أن يتخلى العثمانيون عن معاملتها السيئة السابقة للحجاج والتجار الايرانيين ، وأن يعامل الطرفان رعايا الطرف الآخر وفق القواعد الدولية .

### فتنة سالار في (١٢٦٢هـ):

كان الله يار آصف الدولة قاجار دولو الصدر الأعظم السابق لفتح على شاه وخال محمد شاه قد نصب من أوائل سلطنة محمد شاه على حكومة خراسان ، ولما كان دائم الميل الى بلوغ منصب صدارته السابق ويتذرع دائما بأى وسيلة لهذا الأمر ساءت العلاقات ما بينه وأتباعه وبين حاجي ميرزا الآغاسي ، وكان الأخير يجهد في إقصاء آصف الدولة عن البلاط بسبب استيلائه التام على عقل الشاه والاقبال من شأنه وشأن أولاده بكل طريقة .

وفي عام (١٢٦٣هـ) عصى حسن خان سالار ولد آصف الدولة وكان ينوب عن والده في حكم خراسان بعة كبير سن أبيه أوامر حاجي الآغاسي يدفعه مرض محمد شاه الدائم وخراب أوضاع البلاط ، وظهر بينه وبين بلاط طهران الصراع . وارتحل آصف الدولة الى طهران متظاهرا بالإصلاح ومبطناً تعزيز مكانته ومكانة أبيه والتأثير على الشاه ، ومع أنه أخذ أمر ولاية مشهد لسالار وخراسان لابنه الثاني ، سقط من نظر قبول الشاه لنفوذه حاجي وأجبر على السفر الى مكة والأقامة بالنجف .

أما سالار فقد بدأ بضم قلعة كلات اليه مستعينا بأكراد قوشان ثم اتجه ناحية العاصمة بالقوات التي جمعها وتقدم حتى سبزوار . فأرسل الشاه أخاه حمزة ميرزا حشمة الدولة لحكم خراسان ودفع السالار . وأوقع حشمة الدولة الهزيمة بسالار فيما بين سبزوار وشاهرود فهرب الى قبائل التركمان . وأراد حشمة الدولة تعقب سالار لولا أن شبت بمشهد فتن فأتاها . وفي نفس الوقت تقدم بهمن ميرزا بهاء الدولة الذي كان له حكم آذربايجان وتمرد بتحريض آصف الدولة معذراً واضطرب الى الهجرة الى روسيا وترك إيران .

### ظهور مذهب البابية :-

في أوائل عهد سلطنة فتح على شاه قام أحد علماء الشيعة من أهل

ساحل البحرين أو الأحساء واسمه الشيخ أحمد بن زين الدين ، وكان فصيحاً فاضلاً لكن مفرطاً مغالياً في تشيعه ، بنشر عقائده في أصول الدين بعد مقامه في النجف والتي كانت تخالف عقائد علماء الشيعة الإمامية السابقين ، بمعنى أنه قبل من أصول الدين الخمسة التوحيد والنبوة والإمامة وأنكر العدل والمعاد (أي البعث الجسماني). وقال إن العدل مثله مثل سائر صفات الله الثبوتية وليس من علة بأن يوضع بالاختصاص ركناً من أركان أصول الدين ، وأنكر المعاد الجسماني لأن الجسم يفنى بعد الموت ، وكان يقول إنه لا يبقى من الإنسان غير مسادة لطيفة ، وفي هذه الحالة لا يمكن بعث الجسم في القيامة .

وإزاء ذلك عد الشيخ أحمد الأحسائي الاعتقاد بركن آخر يسميه أتباعه الركن الرابع أمراً لازماً ومن جملة أصول الدين وهذه العقيدة الاعتقاد برجل وكيل أو نائب من بين الشيعة الكاملين يكون واسطة بين سائر الشيعة والإمام الغائب وكان الشيخ أحمد الأحسائي يعد نفسه آنذاك شيعياً كاملاً ويسمى أتباع أحمد الأحسائي بالشيخية .

وبعد الشيخ أحمد انتهت رئاسة الفرقة الشيخية أو مقام الشيعي الكامل إلى أحد تلامذته وكان حاج سيد كاظم الرشتي وكان سيد هذا يعترف له بهذه المكانة من قبل الشيخية حتى سنة وفاته (١٢٥٩هـ) وكان كثرة من التلاميذ يفيدون من مجلس دروسه .

وبعد وفاة الحاج سيد كاظم اشتملت المنافسة بين تلميذيه له بسبب خلافته وعد كل منهما هذا المنصب حقاً له وهما الحاج محمد كريم خان القاجار والسيد علي محمد الشيرازي . وسمى السيد علي محمد نفسه الباب بدلاً من لقب الشيعي الكامل والركن الرابع ، وكان غرضه من إثارة هذه الكلمة التي كانت تطلق على وكلاء الإمام الغائب من زمان الغيبة الكبرى هو أن يكون وسيلة الاتصال بالإمام الغائب وطريق الوصول إلى هذا الفيض . وقد ظل الحاج محمد كريم علي رئاسة الشيخية أصحاب الشيخ أحمد والسيد كاظم بينما قام السيد علي محمد

بالتدريج بتأسيس مذهب جديد سمي البابية • وكان ظهور دعوى السيد على محمد عام (١٢٦٠هـ) سنة الألف القمرية من تاريخ غيبة الامام الثانى عشر التى حدثت عام (٢٦٠هـ) فى عقيدة الشيعة •

وبعد قليل من قيام السيد على محمد وسمع من نطاق دعواه فعدد نفسه الامام الغائب الذى ينتظر ظهوره الشيعة طوال الألف عام وأتى بكتاب سماه (البيان) الذى كان يعتقد زاعما أنه ناسخ للقرآن الكريم • وقد أوجدت دعوة السيد على محمد أشياء لها فى بوشهر وشيراز وبعض بلاد ايران الأخرى ، من ذلك أن منوتشهر خان معتمد الدولة استدعى الباب لأصفهان وجعله تحت حمايته ، الا أن بعد وفاة معتمد الدولة فى (١٢٦٣هـ) لما أخذ الباب يدعو لنفسه فى اصفهان ، سيق بأمر من محمد شاه منها الى آذربايجان وحبس بقلعة (تشرهيق) وفى شعبان (١٢٦٦هـ) كما سنرى أطلق عليه النار بناء على فتوى علماء تبريز •

وفاة محمد شاه ليلة السادس من شوال (١٢٦٤هـ) :-

اشتد فى أواخر عام (١٢٦٤هـ) مرض النقرس على الشاه وكان يؤلمه دائما وكان محمد شاه مريضا بأمراض أخرى ، وفى النهاية مات ليلة السادس من شوال فى قصره الجديد فى غرب (تجريش) وهو فى نحو الثانية والأربعين ، وقد استغرق حكمه أربعة عشر عاما وثلاثة شهور • ولم يكن محمد شاه بوجه عام ملكا حميدا فهو معروف بضعف النفس والعجز ، وقد خرب حبه الخارق الذى كان يبديه للحاج ميرزا الآغاسى أغلب الأمور لأن قوة نفوذ هذا الحاج بلغت ذروتها فى طول مدة حكمه ، ولم يكن يهتم بشكوى تصله منه أو أتباعه ، بل ان هذا الشاه الضعيف كان معتقدا فى كرامات للحاج وكان يقابل قوله ورأيه بالاحترام والقبول من كل جهة • وكان للحاج أيضا سياسة فى التعمير والدفاع عن المملكة ، ولهذا أنفق أكثر أموال البلاد باسراف فى بناء المدافع وشق الترع ولم يثمر فعله غير اضاءة المال سدى •



## الفصل الثامن عشر

سلطنة ناصر الدين شاه

(١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ)

زادت أوضاع إيران بعد موت محمد شاه والتي سادت بسبب عجز الشاه والحاج ميرزا الآغاسي سوءاً على سوء خاصة وأن أكثر كبار البلد قد أظهروا عصيان الحاج الآغاسي لسخطهم على أفعاله وحنقهم عليه وكانوا يترقبون سانحة للقيام عليه وطرده . فقد ركن سالار ولد آصف الدولة للثورة في خراسان من ناحية ومن ناحية أخرى بعث انتشار مذهب البابية والشقاق الذي أوجده بين الناس والمشاحنات التي جرت في الولايات الى تزلزل الأوضاع .

ولما رأى حاجي ميرزا الآغاسي أن الوزراء وغيرهم لا ينصاعون الى أمره وانهم ينتظرون مقدم ولي العهد ليطلبوا اليه عزله عن رئاسة الوزراء ، بدأ فجمع عددا من الجنود في طهران حوله حتى سمع منه مهمة بطلب السلطنة ، لكنه في النهاية لما رأى أنه لن يستطيع تحقيق فعل اضطر الى التحصن بـ ( حاضرة عبد العظيم ) اشفاقا واحتمى بضريحه . وأفضى ذبوع خبر موت محمد شاه وحركة الآغاسي لا الى انحلال الأمور عن نظامها وترتيبها في طهران وحسب وإنما الى اشتعال الفتنة والاضطرابات في غالب الولايات أيضا ، وأخذ كل من الكبار يأخذ برأيه وفقط في العاصمة ، وطلق الجميع يدعى أن ولي العهد بعد قدومه سيعطيه الصدارة أو رئاسة الوزارة .

أما من أمسك بأزمة الأمور بكفاءة وخبرة بالأمور الى حد ما في

العاصمة حتى قدم الشاه الجديد فقد كانت (مهد عليا) أم ولي العهد وأدارت دفعة الأمور بعون قلى ميرزا الذى لقب باعتضاد الدولة بعد ذلك وكانت له وزارتها بعد مفاوضات مع ممثلى روسيا وانجلترا السياسيين . واستدعى ولي عهد الدولة ناصر الدين ميرزا وكان يومذاك لا يزيد عن السادسة عشرة ويقيم بتبريز من طرف مهد عليا وممثلى روسيا وانجلترا الى طهران .

وكانت ادارة أمور آذربايجان العسكرية كما قلنا سابقا فى ذاك الوقت بيد محمد خان زنكنة الأمير العسكرى وكتبه ميرزا تقى خان الفراهانى الوزير العسكرى ، فلما كان تحرك الشاه الجديد الى طهران وقد اقترن به اشتغال الاضطرابات بالعاصمة وفى الطرق لا يمكن بغير قوات كافية فقد تكفل الأمير العسكرى بالأمر فبذل أقصى كفايته وتدبيره فى هذا الشأن . ولما لقى هذا الأمير بين ذلك حفته ، منح ناصر الدين شاه لقبه لميرزا تقى خان وأوصل الأمير العسكرى الجديد الشاه الذى سبق أن جلس مكان أبيه فى تبريز فى الرابع عشر من شوال (١٢٦٤هـ) الى طهران العاصمة ، ولقب الشاه قبل دخوله لها ميرزا تقى خان الأمير العسكرى بلقب الأتابك الأعظم واختاره لرئاسة الوزارة فبدل هذا الاختيار آمال كثير من الطامحين الى هذا المنصب الى يأس فأخذوا من هذا الوقت فى معاداة تقى خان وتحطيم أمره وكان أكبر هذه الجماعة ميرزا آغا خان النورى وزير الجيش الذى سبق أن نفاه الحاج الآغاسى الى كاشان وقدم الى طهران بعد احتمائه بضريح عبد العظيم ودخل المدينة تحفه مظاهر الاحترام تحت حماية السفير الانجليزى ويبدو أن الانجليز كانوا يخططون لابلاغه الصدارة رغم أنف تقى خان الذى ظنوا أنه يميل الى السياسة الروسية . وأمر ناصر الدين شاه آغا خان بالعودة من حيث أتى لأنه دخل طهران بدون أذنه ، لكنه بقى بالعاصمة بوساطة الانجليز وتقرر أن يمارس عمله السابق تحت إمرة تقى خان .

## القضاء على فتنة سالار في (١٢٦٦ هـ) : -

بعد أن فر حسن خان سالار الى التركمان ، ظهر عن حمزة ميرزا حشمة الدولة وأتباعه على غير ما يجب عجز وتقصير فذهبوا أموال الناس وأرتكبوا فيهم أفعالا مرذولة فأخذ محمد خان أخو سالار وكان متحصنا بمشهد مع جماعة من رفاقه يؤلب الناس ضد حشمة الدولة الى أن انحاز أهل هذه المدينة الى سالار وثاروا مؤيدين له ، واتجه سالار بدوره بمعونة التركمان نحو المدينة فأنزلوها بجند حشمة الدولة الهزيمة وحاصروه بها الى وقت شيوع نبأ وفاة محمد شاه .

وفي تلك الأثناء هاجم مدينة جام يار محمد خان الأفغاني الوزير السابق لكامران ميرزا حاكم هراة الذي سبق أن قتل أميره في (١٢٥٦ هـ) واستقل بها ، وألقى في روع حشمة الدولة وسالار كليهما أنه قادم لمعون كل منهما ، فلما بلغ مشهد انحاز الى حشمة الدولة وأنجاه من الحصار ، لكنه لم يستطع التغلب على سالار بسبب نقص المؤونة فانسحب الى هراة وجد سالار في أثره حتى جام وصارت خراسان في حالة عجيبة من الهرج والموضى .

والكى يقضى الأمير الكبير على فتنة سالار ويقر أمور خراسان أمر أخا حشمة الدولة سلطان مراد ميرزا بالتوجه من طهران ومعه مدفعيته وسبعة آلاف من المشاة الى خراسان فغلب سلطان حشمة الدولة على مقربة من جوين ، وبعد أن ضم اليه سبزوار وترشيز ونيشابور استدعى حشمة الدولة وكان يعيش في حوالى هراة في حماية يار محمد خان ، وأرسله الى طهران بأمر من الأمير وولى هو خراسان .

وبقى سلطان مراد كل عام (١٢٦٥ هـ) يحاصر مشهد ويحارب أتباع سالار وكان الأمير يمدد من طهران دائما الى أن ضاق الأمر على المحاصرين أوائل عام (١٢٦٦ هـ) ودخل سلطان مراد مشهد ، فاحتفى سالار وأخوه رولداه بضريح الرضا وخطب الى سلطان عفوه ، لكن هذا الأمير وقد شهر بغلظته وشدته أورد سالار ومن معه ليلة الاثنين

السادس عشر من جمادى الآخرة (١٢٦٦هـ) مورد التلف وانتهت بهذا  
فتن خراسان ولقب سلطان مراد ميرزا بلقب حسام السلطنة

### ثورة البابية :-

أثناء حبس السيد على محمد بشيراز واقامته باصفهان دعا من  
اعتنقوا مذهبه الناس في غالب ولايات ايران الى هذا الدين الجديد  
وساروا في تبليغه والدعوة اليه وارتفع أمرهم خاصة في يزد وخراسان  
ومازندران وزنجان ، وكان علماء الدين والحكام يتعقبونهم بشدة فانتهى  
الأمر بينهم بالتدريج الى التنازع والفتن والقتل وبدلا من أن ينتهى ذلك  
الى القضاء عليهم كان يؤدى على النقيض الى توليد المصاعب ومضاعفة  
تعصب البابية في نشرهم دينهم الجديد وفي تفانيهم فيه ، وكانت هذه  
الطائفة تعد الأمير الكبير مسئولا عن عدم تقدم أمرهم ، لذا تأمرت على  
قتله فانكشفت مؤامرتهم ولقى المتآمرون عذابا شديدا .

وأرسل الأمير الكبير جنودا من الخاصة للقضاء على البابية بعد أن  
صاروا مبعث اختلال الأمن في غالب الولايات ، فغلبوا وقتلوا في كل  
مكان رؤساءهم ، لكنهم ووجهوا في مازندران وزنجان مقاومة شديدة  
منهم . وفي النهاية تمكن الأمير الكبير من هزيمة البابية في هاتين  
الولايتين في عام (١٢٦٥هـ) وكانوا مستبسلين في الدفاع عنهما ،  
واستصفى قلاعهم .

وبين كان القتال مستعرا مع البابية ، كان السيد على محمد سجين  
قلعة تشهريق بأذربايجان ، فلما قضى على مجاهدى البابية تقرر قتل  
امامهم ، فأتى بالسيد على محمد من تشهريق الى تبريز ، وبعد عقد  
مجلس مناظرة بينه وبين علماء تبريز قتل بالرصاص يوم الاثنين السابع  
والعشرين من شعبان (١٢٦٦هـ) .

ولما قتل السيد على محمد ثار الخلاف بين أتباعه على خلافته ،  
فانحازت جماعة قليلة الى ميرزا يحيى المعروف (بصبح الأزل) وتبعته  
الأكثرية ميرزا حسين على بهاء الله وكان هذان الرجلان من أهل قرية

(نور) بمارندران وأخوين من ناحية الأب ، وعلى اتفاق في البداية ، لكن التنافس شب بينهما بعد ذلك بقليل ، فقام اتباع بهاء الله وهم البهائية بمعادة أشياع صبح الأزل وهم الأزلية وكان الأزلية هم القلة .

وفي عام ( ١٢٦٨ هـ ) أى بعد قتل الأمير الكبير أطلق البابية النار في طهران في الثامن والعشرين من شوال على ناصر الدين شاه ، لكنهم أخطأوه ، وبسبب ذلك قبض على جماعة من رؤسائهم وقتلوا أشنع قتلة .

### عهد صدارة الأمير الكبير والانجازات الهامة لهذا الرجل العظيم : —

كان ميرزا تقى خان الأمير العسكرى وهو بلا شبهة من كبار رجال الدور الأخير لتاريخ ايران من أهل هزاوه أصلا وهى من قرى فراهان ، وكان أبوه ( كربلائى قربان ) في بداية حاله في خدمة ميرزا أبى القاسم قائم المقام الثانى يعمل طباحا ثم ناظرا ، وتربى الأمير أيضا منذ عهد شبابه في معية قائم المقام ، وصار من كتاب هذا الرجل الكفء ، ثم بلغ منصب مساعد ميرزا محمد خان زنكنه الأمير العسكرى ولقب بلقب الوزير العسكرى . وقد بدأت شهرة ميرزا تقى خان من وقت مأموريته مع خسرو ميرزا الى بطر سبرج ، وأثناء سفارته الى الدولة العثمانية وعقده معاهدة أرزنه الروم الثانية ونتيجة للكفاءة التى ظهرت منه أيام اقامته في هذه المدينة ، بلغت شهرة تقى خان الوزير العسكرى الى كل الأسماع واعترف القاصى والدانى بمهارته وأملوا في مستقبله الوضاء .

وكما سبق الشرح ، ورث ميرزا تقى خان منصب ميرزا محمد خان زنكنه بعد موته ولقبه في آذربايجان ، وبذل في ابلاغ ناصر الدين شاه الى طهران واجلسه عرش السلطنة غاية كفاءته ، ونصب في رئاسة وزارة ايران ( صدارتها ) مع وجود كثير من الطامحين بلقب الأتابك الأعظم ( الحادى والعشرين من ذى القعدة عام ١٢٦٤ هـ ) ، وتزوج في السنة التالية بأمر الشاه من أخته ، فزاد عن ذى قبل قوة ونفوذ .

وحينما قبض الأمير الكبير على أزمة الأمور كانت أوضاع ايران

مختلفة من كل ناحية ، فحق فتنه سالار والبابية وقصف الطامعون في السلطنة والصدارة في كل جانب يترقبون فرصة ويثيرون القلاقل ، وكان نظام الجيش متضعفا وكانت الخزنة خاوية وعدد المتطقلين الذين احتازوا من محمد شاه وحاجي ميرزا الآغاسي أنواعا مختلفة من الاقطاع والوهبات لا حصر له ، وكان الموظفون الأجانب يتدخلون في شئون البلاد الداخلية على أى نحو يشاؤون ، ولم تكن ايران تشابه البلاد الراقية من حيث الادارة والنظم التى رأى الأمير بعضها وسمع وصف بعضها الآخر في شئ ، ولم تكن لديها من العلم والصناعة أساس يمكنها به أن تؤمن مستقبلها ازاء البلاد المتحضرة . وبدلا من أن يظهر هذا الرجل المخلص ذو العزم العجز أمام كل هذه الموانع والمشاكل أقبل بقوة عظيمة على اصلاح ما تخرب وازالة نواحي العجز واستجلاب أسباب التعمير وإنتاج الثروة وتهيئة أسباب تعليم الشعب واصلاح المالية والجيش والنهضة بالبلد ، لكن للأسف كان هذا الرجل وحده وله في البلاط والداخل والخارج أعداء أقوياء وغرماء متسلطون يقفون سدا في طريقه ويحولون دون تقدم أعماله الاصلاحية .

ومع أن فترة رئاسة الأمير الكبأ للوزارة كانت قصيرة ( ثلاث سنوات وثلاثة شهور ) ومع وجود عظم المشاكل وسعاية السعاة وعداء خصومه المستمر ، فقد خلف آثار الخير في تنظيم ادارة كل شئ بايران وتمهيد طريق رقى هذا البلد ونهضته بحيث تجعل المرء حين يلحظ فهرسها يدين بالاعجاب بهذا الرجل ويقر بعظم مكانته وكانت هذه الأعمال الخيرة عن حبه لوطنه وعزة نفسه واستقامته فضلا عن مهارته وخبرته وقوته المتميزة ، وهالك خلاصة انجازات الأمير الكبير واصلاحاته :

١ - أمر الأمير في أول عهده بحذف الألقاب وصفات التشريف التى لا معنى لها والتى كان الكتاب جارين عليها حسب عادة العهد

الصفوى وأوائل القاجارى فى مراسلاتهم وأن يكتبى فى خطابه بلفظ  
(جناب) عن لقب الصدر الأعظم ، \*

٢ — سد طريق كافة العائدات غير المشروعة التى كان موظفو  
الدولة يأخذونها عنفا من هذا وذاك تحت اسم ( المداخل ) ومنع الارتشاء  
تماما وجعل لكل مأمور وموظف راتبا حسب كفاءته وعمله .

٣ — وبعد وصوله الى طهران بفترة وجيزة عين هيئة لتحديد  
ميزان الدخل القومى والمنصرف واتضح فى الحال أن وضع المالية ليس  
سيئا الى الحد الذى كان متصورا ، لأنه مع وجود النفقات الضائعة  
سدى فلم يكن رصيد الخزانة دينارا واحدا وكان يلزم فوق ذلك أموال  
على وجه السرعة للقضاء على فتنة خراسان وثورة سالار وتجهيش  
الجيوش لذلك .

وعلاجا لذلك أسقط الأمير الكبير فى الخطوة الأولى أغلب الاقطاعات  
والهبات الضائعة التى كان رجال الدين والأمرء والمتملقون يحصلونها  
بغير استحقاق ، ولم يأبه اذ ذاك بقول أحد لأنه لم يكن هو نفسه قابلا  
للمرشوة أو يسير طريقه بالتهديد أو الترغيب ، وبهذا النحو خفض مبالغ  
عظمى من نفقات الدولة وجعل وصول الضرائب تحت نظام عادل ، وروج  
التجارة الداخلية والخارجية بمدد ظل الأمن لها وبحمائيتها للتجار رواجا  
تاماً ، وشجع الصناعة المحلية وحث الصناع على احتذاء للصناعة  
الخارجية ، وبعث بفريق منهم لتعلم الحرف والصناعات الى بلاد  
الغرب ، وبذل كبير مساعيه للاستزراع وتعمير البلاد ، ونتج عن ذلك أنه  
لم يعتدل ميزان الدخل والمنصرف وحسب بل توفر مال فى الخزانة أيضا  
عندما أخلى الأمير الكبير عن الأمور .

٤ — ولكى يعلم الأمير الكبير الشعب ويوقظه أقدم على نشر  
الصحف وترجمة الكتب وتأسيس ( المدرسة العالية ) بطهران فضلا عن

ارساله بعض الطلبة الى البلاد الأوروبية واستخدام المعلمين والأساتذة الأوروبيين ، وأسس مدرسة دار الفنون لتعليم الطب والفنون الحربية واللغات الأجنبية ، وإن كان افتتاحها قد حدث بعد عزل الأمير بمدة قليلة .

وقد أمر الأمير الكبير ببناء مدرسة مناسبة لإنشاء دار الفنون ، واستقدم عددا من المعلمين والمستشارين من النمسا ، وقد تم بناء المدرسة ووصول المعلمين الأجانب بعد اعتقال الأمير بنحو ثلاثة شهور ، وافتتحت دار الفنون رسما في الخامس من ربيع الأول ( ١٢٦٨ هـ ) ، ودخلها للتعليم بها أول أمرها مائة من الأمراء والأعيان ورجالات الدولة بلبس خاص لتحصيل فنون المشاة والفروسية والمدفعية والهندسة وأفرع الطب واللغات الأجنبية .

هـ — وحين بلغ الأمير طهران ، لم يكن جيش ايران النظامي يزيد عدد الموجودين به عن الثلاثمائة جندي مع انه كان اسما يضم أربعة آلاف ، فتوجه الأمير من فورهِ وقد كان القائد العام لجيش ايران أو الأمير العسكري ( أمير العسكر ) وله معرفة كاملة بالفنون العسكرية أيام عباس ميرزا وهو بأذربايجان الى اصلاح أمور الجيش منظم جيشا متدربا على يد المعلمين الأوروبيين (١) تغلب بهم على ثورات الولايات فضلا عن أن البنادق وبعض الآلات الحربية الأخرى رمهات الجيش

( ١ ) يقول القاءاني في مدح الأمير :

زدت عدد الجيش بمقر عرش الشاه  
بعد أن مشائنه وخرسانه غطوا طريقا مسيرته شهران ( سياقي )  
والقاءاني هو ميرزا حبيب الله المتوفى ( ١٢٧٠ هـ ) شاعر كبير ابن شاعر  
ايضا ، ولد عام ( ١٢٢٢ ) بشيراز وتعلم بخراسان وتغرب الى حسن علي  
شجاع السلطنة فتخلص باسم ابنه أوكتاى قا آن وعن طريقه اتصل بفتح علي  
ومحمد شاه وناصر الدين ومدهم . والقاءاني من أشهر شعراء القصيدة في  
العصر القاجارى نسج على منوال شعراء خراسان خاصة المنصرى والغزنى  
ومنوتشهرى . وله فوق ديوان شعره كتاب باسم ( بريشان ) أى المتفرق  
والمضطرب نثره يحاكي الكستان . ومع انه أول شاعر ايرانى تعلم الفرنسية  
الا انه لم يقاتر بمهرته بها في شعره .



قد صار أمرا متداولاً بإيران ، وقد شجع الأساتذة الإيرانيين على تقليد الأوربيين في هذا المجال بمددهم بالمساعدات والحوافز .

٦ - قبل صدارة الأمير الكبير خاصة بعد تحميل إيران معاهدة تركماننتشاي كان سفيرا روسيا وانجلترا يتدخلان في أمور البلاد الداخلية كيفما يشاءان وكان الشاه ووزرائه في حقيقة الأمر آله لتنفيذ مطالب أحدهما حيناً والعبوة في يد الآخر حيناً آخر . فحدد الأمير الكبير من نفوذ هذين السفيرين في طهران بحسم وقال ان تدخل الأجانب في الأمور الداخلية يكون معقولا ومسموحا به الى الحد الذي لا يصدم فيه كرامة الأمة ومنعتها ، وفي حين تحرك ناصر الدين شاه عن تبريز لم يسمح للمفصل الانجليزى أن يتعهد بحماية الأرمن بها ، لأنه كان يعد هذا الأمر من واجبات دولة ايران . ولما طلب سفيرا روسيا وانجلترا أثناء فتنة سالار وحصار مشهد التوسط للصلح بين الدولة وثور مشهد أجاب الأمير بصراحة أن أهل مشهد يفضلون أن يسقط منهم عشرون ألفا صرعى على أن يستولى الشاه على مدينتهم بواسطة الأجانب .

٧ - بدأ الأمير الكبير كذلك بانجازات لتجميل طهران ورفع مستوى حال أهلها والارتقاء بالعاصمة ، فأنشأ لهم سوقا ومنزلا للقوافل ( خاناً ) سمى باسمه وبناء خاصا جديدا يضم بضعة دكاكين لم يكن لها مثيل من حيث الجمال والجدة في طهران ، وخطط لجلب بعض مياه نهر الكرج لشرب الناس وتعمير المدينة وأمر بتنظيف الحمامات وكانت له في هذا المجال خطط أخرى لم يوفق في انجازها بسبب قصر فترة صدارته .

### عزل الأمير وقتله :-

مع أن انجازات الأمير الإصلاحية كانت كلها تتضمن الخير والنفع العامين وفي حالة درام صدارته كانت ايران تقترب بالسعادة والرفق

والرفعة الا أنها كانت تحرك ازاء ذلك حسد المغرضين وعداء الطفيليين يوما عن يوم بسبب أنه أبعدهم عن الأمور لفسادهم وعجزهم وأقنن طرق نفوذهم ومنافعهم ، وكانت هذه الشرذمة تأمل في وسيلتين لطرح الأمير أرضا هما صغر سن الشاب وعدم هتكته ونفوذ أمه مهد عليا الخارق والتي لم تكن من البداية على نظرة حسنة للأمير وكانت تحتج في الظاهر في عداؤها له بأنه من عائلة متواضعة ولهذا قطع باستبداد تام رواتب الأمراء والأعيان والنجباء ورجال الدين وما كان يجري عليهم من أموال وقصر أيديهم عن سائر الأمور بينما كانت حقيقة الأمر أن الأمير قد قطع على مهد عليا طريق أفعالها ونفوذها الباطل وسد على بعض أعمال لهوها ، لهذا كانت على عناد تام له وتريد بكل وسيلة أن تجلس في مكانه ميرزا آغا خان النورى وزير الجيش .

وأول حركة معادية علنية صدرت عن أعدائه ضده حدثت بعد توليه الصدارة بنحو خمسة شهور أى بعد مرور عشرة أيام من زواجه بأنخت الشاه رغم رفض مهد عليا ، فقد حرض أعداء الأمير في الثامن عشر من ربيع الثانى ( ١٢٦٥ هـ ) خمسة أفواج ( ألفى جندى وخمسمائة ) من الجنود الأذربايجانيين المقيمين بالعاصمة وكانت رواتبهم قد تأخرت على الثورة على الأمير الكبير وطلب تغييره . فالتف الثوار حول منزل الأمير وتهتكوا في أفعالهم وأفسدوا وقتل اثنان من خدم الأمير في هذه الحادثة ، ولم يجد الشاه وقد عجز عن اخماد هذه الفتنة بدا من قبول طلب عزل الأمير . وأتى الأمير منزل ميرزا آغا خان ، وتمكن آغا خان وجمع آخر من اخماد ثورة الجنود بمشقة وعاد الأمير الى عمله ولقب آغا خان بلقب اعتماد الدولة .

ومع أن ناصر الدين شاه كان لا يزال اذ ذاك حدثا فقد ظل لفترة يقاوم ايعازات أعداء الأمير وتحريضات أمه وكان يدافع عن أعمال هذا الأمير وانجازاته ، لكنه صار بالتدريج مغلوب مكرهم ، وبدأ من أواخر

عام (١٣٦٧هـ) يغير نظره شيئاً فشيئاً إلى هذا الأمير المحنك خاصة وأنه كان أثيراً جداً عند الجنود وأفهم المعرضون الشاه أن الأمير يفكر في السلطنة ، وبسبب أن الأمير كان يستخدم بعض الاستبداد في تنفيذ أعماله وكان غالباً لا يهتم بأوامر الشاه "شاه" ، اتشد سوء ظن الشاه به ، إلى أن حدث أن استدعى الأمير في رجوعه من سفر لأصفهان أحد أخوة الشاه إلى طهران وكان الشاه قد نصبه على حكم قم مخالفاً بذلك أمره ، وأقر الشاه أخاه مرة ثانية على حكم هذه المدينة من الأمير لما فعل ، ولما أتى إلى طهران ، لم يعد يستدعيه من العشرين من المحرم (١٣٦٨هـ) إلى البلاط وأصدر فرمان عزله عن الصدارة ، لكنه ترك منصب أمارته للعسكر له ، وجعل ميرزا آغاخان اعتماد الدولة النوري وزير الجيش السابق رئيساً لوزرائه .

وبعد عزل أمير العسكر ، خافت مهد عليا واعتماد الدولة من بقاء الأمير في طهران وخشوا أن يعطف الشاه عليه بعد قليل فيدعوه ثانية إلى الصدارة فحثوا الشاه أن يكلف الأمير بحكم فارس أو قم أو أصفهان . ولم يقبل الأمير الأمر بداية ، لكنه انتهى إلى الرضا بحكم كاشان . وفي هذه الأثناء أرسل السفير الروسي والذي كان يبدي اهتماماً خاصاً بالمحافظة على حياة الأمير ولم يكن راضياً بصدارة اعتماد الدولة ، جماعة لحراسته جهلاً منه أحاطت بمنزله . فأغضب هذا العمل الطائش الشاه ورجاله وبعث على أن يبعد الأمير إلى حديقة ( غين ) بكاشان . ولما خشى رجال البلاط خطوات السفير الروسي وأعمال نفوذه لأرجاع الأمير حرضوا الشاه في النهاية على إصدار أمر قتل هذا الرجل الذي ليس له نظير ، وأرسلوا إلى كاشان جلاداً خاصاً شاء الله أن يكون ممن رباهم الأمير ونشأهم ، فحرض في الثامن عشر من ربيع الأول (١٣٦٨هـ) الدلاك على قطع عروقه وهو بالحمام ، ولفظ الأمير الكبير آخر أنفاسه في حمام فبن بكاشان بهذه الطريقة المؤلمة دون أن يبدي عجزاً أو استغاثة وحمل جسده منها ليدفن بمشهد .

## الاستيلاء على هراة في (١٢٧٣هـ) :-

لم يكن ميرزا آغاخان النورى الذى ولى الصدارة بعد عزل الأمير الكبير وكان لقبه اعتماد الدولة في كفاءة هذا الأمير ولا حنكته في أى شىء وكان غير جدير لأفكار هذا الرجل الماهر البعيد النظر العالية ولا انجازاته للمصلحة ، فبدأ في أول خطوة له بعزل أغلب حكام الولايات والعمال الذين نصبهم الأمير وأحل محلهم معارفه والمتعلقين به وأعاد قدرا من الرواتب التى بغير حق والمجريات التى قطعها الأمير لاصلاح وضع الخزانة وأمحت أكثر اصلاحات الأمير الكبير بسببه ولأسباب أخرى أو توقفت .

وتزامن القسم الأخير لصدارة اعتماد الدولة النورى التى استمرت من (١٢٦٨هـ) حتى (١٢٧٥هـ) مع وقائع عظمى مثل حروب القرم (الكريمة) في شبه جزيرة البلقان وسواحل البحر الأسود الأوروبية ما بين روسيا من ناحية والعثمانيين وروسيا وفرنسا من ناحية أخرى ، ولما كان العثمانيون والانجليز من كبار جيران ايران يتقاتلون في هذه الحروب ضد روسيا جارتها الأخرى فقد سعت الدول الثلاث الى أن تجتذب ايران الى كل منها ، وكانت روسيا تؤمل ايران بعود لمهاجمة العثمانيين وأفغانستان من ناحية وكان الانجليز والعثمانيون يوعدونها من ناحية أخرى بعود لاكتساب وحدتها معهما أو حيادها . ولسوء الحظ بدلا من أن تسفيد ايران من هذه الفرصة السانحة جرت اليها بسبب صغر سن الشاه وجهل الصدر الأعظم ضررا كبيرا بمعنى أن الشاه غير رأيه مرارا في انحيازه لأحد الطرفين ، وارتفع الخلاف بينه وبين الصدر الأعظم لأن كلا منهما كانت له سياسة خاصة وفي النهاية حينما أراد الشاه أن يدخل الحرب مساعدا الانجليز والعثمانيين وفرنسا ضد روسيا رفض الحلفاء اقتراحه لأنهم كانوا على شفا هزيمة روسيا ولأنهم كانوا يرون أنه سوف يتوجب عليهم بعد ذلك الحفاظ على ايران من انتقام

روسيا بامداداتهم العسكرية وكان هذا الأمر يعنى أخطارا عظيمة لهم  
ولهذا فقد رضوا بحبياد ايران .

وكان اعتماد الدولة حتى هذا التاريخ قد أظهر انحيازه التام الى  
الانجليز لكنه غير رأيه بسبب عدااء شخصى مع سفير بريطانيا بسبب  
مسائل واهية ، وبسبب رسالة شديدة كتبها الى السفير الانجليزى ،  
غادر هذا السفير وأعضاء سفارته العاصمة فى الخامس والعشرين من  
ربيع الأول (١٢٧٢هـ) وانقطعت العلاقات السياسية بين ايران وانجلترا  
مع مساعى سفير فرنسا البالغة لازالة الخلاف بين الصدر الأعظم  
والسفير الانجليزى .

ومات يار حمد خان عام (١٢٦٨هـ) وكان أولا وزير كامران ميرزا  
ثم استولى على هراة بعد قتل أميره وظل حاكما لها وذلك بسبب اظهاره  
الطاعة لايران ولوالى خراسان ، رظفه ابنه صيد محمد خان وسار سيره  
أبيه أيضا فى طاعة ايران ، لكنه بما أنه كان عتلا قبيح الملك دعا أهل  
هراة فى غيابة محمد يوسف ميرزا خفيد فيروز ميرزا وكان مقيما بمشهد  
اليهم فوليها فى المحرم (١٢٧٢هـ) وأرسل الى بلاط ايران عهد تبعية  
واسنقر فى حقيقة الأمر على حكم هراة تابعا لها وقبض على صيد محمد  
خان وقتل .

وتقدم دوست محمد خان حاكم كابل وقندهار بعد تصالفيه مع  
الانجليز للاستيلاء على هراة فاستمد محمد يوسف حسام السلطنة والى  
خراسان ، لكنه بعد وصول الجيش الايرانى سلك طريق الخيانة وأخذ فى  
نهب الجيش الذى قدم لمساعدته . وتحرك هذه المرة حسام السلطنة  
بنفسه الى هراة وألقى بحصاره عليها وبقت هراة من رمضان (١٢٧٢هـ)  
حتى الخامس والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) تحت حصار الجيش الايرانى  
ولم يكف طوال هذه المدة حسام السلطنة عن حربه بالرغم من تهديدات  
الانجليز ومساعى دوست محمد الى أن فتش فى النهاية فى الخامس

والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) قلعته المحكمة عن طريق مهندس فرنسي ، ودخلت هذه المدينة تحت تصرف ايران المباشر وهى من المعابر الأساسية للهند .

وفي أثناء حصار هراة أرسل اعتماد الدولة فرخ خان أمين الدولة الكاشاني ، وقد فوض اليه كافة التصرف ، الى استانبول وباريس لاصلاح ما حدث بينه وبين السفير الانجليزى من خصام انتهى الى قطع العلاقات بين الدولتين ، وذلك بمقابلة سفيرى انجلترا في هذين البلدين ويعيد العلاقات الحسنة ثانية بين ايران وبريطانيا . واقترح السفير الانجليزى في استانبول أخيرا بعد اصرار أمين الدولة على لقائه مرات ورفضه لقاءه شروطا قاسية لكي يجدد علاقات البلدين كان من بينها طلبه عزل اعتماد الدولة عن الصدارة . ورفض أمين الدولة قبولها بسبب شدتها وبلوغه خبر فتح هراة ، وعاجل الى باريس لعل نابليون الثالث امبراطور فرنسا بتوسطه يفصل في الخلاف بين ايران وانجلترا الى وضع أفضل .

وقررت انجلترا بعد رفض شروط سفيرها في استانبول من طرف أمين الدولة أن تجبر ايران على اخلاء هراة بارسال سفن حربية وجيش لايران ، واحتلت السفن الانجليزية لهذا القصد في السادس من ربيع الثانى (١٢٧٣هـ) جزيرة خرج ونزل جيشها في بوشهر واحتلوها بدورهم . وأنفذ ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار الذى ولى الصدارة كذلك بعد هذا لطرده الانجليز في الجنوب ، لكنه لم يستطع ولا خانلر ميرزا احتشام الدولة والى خوزستان ايقاف تقدم الانجليز في بوشهر والمحمرة برغم شجاعة جنود ايران ، وتقدم الانجليز حتى الأهواز .

وكان فرخ خان أمين الدولة أثناء هذا داخلا في باريس في مفاوضات مع السفير الانجليزى بوساطة امبراطور فرنسا الى أن عقدت في السابع من رجب (١٢٧٣هـ) معاهدة باريس بينهما وتقرر أن يخلى الانجليز جزر

ايران وموانئها وأن تسحب ايران جنودها من هراة وأفغانستان وتعترف باستقلالهما وأن تصرف نظرها عن أى ادعاء لها خاص بهما وأن ترضى بحكم الانجليز فى حل الخلافات التى تنشأ بين ايران وأفغانستان وقد زادت معاهدة باريس التى بموجبها خرجت أفغانستان كلية عن تبعية ايران ودفعت بايران الى الاعتذار للسفير الانجليزى من قوة نفوذ انجلترا فى البلاط الايرانى وتقبل اعتماد الدولة شروطها باغتيال تام لأنه كان يخشى ما هو أسوأ منها وحمد الله على أن الانجليز لا يصرون على عزله ، ولكن صدارته لم تدم طويلا بعد انتهاء الحرب مع انجلترا لأن ناصر الدين شاه عزله عنها بعد أن اطلع على فساد الأمور فى عهد رئاسته للوزارة وذلك فى المحرم (١٢٧٥هـ) وأمسك بنفسه أزمة الأمور وأمر بتشكيل أكثر من وزارة فى ايران متأسيا ببلاد أوروبا مثل وزارة الأمور الخارجية ووزارة المالية ووزارة الأمور الداخلية ووزارة الحربية ووزارة توظيف العاملين ووزارة العلوم + وفوض وزارة المالية الى ميرزا يوسف مستوفى الممالك الآستينانى الذى سبق أن نفاه اعتماد الدولة الى آستينان كما استوزر على قلى ميرزا اعتماد السلطنة للعلوم وميرزا محمد خان قاجار الذى لقب بلقب ( سبهسالار ) أى قائد الجيوش فى الحربية ، وظل هذا الحال حتى عام (١٢٨١هـ) حين تصدر ميرزا محمد خان قاجار الوزارة .

#### حرب سرخس فى (١٢٧١) ومرو فى (١٢٧٦هـ) :-

قبل غزو هراة وحكومة حسام السلطنة الثانية على خراسان أى فى (١٢٧١هـ) وعهد حكومة فريدون ميرزا الأمر (فرمانفرما) أتى والى خوارزم محمد أمين خان الذى لقي فيما سبق هزيمة على يد حسام السلطنة الى مرو مرة أخرى وهاجم خراسان وتقدم حتى سرخس . فتقدم اليه فريدون ميرزا وفى رجب (١٢٧١هـ) أصاب خان خيوة فى سرخس بهزيمة شديدة وقتل محمد أمين خان فى المعركة وأرسل رأسه

الى طهران وعاد فريدون ميرزا بعد طرد التركمان على حدود مرو الى مشهد .

لكن مهاجمة التركمان لأهل مدن خراسان لم يكن بالأمر الذى يزول بهذه السهولة لأن هذه الجماعة الناهبة المتقلة بالصحراء كانت دائماً سبب الاضرار بأهالى خراسان واسترabad وندر أنهم نجوا من أذاهم .

وفي أواخر عام (١٢٧٦هـ) سير ناصر الدين شاه لاقتلاع شأفة تركمان تكة وسالور حشمة الدولة حمزة ميرزا يصحبه ميرزا محمد قوام الدولة الأستينانى على رأس أربعين ألفا الى حدود مرو . ولقى جنود ايران بسبب عدم احتياطهم والخلافات التى ثبتت بين حشمة الدولة وقوام الدولة هزيمة مرة من التركمان فى السابع عشر من ربيع الأول ، وقتل أو أسر نحو ثلثيهم بسبب انعدام المؤن وسوء وضع معترك الحرب ومياه (تجن) التى أطلقها التركمان تحت أقدامهم ، وعاد حشمة الدولة وقوام الدولة الى مشهد يجللها الفضح فعزلها الشاه وأحضرهما الى طهران ، وأمر حسام السلطنة ثانية بتولى خراسان فأقر أمورها . وفى هذه الأوقات بدأ الروس باحتلال التركستان الشرقية والغربية ووديان سيحون وجيحون فيما بين شمال بحيرة آرال وشرق بحر الخزر واجتاحوا هذه الأراضى واحدة بعد الأخرى فاستولوا من بينها على خيسوه فى (١٢٧٠هـ) وطاشقند وسمرقند وبخارى فى (١٢٨١هـ) و (١٢٨٥هـ) وباستيلائهم على هذه المناطق اقتربوا الى وادى أترك وصحراء التركمان ولكى يفتح الروس طريقهم الى أفغانستان وخراسان قرروا ازالة التركمان ومع أنهم لقوا منهم الهزيمة فى عام (١٢٩٦هـ) الا أنهم قضوا على تركمان تكة تماما فى (١٢٩٨هـ) فى كوك تبه ، وزال خطر هذه الجماعة عن أهل خراسان واسترabad ، الا أن خطرا أفدح حل محله نشأ بمجاورة روسيا لايران فى هذا الاتجاه .



## تحدد حدود ايران :-

باستثناء حدود ايران الشمالية الغربية أى الحدود بين آذربايجان والأمالك الروسية فيما وراء القفقاز التى حددتها معاهدة تركمانتشاى وحدود ايران مع الدولة العثمانية التى قررتها معاهدة أرزنة الروم فقد كانت سائر حدود ايران الباقية غير ثابتة الملامح حتى أواسط عهد ناصر الدين شاه لأن القبائل والبدو ( التركمان والأفغان والبلوج ) كانوا يسكنون غالب هذه الحدود ، ولم يكن ممكنا تحديد خطوط الحدود فيها بسبب هجماتهم الدائمة على بلاط ايران الشمالية الشرقية والشرقية وعدم ثبات طوائفهم فى أماكن بعينها . وكانت هذه الحال موجودة بصورة ما فى الحدود الغربية لآذربايجان والكرديستان وخوزستان بالرغم من وجود معاهدة أرزنة الروم ، اذ كانت هجرات القبائل الكرديّة والعربية من ناحية لأخرى تولد المشاكل دوما بين ايران والدولة العثمانية .

وبعد اعلان استقلال أفغانستان واستقطاع هراة من ايران واحتلال الانجليز لقسم من بلوچستان وبلوغ حدود أملاك الروس الى استرabad وخراسان ، أصبح أمر تحديد حدود ايران فى الناحية الشمالية الشرقية والشرقية من ايران مع جيرانها الجدد موضع الاهتمام .

كانت بلوچستان حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه بتمامها تحت طوع ايران وكان خانها يؤدى الخراج لها عهد الأمير الكبير ، الا أن ضعف الدولة فى عهد خلفائه وثورات خراسان وأفغانستان قد أدى بالقسم الشرقي لهذه الولاية التى تبعد أكثر عن كرمان الى القلاقل والثورات ، وبعد أن أنهى الانجليز خطهم البرقى الدائرى فى ايران فى عام ( ١٢٨٠ هـ ) وانتهوا الى ميناء كوادر دخلوا فى مفاوضات لتحديد الحدود بينها وبين امبراطوريتهم فى الهند فى هذه الناحية ، وكان المفوض من جانب الانجليز لهذا الامر من اسمه ( جولد سميد ) ( Goldsmid )

وبعد مدة من المفاوضات قبل أخيرا ناصر الدين شاه مقترحات جولد  
سميد وقررت الحدود الحالية من شرق ميناء كوادر حتى شرق كوهك .  
وحددت هيئة كانت برئاسة جولد سميد أيضا بين عامي ( ١٢٨٨ )  
و ( ١٢٨٩ هـ ) القسم الشمالي للحدود بين بلوچستان الانجليزية وايران  
أى الخط ما بين كوهك وجبل الملك الأسود والحدود بين سيستان  
الايرانية والأفغانية ، وبعد سلسلتين من المفاوضات الأخرى التى تمت  
بين عامي ( ١٣١٤ هـ ) و ( ١٣١٧ هـ ) بين ممثلى ايران والانجليز حددت  
قطعا الحدود الحالية لبلوچستان وسيستان .

أما الحدود ما بين مقدمة جبال ذى الفقار وصحراء سيستان وهى  
الحدود بين خراسان وولايات هراة السابقة فقد كانت غير محددة على  
على وجه الدقة وكان ينشأ فى الغالب بين الأفغان واهل خراسان النزاع  
بسبب تقسيم الماء والمواقع وغيرها وظل هذا الحال من الاختلاف  
حتى عام ( ١٣١٤ هجرية شمسية ) ( ١ ) حين ثبتت الحدود الحالية بين  
ايران وافغانستان بواسطة تركيا .

وفى المحرم من عام ( ١٢٩٩ هـ ) عقد معاهدة بين ايران وروسيا  
تقرر بموجبها خط الحدود الحالية بين خراسان والتركستان ، الا أن  
الروس لم يكونوا يحترمون شروط هذه المعاهدة كثيرا لخططهم السيئة  
لبسط نفوذهم فى سواحل بحر الخزر واستراباد وخراسان ، وكانوا  
يحتجون دائما بأوامر الحجج للهجوم على تلك المناطق كما حدث عام  
( ١٣٠١ هـ ) حينما استولوا على سرخس القديمة على الساحل الأيمن  
لتجن واحتلوا جزائر آشورآده ازاء ميناء كر متفرعين بضرب القاتشاق  
التراكمة ودفعهم . وفى ( ١٣١٠ هـ ) استقطعوا قصبة فيروزة بضغط على  
ايران . وقد زالت الخلافات بين ايران وروسيا بموجب المعاهدة التى

---

( ١ ) تقويم هجرى يبدأ من الهجرة على أساس السنة الشمسية وهو  
يقل من التقويم الهجرى القمري المعمول به بنحو اثنين وأربعين عاما بحسب  
تصر السنة القمرية عن الشمسية وقد استخدم التقويم الهجرى فى ايران .

عقدت بين ايران والحكم الجديد في روسيا في السابع عشر من جمادى الآخرة عام ( ١٣٣٩ هـ ) ( السادس والعشرين من فبراير عام ١٩٢١ م ) بمعنى أن الدولة البلشفية أخلت جزائر آثمور آده وغيروزه لايران واعترفت ايران أيضا بتملك روسيا سرخس القديمة .

اما الحدود الغربية لايران فمع أنها لم يطرأ عليها تغيير فسادح بعد عقد معاهدة أرزنة الروم الثانية ، فقد كانت تنشأ خلافات بين ايران والعثمانيين بسبب بعض الأجزاء خاصة مناطق القبائل التي على الحدود بينهما ، وكان الخلاف الأساسي في هذه النواحي بسبب قطور من بلاد خوى التي احتلها العثمانيون أثناء ثورة سالار وانشغال ايران بأمور خراسان . وكانت جارئا ايران والعثمانيين أغنى الانجليز والروس يحكمون غالبا في حل هذه الخلافات ، كما حدث مرة عام ( ١٢٨٢ هـ ) ومرة ثانية أثناء عقد معاهدة برلين بعد هزيمة العثمانيين من الروس أي في عام ( ١٢٩٦ هـ ) اذ توسطتا في الاصلاح بين الدولتين في هذا الخصوص ، الى أن انتهى الأمر بعودة قطور الى ايران بموجب المادة ( ٦٠ ) من تلك المعاهدة . ولكن مع هذا لم تزل الخلافات على الحدود بين الايرانيين والعثمانيين ، الى أن حل عام ( ١٣٣٢ ) حين أرسلت الدول الأربع ممثلها لتحديد الخط القطعي لحدود غرب ايران اليها ، وقد أنهت هذه الهيئة مهمتها قبل أن تشتعل الحرب بين العثمانيين والروس ومعهم الانجليز أيام الحرب العالمية الأولى بيوم واحد فقط ، وتحددت الحدود النهائية بين ايران والدولة العثمانية الا أن ايران لم تعترف رسميا بهذه الحدود واعتزست على جزء منها خاصة الجزء المجاور لشط العرب وبعد أن انقسمت الدولة العثمانية وتأسست دولة العراق الجديدة تحت سيادة انجلترا وأصبحت جارة ايران في هذا الجزء جددت ايران اعتراضها ، وتحول حل الخلافات على الحدود بين ايران والعراق الى عصبة الأمم ، وبعد بضع جولات من المفاوضات ، حلت أخيرا الدولتان خلافتهما على الحدود بينهما في عام ( ١٣١٥ هـ . شمسية ) بالمفاوضات المباشرة وانتهى الأمر لصالح ايران .

### صدارة حاجي ميرزا حسين خان السبهاالار :-

كما سبق أن أشرنا لم يختر ناصر الدين شاه بعد عزله اعتماد الدولة النوري واحدا غيره للصدارة حتى عام ( ١٢٨١ هـ ) وانما ألف هيئة وزارية كانت رئاستها في الحقيقة للشاه . وفي عام ( ١٢٨١ هـ ) في الرابع والعشرين من شوال منه اختار ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار وزير الحربية وقائد الجيوش (سبهاالار) - الذي بذل في السنة السابقة لهذا العام في تأديبه تركمان استرabad كفاءة ولقب بالسبهاالار الأعظم - للصدارة وترك له الشاه أيضا وزارات الحربية والمالية والخارجية التي كان الشاه يديرها مباشرة .

ولبثت صدارة ميرزا محمد خان قاجار حتى عام ( ١٢٨٤ هـ ) وفي هذا العام أعطى الشاه لميرزا يوسف مستوفى الممالك وزير المالية عمل محمد قاجار فظل مستوفى الممالك يدير أمور الصدارة حتى عام ( ١٢٨٨ هـ ) بغير لقب الصدارة .

وفي الرحلة التي قام بها الشاه الى مشهد عام ( ١٢٨٧ هـ ) استرعى نظره الخدمات التي قام بها حاجي ميرزا حسين خان القزويني الملقب بمشير الدولة السفير الكبير لايران في البلاط العثماني ، فاستدعاه الى طهران ونصبه وزيرا للعدل وتوظيف العاملين والأوقاف . وبعد اعتزال مستوفى الممالك اختار الشاه ميرزا حسين خان مشير الدولة أولا بلقب قائد الجيوش (سبهاالار) وزيرا للحربية وقيادة الجيش ثم للصدارة في التاسع والعشرين من شعبان ( ١٢٨٨ هـ ) .

وكان حاجي ميرزا حسين خان رجلا متعلما محبا للإصلاح والارتقاء ففكر في متابعة اصلاحات الأمير الكبير وبدأ فاستصدر من الشاه أمرا باصلاح وضع البلاط وهيئة الوزراء ثم نظم أمور الجيش وكان كل دأبه هو أن تكون ايران مملكة يحكمها القانون تعرج في مدرج الرقي والعدل والمساواة ولكي يعرف الشاه على رقي البلاد المتحضرة صاحبه في عام ( ١٢٩٠ هـ ) الى بلاد أوروبا بالرغم من مخالفة رجال الدين .

وقبل تحرك الشاه الأول الى أوروبا بعلم منح السبيل لامتياز  
انشاء خط حديدي في ايران يبدأ من طهران الى رشت ومن العاصمة الى  
خليج فارس لمدة سبعين عاما لأحد الرعايا الانجليز واسمه «البارون رويتر»  
(Baron de Reuter) وتقرر أنه اذا لم يبدأ صاحب الامتياز  
في العمل حتى خمسة عشر شهرا من أول عام ( ١٢٩١ هـ ) يدفع الى ايران  
أربعين ألف ليرة انجليزية .

ولم يتفق هذا الامتياز ومصالح ايران اذ أنه وضع تقريبا جميع  
التصرف في الأمور الاقتصادية الايرانية في مدة سبعين عاما لأحد الأجانب  
وكان يعطيه الحق في استخراج كافة معادن البلاد ( باستثناء الذهب  
والفضة والأحجار الكريمة ) والافادة بجميع الغابات والترع وقنوات  
المياه وحق تصدير جميع المحاصيل الوطنية وتأسيس بنك والبريد  
والبرق والمصانع وغيرها ، وصار تنفيذ هذا الامتياز أمرا مشكلا لرويتر  
الى حد أن الطرفين المتعاهدين سرعان ما أدركا أن هذا الأمر قد تم  
بدون دراسة من الجانبين . فضلا عن أن انتشار شروطه صار سبب  
جدال كثير في أوروبا ودفع بالروس الى الغضب وتهديد ايران . ولهذا  
أدرك ناصر الدين شاه في سفره لأوروبا تخطيط دولته السياسي . وتجمعت  
في طريق مشروع رويتر من طرف ايران مشاكل جعلته لا يبدأ عمله في  
الموعد المحدد ولهذا ألغى الامتياز وجمدت ايران أربعين ألفا هي وديعة  
رويتر ، الا أن البارون لم يكتب عن طلب استردادها الى أن منحت ايران  
في السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ( ١٣٠٦ هـ ) البارون المذكور  
لاسترضائه امتيازاً بتأسيس البنك الشاهنشاهي الايراني لمدة ستين عاما  
وحصرت حق نشر أوراق النقد لهذا البنك .

وفي عودة الشاه من أوروبا أي في رجب ( ١٢٩٠ هـ ) دفع حاجي  
ميرزا حسين خان الى اعتزال الصدارة والاقامة برشت بسبب الخلاف  
الشديد الذي نشأ بين البلاط ورجال الدين وصدارته ، ولما وصل الشاه  
الى العاصمة نصب مستوفى الممالك فيها ، ثم استوزر ميرزا حسين خان

للخارجية ومنحه في عام (١٣٩١هـ) لقب السبهسالار الأعظم ووزارة  
الحربية أيضا \*

ومع أنه لم يعد للسبهسالار نفس حماسه السابق في عهد وزارته  
الثانية حين تعهد وزارتي الخارجية والحربية ، إلا أنه جاهد لتفتيح  
أعين الشعب الإيراني وأسماعه ، من ذلك تشجيعه الشاه على تأسيس  
صحيفة بالفرنسية والفارسية واستقدم أحد البلجيكيين لإدارتها  
بطهران \* لكنه بمجرد أن صدر العدد الأول من هذه الصحيفة في المحرم  
(١٢٩٣هـ) وهو لا يوافق أهواء الشاه ولا رجاله ولحديثه عن الحرية  
والمساواة والعدل وسيادة القانون وعداء التملق حتى أصدر الأمر  
بتوقفها \*

وقد صاحب حسين خان ناصر الدين شاه أيضا في سفره الثاني  
لأوروبا في (١٢٩٥هـ) وبعد عودة الشاه من سفره هذا أشركه مع مستوفى  
الممالك في إدارة كافة أمور البلاد وظل هذا الحال إلى أن أزاله عام  
(١٢٩٧هـ) عن وزارتي الخارجية والحربية ولقب السبهسالار ووجهه إلى  
حكم قزوين ، ثم حكومة آذربايجان بعد هذا بقليل \* وأثناء مهمته هذه  
ذهب إلى روسيا سفيرا فوق العادة ، وبعد عودته توجه لحكم خراسان  
وسمستان وتولى أمور مشهد ، وكان هذا المنصب في حقيقته بمثابة إبعاده  
عن العاصمة \* وتوفي السبهسالار في منصبه هذا في مشهد في الهادي  
والعشرين من ذي الحجة (١٢٩٨هـ) في سن السابعة والخمسين \*

وعاجلي ميروا حسين خان مشير الدولة السبهسالار القزويني أكبر  
رجال العهد القاجاري بعد الأمير الكبير ، ومن آثار هذا الرجل الجليل  
مسجد سبهسالار بطهران وقصر دار الشورى الوطنية الإيرانية \*

### تعرف إيران إلى الحضارة الغربية : —

مع أن إيران دخلت منذ العهد الصفوي في علاقة كلية مع البلاد  
المتحضرة والغربية وتظهر بها بعض وسائل الحضارة الجديدة ومقتضياتها

من قبيل الأسلحة النارية والعسكرية الأوروبية وصناعة السفن وغير ذلك تقليدا لأصحاب الحضارة الغربيين ، واستمر ذلك أيام نادر أيضا ، إلا أن اتساع نطاق تقليد الحضارة الأوروبية لم يكن قط مثلما كان عهد سلطنة ناصر الدين شاه الطويلة نوعا . والسبب الباعث الى ذلك فضلا عن اتساع العلاقات بين ايران وأوروبا وانبساط حدود مستعمرات بعض من الدول الأوروبية حتى حدود ايران هو اهتمام عدد من الرجال الايرانيين ذوى الفطنة وحسب الارتقاء كانوا قد تعرفوا الى الحضارة الغربية وأدركوا كل الادراك مزاياها .

وأول نهضة بدأت في هذا السبيل في عهد القاجاريين كما أشرنا فيما سبق حدثت أوائل حكم فتح على شاه . ففي تلك الأيام نتيجة لقُدوم هيئة عسكرية فرنسية الى ايران ولما أقدمت عليه من اصلاح لأهوان الجيش وبناء المدافع ووضع الخرائط وجمع المعلومات الجغرافية المفيدة المتعلقة بايران توجهت أذهان القائمين على أمر ايران الى حد كبير الى ضرورة الاقتباس من الحضارة الأوروبية . ثم قام عباس ميرزا ببعث الطلبة وأرباب الحرف الى إنجلترا وروسيا ، وأنشأ مصانع كذلك بمعاونة الخبراء للمدفعية والبارود والأقمشة والمطابع وغير ذلك في آذربايجان .

والسبب الأساسي لمعرفة ايران الحضارة الجديدة في عهد ناصر الدين شاه يرجع الى بذل العناية الخاصة من قبل ثلاثة من الوزراء المستبصرين المحبين للتجديد كانوا له وأولهم الأمير الكبير الذي ذكرنا نبذة من انجازاته في هذا المصمار فيما سبق ، وثانيهم حاجي ميرزا حسين خان مشير الدولة السبهاالار الأعظم الذي كثف في رحلتي السفر اللتين صاحب فيهما هذا الشاه محاسن الحضارة الغربية ومزاياها اليه عيانا ، فأقبل نتيجة لهذا الشاه على جلب بعض من مظاهر هذه الحضارة ولوازمها . وثالثهم ميرزا علي خان أمين الملك الذي لقب بعد بأمين الدولة . وقد أيد هذه النهضة كذلك بعض من التجار من مثل حاجي

محمد حسن الأصفهاني « أمين ضرب العملة » ورجال آخريين مثل يحيى خان مشير الدولة أخى السببهسالار واعتضاد السلطنة على تقى ميرزا ، وهاك خلاصة تاريخية لاقتباس بعض مستلزمات الحضارة الجديدة : —

١ — ظل البريد يدار فى ايران حتى عام ( ١٢٩٢ هـ ) عن طريق منازل البريد تحت امرة من كانوا يسمون رؤساء البريد ( تشابار باشى ) ولم يكن له صورة منظمة مستحسنة ، وفى هذا العام استخدمت ايران أحد المستشارين النمساويين لتنظيم بريدها وفقا للنظام الأوربى الجديد ، فلقى بريد ايران بعونه التأسيس المنظم ، وبعد هذا بعامين قبلت ايران عضوا فى اتحاد البريد العالمى . وعين بعده « أشنتال » ( Stahl ) الروسى مديرا عاما لبريد ايران ، ومع أن فترة ادارته لم تدم أكثر من عام الا انه ، وكان رجلا كثير العلم والدقة ، قام مدة اقامته بايران بدراسات علمية قيمة عن المعادن والأوضاع الجغرافية لشمال ايران وجنوبها الشرقى ونشر مقالات وخرائط كثيرة الأهمية تتعلق بهذه الاماكن .

وبعد رحيل اشنتال صار بريد البلاد مرة أخرى حتى فترة رهن الفوضى الى أن ترك الشاه ادارته الى وزير الرسائل الخاصة وهو ميرزا على خان أمين الدولة ، فأداره لسنوات ادارة حسنة .

٢ — أول خط للمبرق ( التلغراف ) عمل فى ايران كان عام ( ١٢٧٤ هـ ) بين قصر السلطنة الشاهى وقصر ( باغ لا لزار ) . وبعد هذا بعامين مد خط بين طهران والسلطانية بعون على قلى ميرزا اعتضاد السلطنة ، ثم امتد الى تبريز بعد هذا بعام .

وحدث فى نفس الوقت أن دخل الانجليز فى مفاوضات مع ايران لربط لندن مع بمباى بالبرق عن طريق اليايسة ، فبدأوا فى عام ( ١٢٨٠ هـ ) بأخذ امتياز انشاء خط بين خانقين وطهران وبوشهر ، ثم مدوا بعد ذلك



خطا آخر من جلفا الى طهران عام ( ١٢٨٦ هـ ) ، وعام ( ١٣١٩ هـ ) دار  
خط آخر عن طريقهم من كاشان الى يزد وكرمان وبلوچستان . وقد  
تركت سائر هذه الخطوط بعد انتهاء مدة الامتياز الى ايران وهى اليوم  
تحت ادارة الدولة المباشرة .

٣ - كان لكل من مدن ايران الكبرى حتى عام ( ١٢٩٤ هـ ) دار  
ضرب العملة خاصة ، وكانت المسكوكات تضرب فى كل مكان تحت اشراف  
أحد المعاييرين الذين تحددهم الدولة ، الا انها اختلفت بعضها عن  
الآخر فى الشكل والقياس . وفى هذه السنة استجلبت الدولة وسائل  
تأسيس دار لضرب العملة الجديدة من أوروبا الى طهران وعهدت للعمل  
فيها الى اشراف أحد المستشارين الألمان ومجموعة من الخبراء الفرنسيين  
وكانت رئاستهم أولا لميزا على خان أمين الدولة لكن بعد أن تأسست  
فى عام ( ١٢٩٦ هـ ) دار ضرب جديدة ترأسها محمد ابراهيم خان أمين  
السلطان المسئول عن شراب الشاه هذا المنصب ، وقد خرجت أول عملة  
جديدة راجت فى سائر ايران فى هذا التاريخ من تلك الدار الجديدة .

٤ - ومع أن المبشرين النصارى قد قدموا الى ايران فى العصر  
الصفوى بأول مطبعة رصاصية الا ان الطبع انتهى بها بعد قليل من  
الرواج الى أن أسس عام ( ١٣٤٠ هـ ) فى طهران أول كتب مطبوعة  
بالمطابع الرصاصية والمشهورة بالمطابع المعتمدة بعون منوشهر خان  
معتمد الدولة .

ولما سافر ناصر الدين شاه سفره الأول الى أوروبا أتى بمسئلات  
مطبعة كاملة الى ايران بالشراء ، وزاد انتشار الصحف فى عهده من عدد  
المطابع ، وعمت المطابع من بعد تبريز وطهران سائر مدن ايران أيضا .  
وأول صحيفة أنشئت احتذاء بأوروبا كانت فى أواخر سلطنة فتح  
على شاه ، لكنها توقفت على الصدور بعد أن ظلت تصدر حتى عهد محمد  
شاه ، الى أن قرر الأمير الكبير فى السنة الرابعة لحكم ناصر الدين شاه  
نشر صحيفة درج بها موجز أحداث العالم ليطلع عليها شعب ايران .

وقد صدر أول أعداد هذه الصحيفة التي سميت (وقائص اتفاقيه) ونظمت بإشراف أحد الانجليز يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني عام (١٢٦٧ هـ) في طهران وسميت هذه الصحيفة عام (١٢٧٧ هـ) باسم صحيفة دولة ايران العلية وزينت بالصور ، وفي عهد ناصر الدين أيضا صدرت بضع صحف في طهران وتبريز باللغات الأجنبية ، كان من ضمنها الصحيفة التي أصدرها حسين خان السبسالار بالفرنسية في طهران وتوقفت بعد عدد واحد ثم الصحيفة العلية الايرانية التي اديرت تحت اشراف اعتضاد السلطنة والتي كان يكتب في كل عدد لها بضع صفحات بالعربية والفرنسية أيضا .

٥ - بعد إلغاء امتياز البارون دي رويتر واشتداد التنافس بين الروس والانجليز في ايران صار كل مشروع لم خطوط السكك الحديدية بها عقيما ، ولم يمد غير خط قصير في عام (١٣٠١ هـ) بين العاصمة وضريح (حضرة عبد العظيم) ثم تأسس خط آخر في (١٣٠٧ هـ) بين آمل ومحمود آباد بمازندران بسعى محمد حسن أمين دار ضرب العملة ، وسرعان ما توقف الخط الثاني ، ولم يفد الخط الأول شيئا بسبب قصوره .

وأول خط هام نوعا ما قبل النهضة الأخيرة بايران هو خط جلفا وتبريز وفرعه من صوفيان حتى شرفخانه الذي نال امتيازه الروس وأنهوه عام (١٣٣٤ هـ) وقد ترك هذا الخط لايران بعد معاهدة (١٣٣٩ هـ) بين ايران والدولة البلشفية في روسيا .

أما طرق عربات الخيول والبريد فقد شق كثرة منها في ايران في ذلك الوقت ومن قبيلها طريق طهران مازندران وطهران الى الغرب والتي تولى انشاءها مهندس نمساوي .

٦ - بعد انشاء مدرسة دار الفنون وبعث الطلبة الى أوروبا أكثر من مرة ، فتح رجال ايران وتجارها في أوروبا والهند باب العلوم الجديدة

الأوربية. نوعا ما على ايران وأصبح متداولاً ترجمة الكتب وتأليفها في العلوم الجديدة مثل الفلك والجغرافيا والعلوم الطبيعية والطبية والفنون العسكرية ، واهتم الناس بتعلم اللغات الأجنبية ، وصار اعتصاد السلطنة ومعتمد الدولة قرحاد ميرزا وإدارة مدرسة دار الفنون ووزارة الطباعة والنشر ودار الترجمة وجماعة من الأرامنة الواقفين على الفارسية واللغات الأجنبية المرشدين للشعب في هذا السبيل .

٧ - وعلاوة على المؤسسات والمصانع التي كانت تهيمن عليها الدولة كدار ضرب العملة وصناعة البارود والبنادق وغير ذلك تقدمت جماعة من الرجال والتجار الى ايران بعدة مصانع لخدمة المرافق العامة من مثل مصنع مصابيح الكيروسين الذي أسسه ميرزا حسن خان السبسالار في ( ١٢٩٧ هـ ) ومصنع السكر بكهريزك الذي بدأ في العمل بهمة ميرزا علي خان أمين الدولة في ( ١٣١٧ هـ ) ومصانع البلور والصينيات والحريز التي أسسها جميعا أمين ضرب العملة ، وقد وقف عن العمل بعد فترة قليلة عدد كبير - نوعا ما - من المصانع الأخرى مثل مصانع الكبريت والنسج بسبب المنافسة الخارجية وعدم وجود رأس المال الكافي والخبراء .

٨ - شاع في عهد ناصر الدين شاه كثير من الآداب والعبادات الأجنبية في ايران أيضا ومع أن انتشارها قد بدأ من عهد فتح علي ومحمد شاه إلا أن نطاقه قد زاد عن ذي قبل في ذلك العهد ، ومن آثار هذا العهد طرح القلائس وتغيير الملابس وتداول الأطعمة الأوربية وشرب الشاي وارتقاء زراعة شجر الأفيون والدخان والبطاطس وبعض النبات والأزهار غير الوطنية .

قتل ناصر الدين شاه في ذي القعدة ( ١٣١٤ هـ ) :-

كما سبق الشرح بعد أن أزال ناصر الدين شاه ميرزا حسين خان السبسالار عن الصدارة عام ( ١٢٩٠ هـ ) فوضها لميرزا يرسف مستوفي

الممالك وظل مستوفى الممالك الذي كان يقال له الآغا في هذا المنصب حتى عام وفاته (١٣٠٣هـ) .

وفي عهد صدارة مستوفى الممالك كانت الحادثة الهامة هي ثورة الشيخ عبيد الله من رؤساء الأكراد على الحدود الغربية لأذربايجان والكردستان عام (١٢٩٧هـ) . وكان هذا الشيخ معدودا من الأئمة الدينيين والصوفية فكان له بين بنى جلدته نفوذ وقد نجح أثناء حرب العثمانيين والروس في جمع قدر من السلاح ، وبدأ العصيان والمهاجمة بهدف توحيد عامة القبائل الكردية على حدود ايران من الناحيتين تحت امرته ، فجاءه حمزة ميرزا حشمة الدولة لازالته ، ووافى حمزة أجله المحتوم موته طبيعية أثناء دفعه اتباع الشيخ عبيد الله فاختر حسين خان السبهبسالار لاتمام مهمته . وأحدق السبهبسالار وحسين على خان الكروسي أمير العسكر ووزير المرافق العامة باتباع الشيخ أولهما من ناحية أروجي ومراغه والثاني من جهة كروس ولاذ الشيخ فارا الى الدولة العثمانية بعد بضع هزائم فحمتها هذه الدولة لكنها تعهدت بالامتناع عن اعادته لايران .

وبعد موت مستوفى الممالك فوض الشاه بالصدارة الى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان ابن الآغا محمد ابراهيم مسئول مشارب الشاه وكان اذذاك لا يزيد عن الثلاثين ثم لقبه بعد ذلك بالوزير الأعظم . وظل أمين السلطان بالصدارة حتى آخر حكم ناصر الدين شاه ، ولما كان ذكيا ورجل الدسائس فقد استولى على عقل الشاه وأمسك فضلا عن الصدارة بوزارات البلاط والداخلية والجمرك والخزانة وادارة دور ضرب العملة وحكومة الموانئ ، ومع هذه القوة فلم يكن مهتما باصلاح البلاد وترقيتها ولم يكن في مثل فكر الأمير الكبير والسبهبسالار وأمين الدولة بل كان يسعى أبلغ من أي شيء الى المحافظة على مناصبه وكسب رضا الشاه ورجاله .

وصاحب أمين السلطات الشاه في شهر شعبان ( ١٣٠٦ هـ ) الى أوروبا ، ومنح الشاه أثناء هذا السفر الثالث لأوروبا الذي استغرق من شعبان ( ١٣٠٦ هـ ) حتى صفر ( ١٣٠٧ ) بعض الامتيازات البالغة الضرر الى الانجليز بتشجيع أمين السلطان وسمسرة أو دلالة ملكم خان ناظم الدولة سفير ايران في لندن والذي كان أصلا من أرامنة جلغا أصفهان ورجلا طموحا لا خلق له مخادعا محبا للمال ، ومن أخذ هذه الامتيازات انما أخذوها باعطاء نلرشي الضخمة للكم وأمين السلطان والهدايا القيمة لناصر الدين شاه وكان من جملة هذه الامتيازات حق افتتاح دور الميسر واليانصيب والقمار في ايران والتي حاز ملكم أولا على السماح بها من الشاه ثم باع قرار السماح بها الى مجموعة من المساهمين الانجليز . ثم منح امتياز احتكار شراء وبيع الطبقاق والدخان والمشروبات في ايران للداخل والخارج لشركة انجليزية لمدة خمسين سنة فقط بشرط أن تدفع الشركة سنويا الى ايران خمس عشرة ألف ليرة انجليزية وربع أرباحها . وقد أصدر قرار هذا الامتياز أثناء سفر الشاه الأخير الى انجلترا لكن امتيازه وقع عليه في الثامن والعشرين من رجب ( ١٣٠٨ هـ ) .

وألغى الشاه امتياز الميسر واليانصيب والقمار فورا بعد عودته الى طهران ووقوفه على أعمال سرقة ملكم وغضب على ملكم وعزله ، لكن الدولة فشلت في أن تستعيد الأموال التي استلبها ملكم من شركائه باسم الدولة بسبب هذا الامتياز وعادت خسارتها الى ايران .

أما امتياز احتكار الدخان فقد دخل في عام ( ١٣٠٨ هـ ) مرحلته العملية وأنشئت شركة باسم ( هيئة دخانيات شاهنشاهية ايران ) في لندن وأرسلت ممثلها لايران وتشكلت ادارة لها عرفت بالرجى ( Régie ) وبدأت مقدمات احتكار شراء دخانيات ايران وبيعها وتصديرها في يد عمال تلك الشركة .

وبدا شعب ايران في الثورة على اثر معلوماته القليلة عن احوال البلاد الأجنبية واطلاعه على الصحف الفارسية الصادرة في استانبول ومن ثم عرف بشروط هذا الاحتكار وقارنه بامتياز منحتة الدولة العثمانية لاحتكار دخانها لشركة أجنبية بشروط أفضل وفشل أمين السلطان برغم محاولاته تهديد العلماء الشيعة وترغيبهم وقد قاموا يساعدون الشعب وأفتوا بحكم تحريم استخدام الدخانيات أن يرجعهم عن سلوك الثورة ، وأخذ عدااء الرجى يأخذ شيئاً فشيئاً شكل ثورة الشعب على البلاط وأصول الاستبداد ، وكان امام القوم في هذا السبيل في طهران الحاج ميرزا حسن الآشتياني ( ١٢٤٣ - ١٣١٩ هـ ) من أجلة علماء الأصول وفي مشهد الحاج ميرزا حسن الشيرازي ( متوفى عام ١٣١٢ هـ ) رئيس الشيعة وقد جاهد كلاهما قدر وسعه للقضاء على امتياز الاحتكار حتى ألغى الشاه وأمين السلطان أخيراً هذا الامتياز في السادس عشر من جمادى الأولى ( ١٣٠٩ هـ ) خشية ثورة الناس وعلان العلماء للجهاد وطوت شركة دخانيات الشاهنشاهية بساطها من ايران .

وقد أفهمت حادثة الرجى والنجاح الذى أصابه الشعب والعلماء بانغاء امتيازها الناس وعلماءها أنه يمكن بالضغط والثورة منع الأعمال المستبدة للحكم الاستبدادى للشاه وصدرة الأعظم ، وكان هذا مقدمة لمثل هذه الثورات في أيام صدارة أمين السلطان وعين الدولة مهد حكم مظفر الدين شاه . لكن ازاء الغاء امتياز الرجى فقد نشأ عن هذا شقاء عظيم لايران وهو أن الشاه وأمين السلطان لكى يدفعوا الخسائر التى تسببت للشركة الانجليزية أثناء شروعها في العمل أجبروا على أن يستدينوا من البنك الملكى خمسين ألف ليرة انجليزية ليدفعها اليها . وكان هذا أول قرض تستقرضه ايران من أجنبى ، وقد زاد هذا القرض والقروض الأخرى التى اقترضتها الدولة في عهد ناصر الدين شاه وخلفائه من انجلترا وروسيا شقاء ايران يوماً بعد يوم وفتحت أيدي

نفوذ واسنيلاء جارتها الجنوبية والشمالية في هذه البلاد أكثر عن ذي قبل .

وقد ترايد فساد بلاط ناصر الدين شاه وظلم الحكام وجورهم خاصة الارتشاء في أواخر الحكم ، ولم يك بين الرجال القائمين بالأمر من يفكر في العلاج ، لأنه لم يجرؤ أحد أن ينبس ببنت شفة عن طلب الإصلاح أمام نفوذ أمين السلطان الذي فاق الحدود واستيلائه على عقل الشاه . وكانت إدارة الأمور في ظاهرها لمجلس شورى مؤلف من أمين السلطان وكامران ميرزا نائب السلطنة وولد الشاه ووزير الحربية وحاكم طهران وميرزا علي خان أمين الدولة وزير البريد ( الرسائل الخاصة ) والأوقاف وتوظيف العاملين ووزيرى الخارجية والتغراف ، ولم يكن بينهم رجل عليم بالأمور خاطب للإصلاح غير أمين الدولة لكنه كان عاجزاً . وكانت الخصومة والتنافس قائمين دائماً بينه وبين أمين السلطان الى أن أرسله أمين السلطان في أواسط عام ( ١٣١٣هـ ) قبل قتل ناصر الدين شاه ببضعة شهور الى تبريز ليتولى حكم آذربايجان وأبعده في الحقيقة عن طهران .

وقد أدت هذه الأحوال خاصة أفعال أمين السلطان غير المرضية ومعه كامران ميرزا بالشعب الذى انتصر في قضية الرجى وعرف حقوقه عن طريق عدد من العلماء والتجار والمطلعين على أحوال أوروبا الى أن يفكر في اصلاح الفساد ونقد أسلوب الحكم الاستبدادى وأعمال أمين السلطان وكامران ميرزا الاستبدادية النفعية ، وكان جمع كبير من الداخل والخارج يسعون الى ايقاظ الشعب مثل أمين الدولة والحاج الشيخ الهادى النجم آبادى ( ١٢٥٠ - ١٣٢٠هـ ) والسيد جمال الأسد آبادى الهمدانى ( الأفغانى ) ( ١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ) . وقام ملكم بسبب عدائيه لأمين السلطان وطلبه لمنصبه وقصر يده عن الأمور الى حد ما بتأسيس صحيفة القانون في لندن وأنشأ يذكر مظالم الحكم الاستبدادى باسم سيادة القانون وتغيير وضع حكومة ايران ، ولم تخل كتابته من التأثير

في الشعب بسبب كثرة العامية بها ووصولها من الخارج .

وفي السابع عشر من ذي القعدة (١٣١٣هـ) حين انصرم من سلطنة ناصر الدين شاه تسعة وأربعون عاما وخرج الشاه يومها لزيارة ضريح (حضرة عبد العظيم) أطلق عليه النار ميرزا رضا الكرمانى ممن رباهم الحاج الشيخ الهادى النجم آبادى والسيد جمال الدين الأفغانى وظلمهم كامران ميرزا ، ومات ناصر الدين شاه — وكان يهيم احتفال مرور خمسين عاما على سلطنته — متأثرا بهذه الضربة .

### سلطنة مظفر الدين شاه

(١٣١٣ — ١٣٢٤هـ)

مظفر الدين شاه الذى ولد عام (١٢٦٩هـ) هو رابع أبناء ناصر الدين شاه ومات أخواه الأكبر منه معين الدين ميرزا وأمير قاسم خان فى صغرها بعد أن نال كلاهما ولاية العهد أحدهما بعد الآخر ، ولم يبلغها الابن الثالث لناصر الدين شاه مسعود ميرزا ظل السلطان والذى يكبر مظفر الدين بثلاث سنوات بسبب أن أمه لم تكن من الأسرة الحاكمة ، وظل مظفر الدين من عام (١٢٧٤هـ) حين ولى العهد وهو ابن الخامسة حتى أن قتل والده نحو أربعين سنة فى ولاية العهد ، وقل أن خرج خلال هذه الفترة من آذربايجان مع أن والده سافر الى أوربا ثلاث مرات وساح فى أغلب بلاد ايران ، وكان ضعيف النفس جباناً مصاباً بالعلل من أواسط عمره فبعد ذاك لذلك كان يعيش فى جهل تام بأوضاع العالم ومضالح الملك ولم يسمع أبوه ناصر الدين كما يتوجب فى أمر تربيته وولايته فى خدمته بالمستبصرين الأكفاء من الناس ، ورقى مظفر الدين العرش والذى كان دأبه الدائب معايشة الندماء وأهل المنفاق الجهلاء وهو فى حال من السذاجة واللهو وانعدام البصيرة ، وبسبب أن آذربايجان كانت يومئذ تحت نفوذ الروس الكامل السياسى فقد كانت غالبية من



حول ولي العهد مائلة الى السياسة الروسية .

بعد مقتل ناصر الدين شاه وقدم ولي العهد الى طهران بقى أمين السلطان صاحب القوة الفاتكة الحدود في الصدارة على حاله ، ومع أن طلاب الحرية والساعين الى انهاء أساس الحكم الاستبدادى وزوال دولته كانوا يأملون في تحسن الأوضاع الا أن الشاه لم يأبه بمطلبهم فأيسوا من تخلية أمين السلطان من الصدارة ، بيد أن وزارة أمين السلطان لم تدم أكثر من سبعة شهور وعزله عنها الشاه في أواخر (١٣١٤هـ) واستدعى أمين الدولة من آذربايجان الى طهران وجعله رئيسا للوزراء في الحادى عشر من ذى القعدة من ذلك العام ، ثم نصبه في رجب (١٣١٥هـ) في الصدارة ، وأعطى بذلك طلاب الإصلاح آملا وقد كانوا يثقون بأمانة أمين الدولة وعلمه ووطنيته .

وعمل أمين الدولة أيام صدارته على إصلاح الأمور ووضع نصب عينيه تنفيذ المشاريع التى أعدها الأمير الكبير وحاجى ميرزا حسن خان السببسالار في هذا المجال ، فأطلق حرية الصحف وأكثر عددها وقام بإنشاء المدارس وأسس جمعية لتطوير العلوم ولما كانت أوضاع البلد المالية متردية للغاية ولم يكن بالخزانة مال يفى بنفقات الشاه الداخلية ، وكان كل شيء يدخل جيوب المتطفلين وحاشية الشاه وخدمه المتعديدين عمل أمين الدولة على إدارة المالية والجمرك والخزانة إدارة منظمة ولأجل هذا قام باستقدام المستشارين من الخارج فضلا عن قضائه على تروير المستوفيين ونهبهم والموظفين الماليين ، وكان من ضمن هؤلاء المستشارين ثلاثة من البلجيكين استدعاهم لايران ، وأشهرهم ( نوز ) ، لتنظيم الجمرك ودور ضرب العملة والبريد . ومع أن نوز قد خرج كما سوف نرى عن حدود المسموح به له في ايران وسلك طريق منفعته الشخصية وخدمة الأجانب الا أن أساس الجمرك والبريد الحالى بايران يسند اليه ومستشارى بلجيكا الباقيين اللذين استقدمهما أمين الدولة الى ايران .

وقد تسببت انجازات أمين الدولة في تجديد ميزان الدخل القومي ومنصرفه وتنظيم الميزانية ومنع الرشوة والتطفل وتأسيس العدالة خاصة تحديد رواتب رجال الشاه ومجرياتهم في تحريك عداوتهم له ، وأخذ أعوان أمين السلطان الدائبين في إرجاعه يوسعون من شقة العداوة الى أن عزل الشاه في (١٣١٦هـ) أمين الدولة واستدعى أمين السلطان من قم الى طهران وأسندت اليه الصدارة .

ودامت صدارة أمين السلطان الثانية في عهد مظفر الدين شاه من عام (١٣١٦هـ) الى (١٣٢١هـ) وزاد في هذه الفترة التي لقب فيها بلقب الأتابك الأعظم أيضا شقاء ايران ونكبتها أضعافا مضاعفة عما سبق ، لأن أمين السلطان بدل أن يجد علاجاً للعجز المالي وتضعف أحوال البلاد عن طريق الإصلاحات الداخلية وقطع أيدي السارقين والمرتشين انطلق يستقرض الأجانب ، كما حدث في عامي (١٣١٨هـ) و (١٣٢٠هـ) حين اقترض قرضين نحسين من روسيا وترك العائدات الجمركية لشمال ايران لدفع هذه القروض تحت اختيار الروس في الحقيقة ، وأتاح للمستشارين البلجيك ما جعله للروس في ادارة الجمرك والتجارة ، وبلغ نوز من النفوذ حد أنه اعترف به في (١٣٢١هـ) وزيرا لجمرك ايران .

أما الأموال التي عادت عن هذه القروض فقد أنفقت كلها لدفع رواتب الطفيليين ونفقات سفرين لا فائدة منهما للشاه الى أوربا ( في ١٣١٨ و ١٣٢٠هـ) ولم ينفق منها دينار واحد لخير البلاد وصلاحها .

وخلاف هذين القرضين من روسيا اقترض ثالث عام (١٣١٨هـ) من انجلترا وضاع رهنا له عائدات مصايد بحر الخزر والبريد والبرق وجمارك فارس والخليج ، وعلى هذا النحو استقر أفضل طرق الدخل القومي التي ينبغي أن يعيش الشعب عليها في أيدي الأجانب فزاد تسلط الأجانب أكثر مما مضى .

وأصبح خراب الوضع المالي وأسفار الشاه العابثة وأفعاله اللامية

وأعمال أمين السلطان الأنانية الحمقاء باعثا أخيرا على اعتراضات الشعب  
الشديدة ، ولما كان يعد كل هذه الأوضاع مسببة عن الأتراك أخذ في  
الضغط ومعه رجال الدين في طهران لعزله ، وطلب جادا عزله من الشاه  
في جمادى الآخرة (١٣٣١هـ) فعزله الشاه وعين مكانه سلطان مجيد ميرزا  
عين الدولة .

## الفصل التاسع عشر

### دستور إيران

لجأ عين الدولة في بلوغه الصدارة أولا الى موادعة وملاطفة طلاب الحرية والعلماء ومن سعى في عزل أمين السلطان ، لكنه سلك طريق الاستبداد بعد قليل بسبب حبه لمنافعه وجهله وغفلته عن مصالح البلاد ، وكان مظفر الدين قد فوض حكومة الولايات جميعا ما عدا أصفهان التي كانت في يد أخيه الأكبر ظل السلطان الى أولاده فلم يقصروا في ظلمهم للشعب ، فما جعل كره الشعب لعين الدولة وأتباع الثناء وأقاربه وأسلوب معاملتهم يزيد يوما بعد يوم ، ووسط هذا أخذ مؤيدو أمين السلطان يؤلبون الناس والعلماء على معاداة عين الدولة خاصة وأنه ترك أزمة الأمور الشرعية والعرفية تحت تصرف الشيخ فضل الله النوري نوعا ما وكان من علماء طهران ذوى النفوذ القوى وكانت جماعة أخرى من العلماء غير راضية عن هذا الأمر .

وآلف عدد من محبى الإصلاح والناقمين على الأوضاع في أواخر عام (١٣٢٢هـ) جمعية في الخفاء لدستورية حكم إيران ، وأبدى الآغا سيد محمد الطباطبائي وكان ذا سعى دائم لايقاظ الشعب ومن علماء طهران كمال موافقته لأفكارهم . ولما أنه وقع في أوائل عام (١٣٢٣هـ) نسخ من صورة للمسيح نوز رئيس الجمرك في أيدي الوعاظ والعلماء ظهر فيها نوز معتما بعمامة ومرتديا العباءة ، تذرعوا بهذه الصورة أنها توهمين للإسلام وهاجموا الحكومة على رؤوس المنابر ، وكان امام المعترضين في هذا الآغا سيد عبد الله البهبهاني الناقم على عين الدولة غير أن عين

الدولة لم يهتم بهذه الثورة بل زاد نوز قوة على قوة مع توالي الأيام .  
وحتى لا تصل أيدي الثائرين الى الشاه سيره الى أوروبا بحجة العلاج ،  
وهذأت نائرة الثائرين حتى عاد الشاه من أوروبا الى حد ما .

أما عين الدولة الذي كان حائقا لثركات العلماء وعداء التجار  
بسبب غلاء السكر له ولمسيو نوز فقد قرر أن يغلظ لهم حتى بعد عودة  
الشاه من أوروبا في رجب (١٣٣٣هـ) وأجمع على أن يظهر لهم قوته ، الا  
أنه في نفس هذا الوقت بلغت الأنبياء من الولايات تنهى اساءة بعض  
الولاة معاملة رجال الدين ، ويقام غلاء الدولة حاكم طهران يضرب بعض  
التجار بالعصا ، لذا اتجه مخالفو عين الدولة وعلماء طهران الذين تحالفوا  
معا عليه في رمضان (١٣٣٣هـ) الى ضريح (حضرة عبد العظيم) في  
السادس عشر من شوال من نفس العام ، وصار عداؤهم لعين الدولة  
علنيا وبدأت الثورة .

اصدار فرمان الدستور في الرابع عشر من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) :

وبعد مدة من المحادثات بين الثوار والبلاط عاد العلماء في السادس  
عشر من ذي القعدة (١٣٣٣هـ) باحترام تام الى طهران بأمر من الشاه أن  
يجيب عين الدولة مطالبهم بتأسيس دار للعدالة ، وقد جرات هذه الحادثة  
التي كانت هزيمة لعين الدولة في الحق الناس عليه وصار مطلب دار  
العدالة والدستور أمرا علنيا ، وكان أول نصر لهم هو عزل غلاء الدولة  
عن حكومة طهران .

ولما عاد العلماء لم يغير عين الدولة مسلكه بل طفق يوقف بعض  
الصحف ويشرد بعض طلاب الحرية وكان من بينهم السيد جمال الدين  
بالاضفهانى أشهر خطباء ووعظ المظالمين بالدستور الذي أبعدته الى قسم  
وبعض آخر التي كلات وقام بتعطيل تنفيذ أمر الشاه بتأسيس دار  
العدالة بكل ما وسعه من استبداد وحظر على الناس المسير بطهران ليلا ،  
وكان المصدر الأعظم يفعل كل ما يحلو له مستغلا مرض الشاه يومذاك

## وجهه التسام بأوضاع الدولة .

ونتيجة لضغوط عين الدولة واستبداده هاج الشعب مرة أخرى وعقدوا اجتماعاً هذه المرة في المسجد الجامع بطهران وطالبوا علناً بعزل عين الدولة وتنفيذ فرمان الشاه بتأسيس دار العدالة ، فأرسل عين الدولة جنوداً عسكريين إلى المسجد لتفريق المجتمعين وقتل في النزاع بين الطرفين اثنين من طلاب الحرية ، فذهب العلماء إلى قم واحتفى جمع من أهل العاصمة بالسفارة الانجليزية . وفي النهاية عزل الشاه عين الدولة : وأحل محله بالصدارة ميرزا نصر الله خان النائيني مشير الدولة وكان وزير الخارجية ، وأصدر في الرابع عشر من جمادى الثانية (١٣٢٤هـ) فرمان الدستور وتآلف في الثامن عشر من شعبان من نفس العام أول مجلس شورى وطنى إيرانى ودونت القوانين الأساسية ووقعها الشاه في الرابع عشر من ذى القعدة ، ومات بعدها بخمسة أيام .

## سلطنة محمد على شاه

( ١٣٢٤ - ١٣٢٧ هـ )

ولى محمد على ميرزا الذى ولد في تبريز في عام (١٣٨٩هـ) وكانت أمه ابنة ميرزا تقى خان الأمير الكبير العهد في عام (١٣١٣هـ) وحكم آذربايجان ، وبعد موت مظفر الدين شاه جلس على العرش بعد أن استدعى إلى طهران في مرض موت أبيه باسم محمد على شاه ، وأقر القانون الأساسى للدستور الذى وقع عليه أبوه من قبل ووعده بأن يسير وفق الدستور ووفق كل بنوده ، لكنه بسبب استبداده الطبقى وأنانيته وظلمه ووقوعه تحت نفوذ شر ذمة أعداء الدستور مثل الأمير ( بهادر جنك ) وزير البلاط ولياخوف القائد الروسى لقوات القازاق ، لم يتوان عن أى خطوة عذائية بعد قليل من جلوسه على العرش للدستور وأثمتته . ومع أن نواب الدورة الأولى للمجلس الذين كانوا يجهدون بحماسة

تامة لاصلاح أوضاع ايران قد تمكنوا من الفوز بطرد المسيو نوز رئيس الجمرك العام ووزير الخزانة من الخدمة أمام السياسة الروسية التي تحفظه بحمايته شديد الحفظ ، الا أن الروس أخذوا يقوون من أثر الشاه الجديد في عداائه للمجلس والدستور يوما بعد يوم الى أن ألقى محمد علي شاه بمشير الدولة عن الصدارة واستدعى أمين السلطان من أوروبا وفوض اليه أمورها في ربيع الأول (١٣٣٥هـ) \*

وهم أمين السلطان في خطوته الأولى أن يقترض من روسيا قرضا جديدا يعاونه النواب المعتدلون بالمجلس لكن النواب المتطرفين خاصة ممثلي آذربايجان لم يكفهم ممانعة تنفيذ المشروع بل ثاروا بالخلاف والعداء الجدى له ولم يطل الأمر حتى قتل أمين السلطان في رجب (١٣٣٥هـ) على يد أحد الفدائيين المحبين للدستور حينما كان يغادر المجلس ، واختار الشاه بعد هذه الحادثة بفترة وزير المالية السابق أبا القاسم خان ناصر الملك الهمداني من خريجي جامعة أكسفورد وكان مصدر خدمات أيضا أيام صدارة أمين الدولة لكي يتزأس الوزراء \*

وفشل ناصر الملك مع دراساته المتقدمة وتجربه الطويلة واعتدال مسلكه أن يصلح مالية المملكة ، ومع أن في ذلك الوقت وقع محمد علي شاه الملحق المتقم للقانون الأساسى بناء على ضغط النواب ودخل المجلس بنفسه وأقسم بالقرآن الكريم على الحفاظ على الدستور الا انه لم يكف عن اساءة معاملة طلاب الدستور وتشجيع أعدائهم ، ووصل به اللعناد في هذا الى أنه حبس ناصر الملك والوزراء الآخرين وهم بنفسف أساس الدستور لكنه انصرف عن همته لشدة ضعف نفسه وخوفه من ثورة طلاب الحرية مؤقتا \*

وطفق طلاب الحرية وكانوا على علم كامل بنية الشاه السيئة يجمعون الجنود المتطوعين الوطنيين في العاصمة والولايات للدفاع عن الدستور وأرواحهم وأعلن الصراع بين الدستور والاستبداد وبلغ حد أن

النواب بالمجلس طلبوا الى الشاه أن يبعد عنه سعة من حاشيته كان هم  
المحرضين الأول على ازالة الدستور ومع أن الشاه وعد بهذا الا انه قام  
بالقبض على ثمانية من النواب المفوهين وذوى النفوذ وتشريدهم ، وبما  
أنه لم يكن مطمئنا في اقامته بالعاصمة تحرك في التاسع من جمادى  
الأولى (١٣٢٦هـ) الى قصر باغ شاه خارج البوابة الغربية لطهران ،  
وصارت العاصمة في فوضى تامة بسبب تجمع جماعة من هواة الاستبداد  
في ميدان الطوبخانه ( المدفعية ) واعتداءات المنتهزين للفرص والأشرار .

وفي النهاية في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الأولى  
قصف لياخوف الروسى وجماعة من الجنود القازاق والمسيلاخورية  
المجلس بالمدفعية ومع دفاع المدافعين عن المجلس لمدة سبع ساعات  
الا أنهم غلبوا على أمرهم وقتل بعض النواب وأسر بعض آخر وفر  
أكثرهم وتساروا .

وبدأ الشاه بالسيد محمد الطباطبائي والسيد عبد الله البهبهاني  
فنفاهما وقتل جماعة من الصحفيين وخطباء الدستور وألقى بجمع آخر في  
السجن ، وبهذا زال الدستور الأول لایران الذى دام من الرابع عشر  
من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) حتى الثالث والعشرين من جمادى الأولى  
(١٣٢٦هـ) وبدأ عهد ( الاستبداد الصغير ) وظل النزاع قائما بين أتباع  
الدستور وأتباع الاستبداد في أيام الاستبداد الصغير الذى طال  
ما يزيد عن العام .

ومع أن الشاه تغلب على مخالفيه بضرب مقر مجلس الشورى  
وبالقضاء على الجمعيات الوطنية في العاصمة الا أن أغلب الولايات لم  
تتصع للاستبداد ، بل دفعت أعماله التى ارتكبها من نقض عهده ونكث  
قسمه ومعاداته لأساس تحصل عليه الشعب بشق النفس بطلاب الحرية  
في الولايات الى الثورة العلنية وقتال القوات الملكية ونواب الشاه  
ولا سيما أحرار تبريز الذين استولوا عليها ، ولما أمر عين الدولة والذى



يعدم طلاب الدستور أعدى أعدائه باعادة سيطرة الحكم عليها اشتعل حماس والتهاب الوطنيين للمقاومة وفشلت قوات الدولة في أن تجتاح المدينة مع حصارها لها بضعة شهور .

وأثرت مقاومة أهل تبريز البطولية برئاسة ستارخان القائد الوطني وباقر خان في الولايات الأخرى شيئا فشيئا وحثت الأحرار ومحبى الحرية على الثورة ومن بينهم محمد ولي خان التتكاينى الذى بدأ بأن أرسله الشاه لضرب الوطنيين في تبريز فخرج على تتكاين وأعلن انحيازه للدستور ، وتحالفت جماعة من المهاجرين الأيرانيين من القفقاز والأرامنة أيضا نيترأسهم بيرم خان وغيره في رشت مع محمد ولي خان الذى لقب بعد ذلك بالقائد الأعظم . وفي أصفهان أيضا أعلن الرؤساء البختياريون عن انحيازهم للدستور ، وقدم على قلى خان السردار الأسعد من رؤساء هذه القبيلة المتصف باستنارة الفكر وكان في أوروبا الى أصفهان وأخرج بعون نجف قلى خان مصام السلطنة أصفهان عن قوات الدولة ، وتقاطروا الوطنيون من أكثر من ناحية لفتح طهران والقضاء على الشاه ناحية العاصمة ، وفي حرب قصيرة جرت في قرية بادامك بالقرب من الكرج هزموا حماة الشاه وهم القوات القزاق والسيلاخور ، ودخلوا طهران في صباح السابع والعشرين من جمادى الآخرة ( ١٣٣٧هـ ) ، فلاذ محمد على شاه أولا بقصر ( باغ سلطنت آباد ) ثم بالسفارة الروسية واستقال من السلطنة .

### سلطنة أحمد شاه

( ١٣٣٧ — ١٣٤٣هـ )

بعد أن احتفى محمد على شاه بالسفارة الروسية واعتزاله السلطنة أجلس الثوار الأحرار في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ( ١٣٣٧هـ ) ابنه ذا الاتنا عشر عاما أحمد ميزا مكان والده وكانوا قد

نصبوا التتكايفى وزيرا للحربية والأسعد البختيارى وزيرا للداخلية ،  
وتقرر أن ينوب واحد عن السلطنة الى أن يبلغ الشاه الجديد الرشد  
فترك هذا المنصب مؤقتا الى حين افتتاح المجلس النيابى الثانى لأحد  
من الرؤساء الكبار البن لأسرة قاجار وهو عضد الملك . وبعد خلع  
محمد على شاه عن السلطنة آل تصريف الأمور الى يد هيئة إدارية  
أسست بأزمة الأمور حتى تأليف المجلس الجديد ، وطلقت فى تنظيم  
مقدمات الانتخابات ونفى محمد على ميرزا وأعوانه عن ايران والقبض  
على أعداء الدستور وعقابهم . وبعد مفاوضات مسببة بين طلاب الحرية  
المنتصرين وممثلى سفارتى روسيا وانجلترا الذين تعهدوا بحماية محمد  
على ميرزا والدفاع عن منافع الشخصية وقع بلاط طرد الشاه المخلوع  
فى النهاية فى السادس عشر من رجب ( ١٣٢٧هـ ) قرارا يشمل ست مواد  
صار بموجبه أن يترك محمد على ميرزا كافة الجواهر الملكية التى يحتفظ  
بها معه مع الوثائق المتعلقة بها للدولة ويخرج من ايران فى ظرف خمسة  
عشر يوما وتدفع له الدولة سنويا خمسة وسبعين ألف تومان راتباً له .  
ورحل الشاه المخلوع بعد توقيع هذا القرار بقليل الى روسيا ، وكانت  
الدولة مستعدة أن ترفع راتبه الى مائة ألف تومان له لكنه بعد فترة لما  
عاد الى ايران للاستيلاء ثانية على سلطنتها وقام بمحاولات فى استرداد  
وبيّن التركمان ضد الدستور وغلب وهرب ، قطعت الدولة راتبه . وفى  
الحكومة الجديدة التى ألفها الأحرار مؤقتا احتفظ بمنصب وزارة  
الخارجية لأبى القاسم خان ناصر الملك الهمدانى الذى كان بأوربا ، لكنه  
تعلل بعلل فى عودته الى ايران وكان محمد على شاه قد استدعاه لرئاسة  
الوزارة قيل إنتصار الوطنيين بقليل .

وقبل افتتاح المجلس الثانى استحوذ المنتصرون بطهران على  
جماعة من رؤساء الاستبداد وبعد محاكمتهم قامت بشنقهم . وأشهر  
هذه الجماعة الشيخ فضل الله النورى الذى تسبب فى إصدارة لعين  
الدولة والمجلس الأول والاستبداد الصغير فى ايذاء طلاب الدستور

وكان منحازا بكلية الى الاستبداد وتاريخ مقتله هو الثالث عشر من رجب (١٣٢٧هـ) \*

وفي الدورة الثانية للمجلس ثارت خلافات شديدة بين النواب بسبب الاصلاحات الأساسية والأمور السياسية وانقسم النواب الى أحزاب عدة قام من بينها الحزب الديمقراطي المتطرف والحزب المعتدل ينافس أحدهما الآخر ويعاديه ، وتبدل الصفاء السابق بين التنكا بنى والسردار الأسعد الى عدااء وبلغ الثانى رئاسة الوزراء بعون الديمقراطيين .

وفي عام (١٣٢٨هـ) توفى عضد الملك نائب السلطنة وظل النواب فى صراع حوله انتخاب من يخلفه مدة من الوقت ، وكانت جماعة تريد ناصر الملك لهذا المنصب وأخرى تشايح المرحوم ميرزا حسن خان مستوفى الممالك الاثنيانى . وفى النهاية نجح المنحازون الى ناصر الملك وأختير ناصر الملك لقيادة السلطنة ومستوفى الممالك لرئاسة الوزراء .

ولما كان مسلك الديمقراطيين والأحرار متطرفا ازاء السياسة الروسية فى ايران ، فكانت روسيا بدورها دائمة توليد المصاعب لتحطيم الدستور كما حدث فى عام (١٣٢٩هـ) حين أتوا بمحمد على ميرزا الى استرآباد وأخذ هو وأخوه سالار الدولة الذى كان يجمع الجند فى غرب ايران ويسبب المشقات للدولة يهاجمان ايران بدعوى استرجاع السلطنة ، لكن الدولة نجحت أخيرا فى ان تطرد هذين الأخوين عن ايران وتحفظ الدستور من شرهما .

وفى نفس عام (١٣٢٩هـ) قرر مجلس الشورى الوطنى الايرانى استخدام هيئة من الخبراء والمستشارين الأمريكان وكان يعانى الأمرين بسبب فوضى المالية وقلة الدخل ، فقدمت هذه الهيئة وعلى رأسها (مورجان شوستر) (Morgan Shuster) فأعطى شوستر وكان رجلا نشطا جادا صادقا فى مدة قليلة مالية ايران بعون معاونيه الأمريكين وضعها وشكلها اللائق وثار أثيرا عند كافة محبى الاصلاح الايرانيين .

(باكو) أيضا وبهذا صارت ايران تقريبا وقت أن كانت الحرب العالمية في طريقها إلى الانتهاء تحت النفوذ الانجليزي ، ولكي تكون ايران بتمامها منطقة نفوذ للانجليز دأب هؤلاء على إثارة المشاكل أمام قبول ممثلين لايران في جمعية الصلح الدولي ، حتى أجبروا ايران أخيرا في سؤال (١٣٣٧ هـ) (اغسطس ١٩١٩م) على عقد قرار منحوس آخر وكان هذا القرار المعروف بقرار (١٩١٩) يضع اختيار تمام أمور ايران العسكرية والمالية والجمركية بحكرا على المستشارين الانجليز ويجعلها تحت حماية بريطانيا ، ولحسن الحظ فان هيئة عصبة الأمم التي تألفت من فترة قريبة لم تعترف بهذا القرار رسما لأنه عقد خلافا لأسسها . وفي ايران ثارت جماعة من الأحرار ضده واعتزضت أمريكا بشأن عقده .

وظلق رئيس الوزراء الايراني الذي وقع هذا القرار ينفذ مواده بحبس المخالفين وتثريدهم والارسال أحمد شاه الى أوروبا واييقاف بعض الصحف لكن بسبب ما ذكرناه آنفا وظهور أحداث سوف نذكرها في الفصل التالي زال هذا القرار المشؤوم بدوره ، وانتهى عهد شقاء ايران .

#### أسماء الملوك القاجاريين وسنوات حكم كل منهم

- ١ — آغا محمد خان (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ)
- ٢ — فتح علي شاه بن حسين قلي خان اخي آغا محمد خان . (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ)
- ٣ — محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه (١٢٦٤ — ١٣٥٠ هـ)
- ٤ — ناصر الدين شاه بن محمد شاه (١٢٦٤ — ١٣١٣ هـ)
- ٥ — مظفر الدين شاه بن ناصر الدين شاه (١٣١٣ هـ — ١٣٢٤ هـ)
- ٦ — محمد علي شاه بن مظفر الدين شاه (١٣٢٤ — ١٣٢٧ هـ)
- ٧ — احمد شاه بن محمد علي شاه (١٣٢٧ — ١٣٤٣ هـ)

(تم بحمد الله)